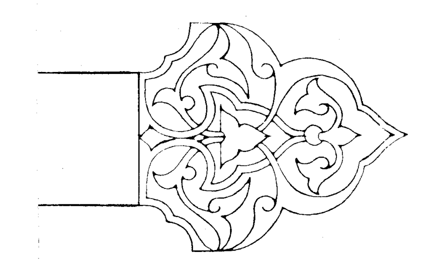


الذخائر ٧٨

الجزء الخامس

الحيوان

تأليف

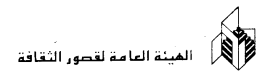
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

قدم الكتاب

أ.د. أحمد فؤاد باشا



الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى

١٦ أ ش أمين سامى قصر العينى - القاهرة

رقم بريدى ١٢٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

المادة الأدبية في كتاب الحيوان

(٥)

عزيزي القارئ .. بعد انقضاء ما يقرب من ثلث الجزء الخامس من كتاب الحيوان وفي سياق استعراض الجاحظ لبعض الموضوعات التي يزمع الحديث عنها فيما تبقي من الكتاب، يقول الجاحظ : "وسنذكر – قبل ذكرنا لهذا الباب – أبواباً من الشعر طريفة، تصلح للمذاكرة، وتبعث على النشاط، وتستخف معه قراءة ما طال من الكتب الطّوال،. ثم يقول : "ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان، ويظهر اصطناع الكتب في هذا الدهر.. لما احتجت في مداراتهم واستمالتهم وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم – مع كثرة فوائد هذا الكتاب – إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرة هذا الاعتذار، حتى كأن الذي أفيده إياهم أستفيده منهم، وحتى كأن رغبتي في صلاحهم رغبة من يرغب في دنياهم، ويتضرع إلى ما حوته أيديهم". ٥/١٥٤، ١٥٥.

عزيزي القارئ .. ترى هل كان الجاحظ مستشعراً عبر الزمان الطويل بيننا وبينه، ما نشاهده في أيامنا هذه من عزوف عن القراءة وزهد في المعرفة، مع تظاهر بالتحلي بهما ؟ ثم .. أرأيت كيف حاول، من منظور نفسي تربوي، أن يقدم بين أبواب كتابه الجادة شيئاً من المادة الخفيفة المسلية، جذبا للقارئ وتشجيعا له على المضيّ في قراءة الأبواب الجادة ؟ ثم .. أرأيت أن دعوى الاستطراد وفوضوية التأليف التي وجهت سهامها إلى

الجاحظ ليست في محلها، لأن الرجل كان واعياً أشد الوعي بما يقدم لقارئـــه، سواء في مواضع الجد أو مواضع الهزل، وأن المـــادة الخفيفـــة، أوالهـــزل أحياناً، له من الأهمية مثلُ ما للمادّة الجادة ؟

نعم – عزيزي القارئ – لأن هزل الجاحظ كثيراً ما يكون مـــدخلا للجد، بل هو دائما كذلك، وهذا ما سنعرض له لاحقـــاً بعـــد أن نســـتعرض بسرعة عناصر المادة الأدبية في هذا الجزء الخامس.

فنجد الشعر – كالمعتاد – مادة للاستشهاد على أحوال الحيوان. كمـــا يُضْرب المثل بالحيوان والطير، نحو قولهم: أحلام العصافير ٢٢٩/٥

كما يجري التشبيه بالحيوان والطير، وعلى سبيل المثـــال : التشـــبيه بالقطاة ٥٦٨/٥ حيث يعقب ذلك إيراد أجود قصيدة في القطا ٥٨٣/٥.

كما نجد الأخبار الطريفة، كخبر المفاخرة بين صـــاحب الضـــأن وصاحب المعز ٥٢٣/٥.

وكذلك المقايسة بين السنَّوْر والكلب ٣١٤/٥، ٣٣٦.

أما القضايـــا المحورية – إن جاز القول – فمنها ما هو أدبي فنـــي، ومنها ما هو لغويّ فنيّ. فمن القضايـــا الأدبية حديثـــه عما يمكن أن نســـميه بمراوغة اللغة ، وكيف يمكن أن تخدع مستعملها وتفضي – بالتـــالي – إلـــى دلالة غيـــر مـــا قصـــد إليـــه، فتضلل مستعملهـــا.. ومنها حديثـــــه عـــن مقدرة الأدباء – والشعـــراء خاصـــة – على تحسين القبيح وتقبيح الحســـن ، أو – كما شرح الجاحظ : القدرة على تعدد النظر إلى الأشياء وتبـــيّن مـــــا

فيهـــا من جوانب الحسن التي تصلـــح للمـــدح، وما فيهـــا من جوانب سلبية تلائم عند الذم، حيث يكون بمقدور الشعراء – أو بعضهم – توظيف كل مـــن الجانبين في مناسبته.

ومن القضايا اللغوية ذات البعد الفني ما جاء في حديثه عن ظـــاهرة تولد الدلالات المجازية من الدلالات الحقيقية للألفاظ.

هنا أعود بك – عزيزى القارئ – إلى ما سبق أن قلته عـــن هـــزل الجاحظ وحده، ذلك الهزل الذي استعمله أداة للعون على تقبل الجد واستيعابه، حيث يبدأ الحديث هازلا مرحاً ليتطرق إلى عويص من قضايا الأدب واللغة... انظر إليه كيف يورد على سبيل الإضحاك والترويج مقطوعة لأحد الشـــعراء يمدح مجوسيا أسدى إليه جميلاً، وكيف أن ذلك لم يمنع الشاعر مـــن فكاهـــة حضرته نتيجة المفارقة في الموقف بين القصد إلى المدح وكـــون الممـــدوح على غير ملة المادح، قال الشاعر:

شهدتُ عليـــكَ بطيـــبِ المُشـــا ... شِ وأنـــكَّ بحرٌجـــوادٌ خِضَـــمْ
وأنك ســـيّد أهـــلِ الجحيـــــ ... ـــمِ إذَا ما تردّيْتَ فـــيمن ظَلَـــمْ
نظيراً لهامان فـــي قعرِهـــا ... وفرعـــوْنَ والمُكْتَنَـــى بـــالحَكَمْ

ومعنى (طيبُ المُشاشِ): كرم النفس، وهذا من معاني المدح، وكـــذلك وصفُ الممدوح بأنه (بحر) وأنه (جواد) وأنه (خصمٌ) أي سيد حمول معطاء، لكنَّ ذلك لا يمنع من وقوع المفارقة التي جمعت الاستمرار في المـــدح مـــن جهة، مع سَلْك الممدوح في زُمْرة المشاهير من الجبابرة الكفرة المخلّدين فـــي النار. وكان القرآن الكريم قد سبق إلى مثل هذه اللفتة، أعنى المفارقـــة بـــين

إيقاع المهانة بالكفرة المعذبين في النار ثم إسباغ ألفاظ التعظيم عليهم وهم في هذه الحال من الذلّة والمهانة، فجاء قوله تعالى موجها إلى ذلك الذى كان يستكبر في الدنيا ويستعلى على الناس، جاء قوله تعالى تهكماً وسخرية حال إيقاع العذاب بذلك المستكبر (ذُقْ، إنكَ أنتَ العزيزُ الكريم). الدخان ٤٩.

هذا الفاصل الفكاهيّ – إن جاز التعبير يعقبه بابٌ في غاية الأهمية مع وثوق صلته بما سبقه ، هذا الباب هو (باب من أراد أن يمدح فهجا) وجاء من أمثلته، قول الفرزدق وقد صفح عن (بني غُدانةَ) استجابةً لرجاء صديقه عطيّة بن جِعالٍ :

أبَنى غُدانةَ إنني حرّرتُكم — فوهبتُكمْ لعطيّة بن جِعالِ
لولا عطيّةُ لاجتدعتُ أنوفَكم — من بين ألأمِ آنُفٍ وسِبالِ

فقيل في نقده "كيف يكون قد وهبهم له [أي صفح عنهم] وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء" ٥/١٦١، ١٦٢. كما جاء من أمثلته قول الأخطل يهجو سُوَيْد بن مَنجوف :

وما جذع سَوْء رقّق السُّوسُ جوفَه — لما حمّلَتْه وائلٌ بمُطيقِ

فقيل له : " أردتَ هجاءه فزعمت أن وائلا عصَبتْ به الحاجات [أي جعلته مقصدها في قضاء مصالحها] فأعطيته الكثير ومنعته القليل" ٥/١٦٢.

ويستمر الجاحظ في إيراد أمثلة الخطأ في المدح، فالكميت بن زيد أخطأ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حين زعم أن بعضهم يعيبه ويعنِّفه لمدحه الرسول ٥/١٦٩، ١٧٠، والممزّق أبو عَبّاد بن الممزّق أخطأ في مدح بشر بن أبي عمرو، حين حاول أن يثبّت نسبه في العرب فجاءت عبارته

لتزيد الشك في نسبه٥/١٦٩

ولا تعود أهمية حديث الجاحظ في هذا الموضوع إلى جانبها النقدي الاجتماعي ـــ أي عدم ملائمة الصفات التي يسوقها الشاعر لغرض المدح ومكانة الممدوح فحسب ـــ وإنما تعود أيضاً ـــ من وجهة نظرنا ـــ إلى أن هذا الحديث ينبئ عن لمح الجاحظ لظاهرة لغوية أخطر، هي ما تتسم به اللغة – خاصة في مستواها الأدبي – من الخداع والمراوغة، وذلك حين تفضي بالمتكلم، أو المبدع، إلى غير ما أراد، أي حين يقصد المتكلم إلى شيء ثم تُنطقه اللغة بغيره، وقد وقع كل من لبيد ابن ربيعة ومنظور بن زبّان بن سيّار في هذا الشَّرَك، حين افتخر كلٌّ منهما بأشياء كانت مثار غيظٍ لقبيلته أكثر مما كانت مدعاةً للفخر ٥/١٧١-١٧٣.

والفكاهة حاضرة أبداً على لسان الجاحظ وفى أخباره، حتى وهو يلقي بمثل هذه الأصول الهامة، وهناك خبران عن موقفين مثيرين للضحك تعرض لهما عمرو بن هدَّاب، ينتهي كل منهما إلى لمحٍ واحدة من سمات اللغة الأدبية، وثاني الموقفين – فما إيراد الجاحظ – هو ما كان عندما أصيب عمرو بذهاب بصره، ودخل عليه الناسُ يعزّونه، ومن بينهم إبراهيم ابن جامع الذي قام بين يدي عمرو فقال : "يا أبا أُسَيِّد : لا تجزعَنّ من ذهاب عينيْك وإن كانتا كريمتيك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنّيْت أن يكون الله عز وجل قد قطع يديْك ورجليْك ودق ظهرك وأدمي ضِلَعك... فصاح به القوم [أي استهجنوا هذا الأسلوب في التعزية] وضحك بعضهم، فقال عمرو : معناه صحيح ونيته حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ". ٥/١٦٧، ١٦٨ هكذا يريد القائل شيئاً وتقودُه اللغةُ إلى غيره.

أما الخبر الآخر عن عمرو هذا وهو الأول في إيراد الجاحظ، فله صلة بما نحن فيه، وله من جهة أخرى صلة بظاهرة أدبية معروفة سنكشف عنها

بعد إيراده لقد جلس عمر بن هَداب للشعراء فكان أول من أنشده المديح طريف بن سوادة، الذي أنشده أرجوزة طويلة جاء فيها وَصْفُ الممدوح – على سبيل المدح بأنه :

أبَرصُ فيّاضُ اليــدين أكْلَــفُ والبُرْصُ أندي بـــاللُّهَي وأعْــرَفُ

وكان عمروٌ أبْرصَ فعلا، فصاح ناسٌ بالشاعر وعنفوه، فدافع عنه عمرو – وهو الذي ذكر الشاعرُ داءَه فقال : "البرص من مفاخر العرب، ثم راح ينشد نماذج من المدح بالبرص : ١٦٤،١٦٥/٥

وهنا يلعب التداعي بالمخالفة دوره فيما أسميه بـــ (الاستطراد الموجَّه) لدى الجاحظ، فهناك من كره البرص وهجا به، فعل ذلك لبيد بن ربيعة وهو صبي حين هجا الربيع بن زياد بالبرص عند النعمان بن المنذر، وفعله غيره، وكان عمرو بن هند يحجب عنه كل ذي داء، فقد حجب الحارث بن حلّزة لأنه كان أبرص.

هنا يلتفت الجاحظ إلى الظاهرة التي سبقت الإشارة إليها. ظاهرة أن العرب قد تمدح بالشيء وقد تهجو به وهو ما أخطأ البعض في تفسيره، فظنه تناقضا منهم، ولكن الجاحظ يرى الأمر بخلاف ذلك، فـ "العربيّ يعاف الشيء ويهجو به غيره، فإن ابتُلِيَ بذلك فخر به، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه، فافهم هذه، فإن الناس يغلطون على العرب ، ويزعمون أنهم قد يمدحون الشيء الذي قد يهجون به، وهذا باطل فإنه ليس شيء إلا وله وجهان، وطرفان، وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين، وإذا ذمّوا ذكروا أقبح الوجهين" ١٧٤/٥، ١٧٥

هذه الوقفة ــ هنا ــ من الجاحظ تذكر بوقفات مماثلة في كتبه الأخرى، أعني وقفات تقوم على الإعجاب بنوع من المقدرة الإبداعية تمكن صاحبها

من إظهار القبيح في صورة الحسن، وإظهار الحسن في صورة القبيح، أو تصوير الباطل في صورة الحق وتصوير الحق في صورة الباطل [البيان ٥٣/١، ٣٤٩] كما تشير إلى احتمال بتأثير سوفسطائي يوناني تعرض له الجاحظ، وطوّره، في إطار ما تأثر به وطوّره من معطيات الفلسفة اليونانية التي دخلت إلى ساحة الفكر العربي في وقت مبكر عن الوقت الذي شاع الاعتقاد بدخولها فيه.

أما رصده لتولد الدلالات المجازية للألفاظ من دلالاتها الحقيقية فمسلك واضح في هذا الجزء، وإن كنا لا نعدم أمثلة له في بقية الأجزاء. وما نعنيه بتولد الدلالات المجازية من الدلالات الحقيقة.. هو أن مستعمل الكلمة – أو العبارة – في معنى غير معناها المتواضع عليه يكون – عادة– ناظراً إلى هذا المعنى الأخير، مع العمل على تجاوزه، تلك هي النظرة الكلاسيكية إلى ظاهرة التجوز، أو إلى النشاط الإبداعي وراءها، وقد اتسع الحديث عنها لدى المتأخرين، لكن الأمر في زمان الجاحظ كان لا يزال في مرحلة البدايات، أعنى بدايات ملاحظة الظاهرة، وهذا – فيما يبدو – هو سر التفاته إليها وتسجيل الكثير من حالاتها، ولهذه الحالات – غالبا – منطلقها الديني، فإذا قال اللهُ عزَّ وجلَّ: (الّذينَ قالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيْنا أنْ لا نُؤْمِنَ لرسُولٍ حتى يأتِينَا بقربانٍ تَأْكُلُه النّارُ) وتوقف البعض أمام قوله (تأكلُه النّارُ) – قال الجاحظ : إن الله سبحانه إنما كلمهم بلغتهم، وهم قد يقولون ذلك "على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه" وقد قال الشاعر:

وقد أكلتْ أظفارَه الصّخرُ كلّمـــا تعايا عليه طُولُ مَرْقًى توصّلا

"فجعَلَ النّحتَ والتنقّصَ أكلا" ٥ /٢٤ وقال الآخر :

وأدّت الأرْضُ منّي مِثْلَ ما أكلَــتْ وقرّبُوا لحِسابِ القِسْــطِ أعمـــالي

"وأكْلُ الأرض لما صار في بطنها : إحالتها له إلى جوْهرها" وقال: إن هذا "باب آخر مما يسمونه أكلاً"... وباب آخر، وهو قول الله عزّ وجلّ: " (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) وقوله تعالى عزّ اسمه (أكّالون للسُحْتِ) وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحُلل وركبوا الدوابّ ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الأكل" ٥/٢٥.

وقد قال الله عز وجل: (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) وقال الشاعر في أخذ السنين من أجزاء الخمر :

أكَلَ الـدهرُ مـا تجسَّـم منهـا وتبقَّـى مُصاصَـها المكنونـا

"وإذا قالوا : أكله الأسَد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا : أكله الأسود، فإنما يعنون النهش واللدغ والعضّ فقط ٥/٢٧. وباب آخر، وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذق، وكيف ذقته؟ وكيف وجدت طعمه؟. وقال عزّ وجلّ : (ذُقْ إنَّك أنْتَ العَزيزُ الكَرِيمُ)٥/٢٨، وتجاوزوا ذلك حتى قال يزيد بن الصَّعق :

وإنّ اللهَ ذاقَ حُلـومَ قَـيْسٍ فلمـاّ ذاق خفّتهـا قلاهـا٥/٣٠

وكما جوّزوا لقولهم (أكَلَ) وإنما عضّ، و(أكَلَ) وإنما أفنى،و(أكَلَ) وإنما أحاله ... جوزوا أيضاً أن يقولوا : ذُقتُ ما ليس بطعمٍ، ثم قالوا : طَعِمْتُ، لغير الطعام، وقال العَرْجيّ :

وَإنْ شئْت حرّمتُ النسّاءَ سـواكُمُ وَإنْ شئْت لَمْ أطْعَمْ نُقاخاً ولا بـرْدَا ٥/٣٢

هكذا يتتبع الجاحظ عملية التمدد الدلالي للألفاظ تحت أسماء عديدة أبرزها المجاز، ولكن الذي نودّ أن نلفت إليه النظر هو إحساسه بأن عملية التجوز هذه، أو مفارقة الدلالة المتواضع عليها بأي نحو من الأنحاء تتضمن

وجود صفتين، إحداهما في المتكلّم والأخرى في المتلقّي، **أما التي في المتكلم فهي (الاجتراء)** على سوق ما لم يكن مألوفاً من الدلالات، فاللغة في مواضعاتها العادية لم تسمّ الرجل الشجاع أسداً ولا الجواد بحراً، ولا أطلقت الفعل **(ذاق)** على إحساس الألم الناتج عن الضرب، ولا على اختبار أخلاق الإنسان، كما لم تطلق الفعل **(أكل)** على فناء المادة بفعل عوامل التعرية، ولكن المبدعين من الأدباء – خاصة الشعراء – هم الذين يفعلون هذا، لأن الشعراء – كما وصفهم الخليل بن أحمد – هم أمراء الكلام، يصرفونه كيف شاءوا، وهم أصحاب الحق في هذا التصريف، وعلى أيديهم وبفعل إبداعاتهم، تجري عملية تطوير اللغة.

أما الصفة الأخرى الخاصة بالمتلقي فهي وجود الاستعداد، أو القدرة، لديه لاستيعاب هذه التجوزات وفهمها، بحكم كونه من أبناء اللغة، الذين أبدع لهم الشاعر ما أبدع... هكذا يجترئ الشاعر على التجوز وتعدي حدود المألوف في اللغة العادية بفعل موهبته النوعية الخاصة من جهة، وثقة منه بفهم متلقّيه من أبناء لغته من جهة ثانية، ويطلق الجاحظ على ما نسميه اجتراء الشاعر **اسم (الإقدام)**، ويرى أنه صفة للعرب – حماسة منه لهم كما هو معروف عنه – وإن كان مفهوما أنه يتجه بالصفة إلى المبدعين منهم، حيث يرى في المجاز بمعناه الواسع مصداق هذا **(الإقدام)**، يقول – بعد إيراد العديد من صور التجوّز: "وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم، وهذه فضيلة أخرى" ٥/٣٢، وزاد الثعالبي وهو ينقل نص الجاحظ عنه فقال : **(ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم)** [فقه اللغة ٢٣٨].

لم يذهب مصطلح (الإقدام) ومفهومه لدى الجاحظ أدراج الرياح، لقد نقله الثعالبى كما رأينا ، فى كتابه ، أما الذى احتفل به وطوّره فكان معتزليا آخر لمعت شهرته فى مجال اللغة ذلك هو ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) الذى تحدث عن **(الشجاعة فى اللغة)** أو **(شجاعة العربية)** أو **(شجاعة**

الفصاحة)، والمصطلحان الأولان واردان فى كتبه [الخصائص ٤٤٦/٢ والمحتسب ١٤٥/١] ، والمصطلح الثالث نسبه إليه بعض تلامذته [المجازات النبوية للشريف الرضى ٣٢].

ولكنّ المهم أنه وسّع من مفهومه ، وإن يكن فى نفس الاتجاه ، أعنى اتجاه الانحراف عن النمط المعيارى فى استعمال اللغة ،ثم هو قد زاد من جرأة الشاعر واعتداده بنفسه وبما يقول ، بحيث جعله أقل اكتراثا باستيعاب القارئ أو المتلقى ، مادام هو واثقا من أنه قضى وطره من قول ما أراد أن يقول.

هذه –عزيزى القارئ – بعض لمحات من النظر الأدبى مما بثّه الجاحظ فى ثنايا كتبه ، خاصة هذا الجزء الخامس من كتاب (الحيوان).

عبد الحكيم راضى


كتاب
الحيوان

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[2]

نبدأ فى هذا الجزء بتمام القول فى نيران العربِ والعجَمِ ، ونيرانِ الدِّيانة ومبلغِ أقدارِها عند أهلِ كلِّ ملة[3] وما يكون منها مَفْخَراً ، وما يكونُ منها مذموماً ، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً .

ونبدأ بالإخبار عنها وبدئها[4] ، وعن نفس جوهرها ، وكيفَ القولُ فى كُمونها وظهورها ، إن كانت النار[5] قد كانت موجودةَ العينِ قبلَ ظهورها ، وعن كونها ، على المجاورة كان ذلك أم على المداخلة[6] ، وفى حدوث عَينها إن كانت غيرَ كامنة ، وفى إحالة الهواء لها والعودِ جَمْراً[7] ، إن كانت الاستحالةُ جائزة ، وكانت الحجّةُ فى تثبيت الأعراض صحيحة[8] . وكيف

---

(١) قبل البسملة فى كل من هـ ، س : « أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان فى الكلام على بقية النيران » .

(٢) بدل هذا الكلام فى س : « وبه ثقتى » .

(٣) الملة ، بالكسر : الشريعة ، أو الدين . وكلمة : « أهل » ساقطة من هـ .

(٤) س : « وبدنها » بالنون بدل الهمزة .

(٥) س ، هـ : « الدار » تحريف صوابه فى ط ، وفى هـ زيادة واو قبل « إن » .

(٦) المجاورة : مذهب كلامى يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالمداد ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . انظر الفصل (٥ : ٦١) وحواشي الحيوان (٤ : ٢٠٩) . س : « المجاوزة » تحريف . وأما المداخلة فهى مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر ، أجسام ، وأن الجسمين من تلك الأجسام يتداخلان فى حيز واحد ، ويكونان جميعا فى مكان واحد . انظر المصدرين المتقدمين والفرق ١٢٢ .

(٧) أي فى تحويل الهواء للنار والعود إلى جمر . فى الأصل : « وفي استحالة » صوابه ما أثبت . وفى ط ، هـ : « الهوى » وهو تحريف . وفى هـ : « والعود جمل » محرف .

(٨) تثبيت الأعراض : أي إثبات القول بها . وبين المتكلمين خلاف فى ذلك : فذهب هشام بن الحكم إلى القول بأنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والروائح والأصوات والحركات ، أجسام . وذهب النظام إلى مثل هذا سواء بسواء ، =

غير موجود من الأصل

غير موجود من الأصل

القولُ في الضِّرام الذى يَظْهرمن الشجر ، وفى الشَّرَر الذى يظهر من الحجَر . وماالقولُ فى لون النار فى حقيقتها . وهل يختلفُ الشَّرار[١] فى طبائعها ، أمْ لا اختلافَ بين جميعِ جواهرها ، أم يكون اختلافها على قدْر اختلافِ مخارجِها ومَداخلها ، وعلى قدر اختلافِ ما لاقاها وهَيَّجها ؟

(قول النظام فى النار)

ونبدأ ، باسم الله وتأييده ، بقول أبى إسحاق[٢] .

قال أبو إسحاق : النار اسمٌ للحَرِّ[٣] والضِّياء . فإذا قالوا : أحْرَقَتْ أو سخَّنَتْ ، فإنما الإحراقُ والتسخينُ لأحدِ هذين الجنسين المتداخِلين ، وهو الحرُّ دون الضياء .

وزعمَ أن الحرَّ جوهرَ صَعَّادٌ[٤] . وإنما اختلفا ، ولم يكن اتِّفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما[٥] ؛ لأنهما متى صارا من العالَم العُلوىِّ إلى مكانٍ[٦] صار أحدهما فوقَ صاحبِه .

= إلا الحركات ، فانه قال : هى خاصة أعراض . وذهب ضرار بن عمرو والنظام والنجار إلى أن الأجسام مركبة مما يسميه غيرهم أعراضا . وذهب سائر الناس إلى أن الجسم هو كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان ، وأن كل ما عداه من لون ، أو حركة ، أو مذاق ، أو طيب ، أو مجسة ، عرض . الفصل (٥ : ٦٦) والفرق ١١٤ ، ١٢٢ والمواقف ٣٥٥ ، ٦٢١ . فى الأصل ، « تثبت » وجهه ما أثبت . س ، هـ : « الأغراض » تحريف .

(١) الشرار ، كسحاب : الشرر الذي يتطاير من النار ، واحدته شرارة . قال :

أَوْ كَشَرَارِ الْعَلاَةِ يَضْرِبُهَا الْـ ... قَيْنُ عَلَى كُلِّ وِجْهَةٍ تَثِبُ

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٣) ط : « للحرق » س : « للحرف » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) هذا رأي النظام . فهو يذهب إلى أن الحر جوهر وجسم من الأجسام ، لا عرض من الأعراض . انظر التنبيه الثامن من الصفحة السابقة .

(٥) هـ : « جواهرها » .

(٦) أي إلى مكان من العالم العلوي .

وكان يجزم القولَ ويُبْرِم الحكم بأنّ[1] الضياء هو الذى يَغْلو إذا انفردَ ، ولا يُغْلَى .

قال : ونحنُ إنما صِرْنا إذا أطفأنا نارَ الأتُّون[2] وجَدْنا أرضَه وهواءُ وحيطانَه حارّة ، ولم نجِدْها مضيئة[3] ، لأن فى الأرض ، وفى الماء[4] الذى قد لابَسَ الأرض، حَرّا[5] كثيراً، وتداخلا مُتشابكا ؛ وليس فيهما[6] ضياء. وقَدْ كانَ حَرُّ النارِ هَيَّجَ تِلْكَ الحَرَارَةَ فَأَظْهرَهَا ، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضِيَاء من مُلاَبِس فَهَيّجَهُ الضياء وأظهره[7] ، كما اتصل الحرُّ بالحرّ فأزاله من موضعه ، وأبرزهُ من مكانه . فلذلك وجدْنا أرضَ الأتُّون ، وحيطانها ، وهواها حارّةً ، ولم نجِدْها مضيئة[8] .

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الدليل على أن فى الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات[9] — أنه يلزَمُ من أنكرَ ذلك أن يزعُمَ أنْ ليس فى السِّمسم دُهْنٌ ولا فى الزَّيتون زيت .

ومن قال ذلك لزِمهُ أنْ يقولَ : أنْ ليس فى الإنسان دَمٌ ، وأنّ الدّمَ

---

(١) فى الأصل : «فان» وجهه ما أثبت . أي يقطع الحكم بما سيأتي .

(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف ، ونسب الجوهرى التخفيف للعامة وقال : هو الموقد وقال غيره : هو أخدود الجيار والجصاص ونحوه ، تاج العروس . وقال العلامة نصر في تحقيق القاموس : « وكأنها فى نسخة عاصم : الخباز ، بالخاء والباء والزاى » .

(٣) الكلام بعد هذه الكلمة إلى كلمة « مضيئة » الآتية ، ساقط من س .

(٤) ط : « المادى » صوابه فى هـ . والمراد بالماء الرطوبة .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ط ، هـ : « حدا » بالدال ، صوابه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « فيها » .

(٧) فى الأصل : « فهيجها الضياء وأظهرها » . والقول يقتضي ما أثبت .

(٨) أنث الضمائر فى عبارته لما أنه أعادها إلى « أرض » وهى مؤنثة . وأما « الأتون » فذكر .

(٩) أي مع اختلاف الجهة التي يصدر منها النار ، وهى حجر القدح وعود الزند . وكلمة « مع » ليست بالأصل . وبدلها فى س ، هـ : « أن فى » . وقد أصلحت العبارة بما ترى . والعبارة فى س ، هـ : « وزعم أبو إسحاق على أن الدليل أن فى » الخ مع وضع كلمة « الجر » مكان « الحجر » فى هـ . تحريفان .

إنما تَخَلَّقَ عند البطّ[1] ، وكان ليس بين مَن أنكرَ أن يكون الصَّبِر[2] مرّ الجوهر ، والعسلُ حُلْوَ الجوهر قبل ألاّ يذاقا[3] ، وبين [من أنكرَ كون الزيت فى[4]] السمسم والزيتون قبلَ أن يُعصرا[5] — فَرْق .

وإنْ زَعَم الزاعم أنّ[6] الحلاوة والمرارةَ عَرَضانِ ، والزيتَ والخلّ جوهر ، وإذا لزم مَنْ قال ذلك فى حلاوة العسل ، وحموضة الخلّ ، وهما طعمان — لزمه مثلُ ذلك فى ألوانهما ، فيزعم[7] أنّ سوادَ السَّبَج[8] ، وبياضَ

---

(١) البط : شق الجرح بالمبطة ، وهى المبضع . ط ، س « الشرط » وهما بمعنى ، وأثبت ما في هـ . وفى ط ؛ س أيضا : « يخلق » وقد أثبت من هـ ما ارتضاه الجاحظ فى نحو هذه العبارة عند كلامه الآتي فى (القربة) ص ٩ س ٧ .

(٢) الصبر ، ككتف ، ولا يخفف إلا فى ضرورة الشعر ، عصارة شجر مر . القاموس . قلت : يشير بذلك إلى ما أنشده الجوهرى فى الصحاح (١ : ٣٤٤) من قول الراجز يصف سم حية :

أَمَرُّ مِنْ صَبْرٍ ومَقْرٍ وَحُضَض

قال ابن بري : صواب إنشاده : « أمرَّ » بالنصب . وأورده بظاءين ، أي : « حفظ » انظر اللسان (٦ : ١١٢) — وقبله :

أرقشَ ظمآنَ إذا عُصْرَ لَفَظْ

(٣) س : « أن لا يذاق » بالإفراد ، وهو جائز .

(٤) تكملة ضرورية ، أثبتها مساوقة لعبارة الجاحظ ، وليست بالأصل .

(٥) س : « يعصر » بالإفراد .

(٦) ط : « أن » .

(٧) الزعم : القول يشك فيه سامعه ، أو الكذب . وهو يتعدى بنفسه ، يقال : زعمه . وفى س ، هـ : « وإن زعم الزاعم بأن » . وإدخال الباء على المعمول محمول على الزيادة . ومنه قول النابغة :

زعم الهمام بأن فاها بارد عذب إذا قبلته قلت ازدد

وقوله أيضا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

فى أحد وجهى تأويله ، أي وزعم بذاك .

(٨) السبج ، بالتحريك وآخره جيم : خرز أسود . وقال البيروني فى الجماهر ١٩٩ : « حجر أسود حالك صقيل رخو جدا تأكل النار فيه » وهو معرب « شبه » الفارسية . انظر معجم استينجاس ٧٣٢ والجماهر والمعرب ١٨٣ دار الكتب . وفى اللسان ، « سبه » تصحيف . ط : « المسيخ » هـ : « السبيح » صوابهما ما أثبت من س .

الثلجِ وحُمْرَةَ العُصْفُر ، وصُفرة الذهب ، وخُضْرَةَ البقْل ، إنما تحدُث عندَ رؤية الإنسان ، وإن كانت المعاينةُ والمقابلة غيرَ عاملتين[١] فى تلك الجواهر .

قال : فإذا قاسَ ذلك المتكلِّم فى لَوْنِ الجسم بعد طعمه ، وفى طوله وعرضه وصورته بعد رائحته ، وفى خفته وثقل وزنه ، كما قاس[٢] فى رخاوته وصلابته ــ فقد دخل فى باب الجهالات ، ولحق بالذين زعموا أن القِرْبة ليس فيها ماء ، وإنْ وجدوها باللمس ثقيلةً مزكورة[٣] وإنما تخلَّق عند حلِّ رِباطها . وكذلك فليقولوا فى الشمسِ والقمرِ ، والكواكب ، والجبال ، إذا غابتْ عن أبصارهم .

قال : فمن هرب عن الانقطاع[٤] إلى الجهالات ، كان الذى هرب إليه أشدَّ عليه .

وكان[٥] يضربُ لهما مثلاً ذكرته لِظَرَافته[٦] :

حُكِيَ عن رجلٍ أحدبَ سقطَ فى بئر ، فاستوت حدَبتُهُ وحَدَثَتْ له أُدْرَةٌ فى خُصيته[٧] ، فهنَّاه رجلٌ عن ذهاب حدَبته[٨] ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب !

---

(١) هـ « حاملتين » محرف . ط : « عاملين » . وأثبت ما فى س .

(٢) في الأصل : « قال » باللام. صوابه ما كتبت .

(٣) المزكورة ، بالزاى: المملوءة . زكر الإناء والسقاء : ملأه ، وكذلك زكره تزكيرا. ط ، هـ : « مؤكدة » س : « موكوءة » صوابهما ما أثبت .

(٤) قطعه بالحجة : بكته ، أي غلبه .

(٥) أي : النظام .

(٦) الظرافة ، بالظاء المعجمة : مصدر ظرف: أى صار ظريفا . وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا ، وظرافة ، قليلة » . وفى اللسان : « ويجوز فى الشعر ظرافة » ثم قال بعد ذلك : « ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف » .

(٧) الأدرة ، بالضم : نفخة فى الخصية ، والوصف منه « آدر » .

(٨) الحدبة ، بالتحريك : موضع الحدب فى الظهر الناتئ ، والحدب، بالتحريك : =

(رد النظام على ضرار فى إنكار الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعمُ أن ضِرارَ بنَ عمرو[١] قد جمعَ فى إنكاره القولَ بالكُمُون[٢] الكفرَ والمعاندةَ ؛ لأنه كان يزعُمُ أن التوحيدَ لايصحُّ [إلا][٣] مع إنكار الكمون ، وأن القولَ بالكُمون لايصحُّ إلا بأنْ يكون فى الإنسان[٤] دمٌ . وإنما هو شيء تَخَلّق[٥] عند الرُّؤية .

٤ قال : وهو قد كان يعلمُ يقيناً أنَّ جوفَ الإنسانِ لايخلو من دم .

قال : ومن زعَمَ أن شيئا من الحيوان يعيشُ بغير الدمِ ، أو شيء

= دخول الصدر وخروج الظهر ، ويقابله القعس . وهناه : مخفف هنأه بالتشديد وهنأه بالتخفيف : قال له ليهنئك . « وعن » هنا بمعنى التعليل . وفى الكتاب : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » . و : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » .

(١) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلى . ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكي عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . وفى العرب ضرار بن عمرو الضبي الذي كان معاصرا للمنذر . وروى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٤٢) بياناً عالياً . وهو القائل : « من سره بنوه ساءته نفسه » . المعارف ٣٦ ليدن والميداني (٢ : ٢٢٨) .

(٢) الكمون : مذهب كلامى يزعم أصحابه أن النار كامنة فى الحجر وفى دهن السراج ، كما يكمن الدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، والزيت فى الزيتون . وذهب ضرار بن عمرو إلى إنكار الكمون . وممن ذهب إلى إنكاره أيضاً الباقلاني وسائر الأشعرية . والحق أن فى الأشياء ما هو كامن كالدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، وفيها ما ليس كامنا ، كالنار فى حجر القدح . وانظر تفصيل الكلام فى الفصل (٥ : ٦١ — ٦٢) .

(٣) تكملة ضرورية ، بدونها لا يستقيم الكلام ، لأن صاحب الزعم هو ضرار ، منكر الكمون .

(٤) هـ ، س : « إنسان » .

(٥) ط ، س : « يخلق » وأثبت ما فى هـ .

يشبهُ الدمَ ، فواجبٌ عليه أن يقول بإنكار الطبائع[١] ، ويدفع الحقائقَ بقول جَهْم[٢] فى تسخين النار وتبريد الثلج ، وفى الإدراك والحِسّ ، والغذاء والسُّمّ[٣] . وذلك بابٌ آخر فى الجهالات .

ومن زعم أن التوحيدَ لايصلحُ إلا بألاّ يكون فى الإنسان دم[٤] ، وإلا بأن تكونَ النارُ لا توجب الإحراق ، والبصرُ الصحيحُ لا يوجبُ الإدراك ـ فقد دَلّ عَلَى أنه فى غاية النقص والغباوة ، أو فى غاية التكذيب والمعاندة .

وقال أبو إسحاق : وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه ، وتفرُّق أركانِه التي بُنى عليها ، ومجموعاته التى رُكّبَ منها وهى أربع : نارٌ ودخان ، وماء ، ورَمَاد ، ووجدنا للنار حرًّا وضياء ، ووجدنا للماء صوتا[٥] ، ووجدنا للدُّخان طعما ولونا ورائحة ، ووجدنا للرَّمَادِ طعما ولوناً ويُبْساً ، ووجدنا للماء السائل من كل واَحد من أصحابه[٦] . ثمَّ وجِدناه ذا أجناسٍ رُكِّبَتْ من المفرَدَات .

---

(١) يراد بانكار الطبائع القول بأن ليس فى النار حر ، ولا فى الثلج برد ، ولا فى العالم طبيعة أصلا ، وإنما يحدث حرالنار وبرد الثلج عند الملامسة . الفصل (٥ : ١٤-١٥) وقد أوغل الجاحظ فى إثبات الطبائع حتى زعم أن الله لا يدخل النار أحدا ، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها . (الفرق ١٦١ والمواقف ٦٢٤ س ٤) .

(٢) ط ، س : « فى قول » وأثبت ما فى هـ . وجهم هذا ، هو جهم بن صفوان ، أبو محرز السمرقندي ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية المجبرة ، قتل سنة ثمان وعشرين ومائة . لسان الميزان (٢ : ١٤٢). وتفصيل مذهبه فى الفرق ١٩٩ والملل والنحل (١ : ١٠٩) واعتقادات الرازي ٦٨ . وقد بالغ جهم فى إنكار الطبائع حتى قال : ليس فى الشجرة طبيعة الإثمار ، ولا فى الماء طبيعة الجري ، ولا فى الأرض طبيعة الإنبات ، وإنما يثبت الإثمار والجرى والإنبات على المجاز . وقال أيضاً : لا يفعل الإنسان شيئاً إلا على المجاز . والفاعل هو الله .

(٣) السم : مصدر سمه يسمه فهو مسموم . وفى الأصل : « الشم » بالشين المعجمة ، صوابه ما أثبت .

(٤) أى بانكار كون الدم فى الإنسان ، وهو قول ضرار بن عمرو . وفي الأصل ، « إلا بأن يكون » وصححه عماترى .

(٥) يعنى الصوت الذي يحدث عند احتراق الحطب من انفجار الرطوبات التى فيه .

(٦) كذا جاءت هذه العبارة مضطربة .

ووجدنا الحطب رُكِّبَ على ماوصفنا، فزَعمنا[١] أنه رُكِّب من المُزْدَوِجاتِ، ولم يُرَكَّبْ من المفردات .

قال أبو إسحاق : فإذا كان المتكلمُ لايعرف القياسَ ويُعطيه حقه فرأى أنّ العُود حين احتكّ بالعودِ [أحدثَ النار[٢]] فإنه يلزَمُه فى الدخان مثلُ ذلك، ويَلزَمُه فى الماء السائل مثلُ ذلك . وإنْ قاس قال فى الرّماد مثلَ قوله فى الدخان والماء . وإلا فهو إما جاهلٌ، وإمّا متحكم .

وإن زَعَمَ أنه إنما أنكرَ أنْ تكون النارُ كانت فى العودِ، لأنه وَجَدَ النارَ أعظم من العود، ولا يجوز أن يكون الكبيرُ فى الصغير، وكذلك الدخان ـ فليَزْعُمْ أن الدخانَ لم يكنْ فى الحطبِ، وفى الزَّيت وفى النِّفْطِ .

فإن زعم أنهما سواء، وأنه إنما قال بذلك لأن بَدَنَ ذلك الحطَبِ لم يكن يسعُ الذى عاينَ من بَدَنِ النارِ والدخان، فليس ينبغى لمنْ أنكر كُمُونَهَا من هذه الجهة أنْ يزعُمَ أنّ شَرَرَ القدَّاحةِ والحجَرِ لم يكونا كامنين فى الحجَرِ والقدَّاحة[٣] .

وليس ينبغى أن يُنْكِرَ كُمونَ الدمِ فى الإنسان، وَكمونَ الدُّهْن فى السمسم، وكُمون الزيت فى الزيتون . وَلا ينبغى أن يُنْكِرَ من ذلك إلا ما لايكون[٤] الجسمُ يَسَعُهُ فى العين .

فكيف وَهم قد أجْرَوْا هذا الإنكارَ فى كلِّ ما غابَ عن حواسّهم من الأجسام المستَتِرة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض[٥] ؟!

---

(١) فى الأصل « زعمنا » وقد أزلت تفكك العبارة بزيادة الفاء .
(٢) بمثل هذا يتم الكلام . واعتمدت فى إثباتها على ماورد فى السطر الثانى من الصفحة التالية .
(٣) يشير بذلك إلى أن الشرر الذي يطير من الحجر أصغر بدناً من الحجر والقداحة .
(٤) س : « ما يكون » صوابه ما أثبت من ط ، هـ .
(٥) فى الأصل : « إلى أن طال فى الأعراض » وهو كلام محرف .

كنحو حموضة الخلّ . وحلاوة العسل . وعذوبة الماء ، ومرارة الصبر[١] .

قال : فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ ، كما قالوا فى النار ٥ والدُّخان ، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا فى جميع الأجسام مثلَ ذلك كالدقيق المخالف للبُرّ فى لونه[٢] ، وفى صلابتِهِ ، وفى مساحته ، وفى أمورٍ غير ذلك منه . فقد ينبغى أن يزعُمَ أن الدقيقَ حادثٌ ، وأن البُرَّ قد بطَلَ .

وإذا زعم ذلك زعم أنَّ الزُّبْدَ الحادثَ بعد المَخْضِ لم يكن فى اللبن ، وأن جُبْنَ اللبنِ حادث ، وقاسَ ماءَ الجُبْن على الجبن . وليس اللبنُ إلا الجُبْنَ والماء .

وإذا زعم أنهما حادثان ، وأن اللبن قد بَطَلَ ، لزمَه أن يكون [كذلك[٣]] الفَخَّارُ ، الذى لم نجده حتى تَجَنَّا الترابَ اليابسَ المتهافتَ على حِدَته ، بالماء الرَّطْبِ السَّيال على حِدَتِهِ ، ثم شوَيناهُ[٤] بالنار الحارةِ الصَّعَّادَةِ[٥] على حِدَتِها . ووجدنا الفخار فى العين واللمس والذَّوق والشَّمّ ، وعند النَّقْر والصَّكّ — على خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها ، والماءَ وحده ، والتُّرابَ وَحْدَهُ ؛ فإنَّ[٦] ذلك الفخار هو تلك الأشياء ، والحطبَ هو تلك الأشياء[٧] ، إلا أن أحدَها من تَركيب العِباد ، والآخرَ من تركيب الله .

والعبدُ لايقلبُ المرَكَّباتِ عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها .

والحجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسَرَها ، وكيف دارَ الأمرُ ، وسواءٌ كانت الرِّيح تقلبه أو إنسان[٨] .

---

(١) انظر الكلام على « الصبر » فى ص ٨ .

(٢) لأن البر أسمر والدقيق أبيض . س ، هـ : « كونه » بالكاف وأثبت ما فى ط .

(٣) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٤) ط : « سويناه » هـ : « سوينا » صوابهما ما أثبت من س .

(٥) أي التي من طبعها الصعود إلى أعلى . ط « الصفارة » وفى س ، هـ « الصفاوة » محرف .

(٦) في الأصل : « فإن كان » .

(٧) فى الأصل : « وتلك الأشياء » بسقوط الهاء من « هو » .

(٨) تقلبه ، أى تحاول قلبه عن جوهره ، فإن الريح والإنسان لا يستطيعان ذلك . فالحجر الذى كونته الريح ، أو الذي صنعه الإنسان كما فعل بالفخار : يحتفظ بجوهريته =

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك التُّرابَ ، وذلك الماء ، وتلك النار ، وقالوا مثل ذلك فى جميعِ الأخبصة والأنبذة[1] ،كان آخرُ قياسهم أن يُجيبوا بجواب أبي الجهجاه[2] ؛ فإنه[3] زعم أن القائمَ غيرُ القاعد[4] ، والعجينَ غيرُ الدقيق . وزعم[5] — ولو أنه لم يقل ذلك[6] — أن الحبَّة متى فلقت فقد بطل الصحيح ، وحدثَ جسْمان فى هيئةِ[7] نصفَى الحبَّة . وكذلك إذا فلقت بأربع فِلق[8] ، إلى أن تصيرَ سَويقًا ، ثم تصيرَ دقيقًا ، ثم تصير عجينا ، ثم تصير خُبزاً ، ثم تعودَ رجيعاً وزِبْلا ، ثم تعودَ رَيحانا وبَقلا ، ثم يعود [الرجيع[9]] أيضا لبنا وزُبدا ؛ لأن الجلاَّلة[10] من البهائم تأكله ، فيعودُ لحما ودمًا .

وقال[11] : فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الـكُمونِ ، أو قولَ هذا .

—— الحجرية التى تكسر البيضة حين الصك . ونحو قول الجاحظ : « سواء كانت الريح » الخ عبارة صحيحة ، أسلفت عنها قولا فى تذييل الجزء الرابع ص ٥٢٨ .

(١) الأخبصة : جمع خبيص ، وهو كـكريم : ضرب من الحلواء المخبوصة ، أي المخلوطة . وقد ذكر البغدادى فى كتاب الطبيخ : ست صفات لعمله ، إحداها : « يؤخذ رطل شيرج ويطرح عليه نصف رطل ماء ونصف درهم زعفران وربع رطل من الدقيق السميذ ويداف — أي يخلط — بأوقية ماء ورد ورطل عسل فى موضع واحد ، ويغلى ويحرك بإسطام حتى يطلق الدهن . ومن أراد طرح فيه كفا من الخشخاش ، وخمسة دراهم فستق مقشر ، ويغرف ويجعل تحته وفوقه السكر المدقوق ناعماً » . هـ : « الأخبطة » محرف . وأما الأنبذة فجمع نبيذ .

(٢) هو أبو الجهجاه النوشروانى ، روي عنه الجاحظ خبرا فى البخلاء ٣٦ : « حدثنى أبو الجهجاه النوشروانى قال : حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال : كنا نفطر عند الباسانى فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقى على فراشه ، ويقول : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » . ولم أعثر له على غير هذه الترجمة .

(٣) فى الأصل : « فإن » .

(٤) ط : « القاعدة » صوابه فى س ، هـ . يريد أن الشخص حين يقوم غيره حين يقعد .

(٥) ط ، هـ ، س : « وزعموا » تصحيحه من س . والضمير لأبى الجهجاه .

(٦) أى قياساً على مذهبه ولو لم يقله . والعبارة فى أصلها : « أنه لو لم يقل ذلك » . محرفة .

(٧) ط ، هـ : « هيئته » صوابه من س .

(٨) « وكذلك » هى فى أصلها : « كانت » محرفة . وفلق ، كعنب : جمع فلقة ، بالكسر ، أى قطعة .

(٩) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(١٠) الجلالة : التى تأكل الجلة والعذرة . والجلة ، بالكسر : البعر ، كما فى اللسان .

(١١) أي أبو إسحاق . وفى الأصل : « وقال أبو الجهجاه » .

(ردّ النظام على أصحاب الأعراض)

قال أبو إسحاق : فإن اعترض علينا مُعترضٌ من أصحاب الأعراض[١] فزعم أن النارَ لم تكن كامنةً ، وكيفَ تكمُنُ فيه وهى أعظم منه ؟ ولكنّ العودَ إذا احتكّ بالعود حَمِيَ العودان ، وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يَلِى ذلك منهما ، فإذا احتدم رقّ[٢] ، ثم جفّ[٣] والتهب . فإنما النارُ هواءٌ استحالَ .

والهواء فى أصل جوهرِهِ حارٌّ رقيق ، وهو جسم رقيق ، وهو جسمٌ[٤] خَوّارٌ ، جيِّد القبول ، سريع الانقلاب .

والنار التى تراها أكثرَ من الحطب ، إنما هى ذلك الهواء المستحيل ، وانطفاؤها بطلانُ تلك الأعراضِ الحادثة من النارية فيه . فالهواء سريعُ ٦ الاستحالة إلى النار ، سريعُ الرجوعِ إلى طبعهِ الأول . وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعتْ إلى شكل لها عُلْوِيٍّ واتصلت ، وصارتْ إلى تِلادها[٥] ، ولا أن[٦] أجزاءها أيضا تفرقتْ[٧] فى الهواء ولا أنها[٨] كانت كامنةً

(١) انظر القول فى أصحاب الأعراض فى التنبيه الثامن ص ٥ .

(٢) فى اللسان : « الأزهري : الحدم : شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار . تقول حدمه كذا فاحتدم . وقال الأعشى :

وإدلاج ليل على غرة وهاجرة حرها محتدم »

(٣) « جف » بالجيم ، من الرطوبات التي به .

(٤) خوار ، وزان كتان : أي ضعيف . كلمة « رقيق » الثانية ساقطة من س . وكلمتا « وهو جسم » ساقطتان من ط ، س .

(٥) التلاد ، بالكسر : أصل معناه المال القديم الأصلي ، فكأنه يريد أن يقول : تعود إلي معدنها وأصلها الأول . وفى اللسان : « قال أبو منصور : سمعت رجلا من أهل مكة يقول : تلادي بمكة . أي : ميلادي » . والفلاسفة الأولون يعللون صعود النار إلي أعلى بأنها تواقة إلى موطنها الأول . والعبارة فى أصلها : « فقد انقطع إلي شكل لها علوى واتصل وصار إلى تلاده » . والوجه ما أثبت ، إذ الكلام فى « النار » .

(٦) فى الأصل : « ولأن » .

(٧) فى الأصل : « تقرب » وهو تحريف .

(٨) الواو ساقطة من ط ، س . وفى الأصل : « لأنها » صوابه ما أثبت .

فى الحطَب ، متداخلةً منقبضة فيه ، فلما ظهرت انبسطتِ وانتشرت . وإنما اللهبُ هواء[١] استحال نارا ؛ لأن الهواءَ قريبُ القرابةِ من النار ، والماءَ هو حجازٌ بينهما ، لأن النار يابسةٌ حارة ، والماءَ رطبٌ بارد ، والهواءَ حارٌّ رطب ، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء ، ويُشبه النار بالحرارةِ والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما . فلذلك جازَ أن ينقلبَ إليهما انقلابا سريعا ، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطبا وحدث له كثافة ، إلى أن تعود أجزاؤه مطراً . فالماء ضدُّ النار ، والهواء خلافٌ لهما ، وليس بضِدٍّ . ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَديًّا[٢] إلى خلافه . فقد يستقيم أن ينقلبَ الماء هواءً ، ثم ينقلبَ الهواء ناراً ، وينقلبَ الهواء ماء ، ثم ينقلبَ الماء أرضا . فلابدّ فى الانقلاب من الترتيبِ والتدريج[٣] . وكلُّ جوهر فله مقدمات ؛ لأن الماءَ قد يحيل الطين صخراً ، وكذلك فى العكس ، فلا[٤] يستحيل الصخرُ هواءً ، والهواء صخراً ، إلا على هذا التنزيل والترتيب[٥] .

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذَّاق أصحاب الأعراض : قد زعمتم أن النار التى عايناها لم تخرج من الحطَب ، ولكنَّ الهواءَ المحيط بهما[٦] احتدَمَ واستحالَ ناراً . فلعلّ الحطب الذى يسيل منه الماء الكثيرُ ، أن يكون ذلك الماء لم يكن فى الحطَب ، ولكنَّ ذلك المكان من الهواءِ[٧]

(١) فى الأصل : « هو » ، تحريف . وانظر بقية القول .
(٢) بديا : أى بدءا وأولا . وفى حديث سعد بن أبى وقاص قال يوم الشورى : « الحمد لله بديا » . وفى تعقيب اللسان على هذا الحديث : « البدي بالتشديد : الأول » . وفيه : « وأصله الهمزة ؛ وإنما ترك لكثرة الاستعمال » . قلت : وقد وردت : « بديا » فى مواضع من الحيوان ، أذكر منها (٤ : ٢٠٧ ، ٣١٧). وجاءت « بديئا » على الأصل فى نسخة كوبريلى من (٣ : ٢٧٥) .
(٣) فى الأصل : « فلا بد من الانقلاب فى الترتيب والتدريج » ، تحريف .
(٤) فى الأصل . « قد » .
(٥) ط ، هـ : « ولاترتيب » . وأثبت صوابه من سهـ .
(٦) س : « بها » والضمير للنار والحطب .
(٧) فى الأصل : « الماء » .

استحالَ ماء . وليس ذلك المكانِ من الهواء أحقَّ بأن يستخيل ماءً من أن يكون سبيلُ الدخان فى الاستحالةِ سبيلَ النار والمـاء .

فإن قاسَ القومُ ذلك ، فزعموا أن النار التى عاينَّاها[١] ، وذلك المـاء والدخان فى كثافة الدخان وسَوادِه ، والذى يتراكمُ منه فى أسافل القدور[٢] وسُقف المطابخ[٣] إنمـا ذلك هواء استحال ، فلعلَّ الرماد أيضا ، هواءٌ استحالَ رماداً .

فإن قلتم : الدُّخان[٤] فى أول ثقله المتراكم على أسافل القدور ، وفى بُطونِ سُقُفِ[٥] مواقِدِ الحمامات ، الذى [إذا[٦]] دُبِّرَ ببعض[٧] التدبير جاء منه الأنقاس[٨] العجيبةُ أحق بأن استحال أرضياً[٩] . فإن قاسَ [صاحب[١٠]] العرَضِ ، وزعم أن الحطب انحلَّ بأسرِه ، فاستحال بعضُهُ رماداً

---

(١) س : « عاينا » .

(٢) فى الأصل : « القدر » بالإفراد . والمقابلة والسياق يقتضي الجمع .

(٣) السقف ، بضمتينْ : جمع سقف ، بالفتح . ومثله السقوف .

(٤) فى الأصل : « الرماد » . وهو سهو أو تحريف .

(٥) هـ : « مسقف » محرف . وانظر التنبيه الثالث .

(٦) بهذه الكلمة يلتمُ القول . وليست بالأصل .

(٧) ط فقط : « بعض » بإسقاط الباء الأولى .

(٨) الأنقاس : جمع نقس ، بكسر النون وإسكان القاف ، ويقال أيضا : بفتح النون ، كما فى صبح الأعشى (٢ : ٤٦١) . ولم يذكر هذه صاحب اللسان والقاموس ، وهو المداد والحبر . وفى الأصل : « الأنفاس » بالفاء ، تصحيف ما أثبت . وقد فرق صاحب صبح الأعشى فى (٢ : ٤٦٥) بين صنعة المداد وصنعة الحبر ، وهو اصطلاح صناعى لا لغوي ، فان اللغويين لا يفرقون بينهما . ويفهم منه أن الدخان يدخل فى صنعة المداد ، وأما فى صنعة الحبر ، فلا يدخل إلا فى الصنف الأول ، يعنى به الذي يكتب به على الكاغد أي الورق . أما الصنف الثانى من الحبر وهو الذي يكتب به على الرق : أي الجلد الرقيق ، فلا يدخل الدخان فى صنعته .

(٩) كلمة « استحال » ساقطة من هـ . وموضعها أبيض فى س .

(١٠) ليست بالأصل . والمراد بصاحب العرض من يزعم أن المواد مكونة من عدة أعراض وزعيم هذا المذهب هو ضرار بن عمرو صاحب الضرارية . انظر التنبيه الأول من ص ١٠ .

كما قد كان بعضه رماداً(١) مرةً ، واستحال بعضه ماء كما كان بعضه ماء مرة ، و بعضه استحال أرضاً ، كما كان بعضه أرضاً مرة ، ولم يقلْ إن الهواء المحيطَ به استحالَ رماداً ، ولكنّ بعضَ أخلاطِ الحطَبِ استحالَ رماداً ودُخانا ، و بعضَ الهواء المتصل به استحال ماءً وبعضَه استحال ناراً ، على قدرِ العوامل ، وعلى المقابِلات له . و إذا قال صاحبُ العرض ذلك كان قد أجاب فى هذه الساعةِ على حدّ ما نزّلتُه لك .

وهذا باب من القول فى النار . وعلينا أن(٢) نستقصىَ للفريقَين . والله المعين .

(ردّ على منكرى الكمُون)

و بابٌ آخرُ ، وهو أن بعض من ينكرُ كُمُونَ النار فى الحطب قالوا : إن هذا الحرّ الذى رأيناه قد ظهرَ من الحطب ، لو كان فى الحطب لكان واجبا أن يجده مَنْ مَسّهَ كالجمر المتوقد ، إذا لم يكن دونه مانعٌ منه ، ولو كان هناك مانعٌ لم يكن ذلك المانعُ إلا البردَ ؛ لأن اللونَ والطعمَ والرائحةَ لا يفاسِد الحرَّ ، ولا يمانعه [إلا(٣)] الذى يُضادُّه ، دون الذى يخالفه ولا يضاده(٤) .

فإن زعم زاعمٌ أنه قد كان هناكَ من أجزاء البرد ما يعادلُ ذلك الحرَّ ويُطاوله ، ويكافيه و يوازيه ؛ فلذلك صرنا إذا مَسِسْنَا(٥) الحطبَ لم نجدْه مؤذيا ، و إنما يظهر الحرْقُ و يُحْرِقُ لزوال البرد ، إذا قام فى مكانه وظهر الحرُّ وحْده فظهر عمله . ولو كان البردُ المعادلُ لذلك الحرّ مقيما فى العود

---

(١) فى الأصل : « ماء » محرف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س ، ه .

(٣) تكملة ضرورية ليست بالأصل . والمراد أنه لا يمانع الحر إلا مضاده وهو البرد .

(٤) الكلام من مبدإ « دون » ساقط من س .

(٥) فى القاموس : « مسسته ، بالكسر أمسه مسا ومسيسا ومسّيسى كخلّيفى ؛ ومسسته كنصرته : أي لمسته » .

على أصلِ كمونه فيه . لـكانَ ينبغى لمن مَسَّ الرَّمادَ بيده أن يجدَه أبردَ من الثلج . فإذا كان مسه كمسِّ غيره ، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادلُ هذا الحرَّ الذى يُحرق كلَّ شيء لَقِيَه .

فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود ، فلا يخلو البردُ أن يكونَ أَخَذَ فى جهته ، فلِمَ وجدنا الحرّ وحده وليس هو بأحقّ أن نجده من ضِدّه . وإن كان البردُ أخذَ شِمَالاً ، وأخذَ الحرُّ جنوبا ، فقد كان ينبغى أن يجْمِد ويُهْلِك ما لاقاه[١] ، كما أهلك الحر وأحرقَ وأذاب كلَّ ما لاقاه .

قالوا : فلما وجدنا جميعَ أقسامِ هذا البابِ ، علمنا أن النار لم تـكن كامنة فى الحطبِ .

قال أبو إسحاق : والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالبَ على العالَم السفلىِّ الماء والأرض ، وهما جميعاً باردانِ ، وفى أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامراً[٢] ، ويكون مقموعا ولا يكون قامعاً ؛ لأنه[٣] هناك قليل ، والقليلُ ذليل ، والذليلُ غريب ، والغريبُ محقور . فلما كان العالَمُ السفلى كذلك ، اجتذبَ[٤] ما فيه من قوة البرد وذلك البرد[٥] الذى كان فى العود عند زوالِ ما نعه ؛ لأن العودَ مقيمٌ فى هذا العالم[٦] . ثم لمْ ينقطع ذلك البردُ إلى برد الأرض ، الذى هو كالقُرْص

---

(١) يجمد ، بالجيم : من الإجماد . وفى الأصل : « يخمد » بالخاء . والوجه ما أثبت . ه : « يهلك بالأقسام » تحريف .

(٢) ط ، س : « معمورا » و « عامرا » بالعين المهملة فيهما . صوابه ما فى ه .

(٣) أي الحر . وفى الأصل : « لأن » .

(٤) اجتذب : امتص . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، ففى ط : « حدث » و ه : « أحدث » و س : « جذب » .

(٥) أي وذلك هو البرد .

(٦) أي العالم السفلى .

له [١] ، إلا بالطفرة [٢] والتخليف [٣] لا بالمرور على الأماكن والمحاذاةِ لها [٤]
وقام بَرْدُ الماء منه مقام قرصِ الشمسِ من الضياء الذى يدخل البيتَ للخَرْق
الذى يكون فيه ، فإذا سُدَّ فم السَّدِّ ينقطعُ إلى قُرْصه ، وأصلِ جوهره .

٨ فإذا أجابَ بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمُه بُدًّا من أن يبتدئ مسألة
فى إفساد القول بالطفرة والتخليف [٥] .

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة فى هذا الموضع ،
لكان هذا مما يقع فى باب الاستدلالِ على حدوثِ العالم .

(قول النظام فى الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعُمُ أن احتراق الثوب والحطب والقطن ، إنما
هو خروجُ نيرانه منه ، وهذا هو تأويل الاحتراق ، وليس أن ناراً جاءت
من مكانٍ فعملت فى الحطب ، ولكن النار الكامنة فى الحطب لم تكن
تقوي على نفى ضدِّها عنها ، فلما اتصلت بنار أخرى ، واستمدت منها ،

---

(١) يشير بذلك إلى أن برد العود الذي كان اكتسبه من الأرض ، إذا أراد الاتصال ببرد الأرض مرة أخرى ، وذلك حين إشعال العود ، فان ذلك الانقطاع والانتقال لا يكون إلا بالطفرة ، وهى مذهب كلامى سيفسر عقب هذا . وقد جعل الجاحظ منزلة بردالأرض من برد العود ، كمنزلة قرص الشمس من ضيائها ، فان الأول أصل الثاني . و «كالقرص» هى فى أصلها : «كالعرض» تحريف اتضح لك صوابه مما بينت .

(٢) الطفرة ، معناها اللغوي : الوثبة . والمراد بها هنا المذهب الكلامى المنسوب إلى إبراهيم النظام كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى دعواه أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها ذلك المار ، ولا مرّ عليها ، ولاحاذاها ، ولاحل فيها. انظر أيضا الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ .

(٣) كذا فى هـ . والتخليف : الترك . وفيه معنى الطفرة . س ، ط : « التحطيف » بالحاء المهملة بعدها طاء مهملة . وليس لها وجه .

(٤) فى الأصل : « على الأمور بالأماكن والمجاورة لها » . وأصلحت العبارة على ضوء تفسير كلمة « الطفرة » السابق .

(٥) ط ، س : « التحطيف » صوابه من هـ . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

فو يّتا جميعاً على نفى ذلك المانع ، فلما زال المانعُ ظهرت . فعند ظهورها تجزّأ[١] الحطبُ وتجففَ وتهافتَ ؛ لمكانِ عملها فيه . فإحراقك للشئ إنما هو إخراجك نيرانه منه .

وكان يزعم أن حرارة[٢] الشمس ، إنما تحرق فى هذا العالم بإخراج نيرانها منه . وهى لا تُحرق ماعقد العرَضُ وكَثّفَ تلك النداوة[٣] ؛ لأن التى عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لاتحترق ، كاللون والطعم والرائحة ، والصوت . والاحتراقُ إنما هو ظهورُ النار عند زوال مانعها فقط .

وكان يزعم أن سمَّ الأفعى مقيماً فى بدن الأفعى ، ليس يَقْتُل ، وأنه متى مازَجَ بدناً لاسمَّ فيه لم يقتل ولم يُتْلِفْ ، وإنما يتلفُ الأبدان التى فيها سمومٌ ممنوعة مما يُضَادُّها . فإذا دخل عليها سم الأفعى ، عاون السم الكامنُ ذلك السمَّ الممنوعَ على مانعهِ . فاذا زال المانعُ تلف البدن . [فكان[٤]] المنهوشُ عند أبي إسحاقَ ، إنما كان أكثرُ ما أتلفه السمَّ الذى معه .

وكذلك كان يقول فى حرِّ الحمَّام ، والحر الكامنِ فى الإنسان : أنَّ الغَشْيَ الذى يعتريه فى الحمام [ليس[٥]] من الحر القريب ، ولكن من الحر الغريب ، حرّك الحرَّ الكامنَ فى الإنسانِ ، وأمَدّهُ ببعض أجزائه ، فلما قوِيَ عند ذلك على مانعهِ فأزاله ، [صار[٦]] ذلك العملُ الذى كان يُوقعه بالمانع[٧] واقعاً به . و إنما ذلك كماء حار يحرقُ اليَدَ[٨] ، صُبَّ عليه ماء

---

(١) هـ : « تجز » .

(٢) فى الأصل : « حر » . والضمير بعده لمؤنث .

(٣) النداوة ، كسحابة : مصدر ندي يندى . ويقال لها أيضا : « الندوة » كفتوة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى هـ .

(٤) الزيادة من س ، هـ . ويصح أن تقرأ بالهمز : « فكأن » فينصب الاسم بعدها .

(٥) التكملة من س ، هـ .

(٦) بمثل هذه الكلمة يلتئم القول .

(٧) فى الأصل : « توقعه » . والضمير للحر ، وهو مذكر . هـ : « بالماقع » مصحفة .

(٨) هـ : « الماء » صوابه ما أثبت من س ؛ هـ .

باردٌ ، فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْله بالداخلِ ، وصار من وضَعَ يده فيه ووضع يدَه فى شىء قد شُغِل فيه بغيره . فلما دفع الله ، عز وجل ، عنه[1] ذلك الجسم الذى هو مشغولٌ به ، صار ذلك الشُّغْل مصروفاً إلى من وضع يده فيه ؛ إذ كان لاينفكُّ من عمله .

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأتَ نارَ الأَتُّون[2] لم تجدْ شيئاً من الضوء ، ووجدت الكثير من الحر ؛ لأن الضياء لما لم يكن له فى الأرض أصلٌ ينسب إليه[3] ، وكان له فى العلوِّ أصلٌ ، كان أولَى به[4] .

وفى الحقيقة أنهما جميعا قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلوىِّ . وهذا الحر الذي تجده[5] فى الأرض ، إنما هو الحرُّ الكامن الذى زال مانعه . هكذا كان ينبغى أن يقول . وهو قياسُه .

وكان يزعم أنك إن أبصرتَ مصباحا قائما إلى الصبح[6] أن الذى رأيته فى أول وهلةٍ قد بَطَلَ من هذا العالَم ، وظفر من الدهن[7] بشىء من وزنه وقدره بلا فضل[8] ، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع . فأنت إن ظننتَ أن هذا المصباحَ ذلك ، فليس به ، ولكن ذلك المكان [لما كان[9]] لايخلو من أقسامٍ متقاربة متشابهة ، [و[10]] لم يكن فى الأول

---

(١) ط : « عند » بالدال ، تصحيحه من س ، هـ .
(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف . سبق الكلام فيه فى التنبيه الأول من ص ٧ .
(٣) فى الأصل : « لولم يكن » ... الخ . وهو تحريف . وفى س : « نسب إليه » .
(٤) أي كان العلو أولي به .
(٥) س : « نجده » بالنون .
(٦) س ، هـ : « أنك وإن » بزيادة واو . وفى هـ : « إلى الصلح » باللام . وهما تحريفان .
(٧) ط ، هـ : « الدهر » بالراء . صوابه بالنون كما فى س .
(٨) الفضل ، بالضاد المعجمة ، بمعنى الزيادة . وفى ط : « بالأفضل » وهـ : « بلا فصل » بالصاد ، بمعنى الفرق . والأولى محرفة . وأثبت ما فى س .
(٩) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .
(١٠) تكملة ضرورية .

شِيَةٌ(١) ولا علامة ، وقع عندك أن المصباحَ الذى رأيته مع طلوعِ الفجر ، هو الذى رأيته مع غروب الشَّفَقِ .

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئا من الدهن ولم تشر به(٢) ، وأن النار لاتأكل ولا تشرب ، ولـكن الدهن ينقص على قدرِ ما يخرجُ منه من الدخان والنار الـكامنَين ، اللذَين كانا فيه . و إذاخرج كلُّ شيء فهو بطْلانه .

(المجاز والتشبيه فى الأكل)

وقد يقولون ذلك(٣) أيضا على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه .

فان قلتم : فقد قال الله ، عز وجلّ فى الـكتاب : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ(٤) ﴾ علمْنَا أن الله ، عز وجل ، إنما كلمهم بلغتهم .

وقد قال أوسُ بنُ حَجَرٍ(٥) :

فأشْرَط فيها نفسه وهو مُعْصِمٌ ... وألقى بأسبابٍ له وتوكَّلاَ(٦)

---

(١) الشية ، كعدة : اللون يخالف معظم اللون . والمراد بها هنا العلامة المميزة . وليس يعني أنه ليس فى المصباح الأول شية مطلقا ، ولـكنه يريد أنه لا يميز المصباح الأول من الثانى علامة خاصة ، بل العلامات فيهما واحدة . وفي الأصل : « شبه » بالباء الموحدة ، صوابه ما أثبت .

(٢) س : « لم يأكل » ، و « لم يشربه » .

(٣) أي الأكل ومشتقاته .

(٤) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران . وتمامها : « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » . والـكلام فى بنى إسرائيل ، زعموا أن علامة النبوة أن تنزل نار من السماء فتأكل قربان النبى . والقربان : ذبائح كانوا يذبحونها ، وهومصدر قرب يقرب ، وقرئ : « بقربان » بضمتين. انظر الزمخشرى .

(٥) ينعت صانع قوس ، أجهد نفسه فى الحصول على نبعة فى صدع الجبل ، فان ذلك خير النبع وأصلحه للقسى . وقبل البيت : كما فى الديوان واللسان (لهب) .

فأبصرَ ألْهَابًا مِنَ الطَّوْدِ دُونَهَا ... يَرَى بَيْنَ رَأْسَىْ كلِّ نيقين مَهْبلا

الألهاب : جمع لهب بالـكسر : وهوالفرجة والهواء بين الجبلين ، أو الصدع فى الجبل .

(٦) أشرط : أي جعل نفسه شرطا ، والشرط ، بالتحريك : العلامة : والمعنى أنه هيأ —

وقد أكَلَتْ أظْفَارَهُ الصَّخْرُ كلما تَعَايا عليه طولُ مَرْقًى تَوَصَّلا[١]

فجعل النحتَ والتَّنَقُّصَ[٢] أكلاً .

وقال خُفَافُ بن نَدْبَةَ[٣] :

أبا خُرَاشَةَ أَمَّا كنْتَ ذَا نَفَرٍ فإنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[٤]

والضَّبُع : السَّنَة[٥] . فجعل تَنَقُّصَ الجَدْبِ ، والأزْمة ، أكلاً[٦] .

= نفسه لهذه النبعة التي يريد الحصول عليها . معصم : أي معتصم بالحبل الذي دلاه في صدع الجبل ليصل إلى النبعة . والأسباب : جمع سبب ، بالتحريك ، وهو الحبل . وفي اللسان : «وقيل لا يسمى الحبل سبباً حتى يكون طرفه معلقاً بالسقف أو نحوه» . وجاء مثله في قول ابن أحمر (المقصور ص ٣٠) :

فأشرط نفسه حرصا عليها وكان بنفسه حجئا ضنينا

أي ممسكا بخيلا .

(١) أنث الفعل لما أن الفاعل « الصخر » وهو مجازي التأنيث . ومجازي التأنيث يصح في فعله التذكير والتأنيث . وتعايا عليه الأمر : أعجزه . هـ : « نفايا » تصحيف صوابه س ، ط ورواية الديوان : « تَعَيَّا » وهي بمعنى تعايا . وقد أكلت أظفاره الصخر حينما كان يصعد في الجبل لينزل منه إلى اللهب الذي فيه النبعة .

(٢) التنقص : النقص ، يقال نقصه وتنقصه . وفي الأصل : « الشص » بالشين . وما أثبت أقرب تصحيح لهذا التصحيف .

(٣) كذا . والصواب أن قائل البيت هو العباس بن مرداس السلمي ، كما في الخزانة (٤ : ١٣ سلفية) ، واللسان (خرش) . يخاطب به خفاف بن ندبة ، ويحرضه على الصلح ، ويثبطه عن الحرب . وكان خفاف بن ندبة يكنى « أبا خراشة » .

(٤) خراشة ، بضم الخاء كما في الخزانة (٤ : ١١ سلفية) واللسان (خرش) . و« أما كنت » هذه رواية س ، هـ . وهي رواية أبي حنيفة في كتاب النبات ، وابن دريد في الجمهرة ، وعلى هذه الرواية يعتمد الكوفيون في قولهم : إن (أن) المفتوحة شرطية يجازي بها . الخزانة (٤ : ١٢ سلفية) . ورواية ط ، ويظهر أنها تصرف من المصحح الأول : « إما أنت » وهو الرواية المشهورة . وللنحويين فيها كلام طويل جمعه صاحب الخزانة ، وبعد البيت .

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

(٥) السنة ، بمعنى الجدب والقحط . وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) في الأصل : « شقص » وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة . وفي ط بعد كلمة «الأزمة» « بابا آخر مما يسمونه أكلا » وهو إقحام وتحريف . وانظر التنبيه التالي .

[باب آخر مما يسمونه أكلاً[1]] . وقال مِرْداسُ بن أُدَيّة[2] :

وأدّتِ الأرضُ مِنّى مِثْلَ ماأكَلَتْ   وقرّبُوا لحِسابِ القِسْطِ أعمالى[3]

وأكْلُ الأرضِ لما صارَ فى بطنها : إحالتُها له إلى جَوْهَرِها .

باب آخر

(فى المجاز والتشبيه بالأكل)

وهو قول الله عز وجلّ : ﴿إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا[4]﴾ وقوله تعالى ، عز اسمه . ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ[5]﴾ . وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحُللَ ، وركبوا الدوابَّ ، ولم ينفقوا منها دِرْهمًا واحداً فى سبيل الأكل .

وقد قال الله عز وجلّ : ﴿إنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نارا[6]﴾. ١٠

وهذا مجازٌ آخر .

وقال الشاعر[7] فى أخذ[8] السِّنِينَ من أجزاء الخمر :

أكَلَ الدَّهْرُ ما تجسَّمَ منها   وتبَقَّى مُصاصَها المكنونا[9]

---

(١) هذه التكلمة من س فقط .

(٢) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج فى أيام يزيد ابن معاوية : بناحية البصرة ، على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة فهزمه وقتله سنة ٦١ .

(٣) القسط ، بالكسر : العدل .

(٤) من الآية ١٠ من سورة النساء .

(٥) من الآية ٤٢ فى سورة المائدة . والسحت ، بالضم : ما خبث من المكاسب . قالوا : سمى بذلك ، لأنه يسحت البركة : أي يذهبها . وسحت الشيء يسحته : قشره قليلا قليلا .

(٦) من الآية ١٠ فى سورة النساء .

(٧) هو أبو نواس من خمرية رائعة له فى ديوانه ٣٣٨ — ٣٣٩ مطلعها :

أدر الكأس حان أن تسقينا   وانقر الدف إنه يلهينا

(٨) ط ، س : « أجزاء » هـ : « أخز » بالزاي . صوابهما ما أثبت .

(٩) ط ، هـ : « الدهم » صوابه فى س . « وتجسم » بالسين : أي صار جسما . وهو =

وقال الشاعر :

مَرّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِي أَرْبَعٍ　　يأكُلُ منها بعضُهَا بعضَا[١]

وهلْ قوله : « وقد أكَلَتْ أظْفَارَه الصَّخْرُ[٢] » إلا كقوله[٣] :

كَضَبِّ الكُدَى أفنى بِرَاثِنَهُ الحفْرُ[٤]

== يريد أنه لم يبق من الخمر إلا روحها . والخمر إذا أعتقت صفت ورقت وكاد يختفي جسمها . وفى ذلك قول ابن المعتز (٢ : ٣٠) :

لم يبق منها البلى شيئاً سوى شبح　　مقيمة الظن بين الصدق والكذب

وقوله (٢ : ٤٣) :

فأبرزها تحدث عن زمان　　كلمع الآل فى البيد القفار

وقول أبى نواس بعد البيت المتقدم :

فإذا ما اجتليتها فهباء　　تمنع الكف ما تبيح العيونا

وتبق ، أى أبق وترك . يقال أبقاه وبقاه وتبقاه واستبقاه ، كما فى اللسان .

والمصاص ، بالضم : خالص كل شيء . ورواية الديوان : « وتبقى لبابها » .

(١) فى أربع : أي أربع من صواحبها . وقد أراد أنها فى تثنيها وتأودها وتعطفها كأنما يأكل بعضها بعضاً .

(٢) جزء من بيت لأوس بن حجر سبق فى ص ٢٤ .

(٣) هو خالد بن الطيفان كما سيأتي فى (٦ : ١٢) وكما في المؤتلف ١٤٩ . وصدر البيت :

ترى الشرق قد أفنى دوائر وجهه

والطيفان أمه ، فهو ممن نسب إلي أمه من الشعراء . وفى القاموس : « وابن الطيفان ، كحيران : خالد بن علقمة ، شاعر . وطيفان أمه » . وفى المؤتلف : « فأما ابن الطيفان فهو خالد بن علقمة بن مرثد ، أحد بنى مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم » . وفى اللسان (١٣ : ٢٦٧) : « ابن الطيفان الدارمى . والطيفان أمه » . وفى الشعراء أيضاً (ابن الطيفانية) نسب إلى أمه أيضاً . وهو عمرو بن قبيصة ، أحد بنى زيد ابن دارم . القاموس والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) الكدى : جمع كدية بالضم : وهى الأرض الغليظة . وفى الأصل : « الكري » بالراء ، محرفة . و « أفنى » هى فى الأصل : « أبري » . صوابه من الجزء السادس والمؤتلف . ولا يقال : أبرى من البرى ؛ بل يقال : أبري الناقة أي جعل لها برة في أنفها .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسَد ، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف[١] .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسْوَد[٢] فانما يعنون النَّهْشَ واللَّدْغَ والعضَّ فقط .

وقد قال الله عز وجلّ : «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا[٣]» . ويقال : هم لحوم الناس[٤] .

وقال قائلٌ لإسماعيل بن حماد[٥] : أيّ اللُّحْمَانِ أطيب ؟ قال : لحومُ الناس ، هي ، واللهِ أطيبُ من الدجاج ، ومن الفراخ ، والعُنُوزُ الحُمْرُ[٦] .

ويقولون في باب آخر : فلانٌ يأكل الناس . وإن[٧] لم يأكُلْ من طعامهم شيئًا .

وأما قولُ أوس بن حَجَر :

وذو شُطُبات قَدَّهُ ابنُ مجدّعٍ   له رَونقٌ ذَرِّيُّهُ يتأكَّلُ[٨]

---

(١) ﻫ : «المفروض» محرف .

(٢) الأسود ، هنا : ضرب خبيث من الأفاعى .

(٣) من الآية ١٢ في سورة الحجرات .

(٤) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها مقحمة مأخوذة من الخبر بعدها .

(٥) هو إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة صاحب المذهب ، ولي القضاء بالرصافة ، ثم بالبصرة سنة ٢١٠ وتوفى سنة ٢١٢ وكان من كبار الفقهاء . تاريخ بغداد . ٣٢٨ ، ولسان الميزان ١٢٥٧ . ط : «لأسماء» صوابه في س ، ﻫ .

(٦) العنوز : جمع عنز ، وهي الأنثى من المعز . ﻫ : «العتود» وهو بالفتح : الحولي من أولاد المعز ، جمعه أعتدة وعدان ، وليست تلائم الكلام لإفرادها بعد جمعين ، ولوصفها بمؤنث . الحمر : جمع حمراء . وفى الأصل : «والحمر» والواو زائدة .

(٧) في الأصل : «إن» والوجه زيادة الواو قبلها .

(٨) الشطبات ، بضم الشين والطاء ، جمع شطبة : بالضم ، وهى الطريقة من طرائق السيف : أى الخط فيه . وتقرأ أيضاً : «شطبات» بضم ففتح ، جمع شطبة بضم ففتح وبالمعنى المتقدم . وقد عنى به السيف . قده : قدره وصنعه . وابن مجدع ، أحد صناع السيوف . وكان العرب ينسبون السيوف والسهام والرماح إلى صناعها ، كما يضيف الناس اليوم أشياءهم إلى المصانع التى أخرجتها . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . وذري السيف ، كالمنسوب إلى الذر : ماؤه وفرنده . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٩) ط ، ﻫ : «رديه» محرف . س : «دريه» بالدال المهملة ، وهى رواية الديوان أيضاً . ولا بأس بها . ودرى السيف ، بضم الدال : تلألؤه . وقد روى بالوجهين بيت عبد الله بن سبرة : =

فهذا على خلاف الأول . وكذلك قول دُهْمان النهرى[١] :

سألتِـنِي عنْ أُناسٍ أَكلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عليهِمْ وأَكَلْ[٢]

فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز .

باب آخر

(فى مجاز الذوق)

وهو قول الرَّجل إذا بالغ فى عقوبةِ عبده : ذُقْ ! و : كيف ذقته ؟ ! و : كيف وجدتَ طعمَه !

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[٣] .

= كل ينوء بماضي الحد ذى شطب جلّى الصياقل عن ذريه الطبعا

وقد مضى فى (٤ : ٢٩) ، وكذا بيت دريد بن الصمة :

وتخرج منه ضرة اليوم مصدقا وطول السرى ذري عضب مهند

انظر اللسان (٥: ٣٩١ — ٣٩٢) و (٦ : ١٥٤ — ١٥٥) . والتأكل : شدة بريق السيف . وصواب رواية البيت : « وذا شطبات » بالنصب ، لأن قبله كما فى الديوان :

تخير مرءا ذا سواعد إنه أعف وأدنى للرشاد وأجمل

(١) كذا جاءت نسبة البيت . ولم أعثر لدهمان هذا على ترجمة . والمعروف نسبته إلي النابغة الجعدى ، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٦٦) واللسان (١٣ : ٢٢) . وهو فى أمثال الميداني (١ : ٣٧) مهمل النسبة .

(٢) « أكلوا » كذا جاءت . وقد تكون صحيحة بقراءتها بالمبنى للمفعول ، فتفسر بمعنى أكلهم الدهر وأفناهم . ورواية المرتضى واللسان : « هلكوا » وفى اللسان «بأناس» وهى من لغة الكتاب . وفيه : « فاسأل به خبيراً » أي عنه , وصدر البيت عند الميداني :

كم رأينا من أناس قبلنا

قال الميداني : « يضرب لمن طال عمره » . وهذا عجب منه . والحق أنه يضرب لمن مضى علي هلكه طويل زمن . قال أبو عمرو : « يقول : مر عليهم » وقال غيره : « معناه شرب الناس بعدهم وأكلوا » . وهذان التفسيران من اللسان. وقد وضح المرتضى التفسير الثاني بقوله : « شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا » .

(٣) الآية ٤٩ من سورة الدخان .

وأما قولهم : ما ذُقْتُ اليوم ذَواقا[1] . فانه يعنى : ما أكلتُ اليوم طعاما ، ولا شربتُ شرابا ، وإنما أراد القليل والكثير ، وأنه لم يذقه ، فضلا عن غير ذلك .

وقال بعض طبقات[2] الفقهاء ، ممن يشتهى أن يكون عند الناس متكلما : ما ذقت اليوم ذواقا على وجهٍ من الوجوه ، ولا على معنًى من المعانى ، ولا على سببٍ من الأسباب ، ولا على جهةٍ من الجهات ، ولا على لونٍ من الألوان .

وهذا من عجيب الكلام !

قال : ويقول الرجل لوكيله : ايتِ فلانًا فذُقْ ما عنده[3] .

وقال شمّاخ بن ضرار :

فذاق فأعطتْه من اللِّين جانبًا ... كَفَى ، ولَهَا أن يُغرِقَ السهمَ حاجزُ[4]

وقال ابن مُقْبِل : ١١

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تَذَاوَقَهُ ... أيْدِى التِّجَارِ فزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا[5]

---

(١) ذواقا ، بالفتح : فعال بمعنى مفعول ، من الذوق . والذواق هو المأكول والمشروب .

(٢) كذا . ولعلها : « مطبقات » . والمطبقات ، بضم الميم وإسكان الطاء : الدواهى التى تطبق .

(٣) أي تعرف ما عنده واخبره .

(٤) يقول : ذاق ذلك الرجل القوس ليختبر ماشدتها وما لينها ، فوجدها على جانب كاف من اللين ، وذلك أحمد لها وأبعد لمرماها . وقال : لها حاجز ، من الشدة المخالطة للين ، يمنع إغراق السهم . وهو أن تصل حديدته إلى كبد القوس فربما قطعت يد صاحبها . وفى مثل هذا المعنى قول العكلى (الحيوان ٣ : ٧٢) :

في كفه معطية منوع

وقول الآخر :

شريانة تمنع بعد اللين

س : هـ : « تعرف السهم تاجر » تحريف صوابه فى ط والديوان ٤٩ من قصيدته الزائية المشهورة .

(٥) في الأصل : « وكاهتزاز » وصواب الرواية من اللسان (١٢ : ٤٠٢) وأمالى القالى (١ : ٢٢٩) وقبل البيت :

وقال نَهْشَلُ بن حَرّىّ[١] :

وعَهْدُ الغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْن   وَنَتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ[٢]

الجعائلُ : من الجُعْل .

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يزيدُ بن الصَّعِق[٣] ، لبنى سُلَيم حين صنعوا بسيِّدهم العباس[٤] ما صنعوا . وقد كانوا توّجوه وملَّكوه ، فلما خالفَهُم فى بعض الأمر وثبوا عليه ، وكان سببَ ذلك قلة رَهْطِه . وقال يزيد ابن الصَّعِق :

و إن الله ذاق حُلُومَ قَيْسٍ   فلما ذاق خِفَّتَهَا قَلاَهَا

= . يهززن للمشي أوصالا منعّمة   هز الشمال ضحى عيدان يبرينا

وهذه رواية اللسان . وفي الأمالي : « هز الجنوب معا » صوابها : « ضحا » يصح كتابتها بالألف وبالياء . والرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تتقن هي وزوجها — سمهر — صنع الرماح بخط هجر . والتذاوق من الذوق ، وهو هنا الاختبار . وفي اللسان : « المعروف : تداوله » ورواية القالى : « تناوله » والتجار : ككتاب : جمع تاجر . وهو من يتجر في الشيء ، أو هو الحاذق بمعرفة الشيء . وفى اللسان : « ابن الأعرابي : تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أى حاذق » . ورواية الزمخشري فى أساس البلاغة : « أيدي الكماة » جمع كمى ، وهو الشجاع .

(١) نهشل بن حري ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان مع على في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ٢٨٤ سلفية) . وفي الأصل : « بشار ابن حربى » تصحيحه من اللسان (١١ : ٤٠١ ، ١٢ : ٢٨٠) .

(٢) القين ، بالفتح : الحداد أو الصانع ، أو العامل . ونت : أبطأت . ط ، س : « وفت » هـ : « ونت » محرفتان عما أثبت من اللسان . وفي الأصل : « عند » صوابه من اللسان ، والجعائل : جمع جعالة ، بالتثليث ، وهو مايجعل له علي عمله . مستذاق مختبر . جعل عهدهن للمحب كعهد القين لإخوانه إذا أبطأ عنه أجره ، فإنه ينقطع عنهم ولا يستطيع مجاراتهم ومنادمتهم والاتصال بهم .

(٣) الصعق ، ككتف : لقب خويلد بن نفيل . القاموس . ويزيد هذا هو ابن عمرو ابن خويلد بن نفيل . وكان يزيد من فرسان العرب ، وله ذكر فى يوم جبلة . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الخزانة (١ : ٣٨٨) والأغاني (١٠ : ٤٢ ، ٤٤ ساسي) .

(٤) هو العباس بن أنس الرعل ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه فى الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بني سليم فى عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل فى بني فزارة . الأغاني (١٦ : ٥٥ ساسى) .

رآها لاتطيعُ لهـا أميراً فخلاَّها تردَّدُ فى خلاها[١]

فزعم أن الله ، عز وجلَّ ، يذوق .

[و[٢]] عند ذلك قال عباس الرِّعلى[٣] يخبر عن قلَّتِهِ وكثرتهم ، فقال :

وأمَّـكم تُزْجى التُّؤَامَ لِبَعْلِهَا وأمُّ أخيكم كزَّة الرِّحمِ عاقرُ[٤]

وزعم يونس أنَّ أسلم بن زُرعة[٥] لما أُنشدَ هذا البيتَ اغرَوْرَقَتْ عيناه .

وجعل عباس[٦] أمّه عاقراً إذْ كانت نَزُوراً[٧] . وقد قال الغنوى :

وتحدثوا مَلَأً لِتُصْبِحَ أمُّنَا عَذْرَاءَ لاَ كَهْلٌ وَلاَمَوْلُودُ[٨]

جعَلَهَا إذ قلّ ولدُها كالعذراء التى لم تلد قَطُّ . لما كانت كالعذراء جعلها عذراء .

---

(١) خلاها : تركها . والخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . يقول : جعلها كالسوائم ترتاد المراعي . وهذا الجناس من أقدم ماعرف .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هو عباس بن أنس الرعلي ، الذى ترجم قريبا . ويقال له عباس بن ريطة الرعلى . وريطة أمه كما فى معجم المرزبانى ٢٦٣ والإصابة ٤٤٩٦ . وقد سبق الخبر والشعر في (١ : ٣٥٩) مع بسط وتعقيب . وفى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية ، صوابه من المصادر المتقدمة . والرعلى : نسبة إلى رعل ، بالكسر ، وهى قبيلة من سليم .

(٤) تزجى : تسوق وتدفع . وفى الأصل : « تزجو » وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٥٩) والتؤام ، كغراب : جمع توأم ، وهو المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعدا . وكزة ، بفتح الكاف بعدها زاى مشددة مفتوحة : قليلة المواتاة والخير . والرحم ، بالكسر ، وككتف : بيت منبت الولد ووعاؤه .

(٥) كذا . وقد سبق فى (١ : ٣٥٩) أن الذى أنشد هذا البيت فاغرورقت عيناه هو أبو عمرو بن العلاء ، وهو أستاذ يونس بن حبيب ، كما فى كتب التراجم .

(٦) فى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية . وهو تحريف . انظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٧) النزور ، كصبور : المرأة القليلة الولد .

(٨) أنشد البيت فى اللسان (١ : ١٥٤) وقال : « أى تشاوروا وتحدثوا متمالئين على ذلك

وللعربِ إقدام على الـكلام ، ثقةً بفهمِ أصحابهم عنهم . وهذه أيضاً فضيلةٌ أخرى .

وكما جوَّزُوا لقولهم أكل وإنما عضَّ ، وأكَلَ وإنما أفْنَى ، وأكلَ وإنما أحاله[1] ، وأكل وإنما أبطلَ عينه — جوّزوا أيضا أن يقولوا : ذُقْتَ ما ليس بطعم ، ثم قالوا[2] طعِمْت ، لغير الطعام . وقال العرْجيُّ :

وإنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ وإنْ شئتُ لمْ أطعمْ نُقاخا ولا بَرْدَا[3]

[و[4]] قال الله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنهُ مِنِّي[5] ﴾ يريد : لم يذقْ طعمه .

وقال علقمة بن عَبَدَةَ[6] :

وقد أُصـــاحِبُ فتيانا طعامُهُمُ حُمْرُ المَزَادِ ولحمٌ فيـه تنشيمُ[7]

= ليقتلونا أجمعين ، فتصبح أمنا كالعذراء التي لاولد لها » .

(١) أحاله من الإحالة بمعني التحويل والتصيير . ط ، ه : « أجاله » بالجيم تصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « قال » . وصوابه ما أثبت .

(٣) وكذا فى اللسان : (٤ : ٥٠) وروي فى اللسان (٤ : ٣٢) « أحرمت النساء » وأحرم وحرم بمعنى . ومنه قول حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنها رواهب أحرمن الشراب عذوب

والنقاخ ، بضم النون وآخره خاء معجمة : الماء البارد العذب الصافى . س ، ه : « نقاحا » . صوابه فى ط واللسان . والبرد هنا : الريق . أو هو النوم لأنه يبرد العين بأن يقرها . وهذا الأخير أحد وجهى تفسير قوله تعالي : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) من الآية ٢٤٩ فى سورة البقرة ، وهى حكاية قول طالوت لجنوده . وفى الأصل : « إنى » وهو تحريف شنيع . وقد سبقت منى الإشارة إلى مثل هذه التحريفات الشنيعة فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠) وهى مما يؤاخذ عليه الجاحظ .

(٦) هو علقمة الفحل . والبيت من قصيدته المشهورة التى أولها :

هل ما علمتَ وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهى فى ديوانه ١٢٩ من خمسة دواوين العرب والمفضليات ١٨٩ .

(٧) روى فى اللسان (١٦ : ٥٤) : « شرابهم » وما هنا موافق للديوان والمفضليات . و « حمر المزاد » هى كذا فى الأصل . وصواب الرواية : « خضر =

يقول . هذا طعامهم فى الغزو والسفرِ البعيد الغايةِ ، وفى الصيف الذى يُغَيِّرُ[١] الطعام والشراب .

والغزوُ على هذه الصفةِ من المفاخر ؛ ولذلك قال الأول[٢] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو بُ ولا أُغِيرُ عَلَى مُضَرْ

لَـكِنَّما غَزْوِى إذا ضجَّ المَطِيُّ من الدَّبَرْ[٣]

١٢

وعلى المعنى الأولِ قولُ الشاعر :

قالت ألا فاطْعِمْ عُمَيْرًا تمرا[٤] وكان تَمْرِى كَهرةً وزَبرا[٥]

وعلى المعنى الأولِ قال حاتم : هذا فَصْدِى أنَهْ[٦] !

= المزاد كما فى الديوان والمفضليات وشرحها ٨١٨. وهو الفظ ، أي ماء الـكرش ، يعتصرونها فيشربون ماءها فى المفاوز حين الحاجة . أو أن المزاد إذا بقى الماء فيها وطال عهدها به اخضرت وصار عليها شبه الطحلب ، وذلك حين يطول بهم السفر . والتنشم : ابتداء تغير الرائحة . س : « تسنيم » صوابه في ط ، ه والمصادر المتقدمة . ومما يضم إلي هذا الضرب قول العجاج :

قرقور ساج ساجه مطلى بالقير والضبات زنبري

يريد : مقيرا بالقير ، مشدودا بالضبات .

(١) هذه الـكلمة محرفة فى الأصل . فهى في ط ، س : « يفتر » و ه : « يعبو » .

(٢) هو الحارث بن يزيد جد الأحيمر السعدي كما سبق فى الحيوان (١ : ١٣٣) ، وما فى البيان (٣ : ١٢٠) .

(٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح . والمراد : اشتد ألمه . وفى الأصل : « صح » صوابه من الجزء الأول والبيان . والدبر : بالتحريك : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة .

(٤) انظر الـكلام فى رواية البيت وتوجيهه فى (٤ : ٢٧٤) .

(٥) الـكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . ه : (لهرة) س : (كهرة) صوابهما في ط والحيوان (٤ : ٢٧٤) حيث ذكرت مصادر الرواية .

(٦) وذلك « حين أمروه بفصد بعير ، وطعنه فى سنامه » . الحيوان (٤ : ٢٧٣) . وتفصيله فى الأغاني (١٦ : ١٠٣) ساسى . وفيها : « أسرت عنزة حاتما ، فجعل نساء عنزة يدارئن بعيرا ليفصدنه ، فضعفن عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه فوجأليته فاستدمينه . ثم إن البعير عضد ، أى لوي عنقه ، أى خر . فقلن : ما صنعت ؟ ! قال : هكذا فصادى ! فجرت مثلا » وقد قال أيضا حاتم فى هذا المعني : =

ولذلك قال الرّاجز :[1]

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ[2]

يقول : هذا هو عمارتها

(تأويل النظام لقولهم : النار يابسة)

وكان أبو إسحاق يتعجبُ من قولهم : النار يابسة . قال : أما قولهم : الماء رَطْب ، فيصح ؛ لأنا نراه سيَّالا . و إذا قال الأرض يابسة ، فإنما يريد الترابَ المتهافتَ فقط . فإن لم يُرِدْ إلا بَدَنَ الأرض الملازمَ بعضُه لبعض ؛ لما فيها من اللدُونة فقط — فقد أخطأ ، لأن أجزاءَ الأرض مخالطةٌ لأجزاء الماء ، فامتنعتْ من التهافتِ على أقدار ذلك .

ومتى حفرنا ودخلنا فى عُمْق الأرض ، وجدنا الأرض طيناً . بل لا تزال تجدُ الطين أرطبَ حتى تصيرَ إلى الماء . والأرض اليوم كلها أرضٌ وماء ، والماء ماء وأرض ، و إنما يلزمها من الاسم على قدر الكثرة والقلة . فأما النار فليست بيابسة البدن . ولوكانت يابسة البدنِ لتهافتتْ تهافت التراب ، ولتبَرّأ بعضها من بعض . كما أن الماء لما كان رطبًا كان سيَّالا .

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شيء في العودِ من النار ، فظهرت الرطوباتُ لذلك السببِ ، ووجدوا العودَ تتميزُ أخلاطه عند

= كذلك فصدي إن سألت مطيتي   دم الجوف ، إذكل الفصاد وخيم

وانظر ما أسلفت من القول على الفصد فى (٤ : ٢٧٣) . س : « هكذا قصيدته » وفيه تحريف . و «أنه » أي « أنا » ألحق به هاء السكت .

(١) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر ، كما سيأتي في ص ٨٠ ، وكما في ديوان المعانى (٢ : ١٥١) .

(٢) فى الأصل : « العامرات » صوابه ما أثبت من ص ٨٠ وما سبق فى (٤ : ٢٧٤) وديوان المعاني ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

خروج نيرانه التي كانت إحدى مراتعها من التمييز[١] فوجدوا العودَ قد صار رماداً يابساً متهافتًا — ظنوا أن يُبْسَهُ إنما هو مما أعطته النار وولّدتْ فيه .

والنارُ لم تُعْطِهِ شيئا ، ولكن نار العودِ لما فارقتْ رطوباتِ العودِ ، ظهرت تلك الرطوباتُ الكامنة والمانعة ، فبقِيَ من العودِ الجزء الذى هو الرماد ، وهو جزء الأرض وجَوْهَرُها ؛ لأن العود فيه جزء أرضىٌّ ، وجزءٌ مائيٌّ ، وجزءٌ نارىٌّ ، وجزءٌ هوائيٌّ ، فلما خرجتِ النارُ واعتزلت الرطوبة بقِىَ الجزء الأرضىّ .

فقولهم[٢] : النار يابسةٌ ، غلطٌ ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون ، ولم يغوصوا على مُغَيَّبَاتِ العِلَل[٣] .

وكان يقول : ليس القوم فى طريق خُلَّصِ المتكلمين ، ولا فى طريق الجهابذَةِ المتقدّمين .

(قول النظام فى علاقة الذكاء بالجنس)

وكان يقول : إن الأُمة التى لم تُنْضِجْها الأرحام[٤] ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم ، وأحداقِ[٥] عيونهم ، وألوانِ شعورهم ، سبيلَ الاعتدال ـ لا تكون

---

(١) « مراتعها من التمييز » كذا جاءت .

(٢) س ، هـ : « فقولها » صوابه فى ط . وانظر س ١٦ من الصفحة السابقة .

(٣) ط : « العلى » صوابه فى س ، هـ .

(٤) يريد بذلك الجنس الأبيض ، وهم سكان الاقليمين السادس والسابع فى التقسيم البلداني القديم . وجاء فى مقدمة ابن خلدون ص ٧٣ س ١٧ : « والسابع والسادس للبرد والبياض » . وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثلاثة : الخامس والرابع والثالث . وأما من جاوزت أرحامهم حد الانضاج ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢٤٥) فهم سكان الاقليمين الأول والثاني .

(٥) الأحداق : جمع حدقة ، بالتحريك ، وهى من العين سوادها الأعظم . ط ، س : « أو حداق » . وكلمة « أو » محرفة عن الواو . وأما « حداق » فهي صحيحة جمع لحدقة . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع

عقولهم وقرائحهم إلا على حسبِ ذلك . وعلى حسبِ ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم ، وشمائلهم ، وتصرُّف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السَّبْكِ ١٣ وطبقاتِ الطبخ . وتفاوتُ ما بين الفطير والخمير[1] ، والمقصِّر والمجاوز — وموضع العقل عضوٌ من الأعضاء ، وجزءٌ من تلك الأجزاء — كالتفاوت[2] الذى بين الصَّقالبةِ والزّنج[3] .

وكذلك القولُ فى الصور ومواضع الأعضاء . ألا ترى أن أهل الصين والتُّبَّتِ ، حُذَّاقُ الصناعات[4] ، لها فيها الرِّفق والحِذْق ، ولُطفُ المداخل ، والاتساعُ فى ذلك ، والغَوْصُ على غامضِه وبعيده . وليس عندهم إلا ذلك ؛ فقد يُفتَح لقوم فى باب الصناعات ولا يُفتح [لهم فى[5]] سوى ذلك

(تخطئة النظام لمن زعم أن الحرارة تورث اليبس)

قال : وكان يخطِّئهم فى قولهم : إن الحرارة تورث اليُبْس ، لأن الحرارة إنما ينبغى أن تورثَ السخونةَ ، وتولِّدَ مايشاكلها . ولا تولدُ ضربًا آخر مما ليس منها فى شئ . ولو جازَ أن تولّد من الأجناس التى تخالفها شكلا واحدا لم يكن ذلك الخلاف بأحقَّ من خلافٍ[6] آخر . إلا أن يذهبوا إلى سبيلِ المجاز : فقد يقول الرجلُ : إنما رأيتك لأنى التفتُّ[7] وهو إنما رآه لطبعٍ

---

(١) الفطير : أصله ما يختبز من ساعته دون أن يختمر . والخمير : ما ترك حتى اختمر .

(٢) ط ، ه : « وكالتفاوت » بإقحام واو .

(٣) جعل الصقالبة مثلا لما لم تنضجه الأرحام ، والزنج مثلا لما زادت الأرحام فى إنضاجه . وإلى ذلك أيضا أشار ابن سينا فى أرجوزته فى الطب بقوله :

بالزنج حر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

(٤) ط ، س : « وحذاق » والصواب حذف الواو كما فى ه . وهنا يبدأ سقط فى ه ينتهى إلى كلمة : « الصناعات » الآتية .

(٥) هذه التكملة من س .

(٦) فى الأصل : « من كلام » . والوجه ما أثبت .

(٧) س ، ه : « ألتفت » فعل مضارع .

فى البصر الدرّاك[(١)] ، عند ذلك الالتفات.

وكذلك[(٢)] يقول : قد نجد النار تداخلُ ماء القُمقمِ[(٣)] بالإيقاد من تحته ، فإذا صارت النارُ فى الماء لابستْه ، واتصلت بما فيه من الحرارات ، والنار صَعّادة ــ فيحدثُ عند ذلك للماء غليانٌ[(٤)] ؛ لحركة النار التى قد صارت فى أضعافه . وحركتُها تصعُّدٌ . فإذا ترَفّعت[(٥)] أجزاء النار رَفَعَت[(٦)] معها لطائف من تلك الرطوباتِ التى قد لابَسَتْها فإذا دام ذلك الإيقادُ من النار الداخلةِ على الماء ، صعدت أجزاء الرطوباتِ الملابسةُ لأجزاء النار. ولقوة حركة النار وطلبِها التِّلادَ العُلْوِىَّ[(٧)] ، كان ذلك . فمتى وجد من لا عِلْمَ له فى أسفل

---

(١) سه : « رآه الطبع » محرف . والدراك : المدرك . ط ، هـ : « الدارك » بتقديم الألف ، صوابه فى سه . ولا يقال : « الدارك » . قال ابن بري : « جاء دَرَاكِ دَرّاك ، وفَعَال وفِعّال إنما هو من فعل ثلاثي . ولم يستعمل منه فعل ثلاثي وإن كان قد استعمل منه الدَّرْك » ، وأنشد في ذلك شاهدا . اللسان (١٢ : ٣٠٢) . وقد عنى بكلمة « دَرَاكِ » اسم الفعل وبكلمة « درّاك » صيغة المبالغة .

(٢) في الأصل : « ولذلك » .

(٣) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس .

(٤) فى الأصل : « ليحدث عند ذلك الماء غليان » صوابه ما أثبت .

(٥) ترفعت ، من الترفع وهو العلو . وقد سبق في قول الجاحظ (٣ : ٢١٩) : « وقد يترفع مع الشاهين » وسلف أيضا فى (٢ : ٣٢٣) قول أمية ابن أبى الصلت :

ترفع فى جري كأن أطيطه ... صريف محال تستعيد الدواليا

ترفع : تترفع . ولم أجد هذا الفعل فى مادة (رفع) من اللسان والقاموس . وفى الأصل : « توقعت » ولا وجه له .

(٦) رفعت ، بالراء ، من الرفع ، كما يفهم من سياق الكلام . وفى الأصل : « وقعت » وهو تحريف .

(٧) التلاد ، بكسر التاء ، أراد به : الموطن الأول . انظر التنبيه الخامس من ص ١٥

القمقم كالجِبس[١] ، أووجد الباقَ من الماء مالحا عند تصعُّدِ لطائِفه ، على مثال ما يعترى ماءَ البحر — ظنَّ أن النار التى أعطَته اليُبْسَ .

وإن زعموا أن النار هى الميَبِّسةَ[٢] — على معنى ما قد فسرنا — فقد أصابوا . فإن ذهبوا إلى غير المجازِ أخطئوا .

وكذلك الحرارة ، إذا مُـكنت[٣] فى الأجساد بعثَتِ الرطوبات ولابَسَتْهَا ، فمتى قويَتْ عَلَى الخروج أخرجتها منها ، فعند خروج الرطوباتِ توجد الأبدانُ يابسةً ، ليس أن الحرّ يجوز أن يكون له عملٌ إلا التسخينَ والصعودَ والتقلبُ إلى الصعود من الصعود ، كما أن الاعتزال من شـكل الزوال[٤] .

وكذلك الماء الذى يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضينَ وبطونها ، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة . فالماء غسَّال مصّاص ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة .

[وحرارةُ الشمس[٥]] والذى يخرج إليه[٦] من الأرض ، من أجزاء ١٤ النيران المخالطة يرفعانِ لطائفَ الماء بارتفاعهما ، وتبخيرهما . فإذا رَفَعَا اللطائفَ ، فصار منهما مطرٌ وما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما ، عادَ[٧]

---

(١) الجبس بالكسر : ذلك الذى يطلى به الحائط . وفى اللسان (جبس) : « والجبس الذي يبنى به . عن كراع » فقد تفرد بروايتها كراع . والمعروف : « الجص » وذكره داود فى رسم (جبسين) قال : « وهو فى الحقيقة طلق لم ينضج » ، وقال : « ومنه شديد البياض ، يعرف باسفيداج الجبس » ، وقال : « وخالصه المعروف في مصر بالمصيص » . فى الأصل : « كالحس » صوابه ما أثبت .

(٢) من يبّس الشىء ، بالتشديد : جففه .

(٣) من التمكين .

(٤) انظر لتفسير هذه العبارة ص ٣٥ س٦ . وفى الأصل : « الاعتماد » بدل « الاعتزال ».

(٥) بمثل هذا يتم الكلام .

(٦) أى إلى البحر .

(٧) فى الأصل : « وعاد » وإنما هو جواب « إذا » .

ذلك الماء ملحًا ، لأن الأرض إذا كانت تُعطيه الملوحة ، والنيران تخرجُ منه العذوبة واللطافة — كان واجبا أن يعود إلى الملوحة . ولذلك يكون ماء البحرِ أبداً عَلَى كيلٍ واحدٍ ، ووزن واحد ؛ لأن الحراراتِ [١] تطلب القرارَ وتجرى فى أعماق الأرض ، وترفع اللطائف [٢] ؛ فيصير مطراً ، و برداً ، وثلجًا ، وطَلاًّ [٣] . ثم تعود تلك الأمواه سيولا تطلب الحَدورَ [٤] ، وتطلب القرار ، وتجرى في أعماق الأرض ، حتى تصير إلى ذلك الهواء [٥] . فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطلُ منه شيء . والأعيانُ قائمة . فكأنه مَنْجَنُونٌ [٦] غرف من بحر [٧] ، وصبَّ فى جدول يفيضُ إلى ذلك النهر .

فهو عملُ الحرارات [٨] إذا كانت فى أجواف الحطب ، أو فى أجواف الأرَضينَ ، أو فى أجواف الحيوان .

والحر إذا صار فى البدَن ، فإنما هو شيء مُكْرَه ، والمكرهُ لا يألو يتخلصُ .

---

(١) فى الأصل : « الحدود » تحريف . تصحيحه مما سيأتي فى التنبيه الثامن .

(٢) عنى باللطائف : الأبخرة الدقيقة . وفى الأصل : « برفع اللطائف » بإسقاط الواو ، وبالباء . محرف .

(٣) البرد ، بالتحريك : حب الغمام . والطل ، بفتح الطاء المهملة : الندى ، أو المطر الضعيف .

(٤) الحدور ، كرسول : مكان ينحدر منه . وفى الأصل : « الحدود » بدالين . صوابه ما أثبتُ . وفى الأصل : « الأنواء » تحريف .

(٥) أي تعود إلى الهواء بالبخر .

(٦) المنجنون : الدولاب يستقى عليها ، والدولاب ، بالضم والفتح : علي شكل الناعورة يستقى به الماء . فارسى معرب . وفى ط ، هـ : « مجنون » وفى سه : « مجنون » بنقطتين ، فوق الخاء وتحت الجيم ، محرف . وفى هـ : «فكان» بدل «فكأنه» محرف. وغرف من البحر : أخذ منه . والبحر : الماء الكثير . وبذلك جاءت لغة القرآن : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .
وقد جرى عرف البلدانيين القدماء على تخصيصه بالماء الملح .

(٧) في ط : « غرق من بحر » تصحيحه من سه ، هـ .

(٨) الحرارات : جمع حرارة . وفى هـ « الحزارات » بزاي بعد الحاء . محرف .

وهو لا يتخلص إلا وقد حَمَل[١] معه كلَّ ما قوِيَ عليه ، مما لم يشتد[٢] ، فمتى خرج خرج معه ذلك الشيء .

قال : فمن هٰهنا غَلِط القوْم .

(قول الدُّهرية في أركان العالم)

قال أبو إسحاق : قالت الدهرية في عالَمِنا هذا بأقاويلَ : فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركانٍ : حرٌّ ، وبرد ، ويبس ، وبِلّة[٣] . وسائر الأشياء نتائجُ ، وتركيبٌ ، وتوليد . وجعلوا هذه الأربعة أجساماً .

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعةِ أركانٍ : من أرض وهواء وماء ، ونار . - جعلوا الحر ، والبرد ، واليُبْس ، والبِلَّة أعراضا في هذه الجواهر ثم قالوا في سائر الأراييح ، والألوانِ ، والأصوات : ثمارُ هذه الأربعة[٤] ، عَلَى قدر الأخلاط ، في القلة والكثرة ، والرقة والكثافة .

فقدَّموا ذِكر نصيب حاسَّةِ اللمس[٥] فقط ، وأضربوا عن أنصباء الحواسِّ الأربع .

قالوا : ونحن نجد الطُّعومَ غاذيةً وقاتلة ، وكذلك الأراييح[٦] . ونجد

---

(١) في الأصل « جبل » محرف .

(٢) في الأصل : « يشبه » . والكلام من مبدإ « كل » إلى « معه » الآتية ساقط من سه .

(٣) البلة ، بالكسر : البلل الدون ، أو النداوة .

(٤) أي الحر والبرد ، واليبس والبلة . وانظر تفصيل ذلك في رسائل إخوان الصفا (٣ : ١٠٩ – ١١٠) و (٣ : ٣٧١ – ٣٧٢) .

(٥) ذكر الجاحظ من أنصباء حاسة اللمس أربعة مدركات : هي الحر والبرد واليبس والبلة وقد خصها بالذكر لما أنها فيما يزعمون أصول الأراييح والألوان والأصوات . انظر التنبيه السابق . وجاء في رسائل إخوان الصفا (٢ : ٣٣٩) أن مدركات اللمس عشرة فيضاف إلى ما تقدم : الخشونة واللين ، والصلابة والرخاوة ؛ والخفة والثقل . وفي الأصل : « حاسة النفس » صوابه ما أثبت .

(٦) الأراييح : جمع جمع للريح . وهو بالكسر : الرائحة .

الأصوات مُلذة ومؤلمة ، وهى مع ذلك قاتلة وناقضة للقوى مُتلفة[1] . ونجد للألوان[2] في المضار والمنافع ، واللَّذَاذَةِ والألَمِ ، المواقعَ التى لا تجهل ، كما وجدنا مثل ذلك فى الحر والبرد ، واليُبْس والبِلَّة ، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة ، غير أنا نجدها مالحةً أى ذات مَذاقةٍ ولون[3] كما[4] وجدناها ذات رائحةٍ ، وذات صوتٍ متى قَرَعَ بعضها بعضًا .

فبردُ هذه الأجرامِ وحرها ، ويُبْسُها ورطوبتها ، لم تكن فيها لعلة كون الطُّعوم والأراييح والألوان فيها . وكذلك طعومها ، وأراييحها وألوانها ، لم تكن فيها لمكانِ كون البرد ، واليُبْس ، والحر ، والبِلَّة فيها .

ووجدنا كلَّ ذلك إما ضارًّا و إما نافعًا ، و إما غاذيًا و إما قاتلا ، ١٥ و إما مؤلما و إما مُلِذًّا .

وليس يكون كون الأرض مالحة أو عذبة ، ومنتِنةً أو طيبة أحق بأن يكون[5] علة لكون اليُبْس والبرد ، والحر والرطوبة ، من أن يكون كون الرطوبةِ واليُبْس ، والحر والبرد — عِلَّة[6] لكون اللون والطعم والرائحةِ .

وقد هجم الناسُ على هذه الأعراضِ الملازمةِ ، والأجسام المشاركةِ هجوما واحدًا ، عَلَى هذه الحِلْية والصورة ألفَاها[7] الأولُ والآخِرُ .

قال : فكيف وقع القول منهم عَلَى نصيب هذه الحاسَّةِ وحدها[8]

---

(١) ناقضة بالضاد المعجمة : مضعفة . هـ : « ناقصة » محرفة . ومتلفة ، من الإتلاف والإهلاك . هـ : « متفلة » ولا تصح . وانظر تفصيل ذلك فى الكلام على أثر الأصوات فيما سبق فى (٣ : ٣٣٥ — ٣٣٦) .

(٢) فى الأصل : « الألوان » .

(٣) العبارة فى أصلها مضطربة في ط ، هـ : « أوذات لون ومذاقة » وسه : « وذات لون ومذاقة » .

(٤) فى الأصل : « أي ذلك كان » وانظر التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « تكون » والضمير عائد إلى « كون » .

(٦) فى ط زيادة واو قبل هذه الكلمة . وهو خطأ .

(٧) ألفاها ، بالفاء : وجدها . وفى الأصل : « ألقاها » بالقاف محرفة .

(٨) أى حاسة اللمس . انظر التنبيه ٥ من الصفحة ٤٠ .

ونحن لم نر من البِلّة ، أو من اليُبْس [١] نفعا ولا ضرًّا ، تنفرد به دونَ هذه الامور ؟ !

قال : والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق ، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له . وهو جسم رقيق ، وهو فى ذلك محصورٌ ، وهو خَوّارٌ سريعَ القَبول . وهو مع رقّته يقبل ذلك الحصر ؛ مثل عمل الريح والزِّقّ [٢] ، فإنها تدفعه من جوانبه ، وذلك لعلة الحصر ، ولقَطْعه عن شكله .

والهواء ليس بالجسم الصعاد [٣] ، والجسمِ النّزّال ، ولكنه جسمٌ به تعرَف المنازل والمصاعد .

والأمور ثلاثة : شىء يصعدُ فى الهواء ، وشىء ينزِل فى الهواء ، وشىء مع الهواء . فكما أن المُصعد [٤] فيه ، والمنحدرَ — لا يكونان إلا مخالفين ، فالواقعُ [٥] معه لايكون إلا موافقاً .

ولو أن إنسانا أرسل من يده — وهو فى قَعْر الماء — زِقًّا منفوخا ، فارتفع الزِّقُّ لدفع الريح التى فيه ، لم يكن لقائل أن يقول : ذلك الهواء شأنه الصعود . بل إنما ينبغى أن يقول : [ذلك الهواء [٦]] من شأنه أن يصير إلى جوهره ، ولا يقيم فى غير جوهره ؛ إلا أن يقول : من شأنه أن يصعد فى الماء ، كما أن

---

(١) اليبس يقابل البلة . وفى ط و سه : « البل » و هـ : « البتل » محرفتان عما أثبت .
(٢) أى الهواء المحصور فى الزق . والزق ، بكسر الزاى : السقاء والقربة .
(٣) سه : « الصفار » محرف .
(٤) المصعد : الصاعد . وفى اللسان : « صعد المكان وفيه صعودا وأصعد وصعّد : ارتقى مشرفا » . وفى سه ، هـ : « الصاعد » وهما بمعنى . والأوفق ما أثبت من ط .
(٥) فى الأصل : « فالواقف » .
(٦) التكملة من سه .

من شأن الماء أن ينزل فى الهواء ، وكما أن الماء يطلبُ تِلَادَ الماء ، والهواء يطلب تلاد الهواء[١] .

قالوا : والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة . وكذلك الصاعد . ولابدّ إذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض ، أو يكون بعضها إذا خرج من عالَمِ الهواء ، وصار إلى نهاية ، إلى حيث لامنفذ — ألاّ[٢] يزال فوق الآخرِ الذى صعد معه ، وإن وجد مذهبا لم يقمْ عليه .

ويدل على ذلك أنا نجد الضياء صعَّادًا ، والصوت صعّادًا ، ونجد الظلام رابدًا[٣] ، وكذلك البرد والرطوبة . فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة ، فإذا أخذت فى جهة[٤] ، علمنا أن الجهة لاتخالف بين الأجناس ولا توافق ، وأن الذى يوافق[٥] بينهما[٦] [ويخالف[٧]] اختلافُ الأعمال .

ولا يكون القطعان متفقين ، إلا بأن يكون سرورهما سواء[٨] . وإذا صارا[٩] إلى الغايةِ ، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه ، كاتصال بعضِه ببعض . ثم لايوجد أبدًا ، إلا إمّا أعْلَى ، وإما أسفل . ١٦

قال أبو إسحاق : فيستدل على أن الضياء أخفُّ من الحر بزواله[١٠] . وقد يذهب[١١] ضوء الأتّون ، وتبقى سخونته .

---

(١) عني بتلاد الهواء أصله . وانظر ما سبق فى التنبيه الخامس ص ١٥ .
(٢) فى الأصل : « لا » .
(٣) الرابد : المقيم . سه : « رايدا » بالياء المثناة التحتية . وفى سائر النسخ « رائدا » تحريف .
(٤) فى الأصل : « وإذا حدث » .
(٥) ط ، سه : « يوفق » ه : « يوقره » صوابهما ماأثبت .
(٦) فى الأصل : « منها » .
(٧) ليست بالأصل .
(٨) كذا وردت العبارة بالأصل .
(٩) فى الأصل : « صار » بالإفراد . والوجه التثنية .
(١٠) فى الأصل : « لزواله » بلام فى أوله . محرف .
(١١) فى الأصل : « ذهب » .

قال أبو إسحاق : لأمر مّا حُصر الهواء فى جوف هذا الفَلَك . ولابد لكل محصور من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر شدة الحصار[١] . وكذلك الماء إذا اختنق .

قال : والريح هواء نزل[٢] لاغير . فلِمَ قضَوا على طبع الهواء في جوهريته باللدونة[٣] ، والهواء الذى يكون بقرب الشمس ، والهواء الذى بينهما[٤] على خلاف ذلك ؟

ولولا أن قُوَى البرد غريزيةٌ فيه ، لما كان مروِّحا عن النفوس ، ومنفِّسًا عن جميع الحيوان إذا اختنق فى أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذى ، حتى فزعتْ إليه واستغاثتْ به ، وصارت تجتلب من رَوْحه وبردِ نسيمه ، فى وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ ، والحرارة المسْتَكِنَّة .

قال : وقد علموا مافى اليُبْس من الخصومة والاختلاف[٥] . وقد زعم قومٌ أن اليُبْس إنما هو عدم البلَّة . قالوا : وعلى قدر البلة قد تتحول عليه الأسماء . حتى قال خصومهم : فقولوا أيضا إنما نجدُ الجسمَ بارداً على قدر قلة الحرِّ فيه .

---

(١) بناء علي القاعدة الطبيعية المعروفة ، وهى أن الضغط الداخلى يعادل الضغط الخارجى .

(٢) ذكر القزوينى فى أسباب تولد الرياح ، أن الأدخنة التى تصعد من تأثير الشمس وغيرها ، إذا وصلت إلي الطبقة الباردة ، إما أن ينكسر حرها ، وإما أن تبقى حرارتها . فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح . وإن بقيت علي حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك ، فتردها الحركة الدورية إلي أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح . عجائب المخلوقات ٩٢ . فهذا يفسر قول الجاحظ : « هواء نزل » . وفى الأصل : « ترك » محرف .

(٣) اللدونة ، هنا بمعنى الرطوبة . وضدها اليبس

(٤) أي بين الشمس وبين الهواء الملامس للأرض . فكأنه جعل الهواء ثلاث طبقات : طبقة مقاربة للشمس ، وطبقة تلى الشمس ، وطبقة مقاربة للأرض . انظر نحو هذا التقسيم فى عجائب المخلوقات ٨٩ — ٩٠ .

(٥) الخصومة هنا بمعنى الجدال والخلاف . س : « الحضومة » محرف .

وكذلك قالوا فى الكلام : إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفقدان الضياء ، ولأن الضياء قرصٌ قائم ، وشعاع ساطعٌ فاصل ، وليس للظلام قرص . ولو كان فى هذا العالم شىء يقال له ظلامٌ ، لما قام إلا فى قرص ، فكيف تكون الأرض قُرْصَةً ، والأرض غبراء ، ولا ينبغى أن يكون شعاع الشىء أسبغ منه[١] .

قال : والأول لايشبه القول فى اليُبْس والبلة ، والقولَ فى الحر والبرد ، والقول فى اليُبْس والرطوبة ، والقول فى الخشونة واللين ، لأن التراب لو كان كله يابسا ، وكان اليبس فى جميع أجزائه شائعا ، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد[٢] والتهافت ، من الجزء الذى نجده متمسكا[٣] .

قال خصمه : ولو كان أيضا التهافت الذى نجده فيه إنما هو لعدم البلة ، وكله قد عدم البِلّة ، لكان ينبغى للكل أن يكون متهافتا ، ولا نجد منه جزأين متلازقين .

فإن زعمتم أنه إنما اختلف فى التهافت على قدر اختلاف اليُبْس، فينبغى لكم أن تجعلوا اليُبْس طبقات ، كما يُجعل ذلك للخُضرة والصُّفرة .

وقال إبراهيم : أرأيت لو اشتمل اليبس الذى هو غاية التُّراب كله[٤] كما عرض لنصفه ، أما كان واجبا أن يكون الافتراقُ داخلا على الجميع ؟ وفى ذلك القولُ بالجزء الذى لايتجزأ .

وأبو إسحاق ، وإن كان اعترض على هؤلاء فى باب القول فى اليبس ، فإن المسألة عليه فى ذلك أشد[٥] .

---

(١) أسبغ ، أى أكبر . ه : « أشبع » .
(٢) كذا . وفى ه : « التبرز » . ولعلها : « بالتقطع والتفرق » .
(٣) التمسك والتماسك والاستمساك ، بمعنى . وهو يعنى بالمتمسك الحجر ونحوه .
(٤) كذا
(٥) فى الأصل : « وذلك أشد » .

١٧ وكان أبو إسحاق يقول : من الدليل على أن الضياء أخفُّ من الحر أن النار تـكون منها على قاب غلوة[١] فيأتيك ضوؤها ولا يأتيك حرها . ولو أن شمعة فى بيت [غير[٢]] ذى سقف لارتفع ، الضوء فى الهواء حتى لاتجد منه عَلَى الأرض إلا الشيء الضعيفَ ، وكان الحرُّ عَلَى شبيه[٣] بحاله الأول .

(رد النظام على الديصانية)

وقال أبو إسحاق : زعمت الديصانية[٤] أن أصلَ العالَمِ إنما هو من ضياء وظلام ، وأن الحرَّ والبردَ ، واللون والطعمَ والصوت والرائحة ، إنما هى نتائج عَلَى قدر امتزاجهما[٥] .

فقيل لهم : وجدنا الحِبْر إذا اختلطَ باللبن صار جسما أغبر ، و إذا خلَطْتَ الصبِرَ[٦] بالعسل صار جسما مُرَّ الطعم عَلَى حساب ما زدْنا . وكذلك نجدُ جميع المركبات . فما لنا إذا مزجنا بين شيئين من ذواتِ المناظر[٧] خرجنا إلى ذوات الملامس ، و إلى [ذوات[٨]] المذَاقة والمشمَّة ؟ !

---

(١) الغلوة ، بفتح الغين المعجمة : مقدار رمية السهم : وفى الأصل : « علوها » صوابه ما أثبت .

(٢) ليست بالأصل . وبدونها لا يستقيم الـكلام .

(٣) ط ، سه : « شبيهه » صوابهما فى ه .

(٤) الديصانية : أصحاب ديصان . وهم فرقة من المجوس : أجمل الجاحظ التعريف بمذهبهم ، وتفصيل ذلك في الملل (٢ : ٨٨) وفهرست ابن النديم ٤٧٤ . وقال ابن النديم : « إنما سمى صاحبهم بديصان ، باسم نهر ولد عليه . هو قبل مانى . والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلف فى اختلاط النور والظلمة » .

(٥) أي امتزاج النور بالظلمة . وفى الأصل : « امتزاجها » محرف . وفى الملل : « وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة ، وهو المجسة . وإنما وجدناه لوناً لأن الظلمة خالطته – أى خالطت النور – ضرباً من المخالطة ، ووجدناه طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب » .

(٦) الصبر ، كـكتف ، ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر : عصارة شجر مر معروف .

(٧) يعنى بالشيئين الضياء والظلام . وهما منظوران .

(٨) ليست بالأصل .

وهذا نفسُه داخلٌ عَلَى من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة ، التى هى نصيبُ حاسةٍ واحدة[١] .

(نقد النظام لبعض مذاهب الفلاسفة)

وقال أبو إسحاق : إنْ زعَمَ قومٌ أن ههنا جنساً[٢] هو روحٌ ، وهو ركن خامس[٣] — لم نخالفهم .

و إن زعموا أن الأشياء يحدثُ لها جنسٌ إذا امتزجتْ بضربٍ من المزاجِ ، فكيف صار المزاجُ يُحْدِث لها جنساً وكلٌّ واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس ، وكان مفْسِدًا للجسم ، و إن فصَل[٤] عنها أفسدَ جنسها ؟! وهل حكمُ قليلِ ذلك إلا كحكم كثيرهِ ؟! ولِم لا يجوز أن يُجمعَ بين ضياء وضياء فيحدُثَ لهما منع الإدراك ؟!

فإن اعتلَّ القومُ بالزاج[٥] والعفْص[٦] والماء ، وقالوا : قد نجدُ كلَّ واحد من هذه الثلاثةِ ليس بأسودَ ، وإذا اختلطت صارت جسما واحدًا أشدَّ سوادًا من الليل ، ومن السَّبَج[٧] ، ومن الغراب — قال أبو إسحاق :

---

(١) هى حاسة اللمس ، كما سبق فى ٤٠ س ١٢ . والمراد بالأشياء الأربعة : الأرض والهواء والماء والنار ، أو الحر والبرد ، واليبس والبلة ، كما سبق فى الصفحة نفسها .

(٢) فى الأصل : « حسا ». وكون الروح ركنا خامساً فى تكوين الأشياء ، يقتضي الصواب الذى أثبت . وقد تكرر هذا التحريف في كلمة « جنس » و « جنسا » «جنسها » الآتية فصححتها بما ترى .

(٣) أي خامس للأركان الأربعة التي سبق الحديث عنها قريبا .

(٤) فصل عنها : أي فارقها . ط ، هـ : « فضل » بالضاد صوابه فى س .

(٥) الزاج : ضرب من الملح يدخل فى صناعة المداد . وفى الأصل : « المزاج » محرف .

(٦) العفص : بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلى يقارب البلوط . قال داود : « وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر » . وفى الأصل : « العقص » بالقاف محرف .

(٧) السبج : بفتح السين والباء ، آخره جيم : سبق تفسيره فى ص ٨ . هـ : « السبيج » ط : « السيج » صوابهما فى ص .

بيني و بينكم في ذلك فرق . أنا أزعمُ أن السواد قد يكونُ كامناً ويكونُ ممنوع المنظرة[١] ، فإذا زال مانعُه ظهر، كما أقولُ في النار والحجرَ[٢] وغيرذلك من الأمور الكامنة . فإن قلتم بذلك فقد تركتم قولكم . وإن أبيتم فلابدَّ من القول[٣] . قال أبو إسحاق : وقد غلط[٤] أيضاً كثيرٌ منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغَم[٥] .

ولو كان طباعهُ البلغمَ ، والبلغم ليِّنٌ رَطْبٌ أبيضُ ، لما ازداد عظمه نحولاً ، ولونُهُ سوادًا ، وجلدهُ تقبُّضًا .

وقال النمرُ بنُ تَوْلب[٦] :

كأنَّ مِحَطًّا في يَدَىْ حارثيةٍ ... صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّى به الجِلْدَ مِنْ عَلِ[٧]

وقال الراجز :

وكثرت فواضل الإهابِ[٨]

١٨ قال : ولكنهم لما رأوا بدَنَهُ يتغَضّنُ ، ويظهرُ من ذلك التغضُّنِ

---

(١) المنظرة : المنظر : وقد سبق استعمال هذا اللفظ في (٣ : ٣٩٥) . وفي الأصل : « النظرة » باسقاط الميم . ولا وجه له .

(٢) يريد : كون النار واختفاءها في الحجر الذي تقتدح منه النار .

(٣) أى أن تحاجونا بما يصحح مذهبكم .

(٤) سه : « خلط » . ومؤداهما واحد .

(٥) الطباع ، ككتاب ، هو الطبع . وقد يكون جمعا لطبع . ولكن المراد هنا المفرد .

(٦) سبق ترجمته فى (١ : ٢٢) . ونزيد هنا أن ابن دريد ذكر فى الاشتقاق ص ١١٣ : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال : النمِر » أى بكسر الميم .

(٧) المحط : بكسر الميم بعدها حاء مهملة مفتوحة : الحديدة التي تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم . وفى الأصل : « مخطا » بالخاء ، تصحيحه من اللسان . والحارثية . المرأة المنسوبة إلى بني الحارث . ويبدو أنهن ذوات حذق بنقش الجلود . والصناع ، بالفتح : الحاذقة الماهرة . وفى الأصل : « ضياع » صوابه من اللسان .

(٨) الإهاب ، بالكسر : الجلد ما لم يدبغ .

رطوبات بدنية[١] كالبلغمِ من الفم ، والمخاطِ السائل من الأنف ، والرَّمَص[٢] والدمع من العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة مافيه من أجزاء الرطوبات . وأرادوا[٣] أن يقسِّموا الصِّبا والشباب ، والكهولة والشيوخة[٤] على أربعة أقسام ، كما تهيأ[٥] لهم ذلك في غير بابٍ .

وإذا ظهرت تلك الرطوباتُ ، فإنما هي لنفْي اليُبْس لها ، ولعَصْرِه قُوى البَدَنِ . ولو كان الذى ذكروا لكان دمعُ الصِّبا أكثرَ ، ومخاطه أغزرَ ، ورطوباته أظهر . وفى البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك ؛ إذ[٦] كانت فى الحداثةِ أرطبَ ، وعلَى مرور السنينَ والأيام أيْبَس .

قال الرَّاجز[٧] :

اسْمَعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نَوْمُ العَشِيِّ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ[٨]

[وقلة النوم إذا الليلُ اعتكر ... وقلة الطُّعْمِ إذا الزادُ حضر[٩]]

---

(١) فى الأصل : « بدنه » .

(٢) الرمص ، بفتحتين : القذى تلفظ به العين .

(٣) هـ : « فأرادوا » .

(٤) الشيوخة : مصدر كالشيخوخة ، والشيوخة ، والشيخوخية ، والشيخ بالتحريك .

(٥) ط فقط « يتهيأ » بالمضارع .

(٦) ط : « إذا » صوابه في س ، هـ .

(٧) فى البيان (١ : ٢٥١ ، ٢ : ٦٣) أن الهيثم بن الأسود بن العريان — وكان شاعراً خطيباً — دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد ! ثم أنشد الرجز الآتي . وفى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، يكنى أبا العريان وساق هذه القصة .

(٨) ط فقط « والسعال » . ورواية البيان ، « نوم العشاء وسعال » .

(٩) اعتكر الليل : اشتد سواده . والطعم ، بالضم : الطعام . والبيتان زيادة من البيان .

وسرعةُ الطرفِ وضعفٌ فى النظرْ [١] وتَرَكِّىَ الحسناء فى قُبْلِ الطهُرْ [٢]

وحـذرٌ [٣] أزدادُه إلى حَذَرْ والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشجرْ

وكان يتعجَّب من القول بالهيولى [٤] .

وكان يقول : قد عرفنا مقدارَ رزانة البِلَّة [٥] . وسنعطيكم [٦] أن للبرد وزنا . أليس الذى لاتشُكُّونَ فيه أن الحر خفيف ولا وزن له ، وأنه إذا دخل فى جِرمٍ له وزنٌ صار أخفَّ . وإنكم لاتستطيعون [٧] أن تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبِلّة . وعلى أن كثيراً منكم يزعم أن البرد المجْمِدَ للماء هو أيبس .

وزعم بعضهم أن البرد كثيرا ما يصاحب اليبس ، وأن اليبس وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن البرد وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن الماء أيضا يجمد لاجتماعهما عليه . وفى هذا القولُ أن شيئين مجتمعين قد اجتمعا عَلَى الإجماد ، فما تُنكرون أن يجتمع شيئان عَلَى الإذابة ؟! .

---

(١) الطرف : تحريك الجفون فى النظر . طرف البصر نفسه يطرف ، وطرفه يطرفه ، كلاهما من باب ضرب ، مع التعدى واللزوم . والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ، لأنه فى الأصل مصدر . وفى الأصل : « الظهر » صوابه فى البيان . ورواية البيان . « وتحميج النظر » ، والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر .

(٢) قبل الطهر ، أي أوله بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء فى قبل طهرهن » أي فى إقباله وأوله . وهو بضم القاف وإسكان الباء . س ، هـ : « الظهر » بالمعجمة ، صوابه فى ط والبيان .

(٣) س والبيان : « وحذرا » .

(٤) الهيولى ، بفتح الهاء وضم الياء وفتح اللام ، مأخوذة من اليونانية ، يريدون بها مادة الجسم مجردة عن الصورة والأعراض . والقول بها محال ، إذ لا تفارق المادة العرض أو الصورة . انظر الفصل (٥ : ٧٣) .

(٥) الرزانة : الثقل . وفى هـ : « وزانة » . وهو تحريف ، وليس بهذا المعنى إلا وزن الرجل وزانة إذا كان متثبتا . انظر اللسان (١٧ : ٣٣٩ س ٢٤) .

(٦) أي نسلم لكم .

(٧) كذا على الصواب فى هـ فقط . وفى ط ، س « لا تستطيعوا » .

و إن جاز لليبس[١] أن يُجمد جاز للبِلَّة أن تُذِيب .

قال أبو إسحاق : فإن كان بعض هذه الجواهر صعّادا و بعضها نزّالا ، ونحن نجد الذهب أثقلَ من مثله من هذه الأشياء النزّالة ، فكيف يكونُ أثقل منها وفيه أشياء صعّادة ؟!

فإن زعموا أن الخفة إنما تكونُ من التَّخَلْخُل والسُّخْف[٢] ، وكثرةِ أجزاء الهواء فى الجرم . فقد ينبغى أن يكون الهواء أخفَّ من النار ، وأن النار فى الحجَرِ ، كما أن فيه هواءً . والنار أقوى عَلَى رفع الحجَرمن الهواء الذى فيه .

وكان يقول : من الدليل على أن النار كامنةٌ فى الحطب ، أن الحطب يُحرقُ بمقدار من الإحراق ، ويُمنع الحطب أن يخرج جميع مافيه من النيران ، فيجعل فحما ، فمتى أحببت أن تستخرِج الباقى من النار استخرجته ، فترى النار عند ذلك يكون لها لهبٌ دونُ الضرام . فمتى أخرجت تلك النار ١٩ الباقية[٣] ، ثم أوقدْت عليها[٤] ألف عامٍ لم تَستَوْقِدْ . وتأويل : «لم تستوقد» إنما هو ظهور النار التى كانت فيه . فاذا لم يكن فيه شىء فكيف يستوقد ؟

وكان يُكثِر[٥] التعجُّبَ من ناس كانوا ينافسون فى الرآسة ، إذا[٦] رآهم يجهلون جهلَ صغارِ العلماء ، وقد ارتفعوا فى أنفسهم إلى مرتبةِ كبار العلماء .

---

(١) ط ، هـ : « للقبس » صوابه فى س .
(٢) التخلخل : أن يكون الجسم غير متضامّ الأجزاء ، وقالوا : عسكر متخلخل : غير متضام الأجزاء ،كأن فيه منافذ . وفى الأصل : « التحليل » بالمهملة والياء بين اللامين . والسخف ، بالضم والفتح : الخفة والرقة . انظر الفصل (٥ : ٦١) .
(٣) يعنى إخراجها باشمال الفحم وتمام توقده ثم استحالته إلى رماد .
(٤) أي على البقايا المتخلفة من الاشمال ، وهى الرماد .
(٥) فى الأصل : « يكره » وهو نقيض ما يراد .
(٦) ط ، هـ : « إذ » .

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فيَنقيه[١] فيقول : أين تلك النار الكامنة ؟! مالى لا أراها ، وقد ميّزتُ العود قشرًا بعد قشر ؟

(استخراج الأشياء الكامنة)

فكان يقول فى الأشياء الكامنة : إن لكل نوع منها نوعا من الاستخراج ، وضربا من العلاج . فالعيدانُ تُخرج نيرانَها بالاحتكاك ، واللبنُ يُخرَج زبدُه بالمخض ، وجُبْنه يُجمع بإنْفَحَةٍ[٢] ، وبضروب من علاجه[٣] .

ولو أن إنسانا أراد أن يخرج القَطِرَانَ من الصنَوْبَر ، والزِّفْتَ من الأَرْزِ[٤] لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدُقّه[٥] ويقشِره ، بل يوقد له ناراً بقربه ، فاذا أصابه الحرُّ عَرِق وسالَ ، فى ضروب من العلاج[٦] .

ولو أن إنسانا مَزَجَ بين الفضة والذهب ، وسبكهما سبيكة[٧] واحدة ، ثم أراد أن يعزِل أحدهما من صاحبهِ لم يُمكنه ذلك بالقَرْض[٨]

---

(١) نقاه ينقيه : استخرج نقيه ، بالكسر . والنقى : أصله مخ العظم . وفى ﻫ : « فيثقبه » . وانظر سائر العبارة .

(٢) الإنفحة : بكسر أوله وفتح ثالثه ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء : شىء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر يعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ . س : « بالأسحم » .

(٣) ط ، ﻫ : « هى علاجه » .

(٤) الأرز ، بالفتح ويضم : شجر الصنوبر . والزفت ، بالكسر . ما يسيل من شجر الصنوبر . وتطلقه العامة فى مصر على حثالة النفط .

(٥) ط : « ويذقه » ﻫ : « ويذفه » . كلاهما محرف .

(٦) فى بمعنى مع . ط : « وصار » . ﻫ : « وصال » صوابه فى ش .

(٧) ط ، س : « بسبيكة » .

(٨) القرض ، بالقاف : القطع ، ومنه قراضة الذهب ، لما يسقط عند القرض . ط : « بالفرض » بالفاء ، وهو بمعنى القطع والحز . ﻫ : « بالفرس » وهذه مصحفة .

والدِّق . وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصَّاغة ، وأرباب الحُمْلانات[١] .

(رد النظام على أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس[٢] كان يزعم أن الماء المازِجَ للأرض لم ينقلب أرضا ، وأن النار المازجة للماء لم تنقلب ماء . وكذلك ما كان من الماء فى الحجَر ، ومن النار فى الأرض والهواء . وأن الأجرامَ إنما يخفُّ وزنها وتَسْخُفُ[٣] ، على قدر ما فيها من التخلخل[٤] ومن أجزاء[٥] الهواء . وأنها ترزُنُ[٦] وتصلب وتمتُنُ على قدر قلَّةِ ذلك فيها .

ومن قال هذا القولَ فى الأرض والماء والنار والهواء ، وفيما تركّب منها من الأشجار وغير ذلك — لم يصل إلى أن يزعمَ أن فى الأرض عرضاً يحدث ، وبالْحَرَا[٧] أن يَعجِز عن تثبيت كون[٨] الماء والأرض والنار عرضاً .

---

(١) الحملان ، بضم الحاء ، جاء فى القاموس : « وفى اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش » . وقد سبقت هذه الكلمة فى (١ : ٨٣ س ٣) . وفى الأصل : « الجمانات » ولا وجه له هنا .

(٢) س : « أرسطاليس » وكتبت « ليس » فى ط أول السطر ، كأنها « ليس » النافية . وقد تعددت صور تعريبه عن اليونانية ، فنها أرسطو ، وأرسطوطاليس ، وأرسطوطليس وأرسطوليس . وقد انفرد المتنبي بتسميته « رسطاليس » فى قوله :

من مبلغ الأعراب أني بعدها   شاهدت رسطاليس والاسكندرا

(٣) تسخف ، من السخف ، وهو الخفة والرقة . س : « يسخف » ط ، هـ : « تسخف » وما كتبت أشبه .

(٤) فى الأصل : « التحليل » . وانظر التنبيه ٢ ص ٥١ .

(٥) ط ، هـ : « أجراء » بالراء المهملة . صوابه فى س .

(٦) ترزن ، من الرزانة ، وهى الثقل . ط : « توزن » بالواو . صوابه من س ، هـ .

(٧) الحرا ، يائى واوي ، يكتب بالوجهين . ومعناه بالأجدر . وأصل الحرا الجدير والخليق .

(٨) فى الأصل : « لون » باللام .

وإذا قال فى تلك الأشجار بتلك القالة[1] ، قال فى الطول والعرض ، والعُمق ، وفى التربيع والتثليث والتدوير ، بجواب أصحاب الأجسام . وكما يُلزِمُ أصحابُ الأعراض أصحابَ الأجسام[2] بقولهم فى تثبيت السكون والحركة أن القول فى حِراكِ الحجَرِ كالقول فى سكونه — كذلك[3] أصحاب الأجسام يُلزِمون كلّ من زعم أن شيئًا من الأعراض لا يُنقَض[4] أنَّ[5] الجسمَ يتغير فى المَذاقةِ والملمَسَةِ والمنظَرَةِ[6] والمشَمّة من غير لون الماء[7] . وفى برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك .

٢٠ ومتى وجدنا طينة مربعة صارت مدوَّرة ، فليس ذلك بحدوثِ تدويرٍ لم يكن . فكان عند تغيُّره فى العَينِ أولَى من تَغيُّر الطينةِ فى العين من البياض إلى السواد[8] . [و[9]] سبيلُ الصلابة والرَّخاوة ، والثقل والخِفّة ، سبيل الحلاوةِ والملوحة ، والحرارة والبرودة ..

---

(١) القالة : القول ، كالمقالة . س « المقالة » .
(٢) فى الأصل : « لا يلزم » والسياق يقتضى إسقاط « لا » . وكلمة « وكما » ساقطة من ط . والمراد بأصحاب الأعراض ؛ من يزعمون أن كل ما فى العالم أعراض ، وأن الأجسام مركبة من الأعراض ، وهو مذهب الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو . الفصل (٥ : ٦٦) . وأصحاب الأجسام يذهبون إلى أنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والحركات ما هى إلا أجسام . وهو مذهب الهشامية ، أصحاب هشام ابن الحكم . الفصل (٥ : ٦٦) .
(٣) ط ، س « وكذلك » هـ : « ولذلك » . والوجه إسقاط الواو .
(٤) هـ ، س : « لا ينقضى » .
(٥) فى الأصل : « وأن » بزيادة الواو .
(٦) المنظرة : النظر . وفى الأصل : « المنطقة » .
(٧) كذا وردت العبارة محرفة .
(٨) فى الأصل « (أولا) من (غير) الطينة فى العين من البياض (أن) السواد » . وهى عبارة مشوهة .
(٩) ليست بالأصل .

(أصحاب القول بالاستحالة)

وليس يقيس[١] القول فى الأعراض إلا من قال بالاستحالة . وليس فى الاستحالة شىء أقبحُ من قولهم فى استحالة الجبل الصّخير[٢] إلى مقدار خردلةٍ، من غير أن يدخل أجزاءه شىء على حال . فهو عَلَى قولِ من زعم أنّ الخردلة تتنصفُ أبدًا أحسن . فأما إذا قال بالجزء الذى لايتجزأ ، وزعم أن أقلّ الأجسام ، الذى تركيبه من ثمانيةِ أجزاء لاتتجزأ ، أو ستة أجزاء لا تتجزأ[٣] ، يستحيل جسْما عَلَى قدر طول العالَم وعرضه وعُمْقه — فإنّا[٤] لو وجدناه كذلك لم نجد بدًّا من أن نقول : إنا لو رفعنا[٥] من أوهامنا من ذلك شبراً من الجميع ، فإن كان مقدار ذلك الشبرِ جزءا واحداً فقد وجدناه جسما أقلّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء . وهذا نقضُ الأصل . مع أنّ الشبرَ الذى رفعناه من أوهامنا ، فلا بدّ إن كان جسما أن يكون من ستةِ أجزاء ، أو من ثمانية أجزاء . وهذا كله فاسد .

---

(١) ط : « بقيس » بالباء الموحدة فى أوله . محرفة .

(٢) الصخير ، أراد به : الكثير الصخر . والذي فى المعاجم « صخر » ككتف . ولكن هكذا وردت فى س ، ﻫ . وفى ط : « الصغير » بالغين . وليس بشىء .

(٣) فى الأصل : « لا يتجزأ » بالياء المثناه التحتية ، فى هذا الموضع والذى قبله . وكلمة « لا تتجزأ » الثانية ساقطة من ﻫ .

(٤) فى الأصل : « وإنا » .

(٥) فى الأصل : « رفعناه » .

(الأضواء والألوان)

والنار[١] حرٌّ وضياء ، ولكلٍّ ضياء بياضٌ ونور ، وليس لكلٍّ بياض نورٌ وضياء . وقد غلط فى هذا المقام عالِمٌ من المتكلمين .

والضياء ليس بلون ، لأن الألوان تتفاسد، وذلك شائعٌ فى كلها، وعامٌّ فى جميعها فاللبَن والحِبر يتفاسدان ، ويتمازجُ[٢] التراب اليابس والماء السائل ، كما يتمازجُ الحارُّ والبارد ، والحلو والحامض . فصنيع البياض فى السوادِ ، كصنيعِ السواد فى البياض . والتفاسُدُ الذى يقع بين الخضْرَةِ والحمرة ، فبذلك الوزنِ يقع بين البياض وجميعِ الألوان .

وقد رأينا أن البياضَ مَيّاعٌ[٣] مفسدٌ لسائر الألوان[٤] . فأنت قد ترى الضياء عَلَى خلافِ ذلك ؛ لأنه إذا سقط عَلَى الألوان المختلفة كان عملُه فيها عملا واحداً ، وهو التفصيل[٥] بين أجناسها ، وتمييزُ[٦] بعضها من بعض ، فيبين عن[٧] جميعها إبانة واحدة ، ولا تراه يخصّ البياضَ إلا بما يخص بمثله السواد ، ولا يعملُ فى الخضْرة إلا مثلَ عملِهِ فى الحُمرة ، فدلَّ ذلك عَلَى أن جنسه خلافُ أجناسِ الألوان ، وجوهرَه خلافُ جواهرها ، وإنما يدل عَلَى اختلافِ الجواهرِ اختلافُ الأعمال ؛ فباختلاف الأعمالِ واتفاقها تعرفُ اختلافَ الأجسام واتفاقَها .

---

(١) فى الأصل : « لأن » .
(٢) فى الأصل : « يتمايع » .
(٣) مياع : سيال .
(٤) فى الأصل : «كسائر» بالكاف فى أوله . محرف .
(٥) التفصيل بمعنى التمييز . وفى الأصل : « التقبيل » ، تحريف .
(٦) ط : « تمييز » صوابه فى ش ، هـ .
(٧) ط ، س : « من » والوجه ما أثبت من هـ .

جملة القول فى الضد والخلاف والوفاق

قالوا : الألوان كلها متضادّة ، وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراييح ، ٢١
وكذلك الأصوات ، وكذلك الملامس : من الحرارة والبرودة ، واليبس
والرطوبة ، والرخاوة والصلابة ، [والملاسة[١]] والخشونة . وهذه جميع
الملامس .

وزعموا أن التضادُدَ[٢] إنما يقع بين نصيبِ الحاسّة الواحدةِ فقط .
فاذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسةِ الواحدة من المحسوسات ،
خِلافَ نصيب تلك الحاسة ، ولم يضادّها بالضِّدّ كاللّون واللون ؛ لمكان
التفاسد ، والطعم والرائحة ؛ لمكان التفاسُد .

ولايكون الطعم ضدَّ اللون ، ولا اللون ضدَّ الطعم ، بل يكونُ خِلافًا .
ولا يكون ضدًّا ولا وفاقا ، لأنه لا يكون وفاقا ، لأنه من غير جنسه ،
ولا يكون ضدًّا ، لأنه [لا[٣]] يفاسدُه .

وزعم من لاعلم له من أصحاب الأعراض[٤] ، أن السوادَ إنما ضادَّ
البياضَ ، لأنهما لايتعاقبان ، ولا يتناوبان[٥] ، ولأنهما يتنافيان .

قال القوم : لو كان ذلك من العلة ، كان ينبغى لذهابِ الجسمِ قُدُمًا[٦]
أن يكون بعضه يضاد بعضًا ، لأن كونَه فى المكان الثانى لايوجدُ مع كونه

---

(١) ليست بالأصل ، وتقتضيها المزاوجة .
(٢) كذا بفك الإدغام فى جميع نسخ الأصل . فان صح كان من المسموع .
(٣) يقتضيها الكلام . وليست فى الأصل .
(٤) انظر التنبيه ۴ ص ٥٤ .
(٥) التناوب بمعنى التعاقب . وفى الأصل : « يتفاوتان » وهو تحريف .
(٦) مضى قدما ، بضم القاف والدال : لم يعرج ولم ينثن . وقد تسكن الدال . انظر اللسان
(١٥ : ٣٦٦ س ٢٢) .

فى المكان الثالث . وكذلك التربيع : كطينة لو رُبِّعت بعد تثليثها ، ثم رُبِّعت بعد ذلك . ففى قياسهم أن هذين التربيعين ينبغى لهما أن يكونا متضادَّين ، إذ[١] كانا متنافيين ، لأن الجسم لا يحتمل فى وقت واحد طولَين ، وأن الضدَّ يكون عَلَى ضدين : يكون أحدهما [أن[٢]] يخالف الشىء [الشىء[٢]] من وجوهٍ[٣] عدة ، والآخرُ [أن[٤]] يخالفه من وجهين [أو وجهٍ[٤]] فقط .

قالوا : والبياض يخالف الحمرةَ و يضادُّها ، لأنه يُفاسِدُها ولا يفاسِدُ الطعم وكذلك البياضُ للصفرة والحُوّةِ[٥] والخُضرة . فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد ، وكذلك التفاسد[٦] ، وكذلك السواد .

و بَقِىَ لهما خاصة من الفصول[٧] فى أبواب المضادة : أن البياض ينصبغ ولا يَصْبُغ ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ . وليس كذلك سائر الألوان ، لأنها كلها تصبُغ وتَنْصَبِغ .

قالوا . فهذا بابٌ يساق[٨] .

باب آخر

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمْرة ، ومتى اشتدت الحمرةُ صارت سواداً . وكذلك الخضرةُ ، متى اشتدت صارتْ سوادا .

---

(١) فى الأصل : « إذا » .
(٢) من س ، هـ .
(٣) فى ط : « وجوده » محرف .
(٤) ليست فى الأصل . والكلام يتطلبها .
(٥) الحوة ، كقوة : سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد . وفى الأصل : « الحمرة » فتكون تكراراً لما سبق .
(٦) هذه الجملة مقحمة .
(٧) الفصول : جمع فصل بمعنى الفرق . ط : « خاصته » صوابه فى س ، هـ .
(٨) يساق : أى يطرد . وفى الأصل : « ما يساق » بزيادة « ما » .

والسواد يضاد البياض[١] مضادة تامة ، وصارت الألوان الأخر فيما بينها تتضاد عادة ، وصارت الطعوم والأراييح والملامس تخالفها ولا تضادها .

(أصل الألوان جميعها)

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام[٢] هذا المذهب دليلا على أن الألوان كلها إنما هى من السواد والبياض ، و إنما يختلفان على قدر المزاج. ٢٢ وزعموا أن [اللون[٣]] فى الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكوا فى المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض ؛ إذ[٤] كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد ، وبعدت من البياض ، فلا تزال كذلك إلى أن تصير سوادا .

وقد ذكرنا قبل هذا قول من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين ، وزعم أن كل ضياء بياض وليس كل بياض ضياء[٥] .

(عِظَم شأن المتكلمين)

وما كان أحوجنا وأحوج جميع المرضى أن يكون جميع الأطباء متكلمين ، و إلى أن يكون المتكلمون علماء ؛ فإن الطب لو كان من نتائج حُذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له ، لم نجد فى الأصول التى يبنون عليها من الخَلَل ما نجد .

---

(١) كلمة « يضاد » ساقطة من الأصل . وفى الأصل : « للبياض » .
(٢) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٣) ساقطة من الأصل . وبها يستقيم الكلام ويلتئم .
(٤) ط : « إذا » .
(٥) انظر ص ٥٦ .

(ألوان النِّيران والأضواء)

وزعموا أن النار حمراء ، وذهبوا إلى ما ترى العينُ ، والنار فى الحقيقة بيضاء . ثم قاسوا عَلَى خلافِ الحقيقة المِرّة الحمراء[١] ، وشبّهوها بالنار[٢] . ثم زعموا أن المرة الحمراء مُرّة ، وأخْلِقْ بالدخان أن يكون مرًّا . وليس الدخان من النار فى شىء .

وكل نور وضياء هو أبيض ، وإنما يحمرُّ فى العين بالعرَض الذى يَعرِض للعين . فإذا سَلِمَتْ من ذلك ، وأفضت إليه العين رأته أبيضَ . وكذلك نار العود تنفصل[٣] من العود ، وكذلك انفصال النار من الدُّهن ومعها الدخَان ملابساً لأجزائها[٤] . فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض فى مكان واحد ، كان نتاجهما[٥] فى العين منظرةَ الحمرة[٦] .

ولو أن دخانا عرض بينك و بينه قرص الشمس أو القمر[٧] لرأيته أحمر . وكذلك قرص الشمس فى المشرق أحمر وأصفر ؛ للبخار والغبارِ المعترض بينك و بينه . والبخار والدخان أخوانِ .

---

(١) المرة ، بالكسر : أحد أخلاط البدن الأربعة ، وهى البلغم والدم والصفراء والسوداء . فالمرة هى المرة الصفراء ، يكتفون أحياناً بالصفة ، وأحيانا بالموصوف . ووعاء هذا الخلط هو الذى يسمى « المرارة » . قال داود فى الصفراء : « والطبيعى منها أحمر ناصع (كذا) عند المفارقة ، أصفر بعدها » فقد ظهر لك بذلك تسمية الجاحظ إياها : « المرة الحمراء » . س ، هـ : « أن المرة الحمراء » بزيادة « أن » وهو تحريف .

(٢) هذه الجملة ساقطة من هـ . وبدلها فى س : « للنار » .

(٣) ط : « تتفصل » هـ : « يتفصل » صوابهما فى س .

(٤) هـ : « لأجزاء » .

(٥) أى نتاج السواد والبياض . ط ، هـ : « نتاجها » بالإفراد ، صوابه فى ش .

(٦) المنظرة : المنظر . انظر (٣ : ٣٩٥) . ط : « المنتظرة » صوابه فى ش ، هـ .

(٧) فى الأصل : « وبين القمر » . والوجه ما أثبت .

[و[١]] متى تحلّق القرص فى كبد السماء ، فصار على قمة رأسك[٢] ولم يكن بين عينيك[٣] و بينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع فى الهواء صُعُدًا — وذلك يسير قليل — فلا تراه حينئذ إلا فى غاية البياض.

و إذا انحطّ شرقًا أو غربا صار كل شىء بين عينيك[٣] و بين قُرصها من الهواء ، ملابسًا للغبار والدخان والبخار ، وضروب[٤] الضباب والأنداء[٥] فتراها إما صفراء ، و إما حمراء .

ومن زعم أن النار حمراء فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين ، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم فى الجوهرية ، فزعم أنها حمراء ، ثم قاس على ذلك جهِلَ وأخطأ .

وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النِّفط[٦] الأزرقِ ، والأسود ، والأبيض . وذلك كله يدور فى العين مع كثرة الدخانِ وقلته .

ونجد النار تتغير فى ألوانها فى العين ، عَلَى قدر جفوفِ الحطَب ورطوبته ، وعَلَى قدر أجناس العيدان والأدهان،فنجدُها شقراء ، ونجدها خضراء إذا كان ٢٣ حطبُها مثلَ الكبريت الأصفر .

---

(١) هذا الحرف ساقط من الأصل .

(٢) قمة الرأس : وسطه ، وصار على قمة الرأس : أى على حيال وسطه . قال ذو الرمة :

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماء محلق

ابن ماء : هو كل طير يألف الماء . وفى الأصل : « قبة » بالباء ، تصحيف .

(٣) سه : « عينك » بالإفراد .

(٤) ضروب : جمع ضرب ، وهو النوع . ط : « ضرب » صوابه فى ش ، ه .

(٥) الأنداء : جمع ندى . وفى الأصل : « السواد » ولا وجه له .

(٦) النفط ، بكسر النون وسكون الفاء : سائل معدنى سريع الالتهاب ، يسمى فى عامية « مصر » الجاز ، وتختلف ألوانه باختلاف درجة نقائه ، من الأسود إلى الأبيض . وفى الأصل : « النقط » بالقاف . وهو تصحيف .

(علة تلون السحاب)

ونجد لونَ السحاب[١] مختلفا فى الحمرة والبياض ، عَلَى قدر المقابلات والأعراض ، ونجد السحابةَ بيضاء ، فإذا قابلت الشمسَ بعض المقابلة ، فإن كانت السحابةُ غربية[٢] أفقية والشمسُ منحطة ، رأيتَها صفراء ، ثم سوداء ، تعرض للعين لبعض ما يدخلُ عليها .

(شعر فى ألوان النار)

وقال الصَّلَتَان الفهْمِيّ[٣] فى النار :

وتوقدها شقراءَ فى رأسِ هَضْبةٍ ليَعْشُو إليها كلُّ باغٍ وجازِعِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « فوق السحاب » . والوجه ما أثبت .

(٢) هـ : « غريبة » وليس بشىء .

(٣) الصلتان ، بفتح الصاد واللام ، وأصل معناه النشيط الحديد الفؤاد من الخيل . وهو لقب لعدة شعراء أحدهم هذا ، قال الآمدى فى المؤتلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم . وأظنه متأخرا . أنشد له الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين — انظر البيان ٣ : ٢٠ — :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشاره

وذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضا عن الجاحظ » . قلت : فى نسخة البيان : « الفلتان » بالفاء ، وهو تحريف . وانظر الخزانة (٢ : ١٥٨ سلفية) . وثانيهم الصلتان العبدى أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، وقد قضي بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة . انظر الآمدى والخزانة . والثالث الصلتان الضبّى . والرابع الصلتان السعدى ، أنشد له الجاحظ أبياتاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٧) أولها :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

قال : « وهو غير الصلتان العبدى » . انظر الحيوان ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) وقد غاب هذا الرابع عن كثير من العلماء .

(٤) توقدها ؛ كذا بالتاء . يعشو إلي النار : يقصد إليها . والباغى : الطالب . والجازع : الذى يقطع الوادي أو الأرض .

وقال مزرِّد بن ضِرار[١] :

فأبصَرَ نارى وهى شقراء أُوقِدَتْ ‌ ‌ بعلياء نَشْزٍ ، للعيونِ النواظِرِ[٢]

وقال آخر[٣] :

ونار كسَـحر العَوْد يرفعُ ضوأها ‌ ‌ مع الليل هَبّاتُ الرياح الصوَّارِدُ[٤]

والغبار يناسب بعضَ الدخان . ولذلك قال طُفَيْلٌ الغَنَوِىّ[٥] :

إذا هبطتْ سَهْـلاً كأنّ غبارَه ‌ ‌ بجانبها الأقصى دواخنُ تَنضُبِ[٦]

لأن دخَانَه يكون أبيض يشبه الغبار ، وناره شقراء .

والعرب تجمَعُ الدخان دواخِن[٧] . وقال الأزرق الهمْدَانيّ[٨] :

---

(١) مزرد لقب له لبيت قاله . واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة ، الذبيانى الغطفانى ؛ شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام ، وله صحبة ، وكان هجاء خبيث اللسان . وهو أخو الشماخ بن ضرار ، وكان مزرد أسن منه . الإصابة ٧٩١٣ والمؤتلف ١٩٠ ومعجم المرزباني ٤٩٦ . والبيت الآتى روى مثله ابن الشجري فى الحماسة ٢٨٥ ونسبه إلى جبيهاء الأشجعى ، فى قصيدة طويلة مشروحة .

(٢) النشز : المكان المرتفع . ورواية بيت الحماسة : « بليل فلاحت » .

(٣) انظر حماسة أبى تمام (٢ : ١٣٦) وكتاب الزهرة ٢٣٥ .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة وما يتعلق بالحلقوم . والعود: بالفتح : الجمل المسن ، شبه النار فى حمرتها بسحر العود . والصوارد : البوارد ، والصرد : البرد . وجعله صفة لهبات . ولا تكون صفة للرياح إلا مع الإقواء فى هذا البيت أو فى قرينه وهو كما روى أبو تمام :

أصد بأيدي العيس عن قصد أهلها ‌ ‌ وقلبى إليها بالمودة قاصد

و « ضوأها » رسمت في ط : « ضوؤه » وفى ش ، هـ : « ضيؤها » محرفتان .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٤٨) والبيت فى ديوان طفيل ص ٩ .

وشبيه هذا البيت قول عقيل بن علفة المري (اللسان ٢ : ٢٦٠ والحيوان ٢ : ٣٠٦):

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها ‌ ‌ بأسفل علكد دواخن تنضب

وقول النابغة الجعدى (اللسان ٢ : ٢٦٠ وسيبويه ٢ : ١٣٨) :

كأن الغبار الذي غادرت ‌ ‌ ضحيا دواخن من تنضب

(٦) هبطت ، الضمير عائد إلى الخيل . ومثله ضمير « جانبها » . ورواية الديوان : « بجانبه » الضمير للسهل . والتنضب ، بفتح التاء وضم الضاد : شجر ضخام وورقه متقبض ، وعيدانه بيض ، له شوك قصار ، ينبت بالحجاز .

(٧) كلمة « الدخان » ساقطة من ش ، هـ . ودواخن : جمع غير قياسي ، ومثله فى ذلك عثان وعواثن .

(٨) لم أعثر له على ترجمة .

ونوقدها شقراء من فَرعِ تَنضُبٍ　وَلَلكُمْتُ أروَى للنَّزَالِ وأشبَعُ(١)

وذلك أن النار إذا أُلقِيَ عليها اللحمَ فصار لها دخَان ، اصْهَابَّتْ(٢) بدُخَان ماء اللحم وسوادِ القُتَار(٣) . وهذا يدل أيضا عَلَى ما قلنا .

وفى ذلك يقول الهَيَّبان الفَهمِىّ(٤) :

له فوق النِّجاد جِفَانُ شِيزَى　ونارٌ لاتضرَّمُ للصَّلاءِ(٥)

ولكن للطَّبيخ ، وقد عرَاها　طليحُ الهمِّ مُستَلَبُ الفراءِ(٦)

وما غُذِيَتْ بغيرلَظًى ، فنارى　كمُرتكِمِ الغمامةِ ذى العِفَاءِ(٧)

وقال سحر العود(٨) :

له نارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ　لكلِّ مُرَعْبَلِ الأهدامِ بالى(٩)

---

(١) سه : « وتوقدها » بالتاء .

(٢) اصهابت : من الصهبة ، وهى حمرة يعلوها سواد . ط ، هـ : « أصابت » صوابه فى سه .

(٣) القتار ، بالضم : ما يتصاعد من الشواء .

(٤) الهيبان ، بفتح الهاء وتشديد الياء المفتوحة ، أصل معناه الذى يهاب ، كما فى اللسان عن ثعلب . والفهمى منسوب إلى قبيلة فهم . قال المرزبانى فى المعجم ٤٨٩ : « الهيبان الفهمى جاهلى ، يقول :

كما ضرب اليعسوب أن عاف باقر　وما ذنبه أن عافت الماء باقر »

(٥) يبتدئ المجلد الثالث من مخطوطة الأزهر بهذا البيت . النجاد : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى . وفى الأصل : « البحار » وهو من عجيب التصحيف . والشيزى ، بكسر أوله مقصورا : شجر تعمل منه القصاع والجفان ، قال أبو عمرو : « الشيزى يقال له الآبنوس » الجوهرى : الشيز والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع » . والصلاء ، بالفتح ويكسر : مقاساة حر النار ، أو التمتع بها فى الشتاء .

(٦) عراها : غشيها وقصدها . الطليح : المتعب المعيى . مستلب الفراء : ليس له فروة يلبسها لتقيه البرد .

(٧) المرتكم : المجتمع ، والعفاء ، بالكسر ، قال صاحب اللسان : « وعفاء السحاب كالخمل فى وجهه لا يكاد يخلف » .

(٨) كذا فى الأصل . ولعله : « جران العود » .

(٩) اليفاع ، بالفتح : التل . هـ ، س : « إقال » مصحف . والمرعبل : الممزق . والأهدام : الثياب الأخلاق ، واحدها هدم ، بالكسر . وهذه النار التى عنى هى النار التى تشب ليهتدى بها الضيف وذو الحاجة .

ونار فوقها بُجْرٌ رِحَابٌ   مُبَجّلَةٌ تَقَاذَفُ بالمحالِ[١]

(علة اختلاف ألوان النار)

ويدل أيضا على ما قلنا : أن النار يختلف لونُها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والحطب والدخَان ، وعَلَى قدر كثرةِ ذلك وقلّته ، وعَلَى قدر يُبْسه ورطوبته — قولُ الراعى[٢] حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال :

وَقْعَ الربيع وقد تقارب خَطْوُهُ   ورأى بعَقْوَته أَزَلَّ نَسُولاَ[٣]

---

(١) وهذه النار نار الطعام . بجر : جمع بجراء وهى العظيمة البطن ، عنى بها القدور . وفى الأصل « جزر » وليس له هنا وجه . والرحاب : الواسعات . والمبجلة : المعظمة . والمحال ، بالفتح : جمع محالة ، وهى الفقرة من فقار البعير .

(٢) هو راعى الإبل النميري ، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله ابن الحارث بن نمير . ولقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل والرعاء فى شعره . شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام، ذكره الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، مع جرير والفرزدق والأخطل . وكان الراعى يقدم الفرزدق على جرير ، فاستكفه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائية :

أقلى اللوم عاذل والعتابا   وقولى إن أصبت لقد أصابا

المؤتلف ١٢٢ وابن سلام ١٧٣ والخزانة (٣ : ١٣٤ سلفية) والأغاني (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) . والأبيات الآتية من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان، وشكا فيها من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان . وانظر الخزانة وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ . وأولها :

ما بال دفك بالفراش مذيلا   أقذى بعينك أم أردت رحيلا

(٣) وقع الربيع : أى مثل شدة ضرب المطر للأرض . مثل به صوت الهداهد فى البيت الذي قبله . وهو كما فى الجمهرة :

كهداهد كسر الرماة جناحه   يدعو بقارعة الطريق هديلا

والهديل هنا : صوت الهداهد ، وهو الهدهد ، شبه به العريف الذى ضربه السعاة . وضمير « خطوه » للربيع ، أو للهداهد ، أو للعريف فى بيت سابق . وضمير « رأى » للهداهد أو للعريف . والعقوة ، بالفتح : الساحة وما حول الدار . والأزل : القليل لحم الفخذين ، أو السريع . وقد عنى به الذئب . والنسول : من النسلان ، وهو مشية الذئب إذا أسرع . وفى الأصل : « وأري بعقوته أزل سيولا » صوابه فى الجمهرة واللسان (٨ : ٢٥٤) .

مُتَوَضِّحُ الأقراب فيه شُهْبَةٌ ... هَشُّ اليَدَيْنِ تخالُه مشكُولا[١]

كدُخَانِ مُرْتجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ ... غَرْثَانَ ضَرَّمَ عَرْفَجًا مبْلولا[٢]

المرتجل : الذى أصاب رجْلا[٣] من جرادٍ ، فهو يشويه . وجعله[٤] غَرْثان لكون الغرث[٥] لا يختار الحطب اليابس عَلَى رطْبه ، فهو يشويه بما حضَره . وأدار هذا الكلام ؛ ليكون لون الدخَان بلون الذئب الأطحل[٦] متفقين .

(تعظيم زرادُشت لشأن النار)

وزرادُشتُ هو الذى عظم النار وأمر بإحيائها ، ونهى عن إطفائها ، ونهى الحيّض عن مسها والدنُوِّ منها . وزعم أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبردِ والزمهرير والدَّمَق[٧] .

(١) الأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهى الخاصرة . ط : « الأقران » بالنون محرف . والمتوضح : الأبيض ليس بالشديد البياض . وفى الأصل : « متوقع » وليس له وجه . وأثبت رواية اللسان (وضح) . ورواية الجمهرة : « متوشح » بالشين . والشهبة : لون بياض يصدعه سواد فى خلاله . ورواية اللسان (وضح ، شهل) : « شهلة » من قولهم : ذئب أشهل ، إذا كان أغبر فى بياض . ورواية الجمهرة : « نهمة » ؛ وهى النهم . والهش : الخفيف . ورواية الجمهرة : « نهش » وهو الخفيف أيضا . والمشكول المشدود بالشكال ، وهو بالكسر : عقال الدابة . وفى اللسان (٨ : ١٥٢) : « تخاله مشكولا : أي لا يستقيم فى عدوه ، كأنه قد شكل بشكال » .

(٢) التلعة ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض . والغرثان : الجوعان ، والأنثى غرثى وغرثانة والعرفج : نبت سريع الالتهاب .

(٣) الرجل بالكسر : الجراد الكثير ، وجمعه أرجال . وقد فسر « المرتجل » أيضا فى هذا البيت بأنه الذى يقتدح النار بزندة جعلها بين رجليه وفتل الزند فى فرضتها بيده حتى يوري . وقيل : المرتجل : الذى نصب مرجلا يطبخ به طعاما . اللسان : (١٣ : ٢٩) .

(٤) ط ، هـ : « وجعل » .

(٥) الغرث . كفرح : الغرثان . وفى الأصل : « لطول الغرث » .

(٦) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد . ذئب أطحل وشاة طحلاء .

(٧) فى اللسان : « الدمق بالتحريك : الثلج مع الريح يغشى الانسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه . فارسى معرب » . « قلت : هو معرب « دمه » الفارسية ، بفتح الدال والميم . استينجاس ٥٣٦ .

(علة تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج دون النار)

وزعم أصحاب الكلام أن زرادُشت — وهو صاحب المجوس — جاء من بَلْخ[١] ، وادعى أن الوحى نزل عليه عَلَى جبال سيلان[٢] ، وأنه حين دعا سكان[٣] تلك الناحية الباردة ، الذين لايعرفون إلا الأذى بالبرد ، ولا يضربون المثل إلا به ؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعنّ ثيابك ، ولأقيمنّك فى الريح ، ولأُوقفنّك فى الثلج ! فلما رأى موقع البردِ منهم هذا الموقع ، جعل الوعيد بتضاعُفِه ، وظنّ أنّ ذلك أزْجَرُ لهم عما يكره .

وزرادشت فى توعده تلك الأمة بالثلج دون النار ، مُقِرٌّ بأنه لم يُبعث إلا إلى أهل [تلك[٤]] الجبال. وكأنه إذا قيل له: أنت رسول إلى من ؟ قال لأهل البلاد الباردة ، الذين لابدّ لهم من وعيدٍ ، ولا وعيدَ لهم إلا بالثلج .

وهذا جهلٌ منه ، ومن استجاب له أجهلُ منه .

---

(١) بلخ : مدينة كبيرة بخراسان .

(٢) جبل بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان . وفى الحديث : « كتب الله له من الحسنات : بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان . قيل : وما سيلان يا رسول الله ؟ قال : جبل أرمينية وأذربيجان » . انظر عجائب المخلوقات ١٥١ . ولم يذكر هذا الجبل ياقوت ، ولا صاحبا القاموس واللسان .

(٣) دعاهم إلى دينه ، وفى الأصل : « لسكان » بزيادة اللام ، ولا تتجه .

(٤) ليست بالأصل . والمراد : جبال سيلان . انظر التنبيه الثاني .

(ردٌّ على زرادشت فى التخويف بالثلج)

والثلج لا يكمُل لمضادَّة النار ، فكيف يبلغ مبلغها ؟ والثلج يُؤ كَلُ ويشرب ، ويُقضم قضما ، ويمزَج بالأشربة ، ويدفن فيه الماء[١] وكثير من الفواكه .

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامَة الثور[٢] ، فيضعها عَلَى رأسه ساعة من نهار ، ويتبرّد بذلك .

ولو أقام إنسان عَلَى قطعة من الثلج مقدارِ صخرة فى حَمدان ريح[٣] ساعةً من نهار ، لما خيفَ عليه المرض قطُّ[٤] .

فلو كان المبالغة فى التنفير[٥] والزجر أراد ، وإليه قصَد ؛ لذَكَر ماهو فى الحقيقة عند الأمم أشدُّ . والوعيد بما هو أشد ، وبما يعم بالخوف سكان البلاد الباردة والحارة أشبه ، إذا[٦] كان المبالغةَ يريد .

٢٥ والثلج قد يداوَى به بعض المرضى ، ويتولد فيه الدود[٧] ، وتخوضه الحوافرُ ، والأظلاف ، والأخفاف ، والأقدام ، بالليل والنهار ، فى الأسفار .

وفى أيام الصيد يهون عَلَى من شرِب خمسة أرطال نبيذ أن يعدوَ عليه خمسة أشواط .

---

(١) بأن يجعل الماء فى وعاء ثم يدفن فيه .
(٢) الهامة : الرأس .
(٣) حمدان ، لعله من قولهم : يوم محتمد : شديد الحر . ط ، و : « خمدان » بالخاء المعجمة .
(٤) فى الأصل : « لما خيف عليه إلا المرض فقط » والسياق يقتضي ما أثبت .
(٥) فى الأصل : « التغيير » ولا وجه له .
(٦) فى الأصل : « إذ » .
(٧) سبقت إشارة الجاحظ إلي ديدان الثلج فى (٣ : ٣٩٦ س ٦) .

(معارضة بعض المجوس فى عذاب النار)

وقد عارضنى بعض المجوس وقال : فلعلّ أيضا صاحبكم إنما توعَّد أصحابه بالنار ، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَق[1] ، وإنما هى ناحية الحرور والوهج والسَّموم[2] ، لأن ذلك المكروه أزجر لهم . فرأى هذا المجوسى أنه قد عارضنى ! فقلت له : إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر فى الصيف وشدة البرد فى الشتاء ، لأنها بلاد صخور وجبال ، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت[3] الفرس بالفارسية ، العرب والأعراب « كُهْيَان » ، والكَه بالفارسية هو الجبل[4] . فمتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم فى الشتاء وحرِّها فى الصيف ، فانظر فى أشعارهم ، وكيف قسّموا ذلك ، وكيف وضعوه[5] لتعرف أن الحالتين سواء عندهم فى الشدة .

(القول فى البرودة والثلج)

والبلاد ليس يشتد بردها عَلَى كثرة الثلج وقلته ، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل ، والماء ليس يجمدُ للبرد فقط ، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر ، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر .

وقد تكون الليلة باردة جدا ، وتكون صِنَّبْرَةً[6] فلا يجمد الماء ، ويجمد

---

(١) الدمق ، بالتحريك : مر تفسيره فى التنبيه ٧ ص ٦٦ .

(٢) السموم بالفتح : الريح الحارة . أبوعبدة : « السموم بالنهار ، وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل ، وقد تكون بالنهار » .

(٣) ط : « سميت » صوابه فى س ، هـ .

(٤) « كه » بفتح الكاف : اسم للجبل أو التل بالفارسية ، معجم استينجاس ١٠٦٦ .

(٥) أحسبها : « وصفوه » من الوصف .

(٦) الصنبرة ، بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة بعدها باء ساكنة : الشديدة البرد ، وفى الحديث : « أن رجلا وقف على ابن الزبير حين صلب ، فقال قد كنت تجمع بين قطري الليلة الصنبرة قائما » انظر اللسان (٦ : ١٤٠ س ٥) ، وفى الأصل « متغيرة » ولا وجه له .

فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء فى الليلة ذات الريح ، عَلَى خلاف ما يقدِّرون ويظنون .

وقد خبرنى من لا أرتاب بخبره . أنهم كانوا فى موضعٍ من الجبَل ، يستَغْشُون[1] به بلبس المبطَّنات[2] ، ومتى صبوا ماءً فى إناء زجاجٍ ، ووضعوه تحت السماء ، جَمدَ من ساعته .

فليس جُمُود الماء بالبرد فقط ، ولابد من شروطٍ[3] ومقادير ، واختلافِ جواهر ، ومقابلات أحوال ، كسرعة البرد فى بعض الأدهان ، وإبطائه عن بعض ، [و[4]] كاختلاف عمله فى الماء المغْلَى ، وفى الماء المتروك عَلَى حاله وكاختلاف عمله فى الماء والنبيذ ، وكما يعترى البوْل من الخثورة والجمود ، عَلَى قدر طبائع الطعام والقلة[5] .

والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار ، فيستحيل من الحرارة إلى مقدار لايستحيل إليه ما هو أحرّ .

(ردٌّ آخر على المجوس)

وحجةٌ أخرى عَلَى المجوس . وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لوكان قال : لم أبعثْ إلا إلى أهل مكة — لـكان له متعلق من جهة هذه المعارضة . فأمّا وأصل نبوّته . والذى عليه مخرجُ أمرهِ وابتداء مبعثه إلى ساعة وفاته ،

---

(١) فى اللسان : « استغشى بثوبه ، وتغشى : أي تغطى » . وفى الكتاب العزيز : « يستغشون ثيابهم » ، « واستغشوا ثيابهم » . وفى الأصل : « يستغنون » وهو تحريف .

(٢) المبطنات ، يريد بها الثياب المبطنة بالفراء .

(٣) ط : « شوط » س ، هـ : « سوط » والوجه فيهما ما أثبت ، والجمع للتناسب .

(٤) هذه التكملة من س .

(٥) كذا . ولعلها : « وعلى قدر الكثرة والقلة » .

أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود[1] ، وإلى الناس كافة ، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا[2]﴾ وقد قال تعالى - ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ[3]﴾ - فلم يبق أن يكون مع ذلك قولهم[4] معارضة ، ٢٦ وأن يُعَدّ فى باب الموازنة .

(مما قيل فى البرد)

ومما قالوا فى البرد قول الكميت

إذا التفّ دون الفتاةِ الضَّجِيعُ   وَوَحْوَحَ ذو الفَرْوَةِ المُرْمِلُ[5]

---

(١) فى الحديث : « بعث إلى الأحمر والأسود » قال شمر : يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة . والحديث رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣٠٤) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبى إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا . فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته » . وانظر البخاري (باب التيمم ، والمساجد فى البيوت) ومسلم (باب المساجد) والنسائي (باب الطهارة) وانظر درة الغواص ١٠٤ .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٣٦ من سورة المدثر ، وقد اختلف المفسرون فى نصب « نذيرا » فقيل حال من الضمير فى « إنها لإحدى الكبر » أو من إحدى ، أو مصدر منصوب باضمار فعله . أو نذيرا هو الله فهو منصوب باضمار فعل . أي : ادعوا نذيرا . أو هو محمد ، أى ناد ، أو بلغ .

(٤) سه : « قولة » فالضمير للمجوسي .

(٥) وحوح الرجل من البرد : إذا ردد نفسه فى حلقه حتى تسمع له صوتا . وفى الأصل « وزجزج » تحريف صوابه من اللسان (٢٠ : ١٠ س ٤) . و للكميت أيضا كما فى اللسان (٣ : ٤٧٠) :

وراح الفَنيقُ مع الرائحاتِ ... كإحدى أوائلها المرسَلِ[١]

وقال الكميت أيضاً فى مثل ذلك :

وجاءت الريح من تلقاء مَغرِبِها ... وَضَنّ من قِدْره ذُو القِدْرِ بالعُقَبِ[٢]

وَكَهْكَهَ المَدْلِجُ المقرورُ فى يَدِهِ ... واستدفأ الكلب فى المأسور ذى الذِّئَبِ[٣]

وقال فى مثله جِرَانُ العَود[٤] :

ومشبوحِ الأشاجِعِ أريَحِيٍّ ... بعيد السمعِ ، كالقمر المنيرِ[٥]

رفيع الناظرَين إلى المعالى ... عَلَى العِلاَّتِ فى الخُلُق اليسيرِ[٦]

يكادُ المجدُ ينضحُ من يديهِ ... إذا دُفِع اليتيمُ عن الجَزُورِ[٧]

= ووحوح فى حضن الفتاة ضجيعها ... ولم يك فى النكد المقاليت مَشخب

والفروة : الوفضة التى يجعل فيها السائل صدقته ، وهذا البيت شاهد له . والمرمل : الذى نفد زاده ، ومثله الأرمل . وفى الأصل : « المزمل » بالزاي ، تصحيف ورواية اللسان : « الأرمل » .

(١) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل ، لا يركب لكرامته على أهله . هـ : « العتيق » ، وله وجه . سه : « الفتيق » مصحفة .

(٢) العقب بضم ففتح : جمع عقبة بالضم ، وهى المرقة ترد فى القدر المستعارة ، كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق . وفى مثل هذا المعنى للكميت أيضا :

وحاردتِ النُّكدُ الجِلادُ ولم يكن ... لِعُقْبَةِ قِدْرِ المستعيرينَ مُعْقِبُ

انظر اللسان (٢ : ١١١) . وفى الأصل : « والقدر » باسقاط الذال : تحريف صوابه ما أثبت . وقد رجعت بعد كتابة هذا إلى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) فألفيت الرواية كما أثبت . ورواية صدر البيت فيه : « وجالت الريح » . سه هـ : « وطن » بالطاء ، محرفة أيضا .

(٣) كهكه المقرور : تنفس فى يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد فقال : كه كه . ورواية اللسان (١٧ : ٤٣٤) : « الصرد المقرور » . والمأسور : المشدود بالإسار ، وهو القد الذى يؤسر به القتب ، والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . والذئب ، بكسر ففتح : جمع ذئبة ، وهى الفرجة بين دفتى الرحل . وفى الأصل : « الذنب » وصوابه فى اللسان ، والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٢٤ – ٢٨ . وقبل هذا البيت :

ألا يا رب ذى حسب رفيع ... سينسب إن هلكت إلى القبور

(٥) مشبوح الأشاجع : عريض الكف ، يعني نفسه . والأشجع : العصب الذي على ظاهر الكف . والأريحى : الذي يرتاح للمعروف . والسمع ههنا : الذكر الحسن . ورواية الديوان : « بعيد الذكر » . وقد جعله كالقمر فى الجمال والعلو .

(٦) على العلات : أي على كل حال . هـ : « الكلاب » محرف والخلق اليسير : السهل .

(٧) الجزور : الناقة المجزورة : أي إذا ضن أرباب الجزور على اليتيم ودفعوه ، لشدة الجدب والأزمة . هـ ، س « إذا رفع » محرف .

وألجأتِ الـكلاب صباً بليـلٌ   وآل نُباحهنّ إلى الهرير[١]

وقد جعلتْ فتـــاةُ الحى تدنو   مع اُهلاّك من عرَنِ القدور[٢]

وقال فى مثل ذلك ابن قميئة[٣] :

ليس طُعمى طُعمَ الأنامل إذ قلَّـــص   درُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ[٤]

ورأيتَ الإماءَ كالجِعْثِنِ البـــا   لى عكوفاً عَلَى قُرارة قِدْر[٥]

ورأيتَ الدخَان كالودع الأهْـ   جَنِ ينباع من وراء السِّـتْرِ[٦]

---

(١) أي ألجأتها أن تدخل جحرها من شدة البرد . والبليل : الريح الباردة التى كأنها يقطر منها الماء من بردها . آل : رجع وصار . والهرير : صوت الكلب فى صدره لا يفصح به . أراد أنه من شدة البرد لا يستطيع النباح . س : « بناجهين » تصحيف .

(٢) فتاة الحى ، أراد بها الفتاة المصونة : والهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس من سوء حالهم . والعرن : بالتحريك وآخره نون : ريح القدر . وفى الأصل : « عرق » وهو تحريف . ورواية الديوان : « عرم » قال السكري : « العرم والعرن: ريح القدر » . ومثل هذا المعنى قول عوف بن الأحوص فى المفضليات (القصيدة ٣٦ : ٤) :

وكانوا قعودا حولها يرقبونها   وكانت فتاة الحى ممن ينيرها

(٣) هو عمرو بن قميئة ، كما فى كنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٣ . وقد عرف بهذا الاسم جماعة من الشعراء أشهرهم هذا . واسمه عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قالوا : دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقيل له : عمرو الضائع . المؤتلف ٨٦٨ . وفيه قال امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) :

بكي صاحبى لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) الأنامل ، كذا وردت . اللقاح : جمع لقحة بالكسر ، وهى الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد . هـ : « الضبر » محرف .

(٥) الجعثن ، بكسر الجيم والثاء ، وآخره نون : أصل كل شجرة إلا شجرة لها خشب . الواحدة جعثنة . جعلهن كالجعثن البالى فى التقبض وتشوه الخلق ، مما أضر بهن الجدب وسوء الغذاء . عكوفا : استدرن حولها ، ولزمنها . والقرارة بضم القاف : ما لزق بأسفل القدر من مرق ، أو حطام تابل محترق ، أو سمن أو غيره . وفى الأصل : « قرارة بدر » بالباء ، صوابه ما أثبت .

(٦) الودع : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة . والأهجن : من الهجنة ، بالضم ، وهى البياض . وجعل الدخان أبيض لضعف ناره . ينباع : ينفعل من باع يبوع : إذا جرى جريا لينا وتثنى وتلوى . وفى الأصل : « يبتاع » من البيع ، ولا وجه له . والستر : ستر البيت . هـ : « السر » محرف .

حاضر شركم وخيركمُ دَ رُّ خروسٍ من الأرانبِ بِكْرِ [١]

وقال فى مثل ذلك [٢]

وإذا العَذارى بالدُّخان تقنعتْ واستعجلت نَصْبَ القدورِ فملّتِ [٣]

دَرَّتْ بأرزاق العيالِ مَغَالِقٌ بيدىَّ من قَمَعِ العشار الجِلّةِ [٤]

---

(١) الدر ، بالفتح : اللبن . والخروس ، بفتح الخاء المعجمة : النفساء ، والخرسة ، بالضم : طعام الوالدة . والخروس أيضا البكر فى أول حملها . والبكر : التى لم تلد إلا مرة واحدة ، وهو أقل للبنها وأضيق لمخرجه . ط : « ذو حرسى » س ، ﻫ : « دو حروس » بالمهملة صوابه من اللسان (٧ : ٣٦٤) وكنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٤ والبخلاء ١٨٠ . وصدر البيت فيهما : « شركم حاضر » .

(٢) يفهم من ذلك أن البيتين لعمرو بن قميئة . لكنهما فى النوادر لأبى زيد ١٢١ من قصيدة منسوبة لسلمى بن ربيعة الضبى ، وكذلك في أمالي القالي (١ : ٨١) والحماسة (١ : ٢١٢) . ونسبت فى الأصمعيات ص ١٨ ليبسلك إلى علباء بن أريم (صوابه أرقم) . وأول القصيدة فى جميع المصادر :

حلت تماضر غربة فاحتلت فلجا وأهلك باللوى فالحلة

(٣) تقنعت : جعلت الدخان قناعا لها . وفى النوادر : « تلفعت » والتلفع : الالتحاف بالثوب ، أو اللحاف أو القناع . وخص العذارى لفرط حيائهن وشدة انقباضهن فإنما يتولين ذلك العمل ويصبرن على الدخان لما أصابهم من الجهد والجدب . ملت : أى أكبت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع . قال التبريزي فى شرح الحماسة : « وغير أبى تمام يرويه : واستبطأت نصب القدور فملت » فبهذه الرواية تكون « ملت » وضعت الطعام على الملة ، وهى الرماد الحار ، ليسرع إدراكه .

(٤) درت ، من در الضرع : إذا كثر لبنه . ويروى : « دارت » وفى النوادر : « قامت » . والعيال : جمع عيل ، بفتح العين وكسر الياء المشددة ، وهو الفقير . ط : « العباء » ﻫ ، س : « العباد » صوابهما من النوادر والأصمعيات . ورواية الحماسة والأمالي : « العفاة » جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والمغالق : جمع مغلق ، بالكسر ، وهى قداح الميسر . وفي الأصل : « معالق » بالمهملة ، صوابه من المصادر السابقة . والقمع بالتحريك : الأسنمة ، واحدتها قمعة . والعشار : جمع عشراء وهى التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها . والجلة : العظام الكبار ، جمع جليل ، كصبى وصبية .

وقال الهذلي[١]:

وايـــلة يصطلي بالفرث جازرُها ... يختصُّ بالنقَرَى المثْرِينَ داعيها[٢]

لاينبح الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من الشّتاء ولا تَسرِى أفاعيها[٣]

وفى الجَمَدِ والبرد والأزمات[٤] يقول الـكميت :

وفى الســنةِ الجمادِ يكون غيثاً ... إذا لم تعط دِرّتَها الغضوبُ[٥] ٢٧

ورُوِّحت اللِّقــاحُ مُبْهلَاتٍ ... ولم تُعْطَف عَلَى الرُّبَعِ السَّلوبُ[٦]

---

(١) وكذا سبقت هذه النسبة فى (١ : ٣٨٨) و (٢ : ٧٢) . لـكن البيت الأول فى قصيدة لعمرو بن الأهتم فى حماسة ابن الشجري ؛ ونسبت فى مجموعة المعاني ١٩٠ إلى أخت عمرو ذى الـكلب . واسمها جنوب ، أو ريطة . وقد سبقت ترجمة عمرو فى (٢ : ١٨٥). وانظر أشعار الهذليين ص ٢٤١ . فيـكون الجاحظ أراد بالهذلى شاعرا أو شاعرة من هذيل . والبيتان كذلك فى قصيدة منسوبة إلي هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، قالها يوم أحد . وهى من شعر المشركين . وقد رد عليه حسان بن ثابت وكعب بن مالك بشعر آخر . انظر سيرة ابن هشام ٦١١ — ٦١٦ جوتنجن .

(٢) الفرث : سرقين الـكرش . انظر درة الغواص ١٠١ . يريد أن الجازر لشدة البرد يدخل يده فى الـكرش ليدفأ . انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (٢ : ٣٠٠) . والنقرى ، بالتحريك: الدعوة الخاصة . والجفلى ، بالتحريك أيضاً : الدعوة العامة. ه ، سه : « بالنفر » محرف . ه « المثريز » تحريف .

(٣) إنما يخرس الـكلب إفراط البرد وإلحاح المطر . والشتاء ، هو فى الأصل . « العشاء » وتصحيحه من الجزء الأول . والرواية فى الثاني : « من الصقيع » . والصقيع : ما ينزل من السماء بالليل ، شبيه بالثلج . وفى مجموعة المعاني : « حتى الصباح » .

(٤) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والأزمات : جمع أزمة . وفى الأصل : « الأزمان » وهو تحريف سبق إصلاح نظيره فى (٤ : ٤٦٦ س ٧) .

(٥) سنة جماد ، بالفتح : لا مطر فيها . والغضوب : الناقة العبوس .

(٦) روحت : روحها رعيانها وقت الرواح . وفى الأصل : « زوجت » . والمبهلات : التي أبهلت ، أى أهملت وتركت . ومثلها « المعبهلات » . والربع ، بضم ففتح : الفصيل ينتج وقت الربيع . والسلوب : الناقة فقدت ولدها .

وكانَ السَّوف للفتيان قوتاً   تعيش به وهُيِّبت الرقوبُ[١]

وفى هذه القصيدة يقول فى شدة الحر :

وخَرْقٍ تعزف الجِنَّانُ فيه   لأفئدةِ الكُماةِ لها وَجيبُ[٢]

قطعتُ ظلامَ ليلتــه ويوما   يكاد حَصَى الإكام به يذوبُ[٣]

وقال آخر لمعشوقته :

وأنتِ التى كلفتنى البرد شاتياً   وأوردتنيه فانظرى أىَّ موردِ

فما ظنك ببرد يؤدِّى هذا العاشقَ إلى أن يجعل شدَّته عذراً له فى تركه الإلمام بها . وذلك قوله فى هذه القصيدة[٤] :

فياحسنها إذ لم أعُجْ أن يقالَ لى   تروَّحْ فشيعنا إلى ضحوة الغَدِ[٥]

فأصبحتُ مما كان بينى وبينَها   سِوى ذكرها كالقابض الماءَ باليد

ومما يقع فى الباب قبل هذا[٦] ، ولم نجد له باباً قول مسكين الدَّارِمىّ[٧] :

---

(١) السوف ، بفتح السين : من قولهم « فلان يقتات السوف : أى يعيش بالأمانى » . انظر اللسان (١١ : ٦٥ س ٢٣ — ٣٤) . وفى الأصل : « السرف » بالراء ، صوابه فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٩٩) وروايته : « وكان السوف للفتيات قوتا » وفيها تحريف . « تعيش » هى فى الأصل و « يعيش » تصحيحه من المصدر السابق . وفى الأزمنة أيضاً : « وهنيت الرقوب » . والرقوب ، بفتح الراء : هى التى لا تدنو إلى الحوض من الزحام ، وذلك لكرمها .

(٢) الخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح . والجنان : الجن واحده جان كحائط وحيطان . وعزيفها : تصويتها . والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أراد باليوم هنا ما بين طلوع الشمس إلى غروبها . وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً . ولا يختص بالنهار دون الليل .

(٤) فى الأصل : « وترك هذه القصيدة قوله » .

(٥) يقال : أى تقول هى أو صواحباتها . يعجب مما أضاء عليها الحسن فى ذلك الحين . عاج بالمكان يعوج : أقام ، أو عطف عليه ومال ، أو ألم به .

(٦) س « الباب الذى قبل هذا » .

(٧) مسكين ، لقب غلب عليه . واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان شاعراً سيداً . هاجى الفرزدق . وكان أسود اللون قليل المال ، خطب =

وإني لأقومُ عَلَى قَناتي[1] أسبُّ الناسَ كالكَلْب العقور
وإني لا أحِـلُّ ببَطن وَادٍ ولا آوى إلى البيتِ القصير[2]
وإنى لا أحاوِصُ عِقْدَ نادٍ ولا أدعو دُعائى بالصـفير[3]
ولستُ بقائل للعَبْدِ أوقِـدْ إذا أوْقَدْتَ بالعُودِ الصَّغيرِ

ولو تأملتَ دخان أتُّون واحد ، من ابتدائه إلى انقضائه ، لرأيت فيه الأسود الفاحم ، والأبيض الناصع .

والسواد والبياض ، هما الغاية في المضـادَّة ، وذلك عَلَى قدر البخار والرطوبات . وفيما بينهما ضروب من الألوان .

وكذلك الرماد ، منه الأسود ، ومنه الأبيض ، ومنه الأصهب ، ومنه الحصيف[4] . وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره .

فهذا بعضُ ما قالوا فى البرد .

= فتاة من قومه فكرهته ، وتزوجت من بعده من قومه ذا يسار ، ولكنه مهزول النسب ، فزبها يوما فأنشد :

أنا مسكين لمن يعرفني لوني السمرة ألوان العرب

وقد تحدث كثيراً عن لقبه هذا فى شعره . وفى الأغاني (١٨ : ٦٨ — ٧٢) ست إشارات إلي هذا المعني .

(١) المراد بالقناة هنا ، العصا : وفى اللسان « كل عصا مستوية فهى قناة ، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة » . وكانوا يعتمدون عليها فى الخطب والمساجلات . وقد عقد لها الجاحظ بابا مسهباً فى البيان (٣ : ٢ — ٧١) .

(٢) كان العرب يحلون التلاع وأشراف الأرض ، ليراهم الضيف .

(٣) يقال : هو يخاوص فلانا أى ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفى ذلك . ط ، هـ : « لا أخاوص » سـ : « لأحاوص » صوابهما ما أثبت . والنادى : مجلس القوم حيث يجتمعون . وعنى بالعقد هنا جماعتهم . وقد تكون : « عقر » . والعقر ، بالضم : محلة القوم بين الدار والحوض . والصفير : التصويت بالفم والشفتين ، وهو أخفي للصوت .

(٤) الصهبة : أصلها فى الشعر أن تعاود حمرة وأصوله سود . وأما « الحصيف » فلم نجد له وجها فى الألوان ، وفى هـ « الحصف » محرفتان . وأقرب ما يصحف إليه : « الغضب » ، وهو الأحمر الشديد الحمرة . أنشد ثعلب :

أحمر غضب لا يبالي ما استقى لا يسمع الدلو إذا الورد التقى

(بعض ما قالوا فى صفة الحر)

وسنذكر بعض ما قالوا فى صفة الحر . قال مضرِّس[١] بن زُرارة ابن لقيط :

ويوم من الشِّعرى كأنّ ظباءه ... كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها[٢]

تدلّتْ عليها الشمسُ حتى كأنه ... من الحر يُرمَى بالسكينة نُورُها[٣]

٢٧ سجوداً لدَى الأرْطَى كأن رءوسها ... علاها صداعٌ أوفَوَالٍ يصُورها[٤]

وقال القطامىُّ :

---

(١) مضرس ، كمحدث ، آخره سين . وقد سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وفى الأصل : « مضر » تحريف . والبيت الأول والثانى فى النقائض ١٦١ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (٢ : ١٦١) مع تركيب صدر البيت الثانى على عجز البيت الثالث . والبيت الثانى فى اللسان (٧ : ١٠٣) ، والثانى والثالث فى الألفاظ لابن السكيت ٥٥٢ .

(٢) الشعرى : نجم يطلع فى شدة الحر . ورسمت بالألف فى الأصل وفى النقائض والأزمنة والأمكنة . كواعب : جمع كاعب : وهى الجارية قد نهد ثديها . وفى الأصل : « كواكب » صوابه فى المصدرين السابقين .

(٣) فى الأصل : « عليه » صوابه من جميع المصادر السابقة ، والضمير للظباء . وأما ضمير : « كأنه » فهو ضمير الشأن . ويروى فى الألفاظ واللسان : « كأنها » وفى النقائض والأزمنة : « كأنما » . والسكينة : السكون . وفى الأصل : « بالسفينة » صوابه من المراجع . والنور : جمع نوار ، كسحاب ، وهى النفور من الظباء والوحش . قال التبريزى : « يصف ظباء قد دخلت الكنس من شدة الحر ، وقد منعها ما تجد من الحر أن تتصرف ، فقد استبدلت بالنفار السكون » .

(٤) سجودا : مائلات الأعناق مطأطئات الرؤوس . ط ، س : « سجود » بالرفع . وفى الألفاظ « سمودا » ، قال التبريزى . « السمود : التى لاتتحرك . ويقال للمتحير الدهش الذى لايدرى ما يصنع : سامد » . والأرطى : شجر تتخذ الظباء فى أصوله كنسها . فوال : جمع فالية للتى تفلى الرأس . ط ، س : « قوار » ه « قوال » وأثبت صوابه من المصادر السابقة . يصورها : يميلها . وهى رواية الأصل والنقائض والأزمنة . ورواية الألفاظ فقط : « تصورها » . ولكل وجه . شبه رءوسها حين دلتها برؤوس قد أخذها الصداع أو برءوس قد أخذتها الفوالى .

فهن معترضاتٌ والحصى رمِضٌ   والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ[(١)]

حتى وردْن رِكيَّات الغُوَير وقد   كاد المُلاءُ من الـكتَّان يشتعلُ[(٢)]

وقال الشماخ بن ضِرار :

كأن قُتودى فوق جأْب مطرّد   من الُحقب لاحتْه الجداد الغوارز[(٣)]

طوى ظمأها فى بَيضةِ القيْظ بَعْدَ ما   جرَت فى عِنان الشِّعرَيين الأماعزُ[(٤)]

وظلت بِيَمْؤُودٍ كأن عيونَها   إلى الشَّمس هل تدنو، ركىٌّ نواكزُ[(٥)]

---

(١) هن : يعني النوق . معترضات : يسرن عرضاً من المرح . رمض : من الرمضاء ، أى حار . معتدل : أى حين استوى نصف النهار . وعنى أنها تحافظ على نشاطها فى مثل هذا الوقت العصيب الذى يخمد فيه كل نشاط .

(٢) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات أخرى فى الديوان ص ٤ . الركيات : جمع ركية ، وهى البئر . والغوير : موضع . ورواية الديوان : « العَوير » لكن فى شرحه : « الغوير بلد » . والملاء جمع ملاءة . ط ، ه : « الملاء » صوابه فى سه والديوان . والكتان : نبت معروف . وفى شرح الديوان : « يعنى بالكتان ها هنا القطن . والكتان يشتعل من شدة الحر » وليس بشيء . ونظير هذا المعنى قول القلاخ فى مجموعة المعاني ١٣٣ وأراجيز العرب ١٢١ :

وبلد أغبر مخشي العطب   يضحى به موج السراب يضطرب

لو قذف الكتان فيه لالتهب   قطعت أحشاه بسير منجذب

(٣) الجأب : الحمار الغليظ . مطرد : تطارده الحمر . والحقب : جمع أحقب وهو الذى فى بطنه بياض . لاحته : ضمرته . الجداد : جمع جدود ، بالفتح ، وهى الأتان القليلة اللبن من غير عيب . والغوارز : جمع غارز وهى القليلة اللبن . أراد أن ضرابه لتلك الأتن ضمره وهزله . ه ، سه : « من الحف » و : « الحجار » . ه فقط : « الفوارز » وهو تصحيف صوابه فى الديوان ٤٣ .

(٤) الظمْ ، بالكسر : ما بين الشربتين . وبيضة القيظ : شدة حره . والشعريان : نجمان ، وهما الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء . وإنما تطلع الشعرى فى شدة الحر . والأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الحزنة الغليظة ، يقول : طوى هذا الحمار ظمْ أتنه ، فلم يوردها لأخذه فى العدو ، وقد جرت الأماعز ، أى اضطرب سرابها ، فى ذلك الوقت من القيظ . وقد أورد المبرد هذا البيت فى الكامل ٤٥٠ ليبسك ، مستشهدا به على تورع الأصمعى عن تفسيره ، لأن فيه شيئا يتعلق بالأنواء .

(٥) يمؤود : موضع . هل تدنو : أى تقرب من الغروب . وذلك أن العير إنما يوردها عند الغروب . انظر المفضليات (٣٨ : ١١) طبع المعارف . والركى ، بضم الراء وفتحها : جمع ركية ، وهى البئر . والنواكز : جمع ناكز ، وهى التى قل ماؤها أو ذهب . سه ، ه : « رعى » صوابه فى ط والديوان .

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدِّمان الشماخَ بغاية التقديم .

وقال الراعي :

ونار وديقــة في يوم هَيْجٍ من الشِّعرى نصبْتُ لها الجبينا[١]

إذا مَعزاء هاجــرةٍ أرنَّتْ جَنادبُها وكان العيسُ جُونا[٢]

وقال مسكينٌ الدارميُّ[٣] :

وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها إذا ما اتَّقتها بالقرون سجودُ[٤]

تلوذُ لشُؤبوب من الشَّمس فوقَها كما لاذَ من حَرِّ السِّنان طريدُ[٥]

وقال جرير[٦] :

وهاجدِ مَوْماةٍ بعثْتُ إلى السُّرى وللنَّومُ أحلَى عِنده من جَنَى النَّحلِ[٧]

---

(١) الوديقة : حر نصف النهار أشد ما يكون . ويوم هيج : أى يوم ريح . نصب جبينه : رفعه ولم يبال الحر . وضمير : « لها » عائد إلى النار . وهى كذلك رواية المرزوق فى الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٨٧) . وفي اللسان : (هيج) : « له » بعود الضمير إلى « يوم » .

(٢) المعزاء كالأمعز : الأرض الحزنة الغليظة . والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر. أرنت الجنادب : صوتت . وفى الأصل : « أرثت » . ولا وجه له ، وقد سبق مثل هذا التحريف فى (٤ : ٤٨٦) . ورواية س : « جنادبه » . والجندب : ضرب من الجراد (Grasshopper) ، وهو إذا رمض فى شدة الحر لم يقر على الأرض وطار فتسمع لرجليه صريرا . وانظر (٣ : ٣٩٩ ، ٤ : ١٠٧) .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٦ . والبيتان فى مجموعة المعاني ١٩٠ .

(٤) ط : « صليت » س ، هـ : « صلت » وصوابه فى مجموعة المعاني ، أى أن الظباء حين تتق حر الهاجرة بقرونها تحكي فعل الساجد .

(٥) تلوذ : أى تلجأ ، أراد تلجأ إلى الظلال ، لما أصابها من شآبيب الشمس . وأصل الشآبيب للمطر ، وهى الدفعات منه . وفى مجموعة المعاني « بشؤبوب » وتصح بجعل الباء للسببية .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه ٤٦٠ — ٤٦٥ والنقائض ١٥٨ — ١٦٧ يهجو بها البعيث والفرزدق ، أولها :

عوجى علينا واربعى ربة البغل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى

(٧) الهاجد من الأضداد ، يقال للنائم والساهر . وفى الأصل : « هاجر » صوابه فى الديوان ومجموعة المعاني ١٣٢ . والموماة : المفازة الواسعة الملساء . وجنى النحل : عسلها .

يكون نزولُ الركب فيها كَلاَ وَلاَ غِشَاشاً ولا يدنون رَحْلاً إلى رَحْلِ [١]

ليوم أتتْ دون الظلال سَمُومُه وظَلَّ المَها صُوراً جماجمها تَغْلِي [٢]

وفيها يقول جرير :

تمنَّي رجال من تميم لى الرَّدى وما ذَادَ عن أحسابهم ذائدٌ مثلى [٣]

(احتجاج النظام للكمون)

وقال أبو إسحاق : أخطأ من زعم أن النار تصعدُ فى أول العود ، وتنحدر وتغوص فيه ، وتظهر عليه ، وتأخذ منه عَرَضاً [٤] .

وقال : العود ، النار فى جميعه كامنة ، وفيه سائحة ، وهى أحد أخلاطه [٥] . والجزء الذى يُرى [٦] منها فى الطرَف الأول ، غير الجزء الذى فى الوسط

---

(١) كلا ، أى مثل لا فى القلة ، أو سرعة النطق بها ، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفى قالوا : كان فعله كلا . وربما كرروا فقالوا كلا ، ولا . وربما قالوا . كلا وكذا . قال الكميت (اللسان ٢٠ : ٣٥٧) :

كلا وكذا تغميضة ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

وقال ذو الرمة :

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلالا

وقال الراعى (اللسان ٥ : ٤٥) :

فلبثها الراعى قليلا كلا ولا بلوذان أو ما حللت بالكراكر

وانظر الشريشى (٣ : ٢٣٤) . وفى الأصل : « كلاؤها » محرف . والغشاش ، بالكسر والفتح : العجلة ، وفى الأصل « عشاشاً » محرف .

(٢) دون الظلال : أى قريباً منها . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، ورسمت فى الأصل بالياء ، وأصلها واوى . صورا : جمع أصور ، وهو المائل العنق . سه : « حماجمه » .

(٣) الردى : الهلاك . ورسم فى الأصل بالألف ، وأصله الياء . والرجال الذين عنى هم : الفرزدق ، والبعيث ، وعمر بن لجأ ، وغسان السليطى ، والمستنير بن عمرو . انظر النقائض . ذاد : دفع وحامى . سه : « زائد » محرف .

(٤) فى الأصل : « غرضاً » بالمعجمة .

(٥) فى الأصل : « أخلاطها » .

(٦) فى الأصل : « الذى لا يرى » و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

و [الجزء الذى فى الوسط[١]] غير الجزء الذى فى الطرف الآخر . فإذا احتكّ الطرَف فحمِىَ زال مانعه ، وظهرت النار التى فيه . وإذا ظهرت حَمِىَ لشدة ٢٩ حرها الموضعُ الذى يليها ، وتنحَّى أيضا مانعه . وكذلك الذى فى الطرَف الآخر ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت فى العود كله ، وظهرَت أولا فأوّلا ، ظن أن الجزء الذى كان فى المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثانى ، ثم إلى المكان الثالث . فيخبرُ عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما بطن[٢] من شأنها .

وقال أبو إسحاق : ولو كانت العيدان كلها لانار فيها ، لم يكن سرعةُ ظهورِها من العراجين ، ومن المرْخِ والعَفار[٣] ، أحقّ منها بعودِ العُنَّابِ[٤] والبَرْدىّ[٥] وما أشبه ذلك . لكنها [لمّا[٦]] كانت فى بعض العيدان أكثر ، وكان مانعها أضعفَ ، كان[٧] ظهورها أسرع ، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظمَ . وكذلك ما كَمَنَ منها فى الحجارة . ولو كانت أجناس

---

(١) هذه الزيادة الضرورية من هـ .

(٢) ط : « يطن » سه : « يظن » صوابهما فى هـ .

(٣) المرخ والعفار ، بفتح أولها : شجران يتخذ منهما زناد القدح . والعرب تضرب بهما المثل فى الشرف العالى ، فتقول : « فى كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار » .

(٤) العناب ، كرمان ، شجر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه ، يثمر العناب الأحمر الحلو . وبه يشبه الشعراء بنان الغيد . وكنت فى ريب من صحة هذه الكلمة إلى أن وجدت فى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨ س ٢٣) : « عن ابن عباس : ليس شجر إلاوفيه نار ، إلاالعناب » .

(٥) البردى ، بفتح الباء : هو « الحفأ » ، تصنع منه الحصر المعروفة فى مصر بالأكياب وفى أصله حلاوة كالقصب ، ويصنع القرطاس المصرى منه ومن لعاب البشنين بالطبخ والمد . تذكرة داود الأنطاكى . وفيها « الحلفاء » تصحيف ، إنما هى « الحفأ » . انظر اللسان (حفأ) والمخصص (١١ : ١٦٦ ، ١٦٧) . وأما الحلفاء فقال داود نفسه : إنه يقوم مقام البردى فى عمل الحصر والأحبال .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) فى الأصل : « وكان » ، والوجه حذف الواو .

الحجارة مستوية فى الاستسرار[١] فيها ، لما كان حجرُ المرْوِ أحقَّ بالقَدْح إذا صُكّ بالقدَّاحةِ ، من غيره من الحجارة ، ولو طال مُكثُه فى النار ، ونُفِخَ عليه بالكير .

ولِمَ صار لبعض العيدان جمرٌ باق . ولبعضها جمر سريع الانحلال ، و بعضها لايصير جمرا ؟ ولِمَ صار البَرْدِىّ[٢] مع هَشَاشته[٣] و يبسه ورخاوته ، لاتعمل فيه النيران ؟ ولذلك إذا وقع الحريق فى السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردى . ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء فى أضعاف البرديّ ، ومواضعِ جميع اللِّيف .

وقال أبو إسحاق : فلِمَ اختلفَتْ[٤] فى ذلك ؟ إلا عَلَى قدر ما يكونُ فيها من النار ، وعَلَى قدر قوة الموانع وضعفها .

ولم صارت تُقدَح عَلَى الاحتكاك حتى تلهبت[٥] ، كالساج[٦] فى السفن[٧] إذا اختلط بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها ؟ ولذلك أعدُّوا لها الرجالَ لتَصبَّ من الماء صَبًّا دائما . وتدوِّم الريحُ فتحتك عيدان الأغصان فى الغياض ، فتلتهب نار[٨] فتحدثُ نيران .

---

(١) الاستسرار ، بمعنى الكمون ، وفى الأصل ، « الاسرار » .
(٢) ط : « البرى » صوابه فى سه ، هـ .
(٣) الهشاشة : الرخاوة والضعف . وفى الأصل : « مشاشته » بالميم محرف .
(٤) فى الأصل : « اختلف » .
(٥) فى هـ : « تلهب » .
(٦) الساج : شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضاً ، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر ، وله رائحة طيبة ، وهو من أشجار الهند .
(٧) السفن : جمع سفينة . وهى فى الأصل : « السفر » بالراء .
(٨) سه : « ناراً » بالنصب .

وِلِمَ صار العود يحمَى إذا احتكّ بغيره ؟ ولِمَ صار الطّلَقُ (١) لايحمى ؟

فإن قلت لطبيعة هناك ، فهل دللتمونا إلا عَلَى اسم علّقتموه عَلَى غير معنًى وجدتموه ؟ أَوَلسنا قد وجدنا[٢] عيون ماء حارة[٣] وعيون ماء بارد ، بعضها يبرص[٤] ويُنْفط[٥] الجلد ، و بعضها يُجمِدُ الدمَ ويورث الـكُزَار[٦] ؟ أَولسنا [قد[٧]] وجدنا [عيون ريح ، و[٨]] عيون نار ؟[٩] فلِمَ زعمتم أن الريحَ والماء كانا مختنقين[١٠] فى بطون الأرض ، [و[١١]] لم تجوزوا انما مثل ذلك

(١) الطلق ، بالتحريك : حجر يتشظى إذا دق ، صفائح بيضاً رقاقا لها بصيص وبريق يتخذ منه مضاوى للحمامات بدلاً من الزجاج . ويقال : « طلق » بالفتح ، أوهو لحن . وهو بالفارسية : « تلك » أو « تلك » وبالأوربية العلمية Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) . ومسحوقه تطلى به البشرة فيحفظها .

(٢) سـ : « أو لسنا نجد » .

(٣) ط ، هـ : « عيون ريح وعيون ماء حارة » وهو اضطراب . وفى هـ بعده : « وعيون نار » وذلك باسقاط الكلام من « ماء بارد » إلى كلمة « نار » التالية .

(٤) يبرص : يصيب بالبرص ، أبرصه : جعله أبرص . ولا يزال مثل هذا الزعم فاشيا بين العوام عندنا فى مصر : أن من استعمل الماء المحمى بحرارة الشمس يصاب بالبرص . وفى الأصل : « البيض » . ولا وجه له .

(٥) أنفطه : أصابه بالنفطة ، وهى فى أصلها بثرة تخرج فى اليد من العمل ملأى ماء . ط : « ينطف » وأثبت ما فى سـ ، إذ أن النطف أمر معنوى ، وهو أن يلطخه بعيب ويقذفه به . وفى عجائب المخلوقات ١٦٨ عند ذكر (عيون دوارق) : « ومن طف فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط » .

(٦) فى الحديث : « أن رجلا اغتسل فكزفات » . الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وهو تشنج يصيب الإنسان .

(٧) هذه الزيادة من سـ

(٨) هذه الزيادة من سـ . وعيون الريح هذه ناشئة من احتباس بعض الأبخرة الناجمة عن تحلل مواد عضوية فى باطن الأرض فتتجمع حتى إذا ضاق بها المكان اندفعت وشقت طريقا لها إلى ظاهر الأرض ، وقد بدت هذه الظاهرة الطبيعية فى أيامنا هذه في بلدة « ميت الشيوخ » من أعمال فارسكور ، انظر الصحف المصرية الصادرة في القاهرة من ٢٦ رجب إلى ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ .

(٩) عيون النار ، هى ما يسمونها : « البراكين » . والبركان عامية مأخوذة من : Volcano .

(١٠) ط : « مختفين » ، ووجهه ما أثبت من سـ ، هـ .

(١١) ليست فى الأصل .

فى النار ؟ وهل بين اختناق[١] الريح والماء فرق ؟ وهل الريح إلا هواء تحرّكَ ؟ وهل بين المختنق والساكن فرْق ؟

وزعم أبو إسحاق : أنه رمى بردائه فى بئر النبى صلى الله عليه وسلم التى من طريق مكة[٢] ، فردّته الريح عليه .

وحدثنى رجل من بنى هاشم قال : كنت برَامة[٣] ، من طريق مكة فرميت فى بئرها ببعرة[٤] فرجعت إلىّ ، ثم أعدتُها فرجعَتْ ، فرميْت بحصاة فسمعتُ لها حريقاً[٥] وحفيفاً[٦] شديداً وشبيها بالجولان ، إلى أن بلغَتْ قرار الماء .

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار فى بعض الجبال ، يكون دخانُها نهاراً وليلا . أوليس الأصل الذى بُنى[٧] عليه أمرُهم : أن جميع الأبدان

---

(١) ط : « اختلاف » تحريف .

(٢) جاء فى شفاء الغرام للفاسي (مجموعة تواريخ مكة ص ١٢٢ طبع ليبسك ١٨٦١) « ومنها بئر يقال لها : بئر النبى . والناس يستشفون بمائها . ولعلها – والله أعلم – السنبلة ، بئر خلف بن وهب الجمحى التي ذكرها الأزرق وقال : يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها ، وأن ماءها جيد من الصداع » . وانظر أخبار مكة للأزرق (٢ : ١٧٧) . ومن الآبار التى رووا أن النبى بصق فيها : « بئر بضاعة » بضم الباء . و « بئر غرس » . وكلاهما بالمدينة . انظر معجم البلدان فى رسمى (بضاعة ، غرس) وكذلك عجائب المخلوقات (في الفصل الذى عقده للآبار) .

(٣) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة ، فى طريق البصرة إلى مكة .

(٤) س ، هـ : « ببعر » .

(٥) الحريق ، بفتح الحاء المهملة : مصدر حرق الانسان وغيره نابه : أى سحقه من الغيظ والغضب . ومثله الصريف ، وهو صوت الأنياب والأبواب . وذلك الصوت الذى سمعه من الحصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هى النزول . وفى الأصل : « خريقا » بالخاء المعجمة . وهو تحريف .

(٦) الحفيف : صوت الريح فى كل ما مرت به ، ودوى جرى الطائر والفرس ونحوهما س : « خفيقا » محرف .

(٧) س : « يبني » .

من الأخلاط الأربعة : من النار ، والماء ، والأرض ، والهواء ؟ ! فإذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه ماء قلنا : هذا أحدُ[١] الأركان ؛ فما بالُنا إذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ؟

ولِمَ نقولُ[٢] فى حجرَ النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرّصاص[٣] والزئبق ، إنما هو لما خالَطَه من أجزاء الهواء الرّافعة له ؟ وإذا وجدناه أعْلَكَ عُلوكة ، وأمتَنَ متانة ، وأبعد من التهافُت ،جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء . وإذا وجدناه ينفض[٤] الشرر ، ويُظهرُ النار جعلنا ذلك للذى خالطه [من الهواء[٥]] ؟ ولِمَ جعلناه إذا خف عن[٦] شىء بمقدار جسمه[٧] ، لما خالطه من أجزاء الهواء ، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار ؟! ولا سيما إذا كانت العينُ تجدُه يقدَح بالشرر ، ولَمْ تجِرْ أجزاء الهواء فيه عندنا عِيانا . فلِمَ أنكروا ذلك ، وهذه القصةُ توافقُ الأصلَ الذى بَنَوْا عليه أمرهم ؟

قال : أو ليس من قوله أنه لولا النيرانُ المتحركة فى جوف الارض ، التى منها يكون البُخَارُ ـــ الذى بعضه أرضىٌّ و بعضه[٨] مائىٌّ ـــ لم يرتفعْ ضبابٌ ، ولم يكن صواعق[٩] ولا مطرٌ ولا أنداء[١٠] .

---

(١) ط : « أحدث » صوابه فى س ، هـ .
(٢) فى الأصل : « ولم لا تقول » . وكلمة « لا » مقحمة .
(٣) ط ، هـ : « أو » .
(٤) ينفض الشرر ، يطايره . وفى الأصل : « ينقض » بالقاف .
(٥) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .
(٦) فى الأصل : « من » .
(٧) أى عن شىء هو فى قدر جسمه . وفى الأصل : «لمقدار جسمه» باللام .
(٨) فى الأصل : « بعضها » فى الموضعين . والوجه ما أثبت . والضمير للبخار . والمراد بالبخار الأرضى ما ينجم من الأرض الرطبة ، والمائى ما يصعد من المياه .
(٩) صواعق : جمع صاعقة . وفى الأصل : « صدا » . وانظر الصفحة التالية .
(١٠) أنداء : جمع ندى ، وهو الماء يتجمع على الزهر ونحوه . وفى الأصل : « نداء » .

(الصواعق وما قيل فيها)

ومتى كان البخار حارًّا يابسا قَدَحَ وقَذَفَ بالنار، التي تسمى «الصاعقة» ، إذا اجتمعت تلك القوى فى موضع منه . فإن كانت القوى ريحا كان لها صوتٌ(١) ، وإن كانت ناراً كانت لها صواعقُ . حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من نيران الصواعق(٢)] ، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهَوْل الحِمْيَرِى(٣) :

حاز صَمْصَامَةَ الزُّبيدىِّ مِنْ بيـــن جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ(٤)
سيفُ عمرو ، وكان فيما سَمِعنا خيرَ ما أُطْبِقَتْ عليه الجُفُونُ(٥)

---

(١) يريد به صوت الرعد .

(٢) هذه التكملة من حواشى ثمار القلوب ٤٩٩ . وقد صرح البيروني فى الجماهر ٢٤٦ بأن أهل الغزية وطبرستان ينسبون ما يجدونه فى باطن الأرض من المزاريق والحراب النحاسية « إلى النزول من السماء بالصواعق » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٦٠) وله مدائح فى المهدى والهادى والرشيد والأمين . والأبيات التالية فى ثمار القلوب ٤٩٨ ومروج الذهب (٢ : ٢٦٢) وإعجاز القرآن ١٩٠ وابن خلكان (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٥) والشريشى (٢ : ٤٠٢) قال الثعالبى : « وذكر أبو هفان أن صاحب هذه القصيدة (ابن) يامين البصرى » . وقد اعتمد هذه النسبة ابن خلكان .

(٤) الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي ، وكان حسن الاستعمال له فى الجاهلية كثير العناية به فى الاسلام ، وقد وهبها عمرو لسعيد بن العاص عامل رسول الله على اليمن ، فلم يزل فى آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك فاشتراه خالد القسرى بمال خطير ، وأنفذه إلى هشام ، وكان قد كتب إليه فيه . فلم يزل عند بنى مروان حتى زال الأمر عنهم ، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه . وجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به ، فجرده ودعا بمكتل من دنانير وقال لحاجبه : إيذن لمن بالباب من الشعراء . فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فقالوا وأطالوا ولم يأتوا بطائل ، فقام أبو الهول وأنشد قصيدته ، فقال الهادى : السيف لك والمكتل ! فأخذهما . وفى مروج الذهب أن الهادى اشتراه بعد ذلك بخمسين ألفا . وموسى هو الخليفة الهادى بن المهدى . توفى سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة .

(٥) جمع جفن ، وهو قراب السيف . ورواية ابن خلكان والثعالبى : « أغمدت »

أَوْقَدَتْ فوقَهُ الصواعقُ ناراً ثم ساطتْ به الزُّعافَ المَنُونُ[١]

وقال منهم آخر :

يكفيك من قَلَعِ السماء عقيقةٌ فوق الذِّراع ودون بَوْع البائعِ[٢]

قال الأصمعيّ : الانعقاق : تشقُّق البرق . ومنه وصف السيف بالعقيقةِ .

وأنشد[٣] :

٣١ وسيفى كالعقيقةِ وهو كِمْعِى[٤]

وقال الأخطل :

وأرَّقَنِي من بعد ما نِمْتُ نَوْمَةً وعَضْبٌ إباطى كالعقيق يَمَاني[٥]

---

(١) السوط : الخلط . و الزعاف : السم السريع القتل . ورواية ابن خلكان : « شابت فيه الزعاف القيون » .

(٢) القلع ، بالتحريك : جمع قلعة بفتحتين ، وهى السحابة الضخمة . وأراد بالعقيقة السيف . فوق الذراع : أى طوله فوق الذراع . وباع يبوع بوعا : بسط باعه . و الباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن . والبائع : من يبسط باعه . وفى الأصل « الباع » تحريف ، لأن بعده كما فى الجماهر ٢٥٠ وقد أنشده صاحب اللسان فى (٧ : ٣٩٤) :

صافى الحديدة قد أضر بجسمه طول الدياس وبطن طير جائع

(٣) القائل هو عنترة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ١٠٨ – ١١٠ يهجو بها عمارة بن زياد العبسى .

(٤) الكمع ، بالكسر : أصل معناه الضجيع ، وأراد به الملازم . وتمام البيت :

. سلاحى لا أفَلَّ ولا فُطَارا

الأفل : المتثلم . والفطار ، بالضم : الذى فيه صدوع وشقوق . والبيت فى اللسان (عقق ، كمع ، فلل ، فطر) .

(٥) العضب : السيف القاطع . إباطى : أى تحت إبطى . ونحوه قول المتنخِّل الهذلي (اللسان ٩ : ١٢١ ، ١١ : ٢٩) :

شربت بجمه وصدرت عنه وأبيض صارم ذكر إباطى

والعقيق ههنا : البرق . ولم تذكر المعاجم فى هذه المادة بهذا المعنى إلا « العقيقة » ، و « العقق » بضم ففتح . ورواية الديوان ٢٣٤ : « وعضب جلت عنه القيون يماني » .

وَنذكرُ بعَونِ اللهِ وتأييده جُمْلَةً مِنَ القَولِ فى الماء ثمَّ نصير إلى ذكر ما ابتدأنا به ، من القول فى النار

ذكروا أن الماء لايغذُو ، وإنما هو مَرْكَبٌ ومِعْبَرَ ومَوْصِلٌ للغذاء . واستدلُّوا لذلك بأن كلَّ رقيق سَيَّال فإنك متى طَبَخْته انعقدَ ، إلا الماء : وقالوا فى القياس : إنه لاينعقد فى الجوف عند طبخِ الكبِد له ، فإذا لم ينعقدْ لم يجئْ منه لحمٌ ولا عظم . ولأننا لم نر إنسانا قطُّ اغتذاه[1] وثبت عليه روحُه وإن السمك الذى يموت عند فقده[2] لَيَغْذُوه سواه مما يكون فيه دونه .

قال خصمهم : إنما صار الماء لاينعقد ، لأنه ليس فيه قوًى مستفادةٌ مأخوذة من قُوى الجواهرِ . والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى . فبضربٍ من القُوى والقبول يصير دُهنا ، وبضرب آخر يصير خَلاًّ ، وبضرب آخر يصير دماً ، وبضرب آخر يصير لَبَنًا . وهذه الأمور كلها إنما اختلفت بالقُوى العارضة فيها . فالجوهرُ المنقلبُ فى جميع الأجرام[3] السيَّالة ، إنما هو الماء . فيصير عند ضرب من القبول دُهنا ، وعند ضرب من القبول لبنا .

وعصير كل شيء ماؤه والقابل لِقُوَى مافيه . فإذا طبخْتَ الماء صِرْفا ، سالما على وجهه ، ولا قُوَى فيه ، لم ينعقد وانحلَّ بُخاراً حتى يتفانى وإنما ينعقد الكامن[4] من الملابس[5] له . فاذا صار الماء فى البدنِ

---

(١) اغتذاه : أراد جعله غذاء له . والمعروف فى هذا الفعل اللزوم . وأثبت ما فى س ، هـ وفى ط : « اغتذا » بإسقاط الهاء .

(٢) أى فقد الماء . وفيه ، أى فى الماء أيضا .

(٣) الأجرام : الأجسام . ط ، هـ : « الأقسام » س : « الأجزاء » والوجه ما أثبت

(٤) ط : « الكائن » صوابه من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « الملامس » من اللمس . والوجه « الملابس » أى المخالط .

وحده [و[١]] لم يكن فيه قوًى لم ينعقد . وانعقاده إنما هو انعقاد ما فيه .
والماء لايخلو من بعض القَبُول ولـكنَّ البعض لاينعقد مالم يكثُر .

(استحالة الهواء إلى المـاء وعكسه)

وزعم أصحاب الأعراض[٢] أن الهواء سريعُ الاستحالة إلى الماء ، وكذلك الماء إلى الهواء ، المناسبة التى بينهما من الرطوبة [و[٣]] الرقة . وإنما هما غير سيَّارين . ويدل على ذلك اجتذابُ الهواء للماء وملابسته له ، عند مَصِّ الإنسان بفيه[٤] فمَ الشَّرابة[٥] . ولذلك سَرَى المـاء وجري فى جوف قَصَبِ الخيزُرانِ ، إذا وضَعْتَ طرفه فى الماء .

وكذلك الهواء ، فيه ظلامُ الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح . والحدَقة[٦] لاترى من الضياء العارض فى الهواء ما تباعد منها .

(ألوان المـاء)

والماء يرقّ فيكون له لون[٧] ، [و[٨]] يكون عمقه مقداراً عَدْلاً[٩] ٣٢ فيكون له لون ، فإن بعد غَوْرُه وأفرط عمقه رأيته أسودَ .

---

(١) ليست فى الأصل .
(٢) سبق الحديث عنهم فى التنبيه الثامن ص ٥ .
(٣) هذه من سه .
(٤) فى الأصل : « عند مس الانسان إليه » ، وانظر التنبيه التالى .
(٥) الشرابة ، هى فى مفاتيح العلوم ١٤٤ : « السحارة » قال : « هى التى تسميها العامة سارقة الماء ، أعنى الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره ، فيوضع أحد رأسيها فى الماء أو غيره من الرطوبات المائية ، ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه ، فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذى فى الماء » .
(٦) الحدقة ، محركة : سواد العين . وفى الأصل : « الحذقة » بالذال .
(٧) فى الأصل : « وهن » وهو تحريف لا يلائم السياق .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) أراد بالعدل ههنا الوسط . ط : « مقدار أعدل » صوابه فى سه، هـ .

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور[١] .

ويزعمون أن عين حوارا[٢] ترمى بمثل الزنوج .

فتجدُ الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنسَ أبيضَ إذا قلَّ عمقه ، وأخضَرَ إذا كان وسطاً ، وأسودَ إذا بعُدَ غَوْرُه .

(تحقيق فى لون المـاء)

ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه ، وما يقابله . فدلَّ ذلك على أنه ليس بذى لون ، وإنما يعتريه فى التخييل لونُ ما يقابله ويحيط به . ولعلَّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع فى العينِ أموراً ، فيظنَّ الإنسان مع قُرب المجاورةِ والالتباس ، أن هذه الألوان المختلفة إنما هى لهذا الماء الرائق الخالص ، الذى لم ينقلب فى نفسه ، ولا عرَضَ له ما يقْلبه . وكيف يعرض[٣] له ويقلبه وعينُ كل واحد منهما غيرُ عينِ صاحبه ؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر ، متى أخذ منه أحدٌ غُرفة رآه كهيئته إذا رآه قليل العُمق .

(تشابه المـاء والهواء)

ويتشابهان[٤] أيضاً لسُرعة قبولهما للحر والبرد ، والطِّيبِ والنَّتْن ، والفساد والصلاح .

---

(١) الدردور ، بضم الدالين بينهما راء ساكنة : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لا تكاد تسلم منه السفينة ، وهو فى اللغة الفرسية بهذا اللفظ والمعنى . استينجاس ٥١١ وهو الذى تدعوه العامة : « الدوامة » : Whirlpool . وانظر عجائب المخلوقات ١٠٧ عند الحديث فى (بحر الصين) وما فيه من الدردور .

(٢) لم أجد ذكرا لهذه العين فيما لدى من المراجع ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٣) فى الأصل : « يعترض » .

(٤) ط ، س : « يتشابها » هـ : « وينشأ بها » ووجهه ما أثبت . والضمير للماء والهواء .

(حجة للنظام فى الكمون)

قال أبو إسحاق : قال الله عزّ وجلّ [عند[١]] ذكر إنعامه على عباده وامتنانه على خلقه ، فذكَر ما أعانهم به من الماعون[٢] : ﴿ أفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ[٣] ﴾ ، وكيف قال « شَجَرَتَهَا » وليس فى تلك الشجرة شىء . وجوفها وجوفُ الطَّلَقِ[٤] فى ذلك سواء . وقدرة الله على أن يَخلق النار عندَ مسِّ الطَّلَق ، كقدرته على أن يخلقها عند حكّ العود . وهو ، تعالى وعز ، لم يُرِد فى هـذا الموضع إلا التعجيبَ[٥] من اجتماع النار والمـاء .

وهل بين قولـكم فى ذلك وبين من زعم أن البذر[٦] الجيِّد والرديّ والماء العذب والملح ، والسَّبَخَة[٧] والخَبِرَة[٨] الرِّخوة ، والزمان المخالفَ والموافقَ ، سواء ، وليس بينها[٩] من الفرْق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه[١٠] ﴿ حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلا[١١] ﴾ دون تلك الأضداد .

---

(١) الزيادة من س ، ه .

(٢) الماعون : ما يستعان به كالقدر و الفأس و الدلو و القصعة .

(٣) سورة الواقعة الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٤) الطلق ، مر تفسيره فى التنبيه ١ ص ٨٤ .

(٥) عجبه تعجيبا : نبهه على التعجب وحمله عليه . ط ، ه : « التعجيز » س : « التعجير » صوابهما ما أثبت .

(٦) البذر : حب الزرع . وفى الأصل : « البدن » وهو تحريف .

(٧) السبخة ، محركة ومسكنة : أرض ذات نز وملح ، جمعها سباخ . س : « السخنة » محرف .

(٨) الخبرة بفتح فكسر : شجراء فى بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ . وفى الأصل : « الحرة » ، وهى بفتح الحاء وتشديد الراء : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . والصواب ما أثبت .

(٩) فى الأصل : « بينهما » بضمير الاثنين ، والحق أن الضمير عائد إلى الجميع .

(١٠) أى البذر الجيد ، والماء العذب ، والزمان الموافق .

(١١) الآيات ٢٧ — ٢٩ من سورة عبس .

ومن قال بذلك وقاسه[١] فى جميع ما يلزم من ذلك ، قال كقول الجهمية فى جميع المقالات ، وصار إلى الجهالات ، وقال بإنكار الطبائع والحقائق .

وقال الله عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[٢] ﴾ .

ولو كان الأمر فى ذلك على أن يخلقها[٣] ابتداء لم يكن بين خلقها عند أخضر الشجر وعند اليابس الهشيم فرق[٤] ، ولم يكن لذكر الخضرة الدالة على الرطوبة معنًى .

(تعقيب)

وقد ذكرنا جملةً من قولهم فى النار . وفى ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب . وهو مقدارٌ قصدٌ ، لا طويلٌ ولا قصير .

فأما القولُ فى نار جهنم ، وفى شُواظها[٥] ودوامها وتسعُّرها وخبوِّها[٦] والقول فى خلق السماء من دُخَان والجانِّ من نار السَّموم[٧] ، وفى مَفْخَر ٣٣

---

(١) فى الأصل : « وقاده » . وانظر مثل ما صححته به فى ص ٩ س ٥ .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وفى الأصل : « هو الذى » بزيادة « هو » وذلك سهو مستنكر من الجاحظ نبهت على نظائره فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ و ٥ : ٣٢) والحمد لله . وفى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨) : أن الأعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين ، وهما أخضران يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ ، وهو ذكر ، والعفار ، وهو أنثى ، فتنقدح النار بإذن الله .

(٣) فى الأصل « يخلقهما » وإنما الضمير للنار .

(٤) فى الأصل : « عند اخضرار الشجر اليابس الهشيم فرق » وفيه تحريف ونقص .

(٥) شواظ النار : لهبها الذى لا دخان فيه . وسيأتى الحديث عن الشواظ فى ص ٩٩ . وفى الأصل : « سوادها » .

(٦) خبوها : سكون لهبها . وفى الكتاب العزيز : « كلما خبت زدناهم سعيرا » . سورة الإسراء ٩٧ .

(٧) السموم : الريح الحارة ، أو نار لا دخان لها ، انظر تفسير البحر (٥ : ٤٥٣) .

النار على الطين ، وفى احتجاج إبليس بذلك — فإنا سنذكر من ذلك جملة فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى حسن النار)

ونحن راجعون فى القول فى النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول فى صدر هذا الكلام ، حتى نأتى من أصناف النيران على ما يحضرنا ، إن شاء الله تعالى

قالوا : وليس فى العالم جسمٌ صِرْفٌ غير ممزوج ، ومرسلٌ غير مركب ، ومُطلق القُوَى ، غير محصور ولا مقصور[١] أحسنُ من النار .

قال : والنار سماوية عُلْوية ؛ لأن النار فوق الأرض ، والهواء فوق الماء ، والنار فوق الهواء .

ويقولون : « شراب كأنه النار » ، و « كأن لونَ وجهها النار » . وإذا وصفوا[٢] بالذكاء قالوا : « ما هو إلا نار » وإذا وصفوا حمرة القِرمز[٣] وحمرة الذهب قالوا : « ما هو إلا نار » .

قال وقالت هند[٤] : « كنتُ والله فى أيام شبابى أحسنَ من النار الموقَدَة[٥] ! » .

---

(١) مقصور : أى محبوس . وفى الأصل : « مصور » تحريف .

(٢) فى الأصل : « وصفوه » .

(٣) القرمز ، كما فى اللسان : « صبغ أرمنى أحمر ، يقال : إنه من عصارة دود يكون فى آجامهم ، فارسى معرب » . ونحوه فى المعرب ٢٧١ . وقد تكلمت به العرب قديماً كما فى المعرب ٢٦٩ وجمهرة ابن دريد (٣ : ٣٧٣) . وقد وصفه داود الأنطاكى وصفاً مشبعا . وقال : « وأكثر ما يتولد بقبرس » ، وكذلك وصفه استينجاس فى معجمه ٩٦٦ بأنه حشرة تتولد على شجر خاص ، ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . وفى ط ، هـ : « العرض » صوابه فى س .

(٤) هى هند بنت الخس ، وقد نعتها الجاحظ فى البيان (١ : ٢٠٥) نعتا عجيباً ، وتسمى أيضاً « هند الزرقاء » . والخبر فى ثمار القلوب ٤٦٠ مسبوقا بعبارة « وقالت أخرى » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وقالت امرأة » .

(٥) عبارة الثعالبى : « كنت فى أيام شبابى أحسن من النار الموقدة » . وفى المحاضرات : « أنا والله أحسن من النار الموقدة » : وفى أصل الحيوان : « هذا والله وأنا أحسن من النار الموقدة » . وقد أصلحت الكلام من النصين السابقين .

وأنا أقول : لم يكن بها حاجةٌ إلى ذكر « الموقَدَة » وكان قولها : « أحسنَ من النار » يكفيها . وكذلك اتهمتُ هذه الرواية(١) .

وقال قُدَامة حكيم المشرق(٢) فى وصف الذِّهن(٣) : « شُعاعٌ مركوم(٤) ونَسَمٌ معقود(٥) ، ونورٌ بصاص(٦) . وهو النار الخامدة(٧) ، والكبريت الأحمر(٨) » .

ومما(٩) قال العتَّابى(١٠) : « وجمالُ كل مجلس بأن يكون سَقْفهُ أحمرَ ، وبساطُه أحمر » .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من سه .

(٢) ليس هو قدامة بن جعفر بن قدامة صاحب نقد الشعر ، ونقد النثر ، فذا توفى حوالى سنة ٣٣٧ . وقد يكون الجاحظ أراد « قدامة » جد هذا ، ولكنى لم أجد ما أتحقق به ولم أجد ذكراً له فيما لدى من المراجع ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . وانظر نقد النثر ص ٣٣ من المقدمة . وقد ذكر الجاحظ « قدامة » مرة أخرى فى كتاب فخر السودان من مجموعة الرسائل ص ٦٦ ساسى عند الحديث على قبة حصن غمدان . قال : « وفيها يقول قدامة حكيم المشرق — وكان صاحب كيمياء — :

فأوقد فيها ناره ولو انها أقامت كعمر الدهر لم تتضرم »

(٣) الذهن ، أى الفكر . سه : « الدهن » محرف . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) « الذهب » تصحيف .

(٤) مركوم : مجموع .

(٥) النسم ، بالتحريك : نفس الريح إذا كان ضعيفاً . وهو النسيم أيضاً . وفى المحاضرات « نسيم » .

(٦) البصاص : اللماع البراق . بص يبص ، بكسر الباء .

(٧) النار الخامدة : التى لا لهب لها . ط ، هـ : « الجامدة » بالجيم ، س : « الحامية » صوابهما ما أثبت .

(٨) الكبريت الأحمر ، يدخل فى عمل الذهب عند أهل الصنعة ، انظر الجماهر ١٠٣ والمواقف للايجى ٢٢٨ ، ويسمونه : حجر الفلاسفة . The Philosopher's stone كما فى معجم استينجاس ١٠١٢ ، وانظر الكلام على « حجر الصنعة » فى مفاتيح العلوم ١٥٠ . أراد أن الذهن يبدع أمورا نفيسة كما يبدع الكبريت ، هذا الحجر ، الذهب ، فيما يرى الحكماء . وقد ضربه الأدباء مثلا للندرة فقالوا : « أندر من الكبريت الأحمر ! » . وبه لقب شيخ الصوفية محيى الدين بن عربى .

(٩) فى الأصل : « وربما » .

(١٠) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) وكان شاعرا =

وقال بشّار بنُ بُرْد :

هِجانٌ عليها حُمْرةٌ فى بياضها ... تَرُوق بها العَيْنَين والحسنُ أحمرُ(١)

وقال أعرابىٌّ :

هِجانٌ عليهـا حمرةٌ فى بياضِها ... ولا لون أدنَى للهجان من الُخمْرِ

(تعظيم الله شأن النار)

قال : ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم فى الآخرة من جميع أعدائه . وليس يستوجبها بَشرىٌّ منْ بَشَرِىّ ، ولا جنىٌّ من جنىّ(٢) بضغينة ولا ظلم ، ولا جناية ولا عُدْوان ، ولا يستوجب(٣) النار إلا بعداوة الله عز وجلّ وحده ، وبها يَشْفِى صدورَ أوليائه من أعدائهم فى الآخرة

(عظم شأن ما أُضيف إلى الله)

وكل شىء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّمَ شأنه ، وشدَّد أمره . وقد فَعَل ذلك ، بالنار فقالوا بأجمعهم : دَعْهُ فى نار الله وسقَرِه(٤) ، وفى غضب

= نائرا . وفيه يقول يحي بن خالد البرمكي لولده : « إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره فلن تروا أبدا مثله ! » الأغاني (١٢ : ٤) .

(١) الهجان : البيضاء ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع : ويفهم من صنيع الجاحظ أنه أورد المثل بمعنى أن الحسن فى الحمرة . ونظيره — وإن لم يكنه — تأويل أبى السمح فى أمثال الميداني (١ : ١٨١) . وفى الجماهر للبيرونى ٢٢٤ : « فخلو البياض عن الحمرة غير مستحسن فى أبشار البشر . ولأجله قالوا : الحسن أحمر » واستشهد بهذا البيت ، وكذا بقوله :

وإذا دخلت تقنعى بالحسن إنَّ الحسن أحمر

لكنه فسر أيضا بمعنى أن من طلب الجمال احتمل المشقة ، أو أنه يلقى منه ما يلقى صاحب الحرب من الحرب .

(٢) من ، فى هذ التعبير بمعنى البدل ، وفى الكتاب : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » .

(٣) ط : « تستوجب » وتقرأ بالبناء للمجهول . وأثبت مافى س ، هـ وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٤) سقر : علم لنار الآخرة . اختلف فى عربيته . س : « وفى سقره » بزيادة « في » .

الله ولعنته ، وسَخَط الله وغضبه . هما ناره أو الوعيدُ بناره ، كما يقال : بيتُ الله ، وزُوّار الله[1] ، وسماء الله ، وعرشُ الله .

(المِنّة الأولى بالنار)

ثم ذكرها فامْتَنّ بها على أهل الأرض من وجهين : أحدهما قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[2] ﴾ فجَعَلَها من أعظم الماعون معونة ، وأخفها مَؤُونة .

(استطراد لغويّ)

والماعون الأكبر : الماء والنار ، ثم الكَلأ والملح .

قال الشاعر في الماعون بيتاً جامعاً ، أحسن فيه التأدية حيث قال :

لا تَعْدِلَنّ أتاوِيِّينَ قد نزلوا وَسْطَ الفَلاةِ بأصحابِ المُحِلّاتِ[3]

والمُحِلّات هي الأشياء التي إذا كانت مع المسافرين حَلّوا حيثُ شاءوا ، وهي القَدّاحة ، والقِرْبة ، والمِسْحاة[4] . فقال : إياك أن تَعْدِلَ ، إذا أردت النُّزولَ ، مَنْ مَعَهُ أصنافُ الماعونِ بأتاوِيِّين ، يعني واحداً أتى مِنْ هاهنا ،

(١) زوار الله : أي زوار بيته ، وهم الحجاج . وقد سبق مثل هذه المضافات في (١ : ٣٤١ و ٢ : ١٨١ — ١٨٢) .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وقد تقدم القول فيها في التنبيه ٢ ص ٩٣ .

(٣) الأتاوي ، بفتح الهمزة : الغريب في غير وطنه . وفي الأصل : « بآلات محلات » صوابه في البيان (٣ : ٢٣) والمخصص (١٣ : ٢٢٥) واللسان (حلل ، أتو) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) . وصدر البيت في جميعها :
« لا يعدلن أتاويون تضربهم نكباء صر . . . » . ففي هذه قد حذف المفعول : أي لا يعدلن أتاويون (أحدا) بأصحاب المحلات ، أي أنهم يعتمدون على أصحاب المحلات ولا يرون أحداً ينفع نفعهم . وقرئت هذه الرواية بالبناء للمفعول : أي ليس هؤلاء كهؤلاء .

(٤) في المخصص أنها : « القدر والرحى والدلو والشفرة والفأس » ، وفي البيان أنها : « الدلو والمقدحة والقربة والفأس » . وفي اللسان أنها : « القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند » .

وآخر أتي من هاهنا . كأنهم جماعةٌ التقَوْا من غيرِ تعريف بنسب ولا بلد ، وإذا تجمعوا أفذاذاً[١] لم يكمل كلّ واحدٍ منهم خصال المحِلاَّت .

قال أبو النجم[٢] :

يَضَعْنَ بالقَفْرِ أَتَاوِيَّاتِ[٣] مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ[٤]

وقالت امرأة من الكفار، وهى تحرِّض الأوسَ والخزْرجَ ، حين نزل فيهم النبي ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[٥] :

أطعْتُمْ أتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ

ولم تُرِدْ أنهما[٦] أشرفُ من قريش ، ومِن الحيّيْن كعبٍ وعامر ؛ ولكنها أرادت أن تؤلِّبَ[٧] وتُذْكِىَ العصبيّة[٨] .

---

(١) الفذ : الفرد ، جمعه أفذاذ وفذوذ .

(٢) نسبه فى اللسان (٩ : ٤١ و١٨ : ١٦) إلى حميد الأرقط ، وهوشاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . انظر لترجمته الخزانة (٢ : ٤٥٤ بولاق) . ولم أجد له في الأغاني إلا أنه كان أحد بخلاء العرب الأربعة ، وهم : الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبوالأسود الدؤلى ، وخالد بن صفوان . الأغانى (٢ : ٤٤ ساسى) .

(٣) يضعن، من الوضع : وهوضرب من العدو فوق الخبب . ورواية اللسان : « يصبحن ». والأتاويات : الغريبات ، أى غريبات لتقدمهن وسبقهن صواحبهن .

(٤) معترضات : أى نشيطات لم يكسلهن السفر . غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط منشيمهن . وفى ط، س « غير عرضات» . وفى س : « غيرها عريضات » صوابهما من اللسان (٩ : ٤١ و١٨ : ١٦) . والبيتان على هذا الترتيب فى الموضع الأول من اللسان ، وعلى عكسه في الموضع الثاني .

(٥) في اللسان (١٨ : ١٦) : «ومنه قول المرأة التى هجت الأنصار» . وهذه المرأة هى عصماء بنت مروان ، وهى من بني أمية بن زيد . وكانت إحدى المنافقات اللاتى ظهرن فى عهد الرسول ، وقالت أربعة أبيات تعيب فيها الإسلام وأهله . والبيت الذى رواه الجاحظ ثانيها . وانظرها بتمامها في السيرة ٩٩٥ جوتنجن . وقد أجابها حسان بشعر ، ثم سرى عليها عمير بن عدى الخطمى فقتلها في بيتها ، وكان مقتلها سبباً في إسلام كثير من أهلها .

(٦) أى قبيلتي مراد ، ومذحج .

(٧) التأليب : التجميع على عداوة ، والتحريض . س ، ه : «تولب» بالتسهيل .

(٨) تذكى العصبية : تشعل نارها ، وفى الأصل : « تذكر » ولعل وجهه ما أثبت .

(اختيار ما تبنى عليه المدن)

وقالوا : لا تُبْتَنَى المدنُ إلا عَلَى الماء والكلإ والمحتطب . فدخلت النار فى المحتطَب ؛ إذ كان كلُّ عود يورَى .

(المنّة الثانية بالنّار)

وأما الوجه الآخرُ من الامتنان بها ، فكقوله تعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ [١] ﴾ ثم قال على صِلَة الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . وليس يريد أنّ إحراقَ الله عز وجلّ العبدَ بالنار من آلائه ونعمائه . ولكنه رأى [٢] أن الوعيدَ الصادق إذا [كان [٣]] فى غاية الزجر عما يُطغيه ويُرْديه [٤] فهو من النعم السابغة والآلاء العظام . وكذلك نقول فى خلق جهنم : إنها نعمة عظيمةٌ ، ومِنَّةٌ جليلةٌ ، إذا كان زاجراً [٥] عن نفسه ناهياً ، وإلى الجنة داعياً . فأما الوقوع فيها فما يُشَكُّ أنه البلاء العظيم .

وكيف تكونُ النقمُ نِعَماً ! ولو كانت النقمة نعمةً لكانت رحمة ، ولكان السّخط رضا [٦] وليس يَهلكُ عَلَى [٧] البينة إلا هالك . وقال الله عزّ وَجلّ : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ [٨] ﴾ .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الرحمن . والنحاس ، بالضم : اللهب بلا دخان .

(٢) في ثمار القلوب ٤٥٧ : « أراد » وهو أوفق ، وإن كان المؤدى واحدا .

(٣) هذه من س وثمار القلوب .

(٤) يرديه ، من الردى وهو الهلاك . وفى الأصل : « يؤذيه » صوابه فى ثمار القلوب .

(٥) ط ، هـ : « زجرا » صوابه فى س .

(٦) ط ، س : « رضي » .

(٧) على ، هنا ، بمعني المجاوزة . وهى تؤدى معنى « عن » فى الآية التالية .

(٨) الآية ٤٢ فى سورة الأنفال . و« عن » فى الآية بمعنى « بعد » . وفى الكتاب : « عما قليل ليصبحن نادمين » ، « لتركبن طبقا عن طبق » .

(عظات للحسن البصرى)

وقال الحسن : « واللهِ يا ابنَ آدم ، ما تو بقُكَ إلا خطاياك ! قد أُريدَ بك النجاةُ فأبيتَ إلا أن تو قِعَ نفسَك » !

وشهِد الحسَنُ بعضَ الأمراء ، وقد تعدّى إقامةَ الحدّ ، وزاد فى عددِ الضرب ، فكلمه فى ذلك ، فلما رآهُ لايقبلُ النصح قال : أمَا إنكَ لاتضرِبُ إلا نفسكَ ، فإن شئْتَ فقَلِّلْ ، و إن شئتَ فكثِّر .

٣٥ وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ [1] ﴾ .

(عقاب الآخرة وعقاب الأولى)

والعقاب عقابان : فعقاب آخرةٍ ، وعقابُ دنيا . فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيَّةٌ منْ وجه ، ونعمةٌ من وجه ؛ إذ كان يؤدِّى إلى النعمة و إن كان مؤلما . فهو عن المعاصى زاجرٌ ، و إن كان داخلا فى باب الامتحان والتعبُّد، مع دخوله فى باب العقاب والنعمة ؛ إذ كان زجراً ، وتنكيلا لغيره . وقد كلَّفنا الصبرَ عليه ، والرضا به ، والتسليمَ لأمر الله فيه .

وعقاب الآخرة بلاء صِرْف ، وخزىٌ بَحْت . لأنه ليس بِمُخْرَجٍ منه [2] ، ولا يحتمل وجهين .

(معارف فى النار)

وقال أبو إسحاقَ : الجمرُ [3] فى الشمس أصهب ، وفى الفىء أشكلُ [4] ، وفى ظلِّ الأرض — الذى هو الليل — أحمر . وأىُّ صوتٍ خالطَتْه النار فهو

---

(١) من الآية ١٧٥ فى سورة البقرة .

(٢) ط ، س : « بمخروج » وأثبت ما في هـ . وكلمة «منه» ساقطة من س ، هـ .

(٣) في الأصل : « الحمر » صوابه ما كتبت .

(٤) الصهبة : بياض تخالطه حمرة . و الشكلة : سواد تخالطه حمرة .

أشد الأصوات ، كالصاعقة ، والإعصار الذى يخرج من شقّ البحر[١] ، وكصوت المُوم[٢] ؛ والجَذْوَةِ من العود إذا كان فى طرَفِه نارٌ ثم غمستَه[٣] فى إناء فيه ماء نَوَّى مُنْقَع .

ثم بالنار يعيشُ أهلُ الأرض من وجوه : فمن ذلك صنيعُ الشمس فى بردِ الماء والأرض ؛ لأنها صِلاء جميعِ الحيوان ، عند حاجتها إلى دفع عاديةِ البردِ . ثمّ سراجُهم الذى يستصبحون به ، والذى يميزون بضيائه بين الأمور .

وكلُّ بخار يرتفع من البحار والمياهِ وأصول الجبال ، وكل ضبابٍ يعلو ، وندًى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة عَلَى جميع النبات والحيوان — فالماء الذى يحلُّه ويلطِّفه ، ويفتحُ له الأبوابَ ، ويأخُذُ بضَبْعه[٤] من قعر البحر والأرضِ النارُ[٥] المخالطة لهما من تحتُ والشمسُ من فوق .

(عُيون الأرض)

وفى الأرض عيونُ نار ، وعيونُ قَطِران ، وعيون نِفْط وكباريت[٦] وأصناف جميع الفِلِزّ[٧] من الذهب والفضة والرَّصاص والنُّحاس . فلولا

---

(١) الشق ، بالكسر : الناحية والجانب . عنى الأعاصير الجنوبية التى تهب من قبل بحر فارس ، وهو فى المنطقة الحارة .

(٢) الموم ، بالضم : الشمع ، فارسى معرب . وفى الأصل : « الحرم » .

(٣) ط : « غمسه » صوابه من س ، هـ .

(٤) الضبع ، بالفتح : العضد كلها أو أوسطها . وأخذ بضبعه : عاونه .

(٥) كلمة « النار » هى خبر « الذى » .

(٦) كباريت : جمع كبريت . وفى اللسان : « الليث : الكبريت عين تجرى ، فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أبيض وأصفر وأكدر » .

(٧) الفلز : جواهر الأرض كلها ، وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى ، وكهجف وعتل : (Metal) وهو لفظ عربى . وفى حديث على : « من فلز اللجين والعقيان » وفى الحديث : « كل فلز أذيب » هو من ذلك . وقد نقل بلفظه إلى الفارسية . انظر استينجاس ٩٣٧ .

مافى بطونها من أجزاء النار لما ذَابَ فى قعرها جامدٌ ، ولَمَا انسبك فى أضعافها شيءٌ من الجواهر ، ولَمَا كان لمتقاربها جامع ، ولمختلفها مُفَرِّق[١] .

(ما قالت العرب فى الشمس)

قال : وتقول العرب « الشمسُ أرحَمُ بنا[٢] » .

وقيل لبعض العرب : أىُّ يومٍ أنفع[٣] ؟ قال : يومُ شَمَالٍ وشَمْس .

وقال بعضهم[٤] لامرأته .

تَمَنَّيْنَ الطَّلَاقَ وأنتِ عِنْدِى ‏ ‏ ‏ ‏ بِعَيْشٍ مثلِ مَشْرُقَةِ الشَّمَالِ[٥]

وقال عُمَرُ : « الشمسُ صِلاءُ العرب » . وقال عُمَرُ : « العربىُّ كالبعير ، حيثما دارت الشمسُ استقبلَهَا بهامَتِه » .

---

(١) أى أن النار تجمع الجواهر المتقاربة ، وتفرق الجواهر المختلفة . قال البيرونى فى الجماهر ٢٦٥ : « والطبيعيون بأسرهم مجمعون على تحديد الحرارة والنار بأنها الجامعة للأشياء المتجانسة ، والمفرقة بين غير المتجانسة . ومثَّله الكندى شارحا فقال : « من خاصية النار جمع أجزاء كل واحد من الأجساد المعدنية جملة واحدة محدودة ، وتفريق الممتزجة منها إذا اختلفت جواهرها . لأنها تحرق ما لاقت على قدر من الزمان ، فإذا لاقتهما ممتزجين أقبلت على إحالة أضعفهما بالاحتراق حتى تفنيه ويبقى الأقوى » . وفى المواقف ١٢٢ : « قال ابن سينا : الحرارة تفرق المختلفات ، وتجمع المتماثلات » . وقد تحدث الإيجى فى تفصيل هذا الكلام وتحقيقه . وفى أصل الحيوان : « لقواها جامع » واختلفت النسخ فى الجملة بعدها ، ففى ط : « ولجنها مفرق » ه : « ولحبتها مفرق » س : « ولحبتها ملزق » وقد صححته بما ترى .

(٢) انظر تعليق الجاحظ على هذا التعبير ونحوه فى (٣ : ٣٦٥) وهو تعليق طريف .

(٣) ه : « أرفع » .

(٤) فى عيون الأخبار (٤ : ١٢٥) : « وقال أعرابى » . والبيت فى المخصص (٩ : ٢٣) ومختصر تهذيب الألفاظ ٢٣٤ .

(٥) مشرقة الشمس ، بفتح الميم وتثليث الراء : موقعها فى الشتاء ودفؤها ، وهو الموضع الذي تشرق عليه . والشمال : الريح الشمالية ، وهى ريح باردة . ط : « تعيشى » س ، ه : « نعيش » صوابهما من المصادر السابقة . والرواية في جميعها عدا عيون الأخبار : « تريدين الفراق » . وفى جميعها عدا مختصر تهذيب الألفاظ : « وأنت منى » .

ووصف الرّاجز[١] إبلا فقال :

تستقبل الشمسَ بجُمْجُماتها[٢]

وقال قَطِران العبسى[٣] :

تستأسد القُرْيَانِ حُوٍّ تِلاعَهُ   فنُوّارُهُ مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ[٥]   ٣٦

(الخِيرِىّ)

والخِيرِىُّ[٥] ينضم ورقُهُ بالليل ، ويَنْفتح بالنهار .

---

(١) هو عمر بن لجأ التيمى . وفى الأصمعيات ٢٠ : « وقال ابن نجاء التيمى » صوابه ما أثبت وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢١٢) ، والبيت من أرجوزة عدتها أحد عشر بيتا فى وصف الإبل ، أولها :

أنعتها إني من نعاتها

(٢) رواية الأصمعيات : « واتقت الشمس بجمجماتها » .

(٣) كذا فى الأصل ، والبيت من قصيدة للحطيئة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ٨ — ١٢ . وأما القطران فلم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكر صاحب اللسان أنه سمى بذلك لقوله .

أنا القطران و الشعراء جربى   وفى القطران للجربى هناء

(٤) استأسد النبت : طال . والقريان ، بضم القاف : جمع قري ، كغنى ، وهو مسيله من التلاع . والحو : جمع أحوى ، وفي الديوان : « حونباته » . والنوار ، كرمان : جمع نوارة ، وهى الزهرة . ميل ، بالكسر : جمع مائل وزنه فعل بضمتين ثم أعل . وجمع فاعل على فعل له نظائر فى كتاب سيبويه (٢ : ٢٠٦ س ١٠ — ١٢) وأتى به جمعا ، لتقدير الزاهر بمعنى الزاهرات ، وبهذا استشهد ابن جنى لتأويل قول ساعدة بن جؤية : «ضباب تنتحيه الريح ميل » . انظر اللسان (١٤ : ١٥٩) . قال : « وقد يجوز أن يكون ميل واحدا كنقض ونضو ومرط » . والزاهر : المشرق الحسن .

(٥) الخيري ، بكسر أوله : نبات له زهر بعضه أبيض ، وبعضه فرفيري ، وبعضه أصفر كما في المعتمد ، ويقال له : المنثور (Cheiranthus cheiri) ولم أجد له ذكرا فى اللسان والقاموس ، مع أن الجوهري ذكره فى آخر مادة (خير) من الصحاح وقال : إنه معرب . وقد أخذه العرب عن الفارسية أو عن اللاتينية ، ولفظه بالفارسية كلفظه بالعربية مع تخفيف الياء الأخيرة . وقد عد استينجاس من أنواعه فى ٤٩٢ : خيرى خزامى ، ولونه أحمر وأبيض ، وخيري خطائى ، وهو أسود ، وخيري شيرازي ، وهو أصفر ، وخيرى ميرديني ، وهو بنفسجى أو ذو سبعة ألوان . وبرياض الخيرى والبنفسج تشبه زغب الشوارب والأعذرة ، انظر الجماهر للبيروني ص ١٣ .

[و] لإسماعيل بن غَزْوان[1] فى هذا نادرةٌ . وهو أن سائلا سألنا ، من غير أهل الكلام ، فقال : ما بالُ ورق الخيرىّ ينضم بالليل وينتشرُ بالنهار؟ فانبَرَى[2] له إسماعيلُ بنُ غَزْوان [فقال[3]] : لأن بردَ الليلِ وثقلَه ، من طباعهما الضمُّ والقبض والتنويم ، وحرّ شمس النهار[4] من طباعه الإذابة ، والنشر ، والبسط ، والخفّة ، والإيقاظ . قال السائل : فيما قلت دليلٌ ، ولكنه ! قال إسماعيل : وما عليك أن يكون هذا فى يدك ، إلى أن تصيبَ شيئاً هو خيرٌ منه .

(تسرُّع الحُمْر الألوان ، وفالج ذوى البدانة)

وكان إسماعيل أحمرَ حَليا . وكذلك كان الحرامىّ[5] . وكنت أظن بالحمر الألوان[6] التسرعَ والحدّةَ ، فوجدت الحلْمَ فيهم أعمّ . وكنت أظن بالسمان الخِدالِ[7] العظامِ أنّ الفالجَ إليهم أسرَعُ ، فوجدتُهُ فى الذينَ يُخالفون هذه الصِّفَةَ أعمَّ .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) . وكان معاصرا الجاحظ .

(٢) انبرى له : اعترض له . ط : « انبرأ » بالهمز سه ، هـ : «انبرا» صوابه ما أثبت.

(٣) هذه التكملة من سه ، هـ .

(٤) ط ، هـ « الشمس » . وأثبت ما فى سه .

(٥) الحرامى ، هو أبو محمد عبد الله بن كاسب . وقد تقدمت ترجمته فى (٣ : ٢٣٧) ولعله منسوب إلى « بنو حرام » بالراء المهملة ، وهى خطة كبيرة بالبصرة .

(٦) ط : « بالحمراء الألف أن » تحريف .

(٧) الخدال ؛ بكسر الخاء المعجمة : جمع خدل ، وهو الممتلئ الأعضاء لحما فى رقة عظام . وفى الأصل : « الجدال » بالجيم ، تصحيف ، وقد سبقت هذه الكلمة فى (١ : ١٥٠ س ١) .

(أثر الشمس والحركة والجوّ فى الأبدان)

وقال إياسُ بن معاوية : « صِحّةُ الأبدان مع الشمس » ذهب[١] إلى أهل العَمَد[٢] والوبر .

وقال مثنَّى بن بشير[٣] : « الحركة خير من الظل والسُّكون » .

وقد رأينا لِمَن مدح خلاف ذلك كلامًا[٤] ، وهو قليل .

وقيل لابنة الخُسِّ[٥] : أيُّما أشدُّ : الشتاء أم الصيف ؟ قالت : ومن يجعل الأذى كالزمانة[٦] ؟!

وقال أعرابىّ : لاتَسُبُّوا الشمال[٧] فإنها تضعُ أنفَ الأفعى ، وترفع أنف الرِّفقة[٨] .

---

(١) ط : « ذهبت » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الليث : « يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عمود وأهل عماد » . كذا فى اللسان . وفيه أيضا : « ولايقال أهل العمد » . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وهى جمع عمود .

(٣) مثنى بن بشير ، يروى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٧ .

(٤) ط : « وقد رأينا من مدح خلاف ذلك » باسقاط اللام والكلمة الأخيرة . وأثبت فى ما س ، هـ .

(٥) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط ، الإيادية وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى فى أمالى القالى (١ : ١٩٩ و ٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ و ٣ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت تأتي سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) . وقد وافت هى وأختها « جمعة » سوق عكاظ فى الجاهلية فاجتمعا عند القامس الكنانى ، فسألها واختبرهما فى مسائل كثيرة . انظر بلاغات النساء لابن أبى طاهر طيفور ص ٥٨ — ٦٤ . وفى ط ، س : « لأبنة إياس » هـ : « لا بنة » فقط . والوجه ما أثبت .

(٦) الزمانة ، كسحابة : العاهة والآفة . وفى البيان (١ : ٢٠٥) : « وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كأذى » .

(٧) ط : « لا تسب الشمال » وأثبت ما فى س ، هـ .

(٨) الرفقة ، مثلثة الراء : الجماعة المترافقون فى السفر . هـ : « الرقعة » تحريف

وقال خاقانُ بن صبيح[1] ، وذكر نُبْلَ الشتاء وفضلَه عَلَى نُبْلِ الصيف فقال: «تغيب فيه الهوام ، وتنجحر فيه الحشرات[2] ، وتظهر الفرْشَة والبزّةُ[3] ويكثرُ فيه الدّجْن[4] ، وتطيب فيه خِمْرة البيت[5] ، ويموت فيه الذّبان والبَعوض ، ويبرُد الماء ، ويسخُن الجوفُ ، ويطيبُ فيه العِناق[6] » .

وإذا ذكرت العربُ بَرْدَ الماء وسخونة الجوف قالت: « حِرّة تحت قِرّة[7] » .

ويجود فيه الاستمراء[8] ؛ لطول الليل ، ولتَفصِّى الحرّ[9] .

---

(١) خاقان بن صبيح : أحد معاصرى الجاحظ . وقد جعله فى زمرة البخلاء ١٦ ، ٨٨ ، ١٠٩ .

(٢) تنجحر : بتقديم الجيم على الحاء : تدخل فى الجحر ، وفى الأصل : « تنحجر » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الفرشة ، وتقرأ بكسر الفاء على الهيئة من الفرش . ط فقط «الفرش» وهى جمع فراش والفراش ، بالكسر : ما افترش ، جمعه أفرشة وفرش ، بضمتين . سيبويه : وإن شئت خففت فى لغة بنى تميم . والبزة ، بالكسر : الهيئة والشارة واللبسة .

(٤) الدجن : ظل الغيم فى اليوم المطير . وفى الأصل: «الدخن» ، وهو بالتحريك بمعنى الدخان وليس بشى .

(٥) الخمرة ، بتثليث الخاء : الرائحة الطيبة . ط ، سه: « حمرة » بالمهملة صوابه فى ه .

(٦) الكلام من مبدأ « ويموت » ساقط من سه.

(٧) فى اللسان أنه مثل للذى يظهر خلاف ما يضمر (٦ : ٣٩١) . والحرة ، بالكسر : الحرارة . والقرة ، بالكسر : البرد . وفى اللسان (٥ : ٢٥١) : « ويقال : إنما كسروا الحرة لمكان القرة » .

(٨) الاستمراء : أن يجد طعامه قد انحدر طيبا عن معدته لم يثقل عليها .

(٩) تفصى الحر : ذهابه وخروجه ، وفى اللسان « أفصى الحر : خرج . ولا يقال فى البرد » . وفى الحديث أنه ذكر القرآن فقال : « هو أشد تفصيا من قلوب الرجال من النعم من عقلها ! » أي أشد تفلتا وخروجا . وفى الأصل : « لتبطى » والوجه ما أثبت .

وقال بعضهم : لا تُسَرَّنَّ بكثرة الاخوان ، مالم يكونوا أخياراً ؛ فإن الإخوان غيرَ الخِيار بمنزلة النار ، قليلُها متاعٌ ، وكثيرها بوار[١] .

(نار الزَّحفتين)

قال : ومن النيران « نار الزَّحْفَتَيْنِ » ، وهى نار أبى سريع . وأبو سريع هو العَرْفَجُ[٢] .

وقال قُتيبة بن مسلم[٣] ، لعُمَرَ بن عبَّاد بن حُصين : والله لَلسُّؤْدُدُ أسرعُ إليك من النار فى يبيس[٤] العَرْفج !

وإنما قيل لنار العَرفج : نار الزحفتين ؛ لأن العَرْفَج إذا التهبَتْ فيه النار أسرعَتْ [فيه[٥]]وعَظُمَتْ ، وشاعت واستفاضت ، فى أسرَعَ من كل شىء . فمن كان فى قُرْبها يزحف عنها . ثم لاتلبثُ أن تنطفىء من ساعتها ، فى مثل تلك السرعة ؛ فيحتاج الذى يزحف عنها أن يزحَفَ إليها من ساعتِه . فلا تَزالُ للمصْطَلِي كذلك ، ولا يزال المصطلى بها كذلك . فمن أجْلِ ذلك قيل : « نار الزَّحْفَتَيْنِ » .

٣٧

(١) البوار : الهلاك . ه : « جوار » تحريف .
(٢) فى اللسان ، وكذا ثمار القلوب ١٩٧ : أبو سريع هو النار فى العرفج . وأنشد :
لا تعدلن بأبى سريع ... إذا عرت نكباء بالصقيع
(٣) تقدمت ترجمته مع ولده مسلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .
(٤) اليبيس : اليابس . س و ثمار القلوب : « يبس » واليبس : اليابس . قال ابن السكيت : « هو جمع يابس مثل راكب وركب » . ابن سيده : « اليبس واليبس : اسمان للجميع » يعنى بالفتح وبالتحريك .
(٥) من س وثمار القلوب ٤٦٢ .

قال : وقيل لبعض الأعراب : ما بالُ نسائكم رُسْحاً[١] ؟ قال : أرْسَحَهُنّ عَرْفَجُ الهَلْباء[٢]

(صورة عقد بين الراعى والمسترعى)

وهذا شرط الراعى فيما بينَه و بينَ من استرعاه ماشيته فى القارِّ والحارِّ[٣] وذلك أن شرطهم عليه[٤] أن يقول المسترعى للراعى : « إن عليك أن تردَّ ضالَّتها ، وتهنأ جرْباها[٥] ، وتلوط حوضَها[٦] . ويدُك مبسوطةٌ فى الرِّسْل[٧] مالم تُنهِكَ حَلَباً ، أو تضرَّ بنَسْل » . قال : فيقول عند ذلك الراعى لرب الماشية ، بعد هذا الشرط : « ليس لك أن تذْكُرَ أُمِّي بخيرٍ ولا شرّ

---

(١) الرسح : جمع رسحاء ، وهي القليلة لحم العجز والفخذين . وفى الأصل : « رشحا » بالشين المعجمة صوابه فى المخصص (١١ : ٣٧) ولسان العرب (٣ : ٢٧٤) والمزهر (٢ : ١١٩) . ورواية الأول : « قيل لأعرابى : مالنسائكم رسحا ؟ » والثاني « قيل لامرأة من العرب : ما بالنا نراكن رسحا ؟ » والثالث : « قال أعرابى لامرأة من بني نمير : ما بالكن رسحا ؟ » .

(٢) العرفج : نبت سريع الاشتعال ، ولهبه شديد الحمرة ، وليس له ورق ذو بال . إنما هى عيدان دقاق ، وفى أطرافها زمع يظهر فى رءوسها شىء كالشعر ، أصفر طيب الريح . والهلباء ، بفتح أوله : موضع بين اليمامة ومكة . وإنما سميت الهلباء لكثرة نباتها ، وأنها أنبتت الحلى والصليان . وفى الأصل : « الهاباة » محرف . وفيه أيضا : « أرشحهن » تصحيف . وفى المخصص : « أرسحهن نار الزحفتين » . وفى اللسان : « أرسحتنا نار الزحفتين » . وفى المزهر : « أرسحنا » ، وأنشد :

وسوداء المعاصم لم يغادر   لها كفلا صلاء الزحفتين

(٣) أى البارد والساخن ، مما ينال من خير الابل . وفى الأصل — وهو هنا ط ، س فقط « النار والحال » صوابه من البيان (٣ : ٢٢) .

(٤) الكلام بعد « ماشية » إلى هنا ساقط من هـ .

(٥) يهنأ الجرب : يعالجها بالهناء . والهناء ، بالكسر : ضرب من القطران ، يطليها به . س : « جربها » ط : « جرتها » مصحف .

(٦) لاط الحوض بالطين لوطا : طيَّنه ، أي طلاه بالطين . وفى حديث ابن عباس مع الذى سأله عن مال يتيم ، وهو واليه : أيصيب من لبن إبله ؟ فقال : « إن كنت تلوط حوضها ، وتهنأ جرباها ، فأصب من رسلها » .

(٧) الرسل ، بالكسر : اللبن .

ولك حَذْفَةٌ بالعصا[١] عند غضَبك ، أخطأتَ أو أصَبْتَ ، ولى مَقعدى من النار وموضعُ يدى من الحارّ [والقارّ[٢]] » .

(شبه ما بين النار والإنسان)

قال : ووصف بعض الأوائل شَبَهَ مابين النار والإنسان ، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة ، قال : وليس بين الأرض و بين الإنسان ، ولا بين الإنسان والماء ، ولا بين الهواء والإنسان ، مثل قرابة مابينه و بين النار ؛ لأن الأرض إنما هى أمٌّ للنبات ، [وليس للماء[٣]] إلا أنه[٤] مَرْكَب[٥] . وهو لايغذُو ؛ إلا ما يعقدُه الطبخ[٦] وليس للهواء فيه إلا النسيم والمتقلَّب . وهذه الأمور و إن كانت زائدة ، وكانت النفوسُ تَتلَفُ مع فَقْدِ بعضها ، فطريق[٧] المشاكلة والقرابة غير طريق إدخال المَرْفَق وجَرِّ المنفعة ، ودفع المضَرّة .

قال : و إنما قضيتُ لها بالقرابة[٨] ، لأنى وجدت الإنسان يَحْيا و يعيشُ فى حيثُ تحيا النار وتعيشُ ، وتموتُ وتَتْلَفُ حيث يموت الإنسانُ و يتلف .

وقد تدخل نار فى بعض المطامير[٩] والجِباب[١٠] ، والمغارات ،

---

(١) حذفه بالعصا : أي ضربه بها عن جانب . والحذفة أيضا : الرمية عن جانب .

(٢) هذه التكملة من البيان والتبيين . و « الحار » هى فى ط فقط : « الجار » بالجيم مصحفة .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٤) ط ، س : « لأنه » هـ : « لا أنه » والوجه ما أثبت .

(٥) أي معبر وموصل للغذاء كما سبق فى ص ٨٩ ص ٣ .

(٦) أى يجعله منعقدا بالطبخ . انظر لتوضيح ذلك ص ٨٩ س ٤ ، وفى الأصل : « يعتده للطبخ » .

(٧) س ، هـ : « بطريق » والوجه ما أثبت من ط .

(٨) س ، هـ : « الغرابة » وهو عكس المراد .

(٩) المطامير : جمع مطمورة ، وهى حفرة فى الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب .

(١٠) الجباب ، بالكسر : جمع جب ، بالضم . وهو البئر البعيد القعر الكثيرة الماء . ط : « الحباب » صوابه فى س ، هـ .

والمعادن[١] ، فتجدُها متى ماتتْ هناك علمنا أن الإنسان متى صار فى ذلك الموضع مات . ولذلك لايدخلها أحدٌ ما دامت النار إذا صارتْ فيها ماتت . ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفايرِ إذا هجموا على فَتْقٍ فى بطن الأرض أو مغارة فى أعماقها أو أضعافها ، قدّموا شمعةً فى طرَفها أو فى رأسها نارٌ[٢] ، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك . وإلا لم يتعرّضوا له . وإنما يكونُ دخولُهم بحياة النار ، وامتناعُهم بموت النار[٣] .

وكذلك إذا وقعوا على رأس الُجبِّ الذى فيه الطعام[٤] ، لم يجسُروا على النزول فيه ، حتى يُرسِلوا فى ذلك الجبِّ قِنديلاً فيه مصباحٌ أو شيئًا يقومُ مقامَ القِنديل ، فإن مات لم يتعرّضوا له ، وحرّكوا فى جوفه أكسية[٥] وغيرها من أجزاء الهواء[٦] .

قال : ومما يُشَبَّه النارُ فيه بالإنسان ، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفادِ دُهنه[٧] ، اضطراما وضياء ساطعا ، وشُعاعا طائراً ، وحركة سريعةً وتنقضًا شديداً[٨] ، وصوتا متداركا . فعندها يَخْمُدُ المصباح .

وكذلك الإنسان ، له قَبلَ حالِ الموتِ ، ودُوَيْنَ انقضاء مُدَّته بأقربِ

---

(١) المعادن : جمع معدن ، بكسر الدال ، وهو الموضع الذى تستخرج منه جواهر الأرض . وإطلاقه على ما يستخرج مجاز .

(٢) س ، هـ : « فى طرف » وفى س : « وفى رأسها » . وأثبت ما فى ط

(٣) انظر مثل هذا الكلام فى عجائب المخلوقات ٨٩ في خاتمة الحديث فى النيران .

(٤) ذاك الجب هو ما يسمى بالمطمورة . انظر التنبيه ٩ ص ١٠٩ .

(٥) أكسية : جمع كساء . ط فقط « أكيسة » تحريف .

(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : « بغية إجراء الهواء » أو « لتأخذ من أجزاء الهواء » .

(٧) هـ : « وتماد دهنه » محرف .

(٨) التنقض ، بالقاف وفى آخره ضاد معجمة : صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء . وانظر (٣ : ٣٣٥) . وفى الأصل : « تنفضا » بالفاء . وهو تحريف .

الحالات ، حال مُطْمِعَة تَزيد فى القوة على حاله قَبلَ ذلك أضعافاً ، وهى ٣٨
التى يسمونها « راحةَ الموت[١] » وليس له بعد تلك الحال لُبث .

(قول أحد المتكلمين فى النفس)

وكان رئيسٌ [من[٢]] المتكلمين ، وأحدُ[٣] الجِلَّةِ المتقدمين ، يقولُ
فى النفس قولا بليغاً عجيباً ، لولا شُنْعته لأظْهَرْتُ اسمه[٤] ، وكان يقول :
الهواء[٥] اسم لـكل فتق ، وكذلك الحيِّز[٦] . والفتق لايكون إلا بين
الأجرام الغِلاظ ، و إلا فإنما هو الذى يسميه أصحاب الفَلَكِ « اللُّجّ » . و إذا هم
سألوهم عن خُضْرَة الماء قالوا : هذا لُجّ الهواء ، وقالوا : لولا أنكَ فى ذلك
المـكانِ لرأيت فى اللُّجِّ الذى فوق ذلك مثل هذه الخضرةَ[٧] . [وليس
شىء[٨]] إلا وهو أرقُّ من كَتِيفِه[٩] أو من الأجرام الحاصرة[١٠] له . وهو

---

(١) ويسميها أهل مصر اليوم : « حلاوة الروح » .
(٢) زدت هذا الحرف ليصح الكلام .
(٣) ﻫ : « واحد » بالألف وترك العطف .
(٤) يظهر لي أنه « النظام » ، ففى سياق الحديث أن هذا الرئيس يقول بالطفرة كما فى السطر ٥ من ص ١١٣ والنظام هو صاحب هذا المذهب . انظر (٤ : ٢٠٨) .
(٥) فى الأصل : « الهول » . والوجه ما أثبت .
(٦) الحيز ، بفتح الحاء وتشديد الياء المكسورة : هو عند المتكلمين الفراغ المتوهم الذى يشغله شىء ممتد كالجسم ، أو غير ممتد كالجوهر الفرد . تعريفات السيد ٥٥ . وفى الأصل : « الحز » .
(٧) فى الأصل : « النظرة » والـكلام يقتضى ما أثبت .
(٨) بمثل هذا يلتئم القول .
(٩) الـكتيف ، بالتاء المثناة الفوقية : أصل معناه ضبة الباب ، وهى حديدة عريضة يضبب بها ويلبس ، وهو أيضا ما يكتف به الإناء . والمراد به هنا ما يحتوي الشيء ويحصره . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، ففى ط ، س : « كيفيته » وفى ﻫ : « كيفية » . ووجهه ما كتبت .
(١٠) فى الأصل : « الحاضرة » بالضاد المعجمة وبإسقاط كلمة « له » . وانظر التنبيه السابق والـكلام التالي .

اسمٌ لكل متحرِّك ومُتَقَلَّب[١] لكل شيء فيه [من[٢]] الأجرام المركبة .
و [لا[٣]] يستقيم أن يكون من جنس النسيم ، حتى[٤] يكونَ محصوراً ،
إما بحصر كَتِيفِيٍّ[٥] كالسفينة لما فيها من الهواء الذى به حَمَلَتْ مثلَ وزنِ
جرمها الأضعاف الكثيرة ؛ وإما أن يكون محصوراً فى شىء كهيئة البيضة
المشتملة على ما فيها ، كالذى يقولون فى الفَلَكِ الذى هو عندنا : سماء .

قال : وللنسيم[٦] الذى [هو[٧]] فيه معنى آخر ، وهو الذى يجعلُهُ بعضُ
الناس ترويحاً عن النفس ، يعطيها البَرْدَ والرِّقَّةَ والطِّيب ، ويدفعُ النفسَ ،
ويُخرج إليه البخارَ والغِلَظ ، والحراراتِ الفاضلة[٨] ، وكلَّ ما لا تقوى النفَسُ
على نَفْيِه واطِّرَادِه[٩] .

قال : وليس الأمر كذلك . بل أزعُم أنَّ النفسَ من جنس النسيم
وهذه النفسُ القائمة فى الهواء المحصور ، عرضٌ لهذه النفسِ المتفرِّقة

---

(١) المتحرك والمتقلب : مكان التحرك والتقلب . وفى الأصل : « محرق ومتقلب » . وانظر قوله فى الصفحة ١٠٩ س ٨ قوله : « إلا النسيم والمنقلب » . وضمير « هو » للهواء .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) زدتها لحاجة الكلام إليها.
(٤) فى الأصل : « ويكون » ووجهه ما أثبت .
(٥) كتيفى، بالتاء المثناة الفوقية : نسبة إلى الكتيف. وانظر التنبيه ٩ من الصفحة السابقة .
(٦) فى الأصل « والنسيم » .
(٧) هو ، أي الانسان . وهذه الكلمة ليست فى الأصل .
(٨) الفاضلة ، هنا ، بمعنى الزائدة .
(٩) الاطراد : افتعال من الطرد ، يقال : طرده واطرده ، بتشديد الطاء فى الثانية .
قال طريح :
أمست تصفقها الجنوب وأصبحت   زرقاء تطرد القذى بحباب
ط : « وطرده » ، وأثبت ما فى سه ، هـ .

فى أجرام جميع الحيوان ، وهذه الأجزاء[١] التى فى هذه الأبدان ، هى من النسيم[٢] فى موضع الشعاع والأكثاف[٣] ، والفروع التى تكون من الأصول .

قال : وضياء النفس كضياء دخلَ من كوَّة[٤] فلما سُدّت الكوةُ انقطع بالطَّفْرة إلى عنصره من قُرْص الشمس وشُعاعها المشرِقِ فيها ، ولم يُقِم فى البيت مع خلاف شكله من الجروم[٥] . ومتى عَمّ السَّدُّ لم تقِم النفسُ فى الجِرم فوق لا[٦] .

وحكمُ[٧] النفْس عند السَّدِّ — إذ كنا لانجدها بعد ذلك — كحكم الضياء بعد السدّ ، إذ كنا لا نجده[٨] بعد ذلك .

فالنفسُ من جنس النسيم ، و بفساده تفسُدُ الأبدانُ ، و بصلاحه تصلحُ . وكان يعتمدُ عَلَى أن الهواء نفْسَه هو النفسُ والنسيم ، وأن الحرّ واللدونةَ وغير ذلك من الخلاف ، إنما هو من الفساد العارضِ .

قيل له : فقد يفسُدُ الماء فتفسُدُ الأجرام من الحيوان بفساده ، و يصلُحُ

---

(١) أى أجزاء النسيم ، التي يعنى بها نفس الانسان والحيوان . ط ، هـ : « الأجرام » صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « من بده النسيم » وأصلحته بما ترى .

(٣) كذا فى ط ، س . وفي هـ : « والأكشاف » .

(٤) الكوة : بالفتح ويضم ؛ والكو أيضا بالفتح وطرح الهاء : خرق فى الحائط » .

(٥) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد والجسم ، وفى الأصل « اخرق » :

(٦) أى فوق مقدار قول القائل « لا » . انظر التنبيه رقم ١ ص ٨١ . وكلمة « لا » هى فى ط « لأحكام » كأنها جزء من الكلمة التى تليها . والحق أنهما كلمتان إحداهما فى نهاية الفقرة الأولى ، والثانية فى بدء الثانية ، وفى س ، هـ : « لا حكم » .

(٧) ط : « حكام » . س ، هـ : « حكم » كما سبق فى التنبيه السالف . وقد زدت الواو قبل الأخيرة للحاجة إليها .

(٨) أي لا نجد الضياء بعد السد . والضمير ساقط من س . وفى ط ، هـ : « لا نجدها » وتصح بتأويل الضياء على الجمع . وفى اللسان (١ : ١٠٧) : « وقد يكون الضياء جمعا » ، أي جمع ضوء .

فتَصلح بصلاحه[١] ، وتمنَعُ الماء وهى تنازعُ إليه فلا تَحُلُّ[٢] بعد المنازعة إذا تمَّ المنعُ ، وتوصَلُ بجِرْمِ الماء فتقيمُ فى مكانها . فلعل النفسَ عند بُطلانها فى جسمها[٣] قد انقطعت إلى عُنصرِ الماء بالطّفرة .

٣٩ وبعدُ فما علَّمَكَ ؟ لعلّ الخنقَ هيَّجَ عَلَى النفس أضداداً لها كثيرةً ، غمرتها حتى غرقت فيها ، وصارت مغمورةً بها .

وكان هذا الرئيس يقول : لولا أن تحت كلّ شعرةٍ وزَغَبةٍ[٤] مجرى نَفَسٍ لكان المخنوقُ يموتُ مع أوّلِ حالات الخنق ، ولكن النفسَ قد كان لها اتصالٌ بالنسيم من تلك المجارى عَلَى قدر [مِنَ[٥]] الأقدار ، فكان نَوْطُها[٦] جوف الإنسان . فالرِّيح والبُخَارُ لمَّا طلَبَ المنفذ فلم يجدْه ، دارَ وكثُفَ وقوِىَ ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له المجارى. فعند ذلك ينقطع النفس. ولولا اعتصامها بهذا السببِ لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القُرْص ، مع أول حالات الخنق .

وكان يقول : إن لم تكن النفسُ غُمِرت بما هُيِّج عليها من الآفاتِ ، ولم تنقطع للطَّفْر إلى أصلها[٧] جاز أن يكون الضياء الساقطُ على أرض البيتِ عند سدِّ الكُوَّةِ أن يكون لم ينقطع إلى أصله . ولكن السدَّ هيَّج عليه من الظلام القائم فى الهواء ما غمرَه ، وقطعه عن أصله . ولا فرْق بين هذَين .

---

(١) فى الأصل : « فيصلح بصلاحه » .

(٢) تحل : تقيم . وفى الأصل . « تدخل » .

(٣) فى الأصل : « حسها » .

(٤) الزغبة ، بالتحريك : واحدة الزغب ، وهى صغار الشعر والريش. س : « وزعنه » مصحف .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) نوطها : متعلقها . وفى الأصل : « نقطها » ولاوجه له .

(٧) هـ : « للظفر » س : « بالطنى » ط : « الطفر » بدون باء . صوابه ما أثبت . والطفر هو الطفرة فى اصطلاح المتكلمين ، وهو مذهب للنظام . انظر . (٤ : ٢٠٨).

وكان يعظِّم شأنَ الهواء ، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها ، وتفضُّل قوّته عليها .

وكان يزعمُ أن الذى فى الزِّق[١] من الهواء ، لو لم يكن له مَجَارٍ[٢] ومنافسُ ، ومُنِع من كل وجهٍ — لأقلَّ الجمَلَ الضخم .

وكان يقول : وما ظنك بالرِّطل من الحديد أو بالزُّبْرَةِ[٣] منه ، أنه متى أُرسل فى الماء خرَقه ، كما يخرق الهواء ! قال : والحديد يسرعُ إلى الأرض إذا أرسلتَه فى الهواء ، بطبعه وقوّته ، ولطلبه الأرضَ المشاكِلَةَ له ، ودفعِ الهواء له ، وتبرِّيه منه ، ونفيه له بالمضادة ، واطِّرَادِهِ[٤] له بالعداوة .

قال : ثمّ تأخذُ تلك الزُّبْرَة[٥] فتبسُطها بالمطارق ، فتنزل نزولا دون ذلك ؛ لأنها كلما اجتمعتْ فكان الذى يلاقيها من الماء أصغرَ جِرْماً ، كانت أقوى عليه .

ومتى ما أشخَصْتَ[٦] هذه[٧] الزُّبْرَة المفطوحة[٨] المبسوطةَ المسطوحة ، بِنَتْق الحِيطان[٩] فى مقدارِ غِلظِ الإصبع ، حَمَل مثلَ زِنَتِهِ[١٠] المرارَ الكثيرةَ

---

(١) الزق ، بكسر الزاي : كل وعاء من الجلد اتخذ لشراب ونحوه . هـ : « الرق » س : « الدن » صوابهما فى ط .

(٢) هـ : « مجاز » أى مكان يجوز منه . والأسلوب يقتضي ما أثبت من ط ، س .

(٣) الزبرة ، بضم الزاي : القطعة من الحديد ، جمعها زبر ، بضم ففتح ، وفى الكتاب : « آتوني زبر الحديد » وفى الأصل : « بالزيادة » تحريف .

(٤) اطراده ، بتشديد الطاء : طرده . انظر التنبيه التاسع من الصفحة ١١٢ . ط : « وحدادة » س : « والحدادة » وأثبت الصواب من هـ .

(٥) فى الأصل : « الزيادة » . وانظر التنبيه ٣ من هذه الصفحة .

(٦) أشخصت : رفعت . ط : هـ : « ومتى ماأشخص » س : « ومتى أشخصت » .

(٧) فى الأصل : « لهذه » .

(٨) المفطوحة : التى فطحت ، أي جعلت عريضة . ط ، هـ : « المطبوخة » س : « المطرقة » والصواب ما أثبت .

(٩) النتق : الرفع . وفى ط ، هـ : « يفتق » وموضعها فى س بياض متروك . والوجه ما أثبت .

(١٠) الضمير فى « حمل » للحديد . و « زنته » هى فى الأصل : « زنة » محرفة .

وليس إلا لما حصَرَتْ تلك الإصبعُ من الهواء . وكلما كان نتوُّ الحِيطان أرفع[١] كان للأثقال أحْمَلَ ، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً .

قال : ولولا أن ذلك الهواء المحصورَ متَّصلٌ بالهواء المحصور فى جرم [الحديد ، وفى جرم[٢]] الخشبِ والقارِ ، فرَفَعَ بذلك الاتصال السفينةَ عُلُوًّا — لَمَا كان يبلُغُ من حصر ارتفاع إصبعٍ للهواء ما يحملُه البَغْل .

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة[٣] . فإنك تضعُ رأسَ السكّابة الذى يلى الماء[٤] فى الماء ، ثم تمصه من الطرف الآخَر . فلو كان الهواء المحصورُ فى تلك الأنبوبةِ إنما هو مجاورٌ لوجهِ الماء ، ولم يكن متصلا بما[٥] لا بَس جِرْم الماء من الهواء ، ثم مصصتَه بأضعافِ ذلك الجذْبِ إلى ما لا يتناهى لَمَا ارتفع إليك من الماء شىءٌ رأساً .

وكان يقول فى السَّبيكة التى تُطيل عليها الإيقاد ، كيف لا تتلوّى ، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكِير[٦] حتى تدخلَ النيرانُ فى تلك المداخلِ ، وتُعاونَها الأجزاء التى فيها من الهواء .

وبمثل ذلك قامَ الماء فى جَوف كُوزِ المِسقاة المنكس . ولعلمهم بصَنيع

---

(١) أرفع ، أى أعلى .

(٢) هذه الزيادة من سه .

(٣) سبقت فى ص ٩٠ س ٧ بلفظ « الشرابة » فجعلها من الشرب مرة ، ومن السكب أخرى . وفى الأصل هنا : « السكانة » بالنون . وتسمى هذه الآلة أيضا « سارقة الماء » كما سبق فى التنبيه ٥ ص ٩٠ . ويشبه هذه الآلة ما تسمى « الزرافة » بالزاى وتشديد الراء . انظر الفصل (١ : ٣٢ و ٥ : ٧٠) .

(٤) فى الأصل : « التي تلى الماء » والموصول إنما هو صفة للرأس . والرأس مذكر .

(٥) فى الأصل : « لما » .

(٦) الكير ، بالكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد .

الهواء إذا احتَصَر و إذا حُصِر(١) ، جعلوا سَمْكَ(٢) الصِّينية مِثلَ طولها . أعنى المركبَ الصِّينىّ .

وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب .

وكان يزعم أنّ الرّجلَ إذا ضُرِبت عنقُه سقط عَلَى وجهه ، فإذا(٣) انتفخَ انتفَخ غُرمُوله وقامَ وعَظُم . فقَلَبَه(٤) عند ذلك على القفَا . فاذا جاءت الضَّبُع لتأكله فرَأته على تلك الحال(٥) ، ورأت غُرمُوله(٦) على تلك الهيئة ، استَدْخَلَتْه وقضتْ وطرَها من تلك الجهة ، ثم أكلَت الرّجلَ ، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سِفاد الذِّيخ .

والذِّيخ : ذَكر الضِّباع العَرفاء(٧) .

وذكر بعضُ الأعراب أنه عاينَها عند ذلك ، وعند سِفاد الضَّبُع لها ، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً ، لم يجده عندها فى وقت سِفاد الذِّيخ لها .

ولذلك قال أبو إسحاق(٨) لإسماعيل بن غَزْوان : « أشهدُ بالله إنك لضَبُعٌ » . لأن إسماعيل شدّ جاريةً له على سُلّم وحلَف ليضربَنّها مائةَ سَوْطٍ دونَ الإزار — ليلتزِقَ جلدُ السّوط بجلدها ، فيكون أوجَعَ لها —

---

(١) احتصر هو ، وحصره غيره . ولم أجد الأول فى المعاجم . وفى ط ، ه : « وإذا حصروا » صوابه فى س .

(٢) السمك ، بالفتح : الارتفاع. وسمك البيت من أعلاه إلى أسفله .

(٣) ط ، ه : « وإذا » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط ، ه : « يقلبه » ، وأثبت ما فى س .

(٥) س : « الحالة » .

(٦) ط : « عزنوله » صوابه فى س ، ه .

(٧) العرفاء : الكثيرة شعر الرقبة . وفى الأصل : « العرجاء » تحريف . وفى اللسان : « الذيخ : الذكر من الضباع ، الكثير الشعر » . وفى ه : « ذكر الضبع » .

(٨) هو إبراهيم بن سيار النظام .

فلما كشفَ عنها رَطْبةً بَضَّةً خَدْلَةً[١] ، وقع عليها ، فلما قضى حاجته منها وفرَغَ ، ضرَبها مائة سوط . فعند ذلك قال أبو إسحاقَ ما قال .

(اختلاف أحوال الغرقى)

وإذا غرقت المرأةُ رسبتْ . فاذا انتفخت وصارت فى بطنها ريح[٢] وصارت فى معنى الزقّ ، طفا[٣] بدنُها وارتفع ، إلا أنها تكون مُنْكَبَّةً ، ويكونُ الرّجل مستلقياً .

وإذا ضُربتْ عُنقُ الرّجلِ وأُلقى فى الماء لم يَرسُب ، وقام فى جوف الماء وانتصب ، ولم يغرَق ، ولم يَلزم القعر ، ولم يظهر . كذلك يكونُ إذا كان مضروبَ العُنق ، كان الماء جاريا أو [كان[٤]] ساكنا . حتى إذا خفّ وصار فيه الهواء ، وصار كالزِّقِّ المنفوخ[٥] ، انقلبَ وظهرَ بدنه كله ، وصار مستلقياً ، كان الماء جاريا أو كان قائما . فوُقوفُه[٦] وهو مضروب العُنقِ ، شبيهٌ بالذى عليه طباعُ العقربِ التى فيها الحياة ، إذا ألقيتَها فى ماء غَمْرٍ[٧] ، لم تطفُ ولم ترسبْ ، وبقيتْ فى وسط عُمْق الماء ، لا يتحرَّك منها شىء .

---

(١) الخدلة ، بفتح الخاء المعجمة بعدها دال مهملة : الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام . ط ؛ هـ : « جدلة » س : « حدلة » كلاهما تصحيف ما أثبت . وانظر التنبيه ٧ من ص ١٠٤ .

(٢) س : « وصارت فى معنى الزق » . هـ : « وصارف بطنها ريح » .

(٣) طفا يطفو : ارتفع فوق الماء وعلا . ط ، هـ : « طفى » .

(٤) الزيادة من س .

(٥) ط ، هـ : « وصار فيه كالزق المنفوخ » والوجه حذف « فيه » كما في س .

(٦) في الأصل : « ففوقه » . وانظر قوله من قبل : « وقام فى جوف الماء » .

(٧) الغمر ، بالفتح : الماء الكثير .

(مايسبح من الحيوان)

والعقرب من الحيوان الذى لايسبَح . فأما الحيّة فانها تكونُ جيِّدَةَ السباحةِ ، إذا كانت من اللواتي تنساب وتزحف[١] . فأمّا أجناس الأفاعى التى تسير على جنبٍ[٢] فليس عندها فى السباحة طائل .

٤١

والسباحة المنعوتة ، إنما هى للإوزّةِ والبقرةِ والكلبِ . فأمّا السمكةُ فهى الأصل فى السباحة ، وهى المثل ، وإليها جميع النسبة .

والمضروب العنق يكون فى مُعمّق الماء قائما . والعقربُ [يكون[٣]] على خلاف ذلك .

(مناغاة الطفل للمصباح)

ثمّ[٤] رجع بنا القول إلى ذكر النار[٥] .

قال : وللنار من الخصال المحمودةِ أنّ الطفل لا يُناغى شيئًا كما يُناغى المِصْباح[٦] . وتلك المناغاة نافعةٌ له فى تحريك النفْس ، وتهييج الهمة ، والبعثِ على الخواطر ، [و] فى فتق اللّهاة ، وتسديد اللسان[٧] ، [وفى] السرور الذى له فى النفس أكرمُ أثر .

---

(١) تزحف : تمشي على أثنائها وبطونها . وفى الأصل : « تذهب » .

(٢) انظر الكلام في مشى الحيات ما سبق فى (٤ : ٢٧٤ — ٢٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من س . والعقرب يذكر ويؤنث ، والغالب عليه التأنيث .

(٤) من هذه الكلمة يبتدئ الجزء الخامس من نسخة كوبريلى ، حيث أعارض بها وأثبت زياداتها بين معقفين دون أن أنبه عليها . وأما الزيادات من النسخ الأخرى أو من مقتضيات التركيب فاني أنبه على كل منها .

(٥) ل : « إلى القول فى النار » .

(٦) هـ : « المصالح » تحريف . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣٤٩) .

(٧) تسديد اللسان : تقويمه . وفى الأصل : « تشديد » بالشين .

(قول الأديان فى النار)

قال : وكانت النار معظَّمةً عند بني إسرائيل ، حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان(١) ، وتدل على إخلاص المتقرِّب ، وفساد نية المُدْغِل(٢) ، [و] حيث قال الله لهم(٣) : « لاتُطْفِئُوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِي(٤) » . ولذلك لاتجد الكنائس والبِيَع أبداً إلا وفيها المصابيح تَزْهر(٥) ، ليلاً ونهاراً ، حتى نَسَخَ الإِسلام ذلك ، وأمرنا(٦) بإطفاء النيران ، إلا بقدر الحاجة .

---

(١) القربان بالضم ، ما كانوا يتقربون به إلى الله من ذبائح وغيرها ، وفى الأصحاح الرابع من سفر التكوين « أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها » . وكان العرب في جاهليتهم يقدمون القرابين لأصنامهم ، وكان لبكر ابن وائل صنم يقال له (عوض) ، وفيه يقول رشيد بن رميض العنزي :

حلفت بمائرات حول عوض   وأنصاب تركن لدي سعير

والمائرات : الدماء الجارية . وهو ما تشير إليه آية : « وما ذبح على النصب » . واللفظ مشترك فى اللغات السامية ، فهو فى العبرية : (قربان) وبالسريانية (قربانا) وأصله فى العربية مصدر قرب الشيء قربانا ، ونظير هذا الوزن من المصادر العربية : شكران ، وغفران ، وسلوان .

(٢) المدغل : الذى يدخل فى أمره ما يفسده . وفى حديث علي : « ليس المؤمن بالمدغل » ط ، هـ : « الدغل » ، وهو بفتح فكسر : ذو الدغل . وأثبت ما فى س ، ل .

(٣) في جميع النسخ ما عدا ل : « قال الله عز وجل » .

(٤) ل : « النيران » . وقد سبقت هذه العبارة فى (٤ : ٤٧٩) وهو إشارة إلى ما ورد فى سفر الخروج ٢٩ : ٤١ — ٤٢ « رائحة سرور وقود للرب ، محرقة دائما فى أجيالكم » وإلى ما ورد فى هذا السفر أيضاً ٣٠ : ١ « وتصنع مذبحا لإيقاد البخور » و ٣٠ : ٨ « وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده بخورا دائما أمام الرب فى أجيالكم » .

(٥) زهر السراج والقمر والوجه ، كمنع ، زهورا : تلألأ . في كل النسخ عدا ل : « مصابيح » .

(٦) في جميع النسخ عدا ل : « أمر » .

فذَكَرَ[١] ابنُ جُريجٍ قال : أخبرنى أبو الزُّبير[٢] . أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال[٣] : « إذا رَقَدْتَ فأغلق بابك ، وخَمِّرْ إناءك ، وأوْكِ سِقَاءك[٤] ، وأطفِئْ مصباحك ، فإن الشيطان لا يفتح غَلَقًا[٥] ولا يكشفُ إناء ، ولا يحلُّ وِكاء . وإن الفأرة الفُوَيسقَة[٦] تحرقُ أهل البيت[٧] » .

وفِطْر بن خليفة[٨] عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أغْلِقُوا[٩] أبوابكم ، وأوْكُوا أسقيتكم[١٠] وخَمِّروا آنيتكم ، وأطفئوا سُرُجَكم[١١] ، فإن الشيطان لا يفتحُ غَلَقًا[٥] ، ولا يحلُّ وِكاء ، ولا يكشفُ غِطاء . وإن الفويسقَة تضرِّم البيتَ على أهله .

---

(١) فيما عدا ل : «ذكر» .

(٢) هو أبو الزبير المكي، محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي . وفى تقريب التهذيب ٤٢٠ أنه صدوق ، إلا أنه يدلس ، من الرابعة ، توفي سنة ست وعشرين ، أي بعد المائة . وفى التعقيب أنه روى عن جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمر .

(٣) فيما عدا ل : « قال » .

(٤) ط فقط : « سقاءك » وقد جاءت مقصورة فى سائر النسخ . والسقاء : القربة للماء واللبن .

(٥) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . وفيما عدا ل : « بابا » .

(٦) الفويسقة : مصغر الفاسقة ، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها . ط ، ﻫ « وقال فإن الفويسقة » س : « فإن الفويسقة » . وأثبت ما فى ل . وانظر تأويل مختلف الحديث ١٦٩ — ١٧٠ .

(٧) فيما عدا ل : « تحرق على أهل البيت » .

(٨) فطر بن خليفة المخزومى ، مولاهم ، أبو بكر الحناط ، بالمهملة والنون . صدوق رمى بالتشيع ، مات بعد سنة خمسين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣٠١) والمعارف ٣٠١ جوتنجن . وفيما عدا ل : « ذكر ابن خليفة » تحريف . وفي مشارق الأنوار (٢ : ١٦٨ طبع فاس) : « وفطر بن خليفة بكسر الفاء وآخره راء . ومن عداه قطن بالقاف والطاء ساكنة والنون » .

(٩) فى عامة النسخ عدا ل : « غلقوا » .

(١٠) الأسقية : جمع سقاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف ، وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

(١١) السرج ، بضمتين : جمع سراج . ط ، س : « سراجكم » وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

وكُفُّوا مَوَاشِيَكم[1] وأهليكم حينَ[2] تغرُبَ الشمس ، حتى تذهبَ فَحمةُ العشاء[3] » .

قال : ويدل على أنه صلى الله عليه وسلم [لم] يأمر بحفظها إلا بقَدر[4] الحاجةِ [إليها] ، ويأمرْ[5] بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها — ما حدَّث به عبّادُ بن كثير[6] قال : حدّثني الحسن بنُ ذَكْوان[7] عن شَهْر بن حَوشب[8] قال : « أمر [رسولُ الله] صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانَكم عند فحمة العشاء ، وأن تُطفئوا المصابيح ، وأن توكِئوا الأسقية ، وأن تخمِّروا الآنية ، وأن تغلِّقوا الأبواب[9] » . قال : فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله ، إنه لابدَّ لنا من المصابيح ، للمرأةِ النُّفساء ، وللمريض ،

---

(١) الكف : الجمع والضم . فيما عدا ل : « فراشكم » .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي سائر النسخ : « حتي » .

(٣) يقال للظلمة التي بين صلاتي العشاء : الفحمة . ل : « فحمة الليل » وعند ابن الأثير في مادتي (كفت ، فحم) : «اكفتوا صبيانكم حتى تذهب فحمة العشاء» .

(٤) ط ، س : « أمر » . وفي سائر النسخ عدا ل : « إلا على قدر الحاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم يأمر » .

(٦) عباد بن كثير الثقفي البصري . روي عن أبي أيوب السختياني ، ويحيى بن أبي كثير ، وعمرو ابن خالد الواسطي وغيرهم . وروي عنه إبراهيم بن طهمان وأبو خيثمة ، وهما من أقرانه ، وإسماعيل بن عياش ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي . ط ، س ، ه : « حماد بن بكير » ل : « عباد بن كنير » بنون مكسورة مشدودة بعدها ياء . صوابه ما أثبت .

(٧) الحسن بن ذكوان ، أبو سلمة البصري . روي عن عطاء بن أبي رباح ، وأبي إسحاق السبيعي ، وطاوس ، والحسن ، وابن سيرين . وعنه ابن المبارك ويحيى القطان ، وصفوان بن عيسي وغيرهم . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٢٧٦) .

(٨) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . صدوق كثير الأوهام والإرسال ، من الثالثة . توفي سنة ١١٢ وكان من جلة القراء والمحدثين . وبه يضرب المثل في قولهم : « خريطة شهر » ، وذلك أنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القائل — ثمار القلوب ١٣٣ — :

لقد باع شهر دينه بخريطة   فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

(٩) ل : « أن يحبسوا » ، وكذا سائر الأفعال بالغيبة . وفي سائر النسخ بالخطاب .

والحاجة تسكونُ قال : فلا بأسَ إذًا ، فإن المصباحَ[١] مَطْرَدَةٌ للشيطان ، مذبَّةٌ للهوام[٢] ، مَدَلَّةٌ على اللصوص[٣] .

(نار الغول)

قال : ونارٌ أخرى ، وهى [النار] التى تذكر الأعرابُ أن الغولَ تُوقِدُها بالليل ، للعبث[٤] والتخييل ، وإضلال السابلة .

٤٢

قال أبو المطراب[٥] عبيد بن أيوبَ العَنْبَرِيّ :

فلله دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ ‏ لصاحبِ قَفْرٍ خائفٍ مُتَقَتِّرِ[٦]

أرنّت بلَحْنٍ بعدَ لَحْنٍ وأَوْقَدَتْ ‏ حَوَالَيَّ نيرانًا تبوخُ وتزهرُ[٧]

(جَمَرات العرب)

قال : وجَمَراتُ العرب : عبسٌ ، وضَبَّةُ ، ونُمَيْر[٨] . يقال لكلٍّ واحد منهم : جمرة .

---

(١) فيما عدا ل : « كان » .

(٢) الهوام : جمع هامة ، وهى كل ذات سم يقتل ، أو ما يدب من الحيوان كالحشرات . والذب : الطرد . ل : « مذمة » محرف .

(٣) مدلة : أى يدل ، وهى صيغة معناها الحمل على الشىء . وفى اللسان : « كانت العرب تقول : « الولد مجهلة مجبنة مبخلة » ، أى يحمل الوالد على الجهل والجبن والبخل . ل : « مذلة » تحريف .

(٤) ل : « للعيث » . والعيث : الإفساد .

(٥) أبو المطراب ، آخره باء ، كما فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٤٨٢) حيث ترجمة عبيد بن أيوب .

(٦) المتقتر : المتنحى عن الناس. وفيما عدا ل : « ينتشر » محرفة . وفي (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » .

(٧) أرنت : صوتت . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر ، وبابه منع : تضىء وتتلألأ . فيما عدا ل : « تبوح » . وما أثبت من ل هو رواية (٤ : ٤٨٢) .

(٨) إنما سموا بذلك لأنهم يتوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير فى كلام العرب : التجميع . وقد اختلف العلماء فى تعيين الجمرات . انظر الثعالبى فى ثمار القلوب ١٢٦ والعمدة (٢ : ١٥٨) وزهر الآداب (١ : ٢٠) وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ص ٢٢ والعقد (٢ : ٢٣٣ — ٢٣٤) والشريشى (١ : ٢٩٨) .

وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّمَيرى قومَه خاصَّةً فقال :

ومْ جَمْرَةٌ لا يَصطَلِى بالناسُ نارَهم   توَقَّدُ لا تُطْفا لِريْب النّوائبِ[1]

[ويروى : الدوابر[2]] .

ثم ذكر هذه القبائل فعمّهُمْ بذلك ، لأنها كلَّها مُضَرِيَّةً ، فقال :

لنا جَمرَاتٌ ليس فى الأرض مثلهم   ثَلَاثٌ فقدْ جُرِّبْنَ كلَّ التَّجَارِبِ[3]

نُمَيْرٌ وعَبْسٌ تُتَّقَى صَقَرَاتُهَا[4]   وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

ـ [يعنى شدّتها[5]] ـ .

إلى كل قومٍ قَدْ دَلَفْنَا بِجَمْرَةٍ   لها عارض جَوْنٌ قَوِىُّ المناكبِ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « ما يصطلي » وفيما عدا ل أيضا : « لا تطفى بزيت الرواهب » محرف . وتطفا مسهل تطفأ ، فلذا رسمت بالألف .

(٢) كذا فى ل .

(٣) هذه رواية ل ، وفى س : « ليس للناس مثلها » وفى ط ، هـ : « ليس للنس مثلها » وفى اللسان : «ليس فى الأرض مثلها كرام وقد» .

(٤) الصقرات ، بالقاف : جمع صقرة ، وهى شدة وقع الشمس وحدة حرها . قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمس اتق صقراتها   بأفنان مربوع الصريمة معبل

ط ، س : « صفراتها » بالفاء هـ : « صعراتها » بالعين . صوابهما فى ل . وفى اللسان : « نفيانها » .

(٥) هذا تفسير لكلمة « صقراتها » كما فى التنبيه السابق .

(٦) العارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجبل ، ومنه عارض اليمامة . شبه الجيش به . والجون : الأسود ، كأن ذلك لما علاه من صدأ الحديد : والجون . الأبيض أيضا لما فيه من بريق السيوف والرماح . هـ ، س : « حزن » ط : « مزن » صوابهما فى ل .

(سقوط الجمرة)

وعلى ذلك المعنى قيل : « قد سقَطت الجَمْرة »، إذا كان فى استقبال زمان الدَّفاء[١] . و يقولون[٢] : قد سقطت الجمرة الأولى ، والثانية ، [والثالثة[٣]] .

(استطراد لغوى)

والجمار : الحصى[٤] [الذى يُرمَى به . والرَّمْى : التجمير] قال الشاعر[٥] :

---

(١) الدفاء : مصدر دفئت من البرد . فيما عدا ل : « من الدفء » .

(٢) الكلام من « قد سقطت » إلى هنا ساقط من سه .

(٣) سقوط الجمرات فى شهر « شباط » من الشهور السريانية ، ويقابله شهر فبراير من الشهور الرومية . انظر مروج الذهب (١ : ٣٥٢ – ٣٥٣) فى الكلام على الشهور السريانية . فتسقط الأولى فى السابع منه ، والثانية فى الرابع عشر منه ، والثالثة فى الحادي والعشرين منه . وقد أوضح القزوينى تعليل هذه التسمية فى عجائب المخلوقات ٧٣ قال : « معنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء ، محيطا بعضها بالبعض . وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ، ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى ، وهم كانوا فى البيت الثالث . وكانوا يشعلون جمرات النار فى كل بيت ، ويتخذون الجمر للاصطلاء . فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها ، وهم سكنوا مكان الصغار ، فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة . فاذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها. فسقطت جمرة أخرى. فاذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء . فسقطت الجمرات الثلاث » . وهذا التعليل وإن يكن فيه بعض الخيال فإنه يقدم لنا صورة من هذا التعبير المجازى عن تدرج الدفء . وانظر الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٧٦) .

(٤) فيما عدا ل : « والجمار رمى الحصا » . وإنما الجمار الحصى نفسها ؛ الواحدة جمرة . ورمى الجمار من مناسك الحج . ويقال أيضا للموضع الذى ترمى فيه الجمار : « جمرة » . وهن ثلاث جمرات . وانظر تفصيل ذلك فى كتب الفقه الإسلامى .

(٥) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت آخر أبيات ستة فى ديوانه ١٢٨ أولها :

وكم من قتيل لا يباء به دم ... ومن غلق رهنا إذا ضمه منى
ومن مالئ عينيه من شىء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

ولم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليَالِي الحجِّ أفْتَنَ ذا هوَى[١]

والتجمير أيضا : أن يُرْمَى بالجُنْد فى ثغر من الثغور[٢] ، ثم لا يُؤْذَنَ لهم فى الرجوعِ . وقال حُمَيْدٌ الأرقَطُ[٣] :

فاليومَ لاظلم ولا تَتْبيرُ ولا لغازٍ إنْ غزَا تجميرُ[٤]

وقال بعضُ مَنْ جُمِّرَ من الشعراء فى بعض الأجناد[٥] :

مُعَاوِيَ إمّا أنْ تُجَهِّزَ أهْلَنَا إلينا ، وإما أنْ نَؤُوبَ مُعاوِيا[٦]

أجَمَّرْتَنَا تجميرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنَا حتى مَلِلنا الأمانيا[٧]

---

(١) فى اللسان (١٧ : ١٩٤ س ٢١) : « أفتنته إفتانا فهو مفتن ، وأفتن الرجل وفتن فهو مفتون : إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله ». فيما عدا ل : « أفتر » بالراء تحريف . وانظر الموشح ٢٠٣ والأغانى (١ : ١٠٣) وكامل المبرد ٣٧٠ ليبسك .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ، وهو أيضا الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد . فيما عدا ل : « من ثغور المسلمين » .

(٣) حميد الأرقط ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . وهو حميد بن مالك بن ربعى بن مخاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٥٤) .

(٤) التتبير : الإهلاك . ل : « تسيير » وأراه محرفا . هـ : « لغار إن غذا » تصحيف .

(٥) الأجناد : جمع جند . والجند : العسكر ، والمدينة . وخص به أبو عبيدة مدن الشام. وأجناد الشام خمس كور . ابن سيده : يقال الشام خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنسرين ، والأردن ، وفلسطين ، يقال لكل مدينة منها جند .

(٦) جهز المسافر : أعد له مايحتاج إليه فى وجهه . وكذا تجهيز الغازى : إعداد ما يحتاج إليه فى غزوه . فيما عدا ل : « تجمر » محرف .

(٧) كسرى هذا ، وهو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان . وفى أيامه كانت حروب ذى قار ، لتمام أربعين من مولد الرسول عند البعثة . وجاء فى رسالة ابنه شيرويه إليه : « ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم » . انظر كامل ابن الأثير (١ : ٢٩٤) . فيما عدا ل : « إجمار كسرى » محرف . ورواية اللسان .
وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وقال الجعدىّ :

كالخلايا أنشأنَ من أهل سابا ط بجُنْدٍ مُجَمَّرٍ بأَوَالِ[1]

ويقال [قد] أجمر الرَّجُل ، إذا أسرع [أ] وْ أعْجَلَ مَرْكَبَهُ .

وقال لَبيد :

وإذا حرَّكْتُ غَرْزِى أجْمَرَتْ أوْ قِرَابي ، عَدْوَجَوْنٍ قَدْ أَبَلْ[2]

وقال الراجز :

أَجْمَرَ إجْمَارًا لَهُ تَطْمِيمْ ،[3]

[التّطميم : الارتفاع والعلوّ] . ويقال أجْمَرَ [ثوبَه ، إذا دخّنه[3] .

والمِجْمَرة : والمِجْمَر الذى يكون فيــه الدُّخنة[5] . و] هو مأخوذٌ من الجَمْر .

---

(١) فيما عدا ل : « بالخلايا أتاك » . ط : « أهل غرسان » س ، ه : « غسان » وأوال : قرية ، واسم موضع مما يلى الشام . قال الجعدي فيه أيضا (اللسان (١٣ : ٤١ — ٤٢) :

ملك الخورنق والسدير ودانه ما بين حمير أهلها وأوال

فيما عــدا ل : « بأزال » . وأزال : اسم مدينة صنعاء . وهو تحريف . وساباط : موضع بالمدائن .

(٢) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يكون مساكا للرجلين فى المركب . ه ، س : « عودى » . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ل « قراى » ه ، « أوقدت » س : « أو قريب » صوابه فى ط والديوان ١١ واللسان (غرز ، جمر) وأخبار مكة للأزرق (٢ : ١٤٥) . والجون : الأبيض ، عنى به حمار الوحش وهو يوصف بالبياض . اللسان (١٦ : ٢٥٥) . وأبل : اجتزأ بالرطب عن الماء ، يقال · أبل من بابى ضرب وخرج ، أبلا وأبولا ، وأبلَ كعلم ، وتأبّل .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، ه : « أجمرت إجمار الذي يهمهم » و س : « أجمر فاجمار الذي يهمهم » .

(٤) فى اللسان : « أجمرت الثوب وجمرته : إذا بخرته بالطيب » .

(٥) الدخنة ، بالضم : بخور يدخن به الثياب أو البيت .

٤٣ ويقال : قد جَمَّرت المرأةُ شَعْرَها إذا ضَفَرَته . و [الضَّفر] يقال له الجمير[١] . [قال : ويسمى الهلالُ قبل ليلةِ السِّرار[٢] بليلةٍ « ابن جَمِير » قال أبو حَرْدَبة[٣] :

فهل الإله يُشِيعُنى بفوارسٍ لبَنِى أمَيَّةَ فى سِرار جَمِيرِ[٤]]

وأنشد [نى] الأصمعىُّ :

مَضْفُورُها يُطوَى على جَميرها[٥]

ويقال : قد تجمَّرَ القوم ، إذا هم[٦] اجتمعوا حتى [يصير] لهم بأسٌ ، ويكونوا[٧] كالنارِ على أعدائهم فكأنهم جمرةٌ ، أو[٨] كأنهمْ جَميرٌ من شعر مضفور ، أو حَبل مُرَصّعِ القُوَى[٩] .

وبه سمِّيت تلك القبائلُ والبطونُ من تميم : الجمار[١٠] .

والمجمَّر مشدّد الميم[١١] : حيثُ يقع حصى الجمار[١٢] . وقال الهذلى[١٣] :

---

(١) الضفر ، بالفتح : مثل الضفيرة ، وهى العقيصة . اللسان (٦ : ١٦١ س ٢١) . والجمير : ما جمر من الشعر أي ضفر . اللسان (٥ : ٢١٧ س ٢) .

(٢) السرار ، بالكسر والفتح : آخر ليلة من الشهر .

(٣) أبو حردبة ، هو أحد لصوص العرب ، من بنى أثال بن مازن ، وكان رفيقا لمالك بن الريب ، وشظاظ ، فى أول أيام بني أمية . وانظر أخبارهم فى ترجمة مالك بن الريب ، فى الأغانى (١٩ : ١٦٣ – ١٦٩) وتاريخ الطبرى ، القسم الثانى ص ١٧٩ . فى الأصل ، وهو هنا ل : « ابن حدربة » تحريف .

(٤) أشاعه الشىء : أصحبه إياه .

(٥) ل : « يطفو علي جميرها » . سه : « يطرى على جميرها » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، ه .

(٧) ط فقط : « ويكونون » محرف .

(٨) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « فكأنهم جمروا حتى » .

(٩) القوى : طاقات الحبل . مرصع : معقود عقدا مثلثا متداخلا ، وذلك الترصيع . فيما عدا ل : « موضع » وهو تحريف .

(١٠) انظر التنبيه الثامن من الصفحة ١٢٣ .

(١١) ل ، « مشددة الجيم » صوابه فى سائر النسخ .

(١٢) سه ، ه : « حصن » ط : « حصا » صوابه فى ل.

(١٣) هو حذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى اللسان (٥ : ٢١٧) ومعجم البلدان (٧ : ٢٨٩) وقد أنشد ابن السكيت بيتاً من هذه القصيدة فى الألفاظ ٥٣٣ وهو : =

لأَدْرَكهمْ شُعْثَ النَّوَاصِي كأنهمْ   سَوابقُ حُجَّاجٍ تُوَافى الْمجمَّرا[١]

ويقال خُفٌّ مجمَّر : إذا كان مجتمعا شديداً .

ويقال : عدَّ فلانٌ إبله أو خيله أو رجاله جَمَارًا[٢] . إذا كان ذلك جُملة واحدة . وقال الأعشى :

[فَمَنْ مُبْلغٌ وائلاً قومَنا]   وأعْنى بذلك بَكراً جَمَارَا[٣]

قال : ويقال فى النار وما يسقط من الزَّند: السَّقط ، والسُّقط ، [والسِّقْط].

ويقال: هذا مَسقِط الرمل ، أى مُنْقَطَع الرمل[٤]. ويقال أتانا مَسْقِط النَّجْمِ ، إذا جاء حين غاب[٥] .

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطَيْهِ[٦] . وقال الشاعر[٧] :

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثتْ   عنهُ نعامةُ ذِى سِقْطَينِ مُعْتَكرِ[٨]

= ألا يا فتى ما نازل القوم واحدا   بنعمان لم يخلق ضعيفا مشبرا

(١) قال التبريزى : « مدح رجلا من قومه » . وقبل هذا البيت ، كما فى المعجم :

فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت   مصارعهم بين الدخول وعرعرا

(٢) جمارا ، بالفتح : أى جماعة ، كما ضبط فى اللسان والقاموس ، وصرح فى الأخير أنه كسحاب . وفى ل : «جمارا» بالكسر . وفى سائر النسخ « فأجمر » تصحيف . وفيما عدا ل أيضا : « ويقال : عمد إلى إبله وخيله » وفى س : « وخيله ورجاله » .

(٣) فيما عدا ل : « وأعني بذلك » . وصوابه فى ل والديوان ٤٣ واللسان (جمر) . و « جمار » ضبطت فى الديوان ، وفي اللسان بالفتح ، وانظر التنبيه السابق . وصدر البيت فى الديوان : « فمن مبلغ قومنا مألكا » .

(٤) المسقط ، بكسر القاف ، وفتحها لغة نادرة ، وإن كانت القياس .

(٥) ط فقط : « أتانى » ، والضمير فى غاب للنجم .

(٦) السقطان ، بالكسر : الجناحان . فيما عدا ل : « وقع الغائب سقطته » صوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٢) .

(٧) هو الراعى ، كما فى اللسان (٩ : ١٩٢ س ٤) .

(٨) عنى بالنعامة : سواد الليل ، وسقطاه : أوله وآخره . أي مضى الليل ذو السقطين ، وصدق الصبح . فيما عدا ل : « عنا » صوابه فى ل واللسان . والمعتكر : الذى اشتد سواده واختلط والتبس . فيما عدا ل : « منعكر » صوابه فيها وفى اللسان .

[١] أراد ناحيتى الليل .

ويقال : شبّت النار والحرب تَشِبّ شَبًّا ، وشبَبْتها أنا أشبُّها شَبًّا[٢] ، وهو رجل شَبُوب[٣] للحرب .

ويقال : حَسَبٌ ثاقب ، أى مضىء متوقد[٤] . وكذلك يقال فى العلم .
ويقال: هب لى ثَقوبا ، وهو ما أثقَبْتَ به النار[٥] ، من عُطْبَةٍ أو من غيرها[٦] .
ويقال: أثقب النار إذا فتح عَيْنَهَا[٧] لتشتعل . وهو الثَّقوب ، ويقال[٨] ثَقَبَ الزندُ يثقُب ثُقوباً ، إذا ظهرت ناره . وكذلك النار . والزند الثاقب : الذي إذا قدِح ظهرت النار منه .

ويقال : ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوًّا ، إذا اشتعلت . ويقال ذَكّها إذا أريد[٩] اشتعالها . وذُكاء: [اسم] للشمس[١٠] ، مضموم الذال المعجمة . وابن ذُكاء : الصبح ، ممدود[١١] مضموم الذال . [و] قال العجّاج[١٢] :

---

(١) هنا فيما عدا ل : « ويروى معتكر » .
(٢) ط فقط : « واشتبها شبا » ، وهو نقص وتحريف .
(٣) شبوب : يشبها ، ويذكى نارها . فيما عدا ل : « مشبوب » محرف .
(٤) هـ : « خشب » تصحيف . وفيما عدا ل : « أي فى معنى متوقد » وفيه ركة .
(٥) أثقب النار ، وثقبها بالتشديد : أشعلها . هـ : « ثقب » وهى صحيحة كما رأيت . س « الدار » محرف .
(٦) العطبة ، بالضم : واحدة العطب بضم وبضمتين ، وهو القطن ، أو خرقة تؤخذ بها النار . ط ، هـ : « حطبة » ولم أجد هذا المفرد من الحطب . والحطب : ما يتخذ شبوبا للنار تشعل به . س : « خطبة » تصحيف ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « من » ساقطة من ل .
(٧) فيما عدا ل : « فتح عنهما » .
(٨) فيما عدا ل : « ويقال أيضا » .
(٩) ل : « أراد » س : « أردت » .
(١٠) فيما عدا ل : « الشمس » .
(١١) ط ، هـ : « مضموم الذال ممدودا » .
(١٢) نسبه فى اللسان (٦ : ٤٦٤) إلى حميد . والبيت فى المقصور ٤٤ وثمار القلوب ٢١٠ مسبوقا بـ « قال الراجز » فيهما . وفى المخصص (٩ : ١٩) مسبوقا بكلمة : « وأنشد » .

وابنُ ذُكاءٍ كامنٌ فى كَفْرِ[١] ،

وقال ثَعلَبَة بن صُعَير المازنى . وذكر ظليما ونعامة :

فتذكَّرا ثَقَلاً رَثِيداً بعدَ ما   أَلْقَتْ ذُكاءُ يمينَها فى كافِرِ[٢]

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحِدَّةُ الفؤاد ، وسُرعةُ اللَّقْنِ[٣] .

وقالوا : أضْرَمْتُ النارحتى اضطرمتْ ، وألهَبْتُها حتى التهبت ، وهما واحد .

والضِّرام من الحطب : ما ضَعُفَ منه ولاَنَ . والجَزْل : ما غلُظ واشتدَّ .

فالرِّمْث[٤] وما فوقه جَزْل . والعَرْفَج ، وما دونه ضرام . والقصب[٥] وكل

شىء ليس له جمرٌ فهو ضِرام . وكل ماله جَمر فهو جَزل .

ويقال : ما فيها نافخ ضَرَمَة ، أى ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً .   ٤٤

ويقال: صَلَيْتُ الشاةَ فأنا أصْليها صَلْياً إذا شَوَيتها ، فهي مَصْليَّة . ويقالُ

---

(١) الكفر ، بالفتح : ظلمة الليل وسواده ، وقد يكسر . وفى اللسان : « أى فيما يواريه من سواد الليل » . ط ، ه : « فى كفره » وهو تحريف . وقبله :

فوردت قبل انبلاج الفجر

(٢) ضمير « فتذكرا » للنعامة والظليم . والثقل ، ههنا : البيض . الرثيد : المنضود بعضه فوق بعض . وهو مما خالف فيه ثعلبة الشعراء ، فهم يذكرون أن النعامة تضع بيضها طولا وعرضا على خط وسطر . انظر الحيوان (٤ : ٣٢٨) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٧ – ٨٨) . والكافر : الليل ، لأنه يكفر الأشياء أى يسترها . وانظر لهذا البيت المخصص (٩ : ١٩ و ١٧ : ٩) والأمالى (٢ : ١٤٥) ، وزهر الآداب (٤ : ١١٥) ، وإعجاز القرآن ٢٠٠ ، والشعراء ٥٥ ، والمقصور ٤٤ ، والمفضليات ١٥٢ واللسان (٦ : ٤٦٣–١٨ : ٣١٤) . ه : « ربيدا » سه : « وشيدا » تصحيف .

(٣) ل : « ممدود مفتوح الذال » . واللقن ، بفتح اللام وسكون القاف : مصدر لقن الشىء يلقنه : أسرع فى فهمه .

(٤) الرمث ، بالكسر : شجر يشبه الغضى . ه : « كالرثم » سه : كالرمث » محرفان .

(٥) القصب ، هو القصب الفارسى . ط ، ه : « القصب » ، وهو بفتح فكسر : ضرب من الشعير ، ويبدو أن صوابه ما أثبت من ل . والكلام من هذه إلى كلمه « ضرام » ساقط من سه .

صَلِيَ الرجُلُ النار يَصْلاها[١] ، وأصلاه الله حرَّ النارِ إصلاءً . وتقول: هو صالٍ حرَّ النار ، في قومٍ صالين وصُلًّى[٢] .

ويقال: هَمَدت النار تَهْمُدُ هُمُوداً ، وطفِئَتْ تطفَأ طُفُوءًا[٣] إذا ماتت . وخَمَدَتْ تخْمَدُ خُموداً ، إذا سكَنَ لهبُها و بَقِيَ جمراً[٤] حارًّا .

وشبّت [النار] تشبُّ شُبو باً إذا هاجتْ والتهبت[٥] وشبَّ الفرسُ بيديه فهو يشبّ شِباباً[٦] ، وشبّ الصبيّ يشبُّ شَباباً[٧] . ويقال: ليس لك عَضّاضٌ ولا شَبّاب[٨]

ويقال : عَشَا[٩] إلى النار [فهو] يعشو إليها عَشْواً وعُشُوًّا ، وذلك يكونُ من أولَ الليل ، يرى ناراً فيعشو إليها يستضيء بها . قال الحطيئة :

متى تأتهِ تَعْشُو إلى ضَوْء نارِهِ تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[١٠]

ويقال : عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشاوةً ، وهو رجلٌ أعشى ، وهو الذى [لا] يبصر بالايل . وعشِيَ الرجلُ عَلَى صاحبِه يعشَى عشًا شديداً[١١] .

---

(١) ط ، س : « فهو يصلاها » .

(٢) فيما عدا ل : « صال وصلاة » . تحريف .

(٣) ط ، ه : « طفوا » بالتسهيل . وأثبت ما في ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « وبقى جمرها » . وخمد ، بابه نصر وسمع .

(٥) ل ، س : « إذا هيجت » . وفى ل : « والهبت » من الإلهاب .

(٦) الشباب ، بالكسر ، ومثله الشبيب والشبوب ، وهو أن يرفع يديه جميعا كأنه يثب . ل : « شبيبا » وهى صحيحة .

(٧) الشباب ، ههنا ، بالفتح . وهذه الفقرة ساقطة من ل .

(٨) أي فرس يعض أو يشب ، وفيما عدا ل : « غضاض » بالغين المعجمة .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفي سائر النسخ : « عشى » . والحق أن فيها لغتان : عشا يعشو ، وعشى يعشي ، الثانية من باب فرح .

(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٢١ — ٢٥ . وبعد هذا البيت فى ل زيادة : « وقال الأعشى وبات على النار الندى والمحلق » ولم أجد لها وجها .

(١١) فى القاموس : « عشي عليه عشا ، كرضى : ظلمه » . وفى اللسان : « عشي عليه عشى : ظلمه » فرسم المصدر بالياء ، ووجهه بالألف ، لأن أصله الواو ، كالرضا .

(نار الحرب)

ويذكرون ناراً أخرى ، وهى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة ، كقولهم فى نار الحرب[١] . قال ابن ميّادة :

يداه يدٌ تنهلُّ بالخـــير والندا وأُخرى شديدٌ بالأعادى ضَريرُها[٢]

ونارٰهُ : نارٌ نارُ كلِّ مُدَفَّعٍ وأخرى يُصيبُ المجرمينَ سَعيرُها[٣]

وقال ابن كُناسَةَ[٤] :

خلفها عارضٌ يَمُدُّ عَلَى الآفا قِ سِتْرَيْنِ مِنْ حديدٍ ونارِ[٥]

نارُ حربٍ يشبُّها الحَدُّ والجِدْ دُ وتَعْشَى نوافذَ الأبصارِ[٦]

وقال الرّاعى :

وغارَتُنَا أوْدَتْ ببَهْرَاء ، إنها تُصيبُ الصريحَ مَرّةً والمواليا[٧]

---

(١) هى غير نار الحرب الحقيقية التي سبق حديث الجاحظ عنها فى (٤ : ٤٧٤ — ٤٧٥).

(٢) ط ، هـ : « بالغيث » . والضرير ، بالضاد المعجمة : الشدة ، وبه فسر قوله :

بمنسحة الآباط طاح انتقالها بأطراقها والعيس باق ضريرها

ط ، س : « صريرها » بالمهملة ، صوابه فى ل ، هـ .

(٣) الكل ، بالفتح : من يعوله غيره ، أو اليتيم . المدفع ، بتشديد الفاء المفتوحة : الفقير الذليل ، لأن كلا يدفعه عن نفسه .

(٤) هو محمد بن كناسة . واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث ، وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها : دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفات : منها « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . انظر ابن النديم ١٠٥ مصر ٧٠ ليبسك ، والأغاني (١٢ : ١٠٥ — ١١٠) . ط ، هـ : « ابن كنانة » صوابه فى ل ، سه .

(٥) العارض : السحاب يعترض فى الأفق ، أراد به الجيش . ل : « ستران » .

(٦) الحد ، بفتح المهملة : الحدة والبأس . فيما عدا ل : « الحر » محرف . النوافذ : النافذات الحديدات النظر . تعشى البصر : تضعفه . ط : « تغشى » ل : « يعشى » صوابه فى سه ، هـ .

(٧) بهراء : قبيلة . فيما عدا ل : « ببيداء » محرف . الصريح : الخالص النسب .

وكانتْ لنا ناران : نارٌ بجاسِمٍ ونارٌ بدَمْخ يُحرِقانِ الأعاديا[١]

جاسم : بالشام . ودمْخ جَبَلٌ بالعالية[٢] .

(نار القِرى)

ونار أخرى ، وهى مذكورةٌ عَلَى الحقيقة لاعلى المثل ، وهى مِن أعظم مفاخر العرب ، وهى [النار] التى تُرْفَع للسفْر[٣] ، ولمن يلتمسُ القِرَى . فكلما[٤] كان موضِعُها أرفَعَ كان أفخر . [و] قال أُميّةُ بن [أبى] الصلْت:

لا الغياباتُ مُنْتَوَاكَ ولكنْ في ذُرَى مُشْرِفِ القصورِ ثَوَاكا[٥]

وقال الطائى[٦]

٤٥ وبَوَّأْتَ بيْتَكَ فى مَعْلَمٍ رَفيعِ المَبَاءَةِ والمَسْرَحِ[٧]

---

(١) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . ودمخ : جبل كان به يوم من أيامهم . فيما عدا ل « بمرخ » محرف .

(٢) أى عالية نجد . فيما عدا ل : « ومرخ بالعالية » تحريف .

(٣) السفر ، بالفتح : المسافرون .

(٤) فيما عدا ل : « فكل ما » مفصولة . والوجه الوصل .

(٥) الغيابة : ما انهبط من الأرض . ط ، هـ : « القبايات » سه : « القبابيات » صوابه فى ل . والمنتوى : الموضع ينتويه القوم حين يتحولون من مكان إلى مكان . والذرى : الأعالى . والثواء : الإقامة ، قصره للشعر . فيما عدا ل : « ذراكا » ، وقد سبق البيت محرفا فى (١ : ٣٨٢) .

(٦) ل : « الكناني » . ولعل صوابهما « العماني » ، فان له قصيدة فى هذا الوزن والروى يمدح بها عبد الملك بن صالح الهاشمى ، وأنشد منها أبو الفرج فى الأغاني (١٧ : ٨١ ساسى) بيتين ، وهما :

نمته العرانين من هاشم إلى النسب الأوضح الأصرح
إلى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها سرة الأبطح

(٧) المباءة : المنزل . وفى (١ : ٣٨١) : « رحيب المباءة » .

كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلاَبَ القِرَى وَنَبْحَ الـكِلاَبِ لِمُسْتَنْبِحِ(١)
ترى دَعْسَ آثارِ تِلْكَ المطى أخاديدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ(٢)
ولو كنتَ في نَفَقٍ رائغٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضحِ(٣)

وأنشد [نى] أبو الزِّبرقان(٤) :

له نارٌ تُشَبُّ بكلِّ رِيع إذَا الظلماء جَلَّتِ البقاعا(٥)
وما إن كان أكْثَرَهمْ سَوَامًا ولـكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعا(٦)

[ويروى: « ولمْ يَكُ أكْثَرَ الفِتْيانِ مالا »] .

وفى نار القِرَى يقول الآخر :

عَلَى مِثْلَ هَمَّامٍ ولمْ أرَ مِثْلَهُ تُبَكِّى البوَاكِى أو لِبِشْرِ بنِ عامر
غلامان كان استَوْرَدَا كلَّ مَوْرِدٍ مِنَ المجدِ ثمّ استوسعا فى المصادر(٧)

---

(١) العفاة : جمع عاف ، وهو من يطلب المعروف . فيما عدا ل : « ضياء القدور » وفى الجزء الأول : « كلاب الضرام » محرفان . والمستنبح : الذي ينبح لترد عليه الكلاب بنباحها ، فيستدل على أهل المنزل . يقول : كفيتهم ذلك باختيارك هذا المنزل العالي .

(٢) الدعس : أثر الوطء . والأخدود : الشق الغامض المستطيل . واللقم ، بالتحريك : وسط الطريق . والأفيح : الواسع . أراد : آثار مطايا الذين يقصدونه للمعروف .

(٣) النفق : السرب فى الأرض له مخلص إلى مكان آخر . رائغ : مائل . ط ، سه : « رائع » بالمهملة محرف . وفى هـ ، والجزء الأول : « زائغ » وهو بمعنى ما أثبت من ل . والشرك : وسط الطريق . يقول : لو اضطررت إلى ذلك ما اخترته إلا حيث يطرق الناس .

(٤) ط ، سه : « وأنشد » . هـ : « وأنشدني أبو الزبير قال » . والبيتان اختارهما أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٦٨ — ٢٦٩) منسوبين إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى .

(٥) الريع ، بالكسر : المكان المرتفع . ورواية الحماسة : « على يفاع » ل : « وريح » سه : « ربع » وأثبت ما فى ط ، هـ . جللت : غطت . ط : « القناعا » سه : « الصناعا » صوابه فى ل ، هـ . وفى الحماسة :
« إذا النيران ألبست القناعا »

(٦) السوام : الإبل الراعية .

(٧) ط : « استوثقا » سه ، هـ : « استوسقا » . ط ، سه : « بالمصادر » .

كأن سَنَا ناريهما كلَّ شَتْوَةٍ ... سَنَا الفجرِ يبـدُو للعيُونِ النّواظِرِ

وفي ذلك يقولُ عوفُ بن الأحوص[١]

وَمُستَنْبِـحٍ يَخْشَي القَوَاءَ وَدُونَهُ ... مِنَ اللَّيلِ بَابَا ظُلْمَةَ وسُتُورُها[٢]

رَفَعْتُ لَهُ نَارِى فلمَّا اهتدَى بها ... زَجَرْتُ كِلاَبي أن يَهِرَّ عَقُورُها[٣]

فلا تسأليني واسألى عَنْ خليقتى ... إذا رَدَّ عافى القِدْرِ مَنْ يَستَعِيرُها[٤]

تَرَىْ أنَّ قِدْرِى لاتزالُ كأنَّها ... لذِى الفروة المقرور أمٌّ يَزُورُها[٥]

مبرّزَة لايُجْعَلُ السِّتر دُونَهَا ... إذا أُخمِدَ النيرانُ لاحَ بشيرُها[٦]

إذا الشَّوْلُ راحَتْ ثم لَمْ تفدِ لحمَهَا ... بألبانها ذاقَ السِّنَانَ عَقِيرُها[٧]

---

(١) عوف بن الأحوص : هوعوف بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والأحوص لقب أبيه . وتقدمت ترجمة عوف فى (٢ : ٨) . والأبيات من قصيدة له فى المفضليات ص ٧٨ ، أو (١ : ١٧٤ طبع المعارف) . ط : « عبيد ابن الأبرص » سه ، ﻫ : « عبيد بن الأحوص » صوابه ما أثبت من ل.

(٢) القواء : الخالى من الأرض : أى يخشى أن يهلك فيه . فيما عدا ل : « العداة » صوابه فى ل والمفضليات .

(٣) ط ، ﻫ : « نارا » وأثبت ما فى ل ، سه والمفضليات .

(٤) ط ، ﻫ : « فلا تسألى واسألن » وأثبت ما فى ل ، سه والمفضليات . عافى القدر ، قال الأصمعى : كانوا فى الجدب إذا استعار أحدهم قدرا رد فيها شيئا من طبيخ ، فالعافى ما يبقونه .

(٥) ذو الفروة : السائل المستجدي . وفروته : جعبته التى يضع فيها ما يعطى . المقرور : الذى اشتد به البرد . ط ، سه : « الفرث » ﻫ « الفرت » صوابه فى ل والمفضليات . ل : « المفرور » ﻫ : « المغرور » صوابه فى ط ، سه والمفضليات .

(٦) مبرزة : ظاهرة بارزة ، يعنى النار ، فيما عدا ل : « مبرورة » صوابه فى ل والمفضليات و « الستر » هى فى سه ، ط : « الشر » وفى ﻫ : « السر » صوابه فى ل والمفضليات وفيما عدا ل : « خمد » . بشيرها : ضوءها يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير .

(٧) الشول : الإبل التى شولت ألبانها ، أى ارتفعت . راحت : رجعت من المرعى . يقول : إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها . فيما عدا ل : « لم يفد » و « إن السنان » وما أثبت من ل هو رواية المفضليات .

(خبر وشعر فى الماء) .

[١] أما إن ذكرنا جملةً من القول فى الماء[٢] من طريقِ الكلام وما يدخُل فى الطب ، فسنذكُر من ذلك جملة فى باب آخر :

قالوا : مدَّ الشعبى[٣] يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم[٤] يلتمس الشرابَ ، فلم يَدْرِ صاحبُ الشرابِ اللبن ، أم العسلَ ، أم بعضَ الأشربة؟ فقال له: أى الأشربةِ أحبُّ إليك ؟ قال: أعزُّها مفقوداً ، وأهونُها موجودا ! قال قُتيبة : اسقِهِ ماء[٥] .

وكان أبو العتاهية فى جماعة من الشعراء عند بعض الملوك ، إذ شربَ رجلٌ منهم ماء ، ثم قال : « بَرَدَ الماء وطابَ » فقال أبو العتاهية : اجعله شِعْراً[٦] . ثم قال : مَنْ يُجيز هذا البيت ؟ فأطرق القومُ مفكرين ، فقال ٤٦ أبو العتاهية : سبحان الله ! وما هذا الإطراق ؟! ثم قال :

بَرَدَ الماء وطابا   حبَّذا الماء شرَابا

وقال الله عز وجل : ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غيرِ آسِنٍ[٧]﴾ ثم لم يذكرْهُ

---

(١) الكلام من هنا إلى الصفحة ٤٩ من طبعة الساسى ساقط من نسخة كوبريلي ، المرموز إليها بالحرف ل .

(٢) فى الأصل : « النار » وسياق الكلام يقتضى ما أثبت .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى . وكان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى بها سنة ١٠٣ . ونسبته إلى « شعب » بالفتح ، وهو بطن من همدان .

(٤) سبقت ترجمته مع ولده مسلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .

(٥) روى هذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٠) مع اختصار . وفيها أيضاً « سلم بن قتيبة » وهو ولد آخر لقتيبة ، وأخوه مسلم بن قتيبة .

(٦) يصح أن تقرأ بضبط الأمر ، وبضبط المضارع أيضا .

(٧) فى الآية ١٥ من سورة محمد . وفى الأصل : « وأنهار من ماء غير آسن » بزيادة الواو ؛ وهو من شنيع التحريف . انظر (٤ : ٨ : ١٥٩ ، ١٦٠) وص ٣٢ من هذا الجزء والآية : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين » . والآسن : المتغير .

بأكثرَ من السلامةِ من التغيُّر؛ إذ كان الماء متى كان خالصا سالمًا لم يحتجْ إلى أن يُشربَ بشيء غيرِ ما في خلقته من الصَّفاء والعُذوبة، والبَرْدِ والطِّيب، والحسنِ، والسَّلَس في الحلْق. وقد قال عديُّ بن زَيد[1]:

لوْ بغَيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[2]

قال أبو المطراب[3] عبيد بن أيُّوبَ العنبريُّ:

وأولُ خُبْثِ الماءِ خُبْثُ تُرابِهِ وأولُ خُبْثِ النَّجلِ خُبْثُ الحلائلِ[4]

وأوصَى رجلٌ من العرب[5] ابنته ليلةَ زفافها بوصايا، فكان مما قال لها: «احذَري مَوَاقعَ أنفه[6]، واغتسلي بالماء القَرَاح[7]، حتى كأنكِ شنٌّ ممطور[8]!».

وأوصت امرأة ابنتها بوصايا، فكان منها: «وليكنْ أطيَبَ طيبِك الماء».

وزعموا أنها القائلةُ لبنتها[9]:

---

(١) هو عدي بن زيد العبادي، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله. وأخباره مسهبة في الأغاني (٢: ١٧ — ٤٠ ساسى). ط «علي بن زيد» صوابه في س، هـ.

(٢) الاعتصار: أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء، وهو أن يشربه قليلا قليلا. والبيت من أبيات ذكرها أبو الفرج في الأغاني (٢: ٢٤) أولها:

أبلغ النعمان عني مالكا أنني قد طال حبسي وانتظاري

(٣) ط: أبو المطراد» س، هـ: «أبو المطراب». وانظر التنبيه الخامس ص ١٢٣.

(٤) النجل: الولد. والحلائل: جمع حليلة، وهي الزوج. والبيت في المستطرف (٢: ٢١٨)، وعجزه فيه: «وأول خبث القوم خبث المناكح».

(٥) هو الفرافصة الكلبي، يوصي ابنته نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو، حين جهزها إلى عثمان بن عفان. انظر الوصية بتمامها في الأغاني (١٥: ٦٧) وعيون الأخبار (٤: ٧٦). والنص فيهما: «حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر».

(٦) أي حيث يشم.

(٧) القراح، بالفتح: الماء الخالص.

(٨) الشن، بالفتح: القربة الخلق. والممطور: الذي أصابه المطر.

(٩) س: «لابنتها».

بُنَيّتى إن نامَ نامِى قَبْلَهُ[١]   وأكْرِمى تابعهُ وأهْلَهُ
ولا تكونى فى الخِصامِ مِثْلَهُ   فتَخْصِميهِ فتكونى بَعْلَهُ[٢]

ومن الأمثال :

فأصبحت مما كان بينى و بينها   سوى ذِكْرِها كالقابض الماء باليد[٣]

وأخذ المسيحُ عليه السلام فى يده اليُمْنى ماء ، وفى يده اليسرى خُبزاً فقال : « هذا أبى ، وهذا أمّى[٤] » ، فجعل الماء أباً ، لأن الماء من الأرض يقومُ مقام النطفةِ من المرأة .

و إذا طُبخ الماء ثم بَرَد لم تَلْقَحْ عليه الأشجار ، وكذلك قُضبان الشجر[٥] . والحبوبُ والبذور[٦] لو طُبِخت طبخةً ثمَّ بُذِرَت لم تَعْلَق[٧] .

وقالوا فى النظر إلى الماء الدائم الجريان[٨] ما قالوا .

وجاء فى الأثر : من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذْ دِرْهَمًا حلالا ، فلْيَشْتَرِ به عسلًا ، ثم يشربَهُ بماء سماء ؛ فإنه يبرأ بإذن الله .

والنزيف[٩] هو الماء عند العرب .

---

(١) فى الأصل : « بنى إن نام فنامى قبله » .

(٢) خصمه يخصمه : غلبه فى الجدال . ولصاحب القاموس فى هذه الصيغة بحث ممتع .

(٣) مثله قول المجنون .

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض   على الماء خانته فروج الأصابع

(٤) النص فى إنجيل متى (٢٦ : ٢٦ — ٢٨) : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى » .

(٥) في الأصل : « الشجرة » .

(٦) س ، هـ : « والبزور » بالزاى . وهما سيان ، يقال : بذر ، وبزر .

(٧) هو من قولهم : علقت المرأة : حملت . وقد تكون : « تفلق » من الفلق .

(٨) ط : « الجارى » . س : « الجرايان » وهذه محرفة . وهو يشير إلى نحو ما جاء فى الأثر « ثلاثة يذهبن الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن » .

(٩) الذى فى المعاجم أن « النزفة » القليل من الماء ، جمعها نزف ، كغرفة وغرف . هـ : « التريف » محرفة .

وما ظنُّكم بشرابٍ خَبُثَ ومَلحَ فصار مِلْحًا زُعاقًا[١] ، وبحراً أُجاجًا[٢] ، ولَد العنبر الوَرْدَ[٣] ، وأنسَلَ الدّرّ النفيس[٤] فهل سمعْتَ بِنَجْلٍ أكْرَمَ من نَجْله ، ومن نِتاجٍ أشرفَ من نَسْله[٥] .

[وَ[٦]] ما أحسن ما قال أبو عبّاد ، كاتبُ ابن أبي خالد[٧] حيث يقول :

٤٧ ماجلسَ بين يدىّ رجلٌ قط ، إلا تمثَّل لى أننى سأجلِسُ بين يديه . وما سَرّنى دهرٌ قطُّ ، إلا شغلنى عنه تذكرُ مايليق بالدهور من الغِيَرِ[٨] .

قال الله عز وجل: ﴿ قِيلَ لها ادْخُلِى الصَّرْحَ فلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا[٩] ﴾ ، لأن الزجاجَ أكثرُ ما يُمدحُ به أن يقال : كأنه الماء فى الفيافى .

---

(١) الزعاق ، بالضم ، وآخرة قاف : الشديد الملوحة . ﻫ : « زعافا » بالفاء تحريف ، وإنما تصلح وصفاً للسم ، يقال : سم زعاف : أى سريع القتل .

(٢) البحر : الماء العظيم الملح . والأجاج ، بضم أوله وفتح ثانيه : الشديد الملوحة المحرق من ملوحته .

(٣) العنبر : ضرب من الطيب ، قال داود : « الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف (مادة) دهنية ، فإذا فارت على وجه الماء جمدت فليقيها البحر إلى الساحل ، وقيل : هو طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل: روث لسمك مخصوص . وهذه خرافة ، لأن السمك يبلعه فيموت فيطفو فيوجد فى أجوافه » هذا زعمه . والورد : ماكان ذا لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة .

(٤) أنسل : ولد . والدر : جمع درة ، وهى اللؤلؤة العظيمة . واللؤلؤ يؤخذ من بعض السمك ذى الأصداف . فى الأصل : « فأنسل » بالفاء .

(٥) نجله ، ونسله : ولده . وفى الأصل : « من نجله » ، و : « من نسله » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) انظر ترجمة أبى عباد فى (٢ : ١٩٣) . والخبر فى البيان (١ : ٢٥٦) مقتضباً .

(٨) لاق به : علق به . والغير بفتح وكسر : أحوال الدهر المتغيرة . قال ابن الأنبارى : « يجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة » انظر اللسان .

(٩) من الآية ٤٤ فى سورة النمل . والصرح : القصر . وكان سليمان قد بنى لبلقيس قصراً من الزجاج ، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره . وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره ، وتحققاً لنبوته . انظر تفسير الفخر (٦ : ٤١١) .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سائِغٌ شَرَابُهُ[١] ﴾ .

وقال القُطامىّ :

وهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بهِ ... مواقِعَ المَاءِ منْ ذِى الغُلّةِ الصّادى

وقال الله عز وجل :﴿ واللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ[٢] ﴾

فيقال: إنه ليس شىء إلا وفيه ماء ، أو قدْ أصابه ماء ، أو خُلِق من ماء .

والنُّطفة ماء ، والماء يسمى نُطفة . و [قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ﴾[٣]] . قال ابن عباس : موج مكفوف[٤] .

وقال عزوجل: ﴿ونزّلنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا[٥] ﴾ .

(التسمية بماء السماء)

وحين اجتهدوا فى تسميةِ امرأةٍ بالجمال ، والبركة ، والحُسنِ ، والصّفاء ، والبَياض قالوا : ماء السماء[٦] . وقالوا : المنذر بنُ ماء السماء .

---

(١) من الآية ١٢ فى سورة فاطر .

(٢) من الآية ٤٥ فى سورة النور .

(٣) من الآية ٧ فى سورة هود . وهذا الإكمال منه .

(٤) لعله من قولهم : كف الإناء : ملأه ملئاً مفرطاً .

(٥) من الآية ٩ فى سورة ق . وفى الأصل : « وأنزلنا » وهو تحريف قبيح . انظر القراءات الواردة فى سوره قٓ فى (إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة) ص ٣٩٨ ، وكذا (القراءات الشاذة لابن خالويه) ص ١٤٤ .

(٦) به لقبت أم المنذر بن امرئ القيس بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى ، وهى ابنة عوف ابن جشم ، من النمر بن قاسط . وسميت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها : بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وماء السماء لقب أيضا لعامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزيقياء ، الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم ، فسمى بذلك ، لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الخصب ، وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . وماء السماء أيضاً : لقب للعرب عامة ، لأنهم كانوا يتتبعون قطر السماء ، فينزلون حيث كان. وفي حديث أبى هريرة : « أمكم هاجر ، يا بنى ماء السماء » يريد العرب . انظر اللسان (١٨ : ٤٤٣) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(استطراد لغوى)

ويقال : صِبْغٌ له ماء ، ولونٌ له ماء ، وفلان ليس فى وجهه ماء ، وردَّنى فلانٌ ووجهى بمائه . قال الشاعر :

ماء الحياء يجولُ فى وجَناتِهِ

(شعر فى صفة الماء)

وقالت أمُّ فَروة[1] فى صفة الماء :

وما ماء مُزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُه ... تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوائبِ
بمُنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وادٍ تحدَّبت ... عليه رياحُ المزْنِ من كلِّ جانبِ[2]
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عن مُتونه ... فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ[3]
بأطيبَ ممنْ يقصُرُ الطَّرْفَ دونَه ... تُقَى الله واستحياءُ بعضِ العواقبِ

(ما يحبه الحيوان من الماء)

والإبل[4] لا تحبُّ من الماء إلا الغليظَ . والحوافرُ تحبُّ العُذوبة وتكره الماء الصافى ، حتى ربَّما ضرَب الفرسُ بيده الشريعة[5] ليثوِّر الماء ثمَّ يشربَه .

والبقر تعافُ الماء الكَدِرَ ، ولا تشرب إلا الصافى .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٥٤) . والأبيات مروية هناك مع بعض الخلاف .

(٢) تحدبت : تعطفت ، كما تتحدب الأم على ولدها . وفى الجزء الثالث : « تحدرت » .

(٣) القذا : ما يقع فى الماء من تراب أو تبن أو وسخ . والمتون : جمع متن ، أراد صفحته .

(٤) فى الأصل : « فالإبل » .

(٥) الشريعة : مورد الماء ، يشرع فيه الحيوان .

والظباء تَـكرَع فى ماء البحرِ الأُجاج ، وتخضِمُ الحنْظَل .

(استطراد لغوى)

والأبيضان : الماء ، واللبن . والأسودان : الماء ، والتمر .

وسواد العِراق : ماؤه الـكثير . والماء إن كان له عُمْق اشتدّ سوادُه فى العين .

(شعر فى صفة الماء)

وقال العُـكلىّ فى صفة الماء :

عادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى عوْدُهْ[1] والليل داجٍ مطلخِمٌّ أسودُه[2]
فبتُّ ليـلى ساهراً ما أرقُده حتى إذا الليـل تولى كَبِدَه[3]
وانـكبَّ للغَوْرِ انـكِبابا فرْقَدُهْ[4] وحثَّه حادٍ كميشٌ يَطرُدُه[5]
أَغَرُّ أجلى مُغْرَبٌ مُجرَّدُه[6] أصبحَ بالقلبِ جوًى ما يَبردُه[7] ٤٨

---

(١) البيت مخروم بنقص حرفين . ويتم بأن يكون : « قد عاده » ، أو « عاوده » .

(٢) مطلخم : مظلم متراكب .

(٣) كبد الشىء : معظمه ، ووسطه .

(٤) الغور ، أراد به الغروب . والفرقد.أراد به الفرقدين ، وهما كوكبان قريبان من القطب . وفى اللسان . « وربما قالت العرب لهما : الفرقد . قال لبيد :

خالفَ الفرقدَ شرْباً فى الهُدى خُلَّةً باقيَةً دونَ الخُلَلْ

وفى ديوان لبيد ص ١٢ : « شركا فى المرى » .

(٥) ضمير « حثه » للفرقد ، أو لليل . والـكميش : السريع الجاد فى السوق ، وقد عنى بالحادى هنا الصبح .

(٦) الأغر : الأبيض ، وهو صفة « حاد » فى البيت قبله . والأجلى : الحسن الوجه الذى انحسر الشعر عن جبهته ، وفى صفة المهدى أنه « أجلى الجبهة » . والمغرب ، بضم الميم وفتح الراء : الأبيض . والمجرد : ما جرد عنه الثياب من الجسد .

(٧) أصبح ، جواب « إذا » فى البيت الرابع من الأرجوزة . وبرده يبرده ؛ من باب نصر ، وبرده بالتشديد : جعله بارداً . وفاعله « ماء غمام » فى البيت بعده .

ماء غمامٍ فى الرِّصاف مَقْلِدُهُ[١] ... زَلّ به عن رأسِ نِيقٍ صَدَده[٢]

عن ظهر صَفْوانٍ مَزَلّ مِجْسَده[٣] ... حتى إذا السّيلُ تناهى مَدَده[٤]

وشكَّد الماء الذي يشكُده[٥] ... بين نُعَامَى ودَبُورٍ تَلْهَدُهُ[٦]

كلُّ نَسيمٍ من صَبًا تَسْتَوْرِده[٧] ... كأنما يشهده أو يفقده

فهو شِفاء الصادِ مما يَعْمِدُهُ[٨]

وقال آخر فى الماء :

---

(١) الرصاف ، بالكسر : جمع رصفة ، بالتحريك ، وهى حجارة ،رصوف بعضها إلى بعض فى مسيل ماء ، وهو أصفى للماء وأرق . والمقلد : المجمع ، قلد الماء فى الحوض يقْلِده قلداً : جمعه فيه .

(٢) زل به : جعله يزل ، أي يسقط . ط ، ﻫ : « ذل » بالذال، صوابه فى س . والنيق بالكسر : الحرف من حروف الجبل ، وأعلى موضع فيه . والصدد : الناحية . وفى الأصل : « صلده » .

(٣) الصفوان : الحجارة الصلدة الضخمة ، واحده صفوانة . والمزل ، بفتح الزاى وكسرها موضع الزلل . والمجسد ، كمنبر : أصله الثوب يلى الجسد .

(٤) ﻫ : « الليل » محرفة .

(٥) المعروف شكده يشكده ، بضم عين المضارع وكسرها من الثلاثى ، وأشكد لغة فيه ، والشكد : العطاء ، عنى به المدد الذى يتلقاه من السيل . س : « يستنكده » محرف .

(٦) النعامى ، بالضم والقصر : ريح الجنوب، وهى أبل الرياح وأرطبها . قال أبو ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف ... خلاف النعامى من الشأم ريحا

وفى ط ، ﻫ : « حوام » وس : « حوامى » . والدبور : الريح الغربية . تلهده : شديداً .

(٧) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية .

(٨) الصاد : الظمآن . وفى الأصل : « الصادى» بإثبات الياء ، وهو تحريف لا يستقيم به الوزن . وقد أجرى الراجز الوصل مجري الوقت فى لغة من يقف على المنقوص المحلى بأل بحذف الياء ، كما قرئ : « الكبير المتعال»، « يوم التناد ». ويعمده : يضنيه ، ويفدحه ويشتد عليه . وبابه ضرب .

يا كأس ما ثَغَبٌ برأسِ شَظِيَّةٍ نَزِلٍ أصابَ عِرَاصَهَا شُؤْبُوبُ[١]

ضَحْيَانُ شاهقةٍ يرِفّ بَشَامُه نديانَ ، يقصر دونَهُ اليعقوب[٢]

بألذَّ منكِ مَذاقةً لمحَـلأٍ عطشانَ دَاغَش ثم عاد يَلوبُ[٣]

وقال جرير[٤] :

---

(١) كأس : اسم من يشبب بها . وفى الأصل : « ما كأس » تحريف . والثغب ، بالتحريك والفتح أقل : ماء مستنقع فى صخرة . والشظية : رأس من رؤوس الجبل . ط ، ه : « نعب رأس شظية » وبإسقاط : «ما » ، وفى سه : « ماء نعب رأس شظية » . وهو تحريف متراكب أصلحته بما ترى . والنزل ، بفتح فكسر : السريع السيل . والعراص جمع عرصة ، بالفتح ، وهى الأرض الوأسعة بين الدور ، أراد : ساحتها . والشؤبوب : الدفعة من المطر . ه : « أصاب عراضها » ط : « أمال » صوابهما فى سه .

(٢) الضحيان : البارز للشمس ، قال ابن جنى : «كان القياس فى ضحيان ضحوان ، لأنه من الضحوة ، إلا أنه استخف بالياء » على أن الياء أخف من الواو . شاهقة : أراد فى بقعة عالية . والبشام : نبت طيب الريح والطعم . يرف : يهتز خضرة ، وتلألؤا . وفى الأصل : « يرق » بالقاف ، تصحيف . نديان : أصابه الندى . إنظر اللسان (٢٠ ١٨٦ س ١٨) . ورواية اللسان (٣ : ١١٣ س ٢) : « عال » . واليعقوب : الظاهر فيه أنه ذكر العقاب ، ومن فسره بذكر الحجل فقد أخطأ ، لأن الحجل لا يعرف لها مثل هذا العلو فى الطيران . ويشهد بصحة هذا القول ، قول الفرزدق (انظر الديوان ٣٦ ، واللسان) :

يومًا تَرَكْنَ لإبراهيمَ عَافيةً مِن النُّسور عليه واليعاقيبِ

فذكر اجتماع الطير على هذا القتيل من النسور ، واليعاقيب . ومعلوم أن الحجل لا يأكل القتلى .

(٣) منك : أراد الرضاب . والمحلأ : الممنوع من الماء . داغش ، من المداغشة ، وهى أن يحوم حول الماء من العطش ، وبهذا البيت استشهد صاحب اللسان فى (٨ : ١٩١) . وروايته فى هذا الموضع وفى (٢ : ٢٤٢) :

بألذ منك مقبلا لمحلأ عطشان داغش ثم عاد يلوب

وفى أصل الحيوان : «داعس » محرف . يلوب : يدور حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه .

(٤) ديوانه ٤٥٣ من قصيدة يهجو بها الفرزدق . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة أيضا :

لم أر مثلك يا أمام خليلا أنأى بحاجتنا وأحسن قيلا

لو شئتِ قد نَقَعَ الفؤادُ بشَرْبةٍ . تَدَعُ الحوائمَ لا يَجُدْنَ غليلا[١]
بالعَذْب من رصَف القِلاتِ مَقِيلُه قَضُّ الأباطح لايزالُ ظليلا[٢]

(فضل المـاء)

قال : وفي الماء أنّ أطيب شراب عُمِل ورُكِّب ، مثل السَّكَنْجَبِين[٣] ، والجُلاّب[٤] ؛ والبَنَفْسَجِ وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة ، فإنْ لذَّ

---

(١) نقع الفؤاد : شفى غليله وارتوى . وفي الديوان : « بمشرب يدع » . ويقال : وجد يجد ، ويجُد ، والضم لغة عامرية . وبهذا البيت استشهد الجوهري ونسبه إلى لبيد ، قال : وهو عامرى » . واستدركه ابن برى بأن الشعر لجرير .

(٢) القلات ، بالكسر : جمع قلت ، وهى البئر فى الصخرة من ماء السماء ، ولا مادة لها من الأرض . والرصف ، بالتحريك : حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، أو صف مستطيل كأنه مرصوف . في الأصل — وهو هنا ط ، سه ، إذن أن هذا البيت ساقط من هـ — : « الفلاة » . وفي الديوان : « القلاة » صوابه ما أثبت من اللسان (٤ ٤٥٨) . والرواية فيه وفي الديوان : « فى » بدل « من » . مقيله : حيث يقيل . والقض : الأرض ذات الحصباء ، وماؤها أعذب ماء وأصفاه . وفى الأصل : « قصر » صوابه من الديوان واللسان .

(٣) السكنجبين : معرب من الفارسية ، وأصله فيها « سِكَنگبين » ، أو « سركَنگَبين » كما فى معجم استينجاس . وقد أشار إلى المأخذ الثانى داود فى تذكرة أولى الألباب ، وإلى الأول أدى شير فى الألفاظ الفارسية المعربة . والأول مركب من « سيكى » ، و « أنگَبين » : والثانى من « سِركا » و « انگبين » و « سيكى » ، « سركا » معناهما الخل . و « أنگَبين » معناه العسل . ويراد به كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفراء . وفى لغة الأطباء من الأوربيين (Oxymel) . وانظر صنعته فى مادة (شراب) من التذكرة ، ومنهاج الدكان ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٨ — ٣٩ » ولم يذكره صاحب اللسان وذكر صاحب القاموس (السَّكَبِينَج) ، وقال : « دواء معروف » . وليس بالسكنجبين ، بل هو نبات صمغ يتداوى به . ولم يشر إليه الجواليقى ، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل . واستعمال الجاحظ لهذه الكلمة يصحح تعريبها .

(٤) الجلاب ، بضم الجيم وتشديد اللام : ماء الورد ، فارسى معرب . قال داود : « هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر ماء ورد » . وانظر المعرب ١٠٦ ، وشفاء الغليل ، والمعتمد ص ٤٩ . وهو مركب من « گُلْ » بمعنى الورد ، و « آب » بمعنى الماء .

وطاب ، فإنّ تمامَ لذّته أن يَجْرعَ شاربُه بعد شُربه له جُرَعاً من الماء ، يغسل بها[1] فمه ، ويطيّب بها نفسه . وهو فى هذا الموضع كالخُلّة والحَمْض جميعاً[2] وهو لتسويغ الطعام فى المرىء[3] ، والمركَبُ والمَعْبر ، والمتوصّل به إلى الأعضاء.

فالماء يُشرَبُ صِرْفًا وممزوجاً ، والأشربة لاتُشرَبُ صِرفا ، ولا يُنْتفَعُ بها إلا بممازَجة الماء .

وهو بعدُ طهورُ الأبدانِ ، وغَسُولُ الأدران[4] .

وقالوا : هو كالماء الذى يطهر كلّ شىء ، ولا ينجسّه شىء .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر رُومة[5] : « الماء لاينجّسُه شىء[6] » .

ومنه ما يكون منه المِلْح[7] ، والبَرَد ، والثّلج ، فيجتمع الُحسن فى العين ، والكرم فى البياض والصفاء ، وحسنُ الموقع فى النفس .

وبالماء يكون القَسَم ، كقول الشاعر :

---

(١) سه : « به » محرف .

(٢) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من النبت . والحمض ، بالفتح : كل نبت فيه حموضة أو ملوحة . والعرب تقول : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها . وذلك أن الإبل إذا شبعت من الخلة اشتهت الحمض .

(٣) المرىء ، كأمير : مجرى الطعام والشراب ، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم . ط ، هـ : « بتسويغ » صوابه فى سه .

(٤) الغسول ، بالفتح : ما يغسل به . والأدران : جمع درن ، بالتحريك ، وهو الوسخ .

(٥) رومة ، بضم الراء ، وهى فى عقيق المدينة ، اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها . وبالقرب منها نزلت قريش فى غزوة الخندق .

(٦) هذا محمول على الماء الكثير إذا بلغ قلتين ، أو عشرة أذرع فى مثلها كما يقول الفقهاء ويختلفون . والقلة : الجرة العظيمة . ويخصص هذا الإطلاق حديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجسا » وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين يحمل النجس . انظر تأويل مختلف الحديث ٤٣٣ — ٤٣٤ . وهو كما تقول : النار لا يقوم لها شىء ! ولا تريد بذلك نار المصباح الذى يطفئه النفخ ، وإنما تريد نار الحريق .

(٧) سبق فى ص ٣٩ : « فيصير مطراً ، وبردا ، وثلجا ، وطلا » .

غَضَـبِي ولا واللهِ يا أهلَهَا لا أشْرَبُ البارِدَ أو تَرْضَى[١] .

و يقولون : لو عَلِمَ فلانٌ أنَّ شُرْبَ البارِدِ يَضَعُ من مروءَتِه لما ذاقه[٢] .

٤٩ وَسمّى الله عز وجلّ أصلَ الماء غَيثا[٣] بعد أن قال : ﴿ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ[٤] ﴾ .

ومن الماء ماءُ زمزم ؛ وهو لِمَا شُرِبَ له . ومنه [ما[٥]] يكونُ دواءً وشفاءً بنفسه ، كالماء للحمّى[٦] .

(علّة ذكر النار فى كتاب الحيوان)

قد ذكرنا جملة من القَول فى النار[٧] ، وإن كان [ذلك] لايدخل فى باب القول فى أصناف الحيوان ؛ فقد يرجع[٨] إليها من وجوه [كريمة نافعةِ الذكر ، باعثةٍ على الفكر . وقد يعرِضُ من القَوْلِ ما عسى أن يكون أنفعَ] لقارئ هذا الكتاب من باب القولْ فى الفيل ، والزَّنْدبيل[٩] ،

---

(١) الحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به . وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة : « الله » .

(٢) يضع من مروءته : يحط منها . ط : « مؤنة » ه ، س : « مروءته » صوابه ماأثبت .

(٣) وذلك فى الآية ٣٤ من سورة لقمان ، والآية ٢٨ من سورة الشورى ، والآية ٢٠ من سورة الحديد .

(٤) من الآية ٧ فى سورة هود .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فى الأصل — وهوهنا ط ، س ، ه : « كالحمى » . والمراد : كالماء الذى تداوى به الحمى ينضح به المريض ، وبذلك كان يتداوى الرسول الكريم فى مرضه الأخير .

(٧) من مبدأ هذه الجملة يعود الكلام فى نسخة كوبريلى ، وينتهى السقط الذى نبهنا على أوله فى ص ١٣٧ .

(٨) ط ، س : « ترجع » ه : « رجع » وأثبت ما فى ل .

(٩) الزندبيل : الفيل الكبير ، فارسى معرب ، مركب من « زنده » بمعنى الكبير . و « پيل » بالباء الفارسية . وهو الفيل . انظر معجم استينجاس والمعرب ١٧٦ .

و [فى] القرد والخنزير ، وفى الدُّب والذئب ، والضَّبّ (١) والضَّبع ، و [فى] السِّمْعِ والعسْبار (٢) .

وعَلَى أن الحِكمَةَ ربما كانت الذُّبابةِ مع لطافة شخصها ، ونذالةِ قَدْرها ، وخساسةِ حالها — أظهرَ منها فى الفرس الرَّائع (٣) ، وإن كان الفرسُ أنفع فى باب الجهاد ؛ وفى الجاموس مع عِظَم شخصه ، وفى دودة القزِّ ، و [فى] العنكبوت — أظهرَ منها فى الليثِ المصور ، والعُقابِ الشّغْوَاء (٤) .

وربما كان ذِكرُ العظيمِ الجُثة [الوثيق البدَن، الذي يجمعُ حِدَّةَ النابِ وصولةَ الخلق] أكثرَ فائدةً ، وأظهرَ حِكمةً من الصَّغيرِ الحقير ، ومن القليل القَمِيّ (٥) . كالبعير والصُّؤابة ، [والجاموس] والثعلب والقَملة .

وشأن الأرَضةِ أعجبُ (٦) من شأن البَبْرِ [مع مسالمة الأسد له ، ومحاربته للنمر] .

وشأنُ الكُرْكىِّ أعجبُ من شأن العَنْدَليب (٧) ، فإن الكُرْكىَّ [من] أعظَم الطّير ، والعندليبَ (٧) أصغرُ من ابن تَمْرة (٨) .

---

(١) « الذئب » ساقط من س . وما بعده ساقط منها ومن هـ .

(٢) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . فيما عدا ل : « السبع » بالباء ، محرف. والعسبار ، بالكسر : ولد الضبع من الذئب . انظر ما سبق في الحيوان (١ : ١٨١ ١٨٢) .

(٣) فيما عدا ل : « على الفرس الرائع » .

(٤) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك لانعطاف منقارها الأعلى ، أو لفضله على الأسفل . فيما عدا ل : « القتول » محرف .

(٥) القمى : مخفف القمىء ، وهو الصغير الجسم .

(٦) ل : « أعظم » .

(٧) العندليب : طائر يصوت ألواناً . ط ، س ، هـ « العنديبل » بالقلب . ويقال أيضا « العنديل » بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس . ولم يذكرا لغة القلب . وقد أثبت « العندليب » من ل . وفى الحيوان (٧ : ٢٥) : « ويقولون عندليب وعنديبل وكل صواب » .

(٨) ويقال أيضا « أبو تُمَّرة » و « تُمَّرة » و « التُّمَّير » . قال ابن سيده فى المخصص (٨ : ١٦٥) : « أصغر ما يكون من الطير ، يجرس الزهر والشجر ، كما تجرس النحل والدبر » . وهو بالإنكليزية : Sunbird . فيما عدا ل : « ابن نمر » محرف .

ولذلك ذكر يونس[١] بعضَ لاطَةِ الرُّواة فقال : « يضربُ مابينَ الكُرْكيِّ إلى العندليب » . يقول : لايدع رجلا ، ولا صبيًّا إلاَّ عفَجَه .

ويشبه ذلك هجاء خلف الأحمرِ أبا عبيدة ، حيثُ يقول[٢] :

ويضربُ الكُرْكِى إلى القُنبَرِ   لاعانسًا يبقى ولا مُحْتَلِمْ[٣]

والعانس من الرجال مثله من النساء[٤] .

فلسنا نُطنبُ فى ذكر العظيم الجثة لِعظَم جُثَّته ، [ولا نَرْغَبُ عن ذكر الصَّغير الجثة ، لصغر جُثَّته] . وإنما نلتمس ماكان أكثر أعجوبة ، وأبلغَ فى الحكمة[٥] ، وأدلَّ عند العامة على حكمة الرّبّ ، وعلى إنعام هذا السيّد .

ورُبَّ شيء الأعجوبةُ فيه إنما هى فى صورته ، وصَنعته ، وتركيب أعضائه ، وتأليف أجزائه[٦] ، كالطاووس فى تعاريج ريشه[٧] ، وتهاويل

---

(١) هو يونس بن حبيب الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . وانظر كنايات الثعالبى ٢٧ والميدانى (٢ : ٣٤٨) . فيما عدا ل : « ابن يونس » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » .

(٣) القنبر : ضرب من الحُمَّر : Lark . انظر معجم المعلوف ١٤٦ . ل : « محتلما »

(٤) فى اللسان : « العانس من الرجال والنساء : الذى يبقى زماناً بعد أن يدرك لا يتزوج . وأكثر ما يستعمل فى النساء » .

(٥) ل : « بل إنما نلتمس ما كان أظهر أعجوبة وأشهر بالحكمة » .

(٦) فيما عدا ل : « ريشه » .

(٧) ل : « تفاريج » . والتفاريج ، أصلها فتحات الأصابع ، وشقوق الدرابزين ، واحدها تِفراج ، أو تِفْرِجة . وانظر ما سبق فى (١ : ٢١٠) ، و (٢ : ٢٤٤) .

ألوانه ، وكالزَّرافة فى عجيب تركيبها ، ومواضع أعضائها . والقولُ فيهما[١] شبيهٌ بالقول فى التُّدرُج[٢] والنَّعامة .

وقد يكون الحيوانُ عجيبَ صنعةِ البَدن ، ثم لا يُذكرُ بعدَ حُسن الخَلْق بخُلق كريم ، [ولا حِسٍّ ثاقبٍ] ، ولا معرفة عجيبة ، ولا صنعة [لطيفة] . ومنه ما يكون كالببغاء ، والنخْلة ، والحَامة ، والثعلبِ ، والدُّرَّة[٣] ولا تكون الأعجوبةُ فى تصويره ، وتركيب أعضائه ، وتنضيد ألوانِ ريشه فى وزن تلك الأشياء التى ذكرناها ، أو يكون العَجَبُ[٤] فيما أعطى فى حنجرته من الأغانى العجيبة ، والأصوات الشجيَّة[٥] المطربة ، [والمخارج الحسنة — مِثلَ العجب فيما أُعطِيَ من] الأخلاق الكريمة[٦] ، أو فى صنعة الكفِّ اللطيفة ، والهداية الغريبة ، [أ] و المِرْفق النافع ، أو المضرَّة[٧] التى تدعو إلى شدَّة الاحتراس ، ودقة الاحتيال ، فيقدَّم فى الذكر لذلك . ٥٠

وأىُّ شىء أعجبُ من العَقْعَق[١] وصِدْق حِسِّه ، وشدةِ حَذَرِه ، وحُسْنِ معرفته ، ثم ليس فى الأرض طائر [أشدُّ تضْييعاً لبيضه وفرْخه منه .

---

(١) سه : « فيه » ط ، هـ : « فيهما » وأثبت ما فى ل .

(٢) انظر (٢ : ٢٤٤) .

(٣) الدرة ، بضم الدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ضرب من الببغاوات . انظر الدميرى ومعجم المعلوف ١٨٣ . ولم يذكرها صاحب اللسان والقاموس . وقد أسلف الجاحظ ذكرها فى (١ : ٢١٠) ، وجاءت هناك وهنا محرفة برسم « الذرة » بالذال المعجمة . وقد نبهنى العلامة المحقق الأب أنستاس الكرملى إلى تصحيحهما فى رسالة خاصة .

(٤) ط ، هـ : « العجيب » .

(٥) ل : الملحنة » .

(٦) فيما عدا ل : « وفى الأخلاق الكريمة » .

(٧) فيما عدا ل : « أو إلى المضرة » ، وكلمة « إلى » مقحمة .

(٨) العقعق ، كثعلب : طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب طويل الذنب .

والحُبارَى ، مع أنها أحمقُ الطير ،] تحوطُ بيضَها أو فراخَها[1] أشدَّ الحياطة و بأغمضِ معرفة ، حتى[2] قال عثمانُ بن عفان ، رضى الله عنه : « كلُّ شىء يحب ولدَه حتى الحبارى » . يَضربُ بها المثلَ فى الموق[3] .

(العَقعَق)

ثم العقعَقُ مع حِذقه بالاستلاب[4] ، وبسرعة الخطف ، لايستعمل ذلك [إلا[5]] فيما [لا] ينتفع به ؛ فكَمْ من عِقدٍ ثمين خَطير ، ومن قُرْطٍ شريف نفيس ، قد اختطف[6] من [بين] أيدى قوم ، فإمّا رَمَى به بعد تحلّقه[7] فى الهواء ، و إما أحرزه ولم يلتفت إليه أبدًا .

وزعم الأصمعىُّ أنّ عَقعقاً مرةً استلَبَ سِخابا[8] كريما لقوم ، فأخذَ أهلُ السِّخَاب أعرابيَّة كانت عندهم ، فبينما هى تُضْرَبُ ، وتُسْحَبُ ، ونَسَبُ إذ مرّ العقعَقُ والسِّخابُ فىمنقاره[9] ، فصاحوا به فرمى به ، فقالت الأعرابية وتذكَّرتِ السلامة[10] بعد أن كانت قد ابتُليت ببليَّة أخرى فقالت[11] :

---

(١) ل : « وفراخها » .

(٢) فيما عدا ل : « مثله » موضع « حتى » . تحريف .

(٣) الموق ، بالضم : حمق فى غباوة . ل : « المؤق » بالهمز .

(٤) الاستلاب : السلب . فيما عدا ل : « بالأسباب » . محرف .

(٥) هذه الزيادة من ل ، س ، هـ .

(٦) ل : « اختطفه » .

(٧) المعروف : حلق الطائر تحليقاً إذا ارتفع فى الهواء واستدار . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وسبق مثلها فى (٣ : ١٨٤) .

(٨) فى اللسان « الأزهرى : السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن » . واستشهد بالبيت الآتى . وهو بكسر السين .

(٩) فيما عدا ل : « فى فه » . وأنى يكون له الفم ؟ ! .

(١٠) فيما عدا ل : « تذكر السلامة » .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

وَيومُ السِّخَاب من تَعَاجِيبِ رَبِّنَا كما أنه من بَلْدَةِ السَّوْء نجَّانى[1]

تعنى الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضِرة .

(كلام فى الاستطراد)

ولا بأس بذكر مايعرض ، مالم يكن من الأبواب الطِّوال ، التى ليس فيها إلا المقاييس المجرَّدة ، والكلامية المحضة ؛ فإن ذلك مما لايخفُّ سماعه ولا تَهَشُّ النفوسُ لقراءته . وقد يحتمل ذلك صاحبُ الصناعة[2] ، وملتمس الثواب والحِسْبة[3] ، [إذا كان حليفَ فِكرٍ ، أليفَ عِبَرٍ] ، فمتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشَّح بالأشعار الظريفة البليغة ، والأخبار الطريفة العجيبة[4] ، تكلّفنا ذلك ، ورأيناه[5] أجمعَ لما ينتفع به القارئ .

ولذلك استجزْنا أن نقولَ فى باب النار ماقلنا .

وأنا كاتبٌ لك بعد هذا — إذْ كنتُ قد أمللْتُكَ بالتطويل ، وحملْتُك على أصعَب المراكب ، وأوْعَرِ الطُّرق ، إذ قد ذكرنا فيه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين . ولا أرى أن أزيدَ فى سآمتك ، وأحمِّلَكَ استفراغ طاقتك ، بأن أبتدئ[6] القول فى الإبل ، والبقر ، والغنَم ، والأُسْدِ ، والذئاب ، والحمير ، والظباء ، وأشباه ذلك ، مما أنا كاتِبُهُ لك .

ولكنى أبدأ بصغارِ الأبواب وقصارِها ، ومُحَقَّراتها[7] ، وملاحها ،

---

(١) رواية اللسان (١ : ٤٤٤) : « على أنه » .

(٢) يعنى صناعة الكلام .

(٣) الحسبة ، بالكسر : الأجر والثواب . فيما عدا ل « الحسنة » تصحيف .

(٤) ل : « الحسنة العجيبة » .

(٥) فيما عدا ل : « ورويناه » .

(٦) ل فقط : « ابتدأ » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « محتقراتها » .

لئلا تخرج من الباب الأول ، إلا وأنت نشيط[١] للباب الثانى ، وكذلك الثالث والرابع[٢] إلى آخر ما أنا كاتبه لك ، إن شاء الله .

(سَرد منهج سائر الكتاب)

ونبدأ بذكر مافي العصفور[٣] ، ثم نأخذ فى ذكر [مافى] الفأر والعقرب ، ٥١ والذى بينهما من العَداوة ، مع سائر خصالها .

ثم القولُ فى العقرب والخُنفساء ، و [فى] الصداقة بينهما ، مع سائر خصالها .

ثم القول فى السِّنَّوْر ، و [بعضُ] القول فى العقرب[٤] .

ثم القولُ فى البعوض والبراغيث . ثم القولُ فى القَمل والصِّئْبان .

ثم القول فى الورَل والضَّبّ . ثم القول فى اليربوع والقنفذ . ثم القول فى النسور والرَّخم .

ثم القول فى العُقاب وفى الأرنب . ثم القول فى القِرْدان[٥] والضفادع .

ثم القول فى الُحبارى وما أشبه ذلك . [وإن كنا قد استعملنا فى هذا الكتاب جملاً من أخبار ما سمينا بذلك] .

وسنذكر قبل ذكرِنا لهذا الباب أبوابا من الشعر طريفة[٦] ، تصلُحُ

---

(١) فيما عدا : ل : « تنشط » .

(٢) ط فقط : « وكذا الباب الثالث والرابع » .

(٣) فيما عدا ل : « بما فى العصفور » .

(٤) هذا الصواب كما يقتضيه ترتيب الكتاب ، وسيأتى فى ص ١٠٧ ساسى . وفى الأصل : « القنفذ » فيكون تكراراً لما سيأتى .

(٥) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، كغراب . وسيمر بك الحديث عنه فى ١٣٠ ساسى .

(٦) ط ، هـ : « ظريفة » بالظاء المعجمة .

للمذاكرة ، وتبعث على النشاط معه[١] وتُستَخَفّ معه قراءةُ ما طال من الكتبِ الطوال .

ولولا سوء ظني بمن يُظْهِرُ التماس العلم فى هذا الزمان ، ويذكر[٢] اصطناعَ الكتبِ فى هذا الدهر — لَمَا احتجتُ فى مداراتهم واستمالتهم ، وترقيق نفوسهم[٣] ، وتشجيع قلوبهم ، مع كثرةِ فوائد هذا الكتابِ — إلى هذه الرياضة الطويلة ، وإلى كثرةِ هذا الاعتذار ، حتى كأن الذى أُفيدُه إيام أستفيدُهُ منهم ، وحتى كأن رغبتى فى صَلاحِهم ، رغبةُ من يَرْغَبُ[٤] فى دنياهم ، [ويتضرع[٥] إلى ما حوته أيديهم] .

هذا . ولم أذكر [لك] من الأبواب الطوال شيئا ، و [لو] قد صرت إلى ذكرِ فرقِ ما بين الجنّ والإنس ، و [فرق] ما بين الملائكة والأنبياء ، وفرق ما بين الأنثى والذكر ، وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأنثي ولا ذكر ، حتى يمتدّ بنا القولُ فى فضيلة الإنسان على جميعِ أصنافِ الحيوان ، وفى ذكر الأمم والأعصار ، وفى ذكر القَسم[٦] والأعمار ، وفى ذكر مقادير العقول والعلوم والصناعات[٧] . ثم القول فى طباع الإنسان منذ كان نطفة إلى أن يُفنيهُ الهرَم[٨] ، [وكيف حقيقةُ ذلك الردّ إلى أرذل العمر] . فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة ، فأنت حينئذ أعذَرُ ، [ولحظّ نفسك أبْخَسُ] . وما عندى

---

(١) ط فقط « وتستحق » . وأتى بضمير « معه » مذكرا ، لأنه عاد به إلى الشعر .

(٢) فيما عدا ل : « ويظهر » والأشبه ما أثبت من ل .

(٣) ترقيق النفوس : حملها على أن ترق . فيما عدا ل : « توفيق » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « رغب » .

(٥) فى اللسان : « التضرع : المبالغة فى السؤال والرغبة » .

(٦) القسم ، بالفتح : ما قسم للانسان وقدر . ل : « القيم » : جمع قيمة .

(٧) فيما عدا ل : « بالعلوم بالصناعات » . محرف .

(٨) الهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر ، هرم كفرح . فيما عدا ل : « تفنيه الهموم » تصحيف .

لك من الحيلة إلا أن أصوّره لك فى أحسن صورة ، وأقلّبك منه فى الفنون المختلفة ، فأجعلكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشّعر الصحيح ، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائرِ الواقع ، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في [طُرف] الفلسفة ، والغرائب التى صحّحتْها التجربة ، وأبرزها الامتحان ، وكشَفَ[1] قِناعَها البُرهانُ ، والأعاجيبِ التى للنفوسِ بها كَلَفٌ شديدٌ[2] وللعقول الصحيحة إليها النزاع القوىّ[3] .

ولذلك كتبتُه لك ، وسُقتُه إليك ، واحتسبتُ الأجرَ فيك .

فانظر فيه نظرَ المنصِفِ من الأكْفاء والعُلَماء ، أو نَظَر المسترشِدِ من المتعلِّمين والأتباع . فإن وجَدت الكتابَ الذى كتبتُه لك يخالفُ ما وصفتُ ٥٢ فانقُصْنى من نشاطك له على قَدْر ما نَقَصْتُكَ مما ينشطك لقراءته[4] . وإن أنتَ وجدتنى — إذا صحَّ عقلُكَ وإنصافك — قد وفَّيتُكَ ما ضمنت لك[5] فوجدتَ نشاطك بعدَ ذلك مدخولاً ، وحَدَّكَ مفلُولاً — فاعلم أنا لم نُؤتَ إلا من فُسولتِك[6] ، و[من] فسادِ طبعك ، ومن إيثارك لما [هو] أضرُّ بك .

---

(١) ل : « فكسف » .

(٢) الكلف : الولوع والعشق . فيما عدا ل : « كثير » .

(٣) النزاع ، بالكسر ، والنزوع أيضا : الشوق . فيما عدا ل : « نزاع شديد » .

(٤) فيما عدا ل « مما ينشطك إليه لقراءته » باقحام : « إليه » .

(٥) وفاه حقه وأوفاه : أعطاه إياه وافيا تاما ، ط فقط : « بما » تحريف .

(٦) الفسولة ، بالضم أن يكون فسلا ، وهو أن يكون رذلا نذلا لا مروءة له .

باب

في مديح النصارى واليهود[١] والمجوس والأنذال وصِغار الناس

من ذلك ما هو مديحُ رغبة ، ومنه ما هو إحماد[٢] .

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قَنْد[٣] الفزاريّ ، في ناسٍ خالطَهم من اليهود :

وَجَدْنَا في اليهودِ رجالَ صِدْقٍ ... عَلَى ما كانَ من دينٍ يُرِيبُ[٤]

لَعَمْرُكَ إنَّني وابنَيْ عريضٍ[٥] ... لَمِثْلُ المَاءِ خالَطَهُ الحَلِيبُ

خَليلان اكتَسَبْتُهُمَا وإنِّي ... لِخلّةِ ماجدٍ أبداً كَسوبُ[٦]

وقال أبو الطَّمَحَان الأسَديّ[٧] ، وكان نديماً لناسٍ من

---

(١) فيما عدا ل : « باب مديح في النصارى واليهود » ـ وكلمة «والمجوس» بعده ساقطة من ل .

(٢) الإحماد : مصدر أحمده : وجده مستحقا للحمد . فيما عدا ل : « ومن ذلك » .

(٣) ط ، هـ : « قنديل » وأثبت ما في ل ، س .

(٤) يريب : يحمل على الريب . وفي الأصل : « مريب » .

(٥) عريض ، بالعين المهملة .

(٦) ل : « قدما كسوب » .

(٧) في المؤتلف ١٥٠ : « وأنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش لأبي الطمحان الأسدي وذكر أنه مما نقله من خط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مما تلقطها من كتاب الحيوان للجاحظ ... وقال أبو الحسن الأخفش : وأنشدناه المبرد قال هو لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي . قال : ولا أعرف أبا الطمحان إلا القيني ، وهو الشرقي بن القطامي . وأظن هذا آخر » . وهو يشير إلى ما ورد في الكامل ٢٦ ليبسك من نسبة الشعر إلى طخيم بن أبي الطخماء الأسدي . والذي يظهر لي أنهما شخص واحد، وأن « أبا الطمحان » كنية طخيم الأسدي . يدلك على هذا أن أبا تمام في الحماسة (٢ : ٤١٢) أنشد لأبي الطمحان الأسدي. وقد حلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر :

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط ... إذا حلف الأيمان بالله برت

لقد حلقوا منها غدافا كأنه ... عناقيد كرم أينعت فاسبطرت

فظل العذارى يوم تحلق لمتى ... على عجل يلقطنها حين جزت

وروى هذه الأبيات بعينها أبو الفرج (٧ : ١١٥ ساسي) منسوبة إلى طخيم الأسدي قال : « شرب طخيم الأسدي بالحيرة فأخذه العباس بن معبد المرى ، وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه » . وفي ياقوت (٧ : ١١١) : « ابن طخماء الأسدي » صوابه : « ابن أبي الطخماء » .

بنى الحدَّاء(١) وكانوا نَصَارى ، فأحمدَ نِدامهم(٢) فقال :

كأنْ لم يكنْ فى القَصْرِ قَصْرِ مُقَاتلٍ ... وَزَوْرَةَ ظِـلٌّ ناعمٌ وصَدِيقُ(٣)

ولم أرِدِ البَطْحَاء أَمْزُجُ مَاءَهَا ... بخَمْرٍ مِنَ البَرُّوقتَيْنِ عَتِيقُ(٤)

مَعى كلُّ فَضفاض القميصِ كأنه ... إذا ما جرَى فيه المُدَامُ فَنِيقُ(٥)

بنو الصَّلْتِ والحدَّاء كلُّ سَمَيْذَعٍ ... له فى العروق الصالحات عروقُ(٦)

وإنى وإنْ كانوا نَصَارى أُحِبُّهم ... ويرتاحُ قلبى نحوهم ويتوقُ(٧)

---

(١) ل فقط : « الجداء » بالجيم .

(٢) النِدام ، بالكسر : المنادمة على الشراب . فيما عدا ل : « ندامتهم » والندامة بمعنى الأسف لا تليق بهذا الوجه .

(٣) قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام . وزورة ، بلفظ واحد الزيارة : موضع بين الكوفة والشام . وروى : « زورة » بالضم ، كما نقل ياقوت . وروايته هو والمبرد :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح ... وبالقصر ظل دائم وصديق

(٤) البطحاء : موضع بعينه قريب من ذى قار . و « ماءها » هى فى الأصل : « ماءه » صوابه فى الكامل والمؤتلف والبلدان . والبروقتان : موضع قرب الكوفة . وقد ضبطت فى الكامل بفتح الباء وتشديد الراء المضمومة . وقال ياقوت : « وجدته بخط بعض أئمة الأدب بواوين ، الأولى مضمومة » جعلها : « البرْوُوقَتَين » .

(٥) فضفاض ، قال المبرد : « يريد أن قميصه ذو فضول . وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء » . ط فقط : « فضفاض الثياب » ولم أجدها فى مرجع . والفنيق ، بالنون : الفحل المكرم من الإبل . فيما عدا ل : « فتيق » بالتاء ، تصحيف . وعند المبرد وياقوت : « سرت فيه المدام » وعند الآمدى : « جرت فيه المدام » .

(٦) عند المبرد وياقوت : « السِّمْط » ط ، هـ : « الصلب » ل : « والجداء » بالجيم . والسميدع : السيد الكريم السخى الموطأ الأكناف . والشطر الثانى هو رواية ط ، هـ ، س وياقوت والمبرد . وفى ل : « فى خصال الصالحين طريق » والآمدي : « فى خصال الصالحين عروق » .

(٧) وهذه الرواية بعينها فى الكامل والبلدان . ل : « وتذهب نفسى نحوهم وتتوق » والآمدي : « وترتاح نفسى نحوهم وتتوق » .

وقال ابن عَبْدَلٍ[١] ، أو غيرُه[٢] ، في مجوسيّ ساق عنه صَدَاقا فقال :

شهِدْتُ عليك بطيب المُشَا ... شِ وَأَنَّكَ بحرٌ جَوَادٌ خِضَمّْ[٣]

وأنكَ سيدُ أهلِ الجحيمِ ... إذا ما تردَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

نظيراً لهامانَ في قَعْرِهَا ... وفرعونَ والمكتنى بالحكم[٤]

كفاني المجوسيُّ مَهْرَ الرَّبا ... بِ ، فِدًى للمجوسيِّ خالي وعَمّْ[٥]

فقال [له] المجوسيُّ : جعلْتَني في النار ؟ فقال : أمَا ترضى أن تكون مع مَن سمّيتُ ؟ [قال : بَلَى] قال : فمن تَعنى بالحكَم ؟ قال : أبا جهل بن هشام.[٦]

وأنشدني أبو الرُّدَيني العُكْليّ[٧] ، لبعض العُكْليِّين ، وكان قينٌ[٨]

---

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) .

(٢) هو الأقيشر الأسدي ، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض . نشأ في أول الإسلام ، عمر طويلا ، فأدرك الحجاج ، وعبد الملك بن مروان . وأخباره فى الأغاني (١٠ : ٨٠ — ٩١ ساسى) . قال أبو الفرج : « وتزوج الأقيشر ابنة عم له ، يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابن رأس البغل ، وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا ، فسأله فأعطاه الصداق » . ثم أنشد الشعر . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٩٦) : « وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابى » وأنشد البيت الأول والثاني . وانظر الشعراء ص ١١ .

(٣) فلان طيب المشاش : أى كريم النفس . والخضم : السيد الحمول المعطاء . وفى الأغانى :

شهدت بأنك رطب المشاش ... وأن أباك الجواد الخضم

(٤) هامان : وزير فرعون ، وفى الكتاب : « وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب » سورة غافر ٣٨ . وأبو الحكم : كنية أبى جهل .

(٥) هذه رواية ل والأغاني . وفيما عداهما : « خال وعم » .

(٦) اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . وله كنيتان : أبو جهل ، وأبو الحكم . وقد غلبت الأولى على الثانية . وكان رأساً من رؤوس المشركين . انظر السيرة ١٦٧ جوتنجن .

(٧) أبو الرديني ، يروى عنه الجاحظ فى البيان والحيوان . وروى فى البيان (٣ : ٢٣٢) أنه هجا بنى نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدنى لتقتلنى نمير ... متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليه رجل منهم فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٨) فيما عدا ل : « قينا » تحريف .

٥٣ — لهم أَحَدَّ جَلمًا له ، فقال[1] [يمدحه] :

يا سَوْدُ يا أكرمَ قَيْنٍ فى مُضَرْ
لك المساعى كلُّها وَالْمُفْتَخَرْ
على قُيون الناس ، والوجهُ الأغرْ
كانَ أبوكَ رَجُلاً لا يُقْتَسَرْ[2]
ثَبْتًا إذا ماهو بالكِير ازبَأرْ[3]
[زادكَ نَفْخًا تَلْتَظِى مِنْهُ سَقَرْ]
حتى يطيرَ حولَهُ منها شَرَرْ[4]
قدعطف الكتيفَ حتى قد مَهَرْ[5]
بالشَّعْب إن شاء و إن شاء سَمَرْ[6]
مازالَ مُذْ كَانَ غُلاما يشْتبِرْ[7]
له على العَيْرِ إكافٌ وثَفَرْ[8]

---

(١) الجلم : المقراض يجز به ، يقال له : جلم وجلمان ، كما تقول مقراض ومقراضان . ط ، سه : « أخذ خلخالا له » وهو تحريف طريف . ه : « أخذ حلماً له » صوابهما فى ل . وكلمة « فقال » ساقطة من ل .

(٢) يقتسر : يقهر ويغلب . والقسر : القهر والغلبة .

(٣) الكير ، بالكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد . ازبأر : انتفش وتهيأ للعمل .

(٤) فيما عدا ل : « منه » .

(٥) الكتيف والكتيفة : حديدة طويلة عريضة ، وربما كانت كأنها صحيفة . فيما عدا ل « الأكناف » بالنون محرف .

(٦) الشعب : الجمع والإصلاح . فيما عدا ل « بالشغب » . سمر الحديد ونحوه : شده بالمسمار .

(٧) فيما عدا ل : « يستمر » . ويشتبر ، من الشبر : وهو العطاء والأجر .

(٨) العير : الحمار أيا كان ، أهلياً أو وحشياً ، وقد غلب على الوحشي ، وأراد به هنا الأهلي . والإكاف : برذعة الحمار ، بكسر الهمزة وضمها . و الثفر بالتحريك : سير فى مؤخر السرج . أراد أنه أبداً على سفر يتنقل بين أحياء العرب ليزاول عمله .

والـكَلْبَتَانِ والعَلاةُ والوَتَرُ[1]

فانظر ثَوَابى ، والثَّوَابُ يُنتظَرْ

فى جَلْمَىَّ والأحاديثُ عِبَرْ[2]

بَاب

من أراد أن يمدح فهجا

قال سعيد بن سَلْم[3] : لمـا قال الأخطلُ بالـكوفة : أخطأ الفرزدقُ حين قال :

أَبَنى غُدَانةَ إننى حَرَّرْتُـكُمْ   فوهبتـكم لعَطِيَّةَ بن جِعالِ[4]

لولا عَطِيَّةُ لاجتَدَعْتُ أُنوفَـكُمْ   منْ بينِ ألأم أعْـيُن وَسِبَالِ[5]

---

(١) الكلبتان : آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمى . والعلاة : سندان الحداد يضرب عليها الحديد .

(٢) الجلم ، فسر قريباً . ط س : « من حكى وفى » هـ : « من حلمى وفى » صوابه فى ل .

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد ، ابن الأعرابي . وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية . وله أخبار مع المأمون . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ والبيان (٢ : ٤٤) ط فقط : « سعيد بن مسلم » .

(٤) هو عطية بن جعال الغداني ، كان صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلا من بنى غدانة هجاه وعاون جريراً عليه ، فهم الفرزدق بهجاء بنى غدانة ، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح عن قومه ويهب له أعراضهم ، ففعل . انظر الأغانى (١٩ : ٥٠ ساسي) . وهذان البيتان من قصيدة له يهجو بها جريراً ، وساقهما استطراداً ليدخل فى هجاء جرير ، فإن بعدهما (الديوان ٧٢٦) :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة   جدعتهم بعوارم الأمثال

أبنو كليب مثل آل مجاشع   أم هل أبوك مدعدعا كعقال

(٥) اجتدعت : قطعت . والسبال : جمع سبلة ، وهى ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية . فيما عدا ل : « أيسر » بدل « ألأم » صوابه فى ل والديوان والأغانى . ورواية الديوان والأغاني : « آنف » موضع « أعين » . وفى سر الفصاحة ٢٤٩ : « ألأم لحية » . وفي الأغاني : « فبلغ ذلك عطية فقال : ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة ! » .

— : كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم [بمثل] هذا الهجاء ؟!

[قال] : فانبرى له فَتى من بنى تميم فقال له : [و] أنتَ الذى قلتَ فى سُويد بن منجوف :[1]

وما جِذْعُ سَوْءٍ رَقَّق السُّوسُ جَوْفَهَ ... لِمَا حُمِّلَتْهُ وائلٌ بمطيق[2]

أردت هجاءه فزعمْتَ أنّ وائلا تعصبُ به الحاجات ، وقَدْرُ سُويد لايبلغ ذلك عندهم ؛ فأعطَيْتَه الـكثيرَ ، ومنعتَه القليلَ ![3]

وأردتَ أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهلى[4] ، وأنْ تصغِّرَ شأنه ، وتَضَعَ منه ، فقلتَ :

وسَوّدَ حاتماً أنْ ليس فيها ... إذا ما أُوقدَ النيرانُ نارُ

فأعطيتَه السُّودَدَ[5] من قيس[6] ومنعتَه مالايضرُّهُ .

---

(١) سويد بن منجوف ، كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة . وكان الأخطل قد وفد إليه يسأله فى حمالة ، فأقبل سويد على قومه وهيجهم على الأخطل ، وذكرهم بهجائه إياهم فثاروا وقالوا : إذاً والله لا نعطيه شيئاً . فلما خيب سويد أمل الأخطل هجاه هذا الهجاء . ط ، ﻫ : « منجوق » سه : « منحوق » بالإهمال ، صوابه فى ل والديوان ١٩٥ .

(٢) سه : « دقق » ل : « خزق » ، وفى الأغاني (٧ : ١٧٤) والديوان ١٩٥ : « خرب السوس أصله » ، وفى الموشح ١٣٥ : « خرق السوس جوفه » . أراد : لما حملته إياه وائل . فهو حين جعله كهذا الجذع قد هجاه ، وحين جعل وائل تحمله أمورها وتعتمد عليه قد مدحه أبلغ المدح . فناقض بذلك نفسه .

(٣) فى الموشح ١٣٥ أن سويداً نفسه نقد الأخطل فى هجوه إياه ، وقال له : « يا أبامالك لا والله ما تحسن تهجو ، ولا تحسن تمدح ، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً ، وتريد المديح فيكون هجاء . قلت لي وأنت تريد هجائى : لما حملته وائل بمطيق . فجعلت وائلا حملتنى أمورها ، وما طمعت في ذلك من بني ثعلبة فضلا عن بكر ! » . وانظر فيه سائر الخبر . وهو برواية أخرى فى الأغانى (٧ : ١٧٥) .

(٤) ذكره الجهشياري ص ٩٦ قال : « كان يكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى » .

(٥) السودد ، بضم السين وفتح الدال مع طرح الهمزة ، وبضم السين والدال مع الهمز لغتان ، ومعناه السيادة . ط ، وسه : « السؤدد » بالهمز .

(٦) ل : « من قيس الجزيرة » .

وأردتَ أن تمدحَ سِماكَ [بن زيد] الأسدىّ (١) فهجوتَه فقلت :

نِعم المجيرُ سِماكٌ من بنى أسَدٍ ... بالطفِّ إذْ قَتَلَتْ جيرانَها مُضَرُ (٢)

قد كنتُ أحسبُهُ قَيْنًا وأُنْبَؤُه ... فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ (٣)

وقلتَ فى زُفَرَ بنِ الحارث (٤) :

بنى أُمَيَّةَ إنِّى ناصحٌ لكُمُ ... فلاَ يَبِيتَنَّ فيكُمْ آمِنًا زُفَرُ

---

(١) فى الموشح ١٢٥ : « سماك بن عمير أخابنى أسد » وقال مرة أخرى : « سماك بن حيز بن عمرو » ومرة ثالثة : « سماك بن خرشة » . وفى الأغاني : « وهو سماك الهالكى من بنى عمرو بن أسد . وبنو عمرو يلقبون القيون » . وفى معجم البلدان . « سماك بن مخرمة بن حمين بن بلث الأسدي ، من بنى الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة » . فقد اضطربت الكتب بل الكتاب الواحد فى نسبة هذا الرجل . وفى ط ، س بدل «الأسدى» « الحرني » . وفى ه : « الحرى » .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على بكربلاء ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . ويسمى : « قتيل الطف » . وفى البيت إشارة إلي غدر أهل العراق بالحسين ، بعد أن كتبوا إليه يطلبون منه الشخوص إليهم .

(٣) أنبؤه ، بالبناء للمجهول من قولك أنبأته الخبر . وفى الأصل : « أنبأه » . صوابه فى الموشح ١٣٥ . وروى فى الأغانى مرة : « أنبؤه » ومرة : « أخبره » . ط ، ه : « عن أثوابها » صوابه فى س ، ه والموشح والأغاني . أراد أن الشرر لا يدنو من أثوابه ، فهو ليس قينا. وكان قوم سماك يدعون : « القيون » . وفى الموشح أن سويد ابن منجوف قال للأخطل : « ومدحت سماك بن عمير أخا بنى أسد ، وأردت أن تنفى عنه شيئاً فحققته عليه » .

(٤) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك . وكان قد خرج علي عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وفي البيان (٣ . ١٣٠) : « دخل زفر بن الحارث على عبد الملك ، بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : ما لا ينفعنى ولا يضرك ! ... قال : فما منعك من مواساته يوم المرج؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار ! » . وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان ء قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

انظر المؤتلف ١٢٩ . وقد روى الجاحظ بيتين فى الحيوان (١ : ١٤) ورواهما أيضا فى البيان (٣ : ٢٤٢) . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٣١٥ .

٥٤ مُفْتَرِشاً كافتراش الليث كَلْكَلَهُ ... لوَقْعَةٍ كائنٍ فيها لَكُم جَزَرُ[1]

فأردتَ أن تُغْرِى به بنى أُمَيّةَ فوهَنْتَ أمرهم ، وتركتَهُمْ ضُعفاء ممتهَنِينَ ، وأعطيتَ زُفَرَ عليهم من القوةِ مالم يكنْ فى حسابه .

قال : ورجَعَ أبو العطاف من عند عمرو بن هَدَّاب ، فى يومين كانا لعمرو ، وأبو العطّاف يضحك . فسئِل عن ذلك فقال : أما أحدُ اليومين فإِنَّهُ جَلَسَ للشعراء ، فكان أولُ من أنشده المديحَ فيه طريفُ بنُ سَوادة ، فما زال يُنشده أرجوزةً له طويلة ، حتى انتهى إلى قوله :

أبرصُ فيّاضُ اليدَيْنِ أكْلَفُ[2] ... والبُرْصُ أندَى باللُّهى وأعْرَفُ[3]

[مجلوّذٌ فى الزّحَفَاتِ مِزْحَفُ[4]

المجلوِّذ : السريع .

وكان عمروٌ أبرصَ فصاح به ناسٌ : مالكَ[5] ؟ قطعَ اللهُ لسانك !] .

قال عمرو : مَهْ ، البَرَصُ من مَفاخِرِ العرب . أمَا سمِعتُم ابن حبناء[6] يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « مفرشاً » تحريف . وفى هامشة ل : « خ : مفترش » أى روى فى نسخة بالرفع . وهى رواية الديوان ١٠٣ . الكلكل : الصدر . والجزر ، بالتحريك ما يجزر من الشاه ، واحدته جزرة . يقول : إن زفر يتأهب لاغتيالكم والإيقاع بكم . و « لكم » هنا بمعنى منكم . ورواية الموشح : « له » وهى أصرح . وقد أظهر هنا الكون العام : « كائن » لضرورة . وفى شرح ابن يعيش للمفصل (١ : ٩٠ س ٢٧) « وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره » وهو نص غريب . وأغرب منه رأي ابن يعيش فى تفصيل هذا الجواز . انظرهما أيضاً المغنى (٢ : ٨١) .

(٢) الكلف : لون يعلو الجلد فيغير بشرته .

(٣) أندى : أكثر ندى . والندي : الجود والعطاء . واللهى ، بضم ففتح : جمع لهوة بالضم ، وهى العطية ، وأجود العطايا .

(٤) المزحف : الكثير الزحف إلى العدو .

(٥) روى هذا الخبر الأصبهاني فى المحاضرات (٢ : ١٣٣) وفيه : « اسكت » بدل : « مالك » .

(٦) هو المغيرة بن حبناء ، تقدمت ترجمته فى ٤ : ٣٢٦ : « ابن حينا » س : « ابن جكينا » محرف .

إِنّى امرؤٌ حنظلىٌّ حين تنسُبُنِي ... لامِلْعَتيكِ ولاأخوالِيَ العوَقُ[١]

لاتحسِبِنّ بياضا فِىّ مَنْقَصَةً ... إن اللّهاميمَ فى أقرابِها بلَقُ[٢]

أوَ ما سمعتم قولَ الآخر :

يا كأسُ لاتستنكرى نُحُولِى[٣] ... وِوضحًا أوفَى عَلَى خَصِيلِى[٤]

فإنَّ نَعْتَ الفرَسِ الرّجيلِ[٥] ... يكمُل بالغُرّةِ والتّحْجِيلِ[٦]

---

(١) حنظلى : من بنى حنظلة . وهو المغيرة بن حبناء بن ربيعة بن حنظلة . العتيك ، كأمير قبيلة من ولد كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . المعارف لابن قتيبة ص ٤٣ . و « مل عتيك » أى من العتيك ، بحذف النون على لغة من يفعل ذلك . انظر المفضليات (٢٩ : ٦ طبع المعارف) . وقد رسمت هكذا فى ل ، ورسمت فى سائر الكتب : « ملعتيك » ط ، ه : « من عتيك » س : « لأني عولق ولا إخوانى » بهذا التحريف والإهمال . والعوق ، بالتحريك ، قال أبو الفرج : « العوق من يشكر . وكانوا أخوال المفضل » يعني المفضل بن المهلب .

(٢) اللهاميم : جمع لهموم ، وهو الجواد من الناس والخيل . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . فيما عدا ل : « أقرانها البلق » بالنون محرف . والبيتان فى الشعراء ٩١ وعيون الأخبار (٤ : ٦٦) وأمالي القالى (٢ : ٢٣٣) والأغاني (١١ : ١٥٩ ساسى) والمعارف ٢٥١ . وقد روى أبو الفرج خبر البيتين قال : « كان المغيرة بن حبناء يأكل مع المفضل بن المهلب ؛ فقال له المفضل :

فلم أر مثل الحنظلى ولونه ... أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة يده مغضبا ثم قال . . » . وأنشد البيتين . وعقب على ذلك بقوله : « وبلغ المهلب ماجرى فتناول المفضل بلسانه وشتمه وقال : أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا ! ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مؤاكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه ولا تؤاخذه . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل » .

(٣) فيما عدا ل : « لا تستكثرى تحويلى » محرف . وهو أيضاً على الصواب الذى أثبت فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٤) أوفى : ارتفع . والخصيل : جمع خصيلة ، وهى الخصلة من الشعر .

(٥) الرجيل ، من الإبل والدواب : الصبور على طول السير . وفى عيون الأخبار : « الرحيل » بالحاء المهملة ، وهو القوي على الارتحال والسير .

(٦) التحجيل : بياض فى قوادم الفرس .

أوَ ما سمعتم بقول أبي مسهر[١] :

يَشْتُمُني زَيْدٌ بأَنْ كُنْتُ أَبْرَصاً   فكلُّ كريمٍ لا أبالكَ أبرَصُ

ثم أقبل على الرّاجز فقال : ما تحفَظُ في هذا ؟ قال : أحفظُ والله قولَه[٢] :

يا أختَ سَعْدٍ لا تَعُرِّى بالزَّرَقْ[٣]   ليس يضرُّ الطِّرْفَ توليعُ البَلَقْ[٤]

إذا جرى في حَلْبَةِ الخيْلِ سَبَقْ

ومحمد بنُ سَلاّم يزعمُ أنه لم يَرَ سابقا قطُّ أبلقَ ولا بَلْقاءَ .

وقد سبق للمأمون [فرسٌ] ، إمّا أبلقُ وإما بلقاء .

وأنشدني أبو نواس لبعض بني نهشَل[٥] :

نَفَرَتْ سَودةُ عنّي أنْ رأتْ   صَلَعَ الرّأس وفي الجلدِ وَضَحْ[٦]

قلتُ ياسَوْدةُ ، هذا والذي   يَفرِجُ الكُرْبَةَ مِنّا والكلَحْ[٧]

---

(١) هو أبو مسهر الأعرابي ، من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء . ذكره ابن النديم في الفهرس ٧١ مصر ٤٧ ليبسك . ونسبة البيت إلى « أبي مسهر » ثابتة أيضاً في عيون الأخبار (٤ : ٦٤) . وفيما عدا ل : « قول الآخر » .

(٢) انظر عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٣) عره يعره : سبه ، أو أصابه بمكروه . وفي الأصل : « لا تغري » تحريف . ورواية ابن قتيبة : « لا تعيي » . والزرق ، بالتحريك : تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بالعظم كله ، ولكنه وضح في بعضه . ل : « بالروق » والروق : طول وانثناء في الأسنان ، ولا وجه له هنا .

(٤) الطرف ، بالكسر : الكريم العتيق من الخيل . والتوليع : التلميع من البرص وغيره ، إلا أن التوليع استطالة البلق وتفرقه . ورواية ابن قتيبة : « لا يضرر الطرف تواليع البلق » .

(٥) الأبيات في عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٦) الوضح : بالتحريك : البرص . ورواية ابن قتيبة : « نفرت سودة مني إذ رأت »

(٧) والذي ، الواو فيه للقسم . فيما عدا ل : « هذاك » صوابه في ل وعيون الأخبار . « منا » كذا وردت ، وليس ما يمنع صحتها . والكلح ، لعله من الكلوح ، وهو التكشر في عبوس . فيما عدا ل : « والطالح » ورواية عيون الأخبار موافقة ما أثبت من ل .

هو زَيْنٌ لِىَ فى الوجهِ كما زَيَّنَ الطِّرفَ تحاسينُ القَرَحِ[١]

وزعم أبو نُواس أنهم كانوا يتبركون[٢] به ، وأن جَذِيمةَ الوضَّاحَ كان يفخَرُ بذلك .

وزعم أصحابنا أن بَلعاءَ بنَ قيس[٣] ، لمَّا شاع فى جِلْدِهِ[٤] البَرَص، قال له قائل : ما هذا يا بَلعاء ؟ فقال : « هذا سيف الله جَلاَه[٥] ! » . وكنانة تقول : « سيف الله حَلاَّه[٦] » .

ثم رجع الحديثُ إلى أبى العَطَّاف[٧] وضَحِكهُ . قال : وأما اليوم الآخر فإنَّ عَمْراً لمَّا ذهبَ بصرُه ، ودخلَ عليه الناسُ يُعَزُّونَه ، دخل عليه إبراهيمُ ابنُ جامع ، وهو أبو عتَّابٍ[٨] من آلِ [أبى] مَصاد[٩] ، وكان كالجمل المحجوم[١٠] ، فقام بين يدىْ عمرٍو فقال : يا أبا أُسَيِّد[١١] لاتجزعنَّ مِنْ

---

(١) الطرف ، فسر قريبا . والقرح ، بالتحريك : بياض يسير في وجه الفرس . وفى عيون الأخبار : « القزح » بقاف بعدها زاى ، وهو تصحيف ، وفسر هناك بأنه خطوط من صفرة وحمرة وخضرة . وليت شعرى أي فرس يكون كذلك !

(٢) فيما عدا ل : « وزعم يونس أنهم كانوا يتشرفون به » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٦٠) .

(٤) ط : « بلده » صوابه فى سائر النسخ .

(٥) ط ، س : « حلاقى به » . هـ : « جلانى به » وأثبت ما فى ل والمعارف ٢١٠ وعيون الأخبار (٤ : ٦٣) . وفى الأغانى (١١ : ١٥٩) : « إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه » . وفى كنايات الثعالبى ٣٥ : « سيف الله جلاه . ويروى حلاه بالحاء وتشديد اللام » .

(٦) كنانة ، هم قبيل بلعاء بن قيس الكنانى ، وكان هو رئيسهم . فيما عدا ل : « وكنى به » تحريف . هـ : « جلاه » بالجيم .

(٧) ط فقط : « ابن المطاف » . وانظر ما سبق ص ١٦٤ .

(٨) فيما عدا ل : « ابن عتاب » محرف . وانظر (٣ : ٣٤ - ٣٥) حيث هذا الخبر وخبر آخر قبله .

(٩) مصاد ، بفتح الميم وتضم . س : « مضاد » بالضاد تحريف .

(١٠) المحجوم : الذى وضع على فمه الحجام — ككتاب — لئلا يعض ، فصوته أقوى صوت . وانظر (٣ : ٣٥) .

(١١) هكذا ضبط فى ل .

ذَهابِ عينَيك[١] وإن كانتا كريمتَيك ؛ فإنك لو رأيتَ ثوابَهما في ميزانك تمنيتَ أن يكونَ الله عز وجل [قد] قطعَ يدَيكَ ورِجْلَيْك ، ودقَّ ظهرك ، وأدمَى ضِلَعَك[٢] .

قال : فصاحَ به القومُ وضَحِكَ بعضهم . فقال عمرو : معناه صحيحٌ ، ونيتُه حسنة ، وإن كان قد أخطأ في اللفظ .

وقلتُ لأبي عتَّاب[٣] : بلغني أن عبدَ العزيز الغزّال قال : ليتَ[٤] أن الله لم يكن خَلَقَني ، وأني الساعةَ أعْوَر . قال أبو عتَّاب : بئسَ[٥] ما قال ، وددتُ [والله] أن الله لم يكن خَلَقَني وأنّي الساعةَ أعمَى مقطوعُ اليدين والرِّجلين[٦] .

وأتى بعضُ الشعراء أبا الواسع[٧] وبنُوهُ حَوْلَه ، فاستعفاه أبو الواسع[٨] من إنشاد مديحه ، فلم يزَلْ به[٩] حتى أذِن له . فلما انتهى إلى قوله :

فكيف تُنْفَى وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسُهُمُ ... وحَوْلَكَ الْغُرُّ مِنْ أَبْنَائِكَ الصِّيدِ[١٠]

قال أبو الواسع[١١] : ليتكَ تركْتَهم رأسا برأس !

---

(١) فيما عدا ل : « بصرك » والسياق يقتضى ما أثبت من ل .

(٢) ل : « ظلفك » ولا يتوجه معه المعنى إلا بعسر . وسبق في (٣ : ٣٥) : « صلعك » بالمهملة .

(٣) فيما عدا ل : « وقل لأبي عطاف » صوابه فى ل وفيما سبق (٣ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وذدت » وأثبت ما فى ل مطابقاً ماسلف (٣ : ٣٤) .

(٥) ط ، هـ . « ليته » . والكلام من : « وأنى الساعة » إلى : « خلقني » التالية ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى » .

(٧) أبو الواسع ، من ندماء صالح بن الرشيد ، كما فى الأغاني (٦ : ١٩٤) . فيما عدا ل : « أبا الربيع » .

(٨) الكلام من « وبنوه » إلى هنا ساقط من ل . وفى الأصل : « أبو الربيع » .

(٩) ط ، هـ : « فلم يقبل » فقط . تحريف . وأثبت ما فى س ، ل . وكلمة « به » ثابتة فى ل فقط .

(١٠) فيما عدا ل : « فكيف تبق » .

(١١) فيما عدا ل : « أبو الربيع » .

ومدح [الممزِّق[١]] أبو عبادِ بن الممزِّق ، بِشْرَ بنَ أبى عمرٍو ـ وليس هو بشر بنَ أبى عمرو بن العلاء[٢] ـ فقال :

مَنْ كَانَ يزعُمُ أن بِشراً مُلْصَقٌ ... فالله يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ[٣]

تُنْبِيكَ قامتُه وقِلَّةُ لحمِهِ ... وتشادُقٌ فيـه ولَوْنٌ أسحَمُ[٤]

أَنَّ الصَّرِيحَ المَحْضَ فيـه دلالةٌ ... والعِرْقُ مُنْكَشِف لِمَنْ يتوسَّمُ[٥]

أما لسانك واحتباؤُك فى المَلاَ ... فزُرارَةُ العُدُسِيُّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ[٦]

إنى لأرجو أنْ يكونَ مقالهُمْ ... زُوراً ، وشانئُك الحسودُ المرغَمُ[٧]

(خطأ الـكميت فى المديح)

ومِن المديحِ الخطإِ الذى لمْ أرَ قَطُّ أعجب منه ، قولُ الـكميتِ بن زيدٍ

---

(١) الممزق ، بكسر الزاى المشددة ، وهو الممزق الحضرمى ، أنشد له دعبل بن على الخزاعى :

إذا ولدت حليلة باهلى ... غلاما زيد فى عدد اللئام

قال : وابنه عباد بن الممزق ، ويعرف بالمخرق ، وله أشعار كثيرة ، وهو القائل :

أنا المخرق أعراض اللئام كما ... كان الممزق أعراض اللئام أبى

المؤتلف ١٨٦ . وهذه الـكلمة ساقطة من ط ، وثابتة في سائر النسخ .

(٢) سبقت ترجمة أبى عمرو بن العلاء فى (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الملصق : الدعى فى القوم ، وليس منهم بنسب . فيما عدا ل : « مصلق » بتقديم الصاد تحريف صوابه فى ل والبيان (٢ : ١٢٠) .

(٤) التشادق ، منْ الشدق ، بالتحريك ، وهو سعة الشدق . ولم ترد هذه الصيغة فى المعاجم . ط ، س ، هـ : « تشاوق » بالواو ، وصوابه فى ل والبيان . وفيه قبل إنشاد الشعر : « ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق » .

(٥) العرق ، بالـكسر : الأصل . وعرق كل شىء أصله . يتوسم : يتعرف . فيما عدا ل « يتوهم » ورواية البيان مطابقة ما أثبت من ل .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف والملا : الملأ ، وهم أشراف القوم الذين يملئون العين مهابة وإجلالا . وزرارة العدسى بضم الزاى ، وهو ابن عدس ، بضمتين ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . جعله أفصح من زرارة ، وكان زرارة حكيما من قضاة تميم . والأعجم : الذى لا يكاد يبين .

(٧) الشانئ : المبغض . والمرغم : المقهور .

وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مديحة لبني أمَيَّةَ لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بني هاشم[١] ، [أ] وْ لو مَدَحَ به بعض بني هاشمٍ لجاز أن يعترض عليه بَعْضُ بني أميَّةَ ، [أ] وْ لو مدح أبا بلال الخارجيّ لجاز أن تعيبه العامَّة ، ٥٦أو [لو] مدح عَمرو بن عُبَيدٍ لجازَ أن يعيبَه المخالف ، [أ] وْ لو مدح المهلَّب لجازَ أن يعيبه [أصحاب[٢]] الأحنفِ .

فأما مديحُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن هـذا الذي يَسوؤُهُ ذلك حيثُ قال :

فاعتَتَبَ الشَّوقُ مِنْ فُؤَادِيَ والشعـ ... ـرُ إلى مَنْ إليـه مُعْتَتَبُ[٣]
إلى السِّراجِ المنـيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ[٤]
عنه إلى غيره ، ولو رفَعَ النا ... سُ إلىّ العيُونَ وارتقبُوا
[وقيلَ : أفرَطتَ بل قَصَدتُ ولو ... عَنَّفَنِي القائلونَ أو ثَلَبُوا[٥]]
إلَيكَ ياخيرَ منْ تَضَمَّنَت الأرْ ... ضُ ولو عابَ قَوْلِيَ العُيُبُ[٦]
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك الضِّجَاج واللَّجَبُ
أنت المصفَّى [المحْضُ] المهذَّب في الـ ... ـنِّسْبَةِ إنْ نصّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « بني العباس » والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم .

(٢) هذه من ل ، س .

(٣) الاعتتاب : الانصراف عن الشيء ، واعتتب عن الشيء : انصرف . فيما عدا ل : « إليه أعتتب » وأثبته منها موافقاً البيان (٢ : ١٧٢) واللسان (٢ : ٦٨) والمخصص (١٢ : ١١٤) والعمدة (٢ : ١١٤) . وفي اللسان فقط : « عن فؤادي » .

(٤) ل : « تعدلني » .

(٥) ثلبه : لامه وعابه . وزيادة هذا البيت من ل والعمدة والبيان .

(٦) تضمنه : اشتمل عليه . العيب : العيابون .

(٧) ط ، هـ : « إنك » صوابه في س . وفي جميع النسخ : « المصطفى » بدل : « المصفى » . والوزن يأباه ، وهو من المنسرح .

[١] ولو كان لم يقلْ فيه [عليه السلام] إلا مِثلَ قوله :

وَبُورِكَ قبرٌ أنتَ فيه وَبُورِكَتْ به ، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لقد غيَّبُوا برًّا وحَزْمًا وَنائلاً عَشيَّةَ وَاراكَ الصَّفيحُ المنصَّبُ [٢]

فلو كان لم يمدحْه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التى لاتصلح [٣] فى عامة العرب — لما كان ذلك بالمحمود ، فكيفَ مع الذى حَكَينا قبل [هذا [٤]] ؟ !

(غلط طائفة من الشعراء فى المديح والفخر)

ومن الأشعار الغائظةِ لقبيلة الشاعر — وهى الأشعار التى لو ظنَّت الشعراء أن مَضَرَّتَهَا تعودُ بعُشْرِ ما عادتْ به ، لكان الخرسُ أهوَنَ عليها من ذلك القولِ — فمنْ ذلك قولُ لبيدِ بنِ ربيعة :

أبَنِى كِلابٍ كيفَ تُنفَى جعفرٌ وبنوضَبِينةَ حاضِرُو الأجْبابِ [٥]

---

(١) الكلام من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من هـ .

(٢) واراك : سترك وغيبك . فيما عدا ل : « وأراه » محرف . والصفيح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعضه ، عنى حجارة القبر .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من ل . وبدلها فى هـ : « لم » . و « تصلح » هى فى ط ، هـ : « تصلع » بالعين محرفة . قال ابن رشيق : « قالوا : من هذا الذى يقول فى مادح (فى الأصل : مدح) النبى صلى الله عليه وسلم : أفرطت ، أو يعنفه ، أو يثلبه ، أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب ؟ ! ... وقال من احتج له : لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما أراد علياً رضي الله عنه ، فورى عنه بذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، خوفا من بنى أمية » .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) بنو كلاب : قوم لبيد ، وهم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأما جعفر فأبوهم كلاب بن ربيعة . وضبينة : كسفينة : أبو بطن . وهم من غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وكانوا حلفاء فى بني كلاب . المعارف ٣٦ . والأجباب : مياه لبنى ضبينة . أنكر على بني كلاب أن ينفوا جعفرا ، وهم من قومهم ، على حين يستبقون حلفاءهم ويحفظونهم . ط ، هـ : « ضبيعة » س : « صبيغة » صوابه في ل ومعجم البلدان . وفيما عدا ل : « كيف تبقى » محرف .

قتلوا ابنَ عُروةَ ثمّ لَطوا دونَه ... حتى تحاكَمْتم إلى جوّابِ[1]

يَرْعَوْنَ مُنخرَق القُديد كأنهمْ ... فى العزّ أسْرَةُ حاجبٍ وشهابِ[2]

متظاهرٌ حَلَقُ الحديدِ عليهمُ ... كبَنى زُرارة أو بنى عتّابِ[3]

قومٌ لهم عرَفتْ معَدٌّ فضْلَهَا ... والحقُّ يَعرِفُهُ ذوُو الألبابِ

ومن هذا الباب قولُ منظور بن زَبّانَ بن سَيّارِ بنِ عمرو بن جابرٍ الفزَارِيّ[4] ، وهو أحَدُ سادةِ غَطفان :

---

(١) لطوا دونه : من لط خبره أى كتمه وستره . ولط أيضاً : لزم الشئ وثبت عليه . ﻫ : « لظوا » بالمعجمة ، أى ازموا وثبتوا . جواب : اسم رجل من بنى كلاب ، قال ابن السكيت : سمى جوابا لأنه كان لا يحفر بئرا ولا صخرة إلا أماهها . اللسان (١ : ٢٧٧) . والبيت نص على أنه كان من حكام العرب . ل : « يحاكم » .

(٢) المنخرق : حيث تنخرق الريح ، أى يشتد هبوبها وتتخلل المواضع . فيما عدا ل « منحرق » محرف . القديد ، بالصغير : موضع قرب مكة . ل : « اللديد » بفتح فكسر ، وهو ماء لبنى أسد . وحاجب ، هو حاجب بن زرارة ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . وشهاب ، بالشين . وفى ل : «سهاب» لكن ذكر صاحب القاموس أن « راشد بن سهاب ، ككتاب شاعر ، وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . فيما عدا ل : « فى العد أسوة حاجز » محرف .

(٣) حلق الحديد : ما تنسج منه الدروع . وتظاهر : ركب بعضه بعضا وتضاعف . وأصل التظاهر التعاون . ط : « متظاهرى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « زبان بن منظور » والصواب أن « منظور » هو «ابن زبان» لا أبوه . « بن عمرو » ساقط من ل . وهو ثابت فى المعارف ٥١ . ط : « فى يسار » س : « فى سيار» ﻫ : « بن يسار » صوابه ما أثبت من ل والمعارف والحيوان (٣ : ٤٤٧) حيث ترجمة زبان بن سيار . وأما ولده « منظور » فقد ذكر أبو الفرج من خبره فى الأغاني (١١ : ٥٣) : « حملت فهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه ، فسماه أبوه منظوراً لذلك ، لطول ما انتظره وقال فيه .

ما جئت حتى قيل ليس بوارد ... فسميت منظوراً وجئت على قدر

وإنى لأرجو أن تكون كهاشم ... وإني لأرجو أن تسود بنى بدر »

ومنظور من الذين خلفوا على أزواج آبائهم بعد موتهم ، انظر هذه الطائفة فى المعارف ٥١ . وقد فرق عمر فى الإسلام بينه وبين امرأة أبيه ، وقال فى ذلك شعرا (فى الأغانى ١١ : ٥٣) منه :

لعمر أبى دين يفرق بيننا ... وبينك قسراً إنه لعظيم

فجاءوا بجَمْعٍ مُحْزَئِلٍّ كأنهمْ بنو دارمٍ إذ كان في الناس دَارِمُ[١]

وذلك أن تميما لما طالَ افتخارُ قيس عليها بأن شعراء تميم [كانت] تضربُ المثلَ بقبائل قيس ورجالها ، فغبَرَتْ تميمٌ زمانا لاترفعُ رؤوسها[٢] حتى أصابتْ هذين الشعْرين من هذين الشاعرين العظيمَى القدر ؛ فزال عنها[٣] الذُّلُّ وانتصفت . فلو علم هذان الشاعران الكريمان ماذا يصنعان بعشائرهما — لكانَ الخرَسُ أحبّ إليهما .

فال أبو عبيدة : ومن ذلك قولُ الحارثِ بن حِلِّزَة ، وأنشدَها الملكَ[٤] وكان به وضَحٌ[٥] وأنشدَه من وراء سِتر — فبلغَ من استحسانه القصيدةَ[٦] إلى أن أمرَ برفع السِّتر .

ولكراهتهم لدُنُوِّ الأبرصِ منهم قال لبيدُ بن ربيعة ، للنُّعمان بن المنذر ، في الربيع بن زياد :

مَهْلاً أَبيْتَ اللَّعْنَ لاتأْكلْ مَعَهْ إنَّ استَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ[٧]
وإنهُ يُدخِلُ فيها إصبَعَهْ يُدْخِلُهَا حتى يُوارِى أشْجَعَهْ[٨]

---

(١) احزأل القوم : اجتمعوا ؛ وانضم بعضهم إلى بعض . ودارم ، هم بنو دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) ط فقط : « رأسها » .

(٣) ل ، س : « عنهما » .

(٤) الملك هنا هو عمرو بن هند . انظر شرح التبريزى للمعلقات ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٥) الوضح : البرص . والذى به الوضح هو الحارث بن حلزة . انظر (البرص) في المعارف ٢١٥ .

(٦) ستأتي القصيدة بعد الاستطراد الطويل التالى .

(٧) ملمعة : ذات لُمَع ، وكل لون خالف لونا فهو لُمعة .

(٨) الأشجع : واحد الأشاجع ، وهى عروق ظاهر الكف ، أو العظام التى تصل الأصابع بالرسغ .

[كأنما يطْلُبُ شيئا ضَيَّعَه[١]]

قال ابنُ الأعرابيّ : فلما أنشَدَ الملكَ لبيدٌ في الربيع بن زياد ما أنشد قال الربيعُ : أبيتَ اللعن والله لقد نـكتُ أمَّه . قال : فقال لبيدٌ : قد كانت لَعَمْرِى يتيمة في حِجْرك ، وأنتَ ربيتها ، [فهذا بذاك] ، وإلا تـكن فعَلْتَ [ماقُلْتَ] فـما أولاك بالـكذب[٢] ! وإن كانت هي الفاعلة فإنها من نِسوةٍ لذلك فُعُل[٣] . يعنى [بذلك[٤]] أن نساء عَبْسٍ فَواجرُ ، لأن أمه كانت عَبْسيّة .

والعربيُّ يعافُ الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتُلِيَ بذلك[٥] فَخَر به . ولـكنه لا يفخرُ به لنفسه مِنْ جهةٍ ماهجا به صاحبه . فافهم هذه : فإن الناس يَغْلَطُونَ على العَرَبِ[٦] ويزْعُمون أنهم قد يمدَحون الشيء الذى قد يهجُون به . وهذا باطلٌ ، فإنه ليس شيءٌ إلا وله وجهان [وطَرَفان] وطريقان .

---

(١) رواية ابن رشيق فيالعمدة (١ : ٢٧) : « أودعه » قال : « ويروى : أطمعه » قلت : هى رواية الأغانى (١٦ : ٢٢) . وقبل هذه الأبيات فى كل من العمدة وأمالي المرتضى (١ : ١٣٦) .

يارب هيجا هى خير من دعه ... إذ لا تزال هامتى مقزعه
نحن بنى أم البنين الأربعه ... ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعه

وبعد هذه فى الأغاني :

يا واهب الخير الكثير عن سعه ... إليك جاوزنا بلادا مسبعه
يخبر عن هذا خبير فاسمعه ... مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه

(٢) فيما عدا ل : « فان كنت فعلت فما أولاك بذلك وإن لم تـكن فعلت فما أولاك بالـكذب » وأثبت ما فى ل موافقاً ما فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) . وانظر رواية الخبر فى أمالى المرتضى والأغاني (١٤ : ٩٢ و ١٦ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « كذلك فعلهن » وما أثبت من ل يشبه ما فى عيون الأخبار ، ففيها : « فعل لذلك » . وفعل بضمتين : جمع فعول ، كصبور وصبر . و فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ويجمعان على فعل بضمتين .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « به » .

(٦) هـ : « يغلظون » بالظاء .

فإذا مدحوا ذكروا أحسنَ الوجهين ، وإذا ذمُّوا ذكروا أقبحَ الوجهين .

والحارثُ بنُ حِلِّزة فخرَ ببكرِ بنِ وائلٍ على تغلِبَ ، ثم عاتبهم عِتاباً دلَّ على أنهم لاينتصفون منهم ، فقال :

وأتانا عن الأراقِمِ أنبا	ءٌ وخَطْبٌ نُعْـنَى به ونُساء[(١)]
يَخْلِطُونَ البرىء منا بِذِى الذَّنْـ	ـبِ وَلاَ يَنْفَعُ الخِلِىَّ الخَلاء[(٢)]
زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَب العَيْـ	ـرَ مَوَالٍ لنا وأنَّا الوَلاء[(٣)]
إنَّ إخوانَنَا الأراقمَ يَغْلُو	ن علينا فى قولهم إحفاء[(٤)]

ثم قال :

واتركوا الطَّيْخَ والتَّعاشِى وإمّا	تَتَعاشَوْا فَفِى التعاشِى الدَّاء[(٥)] ٥٨
واذكروا حِلْفَ ذى المجازِ وَمَا قُـ	ـدِّمَ فيه ، العهودُ والكفلاء[(٦)]
حذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعَدِّى وهل ينـ	ـقُضُ مافى المَهارِقِ الأهْواء[(٧)]

---

(١) الأراقم : أحياء من بنى تغلب وبكر بن وائل . ونعنى : أى يعنينا غيرنا به ، يظننا ويتهمنا ، أو نعنى به نحن ونهتم .

(٢) أى يسوون ذا الذنب بالذى لا ذنب له . الخلاء ، بالفتح : البراءة .

(٣) العير : الوتد ، أى كل من ضرب وتداً ألزمونا ذنبه ، أى ذنوب الناس جميعا . أو العير : إنسان العين ، أى ألزمونا ذنب كل من أطبق جفنا على عين . الولاء : أى أهل الولاء وأصحابه .

(٤) يغلون ، بالغين المعجمة : من الغلو ، وهو تجاوز الحد . فيما عدا ل : « يعلون » وما أثبت من ل هو الرواية . انظر التبريزى . والإحفاء : الاستقصاء ، أى استقصوا علينا ونقضوا العهد . أو الاحفاء من أحفيت الدابة : كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى . رواية التبريزى : « فى قيلهم » . والقيل : القول .

(٥) الطيخ : الكبر والعظمة . والتعاشى : التعامى والتجاهل . أى إن تجاهلتم مالنا من الفضل فسدت قلوبنا عليكم فأفضى ذلك بكم إلى شر عظيم . ل : « فإما تتعاشوا » .

(٦) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا وتغلب ، وأصلح بينهما ، وأخذ منهما الوثائق والرهون . فيما عدا ل : « واتركوا » تحريف .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، وهو الصحيفة ، فارسى معرب . وانظر المعرب للجواليقى ٣٠٤ والحيوان (١ : ٧٠) والتبريزى ٢٥٥ . أراد أن ما كتب فى العهود لاتبطله أهواؤكم الضالة . ل : « ولا ينقض » ورواية التبريزى « ولن » .

واعلموا أننـا وإياكُمْ فيـ ... ـما اشترطْنا يومَ اختلفنا سواءُ (١)
أمْ علينا جُناحُ كِنْدَةَ أنْ يَغْـ ... ـنَمَ غازيهمُ ومنّا الجزاءُ (٢)
أمْ علينا جرّا حَنِيفة أم ما ... جمعتْ من مُحاربٍ غبراءُ (٣)
أمْ علينا جرّا قُضاعةَ أم ليـ ... ـس علينا فيما جَنَوْا أنداءُ (٤)
ليس مِنّا المُضرَّبُونَ ، ولا قَيْـ ... ـسٌ ،ولا جَنْدَلٌ، ولا الحَذّاءُ (٥)
أم جنايا بَنى عَتِيقٍ . فمن يَغْـ ... ـدِرْ فإنا من غدرهم بُرَآءُ (٦)
عَنَتًا باطلاً شَدوخًا كما تُعْـ ... ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ (٧)

ومن المديح الذى يقبُحُ ، قولُ أبى الحلال (٨) فى مَرْثيةِ يزيدَ بن مُعاويةَ ، حيث يقول :

---

(١) أى اعلموا أنا وإياكم فى تلك الشرائط التى وثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

(٢) كانت كندة غزت تغلب وقتلت فيهم وسبت وغنمت ، فقال : أتلزموننا ما فعلت كندة ؟ !

(٣) الغبراء : الصعاليك والفقراء . والجرّاء والجرّا ، بالمد والقصر : الجناية . فيما عدا ل : « جزا » بالزاى تصحيف . أى هل علينا فى العهود والمواثيق التى أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت صعاليك محارب .

(٤) الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يصيب الإنسان ، يقال : لا ينداك منى شىء تكرهه ، أى لا يصيبك . كانت قضاعة غزت تغلب فقتلوا وسبوا . يريد : أتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء ؟! وليس يندانا مما جنوا شىء .

(٥) المضربون : قوم من بنى تغلب ضربوا بالسيف . والحذاء : قبيلة من ربيعة .

(٦) يقول : إن نقضتم العهد فانا برآء منكم . فيما عدا ل : « من جرمهم » . الزوزنى والتبريزى : « من حربهم » قال التبريزى : « ويروى فانا من غدرهم » .

(٧) شدوخا : مائلا عن القصد . وهذا البيت أحد شواهد صحة هذا المعنى . انظر اللسان (شدخ) . فيما عدا ل : «وظلما» . تعتر : تذبح . فيما عدا ل : « يعتر » . والحجرة بالفتح : الموضع الذى يكون فيه الغنم . والربيض : جماعة الشاء ، والعرب كانت تنذر النذر فيقول أحدهم : إن رزقنى الله مائة شاة ذبحت عن كل عشرة شاة ، فربما بخل أحدهم بما نذر ، فيصيد الظباء فيذبحها عوضاً من الشاء .

(٨) ط ، هـ : « ابن الحلال » س : « ابن الحلال » وأثبت ما فى ل .

يا أيُّهَا الميْتُ بحُوَّارِينا إنكَ خيرُ الناسِ أجمعينا(١)

[وقال الآخر :

مدحتُ خير العالمين عَنْقَشَا(٢) يشبُّ زهراء تقود الأعْمَشَا(٣)]

وقال الآخر :

إنَّ الذى أمْسى يُسمَّى كُوزَا اسمًا نبيهًا لم يكن تَنْبيزا(٤)

لما ابْتَدَرْنَا القَصَبَ المركوزا(٥) وَجَدْتُنى ذا وثْبة أبُوزَا(٦)

ودخل بعضُ أغثاث(٧) شعراءِ البَصريِّين على رجل من أشراف الوجوه يُقالِ فى نسَبِه(٨) ، فقال : إنى مَدَحتُكَ بشعر لم تُمْدَحْ قطُّ بشعر هوَ أنفعُ لكَ منه . قال : ما أحْوَجَنى إلى المنفعة ، ولا سيَّا كلُّ شىء(٩) منه يخلدُ على الأيام . فهاتِ ماعندك . فقال :

سَأَلتُ عَنْ أصْلِكَ فيما مضى أبناء تِسْعِينَ وقد نَيَّفُوا(١٠)

---

(١) حوارين : بالضم وتشديد الواو ، وهى التى تدعى بالقريتين ، بينها وبين تدمر لمنان وبها مات يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ . انظر ياقوت في (حوارين ، القريتين) .

(٢) عنقش ، كجعفر : اسم من أسمائهم .

(٣) الزهراء : المنيرة المضيئة ، عنى بها : النار . أى يوقد هذه النار للضيف ، فيهتدي بها الأعمش ، فما بالك بغير الأعمش ؟! وهذه الزيادة ثابتة فى ل ، س ، هـ . وفى الأخيرتين : « لقيته دهرا » تصحيف .

(٤) نبه الاسم : صار معروفاً مشهوراً . والتنبيز : التلقيب . وفى اللسان : « فلان ينبز بالصبيان : يلقبهم . شدد للكثرة » . ل : « نبيزا » .

(٥) ابتدروا السلاح : تبادروا إلى أخذه . والقصب ، أراد به الرماح . س : « العصب » محرف . والمركوز : المغروز فى الأرض ونحوها .

(٦) الأبوز : الذي يأبز فى عدوه ، أي يثب ويقفز وينطلق .

(٧) الأغثاث : جمع غث ، وهو الردىء السيىء الخلق والحال . فيما عدا ل : « أغبياء » .

(٨) أي يطعن فى نسبه . وهذه العبارة بعينها فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) . وفيما عدا ل : « وكان يطعن فى نسبه » .

(٩) فيما عدا ل : « كل شعر » .

(١٠) نيفوا : زادوا ، يقال : أناف ، ونيف . فيما عدا ل وكذا فى عيون الأخبار : « أبناء سبعين » .

فَكُلُّهُمْ يخــبرُنى أنه   مَهَذَّبٌ جَوْهَرُهُ يُعْرَفُ

فقال له : قمْ فى لعنةِ اللهِ وسَخَطِهِ ! فَلَعَنَكَ اللهُ[1] ولعنَ مَنْ سَأَلْتَ ولعنَ من أجابك !!

باب

(فى السُّخف والباطل)

وسنذكر لك بابًا من السُّخْف ، وما نتسَخَّفُ به لك ، إذ كان الحق يثقل[2] ولا يخفُّ إلا ببعضِ الباطل .

أنشدنا أبو نُوَاس فى التدليك :

إنْ تَبْخَلِى بالرَّكَبِ المحلوقِ   فإنَّ عندى رَاحَتِى وريقِى

وهذا الشعرُ مما يقالُ إن أبا نُوَاسٍ ولَّدَه .

ومما يُظَنُّ أنه ولَّدَه قولُه :

لم أرَ كاللَّيلةِ فى التوفيقِ   ـِحراً على قارعَةِ الطريقِ

كأنَّ فيه لَهَبَ الحريقِ

٥٩ وأنشدنى ابن الخارَكى[3] لبعضِ الأعرابِ فى التدليك :

لا بارَكَ الإله فى الأحْراحِ   فان فيها عَدَمَ الفِقّاحِ

لا خَيرَ فى السفاحِ واللِّقّاحِ   إلا مُناجاة بطونِ الرَّاحِ

---

(١) ط ، هـ : « لعنك الله » باسقاط الفاء .

(٢) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل . و التسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف . ولم تذكره المعاجم . وقد سبق فى (٣ : ٣٨ س ١٠) : « وقد تسخفنا فى هذه الأحاديث » فيما عدا ل : « من السخيف وربما يستخف عليك إذا كان الحق يثقل عليك » .

(٣) هو أحمد بن الخاركى المترجم فى (٢ : ١٩٣) .

وأنشدنى محمد بنُ عَبَّاد[١] :

تَسْأَلُنِى ما عَتَدى وعن ددى[٢] فإننى يا بِنْتَ آلِ مَرْثَدِ[٣]
راحلتى رِجلاىَ وامْرَاتِى يَدِى[٤]

وأنشدنى بعض أصحابنا [لبعض] المدنيِّين :

أصفِى هَوى النفسِ ، غيرَ مُتَّئبٍ حَليلةً لاتَسُومُنى نَفَقَه[٥]
تَـكونُ عونى على الزمانِ ولِلْـ كَسْبِ، إذاماأخْفَقْتُ، مُرْتَفِقَه[٦]

وشعرٌ فى ذلك سمعناه على وجه الدهر ، وهو قولُه[٧] :

إذا نَزَلْتَ بوادٍ لاأنيسَ به فاجلِدْ عُمَيْرَةَ لاعارٌ ولاحَرَجُ

---

(١) محمد بن عباد ، ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٧٧ — ١٧٨ وأورد له خبرين طريفين ، وهو « محمد بن عباد بن كاسب ، كاتب زهير ومولى بجيلة ، من سبى دابق . وكان شاعراً راوية ، وطلابة للعلم علامة » انظر البيان (١ : ٥١) . قال الجاحظ فى البيان (١ : ١١١) : « وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط ، وأبغض من ظريف وسط » . قال الجاحظ يؤيد رأيه : « وإنما الشأن فى الحار جدا والبارد جدا » .

(٢) العتد ، بالتحريك ، وبفتح فكسر : الفرس التام الخلق السريع الوثبة المعد للجري ، أو العتيد الحاضر المعد . والدد : اللهو واللعب ، ومثله الددن ، والددا ، والديد ، والديدان ، والديدبون ، كلها لغات صحيحة . ل : « ما عندي لها » ط : « ما عدق » محرفتان عما أثبت من س، هـ . وفى ط : « وعتدي » س : « وغندى» هـ : « وعندى» صوابه فى ل .

(٣) ل : « يابنة » .

(٤) امراتى ، أراد امرأتى ، فسهل ، أو اضطره الشعر . هـ : « راحلتى رجلي » .

(٥) اتأب الرجل : استحيا، افتعال من وأب . فيما عدا ل : « منتئب » تحريف . وقد عنى بالحليلة كفه . تسومنى : تكلفنى .

(٦) فيما عدا ل : « والكسب » . وبدئ عجز البيت فى الأصل بالباء ، وصوابه أن يبدأ بالكاف ، وهو من المنسرح . مرتفقة : منتفعة . وفى اللسان : (١١ : ٤٠٩) : « المرفق ، والمرفق من الأمر ، وهو ما ارتفقت وانتفعت به » .

(٧) ط ، هـ : « وشعرا فى ذلك سمعناه وهو » مع إسقاط سائر الكلام . وأثبت ما فى ل، س . لكن فى س « وشعرا) بالنصب . ووجه الدهر : أوله . وانظر البيت وما يتعلق به فى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) . وروايته . « إذا حللت بأرض لا أنيس بها » .

وأنشدنا أبو خالد النُّمَيرىّ(١) :

لو أنها رَخْصةٌ قَضَّيْتُ مِنْ وطَرِى   لـكنَّ جِلْدَتَهَا تُرْبِى عَلَى السَّفَنِ(٢)

أشكو إلى الله نغظًا قدْ بُليتُ به   وما ألاقى مِنَ الإملاقِ وَالحَزَنِ(٣)

وقال الذَّكوانىُّ(٤) يردُّ على الأول قوله :

جِلْدِى عُميرةَ فيــه العار والحُوبُ   والعَجزُ مُطَّرحٌ والفُحْشُ مَسْبُوبُ(٥)

وبالعراق نساء كالمَهَا قُطُفٌ   بأرخصِ السَّوْمِ خَدْلاتٌ مَنَاجيبُ(٦)

وما عُميرةُ مِنْ ثَدْيَاء حاليــةٍ   كالعاج صَفَّرَها الأكنانُ والطِّيبُ(٧)

قال : مَثَلُ هذا الشعرِ كمثل رجُل قيلَ له : أبوكَ ذاك الذى ماتَ جُوعا(٨) ؟ قال: فوَجَدَ(٩) شيئا فلم يأكله ؟!

وقال الحرامى(١٠) :

عِيَالٌ عالَةٌ وكسادُ سُوق   وأيرٌ لاينامُ ولا يُنِيمُ

---

(١) فيما عدا ل : « أبو عميرة النمري » .

(٢) رخصة : ناعمة لينة ، أراد يده . والسفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة .

(٣) الإملاق : الفقر والحاجة . فيما عدا ل : « قد منيت به » وهما بمعنى . وفيما عدا ل أيضاً : « وما الأمانى سوى » وهذه محرفة .

(٤) سبق له رجز في (٣ : ٢٦٦) .

(٥) الحوب ، بالضم : الهلاك ، والغم ، والبلاء . والسب : القطع ، سبه يسبه سبا : قطعه .

(٦) قطف : جمع قطوف ، وهي الضيقة المشى البطيئة . فيما عدا ل : « نطف » بالنون ، تحريف . خدلات : ممتلئات الأعضاء فى دقة عظام . ه : « جدلات » بالجيم . ط ، ه « جذلات » تصحيف . مناجيب : جمع منجاب ، وهى التي تلد النجباء .

(٧) الثدياء : العظيمة الثدي . ه : « يدا » . فان صحت كان وجهها « بداء » ، وهى الضخمة الأسكتين . س : « نداء » محرفة . حالية : عليها الحلي . كالعاج فى بياضها . الأكنان : جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت . والعرب يمدحون بالصفرة .

(٨) فيما عدا ل : « مات من الجوع » .

(٩) كذا ، بترك همزة الاستفهام فى الأصل .

(١٠) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب . انظر الحيوان (٣ : ٢٣٧) وهذا الجزء ص ١٧٩ . فيما عدا ل : « الخزامى » .

[باب

مما قالوا فى السرّ]

قال[١] ابن ميّادة :

أتُظْهِرُ مافى الصَّدْرِ أمْ أنتَ كاتمه   وَكِتمانُهُ داءٌ لِمَنْ هو كاتمُه

و إضمارُهُ فى الصدرِ داءٌ وَعِلّةٌ   وإظهارُهُ شُنْعٌ لِمَنْ هوَ عالمُه[٢]

وتقول العرب : « من ارتاد لسِرِّهِ فقد أشاعه[٣] » . ٦٠

وأرى [الأول] قد أذِنَ فى واحدٍ[٤] وهو قولُه[٥] :

وسِرُّكَ ماكانَ عندَ امرىءٍ   وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفِى

وقال الآخر[٦] فيما يوافق [فيه] المثلَ [الأول] :

فلا تُفْشِ سرَّكَ إلا إليكَ   فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحاَ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « وقال » .

(٢) الشنع ، بالضم : القبح و الفظاعة .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٨) : « من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه » .

(٤) أى فى إفشاء السر إلى واحد .

(٥) هو الصلتان السعدي ، كما نص الجاحظ فى (٣ : ٤٧٧ — ٤٧٨) . وفى عيون الأخبار (١ : ٣٩) وكذا الحماسة (٢ : ٥٦ — ٥٧) : « الصلتان العبدى » . وفى محاضرات الراغب (١ : ٥٩) : « الصلتان » مجردا . والبيت بدون نسبة فى لباب الآداب ٢٤٠ وأدب الدنيا والدين ٢٨١ .

(٦) فى الكامل ٤٢٤ ليبسك : « وأحسن ما سمع فى هذا — يعنى كتمان السر — ما يعزي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقائل يقول : هو له ، ويقول آخرون : قاله متمثلا . ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده » وأنشد البيتين . ونسبه الماوردى ٢٧٩ إلى أنس بن أسيد . وانظر لباب الآداب ٢٤٠ والعقد (١ : ٣٥) ومحاضرات الراغب (١ : ٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٣٩) والمحاسن والمساوي للبيهقى (٢ : ٥٨ — ٥٩) .

(٧) النصيح : الناصح الذى لايغش . وقد عنى أن لكل صنى صفيا آخر يفضى إليه بسره ولا يضن به عليه ، فمن ذلك ما يذيع السر ويتنقل فى الإخوان ، وإخوان الإخوان .

فانى رأيتُ غُواة الرجا ... لِ لا يترُكون أديمًا صحيحا[1]

وقال مِسكينٌ الدّارِمى[2] :

إذا ما خليلى خاننى وائتمنتُه ... فذاكَ وداعِيهِ وذاكَ وَداعُها

رَدَدْتُ عليــه وُدّهُ وترَكتُها ... مطلَّقةً لا يُستطاعُ رِجاعُها

وإنى امرؤٌ منى الحياءُ الذى ترَى ... أعيشُ بأخلاق قليل خِداعُها

أُوَاخِي رجالا لستُ أُطالِعُ بعضَهمْ ... على سرِّ بعض غيرَ أنى جِماعُها[3]

يَظلُّونَ شتَّى فى البلادِ، وسِرُّهم ... إلى صخرةٍ أعيا الرِّجالَ انصداعُها

وقال أبو مِحْجَنٍ الثَّقفِيّ[4] :

وقد أجُودُ وما مالى بذى فَنَعٍ ... وأكتُمُ السرَّ فيه ضربةُ العُنُقِ[5]

---

(١) غواة : جمع غاو ، وهو الضال الفاسد . وهذه الرواية توافق رواية الكامل وعيون الأخبار والعقد . وفى ل : « وجدت ضعاف » : وعند الماوردى : « وشاة » والبيهقى : « بغاة » .

(٢) انظر المبرد ٤٢٥ ليبسك ، وعيون الأخبار (١ : ٣٩) وأمالي المرتضي (٢ : ٦٢) وحماسة أبي تمام (٢ : ٢) والقالى (٢ : ١٧٦) .

(٣) الجماع : اسم لما يجمع به الشيء . وهذا نحو قول عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود :

أواخى رجالا لست مطلع بعضهم ... على سر بعض إن صدري واسعُه

ديوان المعانى (١ : ١٤١) والأغانى (٨ : ٩٢) .

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عمر عليه الحد مرارا . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروي عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فاننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

ابن سلام ١٠٥ ، والأغانى (٢١ : ١٣٧ - ١٤٣) وديوان أبي محجن ٢٣ .

(٥) فى الأصل : « وقد أكون » صوابه من المصادر التالية . الفنع ، بفتح الفاء وفتح النون كثرة المال . وفى الأصل : « قنع » بالقاف ، صوابه فى اللسان والمخصص (١٢ : ٢٨٠) والفصول والغايات ٤٦٥ والأغانى (٢١ : ١٤٢) وديوان أبي محجن رواية أبي هلال العسكرى ص ٧ . وعجز البيت فى الأخيرين : « وقد أكر وراء المحجر البرق » . المحجر : الذي ضيق عليه فى الحرب . والبرق : الشاخص البصر من الفزع . وروى عجز البيت أيضا عجزا لصدر آخر ، فى الديوان وعيون الأخبار (١ : ٣٨) والعقد (١ : ٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه[١] : « من كتم سِرَّهُ كانَ الخيار فى يَدِه » .

وقال بعضُ الحكماء : « لا تُطلعْ واحداً من سِرِّك[٢] ، إلا بقدرِ ما لا تجدُ فيه بدًّا من معاونتك » .

وقال آخر[٣] : « إنَّ سِرَّكَ مِنْ دَمِكَ ، فانظرْ أينَ تُريقُهُ ! » .

[و] قال الشاعر[٤] :

ولو قَدَرْتُ عَلَى نسيانِ ما اشْتَمَلَتْ ... منى الضلوعُ من الأسرارِ والخَبَرِ
لكنتُ أولَ من ينسى سرائرَه[٥] ... إذ كنت من نشرها يوماً على خَطَرِ

[وقال الآخر :

فاذا استودَعتْ سِرًّا أحَداً ... فقد استودعتَ بالسرِّ دَمَكْ]

وقال قيسُ بنُ الخطيم[٦] :

وإنْ ضَيَّعَ الإخْوانُ سِرًّا فانني ... كتُومٌ لِأَسْرَارِ العَشِيرِ أمينُ
يكونُ له عندى إذا ما ائتُمِنْتُهُ ... مكانٌ بسَوداءِ الفُؤادِ مَكينُ[٧]

---

(١) رواه البيهقى فى المحاسن (٢ : ٥٧) حديثا للرسول ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كتم سره كانت الخيرة فى يديه » ثم ساق حديثاً طويلا . وقد اقتبس هذا المعنى عتبة بن أبى سفيان فى خبر له مع ابنه الوليد . انظر عيون الأخبار (١ : ٤٠) والعقد (١ : ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « أخاك » وفى ط ، هـ : « على » موضع « من » .

(٣) نسبه البيهقى (٢ : ٥٦) إلى المنصور ، « كان يقول : سرك من دمك فانظر من تملكه » . قال ابن عبد ربه : « يعنون أنه ربما كان فى إفشائه سفك دمك » .

(٤) انظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) ولباب الآداب ٢٤١ والماوردى ٢٨١ .

(٥) ل : « سريرته » وأثبت ما فى ط ، هـ ، س وسائر المصادر .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٢٨ — ٢٩ عددها ١١ بيتا وأمالى القالى (٢ : ١٧٧) وعددها ١٣ بيتا . وانظر الشريشى (١ : ٢١٧ — ٢١٨) والعينى (٤ : ٥٦٦ — ٥٦٧) وحماسة البحترى ٢٢٦ ونوادر أبى زيد ٢٠٤ ولباب الآداب ٢٣ والمستطرف (١ : ٢٠٧) .

(٧) رواية الديوان والقالى والعينى : « إذا ما ضمنته » . وأشار القالى إلى الرواية الثانية . وفى الديوان : « مقر » وقد أشار القالى إلى رواية الديوان . ورواية الديوان والقالى : « كنين » بمعنى مكنون . وأما « مكين » فهو من التمكن .

وقيل لمَزَبِّد : يامُزَبِّد[1] ، ماهـذا الذى تحتَ حضنك ؟ فقال : يا أحمق ، فلِمَ خبأتُه ؟![2]

وقال أبو الشِّيص :

ضعِ السرّ فى صَمّاء ليستْ بصخرةٍ صَلودٍ كما عاينْتَ من سائر الصَّخرِ
ولـكنها قلبُ امرئٍ ذى حفيظةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الأسرارِ هتراً من الهتر[3]
٦١ يموتُ وماماتَتْ كرائمُ فِعلِهِ ويَبْلَى وما يَبْلَى نَثَاهُ عَلَى الدَّهرِ[4]

وقال سُحَيْمٌ الفقعسىّ[5] ، فى نشر ما يُودَعُ من السرِّ[6] :

---

(١) مزبد : هو مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيراً ، فيقال : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، كما ورد فى ط ، هـ . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد ، كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ما كولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد فى خط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه للذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وبموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٣٧٢ وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « لم خبأته » وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٣٩) . وفى جمع الجواهر للحصرى ١٣ : « وكان بين يدى مزبد المدينى جرة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه : ما هذا ؟ فقال . يا أحمق فلم سترناه ؟! أخذه ابن الرومى فقال لمن سأله : لم تلزم العمة ؟ — وكان ابن الرومى أقرع الرأس — :

يأيها السائلى لأخبره عنى لم لا أزال معتجرا
أستر شيئاً لو كان يمكننى تعريفه السائلين ما سترا » .

(٣) الهتر ، بالفتح : مزق العرض ، وبالكسر : الباطل والخطأ فى الكلام ، وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . س : « من أكبر السر » محرفة . ط ، هـ : « من أكبر الشر » وأثبت ما فى ل .

(٤) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . فيما عدا ل : « ثناه » مصحف .

(٥) المعروف فيمن اسمه سحيم من الشعراء ثلاثة : سحيم بن وثيل الرياحى ، وسحيم بن الأعرف وهو من بنى الهجيم ، وسحيم عبد بنى الحسحاس . انظر الخزانة (١ : ٢٤٢ - ٢٤٤ سلفية) .

(٦) فيما عدا ل : « فى إفشائه ما يودع من الأسرار » .

ولا أكتُمُ الأسرارَ لكن أذيعُها ولا أدَعُ الأسرارَ تَغلِى عَلَى قلبى[١]
وإن قليـلَ العقلِ من باتَ ليلَهُ تقلّبه الأسرارُ جنبا إلى جنب[٢]

وقال الفَرّار[٣] السُّلَمىُّ ـ وهذا الشعر فى طريقِ شعرِ سُحَيمٍ ، وإن لم يكن فى معنى السرِّ ـ [وهو] قوله :

وكتيبةٍ لبَّستُهَا بكتيبةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نفضتُ بهايدى[٤]
[وتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظهورَهم من بينِ مُنجدِلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[٥]]
ماكانَ ينفعُنى مَقالُ نِسائهم وقُتِلتُ دون رجالهِمْ : لاتَبْعَدِ[٦]

(تخاذل أسلم بن زرعة)

وقيل لأسلم بن زُرعة[٧] إنك إن انهزمتَ من أصحاب مِرْدَاسِ

---

(١) فى عيون الأخبار (١ : ٤١) والحماسة (٢ : ٤٠٢) والكامل ٤٢٧ ليبسك : « أنمها » وفى ل والحماسة : « أترك » : وفي المستطرف (١ : ٢٠٨) : « تعلو على قلبى » .

(٢) فيما عدا ل : « ضعيف العقل» . وما أثبت من ل يوافق الكامل والحماسة والمستطرف. هـ فقط : « ليلة » بالتاء، ومثلها الحماسة والمستطرف . لكن صدره فى الكامل : « وإن أحق الناس بالسخف لا مرؤ » .

(٣) الفرار : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حبان (ويقال : حيان) بن الحكم ، وأخذ راية سليم يوم الفتح ثم نزعت منه . وسليم بالتصغير : اسم قبيلته . انظر الإصابة ١٥٥١ والحماسة (١ : ٥٧) وشرح التبريزى . وفيما عدا ل : « الغرار » بالغين ، محرف .

(٤) أى رب كتيبة خالطتها بكتيبة ؛ فلما اختلطت نفضت يدى منهم . وأراد بنفض اليد الإعراض عنها . وفى هذا ما فيه من اطراح النخوة والخلق الفاضل . وهذا هو السر فى شبه هذا الشعر بسابقه .

(٥) تقص : تكسر ، والوقص: الكسر . المنجدل : المصروع الملقى على الجدالة ، وهى الأرض . والمسند : الذى أسند إلى ما يمسكه وبه رمق . ورواية الحماسة : « منعفر » وهذا البيت ثابت فى ل ، هـ فقط .

(٦) ما استفهامية أو نافية . بعد يبعد : هلك، وبابه تعب ، أى ما ينفعنى أن يندبننى ويقلن لا تبعد ! فيما عدا ل : « بين رجالهم » ورواية الحماسة : « بين رجالها » .

(٧) فى تاريخ الطبرى القسم الثالث ص ٦٥ أن زياداً لما ولى العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان ، وجعل معه رجالا على كور ، وأمرهم بطاعته ، =

ابن أُدَيَّة[١] غضِبَ عليك الأمير عبيدُ الله بن زياد قال : يغضَبُ عليَّ وأنا حيٌّ أحبُّ إليَّ مِنْ أن يرضَى عنى وأنا ميِّت .

قال : ووَلِيَ دَسْتَبى[٢] فخرج إليها فى أصحابه[٣] ، فلما شارَفَها عرضَتْ له الخوارجُ ، وكان أكثرَ منهم عددًا وعُدَّة ، فقال : والله لأصافَّنَّهم[٤] ، ولأُعَبِّيَنَّ أصحابى[٥] ، فلعلهم إذا[٦] رأوا كثرَتَهُم انصرفوا ولا أزال بذلك[٧] قويًّا فى عملى هــذا . فلما رأت الخوارجُ كثرةَ القوم نزلوا عن خيولهم فعرْقَبُوها[٨] ، وقطَّعوا أجفانَ سيوفهم ، ونبذوا[٩] كل دقيقٍ كان معهم ، وصَبُّوا أسقِيَتَهُم . فلما رأى ذلك رأى الموتَ الأحمر .

= فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زرعة ، وخليد بن عبدالله الحنفي ، ونافع بن خالد الطاحى ، وربيعة بن غسل اليربوعى ، وحاتم بن النعمان الباهلى . وفى ص ١٧٢ : « ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان » . وفى ص ٣٩١ أن عبيد الله بن زياد أرسله إلى أبي بلال مرداس بن عمرو بن حدير .

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ من هذا الجزء . وله أخ يدعى « عروة » . وأدية جدة لهما من محارب نسباً إليها ، ويقال : بل كانت ظئراً لهما ، وهما ابنا عمرو بن حدير ، من ربيعة بن حنظلة . المعارف ١٨٠ .

(٢) دستبى ، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . ط ، ه ، س : « تستر » ، وهى بضم التاء الأولى وفتح الثانية ، وكانت أعظم مدينة بخوزستان . ل : « دستبنى » بزيادة نون قبل الآخر ، وصواب هذه ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وخرج » ، بالواو .

(٤) المصافة ، بتشديد الفاء ، من صافه يصافه ، بالتشديد : إذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان مصاف العدو بعسفان » س ، ه : « لأصافينهم » تحريف .

(٥) من التعبئة ، وهى تهيئة الجيش وترتيبه للقتال .

(٦) ط ، ه : « إن » والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٨) عرقبوها : حزوا عراقيبها بالسيوف . وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(٩) نبذوا : رموا وألقوا . وفى ل : « ونثروا » .

فأقبل عليهم فقال : عرقبتم دوابَّكم ، وقطَّعتم أجفانَ سيوفِكم ، ونبذتم[١] دقيقَكم؟ خارَ الله لنا ولكم ! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه[٢] وانصرفَ عنهم .

(ضِيق النظَّام بِحَمْلِ السرّ)

وكان أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سيّارٍ النظَّام ، أضْيَقَ الناس صدراً بحملِ سرٍّ[٣] وكان شرَّ ما يكونُ إذا يُؤَكِّدُ عليه صاحبُ السر[٤] وكان إذا لم يؤَكِّدْ عليه ربما نَسِيَ القِصَّةَ ، فيسلمُ صاحبُ السرّ .

وقال له مرةً قاسمٌ التمَّار : سبحان الله مافى الأرض أعجبُ منك[٥] أودعتُك سِرًّا فلم تصبر عن نشره[٦] يومًا واحداً ؛ والله لأشكونَّك للناس! فقال : يا هؤلاء ، سَلُوه نَمَمْتُ عليه مرةً واحدةً ، أو مرتين ، أو ثلاثًا ، أو أربعًا ، فلمن الذنبُ [الآنَ] ؟

فلم يرضَ بأن يشاركه فى الذّنب ، حتى صيَّرَ[٧] الذّنبَ كله لصاحبِ السرّ .

---

(١) ل : « ونثرتم » .
(٢) أى ردهم من حيث أتوا . وهذا الخبر مثل عجيب فى الاستهانة بالتبعات .
(٣) فيما عدا ل : « سره » وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .
(٤) ل : « توكد » تحريف . والكلام بعده إلي آخر الفقرة ساقط من ل .
(٥) ل : « فى الأرض » بإسقاط « ما » بمعنى « أفى الأرض » على الاستفهام وحذف الهمزة ، وذلك كثير فى لغة الجاحظ .
(٦) ط ، هـ : « إفشائه » .
(٧) ل : « صار » بمعنى ضم وجمع .

(شعر فى حفظ السرّ)

وقال بعضُ الشعراء[١] :

خَتَمْتُ الفؤادَ على سِرِّها ... كذاكَ الصحيفةُ بالخاتمِ[٢]

هوَى بى إلى حُبِّها نظرةٌ ... هُوِىَّ الفراشـةِ للجاحمِ[٣]

٦٢ وقال البَعيث :

فإنْ تكُ ليلى حَمَّلَتْنى لُبانةً ... فلا وأبى ليلى إذاً لا أخونُها[٤]

حفِظْتُ لها السرَّ الذى كان بيننا ... ولا يحفَظُ الأسرارَ إلا أمينُها

وقال رجلٌ من بنى سَعد[٥] :

إذا ما ضاق صدرُك عن حديثٍ ... فأفشَتْهُ الرجالُ فمَنْ تلومُ

إذا عاتبتُ من أفشى حديثى ... وسِرِّى عندَه فأنا الظلوم[٦]

و إنى حين أسأمُ حَمْلَ سرّى ... وقد ضَمَّنْتُهُ صَدْرِى سَؤُوم[٧]

ولستُ محدِّثاً سرّى خليلاً ... ولا عِرْسى ، إذا خطَرَتْ همومُ

وأطوِى السرَّ دونَ الناس ، إنى ... لما استُودِعْتُ من سِرٍّ كتوم[٨]

---

(١) فيما عدا ل زيادة : « فيه » فى هذا الموضع . ولا وجه له . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) فى ثمار القلوب وكذا فى الحيوان (٣ : ٣٩٨) : « على حبها » . وفيما عدا ل : « كختم الصحيفة » . وما أثبت من ل يوافق رواية الثعالبى وماسبق فى الجزء الثالث .

(٣) فى الثمار والجزء الثالث : « هوت بى » . والجاحم : كل نار عظيمة فى مهواة . فى الثمار فقط : « فى الجاحم » .

(٤) اللبانة ، بالضم : الحاجة ، والجمع لبان .

(٥) فى لباب الآداب ٢٤٣ : « وأنشد الزبير لرجل من بنى عبد شمس بن سعد » . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) .

(٦) فيما عدا ل : عاينت » صوابه فى ل والمصدرين السابقين .

(٧) ل فقط : « كتم سرى » . والبيت التالى انفرد الجاحظ بروايته .

(٨) لم يرو هذا البيت ابن قتيبة ، ورواه أسامة بن منقذ .

(اعتذار شيخ)

قال : وقيل لشيخٍ : ويحك ههنا ناسٌ يسرق أحدُهم خمسين سنة ، ويزني خمسين سنةً ، ويَصْنَع العظائم خمسين سنةً ، وهو فى ذلك كله مستور جميل الأمر[٢] ؛ وأنتَ إنما لُطْتَ منذُ خمسةِ أشهر ، وقد شُهِرتَ به فى الآفاق ! قال : بأبى أنت ، ومن يكونُ سرُّهُ عند الصِّبْيان أيُّ شىء تكونُ حالُه !

(وصية العباس لابنه)

أبو الحسن[٣] ، عن محمد بن القاسم الهاشمى[٤] قال : قال العباسُ بن عبد المطلب[٥] لعبد الله ابنه : « يا بُنَىّ ، أنتَ أعْلَمُ منّى ، وأنا أفْقَهُ منك[٦]

---

(١) الكلام من « ويزنى » إلى هنا ساقط من ل ، سه .

(٢) فيما عدا ل : « جيد الأمر » وكلمة « كله » ساقط من ل .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى ، صاحب الأخبار . وقد روى عنه الجاحظ فى البيان أكثر من سبعين خبرا . وله تصانيف تربى على المائتين ولد سنة ١٣٥ ومات سنة ٢٢٥ . انظر ابن النديم ١٤٧ — ١٥٢ مصر .

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامى الهاشمى ، المعروف بأبى العيناء ، ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ وهو من كبار الأخباريين ، نشأ بالبصرة وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى ، وكان من اللسن وسرعة الجواب والدعابة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه . وهو الذى دخل على المتوكل فى قصره فقال : كيف تقول فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! وروى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه ، إلا ابن أبى شيبة العلوى » . وعمى أبو العيناء بعد الأربعين . انظر نكت الهميان ٢٦٥ ولسان الميزان (٥ : ٣٤٤ — ٣٤٦) والفهرست ١٨١ وتاريخ بغداد ١٢١٥ .

(٥) ط فقط : « أبو العباس بن عبد المطلب » . وإنما هو « العباس » والد عبد الله بن العباس .

(٦) فيما عدا : ل « أفقه منى وأنا أعلم منك » .

إن هذا الرجلَ يُدْنيك ــ يعنى عُمَرَ بن الخطاب ــ فاحفظْ عنى ثلاثاً : لاتُفْشِ له سرًّا ، ولا تَغتَابَنّ عنده أحداً، ولايَطَّلِعَنّ منك على كِذْبة » .

باب
فى ذكر المُنى[(١)]

قال : سُئل ابن أبى بَكْرة[(٢)] أىُّ شىء أدْوَم إمتاعاً[(٣)] ؟ قال : المُنَى .

[قال] : وقال يزيد [بن معاوية على مِنْبرِه[(٤)]] : ثلاثٌ يُخْلِقْنَ العقْلَ[(٥)] ، وفيها دليل على الضّعف : سرعةُ الجواب ، وطُول التّمنّى[(٦)] والاستغراب فى الضَّحك !

وقال عبايةُ الجُعْفى[(٧)] : ما سرّنى بنصيبى [من المنى] حُمْرُ النَّعَم[(٨)] .

---

(١) فيما عدا ل : « ما جاء فى ذم الأمانى » مع إسقاط كلمة « باب » .

(٢) سبقت ترجمة أبيه فى (٤ : ٤٧٩) .

(٣) فيما عدا ل : « أحرم متاعا » صوابه ما أثبت من ل موافقاً عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) .

(٤) « بن معاوية » زيادة من ل وعيون الأخبار (١ : ٢٦١ — ٢٦٢) . و « على منبره » زيادة من سه ، هـ .

(٥) يخلقن ، من أخلقه بمعنى أبلاه . أخلق الثوب وأخلقته أنا ، يتعدى ولا يتعدى . اللسان (١١ : ٣٧٦) . وفى عيون الأخبار : « تخلق » .

(٦) ل : « المنى » .

(٧) ل : « الحنفى » روى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٨٥) : « لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضا » .

(٨) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : « ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول الرسول الكريم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم » ، إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن .

وقال الأصمعي : قال ابن أبي الزِّناد(١) : «المُنَى والحُلْم أخوَان» .

وقال مُعمَّر بن عبَّاد(٢) : «الأماني للنَّفْس ، مثلُ التُّرَّهات لِلِّسان(٣)» .

وقال الشاعر :

[اللهُ أصْدَقُ والآمالُ كاذبةٌ ... وَجُلُّ هذِى المُنَى في الصَّدرِ وسْوَاسُ(٤)

وقال الآخر(٥) :

إذا تَمَنَّيْتُ مالا بتُّ مُغتبطاً ... إنّ المُنى روسُ أموالِ المفاليسِ

لولا المُنى مُتُّ من هَمٍّ ومن حَزَنٍ ... إذا تذكّرتُ ما في داخلِ الكيسِ

وقال بعضُ الأعراب(٦)] :

مُنًى إن تَكَنْ حَقًّا تَكُنْ أحسنَ المُنَى ... وإلا فقدْ عِشْنَا بها زَمَنًا رَغْدَا(٧)

---

(١) لأبي الزناد ولدان : ذكرهما ابن قتيبة في المعارف ٢٠٤ — ٢٠٥ . وهما عبد الرحمن ابن أبي الزناد ، وهو المعروف بهذه الكنية . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٠) ، وأبو القاسم بن أبي الزناد . أما عبد الرحمن فيكنى أبا محمد ، وقد ولي خراج المدينة وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . وأما أبو الزناد فهو أبو عبد الله بن ذكوان ، كان عمر بن عبد العزيز ولاه خراج العراق وتوفى سنة ١٣٠ وهو ابن ست وستين سنة . وقد أورد ابن قتيبة الحكمة التالية في عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ولم ينسبها .

(٢) معمر بن عباد السلمي (بتشديد ميم معمر) : معتزلي من أهل البصرة ، ثم سكن بغداد ، وناظر النظام ، مات سنة خمس عشرة ومائتين ، ذكره ابن النديم . هذا كلام ابن حجر في لسان الميزان (٦ : ٧١) ولم أجد له ذكرا في الفهرست ، فلعله مما ضاع من الكتاب . فيما عدا ل : « بن عبادة » محرف .

(٣) الترهات : الأباطيل ، الواحدة ترهة .

(٤) في الأصل ، وهو هنا ل : « هذا المنى » .

(٥) البيت الأول في عيون الأخبار (٢ : ٢٦١) . وعجزه في محاضرات الراغب (١ : ٢١٧) وفيها : « رأس » .

(٦) وكذا في عيون الأخبار (١ : ٢٦١) وفي حماسة أبي تمام (٢ : ١٦٦) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) : « وقال رجل من بني الحارث » .

(٧) أي هي مني ، إن تكن محققة فهي أحسن الأماني ، وإن تكن كاذبة فإنا نعيش عيشاً رغداً بذكرها .

[أمانيَّ مِن سَلمى حسانٌ كأنما   سَقتْني بها سَلمى على ظمإٍ بردا[(١)]]

وقال بشار :

كَرَرْنا أحاديثَ الزمانِ الذى مَضَى   فلذَّ لنا محمودُها وذَميمها[(٢)]

٦٣ [وَ] روى الأصمعيُّ عن بعضهم أنه قال : الاحتلامُ أطيبُ من الغِشيان، وتمنِّيك الشيء[(٣)] أوفرُ حظًّا فى اللذّةِ من قُدْرَتِكَ عليه .

قال : كأنه [ذَهَبَ إلى أنه إذا ملكَ] وجبَتْ عليـه فى ذلك المِلْك حقوقٌ، وخاف الزوالَ ، واحتاجَ إلى الحفظ .

وقال : وفى الحديث المأثور : « ما عظُمتْ نعمةُ [الله] على أحدٍ إلا عظمَتْ مؤونةُ الناسِ عليه[(٤)] » .

[قال] : وقيل لمزبِّد[(٥)] : أيسرُّك أن عندك قِنّينةَ شَرابٍ ؟ قال : يا ابنَ أمِّ ، منْ يسرُّه دخولُ النارِ بالمجاز ؟! .

قال : وقدّموا إلى أبى الحارث جُمَّيز[(٦)] جامَ خَبيصٍ[(٧)] وقالوا له :

---

(١) الرواية فى سائر المصادر : « أمانى من سعدى » و « سقتك بها سعدى » . وفى عيون الأخبار : « عذابا » والمحاضرات : « حسانا » والحماسة : « رواء » . قال التبريزى : « ويروى أمانى ، نصب باضمار فعل » . والبرد : الماء البارد .

(٢) البيت فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) .

(٣) ط فقط : « وتمنيك الشيء » .

(٤) فيما عدا ل : « إلا عظمت عليه مؤنة الناس » .

(٥) ط ، هـ : « لمزيد » بالياء ، صوابه فى ل ، س . وانظر التنبيه الأول ص ١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٤) بلفظ : « جمين » آخره نون . ويبدو لى أنهما لغتان فى اسمه . وفيما عدا ل : « حمير » مصحف .

(٧) الجام : إناء من فضة ، عربى صحيح ، وجمعه جامات ، ومنهم من يقول : جوم . والجام مؤنثة . هذا مجمل ما قاله ابن منظور . ولم يذكرها أحد فى المعربات ، ولكني أذهب إلى أنها مأخوذة من الفارسية . انظر سعة هذه المادة فى الفارسية عند استينجاس ٣٥٠ — ٣٥١ ، وهى فى الفارسية بمعنى الكأس ، أو القدح ، أو الطاس ، أو الإناء العميق ، ولم يقيد ذلك بالفضة أو غيرها . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى هذا الجزء ص ١٤ .

أهذا أطيَبُ أم الفالوذَج[١] ؟ قال : لا أقضى على غائب !

قال : وقال مَدينىٌّ لرجل : أيسرُّكَ أن هذه الدار لك ؟ قال : نعم . قال : وليس إلا نَعَمْ فقط[٢] ؟ قال : فما أقول ؟ قال : تقول : نَعَم ، وأُحَمَّ سَنَة[٣] ! [قال] : نعم ، وأنا أعور .

[قال] وقيل لمزِّبد : أيسُرُّكَ أن هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأُضرَبُ عشرين سوطا[٤] . قال : ولِمَ تقولُ هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

قال : وقال عبدُ الرحمن بن أبى بَكْرة ، مَنْ تمنَّى طول العمر فليوَطِّنْ نفسه على المصائب[٥]

يقول : إنه لا يخلو[٦] من موتِ أخٍ ، أو عمٍّ ، أو ابن عمٍّ ، أو صديق ، أو حميم .

وقال المجنون :

أيا حَرَجاتِ الحىِّ حيثُ تحمَّلُوا ... بِذِى سَلَمٍ لا جادَكُنَّ رَبيعُ[٧]

---

(١) الفالوذج : ضرب من الحلوى ، يصنع من الدقيق والماء والعسل . فارسى معرب عن « پالوده » . وفى اللسان (مادة فلذ) : « الفالوذ والفالوذق معربان . قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج » . وانظر المعرب ٢٤٧ . ط ، هـ : « أهذا » باثبات همزة الاستفهام . والجاحظ يميل إلى حذفها .

(٢) س : « أو ليس » باثبات همزة الاستفهام . وفيما عدا ل : « إلا هذا » .

(٣) أحم ، من مرض الحمى . فيما عدا ل : « وأحبس سنة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ل : « المصايب » بالياء . وهو القياس ، فإن ما كان أصله حرف علة إذا جمع نحو هذا الجمع لم يهمز . لكنه لم يسمع . وفي اللسان : « أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلى بالزائد » . ولم يسمع نظيره مما همز إلا « معائش » وأكثر القراء على ترك الهمز فيها إلا ما روى عن نافع فانه همزها .

(٦) « إنه لا يخلو » ليست فى ل ، س . وليست ضرورية فى الكلام .

(٧) الحرجات : جمع حرجة ، وهى الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة ، وهى ما رعى من المال . ورواية اللسان والأغانى (١ : ١٧٠) : « حين تحملوا » . وذو سلم : موضع ، فيما عدا ل : « لذى سلم » صوابه فى ل واللسان والأغانى .

وخَيماتُكِ اللاتى بمُنعَرَجِ اللِّوَى ... بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ[١]

فَقَدْتُكَ من قلبٍ شَعاعٍ ، فطالما ... نهيتُك عن هذا وأنتَ جميعُ[٢]

فقرَّبتَ لى غيرَ القريبِ ، وأشرَفَتْ ... مُناكَ ثَنَايَا ما لهنَّ طُلُوعُ[٣]

(أمانىّ بعض الخوارج)

قال : وقال عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث[٤] : لولا أربعُ خِصالٍ ما أعطَيتُ عربيًّا طاعة : لو ماتت أمّ عَمْرو[٥] — يعنى أمّه — ولو نَسَبْتُ[٦] ، ولو قَرَأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً .

قال : وقدِم[٧] عبدُ الملك ، وكان يحبُّ الشِّعْر[٨] فبعثتُ إلى الرواة ، فما أتَتْ علَىَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمَثَل ، وفُضُولا[٩] بعد ذلك . وقدِم

---

(١) خيماتك ، خطاب للحى فى البيت قبلته ، أو لليلى على الالتفات . والخيمة : البيت من شجر . وقد جعل ضمير « بلى » فى « تبلهن » جمعاً مؤنثا ، والقياس أن يقول « لم تبله » أى لم تبل ذلك البلى . فيما عدا ل : « يبلهن » .

(٢) قلب شعاع ، بفتح الشين والعين : متفرق موزع . ط : « شجاع » تحريف ، صوابه فى س ، هـ والأغانى واللسان (١٠ : ٤٧) . وفى ل : « شعاعا » كأنه قال : فقدتك قلبا شعاعا ، كما تقول ثكلته ولداً بارا .

(٣) أشرفت : علت وظهرت . مناك : ما تتمناه ، جمع منية . ثنايا : حال من مناك ، والثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ، أو الجبل ، أو الطريق فيه . فيما عدا ل : « هناك » موضع « مناك » وفى الأغانى : « إليك ثنايا » .

(٤) هو المعروف بابن الأشعث ، قائد داهية ، سيره الحجاج لغزو بلاد رتبيل فانتقض عليه ، وحدثت بينه وبين الحجاج وقعة دير الجماجم التى دامت مائة يوم وثلاثة ، وانتهت بهزيمته وفراره وقتله ، سنة أربع وثمانين .

(٥) ل : « أم عمران » .

(٦) ل : « ولو شبت » والوجه ما أثبت من سائر النسخ . ونسبت : عرفت أنساب العرب .

(٧) فيما عدا ل : « وقال قدم » .

(٨) ط ، هـ : « الشعراء » .

(٩) فضول : زيادات ، والفضل : الزيادة . فيما عدا ل : « وفصولا » بالمهملة .

مُصْعبٌ(١) وكان يحبُّ النَّسَب ، فدعوت النَّسَّابين(٢) فتعلّمتُه فى سنة . ثم قدِم(٣) الحجّاج ، وكان يُدْنِى على القرآن(٤) ، فحفظته فى سَنَة .

قال: وقال يزيدُ بنُ المهلَّب : لأخرجُ(٥) حتى أحجَّ ، وأحفَظَ القرآن ، وتموتَ أُمِّى. فخرج قبل ذلك كلِّه .

وقال عُبَيْدُ الله بنُ يحيى(٦) : كان من أصحابنا بمَرْو(٧) جماعة ، فجاسنا ذات يومٍ نتمنَّى . فتمنيتُ أن أصيرَ إلى العراق من أيامى سالماً ، وأن أقْدَمَ

---

(١) هو مصعب بن الزبير ، وكان قد بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة ٦٥ ثم ثار المختار على ابن الزبير وانتهت الثورة بقتل المختار سنة ٦٧ . وسار عبد الملك لقتال مصعب فالتقوا بأرض مسكن فقتل مصعب سنة ٧٣ . فدامت فتنته تسع سنين وثلاثة أشهر وأياما . المعارف ١٥٥ — ١٥٦ . فيما عدا ل : « المصعب » . وهو جائز فى العربية . انظر الحيوان (٣ : ٣٨٢) ومجلة الثقافة ص ٢١٥٢ .

(٢) ل : « وكان يحب النسابين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقدم » . وكان قدوم الحجاج إلى العراق سنة ٧٥ .

(٤) يدنى ، من الإدناء ، وهو التقريب . فيما عدا ل : « يدين » .

(٥) كان خروج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر ابن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وصار إلى البصرة واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٦) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزى ، وزير المتوكل : انظر مروج الذهب (٢ : ٣٧١) والتنبيه والإشراف ٣١٤ . وفى الأصل : « عبد الله بن يحيى » وليس له ذكر فى ولاة الدولة العباسية . والمعروف بهذا الإسم عبد الله بن يحيى الكندى الملقب « طالب الحق » من إباضية اليمن، بايعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى الإباضى على الخلافة ، وخرجت الإباضية تحت قيادة أبى حمزة إلى مكة يوم عرفة سنة ١٢٩ ثم إلى المدينة ، فالتقوا بوادى القرى ، فهزمت الإباضية ، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى فى اليمن ، فسار إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد الخليفة مروان بن محمد ، فلقى عبد الله ابن يحيى بناحية الطائف ، فاقتتلا قتالا شديداً قتل فيه عبد الله سنة ١٣٠ . انظر مروج الذهب (٢ : ٢٠٣) .

(٧) مرو : هى مرو الشاهجان ، أشهر مدن خراسان وقصبتها . فيما عدا ل : « هوو » تحريف .

فأتزوّج[1] سَمَاعِ ، وألِيَ كَسْكر[2] .

قال : فقدِمت سالماً ، وتزوجتُ سَمَاعِ ، ووليتُ كَسْكَر .

(خبر وشعر فى دجلة والفرات)

٦٤ قال : ووقف هشامُ بنُ عبد الملك على الفرات ، ومعه عبدُ الرحمن ابنُ رستَم[3] ، فقال هشام : مافى الأرض نهرٌ خيرٌ[4] من الفُرات ! فقال عبد الرحمن : مافى الأرض نهرٌ شرٌّ من الفرات[5] ، أوَّلُه للمُشْرِكين ، وآخرُه للمنافقين .

وقال أبو الحسن[6] : الفرات ودِجلة رائِدانِ[7] لأهل العراق [لايكذبان] .

قال الأصمعىّ [وأبو الحسن[8]] : فهما[9] الرائدان ، وهما الرّافدان .

---

(١) سماع ، كقطام : اسم امرأة . ولم أر هذا العلم للمؤنث إلا فى هذا الموضع . وفى القاموس : « والسَّمَاع بطن » . هـ : « وأن أتزوج سماع داكن » ط : « وأن أتزوج سماع » وفى الأولى نقص وتحريف ، وفى الثانية نقص .

(٢) ألى : من الولاية ، أى أصير واليا عليها . هـ : « إلي » . س : « وأكن والى » محرفتان . وكسكر : كورة من كور العراق ، مشهورة بالدجاج ووفرة الخيرات .

(٣) فى القاموس : « رستَم بضم الراء وفتح المثناة فوق ، وقد تضم » . ورستم من الأعلام الفارسية ، وضبطه فيها بضم الراء وفتح التاء . واشتهر بهذا الاسم عندهم « رستم » صاحب حرب القادسية .

(٤) فيما عدا ل : « خيرا » بالنصب بجعلها خبرا لما الحجازية .

(٥) فيما عدا ل : « وقال عبد الرحمن : ما فيها نهر شرا من الفرات » . وانظر التنبيه السابق .

(٦) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى المترجم فى ص ١٨٩ .

(٧) رائدان ، مثنى رائد ، وهو الذى يرسله قومه فى طلب الكلأ . وفى المثل : « الرائد لا يكذب أهله » .

(٨) هذه الزيادة من ل ، س .

(٩) س : « ولا يكونان » . هـ : « ولا يكويان فى » . و « يكونان » و « يكويان » هما « يكذبان » التى أثبتها في موضعها من ل ، فصحفت فى س ، هـ ، ثم نقلت إلى غير موضعها .

وقال الفرزْدَق(١) :

أميرَ المؤمنين . وأنتَ عَفٌّ   كريم ، لستَ بالوالى الحريصِ(٢)

بَعَثْتَ إلى العـــــراق ورافِدَيه   فَزَارِيًّا أَحذَّ يَدِ القَميصِ(٣)

ولم يَكُ قبلَها راعى مَخَاضٍ   لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلُوصِ(٤)

تفتَّقَ بالعِـــراق أبو المَثَنَّى   وعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكلَ الخبيصِ(٥)

---

(١) يقول الشعر الآتي مخاطبا يزيد بن عبد الملك ، يشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى : « أبا المثنى » . انظر الديوان ٤٨٧ والكامل ٤٧٩ ليبسك والمعارف ١٧٩ والشعراء ١١ ،وزهر الآداب (١ : ٢١) والأغانى (١٩ : ١٧) وكنايات الجرجانى ٧٤ .

(٢) الحريص : ذو الحرص ؛ والحرص : الجشع . فيما عدا ل : « عفيفا لست » تصحيحه من ل والأغانى ، وفيها : لست بالطبع » . وعند المبرد : « وأنت بر أمين لست بالطبع » . وفى الديوان : « وأنت وال شفيق لست بالوالى » .

(٣) رافد العراق : دجلة والفرات . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ الشعر . والفزارى هو عمر بن هبيرة . والأحذ : السريع اليد الخفيفها ؛ أراد خفة يده فى السرقة . قال ابن قتيبة : « يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص » وقال ابن حبيب : « إنما أراد أنه قصير اليدين عن نيل المعالى ، كالبعير الأحذ ، وهو الذى لا شعر لذنبه » . انظر اللسان (٥ : ١٥) ، والمخصص (٢ : ٤) . وصدر البيت في معظم المصادر : « أأطعمت » وفى بعضها : « أوليت » . وكلمة : « أحذ » محرفة فى جميع نسخ الأصل ، فى ط ، هـ : « أخد » وس : « أجذ » و ل : « أحد » .

(٤) المخاض ، كسحاب : الحوامل من النوق . والقلوص : الشابة من الإبل . ل : « إفال » وهو جمع أفيل . والأفيل : الفصيل . ط ، هـ : « لتأمنه » صوابه فى س ، ل . والبيت يشير إلى ما يروى الرواة أن بنى فزارة كانوا يعيرون بغشيان الإبل . وفى ذلك قول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واكتبها بأسيار

(٥) تفتق ، من قولهم : تفتقت خواصر الغنم من البقل : إذا اتسعت من كثرة الرعى . وهذه رواية ل والمعارف . وعند الجرجاني : « تفنق » بالنون . تفنق : تنعم ، وامرأة فنق : ناعمة . وفى س ، هـ والكامل وزهر الآداب : « تفهق » من التفهق ، وهو الامتلاء . وفى ط والديوان واللسان (٥ : ١٥ ، ١٢ : ١٨٩) . « تفيهق » وفسره من التفيهق فى الكلام ، وهو التوسع فيه والتنطع . وروى فى اللسان (١٢ ، ٢٨٤) : « تبنك » أى أقام وتمكن فى عزه . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى ص ١٤ .

قال : وبينا غَيْلان بن خَرَشَةَ[١] ، يسيرُ مع ابن عامر[٢] ، إذ وَرَدَا على نهر أمِّ عبد الله[٣] فقال ابنُ عامر : ما أنفعَ هذا النهرَ لأهل هذا المصر! قال [غيلان[٤]] : أجَلْ أيها الأمير ، والله[٥] إنهم لَيَسْتَعْذِبُونَ منه[٦] ، وتفيضُ مياهُهم إليه ، ويتعلمُ صبيانهم فيه العَوم ، وتأتيهم مِيرَتُهم فيه[٧]

فلما أن كان بعد ذلك [إذ[٨]] سايرَ ذاتَ يوم زياداً — وكان زيادٌ عدُوًّا لابن عامر — فقال زياد : ما أضَرَّ هذا النهرَ بأهل هذا المصر ! فقال : أجَلْ والله أيها الأمير ! تنِزُّ منه دُورُهم، ويغرقُ فيه صبيانهم ، [ويُبْعَضُون] ويُبَرْغَثُونَ[٩] !

---

(١) هو غيلان بن خرشة الضبى ، كان أحد أصحاب أبي موسى الأشعرى ، ثم انتقض عليه ، وكان سببا فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ، ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن ربيعة ، وسبقت ترجمته فى (١ : ٧٣) .

(٣) نهر أم عبد الله ، بالبصرة ، منسوب إلى أم عبدالله بن عامر . وفى البيان (١ : ٢٤٩) حيث سيق هذا الخبر : « نهر عبد الله » تحريف . فيما عدا ل : « إذ ورد » .

(٤) الزيادة من سه ، ل والبيان .

(٥) ل : « أجل والله يا أمير المؤمنين » .

(٦) يستعذبون منه ، أى يستقون ، ويحضرون الماء العذب . وفى اللسان « ويستعذب لفلان من بئر كذا أى يستقى له » . فيما عدا ل : « يستعذبون ماءه » .

(٧) الميرة ، بالكسر : الطعام يمتاره الانسان ، أى يجتلبه .

(٨) هذه من سه . وكلمة « أن » قبلها ساقطة من ل ، ه .

(٩) فى اللسان : « بُعِضَ القوم : آذاهم البعوض » . وأما « يبرغثون » فلم أجدها فى معجم ، والمراد بها : آذاهم البرغوث . وفيما عدا ل : « ويسترعبون » تحريف . وبدل هذه العبارة فى البيان والتبيين : « ومن أجله تكثر بعوضهم » . وللجاحظ تعقيب جميل على هذا الخبر فى البيان .

[القول فى العصافير]

وسنقول باسم الله وعونه فى العصفور بجملةٍ من القول .

وعلى أنّا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطّعاتٍ [من القول] تفرّقْنَ فى تضاعيف تلك الأصناف . و إذا[١] طال الكلامُ وكثُرت فنونه ، صار الباب القصيرُ من القولِ فى غِمارِه مُسْتَهْلَكاً ، وفى حومته غَرِقاً ، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعات ، وتلك المقطعاتُ موصولات[٢] ، وتلك الأطراف مستقصياتٍ مع الباقى من ذِكْرنا فيه[٣] ؛ ليكون البابُ[٤] مجتمعاً فى مكانٍ واحد . فبالاجتماع تجتمع القوة ، ومن الأبعاض يلتئم الكل ، وبالنظام تظهرُ المحاسن .

(دعوى الإحاطة بالعلم)

ولستُ أدّعى فى شىء من هذه الأشكالِ الإحاطة به ، والجمعَ لكل شىء فيه[٥] . ومن عَجَز عن نظم الكثير ، وعن وضعِه فى مواضعه — كان عن بُلوغ آخره ، وعن استخراج كل شىء فيه أعجز . والمتحُ أهونُ من الاستنباط[٦] ، والحصْدُ أيسَرُ[٧] من الحرث .

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا » .
(٢) ل : « موصلات » .
(٣) ل : « في ذكر ما فيه » .
(٤) ط ، هـ : « الباقى » .
(٥) فيما عدا ل : « والجمع به لكل شىء فيه » بإقحام : « به » .
(٦) الاستنباط : استخراج الماء بحفر الأرض وبحثها . والمتح : جذب الماء من البئر بالدلو .
ط : « وإنه أهون » هـ : « والمنتج » صوابهما فى ل ، سه .
(٧) فيما عدا ل : « أهون » فيكون تكراراً لما قبله .

وهذا البابُ لو ضمَّنه[١] على كتابه من هو أكثرُ منى رواية أضعافاً ، وأجودُ منى حِفظاً بعيداً ، وكان أوسع [منى] علماً وأتمَّ عزماً ، وألطفَ نظراً وأصدَقَ حِسًّا ، وأغوصَ على البعيد الغامض ، وأفهَمَ للعويص الممتنع ، ٦٥ وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحة[٢] ، وأقلَّ سآمَةً ، وأتمَّ عناية ، وأحسنَ عادة مع إفراط الشهوةِ ، وفراغِ البال ، وبُعْدِ الأمَل ، وقوةِ الطمع فى تمامه ، والانتفاع بثمرته ، ثم مُدَّ له فى العمر ، ومكَّنته المقدرةِ[٣] — لكان قد ادَّعى مُعْضِلة ، وضمِنَ أمراً معجزاً ، وقال قولا مرغوبا عنه ، [متعجَّباً منه ؛ ولكان لغواً ساقطاً ، وحارضاً بَهْرَجا[٤]] ؛ ولكان ممن يفضُل قوله على فعله ، ووَعدُه على مقدار إنجازه[٥] ؛ لأن الإنسان ، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرِف بالبَراعة[٦] ، وغَمَرَ العلماء[٧] ؛ فإنه لا يَكْمُلُ أن يُحيط علمُه بكلِّ ما فى جناح بَعوضةٍ ، أيامَ الدنيا ، ولو استمد بقوةِ كلِّ نظَّارٍ حكيمٍ[٨] واستعارَ حِفظَ كلِّ بحّاثٍ واعٍ[٩] وكلِّ نَقَّاب فى البلاد ، ودَرَاسة للكتب[١٠] .

---

(١) فيما عدا ل : « ضمه » .

(٢) القريحة : استنباط العلم بجودة الطبع . فيما عدا ل : « وأحسن قريحة » .

(٣) فيما عدا ل : « القدرة » .

(٤) الحارض : الفاسد الضعيف . والبهرج : الردىء المردود ، فارسي معرب . وانظر المعرب ٤٨ .

(٥) إنجازه : إتمامه . ط فقط « نجازه » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « بالبلاغة » .

(٧) غمر العلماء : علاهم شرفا . ط ، س : « وفاتش » هـ : « وقاس » محرفتان عن « فاق » بمعنى « غمر » .

(٨) فيما عدا ل : « بكل نظار عظيم » .

(٩) واع : حافظ . فيما عدا ل : « واستعان بعلم كل بحاث واع » .

(١٠) فيما عدا ل : ودراسة » .

(تفاوت الخلق فى العلم)

وما أشكُّ أن عندَ الوُزراء ، فى ذلك ماليس عند الرعيّة من العلماء ، وعند الخلفاء ماليس عند الوزراء ، وعند الأنبياء ماليس عند الخلفاء ، وعند الملائكةِ ماليس عند الأنبياء ، والذى عندَ الله أكثرُ ، والخلقُ عن بلوغه أعجز[1] ، وإنما عَلَّمَ اللهُ كلَّ طبقة من خَلْقِهِ بِقَدْرِ احْتِمالِ فِطَرِهِم ، ومقدارِ مَصْلحتهم .

(القول فى : علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلها)

فإن قلت : فقد علَّمَ اللهُ عز وجلَّ آدمَ الأسماءَ كلَّها — ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعانى — وقلتَ[2] : ولولا حاجةُ الناس إلى المعانى ، وإلى التعاوُن والترافُد ، لَمَا احتاجوا إلى الأسماء . [و] على أن المعانىَ تفضُل عن الأسماء[3] والحاجاتِ تجوزُ مقاديرَ السِّمات ، وتفوت ذَرْعَ العلامات[4] فممّا[5] لا اسم له خاصٌّ الخاصّ . والخاصّيّاتُ كلها ليست لها أسماء قائمة . وكذلك تراكيب الألوان ، والأراييح ، والطعوم ، ونتائجها .

وجوابى فى ذلك : أن الله عز وجلّ لم يخبِرْنا[6] أنه قد كان علَّمَ آدمَ كلّ شىء يعلمه تعالى ، كما لايجوز أن يُقْدِرَه على كلِّ شىء يقدرُ عليه .

---

(١) فيما عدا ل : « وما عند الله عز وجل أكثر والخلق فى بلوغه أعجز » .
(٢) فيما عدا ل : « ولو قلت » . بإقحام « لو » .
(٣) تفضل : تزيد . فيما عدا ل : « على الأسماء » .
(٤) السمات : العلامات . والذرع : الطاقة .
(٥) ل : « فما » .
(٦) فيما عدا ل : « عن ذلك » و « لم يكن يخبرنا » .

وإذا[1] كان العبدُ المحدودُ الجسمِ ، المحدودُ القُوَى ، لايبلُغُ صِفةَ ربِّه الذى اخترعه ، و [لا] صفةَ خالقِهِ الذى ابتدعه ـ فمعلومٌ أنه إنما عَنَى بقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا[2] ﴾ عِلْمَ[3] مصلحتِه فى دُنياه وآخرته .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[4] ﴾ . وقال الله عزوجلَّ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَافِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[5] ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[6] ﴾ . وقال تقدَّستْ أسماؤه : « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ[7] ﴾ . وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[8] ﴾ .

وهذا الباب[9] من المعلوم ، غيرُ باب [عِلْمِ ما يكونُ قبلَ أن يكون ؛ لأن بابَ (كَانَ) قد يُعْلَمُ بعضُه ، وبابُ (يكونُ) لاسبيل إلى معرفةِ] شىء منه . والمخاطبةُ وقعتْ على جميعِ المتعبِّدين[10] واشتملت على جميع أصناف المتحَنين ، ولم تقع على أهلِ عَصْرٍ دونَ عصر ، ولا [على][11] أهل بلدٍ دونَ بلد ، ولا على جنسٍ دونَ جنس ، ولا على تابعٍ دون متبوع ولا [على[12]] آخرٍ دونَ أوّل .

---

(١) ل : « وإن » .
(٢) الآية ٣١ من سورة البقرة .
(٣) ل : « كل » س ، هـ : « على » والأخيرة محرفة .
(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .
(٥) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٦) الآية ٧ من سورة الروم .
(٧) الآية ٣١ من سورة المدثر .
(٨) الآية ٨ من سورة النحل .
(٩) ل : « الفن » .
(١٠) المتعبدين: الذين تعبدهم الله بالطاعة فهم مستعبدون . فيما عدا ل : « المتقدمين » .
(١١) الزيادة من ل ، س . وفى هـ : « ولأهل بلد » .
(١٢) هذه من ل ، س .

العصافير ، والخطاطيف ، والزّرازِير ، والخفافيش . فبين هذه [و بين الناس[١]] مناسَبَةٌ ومُشاكَلة ، و إلْفٌ[٢] ومحبّةٌ .

والخطاطيفُ تقطع إليهم[٣] وتعزُب عنهم[٤] .

والعصافير لاتفارِقهم . وإن وجدَتْ داراً مبنيةً لم تَسكنْها حتى يَسكُنَها إنسان . ومتى سكنتها[٥] لم تقُِم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان . فبفراقه تُفارِق ، و بسُكناه تسكُن ، وهذه فضيلةٌ لها على الخطاطيف .

والحمام لايقيم[٦] معهم فى دُورهم إلا بعد أن يثبِّتوه ويعلِّموه ، ويُرتِّبوا[٧] حاله ويدرِّجوه . ومنها ماهو وحشىٌّ طُورانىٌّ[٨] ، وربما توحّش بعد الأُنْس والعصافير على خلاف ذلك ، فلها بذلك فضيلةٌ على الحمام ، وعلى الخُطّاف .

وقد يُدّرب العصفورُ ويثَبَّتُ فيستجيبُ من المكان البعيد ، ويثْبُتُ

---

(١) ليست بالأصل : والكلام يقتضيها . وفى ل : « فهذه » .

(٢) الإلف ، بالكسر والفتح : الأنس والملازمة . عدا ل : « ألفة » .

(٣) قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى آخر . انظر (٤ : ١٠١) .

(٤) تعزب ، تبعد وتغيب . ط ، هـ : « وتغرب » وهى بمعنى الأولى . س : « وتعرب » مصحفة .

(٥) ط : « ومتى إن سكنتها » و « إن » مقحمة . س ، هـ : « وحتى إن سكنتها » و « حتى » ابتدائيه داخلة على الجملة الشرطية ، نحو قول الله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم » انظر المغني وتفسير أبي حيان (٣ : ٧٩) .

(٦) فيما عدا ل : « تقيم » وهى صحيحة ؛ فإن الحمام يذكر ويؤنث ، لكن سياق الكلام يقتضى ترجيح التأنيث .

(٧) فيما عدا ل : « وزينوا » تحريف .

(٨) الطوراني ، بضم الطاء : حمام وحشى ، منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له : طرآن ، نسبة شاذة . انظر ١ : ١١٨ و ٢ : ١٧٧ و ٣ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « طوارى » تصحيف .

و يَدْجُن . فهو مما يثْبُت ويُعايِش الناسَ ، من تلقاء نفسه مرةً ، وبالتثبيتِ مرةً . وليس كذلك شيء مما يأوِى إلى الناس من الطير .

وقد بلَغنى أن بعضَ مايستجيبُ منها قد دُرِّبَ[1] فرجع من مِيل . فأما الهدايةُ من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة .

وحدّثنى حَمّوَيْهِ الخُرَيْبِيّ[2] وأبو جَرَاد الهَزَارَدَرِيّ[3] قالا : إذا كان زمان البيادر[4] لم يبق بالبصرة عُصفورٌ إلا صارَ[5] إلى البساتين ، إلا ما أقام عَلَى بيضه وفراخه . وكذلك العصافير إذا خَرَجَ أهلُ الدّار من الدّار ، فإنه لايقيمُ فى تلك الدار عُصفُورٌ إلا عَلَى بيض أو فِراخ . فإذا لم يكنْ لها[6] استَوْحَشَتْ ، والتمسَتْ لأنفسها الأوكارَ فى الدُّور المعمورة . ولذلك قال [أبو يعقوب] إسحاقُ [الخُرَيمىّ[7]] :

فتِلك بغدادُ ما تَبَنَّى من الْ ‍ ‍ ‍ وَحْشةِ فى دُورِها عصافِرُها[8]

---

(١) التدريب : التعليم . فيما عدا ل : « جرب » .

(٢) حمويه الخريبى ، منسوب إلى الخريبة ، وهى موضع بالبصرة . فيما عدا ل : «الحربى» .

(٣) الهزاردري : نسبة إلى الهزارَدر ، بفتح الهاء والزاي والدال : وهو موضع بالبصرة كما فى معجم البلدان . وهزار ، بالفارسية معناه ألف ، ودر : باب . قال المدائني : تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيدالله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فقيل : هزاردر . فيما عدا ل : « أبو جرادة الهواردي » مصحف .

(٤) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . وفى ل : « الباذى » . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) : « فاذا كان زمان البازي اجتمعت فى البساتين » هـ : « البينادر » .

(٥) فيما عدا ل : « طار » بالطاء ، ومؤداهما واحد .

(٦) أى لم يكن لها بيض أو فراخ . وفيما عدا ل : « فاذا لم يكن لها أهل » .

(٧) سبقت فى ترجمته (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) مع أبيات من هذه القصيدة . وقد روى هذه القصيدة الطبري فى حوادث سنة ١٩٧ وهى طويلة أبياتها ١٣٥ بيتاً من الروائع ، يذكر فيها بغداد والفتنة التى كانت بها سنة ١٩٧ حين حاصر طاهر وهرثمة بعسكر المأمون بغداد وحصروا الأمين ، ووقع فيها النهب والحريق ، ومنعوا الميرة . والقصيدة تصور هذه الفتنة تصويراً دقيقاً ، جديراً بالدراسة والتأمل .

(٨) تبنى : تتبنى ، أى تبنى بيوتا لها . انظر (٣ : ١٩٤ س ٦) فيما عدا ل : «تبيت» وفى الطبري : « ما يبنى من للدلة » .

قالا[١] : فعلى قدْرِ قُرب القبائل من البساتين[٢] سبقُ العصافير إليها ، فإذا جاءت العصافيرُ التى تلى أقربَ القبائل منها إلى أوائل البساتين] فوجدت عصافير ماهو أقربُ[٣] إليها منها قد سبقت إليها تعدّتها[٤] إلى البساتين التى تليها . وكذلك صنيعُ ما بَقِىَ من عصافير[٥] القبائل الباقية حتى تصير عصافير آخر البصرة إلى آخر البساتين[٦] . وذلك شبيهٌ بعشرين فَرْسخاً . فاذا قضت[٧] حاجتها ، وانقضى أمرُ البيادر[٨] أقبلت من هناك ، على أماراتٍ [لها] معروفةٍ ؛ وعلامات قائمة ، حتى تصير إلى أوكارها .

(ضروب الطير)

والطيرُ كله على ثلاثة أضرُب : فضربٌ من بهائم الطير ، وضربٌ كسباع الطير ، وضربٌ كالمشترَك المركَّب منها جميعاً .

فالبهيمة كالحمام وأشباه الحمام ، مما يَغتذى الحبوبَ والبزُورَ والنبات ، ولا يغتذى غير ذلك[٩] .

والسبع[١٠] : الذى لا يَغْتَذِى إلا اللحم .

---

(١) أى حويه ، وأبو جراد .
(٢) فيما عدا ل : « منها إلى البساتين » .
(٣) فيما عدا ل : « فوجدت عصافيرها ما قرب » .
(٤) ط : « قد سبقت فقلتّها » صوابه وإكماله من سائر نسخ الأصل .
(٥) فيما عدا ل : « العصافير » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « حتى تصير إلى آخر البصرة وإلى آخر البساتين » .
(٧) ط ، س : « انقضت حاجاتها » ه : « تقضت حاجاتها » .
(٨) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . وفى ل : « الباذى » .
(٩) فيما عدا ل : « بغير ذلك » يقال اغتذاه واغتذى به . س : « تغتذى » فى الموضعين .
(١٠) أراد السبع من سباع الطير .

وقد يأكل الأسدُ الملحَ[١] ، ليس على طريق التغذى ، ولكن على
٦٧ طريق التملُّح والتحمُّض[٢] .

(ما يشارك فيه العصفور الطير والحيات)

فمِمّا يُشاركُ فيه العصفور بهائمَ الطير ، أنه ليس بذى مِخْلَبٍ
ولا مِنْسَر[٣] ، وهو مما إذا سقط على عُودٍ قَدّم أصابعه الثلاثَ ، وأخَّر
الدّابِرة[٤] . وسباع الطير تقدِّم إصبَعَيْن ، وتؤخِّر إصبَعَيْن .

ومما شارك فيه السَّبعَ أنّ بهائم الطير تَزقّ فراخها[٥] والسِّباع تُلقِم
فِرَاخها[٦] .

والفراخ على ثلاثة أضربٍ[٧] : ففرخٌ كالفرُّوج لا يُزَقّ ولا يُلقَم[٨]
[وهو يظهر كاسباً[٩] وفرخ كفرخ الحمام وأشباه الحمام ، فهو يُزَقّ ولا يُلقَم] .
وفرخ كفرخ العُقاب والبازِى ، والزُّرّقُ ، والشاهين والصقر ، وأشباهِها من

---

(١) هذا استطراد . وانظر له ما سبق فى (٣ : ٢٦٠) .
(٢) التملح : طلب الملح . والتحمض : طلب الحمض ، وهو ما ملح من النبات .
(٣) المخلب : كالظفر لما يصيد من الطير . والمنسر : منقار الطير الجارح ، كمجلس ومنبر .
(٤) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجل الطائر . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٨٩) ، والعقد (٤ : ٢٥٩) .
(٥) تزق : تطعم . فيما عدا ل : « تلقم » . ألقمه : أعطاه لقمة . وهو تحريف . وقد فرقه الجاحظ بين الزق والإلقام . وعنى بالزق : إدخال الطعام فى منقار الطائر . وبالإلقام : إحضار الطعام إلى الفرخ وتهيئته لغذائه . وفيما عدا ل أيضا : « ومما يشارك » .
(٦) عنى سباع الطير . وتلقم : تطعم . انظر التنبيه السابق . ط ، هـ : « جراها » س : « جراءها » تصحيف ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٨٩) والعقد (٤ : ٢٥٩) : « ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق » .
(٧) فيما عدا ل : « أصناف » .
(٨) انظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة . ط ، هـ : « يطعم » .
(٩) كاسبا ، من الكسب : أى يكسب القوت لنفسه منذ يخرج .

السِّباع فهو يُلقِم ولا يُزقّ[١] . فأشبهها العُصفورُ من هذا الوجه .

وفيه من [أخلاق] السِّباع أنه يصيد الجرادة ، والنملَ الطيّار[٢] ، ويأكل اللحم ، ويُلقِم فراخَه اللحم .

وليس فى الأرض رأسٌ أشبَهَ برأس حَيّةٍ من رأس عصفور[٣] .

(الأجناس التى تعايش الناس)

والأجناس التى تعايش الناس: الـكلبُ ، والسِّنَّور ، والفرَس ، والبعير ، والحمار ، والبغل ، والحَمام ، والخُطَّاف ، والزُّرزور[٤] والخُفَّاش ، والعصفور .

(أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا : وليس فى جميعها أطولُ عُمْرًا من البغل ، ولا أقصَرُ عمراً من العصفور .

قالوا : ونظن ذلك إنما كان لقلَّة سِفاد البغل[٥] ، وكثرة سفاد العصفور

---

(١) ل : « فهى تلتقم ولا تزق » .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٢٩ ، ٢ : ٣٢٧ ، ٤ : ٣٥ – ٣٦) .

(٣) كلمة « حية » ساقطة من س . وبدلها فى ط ، هـ : « الآدمى » محرف ، صوابه ما أثبت من ل ومما سبق فى (٢ : ٣٢٨س١) . وفيما عدا ل : « من رأس العصفور » .

(٤) الزرزور ، بفتح أوله وضمه : طائر من فصيلة السودانيات ورتبة الجواثم ، وهو أكبر من البلبل طويل الذنب مرقط يتلون ألوانا شتى : Sturnus vulgaris وهو يفرخ فى البلاد الشمالية ، ويرحل فى الشتاء إلى العراق والشام وجزيرة العرب ومصر والمغرب . انظر معجم المعلوف ٢٣٤ ، ٢٤٠ . فيما عدا ل : « الزنبور » تحريف .

(٥) ط ، هـ : « وما نظن ذلك كان إلا لقلة سفاد البغل » .

ويزعمون أن محمدَ بنَ سليمان[1] أنزَى البغالَ على البغَلات ، كما أنزى العِتاق على الحجور ، والبَراذينَ على الرِّماك[2] ، والحمير على الأُتن[3] ، فوجد تلك الفُحُولة من البغال بأعيانها ، أقصَرَ أعماراً من سائر الحافر ، حين سوَّى بينها فى السِّفاد ، ووَجد البغالَ تلقح إلقاحا فاسداً[4] لا يتمّ ولا يعيش .

وذكروا أن قِصَرَ العُمر لم يعرض لإناثها كما عرَض لذكورتها .

وهذا شبيهٌ بما ذكر صاحبُ المنطق[5] فى العصافير ، فانه ذكر أن إناثها أطولُ أعماراً . وأن ذكورتها[6] لاتعيش إلا سنةً واحدة .

(أثر السمن فى الحمل)

والمرأة تنقطع عن الحَبل قبل أن ينقطعَ الرجُلُ عن الإحبال بدَهْر ، وتُفرط فى السمن فتصيرُ عاقراً ، ويكونُ الرجُلُ أسْمَنَ منها فلا يصير عاقرًا .

---

(١) هو محمد بن سليمان بن على العباسي أمير البصرة ، كان من ولاة أبى جعفر المنصور والمهدى والهادى والرشيد . وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لايبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم . ومات سنة ١٧٣ فى اليوم الذى مات فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) ومما يروى عنه من الطرائف ، أنه كانت له خطبة يخطبها يوم الجمعة ولا يغيرها . البيان (١ : ١٠٥) .

(٢) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب . ط ، س : « البرازين » مصحف . والرماك : جمع رمكة ، وهى أنثى البراذين . فيما عدا ل : « الرمك » وهى صحيحة ، جمع رمكة .

(٣) الأتان : الحمارة ، جمعها آتن ، وأتن ، ومأتوناء .

(٤) ل ، سه : « فوجد » بالفاء سه : « البغلة تلقح » ط ، ه : « البغل يلقح » .

(٥) صاحب المنطق هو أرسطو ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية ، حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٦) فيما عدا ل : « ذكورها » . والتاء فى « ذكورة » هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .

وكذلك الجِجْر ، والرَّمَكَة ، والأتان . وكذلك النخلة المطعِمَة[١] . ويَسْمَنُ لُبُّ الفُحّال[٢] فيكون أجْود لإلقاحه . وهما يختلفان كما ترى .

(الأجناس الفاضلة من الحيوان)

وللعصفور فضيلة أُخرى . وذلك أنّ من فضْل الجنْس أن تتميز ذكورتُه في العين من إناثه ، كالرجل والمرأة ، والدِّيك والدجاجة ، والفُحّال والمُطعِمة[١] ، والتَّيْسِ والصَّفِيّة[٣] ، والطاوس[٤] ، والتُّدْرُج[٥] ، والدُّرَّاج وإناثها .

---

(١) المطعمة : التي أدركت أن تثمر ، يقال : أطعمت الشجرة . وانظر (٢ : ٢٣٨) .

(٢) الفحال ، كرمان : ذكر النخل . ولبه : قلبه . وقلب النخلة بالضم : شحمتها . وكلمة « لب » ساقطة من ل . و« تسمن » هي في ط : « تسقى » وفي س ، ه : « تسمى » صوابهما في ل .

(٣) الجاحظ يجعل « الصفية » أنثى المعز . وفي ص ١٤٠ ساسي : « والتيوس قبيحة جدا ، وزاد في قبحها حسن الصفايا » . وقال في باب الماعز ص ١٤١ ساسي : « فن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة » . وفيه نصوص كثيرة تدل على هذا التخصيص . ولم أجد ذلك في معجم من المعاجم . وفيها « الصفى » الناقة والشاة غزيرة اللبن . فيما عدا ل : « والظبية » تحريف .

(٤) الطاوس: يقال للذكر وللأنثى .

(٥) التدرج ، بضم التاء والدال ، كما ضبطه الدميرى : طائر كالدراج يغرد في البساتين بأصوات طيبة . قال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس . وهو فصيلة من رتبة الدجاج تشمل التدرج والحجل والسمانى . فارسي معرب . ولم يذكر في اللسان والقاموس والمخصص . وفارسيته « تذرو » وفي المعرب للجواليقي ٩١ : « قال بعض أهل اللغة : والتدرج الدراج فارسي معرب . وأصله تذرو » . وقد جعله استينجاس . ٢٩٠ ذكر الدراج : Acock partridge وانظر ادي شير ٣٤ .

(٦) الدراج ، كرمان ، قال ابن سيده : « لا يكون بأرضهم ، وهو طير أرقط بسواد وبياض ، قصير المنقار ... والأنثى دراجة ... والذكر قوقل وحيقطان » . وفي اللسان : « وهو من طير العراق أرقط » . وهو بالإنجليزية : Black partridge . فارسي معرب عن « تَرَّاج » . انظر ادي شير ٦١ واستينجاس ٢٩١ .

وليس ذلك كالحِجْر والفَرَس ، والرَّمَكة والبرذَون ، والناقة والجمل[١] ، والعير [والأتان] والأسد واللَّبُؤة ، فإن هذه الأجناس تُقْبِلُ نحوَك فلا ينفصل[٢] فى العين الأنثى من الذكر ، حتى تتفقّدَ مواضع القُنْبِ[٣] ٦٨ والأطْباء ، وموضِع الضّرع والثِّيل[٤] وموضِعَ ثَفْر الكلبة[٥] من القضيب .

لأنّ للعُصفور الذّكَر لحيَةً سوداء[٦] . وليس اللحيةُ إلا للرجل [والجمل] ، والتيس ، والدِّيك ، وأشباهِ ذلك . فهذه أيضاً فضيلةٌ للعصفور . [وذكر ابنُ الأعرابيِّ أن للناقة عُثْنُوناً كعثنون الجمل ، وأنها متى كان عُثنونها أطْوَلَ كان فيها أحمدَ .

(حب العصافير فراخها)

وليس فى الأرض طائرٌ ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ ، أحْنى على ولدٍ ، ولا أشدّ به شعَفاً[٧] ، وعليه إشفاقاً — من العصافير] ، فإذا أصيبتْ بأولادها ، أو خافتْ عليها العَطب ، فليس بينَ شيء من الأجناسِ من

---

(١) ل : « والبعير » .

(٢) ط : « ولا تنفصل » . س : « تتفصل » هـ : «تتفضل» . والأخيرتان محرفتان .

(٣) القنب ، بضم القاف ، وسكون النون : وعاء قضيب الدابة . ل ، س ، هـ : « القتب » بالتاء ، تصحيف ما أثبت من ط .

(٤) الثيل ، بكسر الثاء المثلثة وفتحها : وعاء قضيب البعير وغيره . فيما عدا ل : « السلى » محرف .

(٥) الثفر : بفتح الثاء وضمها ، لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب ، كالحياء للناقة . ط : « نفر » بالنون ، صوابه فى سائر نسخ الأصل .

(٦) التعليل عائد إلى : « وللعصفور فضيلة أخرى » فى الصفحة السابقة .

(٧) شعفا ، بالعين المهملة ، كما هى فى الأصل — وهو هنا ل — والشعف : أن يذهب الحب بفؤاده ، ومثله الشغف ، بالغين . وبهما قرئ قوله تعالى : (قد شغفها حبا) فبالمهملة قراءة الحسن وابن محيصن ، والجمهور بالغين المعجمة .

المساعدة ، مثلُ الذى مع العصافير[١] ، لأن العصفورَ يرى الحيّةَ قد أقبلت نحو جُحْرِه وعُشِّه ووَكْره ، لتأكُلَ بيضه أو فراخه ، فيصيح ويُرَنِّق[٢] فلا يسمعُ صوته عُصفورٌ إلا أقبل إليه[٣] وصنَعَ مِثلَ صنيعه ، بتحرُّق[٤] ولوعةٍ ، وقَلَقٍ ، واستغاثةٍ وصُراخ ، وربما أفلت الفرْخ[٥] وسقط إلى الأرض — وقد ذهبت الحيّة — فيجتمعن عليه ، إذا كان قد نَبَتَ ريشُه أدنى نبات ، فلا يزلْنَ يُهيِّجْنَهُ ، ويَطِرْنَ حوله ، لعلمها أن ذلك يحدثُ للفَرْخ قوةً عَلَى النُّهوض[٦] فاذا نهضَ طِرْنَ حواليه ودونه ، حتى يحتثِثْنَهُ بذلك العمل[٧] .

وكان الْخرَيمىّ[٨] ينشدُ :

واحْتَثَّ كلُّ بازلٍ ذَقُون[٩] حتى رَفَعْنَ سَيْرَةَ اللَّجُونِ[١٠]

---

(١) ل : « مثل العصافير » .

(٢) رنق الطائر ترنيقا : إذا خفق بجناحيه فى الهواء وثبت فلم يطر . فيما عدا ل : « يوثق » تحريف .

(٣) ط فقط : « عليه » .

(٤) التحرق : مطاوع حرقه تحريقا . ومنه قولهم : هو يتحرق جوعا ، كقولك : يتضرم . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) فيما عدا ل : «بتحريق» محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إلى الأرض » موضع « الفرخ » .

(٦) ل : « لعلمها بأن » و « للفراخ » .

(٧) انظر ما سبق فى (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) . والاحتثاث : الحث والاستعجال . وفى الأصل : « يحتملنه » .

(٨) الخريمى ، بضم الخاء وفتح الراء : نسبة إلى خريم الناعم . وانظر ترجمته فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) وما سبق فى ص ٢٠٤ . فيما عدا ل : « الجريمى » بالجيم . وفى ل : « الخريبى » صوابه ما أثبت .

(٩) احتث : أسرع فى سيره . يقال : احتثه فاحتث هو ، يلزم ويتعدى . ل : « واختب » وهى صحيحة لكنها بعيدة عن الاستشهاد . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل » . ط ، س ، هـ : « واجتث » تصحيف يؤيد ما صححت به . والبازل من الإبل : ما كان فى التاسعة . والذقون من الإبل : التى تميل ذقنها إلى الأرض تستعين بذلك على السير . فيما عدا ل : « باذل » ط ، س : « دفوق » هـ : « دفوف » محرفات . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل دفون » : ابن شميل : ناقة دفون إذا كانت تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها . اللسان (١٧ : ١٢) .

(١٠) اللجون ، بفتح اللام وضم الجيم : الثقيل المشى من الإبل . ورفعن سيرته : جعلنه يبالغ فى سيره . والسيرة ، بالفتح : الضرب من السير . س ، هـ : « سرة » ط : =

وينشد :

واحْتَثَّ مُحْتَثَّاتِهَا الخَدُورا[1]

وتقول [العرب]: « العاشِيةُ تَهِيجُ الآبيةَ[2] » .

ولو أن إنسانا أخذ فَرْخَيْ عُصْفورٍ من وكره ، ووضعهما بحيثُ يراهما أبواهما فى منزله ، لوجدَ العصفور يتقحّم[3] فى ذلك المنزل ، حتى يدخل فى ذلك القفص ، فلا يزالُ فى تعهُّدِه بما يُعيشه حتى يستغنيَ عنه . ثم يحتملانِ فى ذلك غايةَ التغريرِ والخِطار[4] ؛ وذلك من فرط الرِّقَّة على أولادهما .

(ما لا يستمح بالمشى من الحيوان)

وأجناس الحيوان التى لاتستطيع أن تُسمحَ بالمشى[5] ضروب : منها

= « شرة » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « اللحوق » وفى ل « اللحون » والصواب ما أثبت ، كما فى اللسان (٥ : ٣١٥) وأنشد فى مادة (بلجن) لأوس :

ولقد أربت على الهموم بجسرة عيرانة بالردف غير بلجون

(١) احتثه : حثه على السير فاحتث هو ، فنه المتعدى والمطاوع . والخدور ، كرسول : التى تخلفت عن الإبل ، فلما نظرت إلى التى تسير سارت معها . ط ، هـ : « واجتث مجتثابها » س : « واجتث محتشابها » صوابه فى ل واللسان (٥ : ٣١٥) . ط ، هـ : « الخنبورا » صوابه فى س ، ل واللسان .

(٢) العاشية : واحدة المواشي ، وهى الإبل والغنم التى ترعى بالليل . والآبية : التى تأبى الرعى . أى إذا رأت الإبل الآبية التي تتعشى هاجتها للرعى فرعت معها . انظر اللسان (١٩ : ٢٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) والميداني (١ : ٤١٧ — ٤١٨) وجمهرة العسكري ١٤٥ . وهذا المثل فى معنى الرجز السابق . والكلام من هنا إلى « على أولادهما » ساقط من ل .

(٣) ط ، هـ : « يقتحم » وهما بمعنى . يقال : قحم واقتحم وانقحم وتقحم . وأثبت ما فى س .

(٤) غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة . والخطار ، بالكسر : مصدر خاطر بنفسه : أشفاها على خطر . س : « والخطر » .

(٥) أسمحت الدابة : انقادت . وفى اللسان (٣ : ٣١٩) : « وأما أسمح فإنما يقال فى المتابعة والانقياد » .

الضبع ، لأنها خلقت عرجاء ، فهى أبداً تخمع[١] . قال الشاعر :

وجاءتْ جَيْأَلٌ وأبو بنيها أَحَمُّ المَـأْقِيَيْنِ به خُمَاعُ[٣]

وقال مدركُ بن حِصْن[٤] :

من العُثْو ما تَدْرِى أرجلُ شمالِها بها الظَّلع إمَّا هَرْوَلتَ أمْ يَمِينُها

والذئب أقزل[٦] شَنِـج النسا ، وإن أُحِثَّ إلى المشى فـكأنه يتوجّى[٧] .

---

(١) تخمع : تمشى كأن بها عرجا .

(٢) هو مشمث العامرى ، رجل من بنى عامر ، كما فى الأصمعيات ٤٣ ومعجم المرزبانى ٤٧٥ واللسان (١٣ : ١٠١) . وفى اللسان (٩ : ٤٣٣) « مثقب » وهو تحريف . ولم أعثر لمشمث هذا على ترجمة أكثر مما ذكرت . وقال المرزبانى : « أحسبه لقبا » . والبيت من أبيات أربعة فى الأصمعيات ومعجم المرزبانى ، وهى :

بإصر يتركنى الحى يوما رهينة دارهم وهم سراع
تمتع يا مشمث إن شيئا سبقت به الوفاة هو المتاع
وجاءت جيأل وأبو بنيها أحم المأقيين به خماع
فظلا ينبشان الترب عنى وما أنا ويب غيرك والسباع

(٣) جيأل : علم لأنثى الضباع ، وحقه المنع من الصرف . فى الأصل : « وابنا أبيها » صوابه من المرزبانى واللسان (٩ : ٣٣٤) وشرح الأنبارى للمفضليات ٧٥ . ورواية الأصمعيات : « وأبو أبيها » . أحم : أسود . والمأق : طرف العين مما يلى الأنف ، وفيه عشر لغات ، منها المؤق . ل فقط : « المقلتين » تصحيف . والخماع ، بالضم : شبه العرج . فيما عدا سه : « بها » وهما روايتان ، فالتذكير لأبو ، والتأنيث لجيأل .

(٤) مدرك بن حصن ، حجازي ، أنشد له إسحاق الموصلى فى محمد بن هشام :

عش ما استطعت وإن دببت على العصا ما دام والى أمرك ابن هشام
ملك الأعنة والأسنة وانتهت حكم الأمور إليه وهو غلام

المرزبانى ٤٠٦ .

(٥) العثو : جمع عثواء ، وهى الكثيرة الشعر . وفى اللسان : « وضبعان أعثى كثير الشعر ، والأنثى عثواء ، والجمع عثو وعثى على المعاقبة » . ط : « العسر » هـ : « العشر » سه : « العثر » ل : « العتو » بالتاء ، مصحفات . والظلع : شبه العرج . فيما عدا ل : « من الظلع » محرف . ط : « لما هرولت » سه ، ل ، هـ : « أم هرولت » والأخيرة محرفة .

(٦) الأقزل : الأعرج الدقيق الساقين . سه ، هـ : « أقول » محرف .

(٧) يتوجى ، من الوجا ، وهو أن يشتكي البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . وفى ط ، هـ وكذا اللسان (٣ : ١٣٤) : « يتوحى » بالمهملة ، وفي سه : « يتوجاه » تصحيف .

وكذلك الظَّبيُ ، شَنِجُ النَّسا[1] ، فهو لايُسْمِحُ بالمشى . قال الشاعر[2] :

وقُصْرَي شَنَجِ الأنسا ء نبَّاح من الشُّعْبِ[3]

[ظبيٌ أشعب : إذا كان بعيد ما بين القرنين . ولايسمح له نُباح[4]] .

وإذا أراد العَدْو ، فإنما هو النَّقْز[5] والوثب ، ورفع القوائم معا

٦٩ ومن ذلك الأسد[6] فإنه يمشى كأنه رَهِيص[7] ، وإذا مشى تخَلَّع[8] .

قال أبو زبيد :

إذا تبهْنَسَ يمشى خِلْتَهُ وعِثا وعَتْ سواعدُ منه بعد تكسيرِ[9]

ومن ذلك الفرس[10] ، لايُسِمح بالمْشى . وهو يوصف بشَنَج النسا.

[وقال الشاعر :

شَنِج الأنْساءِ من غيرِ فَحَجْ[11]]

---

(١) شنج النسا : متقبضه . والكلام من : « وإن أحث » إلي هنا ساقط من ل .

(٢) هو أبو دواد الإيادى كما سبق فى (١ : ٣٩٤) والصحاح (١ : ١٩٦) واللسان (٣ : ١٣٤ و ٣ : ٤٤٨ – ٤٤٩ و ٦ : ٤١٥) .

(٣) القصرى ، بالضم : أسفل الأضلاع . والنباح : الذى ينبح . وفى الحيوان (١ : ٣٤٩) : « وذكروا أن الظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب نبح » . هـ : « نباج » بالجيم . ولفظها صحيح ، يقال : نبح الكلب ونبج ، نباحا ونباجا ، لغتان . والشعب ، فسرت فيما يلى . فيما عدا ل : « الشغب » تحريف .

(٤) أراد أن نباحه ضعيف لا يكاد يسمع .

(٥) النقز ، بالزاى فى آخره : الوثب . هـ « النقر » س : « التفزن » صوابهما فى ل ، ط .

(٦) فيما عدا ل : « وكذلك الأسد » . وفى ط ، س : فإنما يمشي » .

(٧) الرهيص ، من الرهص ، وهو الغمز ، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه .

(٨) تخلع : مشى مشية متفككة . ط . هـ : « تحلق » س : « تخلق » صوابهما فى ل .

(٩) تبهنس : مشى مشية المتبختر . والوعث : المكسور ، وعثت يده . كفرح : انكسرت. وعت : انجبرت بعد الكسر على اعوجاج . فيما عدا ل : « وهت سواعده من » تحريف. وفى اللسان (٢٠ : ٢٧٦) لأبى زبيد نفسه :

خبعثنة فى ساعديه تزايل تقول وعى من بعد ماقد تكسرا

(١٠) فيما عدا ل : « وكذلك » .

(١١) الفحج : تباعد ما بين الرجلين .

ومن ذلك الغُراب ، فإنه يحجِل كأنه مقيّد . قال الشاعر :

كتاركٍ يوماً مشْيةٍ من سَجيّةٍ   لأُخْرى ففاتَتْه فأصبحَ يحجِلُ[١]

وقال الطِّرِمّاح :

شَنِجِ النسا أدْفَى الجناحِ كأنهُ   في الدّار بعدَ الظّاعِنين مُقَيَّدُ[٢]

والسِّنّورُ ، والفَهْدُ ، وأشباهُهما في طريق الأسَد[٣] .

والحيَّة تمشي . ومنها ما يَثِب[٤] ، ومنها ما ينتصِبُ ويقومُ على ذَنَبه .

والأفعى إذا نَهَشت أو انباعت للنَّهش[٥] ، لم تستقلّ ببدنها كلِّه[٦] ولكنها تَستقِلُّ ببدنها[٧] الذي يلي الرأس ، بحركةٍ ونَشْطٍ[٨] أسرعَ من اللَّمْح .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفصل بين المتضايفين بالظرف . ونحوه قول أبي حية النميري (سيبويه ١ : ٩١ والإنصاف ١٨٠) :

كما خطّ الكتاب بكف يوما   يهودى يقارب أو يزيل

ط ، هـ : « يوم » وتصح بالجر مع نصب « مشية » كقول القائل (الخزانة ٣ : ٥٠ سلفية وسيبويه ١ : ٨٩) :

يا سارق الليلةِ أهل الدار

(٢) الأدفى : ما طال جناحه من أصول قوادمه وطرف ذنبه . ورسمت في الأصل بالألف . انظر اللسان (١٨ : ٢٨٨) . وروى في اللسان (٣ : ١٣٤ ، ١١ : ٣٢٨) : « حرق الجناح » . والحرق : الذى نسل ريشه و انحص .

(٣) ط فقط : « والنسور والفهود وأشباهها في طريق الأسد » ، وفيه تحريف .

(٤) ط ، سـ : « يشب » صوابه في ل ، هـ .

(٥) نهشت : عضت . وانباعت : بسطت نفسها بعد تحويها لتساور . ط : « انتهشت » س ، هـ : « انتاعت » تحريفان . و « أو » هي في الأصل : « و » والوجه ما أثبت .

(٦) تستقل ، هي من قولهم : استقل الطائر في طيرانه ، أى نهض للطيران وارتفع . ط ، سـ : « تشتغل » .

(٧) ل : « بشطر » وفي سائر النسخ : « تستطر » صوابه ما أثبت ، وانظر التنبيه السابق . و : « ببدنها » هي في الأصل : « بدنها » .

(٨) النشط ، عنى به هنا السرعة . وأصل النشط سرعة عض الحية . فيما عدا ل : « حركة وتشتط » .

والجرادة تطير وتمشي وتطمر[1] . فإذا صرتَ إلى العصفور[2] ذهب المشي [البتّة] وأكثر ما عند البرغوث الطُّمور والوثوب .

وقال الحسنُ بن هانئ يصفُ رجلاً يفْلي القَمْلَ والبُرغوث [بأنامله] :

أو طـامريٍّ واثب   لم يُنْجِهِ منه وثابُه[4]

لأن البرغوث [مشّاء[5]] وثّاب .

قال : وقول الناس : طامر بن طامر ، إنما يريدون البرغوث[6] .

والعصفور[7] ليس يعرفُ إلا أنْ يجمعَ رجليه ثم يثِب ، فيضعهما معاً ويرفَعهما معاً . فليس عنده إلا النَّقَزَانُ[8] . ولذلك سُمّيَ العصفورُ نقّازاً[9] .

وهو العصفور والجمع عصافير ، ونقّاز والجمع نقَاقيز . وهو الصَّعْوُ[10] .

[ويزعمون أن العرب تجعلُ الخُرّق[11] والقُنْبر ، والحُمَّر ، وأشباه ذلك كله ، من العصافير . والعصفور طيَرانه نقَزانٌ] أيضاً [فهو لا يُسمِحُ بالطيران كالاً] يسمح بالمشي[12] .

---

(١) ل : « تطفر » وهما بمعنى الوثب .

(٢) فيما عدا ل : « إ مصفور والبرغوث » و « البرغوث » مقحمة . وانظر قوله فيما بعد « لأن البرغوث مشاء وثاب » .

(٣) فيما عدا ل : « فليس عند البرغوث إلا العمور والوثوب » صوابه في ل .

(٤) البيت من أبيات في نهاية الأرب (١٠ : ١٧٨) وليست في الديوان ، ولا في أخبار أبي نواس لابن منظور ، قالها في رجل اسمه « أيوب » وأولها :

من ينأ عنه مصاده   فصاد أيوب ثيابه

(٥) هذه الزيادة من ل ، هـ .

(٦) طامر بن طامر ، هو الذي لايعرف ولا يعرف أبوه ولا يدرى من . . هو البرغوث أيضا لطموره أي وثوبه . انظر اللسان (طمر) وثمار القلوب ٣ . فيما عدا ل : « طامر وابن طامر إذا » الخ . محرف .

(٧) فيما عدا ل : « وكذلك العصفور » .

(٨) النقزان : الوثبان . ل : « النقز » وهما بمعنى .

(٩) فيما عدا ل : « فلذلك يسمى العصفور نقازا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وهي الصغار أيضا » .

(١١) الخرق ، بضم الخاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير .

(١٢) فيما عدا ل : « فلا يسمح » .

(شدة وطء العصفور)

وليسَ لشيء [جسمُه] مثلُ جسمِ العُصفورِ مراراً كثيرةً ، من شدَّة الوطء ، وصلابة الوَقْع عَلَى الأرض ، إذا مشي ، أو عَلَى السطح — ما للعصفور ، فإنك إذا كنتَ تحت السَّطح الذى يمشى عليه [العصفور] حسبتَ وقْعَه عليه وقْعَ حَجَرٍ[١] .

والكلبُ منعوتٌ بشدة الوطء ، وكذلك الخِصْيانُ من كل شيء[٢] .
والعصفور يأخذ بنصيبه من ذلك[٣] أكثرَ من قِسْطِ جِسْمِهِ من تلك الأجسام بالأضعاف الكثيرة[٤] .

(ما يجيد المشى من الحيوان)

والذُّباب من الطير الذى يجيدُ المشى . ويمشى مشياً سَبْطاً حثيثاً ، [وحسناً] مستوياً .

والقطاة مَليحةُ المِشْية[٥] ، مقاربة الخطْو .

وقد توصف مِشْيَةُ المرأةِ بمشية القَطَاة[٦] . وقال الكُمَيت[٧] :

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تأوُّداً قُبَّ البُطونِ رَوَاجِحَ الأكْفَالِ[٨]

---

(١) فيما عدا ل : « وقعه حجر » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٣٣٠) .
(٢) انظر الكلام فى مشى الخصى بالجزء الأول ص ١١٦ .
(٣) ط ، هـ : « فالعصفور » . فيما عدا ل : « بيضته من الأجزاء » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « بأكثر من » . ط : « بالأصناف الكثيرة » . محرف .
(٥) فيما عدا ل : « المشى » .
(٦) ط ، هـ : « بمشى » وأثبت ما فى ل ، س واللسان (١٩ : ١٥٢) .
(٧) كذا جاءت النسبة فى ل والأغانى (١٥ : ١٩) ومعجم المرزبانى ٣٤٨ . وفى سائر النسخ . « قال الشاعر » .
(٨) قب : جمع قباء . والقبب : دقة الخصر وضمور البطن . ط : « قالب » صوابهم فى سائر النسخ والمراجع المتقدمة ولباب الآداب ٣٧١ والمستطرف (٢ : ٢٢) .

٧٠ وقال الشاعر :

يتمشَّيْنَ كما تمشى القطا أو كما يمشى جِلَالُ البَقَرَاتِ[(١)]

لأن البقرةَ تتبخترُ فى مِشْيتها .

وقلت لابن دَبُوقاء[(٢)] : أى شىء أول التَّشاجى[(٣)] ؟ قال : **التباهُر** والقَرْمَطة فى المشى[(٤)] . [وقال[(٥)] :

فدفعتُها فتدافعتْ مَشْىَ القطاةِ إلى الغديرِ]

وكلُّ حيوان من ذواتِ الرجلين والأربع ، إذا انكسرت لها قائمة تحامَلَت بالصحيحة ، إلا النعامة فإنها تسقُط البتّة .

(سفاد العصفور)

قال : وكثرةُ عددِ السِّفاد ، والمبالغةُ فى الإبطاء ، والدّوامُ فى كثرة العدَد لضروبٍ[(٦)] من الحيوان — فالإنسانُ يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه[(٧)] فى جميع الأزمنة . فأما الإبطاء فى حال السِّفاد فللجمل[(٨)]

---

(١) هذه رواية ط ، هـ : فيكون البيت بذلك من بحر الرمل . وفى س : « يتمشى » تحريف . وفى ل : « يمشين كما يمشي قطا أو بقرات » ، وهو تحريف صوابه فى اللسان (١٩ : ١٥٢) :

يتمشـين كما تمـ شى قطا أو بقرات

فيكون البيت بذلك من مجزوء الرمل . والجلال ، بالكسر : العظيمات .

(٢) فيما عدا ل : « لأبى دبوقا » وما فى ل يطابق ما نقله ابن منظور عن الجاحظ فى (١٩ : ١٥٢) .

(٣) التشاجي : تمنع المرأة وتحازنها . وهذا ما فى ل واللسان . وفى سائر النسخ : « المشى » محرف .

(٤) التباهر ، أراد به إظهار البهر ، وهو بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والقرمطة : مقاربة الخطو .

(٥) هو المنخل اليشكرى ، من قصيدة له فى الحماسة (١ : ٢٠٢) أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحوري

(٦) ل : « بضروب » .

(٧) فيما عدا ل : « لأن ذلك دائم فيه » .

(٨) ل : « فالجمل »

والوَرَل والذِّبّان[١] والخنازير . فهذه فضيلةٌ لذة لهذه الأجناس والأصناف[٢] .

فأما كثرةُ العدَد فللعصافير .

(سفاد التيس)

وقد زعم أبو عبد الله العتبي[٣] الأبْرَصُ ، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البَصريِّين — أن الذى يقال له المِشْرَطِيُّ[٤] قرَعَ فى يومٍ واحدٍ نيفاً وثمانين قَرْعة .

إلا أن ذلك منه ومن مثله ينمحقُ حتى يعودَ جافراً[٥] فى الأيام القليلة .

(تيس بنى حمان)

و بنو حِمّان يزْعمون أن تيسَ بنى حِمّان قَرَع وألقَحَ بعد أن ذُبِحَ .

وفَخَرُوا بذلك ، فقال بعضُ من يهجوهم :

وأَلْهَى بَنِي حِمَّانَ عَسْبُ عَتُودِهم ... عن المَجْدِ حتى أحرَزَتْه الأكارمُ[٦]

---

(١) الذبان : جمع ذباب ، كغربان وغراب . ط : « والدباب » بالمهملة ، محرف .

(٢) « الأجناس » ساقطة من ل . و « الأصناف » ساقطة من س .

(٣) ل : « الغنمى » . وقد سبق فى (٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠) أنه « العمى » . وهو أحد المعتزلة .

(٤) فيما عدا ل : « المسراطى » . وقد ورد بالضبط الذي أثبته فى ل .

(٥) ابن الأعرابى : أجفر الرجل وجفر وجفر واجتفر : إذا انقطع عن الجماع . وفى الحديث أنه قال لعثمان بن مظعون : « عليك بالصوم فانه مجفرة » أى مقطعة للنكاح . ل : « حافراً » بالفاء . وفى اللسان (ه : ٢٨٤ س ١٥) : « ابن الأعرابى : حفر إذا جامع وحفر إذا فسد » ، فلها وجه من ذلك . ط ، ه : « حاقرا » بالقاف محرف . وأثبت ما فى س .

(٦) العسب : ماء الفحل . والعتود ، بفتح العين وضم التاء : الجدى قد بلغ السفاد .

(زعم لصاحب المنطق)

وزعمَ صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أن ثَوْراً فيما سلف من الدهر[١] سَفِدَ وأَلْقَحَ من ساعته بعد أنْ خُصِي .

فاذا أفرطَ المديحُ[٢] وخرجَ من المقدار ، أو أفرطَ التعجيبُ[٣] وخرجَ من المقدار — احتاج صاحبُه[٤] إلى أن يثْبته بالعيان ، أو بالخبر الذى لا يكذّبُ مثله[٥] ، وإلا فقد تعرَّض للتكذيب .

ولو جعلوا حركتهم[٦] خبراً وحكاية ، وتبرءوا من عيْبه[٧] — ماضرَّهم ذلك ، وكان[٨] ذلك أصْوَنَ لأقدارهم ، وأتمَّ لمروءات كتبهم .

(القول فى الجناح واليد والرجل)

[وَ] قالوا : وكلُّ [طائر] جيِّد الجناح ، يكونُ ضعيفَ الرجلين ، كالزُّرْزُور والخُطَّاف ؛ وجناحاهما أجْودُ من جناح العصفور . ورجل العُصفور قويَّة .

والجناحان هما يدا الطائر[٩] ؛ لأنهم يجعلون كلَّ طائر وإنسان

---

(١) فيما عدا س : « فيما سلف من الدهر أن ثوراً » .
(٢) فيما عدا ل : « فإذا أفرط المادح في المديح » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « أو أفرط المتعجب فى التعجب » ، تحريف .
(٤) أى صاحب المدح والتعجيب .
(٥) فيما عدا ل : « الذي لم يكذب مثله » .
(٦) كذا .
(٧) ط ، هـ : « تبرءوا عن » . ل : « غيبة » وسائر النسخ : « عينه » ووجهه ما أثبت .
(٨) ط ، هـ : « فكان » .
(٩) ط ، هـ : « يد الطائر » بالإفراد ، تحريف .

ذا أربع . فجناحا الطائر يداه ، ويدا الإنسان جناحاه . ولذلك إنْ قُطعت يدُ الإنسان لم يُجِد العَدْو . وكذلك إن قُطِعَتْ رجلُ الطائر لم يُجد الطَّيَران .

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها ، والإنسان قد يمشى على أربع . [قالوا : فَهُم فى عدد الأيدى والأرجل سواء . وفى الآلات الأربع] ؛ إلا أن الآلة تكونُ فى مكان ببعض الأعمال أليَقَ ، وهو[1] عليها أسهل ، فتجذبُها طبائعها[2] إلى ما فيها من ذلك ، كمشى الدابة عَلَى يديها ، وثِقَل[3] ٧١ ذلك عَلَى الإنسان .

والحمام يضربُ بجناحِه الحمامَ ، ويقاتلُه به ، ويدفع به عن نفسه . فقوادمه[4] هى أصابعه ، وجناحُه هُو يدُه[5] ، ورجْله كالقدم . وهى رجلٌ وإنْ سمّوها كفًّا ، حين وجدوها تكفُّ به[6] ، كما يصنع الإنسانُ بكفِّه .

وكلٌّ مقطوعِ اليدينِ ، وكل من لم يُخلق له يدانِ فهو يصنعُ برجليه[7] عامّةَ ما يصنَعُه الوافرُ الخلق بيديه .

وكل سبُع يكون شديدَ اليدين فإنه يكونُ ضعيفَ الرجلين .

وكل شىء من ذوات [الأربع من] البرائن والحوافر ، فان أيديَها

---

(١) فيما عدا ل : « وهى » .

(٢) ل : « طباعها » .

(٣) فيما عدا ل : « ويثقل » .

(٤) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . فيما عدا ل : « وقوائمه » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وجناحاه يداه » .

(٦) ضمير « به » للكف . والكف مؤنث ، وتذكيرها لغة ضعيفة ، شاهدها قول الأعشى :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وانظر المخصص (١٦ : ١٨٧ — ١٨٨) واللسان (١١ : ٢١١ — ٢١٢) .

(٧) فيما عدا ل : « برجله » . وانظر لاستعمال الإنسان رجليه ما سبق فى (٢ : ٢٣٦) .

أكبرُ من أرجُلها[١] . والناس أرجلهم أكبرُ من أيديهم ، وأقدامهم أكبرُ من أكفِّهم .

وجعلوا رُكَبَهُم فى أرجُلهم ، وجعلوا رُكَبَ الدّوابّ فى أيديها[٢] .

(نفع العصافير وضررها)

وللعصافير طَبَاهجات[٣] وقَلايا[٤] تُدْعَى العصافِيريّة ، ولها حَشاوى[٥] يطعِمها [العوامّ] المفلوجَ . والعوامُّ تأكلها للقوّة على الجماع . وعِظامُ سُوقِها وأفخاذِها أحَدُّ[٦] وأذرَب من الإبر . وهى مَخُوفَةٌ على المعدة والأمعاء .

وهى تخرِّب السُّقف تخريباً فاحشاً . وتجتلبُ الحيّاتِ إلى منازلِ الناس؛ لحِرْص الحياتِ عَلَى ابتلاع[٧] العصافير وفراخها و بيضِها .

---

(١) فيما عدا ل : « رجليها » .

(٢) جعلوا ، أراد الجعل اللغوى ، وهو التسمية . وقد سبق مثل هذا الكلام فى (٣ : ٢٣٦ س ١ - ٢) .

(٣) طباهجات : جمع طباهجة ، بفتح الطاء وكسر الهاء : ضرب من قلى اللحم . وهو ما يسمى « الكباب » . وهو معرب « تَبَاهَه » أو « تَبَاهْجَه » . وفى المخصص (٤ . ١٢٨) : « صاحب العين : الكباب الطباهجة » . وفى شفاء الغليل : « طباهج : الكباب ، كما فى تاج الأسماء ، معرب تباهه . والعرب تسميه الصفيف . وظاهر كلام ابن النحاس فى شرح المعلقات أن الكباب مولد . ويشهد له أنا لم نره فى كلام فصيح » . و « طباهج » بدون تاء كما ترى ، ومثلها فى معجم البلدان فى رسم (كباب) . ولم يذكر هذه اللغة المخصص واللسان والقاموس . وانظر كتاب الطبيخ للبغدادى ٤١-١٥ .

(٤) قلايا : جمع قلية ، والقلية : اللحم يقلى : أي يشوى على المقلى . وانظر كتاب الطبيخ ص ٥٠ . س : « وقلات » ط : هـ : « وغلات » صوابهما فى ل .

(٥) كذا فى ل . وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٢٥٠ س ٢) . وفى ط ، س : « حواش » هـ : « حواشى » .

(٦) ل : « ابر » .

(٧) س : « اتباع » .

(عمر العصفور)

والذين زعموا أن ذكورتها لاتعيش إلا سنةً ، يحتاجون إلى أن يعرِّفوا الناس ذلك . وكيفَ يستطيعون تعريفَهم[١] ؟!

وقد تسكون القُرى بقُرب المزارعِ والبيادر[٢] مملوءةً عصافيرَ ، ومملوءة من بَيْضها وفراخها ، وهم مع ذلك لم يروْا عصفوراً قط ميتاً .

[والذين يزعُمون أن الذبابَ لايعيشُ أكثرَ من أربعين يوماً ، وكانوا[٣] لايكادون يروْن ذبابة ميتة — أعْذَرُ ، لأنهم ذهبوا إلى الحديث[٤] . وأصحاب الحديث لايؤاخذون بما يؤاخَذ به الفلاسفة] .

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلّة السِّفاد ، والعصفورَ إنما قصُرَ عمره لكثرة السِّفاد وغُلمته[٦] — لو قالوا بذلك عَلَى جهة الظنِّ والتقريب ، لم يلُمْهم أحدٌ من العلماء . والأمور المقرّبةُ غيرُ الأمور الموجَبة ، فينبغى أن يعرفوا فصْل ما بين الموجَبِ والمقرَّب[٧] ، وفصلَ ما بينَ الدليلِ وشبه الدليل[٨] . ولعلّ طولَ عمر البغل يكونُ للذى قالوا ، ولشىٍ آخر .

وليس ينبغى لنا أن نجزِمَ عَلَى هذه العِلّة فقط ، [إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمرَه لم يفْضُلْ عَلَى أعمار تلك الأجناس إلا لهذه العِلّة] .

---

(١) فيما عدا ل : « تعريفهم ذلك » .

(٢) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . فيما عدا ل : « والميازب » محرف .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « كانوا » باسقاط الواو .

(٤) وهو ما ورد أن عمر الذباب أربعون يوما . انظر (٣ : ٣١٥) .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليست فى ل . وانظر التنبيه التالى .

(٦) ل : « لقلة السفاد وكثرته » وبذلك توازن عبارتها سائر النسخ ، وكلمة « غلمته » ساقطة من سه . وبدلها فى هـ : « غليته » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « فضل ما بين » والصواب بالصاد ، أى الفرق . وفيها أيضا « الواجب » موضع « الموجب » .

(٨) فيما عدا ل : « وفرق ما بين الدليل وشبه الدليل » .

(بعض خصال العصفور)

والعصفورُ لايستقرُّ ما كان خارجا من وكْره ، حتى كأنه فى دوام الحركة وصبيٌّ . له صوت حديدٌ مؤذ .

وزعموا أن البلبلَ لايستقر أبداً[1] . وهذا غَلطٌ ، لأن البلبل إنما يقْلَقُ لأنه محصورٌ في قفص . والذين عاينوا البلابلَ والعصافير في أوكارها[2] ، وغير محصورة فى الأقفاص — يعلَمون فضلَ العصفورِ عَلَى البُلبل فى الحركة .

فأما صِدْق الحِسِّ ، وشدَّة الحذَر والإزكان[3] الذى ليس عند خبيث الطير[4] ، ولا عند الغُرَاب[5] — فإن عند العصفور منه ماليسَ عندَ جميعِ ما ذكرنا[6] ، لو اجتمعت قواهم ، ورُكِّبوا فى نصاب واحد .

٧٢ من ذلك أنه يغمّ[7] بحدَّة صوته بعضَ من يقرُب منه ، فيصيح به ويُهوى بيديه إلى الأرض[8] كأنه يريد أن يرميه بحجر فلا يراه[9]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى هـ : « أيضا » .

(٢) الوكر : عش الطائر . فيما عدا ل : « غير أوكارها » وكلمة « غير » تفسد الكلام .

(٣) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ل ، سه ، هـ : «الأركان» صوابه في ط .

(٤) ل : « عند عبيد الكيس » سه : « عند حثيث الطير » ط : « لحس الطواف » هـ : « لحس الطراف » وأثبت ما فى سه بعد توجيهه بما رأيت . والخبيث : ذوالخب والخداع.

(٥) الغراب يضرب به المثل فى الحذر ، فيقال : « أحذر من غراب » انظر الحيوان (٣ : ٤٢٥) ، وثمار القلوب ٣٦٥ والميداني (١ : ٢٠٧) وفى الأصل : « العراف » .

(٦) ل : « من ذكرنا » . نزلها منزلة العاقل ، ومثل ذلك فى سياق الكلام بعده .

(٧) ل : « يعم » صوابه فى سائر النسخ . وقد سبق فى (٢ : ٣٢٩) : « فيغمني صياحه وحدة صوته » .

(٨) ط فقط : « للأرض » وفى ل زيادة : « نحوه ويضرب بيده » قبل : « إلى الأرض » .

(٩) ل : « فلا تراه » .

يحفل بذلك . فإن وقعت يده على حصاةٍ طارَ من قبل أن يتمكّنَ من أخذها[١] .

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحِمار وعصفورِ الشّوك[٢] عداوةً . وقال : لأن الحمارَ يدخل الشجرَ والشّوك ، فربما زاحَمَ الموضع الذى فيه وَكْرُه فيبدِّد عُشَّه . وربما نهق الحِمارُ فسقَطَ[٣] فرخُ العُصفور أو بيضه من جوفِ وكْره . قال : ولذلك إذا رآه العصفورُ رَنَّق[٤] فوقَ رأسه ، وعلى عينيه[٥] وآذاه بطيرانه وصياحه .

وربّما كان العصفورُ أبْلَق . ويصابُ فيه الأصبغ[٦] ، والجرادِىّ[٧] ، والأسود ، والفقيع[٨] ، [والأغْبَس[٩]] . فإذا أصابوه كذلك باعوه بالثمَن الكثير .

وقال أبو بدر الأُسَيدى[١٠] : قيل لعبد الأعلى القاصّ : لِمَ سمّى العصفورُ

(١) ط : « قبل يتمكن » وهى لغة ضعيفة ، سمع : « خذ اللص قبل يأخذك » . وانظر (٢ : ٣٢٩) .

(٢) عصفور الشوك ، سمى بذلك لأنه يألف الأشجار الشائكة والسياج . ويسمى بالإنكليزية Hedge sparro .

(٣) ل : « فسقط » .

(٤) رنق ترنيقاً : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر . وانظر ص ٢١١ س ١ . وفيما عدا ل : « زرق » أى رمى بسلاحه .

(٥) فيما عدا ل : « عنقه » .

(٦) الأصبغ من الطير : المبيض الذنب . سه ، هو : « الأصبع » بالعين المهملة . تحريف .

(٧) الجرادي : ما لونه لون الجراد .

(٨) الفقيع الأبيض ، وهو بفتح الفاء وكسر القاف كأمير . ويروى بوزن سكّيت . انظر تاج العروس (٥ : ٤٥٥) .

(٩) الأغبس : ما لونه الغبسة ، والغبسة : لون الرماد .

(١٠) فيما عدا ل : « أبو زبيد الأسدى » .

عُصفوراً ؟ قال : لأنه عَصى وفرّ . وقيل : ولِمَ[1] سمّى الطَّفْشِيل[2] طفشيلا ؟ قال : لأنه طفا وشال . وقيل له : لِمَ سمى الـكلبُ القَلَطِيُّ قَلَطِيًّا ؟ قال : لأنه قلّ ولَطِئ[3] . وقيل له[4] : لم سمى [الـكلبُ] السَّلوقيُّ سَلوقيًا ؟ قال : لأنه يستَلّ ويَباقَ[5]

[قال] : وحدّثنا [سُفْيان] بن عُيينة ، عن عَمرو بن دِينار ، عن صُهَيب مولى ابنِ عامر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مامِنْ إنسان يقتل عصفوراً أو ما فوقها[6] بغير حقها إلا سَأله الله عنها » . قيل : يارسول الله : وما حقها ؟ قال : « أن تذْبحها فتأ كُلَها ، ولا تقطع رأسَها فترَمى بها » .

(صياح العصافير ونحوها)

ويقال[7] : قد صرّ العصفورُ يصِرُّ صريراً . قال : ويقال للعصافير

---

(١) ل : « فلم » . وكلمة « قيل » ساقطة من سـ ، هـ .

(٢) الطفشيل سبق القول فيه في (٣ : ٢٤) . واللفظ فارسى معرب . وهو بالفارسية : « تَفْشِلَه أو تَفْشِيلَه » . وقد فسره استينجاس ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل .

(٣) لطئ بالأرض : لصق ، وبابه منع وفرح لطأ ولطوءاً . والـكلب القلطى : ضرب من الـكلاب القصيرة . انظر (١ : ١٥٧) . فيما عدا ل : « لأنه قاطى » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « قال ولم » محرف .

(٥) كذا ضبطت فى ل . والاستلال : السرقة . ط ، هـ : «سلاويقى» سـ : «سلاويقى» محرفتان .

(٦) فيما عدا ل : « فما فوقها » وانظر الجامع الصغير ٨٠٢٥ .

(٧) فيما عدا ل : « ويقال للعصفور » .

والمَكاكِى[١] والقنابر ، والخُرَّق[٢] ، والحُمَّر : قد صفَر يصفِرُ صفيراً . وقال طرَفةُ بنُ العبْد[٣] :

يالكِ مِنْ قُبَّرة بمعْمَرِ[٤] خَلا لكِ الجَوُّ فبيضى واصفِرى

[ونقِّرى ماشِيتِ أن تُنقِّرى]

ويقال : قد نطق العصفور . وقال كُثَيِّر[٥] :

سوى ذِكرةٍ منها إذا الرَّكبُ عرَّسُوا وهبَّتْ عصافيرُ الصَّريمِ النَّواطق[٦]

ولذِكْر العصفور موضعٌ آخر : وذلك أنَّ العصافير تصيحُ معَ الصُّبح[٧] .

وقال كلثومُ بنُ عَمرو[٨] :

---

(١) المكاكى : بفتح الميم وتخفيف الكاف : جمع مكاء ، بضم الميم وتشديد الكاف ، وهو نوع من القنابر له صفير حسن وتصعيد فى الجو وتصويب ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر . فيما عدا ل : « ويقال فى المكاكى » .

(٢) الخرق ، بضم الخاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير واحدته خرقة ، وقيل الخرق واحد. فيما عدا ل : « الحرق » بالمهملة ، تصحيف. وانظر ماسبق فى ص ٢١١ س ١٠

(٣) فى اللسان : « وكان يصطاد هذا الطير فى صباه » . وقال ابن بري : إن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبى لا لطرفة ، كما ذكر الجوهري . وذلك أن كليب بن ربيعة خرج يوما فى حماه ، فإذا هو بقبرة على بيضها ؛ فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها ، فقال لها أمن روعك ! أنت وبيضك فى ذمتى ! ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض ، فرماها كليب فى ضرعها ، فهاجت حرب بكر وتغلب ابنى وائل بسببها أربعين سنة . وانظر ما أسلفت من الكلام على هذا الرجز فى (٣ : ٦٦) .

(٤) فيما عدا ل : « قنبرة » ، وهى لغة فى القبرة . وفى اللسان : « والقبر والقبرة ، والقنبر والقنبرة والقنبراء : طائر يشبه الحمرة » . وباء القنبرة مضمومة ، كقنفذة . وفى اللسان : « والعامة تقول القنبرة » فنسبها إلى العامة . وفى القاموس أن « القنبرة » لغية .

(٥) فيما عدا ل : « جرير » ولم أجد البيت فى ديوانيهما .

(٦) فيما عدا ل : « ذكره » وفى ط : « إن الركب » تحريفان . والصريم : الصبح ، وهو من الأضداد ، يقال أيضاً لليل .

(٧) فيما عدا ل : « وقت الصبح » .

(٨) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) عند إنشاد البيت التالى ، والبيت كذلك فى العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣ .

يا ليلةً لى بحُوّارينَ ساهرةً حتى تكلم فى الصبحِ العصافيرُ

وقال خلفٌ الأحمر[1] :

فلما أصاتَتْ عصافيرُه ولاحت تباشيرُ أرْواقِهِ[2]

غدَا يَقْتَرِى أنُفًا عازِبًا ويَلْتَسُّ ناضِرَ أوْرَاقِهِ[3]

٧٣ وقال الوليد بنُ يزيد[4] :

فلما أنْ دنا الصبحُ بأصواتِ العصافيرِ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال الوليد بن يزيد » .

(٢) أصاتت : صوتت . ل ، هـ ، س : « أضاءت » صوابه فى ط . والأرواق : جمع روق . بالفتح . وأرواق الليل : أثناء ظلمته ، وجعلها هنا لأثناء النور .

(٣) يقتري : يتتبع . أنفا ، بضمتين : لم يرعه أحد قبله . عازبا : بعيدا . يلتس : يتناول ويأكل . أى غدا هذا الحمار أو الثور يتتبع هذا الروض ويرعاه . فيما عدا ل : « آبقا عازبا ويلبس » وفى س : « آنفا » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فيما عدا ل : « أبو محرز » وأثبت ما في ل مطابقا لما سبق فى (٢ : ٢٩٦) ولما فى حواشى الكامل ١٢ ليبسك . وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ولى الخلافة سنة ١٢٢ وقتل سنة ١٢٦ وله اثنتان وأربعون سنة . هذا والحق أن الشعر ليس للوليد بن يزيد ، بل هو ليزيد بن ضبة الثقفى ، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد ، فلما ولى الخلافة وفد عليه ، وأنشده مديحاً فى قصيدة بلغت واحداً وثلاثين بيتاً رواها أبو الفرج فى الأغاني (٦ : ١٤٢ — ١٤٣) . وأولها :

سليمى تلك فى العير قفى أسألك أو سيري

ورواية البيت فى القصيدة :

إلى أن يفصح الصبح بأصوات العصافير
لنعتام الوليد القر م أهل الجود والخير

قالوا : فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ، ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين بيتاً ، فأعطى خمسين ألفا . فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم . ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد .

(أحلام العصافير)

ولها موضع آخر . وذلك أنهم يضربون المثلَ بأحلام العصافير لأحلام السُّخَفاء[١] . وقال دُرَيد بنُ الصِّمَّة :

يا آلَ سُفيانَ ما بالى وبالُكُمْ   أنتم كثير وفى أحلام عُصفور[٢]

وقال حسَّانُ بنُ ثابت :

لا بأسَ بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ   جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[٣]

ومن هذا الباب فى معنى التَّصغير والتَّحقير ، قولُ لبيد[٤] :

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا   عَصافيرُ من هـذا الأنامِ المسحَّرِ

والمسحَّر : المخدَّع[٥] ، على قوله[٦] :

وُنسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

وقال لبيد[٧] :

عَصافيرٌ وذِبّانٌ ودُودٌ   [وأجرأ من مُجَلِّحَةِ الذِّئابِ[٨]]

---

(١) كلمة : « المثل » فيما عدا ل مقدمة على : « بأحلام » .

(٢) فى ثمار القلوب ٣٨٨ : « يا آل شيبان » و : « أنتم كثيرون فى أحلام عصفور » وفيما عدا ل : « أنتم كبير وفى الأحلام » .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب ، وهم رهط النجاشى الشاعر . وانظر الخزانة (٤ : ٥٣ — ٥٦) وسيبويه (١ : ٢٥٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وفى معنى هـذا الباب من التصغير والتحقير يقول لبيد » . ومثل هذه النسبة فى البيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٣) . ونسب البيت فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .

(٥) س ، هـ : « المجدع » تحريف . ط : « المخدوع » وأثبت ما فى ل . والمخدع : الذي خدع مراراً ، قال :

سمح اليدين إذا أردت يمينه   بسفارة السفراء غـير مخدع

(٦) فيما عدا ل . « قولهم » وهو عجز بيت لامرئ القيس ، صدره : « أرانا موضعين لأمر غيب » . وهذه النسبة ثابتة فى ديوانه ١٣٢ والبيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٢) .

(٧) كذا والصواب أنه « امرؤ القيس » والبيت تال للمتقدم ، كما فى الديوان واللسان .

(٨) أجرأ : أشد جراءة . وفى الأصل وهوهنا ل : « وأجراه مجلحة » تحريف .

فكأنه يخبر عن ضَعْف طِباع الإنسان .

وقال قوم : المسحَر ، يعنى كلّ ذى سَحْر ، يذهب إلى الرئة ؛ لقوله :

ونُسْحَرَ بالطعامِ وبالشرابِ

(قولهم صريم سحر)

ولذِكر السَّحْر موضعٌ آخر ، يقول الرجلُ لصاحبه : « صرَمْت سَحْري منك » أىْ لستُ منك . وقال خُفافُ بن نُدْبة :

ولولا ابنا مُماضِر أن يُساءوا   وأنى منك غير صريمِ سَحْرِ [(١)]

فكأنه قال : لستُ كذلك [منك[(٢)]]

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

تقولُ ظَعينَتِى لما استَقَلَّتْ   أتَترُكُ ما جَمَعْتَ صَريمَ سَحْرِ [(٣)]

أى قد تركتَه آيساً منه[(٤)] .

وأنشد الآخر :

= والمجلحة ، بكسر اللام المشددة : الجريئة . والذئاب ، هى فى الأصل : « الدياب » بالدال المهملة وبالراء فى آخره ، صوابه من الديوان واللسان فى الموضع السابق وفى (٣ : ٢٥٠) .

(١) فيما عدا ل : « أن تساوى وأني فيك » . وما أثبت من ل يوافق ما فى شرح ديوان قيس بن الخطيم ٣٢ . وفى الشرح أيضاً : « وذلك أن السحر الرئة فإذا انقطعت لم يعش الإنسان » .

(٢) هذه من ل . وفى أصلها : « فيك » .

(٣) البيت فى ديوانه ٣٢ . والظعينة : الزوجة . استقلت : رحلت .

(٤) آيساً : يائساً . هـ : « أنسا » محرف . وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . وفى اللسان (٦ : ١٦) أن صريم سحر « معناه مصروم الرئة مقطوعها » .

أَيَذْهَبُ ما جمعتُ صَرِيمَ سَحْرٍ ظَلِيفاً ، إنَّ ذَا لهوَ العجيبُ[١]
كَذَبْتُمْ والَّذِى رَفَعَ المعــالِي ولَـمَّا يُخْضَبِ الأَسَلُ الخضيبُ[٢]

(العصفور والضب)

وإذا وصفوا شــدّة الحرّ ، وصفوا كيفَ يُوفِى الحِرباء على العُود والجِذْل[٣] ، وكيف تلجأ العصافيرُ إلى جِحَرة[٤] الضِّباب من شدة الحرّ .

وقال أبو زُبَيد[٥] :

أىُّ ساعٍ بسَعَى ليقطَعَ شِرْبى حين لاحَتْ للصّابح الجوزَاء[٦]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ ؛ ولسان العرب (١٥ : ٢٢٩) . وفى ل : « الهوى عجيب » و س : « لهوى عجيب » . و « ظليفا » . يقال ذهب به مجانا ، وظليفا : إذا أخذه بغير ثمن . ويقال ذهب به ظليفا ، أي باطلا بغير حق . وفى الأصل : « طليقا » وصوابه من اللسان .

(٢) الأسل : الرماح . الخضيب : الذى خضب بالحمرة ، أراد الدم فى القتال .

(٣) يوفى : يشرف . وأوفى : أشرف . فيما عدا ل : « ترقى » وهو تحريف نص. والجذل ، بالكسر : أصل الشجرة . فيما عدا ل : « العود الجزل » تحريف .

(٤) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر ، بالضم . ط : « حجر » . س . « حجرات » هـ : « الحجرات » تحريف .

(٥) هو أبو زبيد الطائي المترجم فى (٢ : ٢٧٤) . وفى الأغاني (٤ : ١٨١ ساسى) : « قال ابن الأعرابي : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجدبت الجزيرة ، وكان أبو زبيد فى تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ، فأبى عليه الأوسى وقال : إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت ، وإلا فلا ! فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة ، وجعلها له حمى ... وقال عمر بن شبة : فلما عزل الوليد ووليها سعيد — وهو ابن العاصى — انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال ... » وأنشد القصيدة .

(٦) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء . والصابح : من صبحت الإبل : إذا سقيتها فى أول النهار ، والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون ، كذا فى الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت . انظر الخزانة (٣ : ٢٨٣ بولاق) .

واستَكنَ العُصفورُ كَرْهاً مع الضَّبِّ وَأَوْفَى فى عُودِه الحِرباءُ[1]

ونفى الجُندُبُ الحصى بكُراعَيْهِ وأذْكَتْ نِيرانها المعزاءُ[2]

من سَمُوم كأَنَّهَا لَفْحُ نار صقرتها الهجِيرةُ الغرّاء[3]

٧٤ وأنشدوا[4] :

تجاوزتُ والعُصفورُ فى الجُحْرِ لاجِئٌ مع الضَّبِّ والشِّقْذانُ تسمو صدورها[5]

قال : الشِّقْذان : الحَرابِيّ[6] . قوله : « تسمو » أى ترتفع[7] عَلَى رأس العُود . والواحد من الشِّقْذان شَقَذَان[8] ، بتحريك القاف وفتح الشين .

---

(١) فى الخزانة والشعراء ٦٠ والأغانى : « واستظل » . ورويت مرة أخرى فى الأغانى : « واستكن » .

(٢) الكراع بالضم : الرجل . وفى اللسان (١٠ : ١٨٢) : « وكراعا الجندب زجلاه » وأنشد هذا البيت . ومثل هذه الرواية فى الشعراء والخزانة والأغاني . وفى ل والأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٦٦) : « بذراعيه » . والمعزاء ، بالفتح : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٣) السموم ، بالفتح : الريح الحارة . واللفح : مصدر لفحته النار : أحرقته بحرها . فيما عدا ل : « نفح » مصحف . وروي : « حر نار » . صقرتها : اشتد وقعها وشدة حرها عليها . ل : « صفرتها » بالفاء ، وصوابه ما أثبت . وفيما عدا ل : « سجرتها » بمعنى أوقدتها . والهجيرة والهجير والهجر والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . والغراء : البيضاء من شدة حر الشمس . انظر اللسان (٦ : ٣١٩) . فيما عدا ل « العماء » محرف . وفى الأغانى واللسان : « ظهيرة غراء » .

(٤) ل : « وأنشد للشاعر » . والبيت لذى الرمة كما فى الديوان ٣٠٨ واللسان (٥ : ٢٠) .

(٥) الشقذان ، بالكسر : جمع شقذان ، بالتحريك ، ككروان وكروان . أو جمع شقذ ، كصرد ، أو شقذ ، بالفتح وبكسر ، وككتف وعنب وسبب . فيما عدا ل : « والشقران يسمو » ط ، هـ : « صريرها » س : « صرورها » محرف .

(٦) ط : « والشقران الحربنه » س ، هـ : « والشقران الحرا » صوابه فى ل .

(٧) ط فقط : « يسمو » أى يرتفع .

(٨) فيما عدا ل : « الشقران شقران » محرف .

(عصافير النعمان)

وأكرم فحلٍ كان للعرَب من الإبل كانَ يسمى عصفوراً ، وتسمى أولاده عصافير النُّعمان[١] .

وكانوا يقولون : صنعَ به الملكُ كذا وكذا ، [وحَبَاه بكذا وكذا] ، ووهب له مائة من عصافيره .

وعصفور ، ودَاعر[٢] ، وشاغِر[٣] ، وذو الـكَبْلين[٤] : فحولةُ إبل النعمان[٥] .

وعصافير الرَّحْل[٦] واحدها عصفور .

(عصفور القواس)

وعصفورُ القَوَّاس إليـه تضاف القِسِيُّ العُصفورية[٧] . وقد ذكره

(١) هو النعمان بن المنذر . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤١٨) . ط فقط : « عصافير » محرف .

(٢) داعر ، بالدال المهملة . وفيما عدا ل : « ذاعر » بالمعجمة ، تصحيف .

(٣) فى اللسان : (٦ : ٨٦) : « وأبو شاغر فحل من الإبل معروف كان لمالك بن المنتفق » وفى القاموس : « وشاغر فحل من آبائهم » ، فيما عدا ل : « عامر » تحريف .

(٤) فى اللسان (١٤ : ١٠١) : « وذو الكبلين فحل كان فى الجاهلية ، كان ضبارا فى قيده » . ضبر المقيد : جمع قوائمه ووثب . والكبل ، بالفتح ويكسر : القيد . وفى الأصل : « ذو الكيلين » محرف .

(٥) ل ، س : « فحول » . وتاء فحولة هى مايسمونها تاء تأكيد الجمع .

(٦) عصافير الرحل : خشبات تكون فيه يشد بها رؤوس الأحناء . فيما عدا ل : « وعصافير الطير » تحريف .

(٧) لم يذكر هذا فى اللسان والقاموس . ط : « والرحل يسمى عصفور » س ، هـ : « والرجل يسمى عصفور » إقحام وتحريف . وفيما عدا ل أيضاً « تضاف إليه » .

ابن يَسير[١] حين دَعا[٢] على حمام له بالشّواهين ، والصُّقورة[٣] ، والسَّنانير والبنادق[٤] ، فقال[٥] :

مِنْ كلِّ أَكْلَفَ باتَ يُدْجِنُ لَيْلَه ... فغدَا بغُدْوَةِ ساغِبٍ مَمْطُورِ[٦]

ضَرِمٍ يقلِّبُ طرفه مُتَأَنِّساً ... شيئاً فَكُنَّ له من التقديرِ[٧]

يأتى لهنَّ مَيامناً ومَياسراً ... صَكّاً بكلِّ مُذَلَّقٍ مطرورِ[٨]

لاينجُ منه شريدُهنّ ، فإنْ نجا ... شىءٌ فصار بجانبات الدُّورِ[٩]

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « بن بشير » مصحف .

(٢) ط فقط : « دعى » وهو تحريف .

(٣) فيما عدا ل : «والصقور» ، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت . وانظر (٤ : ٤٧) ، والتنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٤) البنادق : جمع بندق ، ذاك الذي يرمى به .

(٥) كان محمد بن يسير قد طلب من أبى عمرو المدينى فراخا من الحمام الهدى (أي حمام الزاجل وفى أصل الأغانى : الهندى) فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير ، ثم نورله — أي أعطاه فراخا غير منسوبة دلسها عليه — وأخذ المنسوبة لنفسه ، فدعا على حمام المدينى بهذا الشعر . انظر الأغانى (١٢ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٦) الأكلف : ما لونه الكلفة ، وهى لون بين السواد والحمرة . عنى الصقر . يدجن ، من قولهم : أدجنت السماء : دام مطرها . والساغب : الجائع . والممطور : الذي أصابه المطر . س ، هـ : « يدخن » و فيهما أيضا « بعدوة » تحريف .

(٧) الضرم ، ككتف : الشديد الجوع . والمتأنس : الذى ينظر رافعاً رأسه وطرفه . وضمير « كن » للحمام . أى كن مما قدر لهذا الصقر . فيما عدا ل : « يقلب كفه » ط : « مستأنسا » . وفيما عدا ل أيضا : « مسا فكر له » تحريفات .

(٨) الصك : الضرب . المذلق : المحدد . والمطرور : الذي طر ، أي حد . وقد عنى المخالب . س ، ط : «مخطور» هـ «ممطور» صوابه فى ل .

(٩) جانبات : جمع جانبة . والجانب : الغريب . أى إن نجا من الحمام شيء فقد صار إلى هذه الدور الغريبة . ط : « بجانيات » هـ : « يحابيان » س : « يجانبان » صوابه فى ل والأغانى .

لِمُشَمِّرِينَ عن السَّواعدِ حُسَّرٍ … عنها بكلِّ رَشيقةِ التَّوتيرِ (١)

ليسَ الذى تُشوِى يداه رَمِيَّة … فيهم بمعتذِرٍ ولا معـذُورِ (٢)

يتبوَّعون مع الشروق غُدَيَّةً … فى كل مُعطِيَةِ الجذابِ نَتُورِ (٣)

عُطُفُ السِّيات موانع فى بذْلها … تُعْزَى إذا نُسِبَتْ إلى عصفورِ (٤)

يَنفُثْنَ عن جَذْبِ الأكفِّ سَوَاسياً … مُتشابهاتٍ صُغْنَ بالتَّدْويرِ (٥)

تجرى لهـا مُهَجُ النفوسِ وإنَّها … لَنواصِلٌ سُلُبٌ من التَّحْسِيرِ (٦)

---

(١) مشمرين عن السواعد ، عنى الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . يقول : قد صرن إلى هؤلاء الصيادين . ل : « فشمرين » وفى سائر النسخ : « بمشمرين » ووجهه ما أثبت من الأغانى . وفيما عدا ل : « من السواعد » تحريف . وفى ط : « لكل » .

(٢) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذى يرميه . ل : « يشوى » ط ، ه : « برمية » وهذه تحريف صوابهما فى ل ، سه والبيان (٣ : ٤١) .

(٣) يتبوع : يمد باعه ويملأ مابين خطوه . معطية الجذاب ، أى عند المجاذبة ، عنى القوس . والمعطية : اللينة ، ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها . والنتور : الشديدة الجذب . فيما عدا ل : « معطية الحراب » وفى الأغانى : «طائفة الجدار » تحريف . ط والأغانى : « بتور » سه : « تبور » ه : « بثور » صوابه فى ل .

(٤) سية القوس : ما عطف من طرفيها . والعطف : جمع عطفاء ، وهى المنحنية . ط : « الشبات » سه : « الثبات » ه : « السبات » صوابه فى ل : والبيان (٣ : ٤١)

(٥) ينفثن ، من النفث ، وهو النفخ . وفيما عدا ل : « ينفين » وهذه صحيحة أيضا . و « جذب » فيما عدا ل : « حرب » . وفى الأغانى « حدب » محرف . سواسيا : متشابهات . وقد عنى السهام . يقال سواسية وسواس وسواسوة . صغن ، بالبناء للمفعول من صاغ يصوغ . وفى الأغانى : « متشابهات القد والتدوير » وفيما عدا ل : « صفن » محرف .

(٦) المهج : جمع مهجة ، وهي دم القلب . نواصل : قد نصل ريشهن . والسلب : جمع سليب ، وأصلها الشجرة قد سلبت ورقها وأغصانها . والتحسير : سقوط ريش الطائر . ط ، سه : « مبهج » ه : «نهج» صوابه فى ل والأغانى : ل ، ط ، سه : «لتواصل» ه : « لمواصل » والأغانى « لنواضل » صوابه ما أثبت . ط ، سه والأغانى : « سلت » صوابه فى ل ، ه . و « التحسير » هى فى ط ، ه : « التخسير » صوابها فى ل ، سه .

مَا إنْ يَنِى مُتَبايِنٌ مُتَباعِدٌ ... فى الجوِّ يحسِرُ طرفَ كلِّ بصيرِ [1]

عن سَمْتِهِنَّ إذا قصدْنَ لجمْعِهِ ... متقطِّرًا متضمِّخًا بعَبـــير [2]

فيؤوب ناجِيهِنَّ بينَ مُجَلْهَقٍ ... دامٍ ومخلوبٍ إلى مَنْسورِ [3]

عارى الجناحِ من القوادم والقَرَا ... كاسٍ عليه بصائرُ التامورِ [4]

(شعر فى العصفور)

وقال أبو السَّرِىّ [5] ، وهو مَعْدَانُ الأعمى المديبرىّ [6] ، وهو يذكر ظهورَ الإمام ، وأشراطَ خُروجه ، فقال :

٧٥

---

(١) ما ينى : ما يبطئ . يحسر الطرف : يجعل العين تكل ، من شدة بعده . ط ، س : « ما إن بني » ه : « ما إن فى » صوابه فى ل .

(٢) السمت : القصد . ل : « شمتهن » وسائر النسخ : «شبههن» . أراد عن قصد السهام لهذا المتباعد المتباين من الحمام . متقطر : ساقط على قطره أى جانبه . والمتضمخ : المتطيب . والعبير : أخلاط من الطيب . جعل هذه الحمام ، وقد أصابتها السهام فسالت دماؤها كأنما تضمخن بالعبير ، ولونه لون الدم .

(٣) المجلهق : الذى أصيب بالجلاهق . والجلاهق ، بضم الجيم وكسر الهاء : الطين المدور المدماق يرمى به عن القوس ، فارسى معرب . انظر المعرب للجواليقى ٩٦ . والمخلوب : الذى خلبه الجارح بمخلبه . والمنسور : الذي نسره بمنسره ، وهو منقاره . فيما عدا ل : « مخلص » و « مجلوب » تحريف .

(٤) القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . والقرا : الظهر . والبصائر : جمع بصيرة ، وهى الدم ، أو الدفعة منه . قال :

راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

أى تركوا دم أبيهم خلفهم ، ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . والتامور : دم القلب أو غلافه . عنى أن السهام قد ذهبت بريش جناحه ، ونفذت من قلبه إلى ظهره ، فكسته ثوبا من الدماء . فيما عدا ل : « والعرى كاس » و « بصائر التاهور » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن السرى » .

(٦) معدان الأعمى ، هو أحد الشميطية ، سبق الحديث عنه فى (٢ : ٢٦٨) . والمديبري : نسبة إلى المدير ، على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل : موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « الدينور » .

في زمانٍ تبيضُ فيه الخفافيـ ... شُ وتسقى سُلافةَ الجِرْيالِ[1]

ويقيم العُصفورُ سِلماً مع الأيْـ ... مِ وتحمي الذِّئابُ لحمَ السِّخالِ[2]

يقول : إذا ظهر الإمامُ فآيةُ ذلك أنْ تبيض الخفافيش – وهي اليوم تلِدُ – وتحلُّ لنا الخمرُ ، وتسالِمُ الحيّاتُ العصافيرَ ، والذئابُ السِّخالَ .

(سجود عيسى بن عقبة)

ورَوَوْا في طول سجود عيسى بن عُقبة ، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنّ العصفورُ أنه كالشيء الذي لا يخافُ جانبه[3] ، وحتى يظنّ العصفورُ أنه سارية[4] ، فيسقط عليه .

وذكر عُمَرُ بن الفضل[5] ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حَيّان[6] قال :

---

(١) الجريال ، بالكسر : صفوة الخمر . وفي اللسان : « وزعم الأصمعي أن الجريال اسم أعجمي رومي عرب ، كأن أصله كريال » . وعند الجواليقي ١٠٣ « وزعم الأصمعي أنه رومي معرب ، تكلمت به العرب الفصحاء قديماً . قال الأعشى :

وسبيئة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها »

قال فرنكل : إنها مشتقة من اليوناني : أي المرجان . انظر ادى شير ٤٠ . والخفافيش لا تبيض وإنما تلد . والجريال أي الخمر محرمة . فهو يشير إلى أن وقت ظهور الإمام وقت عجيب . ل : « يبيض » و« يسقى » . وفي س ، هـ : « وتسقى » .

(٢) الأيم ، بالفتح والكسر : الحية الأبيض اللطيف . والحيات لها ولوع بابتلاع بيض العصافير ونحوها . انظر (٣ : ٤٩٩) . والسخال : جمع سخلة ، وهي ولد الشاة . ل ، هـ : « ويحمى » س : « ويحمى » بالإهمال .

(٣) ل : فاحيته » والكلام بعدها إلى «سارية » ساقط من ل .

(٤) السارية : الأسطوانة ، وقيل : أسطوانة من حجارة وآجر . وجمعها السواري .

(٥) هو عمر بن الفضل السلمي ، أو الحرشي بفتح المهملتين وبالشين ، البصري . روى عن نعيم بن زيد ، ورقبة بن مصقلة ، وأبي العلاء بن الشخير وحبة بنت عبد الله وعنه ابن المبارك ، ويحي القطان ، وحرمي بن عمارة ، وغيرهم . تهذيب التهذيب (٧٥ : ٥٠) . ط ، هـ : « عمر بن أبي الفضل » س: « عمران بن الفضل » ل : « عمر بن أبي الفضل » وصواب كل ذلك ما أثبت .

(٦) يزيد بن حيان ، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية ، التيمي الكوفي ، ثقة من الرابعة روى عن زيد بن أرقم ، وسبرة بن الطفيل ، وكدير الضبي ، وعبس بن عقبة ، =

كان عيسى بن عقبة[1] إذا سجد وقعت العصافيرُ عَلَى ظهره ؛ من طولِ سجوده[2] . [وكان محمدُ بنُ طلحةَ[3] يسجُد حتى إن العصافير ليَسْقُطْنَ على ظهره ما يحسِبنَه إلا حائطاً] .

(مثل الشيخ والعصفور)

وفى المثل أن شيخاً نصَبَ للعصافير فخّاً فارْتَبَنَ به و بالفخ[4] ، وضر به البرد[5] ، فكلما مشى إلى الفخِّ وقد انضم عَلَى عصفور[6] ، فقبض عليه

= وعنه ابن أخيه ، والأعمش ، وفطر بن خليفة ، وسعيد بن مسروق الثورى . قال النسائى : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٣٣١) . ل : « زيد » سه : « بن جان » صوابه ما أثبت .

(١) عيسى بن عقبة ، لم أعثر له على ترجمة . وفى الولاة والقضاة للكندى ص ٩٦ من اسمه « عيسى بن عبدة بن عقبة نافع » . وفى ط ، هـ : « يزيد بن عقبة » ذكره ابن حبان فى الثقات ، ويروى عن ابن بريدة والضحاك . لسان الميزان (٦ : ٢٩١) .

(٢) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦٥) : « كان عيسى بن عقبة يسجد ، حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبنه إلا جرم حائط » .

(٣) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبوه طلحة من العشرة المسمين بالجنة . وكان محمد عابداً زاهداً ، وكان يقال له : « السجاد » . وشهد يوم الجمل ، ونهى عنه على وقال : إياكم وصاحب البرنس ، فقتله رجل ، وأنشأ يقول :

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
أمكنه بالرمح حضنى قيصه ... فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شىء غير أن ليس تابعاً ... عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يناشدنى حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

انظر المعارف ١٠١ — ١٠٢ مصر ، ١١٩ جوتنجن .

(٤) ارتبن ، من الريبة . وفى ل : « فارتبن » وفى سائر النسخ : « فارتبق » صوابه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « فضربه » .

(٦) ط ، هـ : « إلى العصفور » صوابه ما أثبت من ل . وفى سه : « على العصفور » .

ودقّ جناحَه[١] ، وألقاه في وعائه . دَمعت عينُه مما كان يَصُكُّ[٢] وجهَه من بَرد الشَّمال . قال : فتوامَرَت العصافيرُ بأمره[٣] وقلن : لا بأس عليكن[٤] ، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيم رقيقُ الدّمعة ! قال : فقال عصفورٌ منها : لا تنظروا إلى دموع عينَيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه[٥] !

(استطراد)

ومن أمثال العامّة للشيء تتعرّفه بغير مَؤُونة[٦] : « الحجَرُ مَجّان ، والعَصفور مجّان[٧] ! » .

---

(١) دق جناحه : كسره ، ليمنعه من الطيران . فيما عدا ل : « وقبض على جناحه » .

(٢) يصك : يضرب . فيما عدا ل : « يصد » تحريف . ط ، س : « وقد دمعت » بإقحام « وقد » وفي هـ : « ودمعت » بإقحام الواو .

(٣) توامرات : تآمرت ، أي تشاورت . وإبدال الهمزة في مثله واو ، لغة عامية . يقولون : واكلته ، ووازيته ، وواجرته ، وواخذته ، ووامرته ، وواخيته ، وواسيته ، ووازرته ، وواتيته . والوجه في ذلك كله الهمز . انظر أدب الكاتب ٢٦٩ — ٢٧٠ سلفية ، وبحر العوام ١٠٢ قال : « ومن ذلك قولهم : واخيته في آخيته بالمد ، إلا أنها لغة ضعيفة » . وقد عللها التبريزي بقوله : وإنما حملهم على إثبات الواو في الماضي أنهم قالوا في المضارع والمفعول : يواسي ومواسى ، فحسن تخفيف الهمزة بضم ما قبلها فجاؤوا به في الماضي كذلك » . انظر شفاء الغليل ١٧ في الكلام على « آساه » . ل : « بالتمرة » موضع « بأمره » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عليكن » .

(٥) كلمة « لكن » ساقطة من ل . وقد التفت إلى هذا المعنى ديك الجن ، وكان قد قتل زوجه ثم أسف عليها فقال (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩) :

يقول قتلتها سفهاً وجهلا ... وتبكيها بكاء ليس يجدى
كصياد الطيور له انتحاب ... عليها وهو يذبحها بحد

(٦) ط ، هـ « وفي أمثال » ط : « فيمن يتصرف » س ، هـ : « يتعرفه » .

(٧) المجان : الكثير الكافي ، أو عطية الشيء بلا منة ولا ثمن . وقال الأزهري : العرب تقول : تمر مجان وماء مجان ، يريدن أنه كثير كاف . قال : واستطعمني أعرابي تمراً فأطعمته كتلة ، واعتذرت إليه من قلته فقال : هذا والله مجان ، أي كثير كاف . وفي اللسان : (١٧ : ٢٨٧ س ٣) : « وقولهم : أخذه مجانا أي بلا بدل » . وهذ نص في وجه من زعم خطأ هذه العبارة .

قال : ويقال عصفور وعصفورة . وأنشدَ قوله[١] :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبيداً وأزنما[٢]

(شعر فيما يصوره الفزع)

وقال فى هذا المعنى جريرٌ[٣] ، وإن لم يكن ذكر العصفور ، [حيث يقول] :

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شىءٍ بَعْدَهم خيلاً تشدُّ عليكم ورجالا[٤]

قال يُونس : أخذَ هذا المعنى من قولِ الله[٥] : ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ[٦] ﴾ .

وقال الشاعر[٧] :

كأن بِلادَ اللهِ وهْىَ عريضةٌ عَلَى الخائفِ المطلوبِ كِفّةُ حابِلِ[٨]

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى . جاهلى . يقوله لبسطام بن قيس وأسرته بنو يربوع يوم غبيط الفردوس — فى أصل معجم المرزباني : المروت ، صوابه فى معجم البلدان (٦ : ٢٦٧ ، ٣٥٧) — وفرعن قومه يوم المظالى . انظر معجم المرزبانى ٣٠٠ والنقائص (٤٨٤ — ٤٨٥) وعيون الأخبار (١ : ١٦٦) واللسان (١٥ : ١٦٩) ومعجم البلدان (٦ : ١٨٦) . والذى أسره هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، ففدى نفسه بأربعمائة ناقة ، ثم أطلقه وجز ناصيته . معجم البلدان (٦ : ٢٦٧) .

(٢) المسومة : الخيل المعلمة بعلامة ، أوالمرسلة وعليها ركبانها . وعبيد : هم بنو عبيد بن ثعلبة . وأزنم : هم بنو أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . ط : « عتيكا وأرنما » س ، ه : « عتيكا وأزنما » صوابه فى ل .

(٣) يهجو الأخطل من قصيدة فى ديوانه ٤٤٨ — ٤٥٣ . وقبل البيت :

حملت عليك حماة قيس خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

(٤) فيما عدا ل : « تشد عليهم » والوجه ما أثبت من ل ، والديوان ، والمختار من شعر بشار ٩ ، وفيه : « تكر عليكم » . وصدره فى المختار : « تركوك تحسب » .

(٥) فيما عدا ل : « أخذ والله هذا المعنى من قول الله تعالى » .

(٦) من الآية ٤ فى سورة المنافقون . وبعدها فى ل : « فاحذرهم قاتلهم الله » .

(٧) البيتان فى الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٨) كفة الصائد ، بالكسر : حبالته . والحابل : الصائد ذو الحبالة .

يُؤدّى إليــه أنَّ كلَّ ثنيةٍ تيمَّمَها تُرمى إليــه بقاتلِ[1]

وقال بشّارٌ فى شبيه ذلك :

كأنَّ فؤادَه كُرةٌ تنزَّى حِذارَ البَيْنِ لو نفعَ الحِذارُ[2]

جَفتْ عَيْنِى عن التغميض حتى كأنْ جفونها عنه قصارُ[3]

يروِّعُه السِّرارُ بكلِّ أمرٍ مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ[4] ٧٦

وقال عُبيدُ بن أيُّوب :

لقد خِفْتُ حتى لو تطيرُ حمامةٌ لقلتُ عدُوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ[5]

فإنْ قيلَ خيرٌ قلتُ هــذا خديعةٌ وإن قيل شرٌّ قلتُ حقًّا فشمرِّ[6]

وخِفْتُ خليلى ذَا الصّــفاء ورابَنى وقلتُ فلانا أو فُلانَةَ فاحْذَرِ[7]

وقال أبانُ اللاَّحقىُّ[8] :

اخفِضِ الصوتَ إنْ نطقْتَ بليلٍ والتفِتْ بالنهار قبــل الكلامِ

(حديث الغاضرى)

ومن مُلح أحاديثِ الأصمعىّ ، قال : حدّثنى شيخٌ من أهل المدينة وكان عالىَ السنِّ[9] قال : قال الغاضرى[10] : كانت هذه الأرضُ لقومٍ

(١) ل : « تؤدي » وفى الكامل : « يؤتى » . تيممها : قصدها .

(٢) تنزى : تتنزى ، أى تتوثب .

(٣) فيما عدا ل : « فيها قطار » تحريف . وفى الكامل ٤٥٧ والشعراء ١٧٨ : « عنها قصار » . التذكير للتغميض ، والتأنيث للعين .

(٤) السرار : المسارة . فيما عدا ل : « بكل أرض » . ورواية ل تطابق رواية الكامل ٤٥٦ .

(٥) فيما عدا ل وكذا مجموعة المعانى ٧٧ : « لو تمر » .

(٦) س ، هـ : « قلت هذى خديعة » . وهذا البيت هو الثالث فى مجموعة المعانى .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٤٨) .

(٨) فى مجموعة المعانى : « مقال فلان أو فلانة » .

(٩) السن : العمر . والواو ساقطة من ل .

(١٠) الغاضرى ، من أصحاب الفكاهة والنادرة . لا يعرف إلا بهذا الاسم . وفى الأغانى (١٧ : ١٠١) : « كان الغاضرى لقيطا منبوذا لا يعرف له أب » . وفيها : « كان الغاضري منــدر أهل المدينة » أى الذي يطرفهم بالنوادر . وكان معاصراً

ابتدءوها وشقُّوها[١] ، وكانت الثمرة إذا أدركتْ قال قائلهم [لقيِّمه] : اثلُمِ الحائط ، ليصيبَ المارُّ مما فيه والمُعتَفى[٢] . ثم يقول : أرْسِلْ إلى [آل] فلان بكذا وكذا ، وإلى [آل] فلان بكذا وكذا . فإذا بيعَت[٣] الثمرة قال : أرسل[٤] إلى فلان بكذا وكذا من دينار ، وإلى فلان بكذا وكذا . فيضجُّ الوكيل[٥] . فيقول : ما أنت وهذا ؟ ! لا أمَّ لك ! فلما عُمِرت الأرضون وأغَنَّتْ[٦] أقْطِعَها[٧] قومٌ سواهم ، فإنَّ[٨] أحدهم ليسدُّ حائطَه ، ويصغِّر بابَه ، ثم يُدْلِجُ[٩] [فيمرُّ] فيقول : ما هذه الثُّلمة[١٠] ؟ ! ويستطيف[١١] من وراء الحائط ، فهو أطول من مَعقِل أبي كريز[١٢] .

لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما فى ذلك الفن منافسة شديدة . وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومائة ، كما فى الأغانى (١٧ : ٨٣) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٥٢) : « أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان الغاضري من أحمق الناس . فقيل له : ما حمقه ؟ ... قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وها حفر فأين نبيثته ؟ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟ » . وقد صنع فى أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لا يعرف من ألفه . انظر ابن النديم ٤٣٥ . وانظر بعض أخباره فى البخلاء ١٧٧ والأغانى (٥ : ١٣٢) وأمالي القالى (٢ : ٢٤٢) . ط ، هـ : « العاصرى » س : « القاصرى » صوابه فى ل .

(١) ط ، هـ : « ابتدؤها » ط ، هـ ، س : « وسلقوها » تحريف .

(٢) المعتفى : طالب المعروف . هـ : « والمقتفى » محرفة .

(٣) ط فقط : « ييمت » . تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فأرسل » بدل : « قال أرسل » .

(٥) يضج : يصيح . وفى ل : « فيصيح الوكيل » .

(٦) أغنت : كثر عشبها وشجرها . والوادى المغن : المخصب المعشب . وقالوا : قرية غناء : جمة الأهل والبنيان والعشب . ل : « أغبت » . هـ : « أعنت » محرفة .

(٧) الإقطاع : أن يعطيه قطعة من الأرض . فيما عدا ل : « اقتطعها » .

(٨) فيما عدا ل : « وإن » .

(٩) أدلج : سار من أول الليل . وادلج بتشديد الدال على الافتعال : سار من آخره .

(١٠) الثلمة ، بالضم : الفرجة . فيما عدا ل : « الثمة » !

(١١) استطاف : طاف ودار حول الشيء . ط ، هـ : « فأرسل يستضيف » صوابه فى ل ، س

(١٢) المعقل : الحصن . ل : « أقرب من معقل أبى كرز » .

وإذا دخل حائطه دخل معه بقَذَّافة ، فاذا رأى العصفورَ على القنا[1] رماه فيقع العصفورُ مَشْوِيًّا على قُرْص ، والقُرْص كالعصفور[2] .

(العصافير الهبيرية)

و بحمْص[3] العصافيرُ الْهُبَيْرِيّة ، وهى تطعم على رفوف[4] . وتكون أسمَنَ من السُّمانَى . وأطيبَ من كل طير[5] . وهى تُهدَى إلى ملوكنا . وهى قليلةٌ هناك .

(شعر فى نطق العصفور)

وقال الرَّاعى :

ما زال يركبُ رَوْقَيهِ وكَلْكَلَه حتى استثار سَفاة دونها الثَّأَدُ[6]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ . والقنا ، بالكسر وبالفتح : القنو ، وهو عذق النخلة بما فيه من الرطب . وفى ل ، س : « على الفناء » . والفناء ، بالكسر : الساحة ، وليس لها هنا وجه . وموضع هذه الكلمة والحرف قبلها بعد كلمة : « رماه » فى جميع النسخ ما عدا ل .

(٢) القرص : قرص الخبز ، أى الرغيف . فيما عدا ل : « والقرص من هذا العصفور » .

(٣) حمص : إحدى مدن الشام . فيما عدا ل : « ويخص » تحريف .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوق به ما يوضع عليه . فيما عدا ل : « رفرف » وأصل الرفرف الرف يجعل عليه طرائف البيت .

(٥) فيما عدا ل : « طيب » . وله وجه .

(٦) الروق ، بالفتح : القرن . والكلكل : الصدر . والسفاة : التراب تسفيه الريح ، جمعه سفى . والثأد ، بالتحريك . الثرى . فيما عدا ل : « ويخلطه حتى استناد سفاها » تحريف . والبيتان فى صفة ثور وحشى .

حتى إذا نَطَقَ العصفورُ وانكشفَتْ عَمَايةُ الليلِ عنه وهو مُعتمِدُ[١]

وقال الراعى :

وأصْفَرَ مجدولٍ من القِدِّ مارِنٍ يُلاثُ بعينَيها فيُلْوى ويُطلَقُ[٢]

لَدَى ساعِدَىْ مَهْرِيّةٍ شَدَنيةٍ أُنيخَتْ قليلا والعصافيرُ تنطِقُ[٣]

(صيد العصافير)

قال : وتُصاد العصافيرُ بأهونِ حيلة . وذلك أنهم يعملون لها مِصْيَدَةً ، ٧٧ ويجعلون لها سَلَّةً[٤] فى صورة المِخْبرة التى يقال لها : اليهودية[٥] ، المنكوسة الأنبوبة ؛ ثم يُنزَل[٦] فى جوفها عصفورٌ واحد ، فتنقضُّ عليه العصافير ويدْخُلْن عليه ، وما دخل منها فإنه لايجد[٧] سبيلاً إلى الخروج منها[٨] .

---

(١) عماية الليل : ظلمته . وأصل العماية السحابة الكثيفة المطبقة ، يقال عماية وعماءة . معتمد : يسرى طول الليل ، وأصله من قولهم « اعتمد فلان ليلته : إذا ركبها يسرى فيها » .

(٢) عنى بالأصفر المجدول زمام الناقة . القد : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والمارن : اللين ، مرن الجلد : لان . يلاث : اللوث الطى واللى . ل : « وصقرو مجدول » صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل : « من العد مارق ثلاث بعينها فيلوى ويهرق » تحريف صوابه فى ل .

(٣) المهرية : الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، حى من أحياء العرب . والشدنية : المنسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن ، أو رجل : أو فحل كريم . فيما عدا ل : « سدنية » تصحيف . أنيخت : أبركت . ط ، ھ : « تعلي » س « تعل » صوابهما فى ل . وفى ط : « بليل » موضع : « قليلا » وفى سه ، ھ « بليلا » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « بنية » وأثبت ما فى ل وأصل عيون الأخبار (٢ : ٩٥) . وفى العقد (٤ : ٢٦٣) : « شبكة » .

(٥) ھ : « الهودية » .

(٦) ل : « يترك » . وفى عيون الأخبار : « يجعل » .

(٧) فيما عدا ل : « وما دخل منها لم يجد » .

(٨) ليست في ل ، سه وعيون الأخبار .

فيصيد الرجُلُ منها فى اليوم [الواحد[١]] المئين[٢] وهو وادع ، وهنّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطير إلى البُوم[٣] إذا جُعِلن فى المصائد[٤] .

ومتى أخذ رجلٌ[٥] فراخ العصافير من أوكارها ؛ فوضعها فى قفص بحيثُ[٦] تراها الآباء والأمّهات ، فإنها تأتيها بالطُّعم على الخطَر الشديد ، والخوف من الناس والسّنانير ، مع شدة حذرها ، ودِقَّة حسِّها[٧] . ليس ذلك إلا لبرّها بأولادها ، و[شدة] حبّها [لها] .

(القول فى العقارب والفأر والسنانير)

نقول فى العقارب والفأر والجرذان بما أمكن من القول[٨] . وإنما ذكرنا العقاربَ مع ذكرنا للفأر ، للعداوة التى بين الفأر والعقارب . كما رأينا أن نذكُرَ السّنانير فى باب [ذكر] الفأرِ ، للعداوة التى بينهما .

فإن قلت : قد عرّفنا عداوة الفأر للعقرب ، فكيف تُعادى الفأرةُ السّنور ، والفأرة لاتقاوم السنّور[٩] ؟!

قيل : لعَمرى إن جِرذانَ أنطاكِيَة لَتُساجِلُ السنانيرَ فى الحربِ التى

(١) من ل وعيون الأخبار .

(٢) المئين : جمع مائة . فيما عدا ل : « المائتين » وفى عيون الأخبار : « مائتين » .

(٣) ط ، س : « وهى أسرع » . وفى ط : « إلى البر » هـ « إلى البو » س . « إلى البوا » صوابه فى ل .

(٤) كذا بالهمز . والوجه بالياء . وانظر ما سبق فى (٤ : ٤٣ ، ١٤٢) .

(٥) فيما عدا ل : « الرجل » .

(٦) فيما عدا ل : « حيث » .

(٧) ط ، هـ : « ورقة حسها » بالراء . والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٨) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « القول فى الفأر والجرذان والسنانير والعقارب قال » .

(٩) فيما عدا ل : « لا تقاومه » .

بينهما ، ومايقوم لها ولايقوى عليها[1] إلا الواحد بَعْدَ الواحدِ . وهى بخُراسانَ قويّةٌ جدًّا ، وربما قطعت أُذُنَ النائم[2] .

وفى الفأر ما إذا عضَّ قتل . أخبرنى أبو يونس الشريطى[3] أنه عاين ذلك .

وأنا رأيتُ سنَّوراً عندنا ساور[4] جُرذاً فى بيت الحطَب فأفلَتَ الجرَذُ منه وقد فقأ عينَ السنَّور .

(قتال الحيوان)

والقتالُ يكونُ بين الدِّيَكةِ[5] ، و[بين] الكباشِ والكلاب والسُّمَانَى[6] [والقَبَج] ، وضروبٍ مما يقبل التَّحريشَ ، ويواثبُ عند الإغراء .

(قتال الجرذان)

ويزعمون أنهم لم يرَوا قتالا قطُّ بينَ بهيمتين [ولا سبعين] أشدَّ من قتالٍ يكونُ بين جُرذين . فإذا ربط أحدُهما بطرَف خيطٍ ، وشُدَّ رِجْل

---

(١) فيما عدا ل : « وما تقوم لها » ط ، ه : « وما تقدر عليها » س : « ولا تقدر » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « الناس » .

(٣) فيما عدا ل : « أبوزيد يونس الشرطى » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) ل : « واثب » .

(٥) الديكة ، بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديك . فيما عدا ل : « الديك » تحريف .

(٦) السمانى ، بضم ففتح مع التخفيف ، قال الجوهرى : « ولا تقل سمانى بالتشديد » . وهو طائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهو من الطيور القواطع ، تأتى إلينا فى شهر سبتمبر ، وتعود فى مارس وإبريل . واسمه عند العامة فى مصر « سمان » بكسر السين وتشديد الميم . وهى « السلوى » التى نص عليها القرآن الكريم . وهو بالإنكليزية : Quail وباللاتينية : Quaquila . ط : « السنانير » صوابه فى سائر النسخ .

الآخر[١] بالطَّرَف الآخر [من الخيط] فلهما عند ذلك من الخَلب والخَمْش[٢] والعضِّ ، والتَّنْييب[٣] والعِفاس[٤] ، ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار[٥] والهراش . إلا أن ذلك ما داما فى الرِّباط ، فاذا انحلَّ أو انقطع[٦] ولَّى كلٌّ واحد منهما عن صاحبه ، وهربَ فى الأرض ، وأخذ فى خلاف جهته الآخر[٧] . وإن جُعِلا فى إناء من قوارير[٨] . أعنى الجُرذَ والعقرب ، وإنما ذكرتُ القوارير ، لأنها لا تستر عن أعين الناس صَنيعَهما[٩] ، ولا يستطيعان الخروجَ ؛ لمَلاسة الحيطان . فالفأرة عند ذلك تختِلُ العقربَ .

---

(١) كلمة « رجل » ساقطة من ل . وقد سبق فى (٢ : ١٦٤) : « حتى يشد رجل أحدهما فى طرف خيط » .

(٢) الخلب ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح . فيما عدا ل : « الجلب » بالجيم ، تصحيف والخمش ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح أيضا . فيما عدا ل : « الجمش » . وإنما الجمش المغازلة والملاعبة ، كالتجميش .

(٣) التنييب : إنشاب الأنياب . وفى حديث زيد بن ثابت : «أن ذئباً نيب فى شاة فذبحوها بمروة » . ط : « التشبث » س ، هـ : « التثبيت » صوابه فى ل .

(٤) العفاس ، بالعين بعدها فاء ، مصدر عافسه . وهو من العفس وهو أن يصرع الرجل الرجل . وقالوا : اعتفس القوم : اصطرعوا . ولم تنص المعاجم على عافسه عفاساً . فيما عدا ل : « الفقاس » . والذى فى المعاجم : تفاقسا بشعورهما ورؤوسهما : تجاذبا وكذلك تقافسا ، بتقديم القاف على الفاء . وفى ل : « العقاس » بعين بعدها قاف صوابه بالفاء كما أثبت .

(٥) العقار : مصدر كالمعاقرة . انظر اللسان (٦ : ٢٧٥ س ٢١) . ل : « العفار » لعلها « العفاس » التى فسرت فى التنبيه السابق ، أو لعلها مصدر لعافره . وهذا الفعل لم يذكر فى المعاجم . وفيها عفره : ضرب به الأرض .

(٦) ط ، هـ : « انحلا وانقطع » س : « انحلا وانقطعا » صوابه من ل . وفى (٢ : ١٦٤) : « فاذا انقطع الخيط وانحل العقد » .

(٧) فيما عدا ل : « فى الأرض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر » .

(٨) القوارير : جمع قارورة ، وهى ذاك الإناء الزجاجى . ل : « وإن جعل الفأرة والعقرب فى إناء من قوارير » . والجملة التى تليها ليست فى ل .

(٩) ل : « وإنما ذكرنا القوارير لأنه يستتر عن عيون الناس صنيعهما » .

فإن قبضَتْ على إبرتها قرَضَتها[١] ، وإن ضربتها العقربُ ضرباً كثيراً فاستنفَدَتْ سمّها[٢] كان [ذلك] من أسباب حتفها .

(قتال العقارب والجرذان)

٧٨ ودخلت مرةً أنا وحَمْدان [بن] الصباح[٣] على عبيد [بن] الشوُّنيزى[٤]، فإذا عنده بَرْنيّة زُجاج[٥]، فيها عشرون عقرباً وعشرون فأرةً[٦] ، فإذا هى تقتتل[٧]، فخيِّل لى أن تلك الفأرَ قد اعتراها ورمٌ من شدةِ وقْع اللسع . ورأيت العقاربَ قد كلَّتْ عنها وتاركتْها ، ولم أر إلا هذا المقدارَ الذى وصفت.

وحدثنا عنها عبيدٌ بأعاجيبَ . ولو كان عبيدٌ إسناداً[٨] لخبّرت عنه ، ولكنّ موضِعَ البياض من هذا الكتابِ خيرٌ من جميع ما كان لعبيد[٩] .

(تدبير الجرذ)

وللجُرذِ تدبير فى الشىء يأكلُه أو يَحسُوه ، فإنه ليأتى القارورةَ الضَّيِّقة

---

(١) قرضتها : قطعتها . فيما عدا ل : « قرصتها » بالصاد المهملة . تحريف .
(٢) سمها : « استنقذت » تصحيف. وفيما عدا ل : « منها » موضع : « سمها » . تحريف .
(٣) ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٠٥ : « حمدان بن صباح » .فيما عدا ل: « حمدان الصباح » .
(٤) الشونيزى : نسبة إلى الشونيزية ، بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة : موضع ببغداد بالجانب الشرقى .
(٥) البرنية ، بالفتح ، قال ابن منظور : « شبه فخارة ضخمة خضراء . وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه » .
(٦) فيما عدا ل : « فأرا » .
(٧) ل : « تقفشل » .
(٨) أى من يصح إسناد الخبر إليه . وفيما عدا ل : « أستاذا » .
(٩) ل : « ما كان نعته » .

الرأسِ ، فيحتال حتى يُدْخِلَ طرفَ ذنَبه فى عُنقها . فكلَّما ابتلَّ بالدُّهنِ أخرجه فلطَعَه ، ثم أعاده ، حتى لايدعَ فى القارُورة شيئاً .

ورأيتُ من الجرْذان أعجوبةً ، وذلك أن الصيادة لما سقطت عَلَى جُرَذٍ منها ضخمٍ ، اجتمعْن لإخراجه[1] وسلِّ عُنقِه من الصيَّادة ، فلما أعجزهنَّ ذلك قرضْنَ[2] الموضعَ المنضمَّ عليه من جميع الجوانب ، ليتسع الخَرقُ فيجذبْنه . فهجَمْتُ على نُحاتةٍ[3] لو[4] اعتمَدْتُ بسكين عَلَى ذلك الموضع لظننْت أنه لم يكن يمكننى إلا شبيهٌ بذلك[5] .

وزعم بعضُ الأطباء أن السنورَ إنما يدفِنُ خُرْأه ثم يعودُ إلى موضعه فيشتمّه[6] فإن كان يجدُ من ريحه بعدُ شيئا زاد عليه من التراب ، لأنَّ الفأرةَ لطيفةُ الحِسِّ ، جيِّدةُ الشمِّ ، فاذا وجدَتْ تلك الرائحة[7] عرفَتْها فأمعنَتْ فى الهربِ ، فلذلك يصنَع السنَّورُ ما يصنَع .

(فأرة سيل العرم)

ولا يشكّ الناسُ أن أرضَ سَبَإٍ[8] وجنّتَيها إنما خرِبتا حين دخلهما

---

(١) فيما عدا ل : « اجتمعت على إخراجه » .

(٢) فيما عدا ل : « فلما أعجزهم ذلك قرضوا » .

(٣) النحاتة ، بالضم : البراية . فيما عدا ل : « محالة » تحريف . وبعد هذه الكلمه فى ط : « حيث يدخل طرف ذنبه فيه » وهي جملة مقحمة . وهى أيضا فى س ، هـ ، وكلمة « حيث » فيهما « حتى » .

(٤) ط ، سه : « فلو » .

(٥) فيما عدا ل : « لا يمكن إلا سبيه بذلك » لكن فى س : « شبيه بذلك » . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « فيشمه » .

(٧) فيما عدا ل : « فإن وجدت تلك الريح » .

(٨) فيما عدا ل : « أرض بلد سبأ » .

سيلُ العرِم — والعِرم: المسنّاة[١] — وأن الذى فجّر المسنّاة ، وسبّب لدخول الماء [الفأرة] .

والسّيل[٢] إذا دخل أخْرَبَ بقدر قوّته . وقوّتُه من ثلاثة أوجه[٣] : إما أنْ تدفعه ريحٌ فى مكان يفْحُشُ فيه الريح[٤] ، وإما أن يكون وراءه وفوقَه ماءٌ كثير ، وإما أن يُصيب حَدُورًا عميقاً[٥] .

(حديث ثمامة عن الفأر)

وأما حديثُ ثمامةَ فإنه قال : لم أرَ قطُّ أعجبَ من قتال [الفأر] ، كنتُ فى الحبْس وحْدى ، وكان فى البيت الذى أنا فيه جُحرُ فأر ، يقابلُه جُحر آخر ، فكان الجرذ يخرُج من أحد الجُحْرين فيرقُص ويتوعّد ، ويضرب بذنبه[٦] ، ثم يرفع صدره[٧] ويهزُّ رأسه . فلا يزال كذلك [حتى يخرجَ الجرذُ الذى يقابله ، فيصنع كصنيعه . فبينما هما] إذ عدَا أحدُهما فدَخل جُحره[٨] ، ثم صنع الآخرُ مثلَ ذلك . فلم يزل ذلك دأبَهما[٩] فى الوعيد وفى الفِرار ، وفى التحاجُز وفى ترك التّلاق . إلا أنى فى كل مرةٍ أظنُّ

---

(١) العرم : سد يعترض به الوادى ، لا واحد لها من لفظها ، ويقال واحدها عرمة . وسميت المسناة مسناة ، لأن فيها مفاتح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ، مأخوذ من قولك سنيت الأمر والشيء : إذا فتحت وجهه .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وقوة الماء تكون من ثلاثة أوجه » .

(٤) ل : « تتخفق فيه الريح » بقافين .

(٥) الحدور كرسول : مكان ينحدر منه . وانظر ٣٩ س ٥ .

(٦) ط : « ويصوب » س ، هـ : « يصوت » صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ويرفع صدره » .

(٨) ط ، هـ : « إذا عد أحدهما دخل فى حجره » تحريف . والكلام من « إذ عدا » إلى « دأبهما » التالية ، ساقط من س . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٦٥) .

(٩) بدلها فى ط ، هـ « فلا يزال كذلك » .

الذى[١] يظهرُ لى من جدهما[٢] واجتهادهما ، وشدة توعّدِهما ، أنهما سيلتقيان بشىء[٣] أهونُه العضّ والخمْش ، ولاوالله إن التقَيا قطّ ؟ فعجبتُ من وعيدٍ دائمٍ لا إيقاعَ معه ، ومن فِرارٍ دائمٍ لاثباتَ معه ، ومن هرب[٤] لايمنعُ من العَودة ، ومن إقدامٍ لايوجبُ الالتقاء . [وكيف يتوعّدُ صاحبه ويتوعدُه الآخر ؟ و بأىّ شىء يتوعدُه ، وهما يعلمان أنهما لايلتقيان أبداً ؟ فإن كان قتالهما] ليس هو إلا الصَّخَب والتَّنْيِيب[٥] فلِمَ يفرّ[٦] كلّ واحدٍ منهما حتى يدخل جحره ؟ [وإن كان غير ذلك فأىّ شىء يمنعهما من الصَّدْمة ؟ وهذا أعجبُ] . ٧٩

(أطول الحيوان ذماء وأقصره)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شىء ذَماء[٧] » .

ولا أعلمُ فى الأرض شيئاً أقصرَ ذَماء ، ولا أضعفَ مُنّة[٨] ولا أجدرَ أن يقتُلَه اليسير[٩] من الفأر[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٢) ط : « حدها » س ، هـ : « أحدهما » صوابه فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « لشىء » باللام .

(٤) فيما عدا ل : « فرار » .

(٥) التنييب : العض بالأنياب . ط : « التشبث » ل : « السب » س ، هـ : « والتثبيت » صوابهما ما أثبت . وانظر ما سبق فى ٢٤٧ التنبيه ٣ .

(٦) ط فقط : « يعد » تحريف .

(٧) الذماء : بقية الروح

(٨) المنة : القوة ، وزنا ومعنى . فيما عدا ل : « ميتة » محرف .

(٩) ط ، س : « ولا أحذر » ط ، هـ « أن يقتل الصغير » س : « أن يقتله الصغير » صوابه فى ل .

(١٠) ط ، هـ : « الغار » بالغين ، صوابه فى ل ، س .

(لعب السنور بالفأر)

وبلغ من تحرُّزِهِ واحتياطه ، أنه يسكن السقوف[١] ، فربما فاجأه السِّنَّور وهو يريد أن يعبُر إلى بيته ، والسِّنَّور فى الأرض والفأرةُ فى السّقف ، ولو شاءت أن تدخل بيتها[٢] لم يكن للسِّنَّور[٣] عليها سبيل ، فتتحيَّر ، فيقول السِّنَّور بيده كالمشير بيساره[٤] : ارجِع . فإذا رجعت أشار بيمينه أن عُدْ[٥] فيعود . وإنما يطلب أن تَعيا أو تَزْلَق أو يُدَارَ بها[٦] . ولا يفعل ذلك بها ثلاثَ مرّات ، حتى تسقط إلى الأرض ، فيثبَ عليها . فإذا وثَبَ عليها لعِبَ بها ساعةً ثم أكلها . وربما خلَّى سبيلها ، وأظهر التغافل عنها[٧] فتمعِن فى الهرَب ، فاذا ظنّتْ أنها نجتْ وثَبَ عليها وثْبة فأخذها . فلا يزال كذلك كالذى يحبُّ أن يسخَرَ من صاحبه[٨] ، وأن يخدعه ، وأن يأخُذَهُ أقوى ما يكون[٩] طمعاً فى السّلامة ، وأن يُورِثَه الحسرَةَ والأسَفَ ، وأن يلذَّ بتنغيصه وتعذيبه .

وقد يفعل مثلَ ذلك العقابُ بالأرنب ، ويفعل مثل ذلك السّنّورُ بالعقرب[١٠] .

---

(١) فيما عدا ل : « وبلغ من تحرُزه واحتياطه أن يسكن السقف » .
(٢) ط ، هـ : « مبيتها » .
(٣) ل : « للفأر » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « ليساره » محرف .
(٥) ل : « أى عد » .
(٦) يدار بها : يصيبها الدوار ، وهو شبه الدوران يأخذ فى الرأس . فيما عدا ل : « يداريها » تحريف . وفى ط ، هـ : « وتزلق » بالواو . وفى سو : « أن يعيا أو يزلق » وهذه محرفة .
(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط فقط .
(٨) فيما عدا ل : « بصاحبه » . يقال سخر منه وبه : هزئ . والأولى لغة الكتاب .
(٩) فيما عدا ل : « ما كان » .
(١٠) فيما عدا ل : « فى العقرب » وكلمة : « مثل ذلك » مؤخرة بعد : « العقاب » وبعد « السنور » فيما عدا ل .

(أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع)

وقال أبو زيد : دخلتُ على رُؤْبةَ فاذا هو يَملُّ جرذاناً[١] ، فإذا نضجت أخرجَها من الجمْر[٢] فأكلها ، فقلت له : أتأكل الجرذان ؟ ! قال هى خيرٌ من اليرابيع والضِّباب . إنها عندكم تأكل التَّمْر والجُبْن[٣] والسويق [والخبز ، وتحسُو الزّيتَ والسمن] .

و [قد] كان ناسٌ من أهل سِيف البحر[٤] من شِقِّ فارس[٥] يأكلون الفأر والضفادع ، ممقورةً ومملوحة[٦] ، وكانوا يسمونها : جَنْك جَنْك[٧] ووَال وَال[٨] .

وقال أوسُ بنُ حجَر[٩] :

---

(١) يملها : يشويها فى الملة ، بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر . مله يمله ملا فى الرماد الحار وفى الجمر .

(٣) فيما عدا ل : « والخبزة » . وانظر التكلة التالية من ل . وقد سبق هذا الخبر فى (٤ : ٤٤) .

(٤) السيف ، بالكسر : الشاطئ . س : « سيف البحرين » .

(٥) فيما عدا ل : « عمان » .

(٦) ممقورة : مملوحة قد مقرت فى الخل أى نقعت . والمقر : إنقاع السمك المالح فى الماء . وفيما عدا ل : « ومملحة » . ملح الشىء ، بالتخفيف : وضعه فى الملح . وملحه بالتضعيف : كثر ملحه .

(٧) هى بالكتابة الفارسية : « گنگ » ومعناها : جميل ، مليح . انظر استينجاس ١١٠٠ . فيما عدا ل : « حية حية » تحريف .

(٨) وال ، بالفارسية ، بمعنى سمك كبير . استينجاس ١٤٥٣ . فيما عدا ل : « وأل وأل » تحريف .

(٩) من قصيدة له فى ديوانه ، أولها :

تنكرت منا بعد معرفة لمى ... وبعد التصابى والشباب المكرم

لمى : أى يا لميس ، فرخم . وقبل البيت الآتى :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة ... معضلة منا بجمع عرمرم

صبحن بنى عبس وأفناء عامر ... بصادقة جود من الماء والدم

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة ... وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لحِيَتُهُمْ لحىَ العصا فطَرِدْنَهم إلى سَنَة جرذانها لم تَحَلَّمِ[1]

يقال : تَحلَّمَ الصبى : إذا بدأ فى السِّمَن ؛ فإذا زاد عَلَى المقدار قيل قد ضَبَّبَ[2] ، [أى سَمِنَ سِمَنًا متناهيا] .

(مثل وشعر فى الجرذ)

ويقال : « أسْرق من زَبَابَة[3] » . والزَّبابة : الفأرة[4] . ويقال : « أسْرَق من جُرَذ » .

---

(١) يقال : لحا العود يلحاه لحيا ، إذا قشره ، ومثله : لحاه يلحوه . وفى الأصل : « لحيتهم » صوابه فى الديوان والمخصص (١ : ٣٢ ، ٢ ، ٧٨) ، وشرح الأنبارى للمفضليات ص ٥٠ ولسان العرب (١٥ : ٣٧ ، ٢٠ ، : ١٠٨) . ويروى : « لحونهم » . و « فطردنهم » هى فى الأصل بالتاء ، صوابها فى المصادر السابقة . ويقال : تحلم الصبى والضب واليربوع والقراد : أقبل شحمه واكتنز . ويروى : « قردانها » جمع قراد . قال الأنباري : « وإنما خص الجرذان لأنها تدخر لأنفسها ما تأكل . ولا يفعل ذلك شىء من الدواب إلا الجرذان واليرابيع والنمل ، فلذلك خصها . يصف جدبا فيقول : إذا لم تحلم الجرذان التى تدخر لأنفسها — اى لم تسمن — فغيرها هالك » .

(٢) فيما عدا ل : « فاذا زاد على ذلك قيل قد صب » تحريف .

(٣) الزبابة ، بفتح الزاى وباءين موحدتين بينهما ألف ، تحدث عنها الجاحظ فى (٤ : ٤٠٩) وهى دابة تشبه الفأرة . وانظر (١ : ٢٦٨ و٣ : ٥١٠) . واسمه عند العلماء الأوربيين Crocidura وبالإنكليزية Shrew . والمثل عند الميدانى (١ : ٣٢٢) . ط ، هـ : « زبابة » فى هذا الموضع والذى يليه ، وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ، س .

(٤) كذا . والصواب أنه ضرب من آكلة الحشرات . وأما الفأر فهو من القوارض . وبينهما تقارب فى الشكل فحسب . انظر معجم المعلوف ص ٢٢٧ .

وقال أنسُ بن أبي إياس(١) لحارثة [بن] بدرٍ(٢) حينَ وليَ أرض سُرَّق(٣) :

أَحارِ بن بَدْرٍ قد وليتَ ولايةً فكنْ جُرَذاً فيها تخونُ وتَسْرِقُ(٤)
وباهِ تميماً بالغنى إنّ لِلغِنَى لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ ينطِقُ
فإنّ جميعَ الناسِ إمّا مكذِّبٌ يقول بما تهوى وإما مصدِّقُ(٥)
يقولون أقوالاً ولا يعلمُونَها وإن قيلَ هاتوا حقّقوا لم يحققوا ٠
فلا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً أصبتَه فحظُّكَ من مُلك العراقين سُرّقُ(٦)

فلما بلغَتْ حارثةَ بنَ بدر قال : لا يعمَى عليك الرُّشْد(٧) .

---

(١) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى بن الديل بن بكر بن كنانة . وقال صاحب المؤتلف ٥٥ : « شاعر مشهور حاذق » . وأبو إياس كنية أبيه . وعند الآمدى : « ابن أبي أناس » . وفى أمالى المرتضى (٢ : ٥٠) : « أنس ابن أبي أنيس ، ويقال ابن أبي إياس الدئل » . وانظر سبب النزاع بينه وبين حارثة فى الأغاني (٢١ : ١٥) :

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٣) سرق ، بضم أوله ، وفتح ثانيه وتشديده ، وآخره قاف : إحدى كور الأهواز .

(٤) ل : « وليت إمارة » .

(٥) هـ وكذلك فى (٣ : ١١٦) : « بما يهوي » . والبيت ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « شيئاً وليته » و : « من أرض العراقين » . والأبيات فى العقد (٢ : ٥٥) وزهر الآداب (٤ : ٥٨) ومعجم البلدان (سرق) والأغاني (٢١ : ٢٣) منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلى . وهى في أمالى المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) منسوبة إلى أنس . قال المرتضى أيضاً : « وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدئلي » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٨٣) .

(٧) فيما عدا ل : « لا يخفى » . وما أثبت من ل يوافق ما فى عيون الأخبار . وجاء فى رثاء جارية لمن تهواه (انظر العقد ٢ : ١٧٩) :

يا ساكن القبر الذى بوفاته عميت على مسالك الرشد

(طلب كثرة الجرذان)

قال : ووقفت عجوزٌ عَلَى قيس بن سعد[١] ، فقالت : أشكو إليك قِلّةَ الجُرذان . قال : ما ألطفَ ما سألتِ ! [لأملأنّ بيتك جُرذاناً] . تذكر أنّ بيتَها قَفْرٌ من الأُدَم والمأدوم[٢] ، فأكثِرْ لها يا غلامُ من ذلك .

قال : وسمعت قاصًّا مدينيًّا[٣] يقول في دعائه : اللهمّ أكثِرْ جُرذاننا وأقِلّ صِبيانَنا[٤] .

(فزع بعض الناس من الفأر)

وبين الفأرِ وبينَ طباعِ كثير من الناس منافرةٌ ، حتى إنّ بعضهم لو وطئَ عَلَى ثعبان ، أو رُمِيَ بثُعبان – لكان الذى يدخله من المكروه والوَحْشَةِ والفزَع ، أيسرَ مما يدخُله من الفأرة لو رُمِيَ بها ، أو وطئَ عليها .

وخبرنى رجالٌ من آل زائدة بن مقسم ، أن سليمان الأزرق دُعِيَ

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان سخياً كريماً داهية . وانظر البيان (٣ : ٢٥٦) . وقد خدم الرسول الكريم عشر سنين ، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . ويروى عنه أنه قال : « لولا الإسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب . وكان على قد ولاه مصر ، فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع ، فاحتال على أصحاب علىّ حتى حسنوا له تولية محمد بن أبى بكر ، فولاه مصر ، وارتحل قيس فشهد مع على صفين . ومات فى آخر خلافة معاوية . انظر الإصابة ٧١٧٦ .

(٢) الأدم ، بالضم : ما يؤكل مع الخبز . والمأدوم : الخبز يخلط بالأدم . وأنشد ابن برى :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

(٣) المدينى : نسبة إلى مدينة الرسول . فيما عدا ل : « مدنياً » . وانظر كلام ياقوت فى هذه النسبة .

(٤) فى عيون الأخبار (٣ : ١٢٩) : « اللهم أقل صبياننا وأكثر جرذاننا » .

لحيّة شَنْعَاء[١] قد صارت فى دارهم ، فدخلَتْ فى جُحر ، وأنه اغتصبها نفسها حتى قبضَ على ما ألفى منها[٢] ، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَع بالمِخْراق[٣] ، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها[٤] ، فابتَدَرَتْ[٥] من حلْقها فأرة كانت ازدَرَدَتها . فلما رأى الفأرةَ هرَب وصرخ صرخة . قالوا : فأخذ مشايخنا الغِلمانَ بإخراج الفأرةِ وتلك الحيّة الشنعاء إلى مجلس الحى[٦] ليعجِّبوهم من إنسانٍ قتَلَ هذه وفرّ من هذه .

(علة نتن الحيات)

وسألتُ بعضَ الحوّائينَ ممن يأكلُ الأفاعىَ فما دونها[٧] ، فقلت : ما بالُ الحيات مُنتنةَ الجلود والجُروم[٨] ؟ قال : أما الأفاعى فإنها ليست بمنتنة[٩] ، لأنها لا تأكل الفأر[١٠] ، وأما الحيَّات عامة فانها تطلبُ الفأرَ طلباً شديدًا . وربما رأيتُ الحيَّةَ وما يكونُ غلظها إلا مثل [غلظ] إبهام

---

(١) ط ، ه : « دعا بحية شنماء » س : « دعى بحية شنعاء » صوابهما فى ل .
(٢) ألفى : وجد . فيما عدا ل : « ما بقى منها » .
(٣) المخراق : منديل أو نحوه يلوي فيضرب به ، أو يلف فيفزع به ، وهو لعبة يلعب به الصبيان . ط ، س : « بالمجداف » والمجداف : مجداف السفينة تدفع به ، وهو أيضاً « السوط » لغة نجرانية ، عن الأصمعى . قال المثقب العبدى :
تكاد إن حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد
فما فيهما له وجه . ه : « بالمحداف » تصحيف .
(٤) فيما عدا ل : « ليضرب بها » .
(٥) ابتدرت : أسرعت . ابتدر الشىء : عاجله .
(٦) فيما عدا ل : « القوم » .
(٧) ط : « مما دونها » صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل زيادة : « حية ونية » بعد كلمة « الأفاعى » .
(٨) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد . ط ، ه : « الجنوم » بالذال . س : « الحدوم » تصحيفان .
(٩) ط ، ه : « منتنة » بدون باء .
(١٠) الفأر : جمع فأرة . فيما عدا ل : « الفأرة » .

الكبير[١] ، ثم أجدُها قد ابتلعت الجرذَ أغلظَ من الذراع . فأنكرَ[٢] نتنَ الحيّات إلا من هذا الوجه . ولم أرَ الذى قال قولا .

(رجز فى الفأر)

ودخل أعرابيٌّ بعضَ الأمصار[٣] ، فلقِيَ من الجرذان جَهدًا ، فرجز بها[٤] ودعا عليها ، فقال :

يُعجِّلُ الرحمنُ بالعقاب[٥] ... لعامراتِ البيت بالخراب[٦]

حتى يُعجِّلنَ إلى الثياب[٧] ... كُحْلَ العيونِ وقصَ الرقاب[٨]

مُستتبعاتٍ خلفَةَ الأذنابِ[٩] ... مثل مَدَارَى الحُصُن السُّلاَّب[١٠]

---

(١) أى إبهام الرجل الكبير . ط : « الإبهام الكبير » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنكر » :

(٣) ط ، سه « مثل قول أعرابى ودخل بعض الأمصار » . هو : « من قول أعرابى بعض الأمصار » وأثبت ما فى ل . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥١) : « دخل أعرابى البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر » .

(٤) رجز بها : أى قال فيها رجزاً . فيما عدا ل : « فوجد بها » وليست تصح ، فإنهم يقولون : إنه ليجد بفلانة وجداً شديداً إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً ، ويقولون فى الغضب وجد عليه يجد .

(٥) الرواية فى (٤ : ٢٧٤) : « يا عجل الرحمن » . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : «عجل رب الناس » . وفى ل : « لم يعجل » وهذه محرفة .

(٦) فى ص ٣٤ من هذا الجزء . وكذا فى (٤ : ٢٧٤) : يقول : « هذا هو عمارتها » .

(٧) ل : « حتى تعجلن » . وفى نهاية الأرب : « إلى التباب » . والتباب : الهلاك .

(٨) كحل : جمع كحلاء ، وهى الشديدة سواد العين ، أو التى كأنها مكحولة . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق ، وضم القاف للشعر ، ط : « قصر » . هو : « وقصر » صوابه فى ل ، سه وديوان المعانى ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

(٩) الخلفة : ما يكسر : ما يخلف الشىء . سه : « مستبقات خلقة » محرف . ل : « خلفها » صوابه فى ط ، سه . وفى ديوان المعانى : « مجردات أحبل الأذناب » ونهاية الأرب : « مجررات أفضل الأذناب » .

(١٠) المدارى : جمع مدرى ، وهو المشط ، كالمدراة ، والمدرية بفتح الميم وتخفيف الياء جمعه مدار ومدارى كصحارى . والحصن : جمع حصان ، كسحاب ، وهى المرأة العفيفة . ل : « الحضن » بالمعجمة ، ولا وجه له . ورواية العسكرى والنويرى : « مثل مدارى الطفلة الكعاب » .

ثم دعا عليهنّ بالسّنَّور فقال :

أهْوَى لهن أنمَرُ الإهابِ[١] منهرِتُ الشِّدْقِ حديدُ النَّابِ[٢]

كأنما بُرْثِنَ بالحِرَابِ[٣]

٨١

(التشبيه بالجرذان)

وتُوصَف عضلُ الحفَّار والماتح[٤] [و] الذى يعمَل فى المعادن ، فتُشَبَّهُ[٥] بالجِرْذان ، إذا تَفلَّقَ لحمه عن صلابة[٦] ، وصار زِيَماً[٧] . قال الرّاجز :

أعدَدتُ للوردِ ، إذا الوِرْدُ حَفَزْ[٨] غَرْباً جَرُورًا وَجُلالا خُزَخِزْ[٩]

---

(١) الإهاب ، بالكسر : الجلد . والأنمر : ما على شيه النمر ، فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . سه : « نمر » محرفة . وعند النويرى والعسكري : « كيف لها بأنمر وثاب » .

(٢) منهرت الشدق : واسعه . والحديد : الحاد .

(٣) برثن ، أراد جعلت له براثن ، وهى أظفار المخالب ، يقول : كأن براثنه الأشافى . ولم أجد هذا الفعل فى المعاجم . وفى ديوان المعاني ونهاية الأرب : « كأنما يكشر عن حراب » أى يبدى عن أنياب مثل الحراب .

(٤) الماتح : الذى ينزع الماء من البئر . والعضل : جمع عضلة ، وهى كل عصبة معها لحم غليظ . فيما عدا ل : « ويوصف عضو » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « فيشبه » .

(٦) ضمير « لحمه » للحفار وما بعده . فيما عدا ل : « إذا انفلق » .

(٧) زيما ، بكسر الزاى وفتح الياء : متفرقا ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « فصار ريما » تحريف .

(٨) الحفز : الحث والإعجال . ه : « جفز » تصحيف .

(٩) الغرب : الدلو العظيمة . والجرور من الجر ، عنى أنها طويلة الرشاء لبعد المستقى . س : « حزوراً » تصحيف . والجلال ، كغراب : الجليل العظيم ، عني به البعير . والخزخز ، بضم ففتح فكسر : القوى الشديد . ه : « وجلالبا جرز » س : « وحلاليا جرز » صوابه فى ل ، ط واللسان (٧ : ٢٦٢).

ومائِحاً لاينْثنى إذا احتَجَزْ[١] كأنَّ جوفَ جلدِه إذا احتَفَزْ[٢]

في كلِّ عُضوٍ جُرَذَيْنِ أو خُزَزْ[٣]

والخُزَز : ذكر [الأرانب و] اليرابيع .

(أنواع الفأر)

والزَّبابُ ، والخُلْد[٤] ، واليرابيع ، [والجرذان ، كله فأر . ويقال لولد اليرابيع دِرص وأدراص . والخلْد أعمى . لايزال كذلك . والزّبابُ] أصمُّ . لايزالُ كذلك . وأنشد[٥] :

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لاتسمعُ الآذانُ رَعْدا

هكذا أنشدونا[٦] .

(شعر وخبر في الفأْر)

وأنشد الأصمعي لمزرِّد بن ضِرار[٧] ، في تشبيه الجرع في حُلوق الإبل

---

(١) المائح : الذي يجذب رشاء الدلو من أعلي البئر . احتجز : شد إزاره على حجزته . والحجزة : معقد الإزار .

(٢) احتفز : احتث واجتهد . فيما عدا ل : « احتجز » تحريف .

(٣) جرذان : مثنى جرذ . فيما عدا ل : « جرذان » ، وأثبت ما في ل . وهو اسم « كأن » مؤخر ، وخبرها المقدم « جوف » الواقعة ظرفا . هـ : « أو حرز » تصحيف .

(٤) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وبلغة العلماء الأوربيين : Spalax typhlus وبالإنجليزية Blind rat أو : Moïe rat ليس له أذنان ولا عينان في الظاهر . ومنه نوع مصري يسمونه : « أبو أعمى » وأكثر وجوده في الجهات الشمالية في نواحي مريوط . انظر المعلوف .

(٥) البيت للحارث بن حلزة اليشكري ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) واللسان (زبب) والأغاني (٩ : ١٧٤) في أبيات للحارث ؛ وحماسة البحتري ٢٤٥ والميداني (١ : ٣٢٢) في مثل : « أسرق من زبابة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤١٠) والفصول للمعري ١٥ وأدب الكاتب ١٥٣ والاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

(٧) مزرد بن ضرار ، سبقت ترجمته في ٦٣ . ط : « لمزرد بن بدر ضرار » بإقحام كلمة « بدر » . هـ : « لمزرد بن بدر» بإقحام « بدر » وبإسقاط « ضرار » . والوجه ما أثبت من ل ، س .

بُجْمان الزِّباب[١] — وهو الشكل الذى وصفناه — فقال فى وصف ضيف[٢] له سقاهُ ، فوصف جرْعه :

فقلتُ له اشْرَبْ لو وجدْتَ بهازِرًا ... طِوالَ الذُّرى من مُفرِهاتٍ خناجِرِ[٣]

ولكنّما صادفتَ ذَوْدًا مَنيحة ... لِمِثْلِكَ يأتى للقِرَى غيرَ عاذِرِ[٤]

فأهْوَى له الكفّينِ وامتدَّ حلقُه ... بجَرْعٍ كأثْباجِ الزِّبابِ الزَّنابِرِ[٥]

وقال أعرابىٌّ وهو يطنُز بغريم[٦] [له] ، ويذكر قرْض الفأر

---

(١) الحلوق : جمع حلق . والجثمان : الجسم . فيما عدا ل : « فى خلق الإبل » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وصيف » تحريف .

(٣) البهازر : بتقديم الزاى على الراء : جمع بهرزة ، بضم الباء والزاى ، وهى الناقة الجسيمة الضخمة الصفية . ط ، هـ : « بهارزا » : ، ل س : « بهادرا » وهما تصحيف ما أثبت . والذرى : أعالى أسنمة الإبل . والمفرهات : التي تنتج الفره . والفره : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى . يقال أفرهت الناقة ، فهى مفره ومفرهة . والخناجر : جمع خنجر وخنجرة ، بفتح الخاء ، وهى الناقة الغزيرة . فيما عدا ل : « من مرهفات الخناجر » تحريف .

(٤) الذود ، بالفتح : الجماعة من الإبل . فيما عدا ل : « دور » تحريف . والمنيحة : منحة اللبن ، الناقة أو الشاة ، تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك . ل : « تأتى » . فيما عدا ل : « غادر » .

(٥) أثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو معظم كل شيء ، ووسطه ، وأعلاه . وثبج الظهر : معظمه ، وما فيه مجانى الضلوع . والزباب ، بالفتح ، سبق الحديث عنه فى ٢٦٠ . والزنابر : جمع زنبور ، وهو الفأر العظيم . وأنشد صاحب اللسان (٥ : ٤٢٠) بيتاً لجيهاء شبيها بهذا . وهو :

فأقنع كفيه وأجنح صدره ... بجزع كأثباج الزباب الزنابر

وفى أصل اللسان : « كانتاج » محرف . فيما عدا ل : « فأهوى له » . س : « بجرح » هـ : « كأزباح » ط : « الرباب » ط ، هـ : « الدفائر » . والكلمات الأربع الأخيرة محرفة .

(٦) الطنز : السخرية ، طنز به يطنز ، كيكتب ، فهو طناز . قال الجوهرى : أظنه مولدا أو معرباً . فيما عدا ل : « يمكر بقوم » تحريف .

الصَّــكاك، عند فراره منه : «الزم الصَّكَّ لايقرِضه الفأر[١] !» تهزُّؤا به[٢] :

أهوِنْ عَلَيَّ بسيَّار وصَفْوَتِهِ ... إذا جعلتُ ضِرَارًا دُونَ سيّارِ[٣]

التَّابِعِي ناشرًا عندى صَحِيفَتَه ... فى السوق بينَ قطينٍ غيرِ أبْرَارِ[٤]

جاءوا إلىَّ غِضَاباً يَلغطون معاً ... يَشْفِى إرَاتِهِمُ أنْ غابَ أنصارِى[٥]

لَمَّا أبَوْا جَهْرَةً إلا مُلازَمَتِى ... أجمَعْتُ مكرًا بهمْ في غيرِ إنكارِ

وقلتُ إنى سيأتينى غدًا جَلَبِي ... وإنَّ موعدكم دارُ ابنِ هَبَّارِ[٦]

---

(١) هذه ترجمة ترجم بها الجاحظ ما سيأتى فى البيت الثامن ، من القصيدة التالية . وصاحب الشعر الآتى الذى عبر عنه الجاحظ بكلمة « أعرابى » هو صخر بن الجعد الخضرى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٣٨) . وكان من خبره فى هذا الشعر ما روى أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ٦٨) ، قال : « قدم صخر بن الجعد الخضرى المدينة ، فأتى تاجرا من تجارها ، يقال له سيار ، فابتاع منه بزا وعطرا ، وقال : تأتينا غدوة فأقضيك ! وركب — أى صخر — من تحت ليلته فخرج إلى البادية . فلما أصبح سيار سأل عنه ، فعرف خبره ، فركب في جماعة من أصحابه فى طلبه ، حتى أتوا بئر مطلب ، وهى على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحر ، فنزلوا عليها فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابهم وسقوها . حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين ! ! وبلغ الخبر صخر بن الجعد ، فقال ... » وأنشد الشعر .

(٢) التهزؤ : السخرية ، يقال هزئ به ، وهزأ ، وتهزأ ، واستهزأ . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٣) الصفوة : خالص الأصدقاء . ل : « وصغوته » والمعروف « الصاغية » وهم الذين يميلون مع المرء فى حوائجهم . هـ : « وضغونة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « البائعى » تحريف . والقطين : الأتباع . س : « غير أبزاز » تحريف .

(٥) يلغطون : من اللغط ، وهو الجلبة . فيما عدا ل : « عطافا يلفظون بها » صوابه فى ل وعيون الأخبار (١ : ٢٥٤) . والإرات : جمع إرة بكسر ففتح ، وهى النار . وفى الأصل : « تشف آذانهم » . وفي عيون الأخبار : « يشفى أذاتهم » . وصوابهما ما أثبت يقول : قد شفى غليلهم غيبة أنصارى عنى . ط : « إذ غاب » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار .

(٦) الجلب : ما يجلب . فيما عدا ل : « أن بحساس » س : « عدا خلى » وفيما عدا ل : « موردكم » هـ : « دارين هبار » صوابه ما أثبت من ل وعيون الأخبار .

وما أُواعِدُهُمْ إلا لِأَرْبُثَهُمْ . عنى فيخرِجُنى نقضى و إمرارى(١)

وما جَلَبْتُ إليهم غير راحلة تخْدِى بِرَحْلِي وسَيفٍ جَفْنُهُ عارى(٢)

إنَّ القضاء سيأتى دونه زَمَنٌ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظهاَ مِنَ الفَارِ

[وصَفقةٍ لايقال الرِّبحَ تاجرُها وقَعتُ فيها وقوع الكلبِ فى النار(٣)]

والعربُ تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيِّقَ الفمِ ، أو كان دقيقَ الحطم ، ٨٢
[يشبِّهون ذلك بفمِ الفأرة] . وقال عَبْدَة بن الطبيب(٤) :

ما معَ أنكَ يومَ الوِرْدِ ذُو لَغَطٍ ضَخْمُ الجُزَارَةِ بالسَّلْمَيْنِ وَكَّارُ(٥)

---

(١) الربث : حبسك الإنسان عن حاجته وأمره بعلل ، ربثه عن أمره وحاجته يربثه بالضم ربثاً . سه : « لأزبنهم » والزبن : الدفع . وفى الأغاني : « وما أربت لهم إلا لأدفعهم » . ط : « لأتبثهم » هـ : « لأوبثهم » وهذان محرفان . والنقض : نقض الفتل . والإمرار : إجادة فتل الحبل . يقول : إنه يخدعهم باللين تارة ، وبالشدة تارة أخرى . فيما عدا ل : « وإبرارى » . صوابه فى ل وعيون الأخبار والأغانى .

(٢) تخدى : تسرع . فيما عدا ل : « تخدى برحل » تحريف صوابه فى ل وعيون الأخبار . وفى الأغاني : « وغير رحل » .

(٣) أقلته البيع إقالة : فسخته . وهذا البيت لم يرو فى غير ل من جميع المصادر .

(٤) هو عبدة بن الطبيب ، واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبدنهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن . انظر المفضليات (١ : ١٣٢ طبع المعارف) . وعبدة ، بسكون الباء . انظر الحيوان (١ ٤٢٠ س ١١) . وهو يهجو بهذا الشعر « حي بن هزال وبنيه » كما فى البيان (١ : ٩٥) .

(٥) ما فى أول البيت زائدة . وزيادتها في أول الكلام نحو زيادة « لا » في قول الله « لا أقسم بيوم القيامة » عند من رأى ذلك . انظر أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٧٠ ، ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢٢) . فيما عدا ل : « يا دمع » صوابه فى ل وأمالى ابن الشجرى ونوادر أبي زيد ٤٧ . واللغط : الجلبة . ورواية أبي زيد : « ذو جرز » بتقديم الراء والجرز : القوة . والجزارة ، بالضم ، قال أبو زيد : القوائم ، يعنى بها يديه ورجليه . والسلم بالفتح : الدلو . والوكار : من وكر الدلو والسقاء والقربة والمكيال وكراً : ملأه . والوكار أيضاً : العداء . ومنه ناقة وكرى : إذا كانت شديدة العدو . فيما عدا ل : « جرار » .

تَكْفِى الوليدةَ فى النادىِّ مؤتَزِرًا ... فاحلبْ فإنك حَلَّابٌ وصَرَّارُ[١]

ما كنتَ أولَ ضَبٍّ صابَ تَلْعَتَهُ ... غيثٌ فأمرَعَ واسترْختْ به الدارُ[٢]

أنتَ الذى لانُرَجِّى نَيْلَهُ أبدًا ... جلدُ النَّدَى، وغداةَ الرَّوعِ خوَّارُ[٣]

تدعو بُنَيَّيْكَ عَبَّادًا وحِذْيَمَةً ... فا فأرةٍ شَجَّهَا فى الجُحْرِ مِحْفَارُ[٤]

(شعر أبى الشمقمق فى الفأر والسنور)

وقال أبو الشَّمَقْمَق[٥] فى الفأر والسِّنَّور :

ولقد قلتُ حينَ أقفرَ بيتى ... من جرابِ الدَّقيقِ والفَخَّارَه

ولقد كان آهِلاً غيرَ قَفْر ... مُخْصِباً خَيْرُه كثيرَ العِمارَه

فأرى الفأرَ قدْ تجنَّبْنَ بيْتى ... عائذاتٍ منهُ بدارِ الإمارَه[٦]

ودَعَا بالرَّحيلِ ذِبَّانُ بيتى ... بينَ مَقْصُوصَةٍ إلى طيَّاره

وأقامَ السِّنَّوْرُ فى البيت حَوْلا ... ما يَرى فى جوانبِ البَيْت فارَه

يُنْغِضُ الرَّأسَ منهُ من شدَّةِ الجُو ... عِ وعيش فيــه أذًى ومَرَارَه[٧]

(١) أي يكفى الجارية مؤنة الحلب . ط ﻫ : « تلقى » صوابه فى ل ، س . والنادى : مجتمع القوم ، وهو بالتخفيف . وقد شدده كما ترى . أو لعلها محرفة عن كلمة أخرى . والصرار : الذى يصر الضرع ويشده بالصرار لئلا يرضعها ولدها أو يحتلبها حالب ، وذلك أجمع للبنها .

(٢) التلعة ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض . وصابها الغيث : أمطرها . فيما عدا ل : « صب » بالمهملة . و : « استوحت » محرفان . وفى النوادر : « واستخلت له » .

(٣) الخوار : الضعيف لا بقاء له على الشدة . فيما عدا ل : « يرجى » بالياء ، و « فرار » .

(٤) بنييك : مثنى بنى ، وهو تصغير ابن . ل : « ابنتيك » ط ، سه والبيان : « بنيك » وأثبت الصواب من ﻫ . سه : « عباد وحديمة » ﻫ : « وجذيمة » تحريف . وفيما عدا ل : « يا فأرة » . شجها أى شج الفأرة . شج رأسه يشجه : كسره . والمحفار والمحفر والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

(٥) سبقت ترجمته فى : (١ : ٢٢٥) .

(٦) فيما عدا ل : « قد تجنب » .

(٧) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل . وفى الأصل : « ينفض » تحريف ، وانظر التنبيه الثامن في ص ٢٦٦ .

قلتُ لمّا رأيتُه ناكِسَ الرَّأْ سِ كئيباً ، فى الجوف منه حَرارهْ
وَيْكَ صَبْرًا فأنتَ من خير سنٍّ وَزرأْتهُ عيناىَ قطُّ بحاره[1]
قال : لاصبر لى ، وكيفَ مُقامى بِبيوتٍ قَفْر كَجَوْفِ الحماره[2]
قلتُ : سِرْ راشدًا إلى بيت جارٍ مُخصِبٍ رَحْلُه عظيمِ التِّجاره[3]
وإذا العنكبوتُ تَغزِلُ فى دَنٍّ وَحُبٍّ والكوزِ والقَرْقارَه[4]

---

(١) ويك : كلمة مثل ويب وويح ، والكاف للخطاب . مركبة من (وي) التى تدل على التعجب والكاف . أو هى ويل لك ، خففت بحذف اللامين . انظر اللسان (وى ، وا) . وبدلها فى ل : « قلت » . والحارة : كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة . كذا فى اللسان والقاموس . وفى شفاء الغليل ٧٥ : « قال الأزهرى : كل محلة دنت منازلها فهى حارة » وفيه ص ٧٠ : « هى المحلة، لأن أهلها يحورون إليها أى يرجعون » . وفى ل : « لجارة » وفى س : « بخارة » وهذه مصحفة .

(٢) جوف الحمار ، مثل فى الخلاء . ومنه قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر » وذلك أنه إذا صيد لم ينتفع بشىء مما فى جوفه ، بل يرمى به ولا يؤكل . وانظر الميدانى : (أخلى من جوف حمار) وثمار القلوب ٦٥ وشروح المعلقات . ل ، سه : « كجوف المنارة » . والمنارة : التى يؤذن عليها ، وهى المئذنة . اللسان (٧ : ١٠٠ س ٨) . وفى ط : « وسط بيت قفر » سه : « بمبيت » هـ : « ببيت » والأخيرة محرفة .

(٣) ط ، هـ : « إلى بيت خان » سه : « خاق » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « كثير التجارة » .

(٤) الدن : الراقود العظيم ، وهو كهيئة الحب ، إلا أنه أطول ، مستوى الصنعة ، فى أسفله كهيئة قونس البيضة . والحب ، بالضم : الجرة الضخمة . قال ابن دريد هو فارسى معرب . قال : وقال أبو حاتم : أصله خنب ، فعرب . وفى المعرب ١٢٠ أنه فارسى معرب مولد أصله « خنب » فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا : « حب » . وفى معجم استينجاس ٤٧٦ عند تفسير « خنب » إنه وعاء من الفخار يجعل فيه الخمر أو الماء : « An earthen vessel for holding wine or water » والقرقارة ، بالفتح : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفى القاموس : « القرقار » بطرح التاء . فيما عدا ل : « يغزل » . والعنكبوت مؤنث ، وقد يذكرها بعض العرب كقوله :

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها

وقد حملوه على الشعر ، كقول أبى النجم :

مما يسدى العنكبوت إذ خلا

انظر اللسان (٢ : ١٢٣) . وفيما عدا ل أيضا : « وحتى فى الكوز » تحريف .

وأصابَ الُجحامُ كلبى فأضحى ‏ بين كلبٍ وكلْبَةٍ عيَّاره[١]

وقال أيضاً :

ولقد قلتُ حين أجْحَرنى البر ‏ دُ كما تُجْحِرُ الكلابُ ثُعَالَه[٢]

فى بُيَيْتٍ من الغَضَارَةِ قَفْرٍ ‏ ليسَ فيــه إلا النوَى والنُّخاله[٣]

عَطَّلَتْهُ الُجرذانُ مِنْ قِلَّةِ الخَيْرِ ‏ وطارَ الذُّبابُ نحو زُباله[٤]

هَارِبات مِنْهُ إلَى كُلِّ خِصْبٍ ‏ جيدة لَمْ يَرْتَجِينَ مِنْهُ بلاله[٥]

٨٣ وأقام السِّــنَّوْرُ فيــه بشَرٍّ ‏ يسأل الله ذا العُــلا والجلاله

أن يرى فأرةً ، فلم يرَ شيئاً ‏ ناكساً رأسَهُ لطول المَلاَله

قلتُ لمّا رأيته ناكِسَ الرأ ‏ س كئيباً يمشى عَلَى شرِّ حالَه

قلتُ صــبرًا يا نازُ رأسَ السّنا ‏ نير ، وعلَّلته بحسْن مقاله[٦]

قال : لاصبر لى ، وكيف مُقامى ‏ فى قِفارٍ كمثل بِيــدِ تَبَالَه[٧]

لا أرى فيــه فأرةً أُنغِضُ الرأ ‏ سَ ومَشْيِي فى البيت مشى خَيَاله[٨]

---

(١) الجحام ، بتقديم الجيم المضمومة على الحاء : داء يأخذ الكلب فى رأسه فيكوي منه بين عينيه . وفى الأصل: « الحجام » بتقديم الحاء ، تصحيف . فيما عدا ل : «فأمسى». والعيَّارة : التى تذهب كأنها منفلتة من صاحبها تتردد .

(٢) ثعالة : علم للثعلب . أجحره : جعله يدخل فى جحره ، وهو بتقديم الجيم . وفيما عدا ل : « أحجرنى » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : الطين الحر ، وقيل الطين اللازب الأخضر . بييت : مصغر بيت . ط ، ھ : « فى مبيت » .

(٤) سـه . « من قلة الخبز » . وزبالة : موضع بعد القاع من الكوفة .

(٥) البلالة ، بالضم : الندوة .

(٦) ناز : اسم للسنور بالفارسية . ولفظه فيها : « نازو » . انظر استينجاس ١٣٧٢ . فيما عدا ل : « ويك صبراً فأنت » .

(٧) بيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة . وتبالة ، بالفتح : بلد من أرض تهامة فى طريق اليمن .

(٨) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل ، أو حركه كالمتعجب أو كالمستنكر . وفى الكتاب : (فسينغضون إليك رؤوسهم) . والخيالة ، كالخيال : ما تشبه لك فى اليقظة والحلم من صورة . وفى الأصل : « خباله » بالباء الموحدة . وليست فى المعاجم ، وإنما تعرف المعاجم « الخبال» بطرح التاء ، وهو الجنون وفساد العقل . فيما عدا ل : « قد أراني أنغض الرأس جوعا ثم أمشى » .

قلت : سِرْ راشدًا فخارَ لكَ الله ... ولا تعدُ كُرْبُجَ البقاله[1]

فإذا ما سمعت أنَّا بخير ... فى نعيم من عيشةٍ وَمَناله[2]

فائْتِنا راشدًا ولا تعدُوَنَّا ... إن من جازَ رَحْلَنا فى ضَلاله[3]

قال لى قولةً : عليك سلامٌ ... غيرَ لِعْب منه ولا ببَطَاله[4]

ثمّ ولّى كأنه شيخُ سَوءٍ ... أخرجوه من مَحبِس بكفَاله[5]

وقال أيضاً :

نزَل الفأرُ ببيتى ... رفقةً من بعد رفقه[6]

حِلَقاً بعد قِطارٍ ... نزلوا بالبيت صَفقه[7]

---

(١) خار الله له : أعطاه ما هو خير له . وفى ل : «أو استخر الله» واستخار الله : طلب منه الخيرة . والكربج ، بضم الكاف وفتح الباء وضمها ؛ ويقال فيه أيضا «قربق» و «كربق» بضم أولها وفتح الباء وضمها أيضاً ، وهو حانوت البقال . انظر المعرب ٢٩٢ . وأصله بالفارسية «كربه» بضم الكاف بمعنى الحانوت . استينجاس ١٠٢١ والمعرب ٢٨٠ . وأنشد الجواليقى :

لا غرس ما دام فى السوق كربج ... وما دام فى رجل لحيدان إصبع

والبقالة : مؤنث البقال ، أو جمع بقال ، وهو بائع البقل . وهو من النبات ما ليس بشجر . والتاء فى الثانى للدلالة على الجمع . ونحوه : بغالة وحمارة وجمالة ، للبغالين والحمارين والجمالين . انظر المخصص (١٦ : ١٠١) واللسان (٥ : ٢٩١) . وقد حقق الرضى هذه التاء فى شرح الكافية (٢ : ١٥٢ س ١٨ — ٢٣) بأنها للتأنيث ، وأن الكلمة صفة لجماعة مقدرة ، كأنك تقول الجماعة البغالة والحمارة وهو تحقيق جيد . ط ، هـ : «مذبح البغاله» س : «كريح البقاله» ل : «كربج البقاله» صوابه ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : «وإذا» وفيما عدا ل : «من نعيم فى عيشة» . والمنالة : مصدر نال ينال .

(٣) فيما عدا ل : «فى ملاله» . والرحل ، هنا : مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث .

(٤) البطالة ، بالفتح : الهزل ، واللهو ، والجهالة . هـ ، س : «قال لى قوله» .

(٥) المحبس : موضع الحبس . ط ، هـ : «من مجلس» تحريف .

(٦) الرفقة ، مثلثة : القوم والجماعة ترافقهم .

(٧) حلقا ، بالتحريك وبكسر ففتح : جمع حلقة ، وهى كل شىء استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة ، وكذلك هى فى الناس . انظر اللسان (١١ : ٣٤٦) . ط ، =

ابن عِرْس رأس بيتى   صاعدًا فى رأس نبقه(١)

سَيفُه سيفٌ حديدٌ   شقَّه من ضِلعِ سِلْقَه(٢)

جاءنا يطرُقِ بالليــل   فدَقّ البابَ دَقّه(٣)

دخل البيتَ جهارًا   لم يَدَعْ فى البيت فِلْقه(٤)

وتترّسْ برغيف   وصفقْ نازُويَه صفقه(٥)

صفقة أبصرتُ منها   فى سوادِ العين زُرْقه

زرقة مثلَ ابنِ عِرس   أغبشٌ تَعْلوهُ بُلْقه(٦)

وقال أيضاً :

أخذ الفأرُ برِجلى   جَفَلوا منها خِفَافِى(٧)

وسراويلاتِ ســوء   وَتبَابِينَ ضِعافِ(٨)

= س : « خلفا » تصحيف . والقطار : أصله أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلفت واحد . صفقة : أى صفقة واحدة ، والصفقة : البيعة ، أراد دفعة واحدة .

(١) فيما عدا ل « فتقه » ، وعند الدميرى (٢ : ٢٤٢) : « طبقه » .

(٢) حديد : حاد . والسلقة ، بالكسر ، الأنثى من الذئاب .

(٣) سه : « جاءنى » ل : « جاء ليطرقنى بليل حين دق الباب دقه » .

(٤) الفلقه ، بالكسر : الكسرة من الخبز . ط : « بالبيت » . والبيت ساقط من س .

(٥) تترس به : جعله كالترس . ونازويه : مصغر « نازو » على طريقة أهل البصرة فى التصغير ، كما نص الجاحظ فى الحيوان (٧ : ١٢٢ نسخة كوبريلى) . ونازو هو القط بالفارسية كما سبق فى ٢٦٦ . وفى الأصل : « نازونة » تحريف . والصفق : الضرب يسمع له صوت . وقد سكن سين « تترس » وقاف « صفق » للشعر . وفيما عدا ل :

وأتى يصفق منى عين باب الدبر صفقه

لكن فى س : « الدار » و هـ : « الدير » موضع : « الدبر » .

(٦) الأغبس : ما لونه الغبسة ، وهى لون الرماد . فيما عدا ل : « أغبش » . والبلقة : سواد وبياض . ط فقط : « يعلوه » .

(٧) جفلوا : نحوا ونزعوا : وفى الأصل : « جعلوا » . خفاف : جمع خف . فيما عدا ل : « خفاف » .

(٨) التبابين ، جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . وهو أصدق ما يطلق على لباس البحر فى عصرنا هذا .

درَجوا حولي بزَفْن وبضَرْبٍ بالدِّفافِ[1]
قلت: ما هذا؟ فقالوا : أنت من أهل الزِّفافِ[2]
ساعةً ثمَّتَ جازوا عنْ هوايَ في خلافِ[3]
[نقروا إستي وباتوا دون أهلي في لحافي]
لعَقُوا إستي وقالوا ريحُ مِسْكٍ بسُلَافِ[4]
صفعوا نازوَيه حتى استهلَّت بالرُّعافِ[5]

(أحاديث في الفأرة والهرة)

يُرْوَي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خمسٌ يُورِثْنَ النسيان : ٨٤ أَكلُ التفاح ، وسؤُر الفأرة ، والحِجَامةُ في النقرة[6] ، ونبذُ القَمْلة ، والبولُ في الماء الراكد » .

[و] ابن جُريج قال : أخبرني أبو الزبير[7] أنه سمعَ جابرَ بنَ عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذَا رَقَدْتَ فأَغْلِقْ بابَكَ ، وخَمِّرْ إناءكَ ، وأَوْكِ سِقاءكَ ، وأَطْفِئْ مصباحَكَ[8] ؛ فإن الشيطان لايفتح غَلَقا ،

---

(١) الزفن : الرقص ، أو شبيه بالرقص . سه : « برفق » تحريف . والدفاف : جمع دف .
(٢) فيما عدا ل : « إنما هذا الزفاف » .
(٣) ثمت ، هي ثم ، زيد في آخرها التاء كما تزاد في رب فيقال ربت . فيما عدا ل : « ثم » وفي ط : « فجازوا » وفيما عدا ل ، « عن هوائي في لحاف » .
(٤) السلاف : الخمر الخالصة .
(٥) الرعاف : سيلان دم الأنف وقطرانه . و « نازويه » أراد به الهرة . وانظر التنبيه ٥ ص ٢٦٨ . وفيما عدا ل : « صفقوا عين ذويه فاستهلت » .
(٦) النقرة في القفا : منقطع القمحدوة ، وهي وهدة فيها . وانظر ص ١١٥ ساسي .
(٧) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي ، المترجم في ص ١٢١ .
(٨) سه ، ط : « واطف مصباحك » .

ولا يكشف إناءً ، ولا يحل وكاءً[1] ، وإن الفأرة الفُوَيسقَة تحرّق على أهل البيت » .

قالوا : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم في السنانير : « إنهنّ من الطوّافات عليكم » ، وفى تفريقه بين سُؤر السنَّور وسُؤر الكلب — دليلٌ عَلَى حُبّه[2] لاتخاذهنّ . وليْس لاتخاذهنّ وجهٌ إلا إفنَاءَ الفأر[3] وقتلَ الجِرذان . فكأن النبى صلى الله عليه وسلم كما أحبّ استحياء السنانير ، فقد أحبّ إهلاك الفأر[4] .

[و[5]] عن نافع ، عن ابن عُمَرَ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم [قال] : « عُذّبت امرأةٌ فى هرّة سجنتْها — و [يقال] : رَبَطَتْها — فلم تُطْعمها ولم تَسقْها ، ولم تُرسِلْهَا تأكل من خَشَاش الأرض[6] » .

وعن أبى سلَمَةَ[7] ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « دخلَتِ امرأةٌ ممن كان قبلكم[8] النارَ فى هرَّة ربطتها ، فلا هى

---

(١) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . والوكاء ، بالكسر : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ل : « فان الشياطين لا تفتح غلقا ، ولا تكشف إناء ، ولا تحل وكاء » . وانظر رواية هذا الحديث فيما سبق ص ١٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « على حثه » من الحث .

(٣) ل : « ولا تخاذهن » وفى ل ، سه : «إلا لإفناء الفأر» .

(٥) زيادة هذه الواو من هـ .

(٦) الخشاش ، بالكسر ويفتح : الحشرات والهوام وما أشبههما . وهذا الحديث فى البخارى عن ابن عمر : الجامع الصغير ٤١٩١ . وروايته التالية عن أبى هريرة ثابتة فى مسند أحمد ، وفى صحيح البخارى ، ومسلم ، وعند ابن ماجه .

(٧) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر وكان فقيهاً يحمل عنه الحديث . توفى سنة أربعة وتسعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ويقال إنه مات سنة أربع ومائة . انظر المعارف ١٠٥ وتهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) . وفى البيان (٢ : ١٧٧) : « قال الشعبى : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، فكان بينى وبين أبى الزناد ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها ! » .

(٨) ط ، هـ : « فى من كان قبلكم » .

أطعمَتْها ، ولا هى تركتْها تُصيب من خِشاش الأرض ، حتى ماتت[١] فأدخلَتِ النار[٢] ، كلما أقبلَتْ نهشَتْها ، وكلما أدبرتْ نهشَتْها » .

قالَ : وذَكَرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، صاحبَ المِحْجَنِ يجرُّ قُصْبَه فى النار[٣] حتى قال : « وحتى رأيتُ فيها[٤] صاحبةَ الهِرّةِ التى رَبَطَتْها ، فلم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض » .

(وصف السنور بصفة الأسد)

قال ابن يسير[٥] فى صفة السِّنَّور ـ فوصفه بصفةِ الأسَد ، إلا ما وصفَه به من التنمير[٦] ، فإن السنوْر يوصفُ بصفَةَ الأسد ، إذا أرادوا به الصورةَ

---

(١) ل : « فى هر ربطته فلا هى أطعمته ولا هي تركته يصيب من خشاش الأرض حتى مات » .

(٢) فيما عدا ل : « وأدخلت النار » .

(٣) المحجن : كل عصا معوجة . والقصب ، بالضم : المعى ، والجمع أقصاب . وقيل القصب اسم للأمعاء كلها . والحديث طويل ، وقد اقتضبه الجاحظ ، وقد رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣١٨) ومسلم فى صحيحه (١ : ٢٤٨) برواية عطاء عن جابر قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم الذى مات فيه إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم » . وبعد أن روى صلاة الكسوف ، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس ، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى تنجلى . وإنه ما من شيء توعدونه إلا رأيته فى صلاتى . ولقد جيء بالنار ، وذلكم حين رأيتمونى تأخرت ، مخافة أن يصيبنى من لفحها . وحتى رأيت صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجنى ! وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رأيت صاحبة الهرة ... » إلى نهاية الحديث .

(٤) ل : « ورأيت صاحبه الهرة » .

(٥) هو محمد بن يسير الرياشى ، المترجم فى (١ : ٥٩) .

(٦) التنمير : من النمرة ، والأنمر : ما فيه نقطة بيضاء وأخرى سوداء . وقالوا : طير منمر : فيه نقط سود . اللسان (٧ : ٩٤ س ٦) ولم تذكر المعاجم « التنمير » . وفى المخصص (٩ : ٩٥) : « أبو زيد : نمر السحاب . صاحب العين : الحبير من السحاب الذى ترى فيه كالتنمير من كثرة مائه » . فيما عدا ل : « من الشبه » .

والأعضاء ، والوثوبَ والتخلُّع فى المشى . ألا إن فى السنانير السودَ والنُّمر[١] والبُلْق ، والخلنْجيَّة[٢] . وليس فى ألوانِ الأسد من ذلك شىء ، إلّا كما ترونَ فى النوادر : من الفأرة البيضاء[٣] ، والفاختة البيضاء ، والوَرَشَان الأبيض ، والفرَس الأبيض — فقال ابن يسير فى دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور[٤] :

وَخُبَعْثِنٍ فى مَشْيِهِ متبهنسٍ ... خَطِف المؤخَّر كامِلِ التصديرِ[٥]

مما أُعِيرَ مَفَرَّ أغضَفَ ضيغمٍ ... عن كلِّ أعْصَلِ كالسِّنانِ هَصُورِ[٦]

---

(١) النمر : جمع أنمر . انظر التنبيه السابق . وفى ل : « المنمر » .

(٢) الخلنجية : التى لها خطوط وطرائق ، مثل الخطوط والطرائق التى ترى فى خشب الخلنج ، والتى ترى فى الجزع ، وهو الخرز اليمانى . وفى الجماهر ١٧٥ : « ولفظة خلنج لا يختص بها الجزع بل يقع على كل مخطوط بألوان وأشكال . فيوصف به السنانير والثعالب والزباد والزرافات وأمثالها ، بل هو بالخشب التى تكون كذلك أخص . ومنها تنحت الموائد والقعاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك » . وشجر الخلنج مما أخذت الفارسية عن العربية ، كما يفهم من إشارة استينجاس ٤٧٢ . وفى الفارسية «خلنج» و « خلنك » بمعنى متعدد الألوان . وهذا ما يظن فيه أخذ العربية عن الفارسية ، وإن صرح اللسان والمعرب بأن شجر الخلنج فارسى معرب .

(٣) ل : « فى الفأرة البيضاء » .

(٤) هذه تكملة للقصيدة التى سبق له بعض أبياتها فى ص ٢٣٤ — ٢٣٦ .

(٥) الخبعثن ، أراد به السنور . وإنما الخبعثن الأسد . والمتبهنس : المتبختر . والخطف ، بفتح فكسر : وصف من الخطف ، بضم وبضمتين ، وهو الضمر . والمعروف من ذلك الوصف : أخطف ومخطوف ومخطف . ط ، هـ : « خلف المؤخر » تحريف . والتصدير : أصله حزام البعير . أراد به موضع الحزام .

(٦) يقال فر الدابة يفرها بالضم : كشف عن أسنانها . فأراد بالمفر هنا المصدر الميمى منه . والأغضف من الأسد : ما استرخى جفنه الأعلى على عينه ، يكون ذلك من الغضب والكبر ، ويقال الغضف فى الأسد كثرة أوبارها وتثنى جلودها . والأعصل من الأنياب : المعوج الشديد . فيما عدا ل : « أغصل » تحريف . وفى ط : « من كل » بدل : « عن كل » تحريف . والهصور : من الهصر ، وهو الكسر .

مُتَسَرْبِلٍ ثوبَ الدُّجَى أوْ غُبْشَةً ... شِيبَتْ عَلَى مَتْنَيْهِ بالتَّنمير[1]

يختصُّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ ... مَحْضِ النِّجارِ مُهَذَّبٍ مَخْبُورِ[2]

(فزع الناقة من الهر)

وإذا وصفوا الناقة بأنها رُوَاع[3] شديدةُ التفزع، لفَرْط نشاطها ومَرَحِها، وصفوها[4] بأن هِرًّا قد نَيَّبَ في دفِّها[5] . وأكثرُ ما يذكرون في ذلك الهِرّ ؛ لأنه يجمعُ العضّ بالناب[6] ، والخمشَ بالمخالب[7] . وليس كل سَبُعٍ كذلك . ٨٥

وقال ضابئُ بن الحارث[8] :

---

(١) الغبشة : ظلمة آخر الليل . سه : « غبسة » . والغبشة الظلمة . والتنمير ، سبق القول فيه ص ٢٧١ . فيما عدا ل : « سهب على سهميه بالتشمير » لكن في هـ : « سهمين » تحريف .

(٢) يختص : أي يختص لطعامه وافتراسه . والسليل : الولد والنجل . سابق غاية : أي يسبق إلى الغاية . وقد عنى الحمام الذي دعا عليه . وانظر (٣ : ٢٢٢) . مخبور : من خبره يخبره : امتحنه . ط : « مجبور » تحريف . ل : « محبور » . والمحبور : المكرم إكراماً يبالغ فيه . وأثبت ما في سه ، هـ .

(٣) رواع : وصف من الروع وهو الفزع . يقال ناقة رواع الفؤاد ورواعة : شهمة ذكية . وقد ضبطت بالضم في القاموس نصا، وفي اللسان بالشكل. وهي في ل مفتوحة الراء . فيما عدا ل : « رواغة » بالغين المعجمة ، تصحيف .

(٤) فيما عدا ل : « وصفوا » .

(٥) نيب : من التنييب ، وهو العض بالناب . فيما عدا ل : « ثبت » . والدف ، بالفتح : الجنب .

(٦) ل : « الهرة ، لأنها تجمع العض بالناب » .

(٧) الخمش : الخدش . فيما عدا ل : « المحض » تحريف .

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وجنى جناية في زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه ، فكسر ضلعين من أضلاعه . انظر الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠ بولاق) والحيوان (١ : ٢٦٩) .

بأدماء حُرْجُوجٍ تَرى تحتَ غَرْزِها ... تَهاوِيلَ هِرٍّ أو تهاويلَ أخيَلا[١]

وقال أوس بن حَجَر :

كأن هرًّا جنيباً تحتَ مَغْرِضها ... والتفَّ ديكٌ برجليها وخنزيرُ[٢]

وقال عنترة :

وكأنَّما ينأى بجانبِ دفِّها الـ ... ـوحشيِّ من هَزِجِ العشيِّ مُؤوَّمِ[٣]

هِرٌّ جنيبٌ كلما عطفتْ له ... غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ

والفيلُ يفزَعُ من السنَّورِ[٤] فزعاً شديداً .

---

(١) الحرجوج ، بضم الحاء والجيم : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والغرز ، بالفتح : هو للناقة مثل الحزام للفرس . والتهاويل : التصاوير والنقوش ، وهي أيضاً : ما يهول به ويفزع ، مفرده تهويل . والأخيل : طائر صغير أخضر وفي أجنحته سواد ، ويسمى أيضاً : الشقراق Roller . وهو مشؤوم ، تقول العرب : « أشأم من أخيل » . قال ثعلب : وهو يقع على دبر البعير ، يقال إنه لا ينقر دبرة بعير إلا خزل ظهره . وإنما يتشاءمون به لذلك . فيما عدا ل : « أختلا » تصحيف .

(٢) جنيباً : مجنوبا ، جنب الدابة : قادها إلى جنبه . والمغرض : كالمحزم للفرس ، موضع الحزام . فيما عدا ل : « خبيئاً تحت محجرها » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « برجليها » وأثبت ما في ل موافقا لما سبق في (١ : ٢٧٨) . ورواية الديوان : « تحت غرضتها » و : « بحقويها » . ورواية الموشح ٨٦ والعمدة (٢ : ١٢٥) : « عند غرضتها » . وجعله ابن رشيق من التشبيهات العقم . وانظر معاهد التنصيص (١ : ٤٧) .

(٣) الدف : الجنب . والوحشي : الجانب الأيمن ، لأنه لا يركب منه الراكب ، ولا يحلب الحالب . وعني بهزج العشي الهر ، لأن السنانير أكثر صياحها بالعشيات . والمؤوم : المشوه الخلق ، أو العظيم الرأس . فيما عدا ل : « هرج » و : « العسا » وفيما عدا ل أيضاً : « مورم » وكل ذلك تحريف صوابه في ل والمعلقات .

(٤) فيما عدا ل : « الهر » .

(السنور فى الهجاء)

وبما يقع فى [باب] الهجاء ، للسنور ، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد[١] ، فى أمّ سعيد بنت خالد[٢] :

وما السِّنورُ فى نفسى [بأهل] لِغِزْلانِ الخمائلِ والبِرَاقِ[٣]
فطلِّقها فَلَسْتَ لهـــا بأهْلٍ ولو أعْطيْتَ هِنْدًا فى الصَّداقِ[٤]

(الرجم بالسنانير)

قال صاحب الكلب : قالوا : ولما مات القصبى[٦] – وكان من موالى [بنى] ربيعة بن حنظلة ، وهو عمرو القصبى ، ومات بالبصرة – رُجم بالسنانير الميّتة . قال[٧] : وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق[٨] ، حين

---

(١) فيما عدا ل : « عمرو بن عبد الله بن الوليد » .

(٢) فيما عدا ل : « أم سعد بنت خالد » .

(٣) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر . والبراق ، بالكسر ، جمع برقة بالضم ، وهى أرض ذات حجارة مختلفة الألوان . ل : « الخمايل » بوضع الحرف ح تحت الكلمة ، ولم أرلها وجهاً . ط : « لعوبا بالخمائل » س ، هـ : «لعولا الخمائل» تحريفان .

(٤) الصداق : المهر . فيما عدا ل : « هرا » تحريف . والهند والهنيدة : اسم للمائة من الإبل .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : «عمرو القضبى » . كما أن جملة : « وهو عمرو القصبى » ساقطة مما عدا ل .

(٧) فيما عدا ل : « وقالوا » .

(٨) هو خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعى ، ولاه المهدي قضاء البصرة سنة ١٦٦ ، بعد عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى ، فلم يحمد ولايته . وهجاه ابن مناذر هجاء كثيرا ، روي منه الجاحظ أربع مقطعات فى البيان (٢ : ٢٣٩) جاء فى إحداها :

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال ابن النديم . إنه كان أخباريا ، وكان من النسابين . انظر لسان الميزان (٢ : ٢٢٩) وتاريخ الطبرى (١٠ : ٢ ، ٨) .

زعم أهلُه أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان[١] .

وقالوا : ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميّتة . والكلابُ أكثر من السنانير حيّة وميّتة . فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأنتَن[٢] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقالُ للجرذان العِضلان[٣] . وأولادُ الفأرِ أدراص ، والواحد دِرْص . وكذلك أولاد اليرابيع . يقال[٥] : أدراص ودُروص . وقال أوسُ ابن حَجَر :

[ودَّ أبو ليـــلى طُفيل بن مالكٍ بمنعرَج السُّوبان لو يتقصَّع[٦]

قال : واليرابيع : ضربٌ من الفأر . قال : ويقال : نفَّق اليربوع ينفِّق تنفيقاً : إذا عمل النافقاء ، وهى إحدى مجاحره ومحافره . وهى النافقاء والقاصعاء ، والدَّامّاء ، والراهِطاء . وقال الشاعر] :

---

(١) ط ، هـ : « حتى زعم » وفيما عدا ل : « من تدبير » . وكان محمد بن سليمان بن على ابن عبد الله الهاشمى أمير البصرة ، ولاه المنصور ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدي ثم عزله ، ثم أعاده الهادى ، وأقره الرشيد إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائة. انظر ص ٨ : ٢ من هذا الجزء وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وليس ذلك » س ، هـ : « إلا أن السنانير » .

(٣) العضلان ، بالكسر : جمع عضل . والعضل بالتحريك : الجرذ ، أو ذكر الفأر . ط ، هـ : « الفطلان » س : « الفظلان » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « ولأولاد » .

(٥) فيما عدا ل : « يقال لها » .

(٦) يتقصع : أراد يختفى ، وأصله من تقصع اليربوع ، وهو أن يدخل فى قاصعائه . والبيت فى ديوان أوس من قصيدة مطلعها :

ألم تر أن الله أرسل مزنة وعفر الظباء فى الكناس تقمع

فما أمُّ الرُّدين وإن أدَلَّتْ بعالمةٍ بأخلاق الكرامِ[١]

إذا الشيطانُ قصَّعَ فى قفَاهَا تنفقْناه بالحَبْــل التُّؤامِ[٢]

فإذا طلِبَ من [إحدى] هذه الحفائر نافق ، أى فخرج النّافقاء[٣] ، وإن طُلِب من النافقاء قصّع . ويقال : أنفقته إنفاقاً : إذا صاح به حتى يخرُج . ونفَقَ هو : إذا خَرَجَ من النافقاء[٤] .

(احتيال اليربوع)

وفى احتيالِ اليرابيعِ بالنافقاء والقاصعاء ، والدّامّاء والرّاهطاء ، وفى جَمْعها التراب على نفسِ باب الجُحْر ، وفى تقدمها بالحيلة[٥] والحِراسة ، وفى تغليطها ٨٦ لمن أرادها ، والتَّوريةِ بشىء عن شىء ، وفى معرفتها بباب الخديعة[٦] ، وكيف تُوهِم عدُوَّها خلاف ماهى عليه ، ثم فى وطئها على زَمَعاتها[٧] ، فى السهولة وفى الأرض اللينة ، كى لايعرِفَ أثرها الذى يقتَصُّهُ[٨] ، وفى استعمالها

---

(١) ط فقط : « فما أم الدرين وقد أدلت » . والبيتان فى اللسان (١٢ : ٢٣٧) والثانى منهما فى (١٠ : ١٤٨) .

(٢) قصــع ، أصله من قصع الضب دخــل فى قاصعائه . تنفقناه : استخرجناه ، كما يستخرج اليربوع من نافقائه . والتؤام : المزدوجات ، جمع توأم ، وهو من الجمع العزيز . فيما عدا ل : « بالحبل » تحريف . ومثل هذا التحريف فى اللسان ، فى الموضعين .

(٣) ط ، هـ : « فيخرج » س : « يخرج » . وأثبت ما فى ل .

(٤) يقال . نفَــق ونفِق وانتفق ونفّق : خرج من النافقاء .

(٥) ل : « فى الحيلة » .

(٦) فيما عدا ل : « بيان الخديعة » ، تحريف .

(٧) الزمعات : الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٨) فيما عدا ل : « لئلا » . واقتص الأثر وقصه : تتبعه . فيما عدا ل : « يقصه »

[واستعمال[١]] بعض ما يقاربها فى الحيلة التوبير[٢] — والتوبير : الوطء على مآخير أكفّها[٣] — العجبُ العجيبُ[٤] .

(أنفاق الزباء)

وزعم أبو عقيل بن دُرُسْت[٥] ، وشدّادٌ الحارثىّ[٦] ، وحسين الزهرىّ أن الزباء [الروميّة[٧]] إنما عمِلت تلك الأنفاق التى ذَكرها [الشاعرُ] فقال[٨] :

---

(١) هذه من ل ، هـ .

(٢) فيما عدا ل : « بعض ما يقال له فى الحيلة التوتير » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « والتوتير للوطء على مؤخر أنفها » تحريف عجيب . وقد أوضح الزمخشرى اشتقاق التوبير ، فقال فى حديث عبد الرحمن يوم الشورى : « لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوبروا آثاركم » : هو من توبير الأرنب ، مشيها على وبر قوائمها لئلا يقتص أثرها . انظر اللسان (٧ : ١٣٣) .

(٤) هذا المبتدأ الموصوف تقدم خبره فى قوله : « وفى احتيال اليرابيع » .

(٥) درست ، بضم الدال والراء . وأبو عقيل ، له أخبار فى البيان والتبيين .

(٦) شداد الحارثى ، ذكره الجاحظ فى أول كتاب فخر السودان ص ٥٤ من رسائله طبع الساسى ، قال : « وقال شداد الحارثى وكان خطيباً عالما : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع ! قال : قلت : أولست سوداء ؟ قالت : أو لست أصلع ؟ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ! لا تشتم حتى ترهب . ولأن تتركه أمثل ! » . وفى البيان (٢ : ٦٤) أنه كان يكنى أبا عبيد الله . وساق الخبر المتقدم برواية مقاربة .

(٧) كذا . وأغلب القول أنها عربية . وهى الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة ابن السميدع بن هوبر العملق . انظر ابن الأثير (١ : ١٩٨) والطبري (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودى (١ : ٢٩٠) . وقال المسعودي : « وقال بعضهم : بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية » . وفى المخصص (١٥ : ١٢٦) « وَزَبِىّ مشدد مقصور اسم الملكة الرومية صاحبة قصير . . . وزبى أيضاً امرأة من بني قيس » . وفى ثمار القلوب ٢٤٨ : « هى امرأة من العماليق وأمها من الروم ، ملكت الجزيرة وعظم شأنها فكانت تغزو بالجيوش » . وفى أمثال الميدانى : « أعز من الزباء ، هي امرأة من العماليق وأمها من الروم وكانت ملكة الحيرة » . ففى هذين النصين مايكشف السر فى نسبتها إلى الروم . وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (تدمر) .

(٨) هو عدي بن زيد العبادي ، من قصيدة له طويلة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٨٣) .

أقام لهـا على الأنفاقِ عَمرًو ولم تشعُرُ بأنَّ لَهَا كمينَا[١]

– على تدبير اليرابيع فى محافيرها هذه[٢] ، ومخارجِها التى أعدَّتها ومداخِلها ، على قدر ما يفجَؤُها من الأمر[٣] .

وأن أهل تُبَّت[٤] والرُّوم ، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق[٥] والمطامير والمخارق[٦] على تدبير اليرابيع

(اشتقاق المنافق)

وإنما سمَّى الله عز وجل الـكافرَ فى باطنه المورِّىَ بالإيمان ، والمستتر[٧]

---

(١) على الأنفاق ، أى على أنفاقها التى عملتها . فيما عدا ل : «أقام به ... ولم يشعر» تحريف . والرواية فى بلوغ الأرب :

ودس لهـا على الأنفاق عمرا بشكته وما خشيت كمينا

وعمرو هذا هو عمرو بن عدى ، المطالب بثأر خاله جذيمة . وكان عمرو قد صار إلى الزباء فى ألفى دارع على ألف بعير فى جوالق ، بحيلة دبرها « قصير » الذى جدع أنفه احتيالا ، وصانع الزباء حتى وثقت به وأطلعته على سر أنفاقها ، فلما دخلت الإبل مدينة الزباء ثاروا بأهلها ضربا بالسيف ، فهربت تريد السرب ، فوجدت عمرو بن عدي علي باب النفق فتلقاها فجللها بالسيف . وقيل : بل وجدت « قصيرا » قائمـا عنده بالسيف ، فانصرفت راجعة ، واستقبلها عمرو فضربها . وقيل : بل مصت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو ! انظر قصة الزباء فى كامل ابن الأثير (١ : ١٩٨ — ٢٠١) والطبرى (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودي . وفى شرح المقامات للشريشى (٢ : ٧) أن مقتل والد الزباء كان عند بعث عيسى عليـه السلام .

(٢) ل : « فى محافرها » مع حذف « هذه » .

(٣) الجار والمجرور ساقط من ط ، ه . وفى س : « من الأمور » وأثبت ما فى ل .

(٤) تبت : بلاد بالصين . ط ، ه : « بيت الفرس » صوابه فى ل ، .

(٥) الأنفاق : جمع نفق . وهذه الـكلمة ثابتة فى ل ، س فقط .

(٦) المطامير ، سبق الحديث عنها فى ١٠٩ . والمخارق ، كذا وردت بالقاف .

(٧) ل : « التستر » .

بخلاف ما يُسِرّ ـ بالمنافق ، على النافقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيءٍ عن شيءٍ . قال الشاعر :

إذا الشيطانُ قصَّع في قَفَاها تنفقناه بالحَبْل التُّؤام[1]

وهذا الاسمُ لم يكن في الجاهلية [لمن عمل] بهذا العمل . ولكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل .

(كلمات إسلامية)

وقد علمنا أن قولهم لمن لم يحُجّ : « صَرُورة » ولمن أدرك الجاهلية والإسلام : « مخضرم » ، وقولهم [وتسميتهم] لكتاب الله : « قرآناً[2] » [« فرقانا »] ، وتسميتهم للتمسُّح[3] بالتراب : «التيمُّم» ، وتسميتَهم للقاذف بـ «فاسق[4] » ـ أن ذلك لم يكنْ في الجاهلية .

وإذا كان للنابغة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة ، كقوله :

والنُّؤىُ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ[5]

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٢٧٧ . ط فقط : « الحبل » تحريف .

(٢) كلمة : « وقولهم » ليست في ل . وبدلها : « وتسميتهم » . وهذه الأخيرة ثابتة أيضاً فى سه . وفيما عدا ل : « قرآن » .

(٣) فيما عدا ل : « للمسح » .

(٤) القاذف : من يقذف المحصن أو المحصنة وينسبهما إلى الزنا صريحا أو دلالة . وإطلاق لفظ (الفاسق) عليه ما هو فهمه من قول الله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون » . سورة النور (الآية ٤) . وفى اللسان : « قال ابن الأعرابي : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم : فاسق » . وانظر ما سبق فى (١ : ٣٣٠ — ٣٣٤) .

(٥) صدره : « إلا الأوارى لأيا ما أبينها » . والمظلومة : الأرض يعمل فيها حوض وليست موضعا للحياض . وأصل الظلم : وضع الشيء فى غير موضعه .

وحتى اجتمعت العَرَب[1] على تصويبه ، وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية — فالله الذى له أصلُ اللغةِ أحقُّ بذلك .

(شعر شمَّاخ فى الزَّموع)

وذكر شمّاخُ بنُ ضرار الزَّموع ، وكيف تطأ الأرنبُ عَلَى زَمَعاتها لتغالِطَ الكلاب وجميعَ ما يطالبها — فذكر بديئاً[3] شأن العَيرِ والعانة ، فقال :

إذا ما استافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ مكان الرُّمح من أنف القَدُوعِ[4]

وقد جَعَلتْ ضَغَائِنهنّ تبدُو بما قد كان نالَ بلا شفيعِ[5]

مُدِلاَّتٍ ، يُرِدْنَ النَّأْىَ منه وهُنَّ بِعَينِ مُرْتَقِبٍ تَبُوعِ ٨٧

ثم أخذَ فى صفة العُقاب ، وصار إلى صفة الأرنب[6] فقال :

كأَنَّ مُتُونَهنَّ مولِّيـاتٍ عِصِىُّ جناحِ طالبةٍ لَمُوعِ[7]

---

(١) ل : « أجمعت العرب » .

(٢) الزموع ، بالفتح : التى تمشى على زمعتها إذا دنت من موضعها لئلا يقتص أثرها . فيما عدا ل : « اليربوع » محرف .

(٣) بديئا : أولا . وفى ، ط ، ه : « بدءا » وفى س : « بدا » .

(٤) استافهن : شمهن ، يعنى الحمار . والقدوع : الذى يقدع ويرد بالرمح ، وهو الفحل إذا قرب من الناقة ليقعو عليها فيضربون أنفه بالرمح أو غيره ويحمل عليها غيره . ل ، ط : « استافهن » س ، ه : « اشتاقهن » صوابه ما أثبت من الديوان ٦٠ والأمالى (١ : ١٠٧) واللسان (١١ : ٦٦ و ١٠ : ١٣٢) وفيما عدا ل : « فى أنف » . صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٥) أى صارت أحقاد هذه الأتن تبدو وتظهر ، فقد كن يمكنه أول الأمر بلا شفيع ، فلما حلن منه أبدين هذه الضغائن التى كن يخبأنها . ل : « ظعائنهن » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الأرانب » .

(٧) المتون : جمع متن ، وهو الظهر . موليات : مدبرات . والعصى : العظام التى فى الجناح . اللسان (١٩ : ٢٩٧ س ٦) . طالبة : تطلب الصيد ، عنى بها العقاب . واللموع : التى تلمع بجناحيها : أى تحركهما فى الطيران ، وتخفق بهما ، ويقال لجناحى الطائر منمعاه . جعل لسرعة هذه الأتن مثلا من سرعة العقاب .

قليلا ما تَرِيثُ إذا استفادتْ　　غريضَ اللّحمِ عن ضرمٍ جَزُوعِ[1]

ثم قال :

فما تنفَكُّ بين عُوَيرِضَاتٍ　　تجُرُّ برأسِ عكْرِشةٍ زَمُوعِ[2]

تطاردُ سِيدَ صاراتٍ ، ويوماً　　على خِزّانِ قاراتِ الجموعِ[3]

تلوذُ ثعالبُ الشَّرَفينِ منها　　كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ[4]

نَماهَا العِزُّ في قَطَنٍ ، نَماها　　إلى فرخَين في وَكْرٍ رفيعِ[5]

ترى قِطَعاً من الأحْناش فيها　　جَماجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النّزيعِ[6]

والزَّموع : التي تمشي على زَمعاتها : مآخيرِ رِجْليها[7] .

---

(١) تريث : تبطئ ، أى قليلا إبطاؤها . فيما عدا ل : « قليل » . واللحم الغريض : الطرى . والضرم ، بالكسر ، وبفتح فكسر : فرخ العقاب ، هاتان عن اللحيانى . والضرم ، كفرح : الشديد الجوع . أراد : قليلا ما تبطئ هذه العقاب عن فرخها إذا حصلت على هذا الطعام ، فهى تسرع إليه إسراعا . هـ ، س : « استقادت » هـ : « عريض » ل : « صرم » محرفات .

(٢) عويرضات : موضع . والعكرشة : الأرنب الضخمة ، أو الأنثى . والزموع : سيفسرها الجاحظ . يقول : ما تنفك تصيد الأرانب .

(٣) السيد ، بالكسر : الذئب . وصارات : اسم جبل . والخزان ، بالكسر : جمع خزز ، كصرد ، وهو الذكر من الأرانب . وفى ط ، هـ : « خران » صوابه فى ل ، س . وفى الديوان : « حزان » جمع حزيز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . والقارات : جمع قارة ، وهى الجبيل الصغير . وفى الأصل : « فارات » صوابه فى الديوان . وفيما عدا ل : « خموع » صوابه فى ل والديوان والجموع : الجماعات .

(٤) الشرفين : مثنى شرف ، وهو ما أشرف من الأرض . ل ، س ، هـ : « الشرقين » بالقاف ، وأثبت ما فى ط ، وهى رواية الديوان . وفى الأصل : « منه » صوابه فى الديوان . والغريم : الذى عليه الدين . والتبيع : صاحب الدين . هـ : « القريم » محرف .

(٥) نماها : رفعها . ط ، هـ : « الغر » صوابه فى ل ، س والديوان .

(٦) الخشل ، فسره الجاحظ فيما يلى بأنه المقل السخيف اليابس الخفيف ، وفسر فى اللسان (١٣ : ٢١٨) بأنه ما تكسر من رؤوس الحلى وأطرافه . وأنشد البيت : فيما عدا ل « كالحسل » صوابه فى ل والديوان واللسان . النزيع : المنزوع . هـ ، س : « الزبيع » تحريف .

(٧) مآخير : جمع مؤخر . فيما عدا ل : « بمؤخر » وفى س فقط : « برجلها » .

قال أبو المفضَّل[١] : تُوبِّر[٢] بيديها ، وتمشي عَلَى زَمَعاتها عَلَى رجليها[٣] ، وهى مواضع الثُّنَن[٤] من الدوابّ ، والزَّمَع المعلَّقِ خلفَ الظِّلف من الشاة والظبي [والثور] قال : وكل ذلك توْبير[٥] . وهو أن تطأ عَلَى مآخير[٦] قوائمها ، كى لايعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب .

وذكر أنها تطاردُ ذئباً مرّةً ، وخُزَزًا مرة ، وهو الذّكر من الأرانب والعِكْرِشة : الأنثى[٧] ، والخِرْنِق : ولدها . فإذا قلتَ أرنب أو عُقاب فليس إلا التأنيث . تقول[٨] : هذه العُقاب ، وهذه الأرانب ، إلا أن تقول خُزَز[٩] .

وقطَن : جَبَل معروف . والأحناش : الحيات وأحناش الأرض : الضبّ ، والقُنفذ ، واليربوع ، وهى أيضاً حشراتُ الأرض . فجعل الحيةَ

---

(١) أبو المفضل العنبرى، يبدو أنه أحد أولئك الأعراب الذين كانوا يردون إلي البصرة ويروي عنهم العلماء . فقد روى الجاحظ من خبره فى البيان (٢ : ١٦٢) أن أبا الفضل العنبري قال لعلى بن بشير : إنى التقطت كتابا من الطريق فأنبئت أن فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم ، إن كان مقيداً ! قال والله ما أدرى أمقيد أم مغلول ؟ وقد روى الجاحظ هذا الخبر أيضا فى البيان (١ : ١٢٣) وأوله : « وسمعت ابن بشير وقال له المفضل العنبرى ... » . قال الجاحظ معقبا : « ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته » وقد عنى أن ذلك الأعرابي لو عرف معنى التقييد الاصطلاحى ، وهو الإعجام والضبط ، لكان جديراً أن تسقط روايته ، لما يدل ذلك على مخالطته أهل الحاضرة . فقد رأيت أنه جاء فى البيان مرة برسم « أبو الفضل العنبرى » ومرة برسم « المفضل العنبرى » . ط ، هـ : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . والكلام من : « وقال » إلى : « قال » التالية ساقط من س .

(٢) ط ، هـ : « توتر » صوابه في ل .

(٣) ط ، هـ : « برجليها » .

(٤) الثنن ، بنونين فى آخره : جمع ثنة ، كقوة ، وهى شعرات مدلاة مشرفات فى مؤخرة الحافر . ط ، هـ : « الأنس » وفى ل : « الثبن » صوابه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « توتير » صوابه فى ل .

(٦) ط ، هـ : « مؤخر » وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « والأنثى عكرشة » .

(٨) ط ، هـ « وتقول » بزيادة واو .

(٩) يريد أن « الخزز » مذكر . ل : « الخززة » تحريف .

حَنَشًا على قولهم : «قد آذَتْنى دوابُّ رأسى»، يعنون القمل. وعلى قوله تعالى :
﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ[١] ﴾ .

قال أبو المفضَّل[٢] [العنبرىّ] : ما أراد إلا الحيّاتِ بأعيانها فى هذا الموضع ، فإن العِقبان أسرعُ إلى أكل الحيّاتِ ، من الحيّاتِ إلى أكل الفأر . ويدلُّ على أنه إنما أراد رؤوسَ الحيَّات بأعيانِها ، قولُه :

تَرَى قِطعًا من الأحناش فيها جَمَاجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النزيعِ[٣]

لأن أرؤُسَ الحياتِ سخيفةٌ ، قليلةُ اللَّحم والعظام[٤] . فلذلك شبَّهها بالخَشَل النزيع[٥] . والخشل : المُقْل السخيف اليابس الخفيف .

(شعر فيه ذكر المقل والحتىّ)

قال خلفٌ الأحمر :

٨٨ سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيّا عَلَى ما كان من مَطْلٍ وبُخْلِ[٦]

هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ فأحْرَزُوها وسدُّوا دونَها بابًا بقُفْلِ[٧]

---

(١) من الآية ١٤ فى سورة سبأ . والمنسأة : العصا . ودابة الأرض ، هى الأرضة .

(٢) فيما عدا ل : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت فى ص ٢٨٢ . فيما عدا ل : « كالحسل » تحريف .

(٤) ط فقط : « والعظم » .

(٥) فيما عدا ل « بالحسل » كما أن كلمة « الخشل » التالية جاءت بالحاء والسين فيما عدا ل . وهو تحريف .

(٦) هذه الأبيات رواها الجاحظ فى البيان (٣ : ٦٤) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٣٨) . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله فى المشرق . والثريا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » . فى عيون الأخبار « من بخل ومطل » .

(٧) ط فقط : « البغال » صوابه فى سائر المصادر . وفيما عدا ل والبيان : « وأحرزوها » بالواو .

إذا أهديتُ فاكهةً وشــاةً ... وعَشْرَ دجائجٍ بعثُوا بنعلِ[١]

ومِسواكَيْنِ طولهُمَا ذِرَاعٌ ... وعَشْرٍ مِنْ رَدِيٍّ المقْلِ خَشْل[٢]

فإن أهديتُ ذاكَ ليحملونى ... عَلَى نَعْل فدقَّ اللهُ رِجْلِى[٣]

أناسٌ تائهونَ ، لهم رُواءٌ ... تَغِيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ[٤]

إذا انتَسَبُوا ففرعٌ من قُريش ... ولكنَّ الفعالَ فعالُ عُكْلِ[٥]

والحتِيّ ، المقْلُ عَلَى وجهه[٦] وقال أبو ذؤيب[٧] :

لا دَرَّ دَرِّيَ إن أطعمتُ نازلَهمْ ... قِرْفَ الحتِيِّ وعندِي البُرُّ مكنوزُ[٨]

---

(١) فى عيون الأخبار : «فإن أهديت فاكهة وجديا» .

(٢) ردى : مسهل ردئ ، والأخيرة رواية ابن قتيبة . والمقل : ثمر الدوم . والخشل : فسره الجاحظ فيما سبق . وحكى ابن برى عن أبي عمر الزاهد وابن خالويه وابن فارس وغيرهم ، فى الخشل المقل ، أنه بالإسكان لا غير ، وأن ما ورد منه محركا فهو على جهة الضرورة ، كبيت الكميت وكبيت الشماخ الذى سبق فى ٢٨٢ س ٧ . اللسان (١٣ : ٢١٨) . فيما عدا ل : «حسل» تحريف .

(٣) الدق : الكسر والرض . ط ، هـ : «أدق» س : «أحق» صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٤) تائهون ، من التيه ، وهو الكبر . والرواء : حسن المنظر فى البهاء والجمال ، وهو من الرؤية . والوبل : المطر الغزير . وهذا البيت ساقط من ل ، ولم يرو فى البيان .

(٥) عكل : قبيل فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلى . اللسان (١٣ : ٤٩٤ — ٤٩٥) . والتعقيب التالى والبيت بعده ساقطان من ل .

(٦) فى اللسان : «الحتى ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه» ، وأنشد البيت التالي .

(٧) روى فى أشعار الهذليين (٢ : ٨٧) منسوبا إلى المتنخل الهذلى ، وكذلك نسب إلى المتنخل فى البيان (١ : ٣٢) وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) .

(٨) فى أشعار الهذليين واللسان وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ : «نازلكم» . وفى جمهرة ابن دريد (١ : ٢٧ ، ٢ : ٦) : «رائدهم» . وفى اللسان (٥ : ٣٦٥) : «نازلهم» كما هنا . قال العسكرى : «ويقولون عند المدح لله در فلان ، وعند الذم لادر دره . . . ومعنى قولهم لا در دره أى لا كان له خير يدر على الناس» . والقرف ، بالكسر : ما قرف ، يعني قشره . وفى الأصل : «مكنون» صوابه فى الهذليين واللسان والبيان وجمهرة ابن دريد وجمهرة الأمثال . =

باب آخر
مما للسنور فيه فضيلة[1] على جميع أصناف الحيوان ماخلا الإنسان

وإذا قال القائل : فلان وضع كتاباً في أصناف الحيوان — فليس يدخل فيها الملائكةُ والجنّ . وعلى هذا كلام الناس .

وللحيوان موضع آخر ، وهو قول الله عز وجل في كتابه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ[2] ﴾ .

قد علمنا أن العُجْم من السِّباع والبهائم ، كلما قربت من مُشاكَلة الناس ، كان أشرف [لها] . والإنسان هو الفصيحُ وهو الناطق .

(إطلاق الناطق على الحيوان)

وقد يشتقون لسائر الحيوان الذي يُصَوِّتُ ويصيح[3] ، اسم الناطق إذا قرنوه في الذكر إلى الصامت . ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكلةَ ، وهذا الاشتقاق . فإذا تهيأ من لسانٍ بعضها من الحروف مقدارٌ يفضُل به[4] عَلَى مقادير الأصناف الباقيةِ ، كان أولى بهذا الاسم عندهم .

= والبيت أول أبيات زائية عددها ١١ بيتاً ، وبعده :

لو أنه جاءنى جوعان مهتلك من بؤس الناس عنه الخير محجوز

(١) فيما عدا ل : « فضيلته » . وكلمة : « أصناف » الثانية ساقطة من ل .

(٢) الحيوان ، في الآية الكريمة : مصدر كالحياة . الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٣) فيما عدا ل : « التي تصوت وتصيح » .

(٤) ط ، هـ : « مقدار ما تفضل به » .

فلما تهيأ للقَطاةِ ثلاثة أحرف . قاف ، وطاء ، وألف ، وكان[1] ذلك هو صوتها ، سمَّوها بصوتها ، ثم زعموا أنها صادقةٌ فى تسميتها نفسَها قطا . قال الـكُمَيت :

كالناطقات الصادقا تِ الواسقاتِ مِنَ الذّخائر[2]

وقال الآخر وذَكَرَ القطاة :[3]

وصـادقةٍ قـد خبّرَتْ ، ما بعَثْتها
طُرُوقاً ، وباقى الليـل فى الأرض مُسْدِفُ[4]

فجعلها مُخبِرة ، و[جعل] خبرها صدقاً ، حين زعمتْ أنها قطاً ؛ وإن كانت القطاة لم تَرُمْ ذلك[5] .

والعرب تتوسع فى كلامها . وبأى شىء تفاهمَ الناسُ فهو بيانٌ ؛ ٨٩ إلا أن بعضه أحسنُ من بعض .

والذى تهيأ للشاةِ قولها : ما ، و[لذلك] قال ذو الرُّمة :

لا يرفعُ الصَّوْتَ إلا ما تخوّنه داعٍ يناديه باسم (الماء) مَبغُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « فكان » .
(٢) ﻫ : « كأن طقات » ط : « كأن الناطقات » صوابه فى ل ، س والعمدة (٢ : ٢٣) . الواسقات : الجامعات .
(٣) ل ، ط ، ﻫ : « فى ذكر القطاة » .
(٤) طروقا : ليلا . وفى اللسان (١٢ : ٨٧) : « وأتانا فلان طروقا إذا جاء بليل » . مسدف : مظلم . ل : « قد تبعتها » . وفيما عدا ل : « مسرف » تحريف .
(٥) رام الشىء يرومه : أراده . ل : « لم ترد ذلك » .
(٦) الرواية فى الديوان واللسان (١٦ : ٣٠٢) : « لا يرفع الطرف » أى العين . وفى الديوان ٥٧١ واللسان (٨ : ٢٤٨ و١٤ : ٣١٧ و٢٠ : ٣٦٣) : « لا ينعش الطرف » ينعش : يرفع . تخونه : تعهده . وإنما وصف ولد ظبية أودعته خمراً من الأرض ، وهى ترتع بالقرب منه ، وتتعهده بالنظر إليه ، وتؤنسه ببغامها ، فهو لا يرفع طرفه إلا أن يسمع صوت أمه تناديه . ط ، سه : « تخوفه » فى ل ، ﻫ وسائر المصادر . والماء : حكاية صوت الشاة ، جعله للظبية . مبغوم : باغم ، وضع مفعولا موضع فاعل . بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

وقال أبو عبَّاد النميرىّ لخرَبَق العُمَيرى[١] ، وكان يتعشَّقه[٢] ورآه قد اشترى أضْحِيَة ، فقال :

يا ذابح الماه ماه   فعلْتَ فعل الجفاه[٣]

أما رَحِمْتَ مِنَ المو   تِ ياخريبق شاهْ[٥]

والصبيان هم الذين يسمون الشاة : ماه[٥] ، كأنهم سمّوْها بالذى يسمعوه[٦] منها ، حينَ جهلوا اسمها .

وقيل لصبي يلعب على بابهم : مَنْ أبوكَ يا غُلام ؟ — وكان اسم أبيه كلباً — فقال : وَوْ وَوْ[٧] .

وزعم صاحبُ المنطق ، أن كل طائر عريض اللسان ، فالإفصاح بحروف الـكلام منه أوجَد[٨] .

ولابن آوى صياحٌ يشبهُ صِياحَ الصبيان . وكذلك الخنزير . وقد تهيأ للـكلب مثلُ : عَفْ عَفْ ، ووَوْ وَوْ ، وأشباه ذلك . وتهيَّأ

---

(١) ط ، هـ : « لخوينق » س : « لخرنيق » وأثبت ما فى ل . و« العميرى » هو فى ط فقط « العمرى » .

(٢) فيما عدا ل : «يتمسفه» تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « المامات » و« والجفاة » .

(٤) خريبق : تصغير خربق . ط ، هـ : « خوينق » س : « خرنيق » وأثبت ما فى ل .

(٥) وفيما عدا ل « ماما » .

(٦) فيما عدا ل : « سمعوا » .

(٧) ورد هذا الخبر برواية الهيثم بن عدي فى الحيوان (٢ : ١٦٨) والبيان (١ : ٦٢) .

(٨) أوجد : أكثر وجوداً . ط فقط : « أوجه » تحريف ، فى هـ ، س : « لحروف الـكلام » تحريف . وفى البيان (١ : ٦١) عن صاحب المنطق أنه زعم فى كتاب الحيوان « أن الطائر ، والسبع ، والبهيمة ، كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما يلقن ولما يسمع » .

للغراب القاف[1] . [وقد تهيّأ للهزاردَسْتان[2] ـ وهو العندليب ـ ألوانٌ أُخر] ، و [قد] تهيّأ للببغاء من الحروف أكثرُ . فإذا صِرْتَ إلى السنانير وجدتها قد تهيّأ لها من الحروف العددُ الكثير ، ومتى أحبَبْتَ أن تعرفَ ذلك فتسمَّعْ تجاوُبَ السنانير ، وتوعُّدَ بعضها لبعض في جوف الليل ، ثم أحصِ ما تسمعه وتتبَّعْه ، وتوقَّفْ عنده ، فإنك ترى من عدد الحروف ما لو كان لها[3] من الحاجات والعقول والاستطاعات ؛ ثم ألَّفتْها لكانت[4] لغة صالحة الموضع[5] ، متوسِّطة الحال .

(العلة في صعوبة بعض اللغات)

واللغاتُ إنما تشتدُّ وتعسُرُ على المتكلم بها ، على قدْر جهله بأماكنها التي وُضعت فيها ، وعلى قدْر كثرة العدد وقلّته ، وعلى قدْر مخارجها ، وخفّتها وسَلَسها ، وثقلها وتعقُّدها في أنفسها ، كفرق ما بين الزِّنجي والخوزي فإن الرجلَ يتنخّس في بيع الزِّنج وابتياعهم شهراً واحداً[6] فيتكلمُ بعامّة كلامهم ، ويبايع الخُوزَ ، ويجاورُهم زماناً فلا يتعلّق منهم بطائل .

---

(١) أي في قوله : غاق غاق . وهذه الجملة ساقطة من ل . وفي س : « أساف » بدل « القاف » وفي هـ : « وتهيأ للغداف أساف » تحريف .

(٢) هذه الكلمة الفارسية مركبة من « هزار » بمعنى ألف . و « دستان » بمعنى أغنية أو لحن . وذلك لأنه يغني ألحاناً كثيرة .

(٣) فيما عدا ل : « ما إن كان بها » .

(٤) فيما عدا ل : « صارت » .

(٥) س : « الوضع » .

(٦) يتنخس : أراد يحترف النخاسة . والنخاسة ، بكسر النون وفتحها : بيع الرقيق والعبيد وأصل النخاس بائع الدواب ، سمي بذلك لنخسه إياها . والفعل « يتنخس » لم تذكره المعاجم . ط فقط : « وإن الرجل » ، ل : « ويبتاعهم » .

والجملةُ : أن مِنْ أعْوَنِ الأسباب عَلَى تعلُّم اللغة[١] فرط الحاجة إلى ذلك . [وعلى قدْر الضرورة إليها فى المعاملة يكونُ البلوغُ فيها ، والتقصير عنها]

(مناسبة الهر للإنسان)

والسنور يناسبُ الإنسان فى أمور[٢] : منها أنه يعطِسُ ، ومنها أنه يتثاءب ، ومنها أنه يتمطَّى ويغسل وجهَه وعينَيه بلعابه . وتلطع الهِرّةُ وبَرَ جلدِ ولدِها[٣] بعد الكبر ، و [فى] الصغر ، حتى يصير كأن الدِّهان تجرى فى جلده[٤] .

(ما يتهيأ للغربان من الحروف)

ويتهيأ لبعض الغرْبان من الحروف والحكايةِ ما لا يَعْشِرُهُ الببغاء[٥] .

(نفع الفار)

وزعمت الأطباء أن خُرْءَ الفأر يُسقاهُ صاحبُ الاسر فيُطْلَق [عن ا

(١) فيما عدا ل : « اللفظ » تحريف . والكلام من مبدأ : « والجملة » إلى : « بلعابه » التالية ساقط من س .
(٢) فيما عدا ل : « بأسباب » .
(٣) تلطع : تلحس . س ، هـ : « يلطع » تحريف . ط : « وتبرق جلد ولدها » س : « ويبرق » هـ : « ويبر » صوابه فى ل .
(٤) الدهان : جمع دهن . فيما عدا ل : « يجرى » وفى س : « فيه » بدل « فى جلده » .
(٥) يعشره : يبلغ عشره . ط : « وتفسره » س ، هـ : « يفسره » صوابه فى ل . وكلمة « والحكاية » ليست فى س .

بوله . والأسر هو حُصْر البول ولكن لايسمّى بذلك[١] . وهو الأسر ٩٠
بالألف ، دون الياء .

ويَصيب الصبيَّ الُحصرُ[٢] فيحتمل من خُرْء الفأر فيُطْلَق عنه[٣] . فقد
تهيأ في خرء الفأر دواءان[٤] لداءين قاتلين مُجْهِزين[٥] . ولذلك قيل لأعرابيّ
قد اجتمعتْ فيه أوجاعٌ شِداد : أيُّ شيء تشتكي ؟ قال : أمّا الذي
يَعْمِدني[٦] فَحصرٌ وأُسْر .

(استطراد لغوى)

يقال : خَثَى الثور يَخْثِي خَثْياً . وواحد الأخثاء خِثْيٌ كما ترى .
ويقال : خَزَق[٧] الطائر ، وذَرَق ، ومَزَق[٨] ، وزَرَق .
قال ابنُ الأعرابيّ : لايكون النَجوُ جَعراً[٩] حتى يكون يابساً .
ويقال : وَنَم الذُّبابُ . واسم نجوِه : الوَنيم . وقال الشاعر[١٠] :

---

(١) أي لا يقال به حصر من البول ، وإنما يقال به أسر فقط . وفي اللسان : « الأصمعي واليزيدي : الحصر من الغائط . والأسر من البول » .

(٢) الحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن .

(٣) ل : « خرو الجرذان » .

(٤) فيما عدا ل : « وقد تهيأ من » وفي ل : « خرو الفأر » . ط ، ﻫ : « دوآن » ل : « دواءين » صوابه في س .

(٥) أجهز : أسرع في القتل . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، ﻫ . وبدلها في س : « مجهدين » تحريف ما أثبت من ل .

(٦) عمده : أضناه ، وأوجعه ، وفدحه . ط ، س : « يقيدني » ﻫ : « يقيدلي » صوابه في ل .

(٧) فيما عدا ل : « خرئ » تحريف .

(٨) مزق ، بالزاي . وفي حديث ابن عمر : « أن طائرا مزق عليه » أي ذرق ورمى بسلحه . فيما عدا ل : « مرق » تحريف .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفيما عداها : « رجعا » . والرجع : الروث .

(١٠) هو الفرزدق ، كما في صحاح الجوهري (ونم) ونقله صاحب اللسان : وليس في ديوانه . وفي الاقتضاب ٣٤٩ : « البيت للفرزدق فيما رواه أبو العباس المبرد » . وأنشد قبله بيتاً آخر فيه كلام طويل . ولم يرو البيت أبو العباس المبرد في الكامل .

وقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى ... كأنَّ ونيمَهُ نَقْطُ المِدَادِ[1]

وهو[2] وَنِيم الذُّباب ، وعُرَّة الطائر[3] ، وصوم النَّعام ، ورَوث الحمار ، وبعر البعيرِ والشاةِ والظبي ، وخِثْى البقرِ[4] .

وقال الزُّبير[5] : « مَنْ أَهْدَى لنَا مِكْتَلاً من [عُرَّةٍ أهدَينا لهُ مِكْتَلاً مِنْ] تمر[6] » .

قال : العرَّة[7] اسمٌ لجميعِ ما يكونُ من جميعِ الحيوان . ولذا قال الزبير[5] ما قال .

[قال] : ويقال : رَمَصَتْ الدجاجة[8] ، وذرقت ، وسَلَحت . فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا : خُرء الإنسان وخُرء الفأرة . ويقال :

---

(١) الرواية فى المخصص (٨ : ١١٦) وأدب الكاتب ١٣٤ واللسان (ونم) : « لقد ونم » .

(٢) فيما عدا ل : « فهو » .

(٣) العرة ، بضم العين : ذرق الطائر . ط : « خرء » س ، ﻫ : « غرة » صوابه فى ل .

(٤) الخثى ، بالكسر . فيما عدا ل : « خثاه » تحريف .

(٥) هو الزبير بن العوام الأسدى ، حوارى الرسول ، وأحد العشرة الذين سموا للجنة . وكان رسول الله أقطعه حضر فرسه ، فركض حتى أعيا فرسه . وروي أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان لا يدخل بيته منه شيئا ، يتصدق به كله . قتله ابن جرموز بوادى السباع يوم الجمل سنة ست وثلاثين . الإصابة ٢٧٨٣ والمعارف ٩٦ — ٩٧ . وفى طبقات ابن سعد (٣ : ٧٧) عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : « كان قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف » . فيما عدا ل : « ابن الزبير » . على أن الكلام روي منسوبا إلى سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يدمل أرضه بالعرة فيقول : « مكتل عرة مكتل بر » انظر اللسان (٦ : ٢٣٣ س ٥ و ١٣ : ٢٦٦ س ١٥) . دمل أرضه وأدملها : أصلحها بالدمال ، والدمال ، كسحاب : السرجين يسمد به الأرض . وفى جمهرة ابن دريد (١ : ٨٤) : « وفى الحديث أن سعدا كان يحمل إلى أرضه العرة » .

(٦) المكتل ، كمنبر : شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٧) ط : « العذرة » ﻫ ، س : « الغرة » صوابه ما أثبت من ل .

(٨) رمصت ، بالصاد المهملة . وفيما عدا ل : « رمضت » تحريف .

خُرُوءة الفأرة[1] أدخلوا الماء فيه ، كما قالوا ذُكورة للذُّكران[2] . وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة . قالت دَخْتَنُوس بنتُ لَقِيطِ بن زُرارة ، في يوم شِعْب جَبَلة[3] :

فرّتْ بنو أسَدٍ خرُوءَ الطَّير عن أربابها

فلذلك يقال لبنى أسد : خروء الطير[5] . وقيل لهم : عبيد العَصَا[6] [ببيت] قاله صاحبهم بشرُ بن أبي خازم ، قالها لأوس بن حارثة[7] :

عَبيدُ العَصَا لمْ يَتَّقُوكَ بذمةٍ سِوى سَيْبِ سُعْدَي إنّ سَيْبَكَ واسع[8]

---

(١) فيما عدا ل : « خرءة » تحريف . وفى ل : « النحل » صوابه فى سائر النسخ .
(٢) فيما عدا ل : « الذكر » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أدخلوا فيها الماء » .
(٣) ترثى أباها لقيط بن زرارة . وروى ابن الأثير أن لقيطا تزوج ابنته دختنوس على عادة المجوس ، وأنه قتل وهى تحته . والبيت التالى من أبيات رواها ابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٥٧) ثلاثة عشر بيتا ، روى منها صاحب العقد (٣ : ٣٠٩) ثلاثة أبيات وكان يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ، واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط . ودارت الدائرة على ذبيان وتميم وقتل لقيط ، وأسر أخوه حاجب . وكان شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد الرسول الكريم .
(٤) فيما عدا ل : « بخرء الطير » تحريف . وفى الكامل والعقد : « فرار الطير » .
(٥) فيما عدا ل : « خرء الطير » .
(٦) انظر المثل : « عبيد العصا » عند الميدانى (١ : ٤٢٦) وثمار القلوب ٥٠٤ .
(٧) هو أوس بن حارثة بن لأم الطائى . وكان بشر قد حمل حملا على هجاء أوس وجعلت له فى ذلك جعالة ، فهجاه بخمس قصائد ، ثم وقع بشر فى الأسر ، وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتى بعير وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس ، وهى سعدى بنت حصن ، فأنذرته أن يخلى سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سببا فى أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد فى مدحه . انظر مختارات ابن الشجرى ٦٥ — ٨٣ . والبيت الآتى من أبيات المديح ، وهى كذلك هجو فى بنى أسد ، وبنو أسد هم قوم بشر بن أبى خازم الأسدى ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه .
(٨) سعدى ، وهى بنت حصن ، وهى أم أوس ، كما فى التنبيه السابق . ل : « لا يتقوك » . وتصح بجعلها لا الناهية . وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية ثمار القلوب ٥٠٤ . وفيما عدا ل : « سوى سب شعرى إن سبك واسع » . تحريف . وعند الثعالبى : « سوى أنهم بخل وفضلك واسع » .

(ميسم الشّعر)

فيجب على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشّعر ومَضَرّته ، أن يتّقِي لسانَ أخسّ الشّعراء وأجهلهم شِعراً بشِطْر ماله ؛ بل بما أمكنَ من ذلك . فأما العربىّ أو المولى الرّاوية[1] ، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلْكه[2] لما عنّفتُه .

والذى لا يكترث لوقع نِبَالِ الشعر ، كما قال الباخَرْزِى[3] :

مالى أرى الناسَ يأخُذُونَ ويُعطُونَ ويستَمْتِعون بالنَّشَبِ[4]
وأنتَ مثلُ الحمار أبهَمُ لا لاتشكو جراحاتِ ألسُنِ العَرَبِ[5]

ولأمرٍ ما قال حذيفةُ لأخيهِ[6] ، والرماحُ شوارعُ فى صدره « إيّاك والكَلَامَ المأثور[7] ! » .

---

(١) فيما عدا ل : « وأما العربى والمولى الرواية » .
(٢) فيما عدا ل : « ماله » .
(٣) أى هو كما قال الباخرزى . والباخرزى نسبة إلى باخرز ، بفتح الخاء وسكون الراء وزاى . وفى هـ : « الناحزوى » تصحيف . وفى عيون الأخبار (٢ : ٤١) « قال الشاعر فى جاهل » .
(٤) النشب : المال .
(٥) أبهم ، فى اللسان (١٤ : ٣٢٢) : « والأبهم كالأعجم » . فيما عدا ل وعيون الأخبار : « إنهم شكوا جراحات » تحريف .
(٦) حذيفة ، هو حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان رئيس فزارة فى حرب داحس . وأخوه الذى عنى الجاحظ هو حمل بن بدر . انظر العقد (٣ : ٣١٦) والبيان (٢ : ٨٨) .
(٧) قالها يوم الهباءة ، وهو يوم لعبس على بنى ذبيان . وكان قيس بن زهير العبسى قد أدرك بفرسان بنى عبس حمل بن بدر وأخاه ، فقال حمل : ناشدتك الله والرحم يا قيس ! وقال أيضا لبنى عبس : ذوى السبق ، وندى الصبيان ، ونخاون سربنا وتسودون العرب ! فانتهره حذيفة وقال : « إياك والكلام المأثور » . وفى رواية العقد : « إياك والمأثور من الكلام ! » . وفى هذا اليوم قتل حذيفه وأخوه . وانظر ليوم الهباءة معجم البلدان وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ ، ٣ : ٣٥٨ ، ٤ : ٥٨٥) .

وهذا مذهبٌ فَرَعَتْ فيه العربُ جميعَ الأمم[١] . وهو مذهبٌ جامعٌ ٩١
لأسباب الخير[٢] .

(استطراد لغوى)

قال : و يقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمَذْهَب ، والمخرَج ، والكَنيفُ
والحُشُّ[٣] ، والمرحاض ، والمِرْفق .

وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضاً يدلك على شدة هربهم من
الدناءة والفُسولة ، والفُحْش والقذَع[٤] .

[قال] : وعن اليزيدى[٥] : رجع الرجُلُ ، من الرجيع .

وخبرنى أبو العَاصِى[٦] عن يونس ، قال : ليس الرجيع إلا رجيع

---

(١) فرع القوم : علاهم بالشرف . فيما عدا ل : « فرعت فيه الشعراء من جميع الأمم » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « لأصناف الخير » .

(٣) الحش ، بالضم : هو فى أصله جماعة النخل ، و البستان . وكانوا فى الزمان الأول ، يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين ، وقيل إلى النخل المجتمع . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، س .

(٤) القذع ، محركة ، وآخرها عين : الخنا والفحش . فيما عدا ل : « والقدح » والقدح : الطعن .

(٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى ، أبو محمد اليزيدى النحوى المقرئ اللغوى . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبى عمرو والخليل ، وعنهما أخذ العربية . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ونسب إليه ، ثم أدب المأمون ، وكان المأمون يعجب به ويستشيره فى العلم . مات بخراسان سنة ثنتين ومائتين عن أربع وسبعين . بغية الوعاة .

(٦) أبو العاصى ، لم أعثر له على ترجمة . ل : « أبو العاص » وهما لغتان . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) .

القَوْل والسَّفَر والجِرّة[١] . قال الله تعالى : ﴿ والسَّمَاءِ[٢] ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾[٣]
وقال الهذلىّ ، وهو المتنخِّل[٤] :

أَبيضُ كالرَّجعِ رسوبٌ إذا ... ما ثاخ فى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِى[٥]

وفى الحديث[٦] : « فلما قدِمنا الشامَ وجدْنا مرافقهم قد استُقْبِلَ بها القِبْلة[٧] ، فكنّا ننحَرِف[٨] ونستغفرُ الله » .

---

(١) فى اللسان : « وكل شئ مردد من قول أو فعل فهو رجيع ؛ لأن معناه مرجوع أى مردود » . وفيه : « وسفر رجيع مرجوع فيه مراراً » وفيه : « والرجيع الجرة لرجعه لها إلى الأكل » . فيما عدا ل : « القول والشعر والخبر » . تحريف .

(٢) الآية ١١ من سورة الطارق ، والرجع فى الآية بمعنى المطر .

(٣) جميع النسخ ما عدا ل تزيد هنا : « فأما نجو الإنسان فإنه رجع » .

(٤) المتنخل : بكسر الخاء المشددة ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٣) . والبيت فى ديوان المتنخل من أشعار الهذليين (٢ : ٨٦) . فيما عدا ل : « هو المنخل » تحريف وانظر اللسان (٣ : ٤٨٨ و ٩ : ٤٧٨) وفيه النسبة إلى المتنخل . وفى المخصص (١٠ : ١٢٩) : « وقال بعض هذيل ووصف سيفاً فشبهه فى بياضه وصفائه بالرجع » . وبدون نسبة فى المخصص (٦ : ٢١) .

(٥) أراد بالأبيض السيف . والرجع : الغدير يتردد فيه الماء . والرسوب : الذى يرسب فى اللحم . ثاخ : نزل وغاب فيه . ومحتفل ، روى بفتح الفاء وكسرها . وفى اللسان « ومحتفل الأمر معظمه . ومحتفل لحم الفخذ والساق أكثره لحما » . وأنشد البيت ، ثم قال : « ويجوز : فى محتفل » . يختلى : يقطع . و « أبيض » روى بالرفع فى اللسان (ثوخ وحفل) وبالنصب فى المخصص (٦ : ٢١) وبالجر فى المخصص (١٠ : ١٢٩) وذلك مع رفع « رسوب » ونصبه وجره . وفى أشعار الهذليين بالجر والرفع . و « ثاخ » هى فيما عدا ل : « ناخ » صوابها فى سائر المصادر .

(٦) فى اللسان (١١ : ٤٠٩) : « وفى حديث أبى أيوب » . وأبو أيوب الأنصارى هو خالد بن زيد بن كليب ، شهد مع على حروراء ، وغزا مع يزيد بن معاوية ، ومات بالقسطيطينية سنة إحدى وخمسين . وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاما . وعليه نزل الرسول الكريم لما قدم المدينة . المعارف ١١٥ والإصابة ٢١٥٩ .

(٧) كلمة « القبلة » ليست فى ل . والمرافق : جمع مرفق ، بكسر الميم ، وهو المغتسل والكنيف ونحوه . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ هذا الحديث .

(٨) سه : « نتجرف » .

(شعر ابن عبدل فى الفأرة والسنور)

وقال ابن عَبْدَلٍ فى الفأرة والسنَّور :

يا أبا طلحةَ الجوادَ أغِثْني بسجال من سَيْبك المقسومِ[(١)]

أحْيِ نفسى فَدَتْكَ نفسى فإنى مفلِسٌ قد علِمْتَ ذاك عديمُ[(٢)]

أو تطوَّعْ لنا بسَلْفِ دقيق أجرُه إن فعلتَ ذاك عظيمُ[(٣)]

قد علمتُمْ — فلا تَعَامَسُ عنّى — ما قضَى اللهُ فى طعام اليتيمِ[(٤)]

—[أراد : لاتعامَسُوا . فاكتفى بالضمة من الواو . وأنشد :

فلو أنَّ الأطبَّا كان حولى وكان مع الأطباء الأساةُ[(١)]]—

ليس لى غيرُ جرّة وأصيص وكتابٍ مُنَمنَمٍ كالوُشومِ[(٥)]

وكساء أبيعُـــه برغيفٍ قد رَقَعنَا خُروقَه بأديمِ[(٦)]

وإكافٍ أعارَنيـــه نَشِيطٌ هُو لحافٌ لكلِّ ضيف كريمِ[(٧)]

---

(١) سجال ، بالكسر : جمع سجل ، بالفتح ، وهو الدلو العظيمة المملوءة . والسيب : العطاء . ط فقط : « المتوم » تحريف .

(٢) عديم : فقير . فيما عدا ل : « قديم » تحريف .

(٣) التطوع : التبرع من ذات النفس . ط ، س : « تطول » . والتطول : الامتنان ، ولا وجه له . والسلف ، بالفتح : الجراب الضخم ، وقيل هو الجراب ما كان .

(٤) التعامس : التغافل والتعامى . ط ، س : « فلا تقاعس » والتقاعس : الرجوع والتأخر . لكن التعقيب التالى يشهد بتحريفه . و« ما » هو مفعول « علمتم » وهو إشارة إلى قول الله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا) . وقوله : (أو إطعام في يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أومسكينا ذا متربة) .

(٥) الأصيص : الدن المقطوع الرأس ، أو الباطية ، أو إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين . وفي الصحاح . الأصيص ما تكسر من الآنية ، وهو نصف الجرة أو الخابية تزرع فيه الرياحين . ط : « أحيص » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الأديم : الجلد لم يدبغ .

(٧) الإكاف ، بالكسر والضم ، ومثله الوكاف : البرذعة . أو مثل الرحل ، يكون البعير والحمار والبغل . ونشيط : علم من أعلام الناس . هو : لغة في هو . وفى اللسان (٢٠ : ٣٦٨ س ١٧) : « أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هو وهى ، فيقولون هوزيد وهى هند » . ط ، ه : « ولحاف » تحريف .

وببيذٍ مما يبيع صُهيبٌ يذَر الشّيخَ ربحه ما يَقُومُ[١]

ربَّ حَلاًّ فقد ذكرتُ أصيصى ولحافي حتى يَغُورَ النُّجومُ[٢]

كلّ بيت عليه نصفُ رغيف ذاك قَسْمٌ عليهمُ معلومْ

فرّ منه مولِّيـا فارُ بيتى ولقد كان ساكناً ما يَرِيمُ[٣]

قلتُ: هذا صومُ النصارى فخلّوا لاتُليحُوا شيوخَكم فى السَّمومِ[٤]

ضحِكَ الفأرُ ثم قلْن جميعاً أهو الحقُّ كلَّ يومٍ تصُومُ[٥]

قلت : إن البراء قد قامَ فى الـ ـنّاس بإذنٍ وأنتَ فينا ذميمُ[٦]

حَمَلُوا زادَهم عَلَى خُنْفَسَات وقُـراد مخيّس مَزْمُومِ[٧]

٩٢ وإذا ضفدعٌ عليــه إكافٌ علّموه بعد النِّفار الرَّسِيمَ[٨]

خطموا أنفَهُ بقطعة حبـــل يا لَقومى لأنفِــه المخْطُومِ[٩]

نَصَبُوا مَنْجنيقهم حَولَ بيتى ، يالقومى لِبَيْتِىَ المهدومِ[١٠]

---

(١) ل : « تذر الشيخ ربحه » .

(٢) س ، هـ : « رث جل » ط : «رث حبل » ل ، هـ : « هولحافى» هـ « كما تغور » .

(٣) ل : « فر منى لنتنه » .

(٤) ألاحه يليحه : أهلكه . فيما عدا ل : « لا تبيحوا » . والسموم : الريح الحارة .

(٥) ط : « أهو حق فى» هـ . « أهو أحق» وفى ل : «يصوم » .

(٦) البراء ، بالفتح : أول ليلة أو يوم من الشهر ، أو آخرها أو آخره . فيما عدا ل : « النداء » .

(٧) خنفسات : جمع خنفسة . ل : « خنفساة » تحريف . والقراد : دويبة . مخيس : مذلل . مزموم : وضع عليه الزمام . ط فقط : « مذموم » تحريف .

(٨) الرسيم : ضرب من السير . فيما عدا ل : « فإذا ضفدع » و : « بعد النفاد » .

(٩) ل : « يا لقوم » .

(١٠) المنجنيق ، بالفتح وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة . مأخوذ من اليونانية (Magganon) كما نبهنى إلى ذلك الأب أنستاس فى مجلة الثقافة ص ٢٠١١ وكما فى معجم استينجاس ١٣٢٤ . وقد ذهبت عامة المعاجم العربية إلى أن الكلمة فارسية معربة ، مع أنها غير أصيلة فى الفارسية ، بل هى دخيلة عليها من اللغة اليونانية . وانظر المعرب ٣٠٥ — ٣٠٧ . ل : « يا لقوم » . وانظر التنبيه السابق .

وإذا فى الغباء سَمُّ بُرَيص ... قائمٌ فوقَ بيتنا بِقَدُوم[1]

قلتُ: بيتُ الجرينِ مجمعُ صِدق ... كان قِدْماً لجمعِكم معلوم[2]

قلنَ : لولا سِنَّوْرَتَاهُ احتفرْنا ... مَسْكَنَنا تحتَ تمرِهِ المركوم[3]

إن تُلاقِ سِنَّوْرَتَاهُ فضاء ... تذرانا وجَمْعُنا كالهزيم[4]

عشَّشَ العنكبوتُ فى قعرِ دنّى ... إنّ ذا مِنْ رَزِيَّتِي لعظيم[5]

ليتنى قد غمرت دَنِّىَ حتى ... أبصرَ العنكبوتَ فيه يعوم[6]

غَرِقاً لا يُغيثه الدهرَ إلا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِه مَرْكوم[7]

مخرجاً كفَّه ينَادِى ذباباً ... أنْ أغِثْنى فإننى مظلومْ

قال ذَرْنى فلنْ أطيقَ دُنُوّاً ... من نَبيذ يَشَمّه المزْكوم[8]

---

(١) الغباء : الغبار، وفيه لغات ، كسحاب ، وغبار ، وبضم مع القصر . انظر اللسان (٢٠ : ٣٥٠ س ١٦) . ل ، سه : « الغبار » وهما سواء ، كما رأيت . و « سم بريص » : أراد به سام أبرص ، وهو الوزغة . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ؛ ولا أحسبه إلا لغة عامية . ط ، هو : « وسم برقص » سه : « صح برقص » تحريفان .

(٢) الجرين : موضع التمر الذى يجفف . ل : « الغريب » سه ، هو : « العريف » ط : « العرين » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « هو قدما بجمعكم » .

(٣) الضمير فى « قلن » لجماعة الفأر . وفى الأصل : « قلت » تحريف . وسنورتاه : مثنى سنورة مضاف إلى الضمير . ولم يرد تأنيث السنور فى المعاجم ، لكن قال الدميري : « قال ابن قتيبة : يقال فى الأنثى سنورة ، كما يقال فى أنثى الضفادع ضفدعة » والمركوم : المجموع . فيما عدا ل : « ثمرة » تحريف .

(٤) ل : « تلاق » . وفيما عدا ل : « قضاء » وهذه محرفة . وفى ل : « يذرانا » .

(٥) فى الأصل : « فى قعر بيتى » والوجه ما أثبت .

(٦) غمرته : ملأته . وفي الأصل : « عمرت » . ط : « يقوم » صوابه فى سائر النسخ . والعنكبوت قد يذكر .

(٧) غرقا : غريقاً . فيما عدا ل : « عرقا » تحريف. يغيثه ، هى فى ط ، سه : « يعيشه » و هو : « يميثه » وصوابه ما أثبت من ل .

(٨) عنى شدة رائحته . ل : « يقطر » بمعنى يصرع .

وقال فى الفأر والسنور :

قد قال سِنَّوْرُنا وأعهَـدُهُ ... قد كان عضبًا مِقْوَهًا لَسِنًا[١]

لو أصبحتْ عندنا جِنَازتُها ... حُنِّطَت واشترى لها كَفَنَا[٢]

ثم جمعنا صحابتى وغدَوا ... فيهم كُرَيْبٌ يَبْكى وقام لنا[٣]

كلُّ عجوزٍ حُلوٍ شمائلُهـا ... كانت لجِرْذَانِ بيتنا شَجَنَا[٤]

من كلِّ حدباءَ ذاتِ خَشْخَشَةٍ ... أو جُرَذٍ ذى شوارب أَرِنَا[٥]

سَقْيًا لِسِنَّوْرة فُجِعتُ بهـا ... كانتْ لميثاءَ حقبةً سَكَنَا[٦]

(ضروب الفأر)

قال : والفأر ضروب : فمنها[٧] الجُرذان والفأر المعروفان ، وهما كالجواميس والبقر ، وكالبُخْت والعِراب . ومنها الزباب . ومنها الخُلْد ،

---

(١) ل : « وأعهده » وبكل منهما يستقيم الشعر . والعضب : الحديد فى الكلام « والذلق . فيما عدا ل : « خصما » .

(٢) حنطت : طيبت بالحنوط ، وهو طيب يخلط للميت خاصة . ل : « واستوى لها » .

(٣) كريب ، كذا وردت مضبوطة فى ل . ولعلها علم لسنور من سنانيره . فيما عدا ل . « كذئب » . وفى ل : « لص فأزلنا » .

(٤) عجوز ، أى من السنانير ، كانت شجناً وحزناً للفيران ، لما تصطادهم وتفتك بهم .

(٥) حدباء ، أى من الجرذان . والحدب : خروج الظهر . والخشخشة : صوت كل شىء يابس ، وأراد ما تحدث من الخشخشة حين قرضها الخبز اليابس والخشب ونحوها . والأرن : النشيط . ل : « مرنا » .

(٦) ميثاء : اسم امرأة ، لعلها زوجه أو بنته . قال الأعشى :

لميثاء دار قد تعفت طلولها ... عفتها نضيضات الصبا فسيلها

بدلها فى ط : « كيت » ، س : « لميث » هـ : « لمبيت » صوابه فى ل . وفيما عدا ل « أخفيته » موضع « حقبة » تحريف . والحقبة : مدة من الدهر . والسكن : كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره .

(٧) فيما عدا ل : « منها » .

واليرابيع شكلٌ من الفأر ، واسم ولدِ اليربوع دِرصٌ ، مثل ولد الفأر[1]

ومن الفأر فأرةُ المِسك ، وهي دُوَيْبَّةٌ تكونُ في ناحية تُبَّت ، تصادُ لنوافجها وسُرَرِها[2] ، فإذا اصطادها [صائد] عصَبَ سُرّتَها بعصاب شديد ، وسُرّتها مدلاة ، فيجتمع فيها دمها[3] فإذا أحكَمَ ذلك ذبحها — وما أكثرَ من يأكلها — فإذا ماتت قوّر السرةَ التي كان عصبَها له والفأرة حيّة ، ثم دفنها في الشعير حتى يستحيلَ ذلك الدمُ المحتقنُ ٩٣ هناك[4] ، الجامدُ بعد موتها ، مِسكاً ذَكِيًّا[5] ، بعد أن كان ذلك الدّمُ لا يُرام نَتْناً .

قال : وفي البيوت أيضاً قد يوجد فأرٌ مما يقال له : فأر المسك ، وهي جرذانٌ سودٌ ليس عندها إلا تلك الرائحةُ اللازمةُ له .

قال : وفي الجِرذان جنسٌ لها عبثٌ بالعقود والشُّنوف[6] ، والدراهم [والدنانير ، على شبيه بالذي عليه خُلُق العَقعَق[7] إلا أن هذه الجرذان

---

(١) الكلام من : « واسم ولد اليربوع » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) النوافج : جمع نافجة ، وهي وعاء المسك ، أي الجلدة التي يجتمع فيها ، وترى المعاجم العربية أنه فارسي معرب ، وصرح صاحب المعيار وادى شير أنه معرب « نافه » قال المحقق الأستاذ أحمد شاكر في شرح المعرب ٣٤١ : « وكل هذا دعوى لا دليل عليها فإن مادة ن ف ج عربية ، وكل ما ارتفع فقد نفج ، ثم استعمل في معان كثيرة ترجع إلى هذا الأصل ، ونافجة المسك لا تخرج عنه » . والسرر : جمع سرة . فيما عدا ل « سرتها » . وما أثبت من ل يوافق ما نقل النويري عن الجاحظ في نهاية الأرب (١٠ : ١٧١) .

(٣) كذا في ل ونهاية الأرب واللسان (٦ : ٣٤٨) نقلا عن الجاحظ . وفي سائر النسخ : « الدم » .

(٤) ل : « مثال » .

(٥) ذكيا : ساطع الريح . ط نقط : « زكيا » صوابه في سائر النسخ والنويري واللسان .

(٦) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط ، أو القرط يلبس في أعلى الأذن .

(٧) العقعق : طائر له ولوع بالسرقة . وانظر ص ١٥٢ — ١٥٣ من هذا الجزء .

تفرح بالدنانير والدراهم] ، وبخشخاش الحلى⁽¹⁾ . وذلك أنها تخرجها من جُحرها في بعض الزمان ، فتلعب عليها وحواليها ، ثم تنقلها⁽²⁾ واحداً واحداً ، حتى تُعيدَها عن آخرها إلى موضعها .

فزعم الشَّرقيُّ بنُ القُطَاميّ⁽³⁾ –[وقد رَوَوْهُ عن شَوْكَرَ⁽⁴⁾]– أن رجلاً من أهل الشام اطّلع على جُرذ يُخرجُ من جُحره ديناراً⁽⁵⁾ [دينارا] ، فلما رآه قد أخرج مالا صالحاً استخفّه الحرصُ ، فهمّ أن يأخُذَه⁽⁶⁾ ، ثم أدركه الحزْم ، وفتح له الرزقُ المقسوم باباً من الفطنة⁽⁷⁾ ، فقال : [الرأيُ] أن⁽⁸⁾ أمسِك عن أخذه⁽⁹⁾ ما دامَ يخرجُ ، فإذا رأيتُه يُدخِلُ فعند أول دينار⁽¹⁰⁾ يغيّبه ويُعيده إلى مكانه أثِبُ عليه ، فأجترفُ المال .

---

(١) الخشخاش من الحلى : ما له خشخشة وصوت . فيما عدا ل : « وخشخشة الحلى » .

(٢) فيما عدا ل : « تنقله » .

(٤) الشرقى لقب له . واسمه الوليد بن الحصين ، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين ، وكان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٧ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ — ١١٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها : مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو ، الصقر . ويسمى : « القطامى الكلبى » . وهو شاعر محسن ، ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ — ١٦٧ .

(٤) هذه الزيادة من س فقط . وفى لسان الميزان (٣ : ١٥٨) : « شوكر » ، أخبارى مؤرخ لا يعتمد عليه ، شيعى ، كان فى المائة الثانية . ذكره عمر بن شبة فى أهل البصرة وقال : كان يضع الأخبار والأسفار (صوابه : الأشعار) . وقد قرنه خلف الأحمر فى شعر له بابن دأب ، يقول فيه :

أحاديث ألفها شوكر وأخري مؤلفة لابن داب » .

وفى الأصل ، وهوهنا س : « ثوكر » بالثاء ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « من جحر دينار » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فهم بأن يأخذها » .

(٧) كلمة « المقسوم » ليست فى ل . وبدلها فى س : « المقدور » ، . وكلمة : « الفطنة » ساقطة من س .

(٨) ط ، هـ : « أنا » سه « إن » بكسر الهمزة ، تحريف .

(٩) ط ، هـ : « أن أخذها » صوابه فى ل ، سه .

(١٠) سه : « فأول دينار » .

قال : ففعلتُ وعدتُ إلى موضعي الذى كنتُ أراه منه ، [فبينما هو يخرجُ إذ ترك الإخراج ، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهواء ، ويذهبُ يمنة ويَسرةً ساعة ، ثم أخذ دينارا فولّى به][1] ، فأدخله [الجحر ، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها] ، فلما عادَ ليأخذَ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير[2] أقبل يثبُ فى الهواء ، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ ، حتى مات .

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساء وأشباه النساء .

باب آخر

يدّعونه للفأر[3]

وهو الذى ينظر فيه أصحاب الفراسة فى قرض الفأر ، كما ينظر بعضهم فى الخيلان[4] ، وفى الأكتاف ، وفى أسرار الكف[5] :

ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزلَ فى بعض القُري ، فقرض الفأرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه ، فبعث به ليُرفَأ[6] ، فقال لهم الرفّاء : إن هنا أهل بيتٍ يَعْرِفون بقَرضِ الفأر ما ينال صاحب المتاعِ من خير أو شر ، ولا عليكم[7] أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصورُ إلى

---

(1) قبل هذه الكلمة فيما عدا ل : « فأقبل يخرج ما شاء الله تعالى » .

(2) فيما عدا ل : « الدينار » تحريف .

(3) هـ : « في الفأر » .

(4) الخيلان : جمع خال ، وهى نكتة سوداء فى البدن .

(5) أسرار الكف : خطوطها ، الواحد سر ، بالكسر والضم ، قال الأعشى :

فانظر إلى كف وأسرارها هل أنت إن أوعدتنى ضائرى

(6) رفأ الثوب : لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض . ل ، سه : « ايرفا » بالتسهيل .

(7) فيما عدا ل وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « فما عليكم » .

شيخهم ، فلما وقعت عينُه على موضعِ القرضِ وثَب وقام قائما[١] ثم قال : مَن صاحبُ هـذا المِسح ؟ فقال المنصور : أنا . فقام ثم قال[٢] : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه ! والله لَتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكون جاهلا أو كذابا !

[ذكر هذا الحديث عمر بن السَّكوني الصريمي[٣] وقد قضى على بعض البلدان].

(فأرة المسك)

وسألت بعض العطارين من أصحابنا المعتزلة[٤] عن فأرة المسك فقال : ليس بالفأرة ، وهو بالخِشف[٥] أشبه . ثمَّ قصَّ عَلَيَّ شأن المسك وكيف ٩٤ يُصْطَنع . وقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطيَّب بالمِسْك لَمَا تطيَّبْت به ، فأما الزبادُ[٦] فليس مما يقرب ثيابي منه[٧] شيء .

---

(١) سه ونهاية الأرب : « وثب قائما » ل : « وثب فقام قائما » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » فقط .

(٣) في أنساب السمعاني (٢ : ١٠١) : « أبو المنذر عمر بن مجمع السكوني الكندي من أهل الكوفة . يروي عن هشام بن عروة وابن أبي خالد ... روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق » .

(٤) فيما عدا ل : « من أصحاب المعتزلة » .

(٥) الخشف ، مثلثة : ولد الظبية أول ما يولد .

(٦) الزباد ، كسحاب : ضرب من الطيب ، وهو عرق حيوان يشبه السنور البري . قال صاحب مباهج الفكر: «لا يغادر شيئاً منه إلا أنه أطول خطما وذنبا وأكبر جثة » ويسمى سنور الزباد : (Civet Cat) يوجد كثيراً بمقدشيم (مقدشو) من أعمال الحبشة ، يرتعي المراعي الطيبة ، ويعلف السنبل الرطب ، ويوضع في أقفاص الحديد ، ويلاعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذيه ، فتعد له ملاعق الفضة أو الذهب ويؤخذ . وهذا الحيوان لا يعيش غالبا إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين. وأجوده الموجود بشمطرى (سومطرا) من أعمال الهند . انظر تذكرة داود والمعتمد . قال صاحب القاموس : « وغلط الفقهاء واللغويون في قولهم : الزباد دابة يجلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور والزباد الطيب » . فيما عدا ل : « وأما الزباب » تحريف .

(٧) ط ، سه : « مما يقرب منه في شيء » هـ : « مما يقرب في شيء » ل : « مما يقرب ثيابي » فقط .

قلت له : وكيف[1] يرتضع الجدىُ من لَبَنِ خنزيرة فلا يحرُم لحمُه ؟

[قال] : لأن ذلك اللبن استحال لحماً ، وخرجَ من تلك الطبيعة ، ومن تلك الصورة ، ومن ذلك الاسم . وكذلك لحومُ الجلاّلة[2] . فالمسكُ غيرُ الدّم ، والخلُّ غير الخمر . والجوهرُ ليس يحرُم بعينه ، وإنما يحرم للأعراض[3] [والعِلَل] . فلا تقزّزْ منه عند تذكرك الدّمَ الحقين[4] ؛ فإنه ليس [به] . وقد تتحوّل النار هواء ، والهواء ماء ، فيصير الشبه الذى بين الماء والنار بعيداً جدًّا .

(بيت الفأر)

والجِرذانُ لاتحفرُ بيوتها على قارعةِ طريقٍ[5] ، وتجتنبُ الخفض[6] ؛ لمكان المطَر ، وتجتنبُ الجوَادّ[7] ؛ لأن الحوافر تهدمُ عليها بيوتها . فإذا أخرجها وقعُ حافر فرس ، مع هذا الصّنيع[8] ، دلّ ذلك على شدة الجرى والوقع

وقال امرؤ القيس [يصفُ فرسَه] :

فلِلسّوطِ أُلهوبٌ ولِلرِّجْلِ دِرَّةٌ ... وللزّجْرِ منه وقعُ أهْوَجَ مِتْعَبِ[9]

---

(١) ل : « وقد » .

(٢) الجلالة : التى تأكل العذرة ، أو تتبع النجاسات ، أو التى تأكل الجلة والعذرة .

(٣) فى الأصل : « تحرم » وفيما عدا ل : « الأعراض » .

(٤) تقزز : تتقزز ، بحذف إحدى التاءين . والتقزز : التباعد من الدنس . والحقين : المحتقن ، كما يحدث فى الخراجات والدماميل . أراد أن المسك ، وهو الذى كان من قبل دما حقيناً ؛ أصبح الآن جوهرا آخر واستحال ، فلا ينبغى الاشمئزاز منه . فيما عدا ل : « فلا تقدر منه على تذكرك الدم الحقيقى » ، تحريف .

(٥) قارعة الطريق : وسطه أو أعلاه . فيما عدا ل : « الطريق » .

(٦) الخفض : المطمئن من الأرض . ل : « الحفص » تحريف .

(٧) الجواد : جمع جادة ، وهى معظم الطريق .

(٨) فيما عدا ل : « الصنع » .

(٩) الألهوب : شدة جرى الفرس ، وكذلك الدرة . يقول : إذا مسه بساقه ألهب ، وإذا ضربه بالسوط در جريه . والأهوج : الأحمق . والمتعب ، بكسر الميم : الأحمق المصوت . أراد : إذا زجر وقع الزجر منه موقعه من الأهوج . وفى الأصل : « متعب » صوابه فى الديوان ٨٥ واللسان (تعب) .

فأدركَ ، لم يَعرقْ مَناطُ عِذارِهِ ‏ ‏ ‏ يَدِرُّ كَخُذْرُوفِ الوليد المثقّبِ[١]

ترى الفأرَ في مستعكد الأرضِ لاجئاً ‏ ‏ ‏ إلى جَدَدِ الصحراء من شدِّ مُلهِبِ[٢]

خَفَاهُنَّ من أنفاقِهِنَّ كأنّما ‏ ‏ ‏ خفاهُنَّ ودْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ[٣]

خفاهُنَّ : أظهرهنَّ . وقرأ بعضهم[٤] : ﴿ إنَّ السَّاعَةَ آتيَةٌ أَكادُ أَخفِيها[٥] ﴾ بفتح [الألف] أى أظهرها . وقال امرؤ القيس[٦] :

فإن تدفنوا الداء لا نُخفِهِ ‏ ‏ ‏ وإن تبعثوا الحربَ لا نقعُدِ[٧]

---

(١) يدر : يعدو عدوا شديداً . والخذروف : عود أو قصبة مشقوقة ، يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط ، فاذا أمر دار وسمعت له حفيفا ، يلعب به الصبيان ، ويوصف به الفرس لسرعته . فيما عدا ل : « المنقب » وما فى ل هو رواية الديوان .

(٢) المستعكد : فى اللسان : استعكد الماء : اجتمع . وأنشد بيت امرئ القيس برواية « فى مستعكد الماء لاحبا » . وهذا بعيد عن روايتنا هذه . وأرى أنه أراد بالمستعكد : الغليظ من الأرض . وهو فى الأصل البعير والضب يسمن ويضخم . والجدد ، بالتحريك : المستوى من الأرض . والملهب ، كمحسن : الشديد الجري المثير للغبار . ورواية الديوان : « لاحبا » . على جدد الصحراء : أى ظاهرا عليه . ط : « لاجئا » هـ : « لاحيا » صوابه في ل ، سه . وفى ط : « إلى الجد والصحراء » هـ : « إلى جدو الصحراء » تحريف صوابه في ل والديوان واللسان . وهذا العجز وشطر البيت التالى ساقطان من سه .

(٣) الودق : المطر . وانظر نوادر أبي زيد ٩ والقالى (١ : ٢١١) وابن سيده (١٠ : ٤٦) .

(٤) هى قراءة أبي الدرداء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وحميد ، ورويت عن ابن كثير ، وعاصم . انظر تفسير أبي حيان (٦ : ٢٣٢) . وقد روى القالى وابن منظور (١٨ : ٢٥٦) قراءة سعيد بن جبير فقط .

(٥) الآية ١٥ من سورة طه . قال أبو حيان : « أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر ، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم » وقال فى قراءة الضم : « وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان . وأخفى من الأضداد ، بمعنى الإظهار وبمعنى الستر » .

(٦) هو امرؤ القيس بن عابس الكندى ، جاهلى أدرك الإسلام ، وفد على رسول الله ، ولم يرتد فى أيام أبي بكر ، وقام على الإسلام ، وكان له غناء فى الردة ، بما كان يحض قومه على الثبات على الإسلام . المؤتلف ٩ والإصابة ٢٤٨ .

(٧) رواية اللسان : « فإن تكتموا السر لا نخفه » مع نسبته إلى امرئ القيس بن عابس وعند أبي حيان بدون نسبة : « وإن توقدوا الحرب لا نقعد » .

وقال أعرابي[1] : إن بنى عامرٍ جعَلَتْنى على حنديرة أعينُها[2] ، تُريد أن تختفِىَ دمى[3] .

(استطراد لغوى)

وقال أبو عبيدة : أربعة أحرف تَهمِزُها عُقَيل[4] من بين جميع العرب ، تقول : فأرة ، ومُؤْسَى ، وجُؤْنة ، [وحُؤْت] .

(الفأرة فى اللغة)

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة[5] : فأرة البيش[6] ، [وفأرة البيت] ،

---

(١) ط ، س : « ابن الأعرابى » تحريف . وفى اللسان (١٨ : ٢٥٨) : « ومنه قول الغنوى لأبى العالية : إن بنى عامر أرادوا أن يختفوا دمى » . وأبو العالية كان مولى لبنى رياح ، واسمه رفيع بن مهران البصرى الرياحى . روى عن أبى ، وعلى ، وحذيفة ، وعنه قتادة ، وثابت ، وداود بن أبى هند . وتوفى سنة ٩٠ . المعارف ٢٠٠ ولسان الميزان (٦ : ٨٠٢) .

(٢) الحنديرة : حدقة العين . قال الفراء : « يقال : جعلته على حنديرة عينى وحندورة عينى : إذا جعلته نصب عينك » . وفى اللسان أيضاً : « يقال هو على حندر عينه وحندورعينه وحندورة عينه ، إذا كان يستثقله ولا يقدر أن ينظر إليه بغضاً » . فيما عدا ل : « على خنزيرة أعينها » تحريف .

(٣) تختفى دمى : أى تقتلنى خفية من غير أن يعلم بى . هـ : « يريد أن يخفى ذمتى » ط : « تريد أن تخفى ذمتى » س : « تريد أن تخفى دمى » صوابه فى ل واللسان .

(٤) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة . المعارف ٤٠ . وعقيل ، بهيئة التصغير . الاشتقاق ١٨١ . ل : « ثلاثة أحرف تهمزها عقيل » صوابه فى سائر النسخ . وقد سقط الحرف « جؤنة » من ل كما سقط « حؤت » من سائر النسخ ، والصواب ما أثبت من الجمع بين النسخ . وفى اللسان (٦ : ٢٤٨) : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت » . والجؤنة ، بالضم : سفط مغشى بجلد ، ظرف لطيب العطار . والمؤسى : موسى الحلاق ، يذكر ويؤنث ، وينون ولا ينون . والحوت : السمكة العظيمة .

(٥) ط : « فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة » . س ، هـ : « فأكثر ما يقع عليها مع اسم الفأرة » وصوابه فى ل .

(٦) البيش ، بالكسر : نبت هندى سام ، ويقال : له بيش موش ، وموش بالفارسية معناه الفأرة .

وفأرة المِسْكِ ، وفأرة الإبل . وفى فأرة المسك يقول حُمَيْدٌ الأرقط[1] :

مَمْطورةٍ خالَطَ منها النَّشْرُ ... ذا أرَجٍ شُقِّقَ عنه الفأرُ[2]

وفى فأرة الإبل قال الشاعر[3] :

كأنَّ فأرةَ مِسْكٍ فى مباءتها ... إذا بدا من ضياء الصُّبْحِ تبشيرُ[4]

٩٥ وهذا شبيهٌ بالذى قال الراعى — وليس به — :

تبيتُ . بناتُ القَفْرِ عند لَبانِه ... بأحْقَفَ من أنقاء تُوضِحَ هائلِ[5]

كأن القِطارَ حرَّكتْ فى مَبِيته ... جَدِيَّةَ مِسكٍ فى مُعَرَّسِ قافلِ[6]

---

(١) سبقت ترجمته فى ٩٨ ، ١٢٦ .

(٢) فى اللسان : « رجل مَطور إذا كان كثير السواك طيب النكهة » . وذو الأرج ، أراد به المسك . شقق عنه الفأر ، فأر المسك : نوافجه التى يكون فيها ، عنى بذلك طيب رائحتها .

(٣) فيما عدا ل : « يقول الشاعر » .

(٤) مباءة الإبل : مناخها ومراحها ومعطنها ط ، هـ « ميانها » س « مثانتها » صوابه فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٢٩ : « مبايتها » تحريف . تبشير الصبح : مبادؤه وأوله ، ومثله التباشير . فيما عدا ل : « ينتشر » تحريف صوابه فى ل وثمار القلوب . وبعد هذا البيت فى ل : « وهذا شبيه بالذى قلنا ولم نأت بعد بعين الشىء » . وفى س : « وهذا يشبه بالذى قال ولم يأت بعد بعين الشىء » وهما عبارتان متشابهان ، ولم أبد لهما وجها فى الكلام .

(٥) بنات القفر ، عنى بهن بنات النقا . وبنت النقا : عظاءة صغيرة تغوص فى الرمل كما يغوص السمك فى الماء ، قصيرة اليدين والرجلين ، ويقال لها شحمة الأرض انظر المخصص (٨ : ١٠١ ، ١٠٢) وثمار القلوب ١٠٣ . واسمها فى مصر « السحلية » . وهى باليونانية : Chalcides : خلقياس . انظر معجم المعلوف ٥٩ . واللبان : الصدر . والأحقف : المائل من الرمل . والأنقاء : كثبان الرمل . وتوضح : موضع . والهائل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينهال ويسقط .

(٦) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . ط ، س : « كأن القطا إن حركت » . هـ : « القطان حركت » صوابه فى ل . والجدية ، بفتح فكسر مع تشديد الياء : القطعة من المسك ، كما فى القاموس . س ، هـ : « حادية » تحريف . والمعرس : مبيت القوم من آخر الليل . والقافل : الراجع من السفر . ط ، س : « قاتل » هـ : « قابل » صوابهما فى ل

(الأصمعى وأبو مهدية)

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[١] : كيف تقول : لاطيبَ إلا المسْك [قال] فأين أنتَ من العنبر ؟! قال : فقلت : [لاطيب إلا المسك والعنبر . قال : فأين البان[٢] ؟! فقلتُ : لاطيب إلا المسك والعنبر والبان . قال : فأين أنت عن أدهان بحجرْ[٣] ؟! قال : فقلت] : لاطيب إلا المسك ، والعنبر، والبان[٤] ، وأدهانٌ بحَجْر . [قال : فأين فأرة الإبل صادرة[٥] ؟!] قال الأصمعىّ : [فأرة الإبل[٦]] .

(فأرة البيش ، والسمندل)

وفأرة البيش دوَيْبَّة تغتذى السُّمومَ فلا تضرها . والبِيش سمّ ، وحكمه حكم الطائر الذى يقال له : سَمَنْدَل[٧] ؛ فإنه يسقُط فى النار فلا يحترق ريشُه

---

(١) أبو مهدية ، أعرابى روى عنه البصريون . سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . فيما عدا ل : « لابن مهدية » تحريف .

(٢) البان : شجر يقارب الأثل ، ومنه قصير دون شجر الرمان وورقه يقارب الصفصاف شديد الخضرة ، له زهر ناعم الملمس مفروش زغبه كالأذناب ، يخلف قرونا داخلها حب إلى البياض كالفستق لولا استدارة فيه ، ينكسر عن حب عطرى إلى صفرة . داود الأنطاكى .

(٣) حجر ، بالفتح : كانت قصبة اليمامة .

(٤) ط : « ألبان » تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ليس للابل فأرة فى الحقيقة ، وإنما هى أن تفوح منها رائحة طيبة ، وذلك أنها إذا رعت العشب وزهره ، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك : فأرة الإبل . وهذه العبارة من ل ، س ، ه .

(٦) تكملة من ل ، س ، ه .

(٧) السمندل ، لفظ فارسى ، ويقال فيه أيضا : « سمندور » قيل إنه مشتق من « سام » بمعنى النار ، و « أندرون » بمعنى داخل . استينجاس ٦٩٧ . وللأب أنستاس مقال ضاف فى مجلة المشرق (٦ : ٩) أثبت فيه أن كتاب العرب كانوا =

(ما لا يقبل الاحتراق)

و نُبِّيتُ[١] عن [أمير المؤمنين[٢]] المأمون أنه قال : لو أُخِذَ الطُّحْلب فجُفِّف في الظلّ ، ثم أُسقِطَ في النيران لم يحترق[٣] .

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلَق[٤] والعُود الذى يُجاء به من كَرْمان[٥] لاشتدَّ إنكارهم .

وزعم ابن أبى حرب[٦] أن قَسًّا راهنَ عَلَى أن الصليبَ الذى فى عُنقه من خشبٍ ، [أنه] لايحترق ؛ لأنه من العود الذى كان صُلب عليه المسيح[٧] ، وأنه كان يفتِن بذلك ناساً من أهل النظر[٨] ، حتى فطن له بعضُ المتكلمين ، فأتاهم بقطعة عودٍ يكون بكِرمان[٩] . فكان[١٠] أبقى عَلَى النار من صليبه .

= يطلقون لفظ « السمندل » على الحيوان المسمى : Salamandra وهو العظاية ، وعلى الطائر المسمى بالفنقس : Phoenix وهو العنقاء الخرافية ، وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيل : Asbestos . وقد علل عدم احتراقه بأنه يفرز مادة تطفئ النار ، فزعموا أنه يدخلها ولا يحترق .

(١) نبيت : نبئت ، أى أخبرت . فيما عدا ل : « وثبت » .

(٢) هذه من ل ، سه . وكلمة « المأمون » بعدها ليست في سه.

(٣) فيما عدا ل : « فى النار » .

(٤) انظر ص ٨٤ ، ٩٢ من هذا الجزء .

(٥) كرمانه ، بالفتح وربما كسرت ، والفتح أشهر : ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

(٦) فيما عدا ل : « ابن أبى الحارث » . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ١٩٢ من اسمه « أبو حرب بن أبى الأسود الدئلى » . وقال إنه كان عاقلا شاعرا ، وولاه الحجاج جوخى فلم يزل عليها حتى مات الحجاج ، وقد روى عن أبى حرب الحديث ، وله عقب بالبصرة وعدد ، وذكره ابن حجر فى باب الكنى من تهذيب التهذيب ، وقال إنه مات سنة ثمان ومائة . فلعل هذا الذى ذكره الجاحظ من عقب هذا الرجل .

(٧) فيما عدا ل : « الذى كان المسيح صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صلب عليه » .

(٨) فيما عدا ل : « من غير أهل النظر » .

(٩) كرمان : ولاية ، سبق الحديث فيها قريبا . فيما عدا ل : « تكون » تحريف

(١٠) أى العود . وفى سه : « فكانت » أى القطعة .

(مساوى السنانير)

قال صاحب الكلب[١] : والسنور لصٌّ لئيم ، وشَرِهٌ خَؤُون فمن ذلك أن صاحب المنزل يرمى إليه ببعض الطعم ، فيحتمله احتمالَ المُريب ، واللصِّ المغير ، حتى يُولج[٢] به خَلْفَ حُبّ أورَاقود[٣] ، أو عِدْلٍ[٤] أو حطب ، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفَّت[٥] يميناً وشمالا ، كالذى يخافُ أن يُسْلَبَ ما أُعطى[٦] ، أو يُعْثَرَ على سَرِقته فيعاقَب . ثم ليس فى الأرض خِبْثَةٌ[٧] إلا وهو يأكلها ، مثل الخنافس والجِعْلان ، وبناتِ وَردان ، والأوزاغِ ، والحيّاتِ ، والعقاربِ ، والفأر ، وكلِّ نتن وكل خِبْثة[٨] وكلّ مستقذر .

وهذه الأنعام تدخل الغياض ، فتجتنبُ مواضع السموم بطبائعها ، وتتخطاها ولا تلتفت لِفْتها[٩] . وربما أشكل الشىء على البعير[١٠] ، [فيمتَحِنُهُ[١١]]

---

(١) فى ل : « قال صاحب الكلب والديك » .

(٢) أى يدخل به نفسه . ط فقط : « يلج » .

(٣) الحب ، بالضم : الجرة الضخمة ، فارسى معرب كما سبق فى ٢٦٥ . والراقود : إناء خزف مستطيل مقير ، مما أخذته الفارسية عن العربية . انظر استينجاس ٥٦٤ . وعند الجواليقى ٦٠ أنه فارسى معرب : وكذا فى اللسان ، لكن قال ابن دريد : « لا أحسبه عربيا » .

(٤) العدل ، بالكسر : نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير .

(٥) س : « ثم لا يأكلها » . وفيما عدا ل : « إلا وهو يلتفت » .

(٦) فيما عدا ل : « ما أعطيه » .

(٧) الخبثة ، بالكسر : الخبيثة غير الطيبة . فيما عدا ل : « خبيثة » .

(٨) ط ، هـ : « حشة » س : « حشة » . صوابهما ما أثبت من ل . وانظر التنبيه السابق . و « كل نتن » ساقط من ل .

(٩) يقال لا يلتفت لفت فلان ، بالكسر : أى لا ينظر إليه . فيما عدا ل : « لا تلتفت إليها » .

(١٠) فيما عدا ل : « ولما أشكل الشىء على اليقين » تحريف .

(١١) يمتحنه : يختبره . فى الأصل ، وهو هنا ل : « فيمسحه » .

بالشمّة الواحدة . فلا تغلط الإبلُ [إلا فى البيش وحده . ولا تغلط الخيل إلا] فى الدِّفْلى[1] وحدَه

والسنانيرُ تموت عن[2] أكل الأوزاغ والحيّات والعقارب ، ومالايحصى عددُه[3] من هذه الحشرات ، فهذا يدلُّ على جهل بمصلحة المعاش ، وعلى حسٍّ غليظ وشَرَهٍ شديد .

(هَيْج الحيوان)

قالوا : وكل أنثى من جميع الحيوان ، ما خلا المرأة ، فلابدّ لها من ٩٦ هَيْج فى زمان معلوم ، ثم لا يُعرف ذلك منها وفيها إلا بالدلائل والآثار ، أو ببعض المعاينة .

وإناثُ السنانير ، إذا هجن للسِّفاد ، آذَيْن بصياحهنّ أهلَ القبائل ليلا ونهاراً ، بشىء ظاهر قاهر على[5] . لايعتريهن فَترةٌ ولا مَلالةٌ[6] [ولا سآمة] . فربَّ رجُل حرٍّ شديدِ الغَيرة ، [وهو] جالسٌ مع نسائه ، وهنّ يتردّدْن على مثل هذه الهيئة[7] ، ويصرُخْن فى طلب السِّفاد . فكم مِنْ حرة قد خجِلت ، وحرٍّ قد انتقضت طبيعته[8] .

---

(١) الدفلى ، بالكسر مقصور : شجرة مرة من السموم .

(٢) فيما عدا ل : « من » .

(٣) فيما عدا ل : « عده » .

(٤) كلمة « أهل » ليست فى ل . وبدلها فى سه : « على » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « بشىء هر ظاهر قاعا ل » تحريف . وفى سه : « بشىء قاهر ظاهر قال » وفى هو : « بشىء قاهر ظاهر » فقط .

(٦) الملالة : الملل والضجر . ط ، هو : « منامة » ل : « ملامة » صوابهما ما أثبت وفى سه : « سآمة » .

(٧) سه : « الحالة » وفيها أيضا « يرددون » مكان « يترددون » . وكلمة : « مثل » ليست فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « تنقصت طبيعته » .

[وليس لشيء من فحولتها[١] مثلُ ذلك . فكل جنس فى العالم من الحيوان فذُكورته أظهر هيجاً ، إلا السَّنانير] .

وليس لشيء من فحولة الأجناس مثلُ الذى للجمل[٢] من الإزْباد ، وهِجْران الرَّعْى ، وتركِ الماء ، حتى تنضمَّ أياطله[٣] ، ويتورَّمَ رأسُه ، ويكونُ كذلك الأيامَ الكثيرة . وهو فى ذلك الوقت لو حُمِّلَ على ظهره — مع امتناعه شهراً من الطعام — ثلاثةَ أضعافِ حِمْله لحملَها .

(المكى وإسماعيل بن غَزْوان)

ونظر المكىّ إلى جمل قد أزبدَ وتلغّم[٤] ، وطار على رأسه منه كشقق البِرْس[٥] ، وقد زمّ بأنفه ، وهو يهدر [ويقبقب[٦]] لا يعقل [شيئاً] إلا ما هو فيه ، فقال لإسماعيل بن غزوان : والله لودِدْت أن أهل البصرة رأونى يوماً واحداً إلى الليل عَلَى هذه الصفة ، وأنّى خرجتُ من قليلِ مالى وكثيره ! فقال له إسماعيل : وأى شيء لك فى ذلك ؟ قال : كنت والله لا أصبحُ حتى يوافِىَ دارى جميعُ نساء أهل البصرة ، [وجَواريكَ فيهنّ] فلا أبدأ إلا بهنّ ! قال إسماعيل : إنك والله ما سبقتنى إلا إلى القول ، وأما النية والأمْنيَّة فأنا والله أتمنَّى هذا منذ أنا صبىٌّ !

---

(١) أى فحولة السنانير ، وهي ذكورها .
(٢) فيما عدا ل : « مثل ما للجمل » .
(٣) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . وانضمامها : ضمورها .
(٤) تلغم : بل مشافره باللغام ، وهو زبد أفواه الأبل .
(٥) الشقق : جمع شقة ، بالضم ، وهى السبيبة المستطيلة من الثياب . والبرس ، بالكسر والضم : القطن ، أو قطن البردى . قال :
ترى اللغام على هاماتها قزعاً كالبرس طيره ضرب الكرابيل
(٦) يقبقب : يرجع فى هديره .

(حال بعض الحيوان عند معاينة الأنثى)

وللحمار والفرس عندَ معاينَةِ الحِجْر والأتان هَيْج[1] وصياحٌ ، وقلق وطلب . والجملُ يقيم على تلك الصِّفة عاين أو لم يعاين ، ثم يُدنى من هذه المذكورة إناثُها[2] فلا تسمحُ بالإمكان[3] إلا بعد أن تسوَّى وتُدارَى[4] .

(مقايسة بين السنور والكلب)

قالوا : والسنانير إذا انتقل أربابها من دار إلى دار ، كان وطنُها أحبَّ إليها منهم ، وإن أثبتَت أعيانهم . فإن هم حوّلوها فأنكرت الدار لم تقُمْ على معرفتهم ، فربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف دارَهم الأولى ، فتبقى متردِّدة : إما وحْشية[5] ، وإما مأخوذة ، وإما مقتولة .

والكلب يحلِّي الدار ، ويذهب مع أهل الدار . والحمام في ذلك كالسنَّور[6] .

---

(١) فيما عدا ل : « تهيج » . وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) ل « ثم تدني منها إناثها » .

(٣) ط ، هـ : « ولا تسمح بإمكانها » س : « ولا تسمح بإمكان » .

(٤) تسوى : من التسوية ، وهى من التهيئة . فيما عدا ل « تساوى » . والمداراة المخاتلة .

(٥) فيما عدا ل : « وخشبة » بالخاء المعجمة ، ولا وجه له .

(٦) ل : « مثل السنور »

(اختلاف أثمان السنور)

قال صاحب الكلب[1] : السنور يسوَى[2] فى صغره درهما ، فإذا كبر لم يَسْوَ[3] شيئاً . وقال العمّى[4] :

[فإنك فيما قد أتيتَ من الخَنا   سَفاهاً ، وما قد زِدْتَ فيه بإفراط]
كسِنَّوْرِ عبدِ الله بيعَ بدرهمٍ   صغيراً فلما شبّ بيع بقيراطِ[5]

وصاحب هذا الشعر ، لو غبرَ مع امرئ القيس بن حُجْر ، والنابغة الذُّبيانى ، وزهير بن أبى سُلْمَى ، ثم مع جرير والفرزدق ، [والراعى] والأخطل ، ثم مع بشار وابن هَرْمة [وابن أبى عُيينة[6] ، ويحيى بن نوفل]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط فقط : « يساوي » وهما صحيحتان ، ولكن قال الليث : « يسوي نادرة » . وفي اللسان : « وقولهم لا يسوى أحسبه لغة أهل الحجاز ، وقد روي عن الشافعى » . وفى المصباح : « وفى لغة قليلة سوى درهماً يسواه من باب تعب ، ومنعها أبو زيد » .

(٣) ط فقط : « لم يساو » وانظر التنبيه السالف .

(٤) فيما عدا ل : « العتبى » . وقد نسب هذا الشعر إلى بشار ، ففى العقد (١ : ١٤٢) : « وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلي وظيفة فى كل شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد مازلت سابح غمرة   صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطى
جريت زماناً سابقا ثم لم تزل   تأخر حتى جئت تقطو مع القاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم   صغيراً فلما شب بيع بقيراط

ومثل هذه النسبة مع إنشاد البيت الأول والثالث فى ثمار القلوب ٣٢٧ . وقد نص الجاحظ فيما يلى على فساد هذه النسبة . وقال الثعالبى : « وقال قبله الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوما   فيوما فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى   به حتى إذا ما شب يرخص »

(٥) روي هذا البيت الميدانى فى نهاية حرف الكاف مسبوقا بكلمة : « وقال المحدث » .

(٦) هو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكان أبوه يتولى الري لأبى جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه . وكان محمد من شعراء الدولة العباسية من ساكنى البصرة . وأخباره فى الأغانى (١٨ : ١١ — ٢٩) .

وأبى يعقوب الأعور ، ألف سنة ـ لما قال بيتاً [واحداً] مرضياً أبداً .

وقد يضافُ هذا الشعرُ[١] إلى بشّار ، وهو باطل

(حُلاق الحيوان)

٩٧ وزعم [لى] من لا أردُّ خبرَه ، أن الُحلاقَ قد يَعرض للسنانير ، كما يعرض للخنازير والحمير .

وزعم [لى] بعضُ أهلِ النظر ، أنّ الزّنج أشبهوا[٢] الحميرَ فى كلِّ شىء ، حتى فى الُحلاق ؛ فإنه ليس على ظهرها[٣] زنجىٌّ إلا [وهو] حَلَقِىّ .

وقد غلط . ليس [عليها] زنجىٌّ عليه مَؤُونة من أن يُنَاكَ[٤] . وليس هذا تأويلَ الُحلاق . وتأويلُ الُحلاق أن يكون هو الطالب .

والنبيذ يهتِكُ سترَ الحَلَقىّ ، وينقُضُ عزْم المتجمِّل[٥] . وهم يَشْربون النبيذ أبداً . وسوء الاحتمال له ، وسرعة السكْر إليهم عامٌّ فيهم .

وعندنا [منهم] أممٌ . فلو كان هذا المعنى حقّاً لكان علمُه ظاهراً .

فخبَّرنى صاحبُنا هذا[٦] أن فى منزل أبى يوسف [يعقوب] بن إسحاق الكِنْدى[٧] هرّينِ ذكرَيْن عظيمين ، يكومُ أحدُهما الآخَرَ ، وذلك كثيراً

---

(١) فيما عدا ل : « للبيت » . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « استهوى » هـ : « أشبه » صوابهما فى ط ، سه .

(٣) ظهرها : أى ظهر الأرض . فيما عدا ل : « ظهر الأرض » .

(٤) فيما عدا ل : « مؤنة من ارتياد نياك » .

(٥) المتجمل : المتصبر الذى يظهر للناس خلاف ما يبطن من الألم . انظر شرح التبريزى للمعلقات ٨ . ط ، هـ : « المحتمل » سه : « المتحمل » وأثبت ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « وخبرنى » بالواو .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى ، كان يسمى فيلسوف العرب ، وكان بخيلا . وقد =

ما يكونُ . وأنّ المنكوحَ لا يمانعُ النَّاكحَ ، ولا يلتمسُ معه مثلَ الذي يبذله له.

(أكل الهرة أولادها)

قالوا : والهرة تأكلُ أولادَها . فكفاك[1] بهذه الخصلة لؤمًا وشرَهًا ، وعُقوقًا وغلِظَ قلب !

وقال السيِّد الحميريُّ — وذكرَ مسيرَ عائشةَ ، رضى الله تعالى عنها ، إلى البصرةِ مع طلحةَ والزُّبير ، حينَ شهِدَتْ مالم يشهدَا ، وأقدمت على ما نكَصا عنه[2] — :

جاءت مع الأشقَينَ فى هَودجٍ   تُزْجى إلى البَصرةِ أجنادَها
كأنَّها فى فِعْلِها هِرَّةٌ   تُريد أن تأكلَ أولادَها

ولبئس[3] ما قال فى أمِّ المؤمنين [و بنت الصدِّيق] ! وقد كان قادراً على أن يوفِّر على عليٍّ — رضى الله عنه — فضْلَه ، من غير أن يشتُمَ الحوَاريِّينَ ، وأمّهَاتِ المؤمنين ، ولوأراد الحقَّ لسار فيها وفى ذكرها سيرةَ على بن أبي طالب . فلا هو جعل عليًّا قدوة[4] ، ولا هو رَعى للنبى صلى الله عليه وسلم حُرمة .

= سرد ابن النديم مؤلفاته فى الفهرست ٣٥٨ — ٣٦٥ وهو قدر عظيم جدا . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة . وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . ل : « إبراهيم » موضع « إسحاق » تحريف ، وكلمة « الكندى » ساقطة من ل . والخبر سبقت رواية الجاحظ له فى (٣ : ١٨٦) وأوله : « وكان عند يعقوب بن صباح الأشعثى » .

(١) فيما عدا ل : « وكفاك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأقامت على ما نكصا عنه » . وانظر الخبر والشعر فى (٢ : ١٩٧) .

(٣) كذا فى س . وفى ل : « وبئس » . وفى ط ، هـ : « وليس » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « فلا هو جعل عليها قدرة » ، تحريف .

وذكورةُ سنانير الجيران تأكلُ أولادَ المرة ، ما دُمنَ صغاراً أو فويقَ الصغار شيئاً[1] ، وتقتلها وتطلُبها أشدَّ الطلب . والأمهات[2] تحرسُها [منها] وتقاتلُ دونَها ، مع عجزها عن الذكورة .

(الألوان الأصيله فى الحيوان)

[قال أبو إسحاق : السنور الذى هو السنور ، هو المنمّر ، وهو الأنمر ، وهو الذى يُقال له : البقّالىّ ، وذلك لكثرة اتخاذ البقالين لها ، من بين سائر السنانير ، لأنّها أصيد للفأر .

قال : وجميعُ ألوانِ السنانير إنما هى كالشيّاتِ الدّاخلةِ على اللون .

قال : وكذلك الحمار ، إنما هو الأخضر ، والألوانُ الأُخَرُ داخلةٌ عليه .

قال : فأما الأسدُ فليْستْ بذاتِ شياتٍ ، ولا تعدو لوناً واحداً ، ويكونُ ذلك اللونُ متقاربا غير متفاوتٍ .

(أحوال إناث السنانير وذكورها)

قال : ومن فضيلةِ مافى السنانير ، أنها تَضَعُ فى السَّنَةِ مرتين وكذلك الماعزة فى القُرى ، إلا ما داس الحبَّ[3] .

---

(١) فيما عدا ل : « سنا » .

(٢) فيما عدا ل : « فالأم » . و الأصل فى « الأمهات » أن تكون للآدميين ، وأن تكون « أمات » لغير الآدميين . لكن سمع استعمال كل واحدة منهما مكان الأخرى انظر اللسان (١٤ : ٢٩٤) .

(٣) أى إلا ما يدوس الحب منها فى البيادر ، والأصل فى الدياس أن تستعمل البقر . قال الجاحظ فى ص ١٤٢ سابق من هذا الجزء : « والماعزة قد تولد فى السنة مرتين إلا ما ألقى منها فى الدياس ، ولها فى الدياس نفع موقعه عظيم » .

قال : ويحدثُ لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كامَها الفحل وهرب منها عند الفراغ . فلو لحِقَتْهُ قطَّعته .

ويحدثُ للذكر استخذاء ، كما يحدُثُ للذئب القويِّ إذا ناله الخدشُ اليسير ، ويحدث للضعيف من الجرأة عليه حتى يثبَ عليه فيأكلَه ؛ فلا يمتنع منه . كما قال الشاعر[1] :

وكنتَ كذئب السَّوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ[2]

ويحدث مثلُ ذلك للجرذ[3] إذا خُصِي ، من الحَرْد على سائر الجرذان[4] ، حتى يثب فيقطِّعها ، وتهرب منه ضعفاً عنه .

وسائرُ الحيوان إنما يعتريه الضَّعفُ عن أمثاله إذا خُصِي وترك أمثاله على حالها] .

(قول زَرَادشت في الفأر والردُّ عليه)

ثم رجَعنا إلى قول زَرَادُشتَ في الفأر .

زعم زَرَادُشتُ أن الفأرة[5] من خَلْق الله ، وأن السنَّوْرَ من خَلْق الشيطان . فقيل للمجوس[6] : [ينبغي[7]] على أصل قولكم أن يكون الشيء

---

(١) هو الفرزدق ، كما في اللسان (١٣ : ٢٠٤) و ديوانه ص ٧٤٩ . وهو منسوب إليه أيضاً في ابن سلام ١٢٧ وجعله من مقلدات الفرزدق ، وهي الأبيات المستغنية بنفسها ، المشهورة ، التي يضرب بها المثل . ونسب إليه أيضاً في الأغاني (١٩ : ١٥) نقلا عن ابن سلام ، وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت في الأغاني (٥ : ١٥٧) .

(٢) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه . ورواية اللسان : « فكان كذئب » .

(٣) الجرذ : ضرب من الفأر . وفي الأصل ، وهو هنا ل : « الجراد » تحريف عجيب .

(٤) الحرد : الغضب ، وأن يغتاظ فيتحرش بالذي غاظه ، يقال بالفتح وبالتحريك ، والفتح أفصح ، وهو لغة الكتاب : « وغدوا على حرد قادرين » .

(٥) ل : « الفأر » .

(٦) فيما عدا ل : « المجوسي » . وكل منهما صحيح .

(٧) هذه التكملة من ل .

الذى خلق اللهُ خيراً كله ونفعاً كلُّه ، ومرفقاً كله[١] ، ويكونَ ما خلقَ الشيطان على خلافِ ذلك . ونحن نجدُ عياناً أن الذى قلتم به خطأ . رأينا الناسَ كلهم يرون أن الفأرَ بلاء ابتلوا به[٢] ، فلم[٣] يجدوا بداً من الاحتيالِ لصرْفِ مضرَّته ، كالداء النازل [الذى] يلتمسُ له الشفاء . ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير [مُقامَ التداوى والتعالُج ، وأقامو الفأر مُقامَ الداء الذى أنزله الله ، وأمر بالتداوى منه ، فاجتلبوا لذلك[٤] السنانير] و بناتِ عِرْس ، ٩٨ثم نصبوا لها ألوانَ الصيَّاداتِ[٥] ، وصنعوا لها ألوان السُّمومِ [و] المعجونات التى إذا أكلت منها ماتَت . واستَفْرَهُوا السنانير[٦] واختاروا الصيَّادات .

واجتبَوا السِّنَّورَ دون ابنِ عِرس[٧] ، لأن ابنَ عِرسٍ يعمل فى الفأر والطير كعَمل الذِّئبِ بالغنم[٨] ، [فأوَّلُ[٩]] ما يصنع بالفريسة أن يذبحها . ثم لا يأكلُها إلا فى الفَرْط . والسنوْر يقتل ثم يأكل . فالفار[١٠] [من السنور[١١]] أشدُّ فزَعاً[١٢] ، وهو الذى قوبل به طباعها وطباعه .

وكما أن الذى يأكل الدجاجَ كثيرٌ ، [وأن] الذى جُعِل بإزائِه ابن آوى . وكما أن الذى يأكلُ الغنمَ كثيرٌ ، والذى جُعِلَ بإزائها الذئب .

---

(١) المرفق ، كنبر ومسجد ومقعد : ما استعين به . ط ، هـ : « موفقا » صوابه فى ل ، سـ .

(٢) ل : « بلوا » .

(٣) ل : « لم » .

(٤) هذه التكملة من ل ، سـ . وفى ل : « واجتلبوا » .

(٥) سـ : « ثم نصبوا لها السنانير واختاروا الصيادات » .

(٦) يستفره : يختار الفاره الجيد .

(٧) اجتبوا : اختاروا . فيما عدا ل : « واختاروا السنور على ابن عرس » .

(٨) فيما عدا ل : « عمل الذئب بالغنم » وفى ط بعد ذلك : « فالأول أكثر » .

(٩) هذه من ل ، سـ . هـ .

(١٠) فيما عدا ل : « والسنور يقتل ويأكل . والفأر » .

(١١) هذه من سـ فقط .

(١٢) فيما عدا ل : « أشد منه فزعا » وكلمة « منه » مقحمة .

والأسد [أقوى منه] على النعجة ، والنعجة منْ الذِّئب أشد فَرَقا[١] .
والحيَّاتُ تُطَالِبُ الفأرَ والجِرذان ، وهى من السنور أشد فزَعا[٢] .
وإن كان فى الجُرذان مايُساوى السنور فإنها منه أشد فزعا .

فإن كنتم إنما جعلتموه من خَلْق الشيطان [لأ كْلِهِ صِنفاً واحداً من خلق الله — فالأصناف التى يأ كلُها من خَلق] الشيطان أ كثر[٣] .

وزعم زَرَادُشْتُ أن السِّنَّوْرَ لو بال فى البحر ، لقَتَلَ عشرةَ آلافِ سَمَكة .

فإن كان إنما استبْصَرَ[٤] فى ذمِّه فى قتل السمك[٥] فالسمكُ أحقُّ بأنْ[٦] يكون من خلق الشيطان ؛ [لأن السمكَ يأ كلُ بعضه بعضاً ، والذكر يتبع الأنثي فى زمان طرْح البيض] ، فكلما قذفتْ به التهمه[٧] .
وإن غرِق إنسان فى الماء ، بحراً كان أو وادياً ، أو بعضُ ذواتِ الأربع — فالسمكُ أسرعُ إلى أ كله من الضِّباع[٨] والنسورِ إلى الجِيَف .

وعلى أن اعتلالِه على السنور ، وقوله : لو بال فى البحر قتل[٩] عشرة آلافِ سمكة . فما يقول فيمن زَعَم أن الُجرذَ لو بالَ فى البحر قَتَل[١٠]

---

(١) الفرق: الخوف . ل : « خوفا » .
(٢) ﻫ ، سه : « فزعا » .
(٣) فيما عدا ل : « فالشيطان أ كثر » .
(٤) استبصر فى رأيه : تبين ما يأتيه من خير أو شر ، واستعمل بصيرته . فيما عدا ل : « استنصر » .
(٥) أى فى قتل السنور السمك ببوله فى البحر سه ، ﻫ : « فى قتله » .
(٦) فيما عدا ل : « أن » .
(٧) فيما عدا ل : « فكل ما قذفت به التقمه » .
(٨) ل : « السباع » .
(٩) فيما عدا ل : « وإن بال » وفى ط فقط : « لقتل » .
(١٠) فيما عدا ل : « لقتل » . وهما وجهان جائزان . وفى الكتاب : (لو نشاء لجعلناه حطاما) و : (لو نشاء جعلناه أجاجا). سورة الواقعة ٦٥ ، ٧٠ .

مائة ألف سَمَكة ؟ وبأى شىء يَبين منه (١) ؟ وهل ينبغى لمن كسر هذا القول الظاهر الكسر (٢) ، المكشوف المُوق (٣) [أن يفرح] ؟ ! وهل تقرُّ الجماعةُ والأممُ بأن فى الفأر شيئاً من المرافق ؟ ! وهل يُمازجُ مضرّتَها شىء من الخير وَإن قلّ ؟ ! أو ليست الفأرُ والجرذانُ هى التى تأكل كُتُبَ الله تعالى ، وكتبَ العلمِ ، وكتب الحساب ؛ وتقرض الثّيابَ الثّمينةَ ، وتطلب سِرّ نوى القطن (٤) ، وتُفسد بذلك اللُّحُفَ والدّواويج (٥) والجباب (٦) ، والأقبية (٧) ، والخفاتين (٨) ، وتحسُو الأدهان ، فإن عجزتْ أفواهُها أخرجَتْها

---

(١) يبين منه : أى يفترق . فيما عدا ل : « يتبين منه » .

(٢) ط : « وهل يتبين » صوابه فى سائر النسخ . وفى ل « الكسير » موضع « الكسر » تحريف .

(٣) الموق : الحمق . ط ، هـ : « المرئى » س : الرأى صوابهما فى ل .

(٤) سر النوى : جوفه ولبه . ط : « كسر » س ، هـ : « تثير » صوابهما فى ل .

(٥) الدواويج : جمع دواج ، كرمان ، وهو ضرب من الثياب . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا صحيحا ، ولم يفسره ، كذا فى اللسان . وفى القاموس : « الدواج كرمان وغراب : اللحاف الذى يلبس » . وفى المعرب ١٤٧ : « قال أبو حاتم : حدثنى من سمع يونس يقول : هو الدواج بالتخفيف ، الذى تقول له العامة دواج بالتشديد . قال أبو حاتم : وهو فارسى معرب » . وقال أدى شير ٦٨ : « الدواج والدواج اللحاف الذى يلبس ، فارسيته دواج » . لكن الذى عند استينجاس ٥٣٩ أن هذا اللفظ مما اشتركت فيه اللغتان ، وجعله بمعنى ملاءة السرير أو لحافه ، أو بمعنى الملاءة مطلقا . س : « الدواج » ط ، هـ : « الدوائج » صوابهما فى ل .

(٦) تجمع الجبة على جبب وجباب . فيما عدا ل : « والقباب » محرف .

(٧) الأقبية : جمع قباء ، بالفتح ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٨) الخفاتين : جمع خفتان ، بفتح الخاء . وهو لفظ فارسى ، لم تذكره المعاجم العربية ، ولا تعرض له الجواليقى . وقال أدى شير ٥٦ : « فارسى محض ، وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع ، ومنه التركى قَفْطَان » . وعند استينجاس ٤٦٨ أنه ثوب يلبس تحت السلاح ، أي الدرع ونحوه : « A vest worn under armour » ط ، س : « الخفاف » هـ : « الخفاش » صوابه فى ل .

بأذنابها ؟ ! أوليست التى تنقب السِّلال وتقرض الأوكية[١] وتأكل الجُرُبَ حتى يُعلَّقَ المتاعُ فى الهواء إذا أمكن تعليقُه ؟ !

وتجلبُ إلى البيوتِ الحيّات ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيَّات، [و] لحِرْص الحيَّات على أكلها[٢] ، فتكون سبباً فى اجتماعها[٣] فى منازلهم ، وإذا كثُرن[٤] فتنَّ النفوس[٥] .

وقال ابن أبى العجوز : لولا مكانُ الفأر لما أقامت الحيَّاتُ فى بيوت الناس ، إلا ما لا بال به[٦] من الإقامة .

وتقتل الفسيل والنخل[٧] ، وتهلك العلفَ والزرع ، وربما أهلكن القَرَاحَ[٨] كله ، وحملْنَ شعير الكدْس[٩] وبُرَّه[١٠] .

٩٩

أوليس [معلوماً[١١]] من أخلاقها اجتذابُ فتائل المصابيح رغبةً فى تلك الأدهان ، حتى ربما جذَبتْها جهلا وفى أطرافها الاخر السُّرج

---

(١) الأوكية : جمع وكاء ، بالكسر ، وهو رباط القربة . فيما عدا ل : « تثقب الأوكية وتثقب السلال » .

(٢) الكلام من : « إذا أمكن تعليقه » إلى هنا ساقط من س .

(٣) ط : « تكون سبباً لاجتماعهما » . س : « فيكون سبباً لاجتماعهما » .

(٤) ط : « كثرت » س : « كبرت » هـ : « كبرن » . والأخيرتان محرفتان .

(٥) ط و س « قلت النفوس » .

(٦) البال : الاكتراث . ط : « ما لا بد له » س : « مالابال له » . وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٧) الفسيل : صغار النخل ، واحدته فسيلة . فيما عدا ل : « النفس والنحل » تحريف .

(٨) القراح ، بالفتح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك ، والجمع أقرحة ، كقذال وأقذلة . فيما عدا ل : « الفراخ » تحريف .

(٩) الكدس ، بالضم والفتح : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، والجمع أكداس . فيما عدا ل : « الكرس » تحريف .

(١٠) س : « وبزره » تحريف .

(١١) فى الأصل ، وهو هنا ل : « معلوم » وفى ل أيضاً قبلها : « وليس » .

تستوقد[١] فتحرق[٢] بذلك القبائلَ الكثيرة ، بما فيها من الناس والأموال والحيوان ؟!

وهى بعدُ آكل للبيض[٣] وأصناف الفِراخ منَ الحيَّات لها .

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خَلْق الشيطان ؟!

هذا ، و بين طِباعها وطِباع الإنسانِ مُنافَرة شديدةٌ ، ووَحْشةٌ مفْرِطة .
وهى لاتأنسُ بالناس و إن طالتْ معايشتُها لهم[٤] والسِّنَّوْرُ آنسُ الخلق بهم .

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون[٥] عن قتلها ما لم تقلع [هى] عن مَساءتهم ؟! فلو كنَّ مما يؤكل لكان فى ذلك بعض المرفق[٦] . فكيف و إنها لتُلقى فى الطريق[٧] ميِّتة ، فما يعرض لها الكلبُ الجائع !

فالأمم كلها على التفادى منها[٨] واتخاذ السنانير لها .

وزَرَادُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات ، و[إلى]

---

(١) ط ، هـ : « وفى طرفها الآخر » وأثبت ما فى ل ، سـ . السرج : جمع سراج ، وهو المصباح . فيما عدا ل : « السراج يستوقد » .

(٢) فيما عدا ل : « فتحترق » .

(٣) ط فقط : « أكلى البيض » تحريف . آكل : أشد أكلا .

(٤) عايشه : عاش معه . فيما عدا ل : « معاشرتهم » . وأنشد ابن منظور قول قعنب :
وقد علمت على أنى أعايشهم   لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن

(٥) أقلع عن الشئ : كف . فيما عدا ل : « يغفلون » تحريف نص . وكلمة : « بهم » ليست فى ل .

(٦) المرفق : المنفعة . ط ، سـ : « فلوكانت » هـ : « فلوكان » وهذه محرفة . وفيما عدا ل : « المرافق » .

(٧) لتلقى ، من لقيه يلقاه . هى كذلك بالقاف فى نسخ الأصل . وفيما عدا ل : « فى الطرق » .

(٨) تفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . فيما عدا ل : « التأذى » .

التوضؤ بالبول[١] ، وإلى التوكيل فى نيك المغيبات[٢] ، وإلى إقامة سُوراسُنب[٣] ، وصاحب[٤] الحائض والنفساء .

(علة نجاح زرادشت)

ولولا أنه صادف دهراً فى غاية الفسادِ ، وأُمّةً فى غاية البُعْد من الحرية ومن الغَيْرة والألفة ، ومن التقزُّز والتنظف[٥] ، لما تمّ له هذا الأمر .

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تمّ لأنه بدأ بالملك فدعاه[٦] على قدْر ما عرَف من طباعه وشهوته وخُلُقه . فكان الملكُ هو الذى حَمَل على ذلك رعيَّتَه .

والذى قال هذا القولَ ليس يعرُف من الأمور [إلا بقدر] ما باينَ به العامّة[٧] ؛ لأنه لايجوزُ أن يكون الملكُ حملَ العامّة على ذلك ، إلا بعد أن

---

(١) فيما عدا ل : « والتوضى بالأبوال » . وفى اللسان (١ : ١٩٠) : ولا تقل توضيت وبعضهم يقوله » . وفى تاج العروس (١ : ١٣٤) : « ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوما : توضيت — بالياء — فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل وفيهم نشأت » .

(٢) المغيبات ، بضم فكسر : جمع مغيب ومغيبة ، وهى التى غاب عنها زوجها . ل : « المغنيات » تحريف .

(٣) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط فى ل . ولم أهتد إلى تحقيقها . وفى معجم استينجاس « سُوراخ سُنْب » بمعنى المثقب . ط ، ه : « سوراست » س : « سوراست » .

(٤) كذا بالأصل .

(٥) التنظف ، بالظاء المعجمة . وفى اللسان : « قال أبو منصور : التنظفف عند العرب التنطس و التقزز وطلب النظافة » .

(٦) ط : « بدأ بدعاء الملك » ه : « بدأ » مع سقوط الكلمتين بعدها . وأثبت ما فى ل ، ه . والملك هو « كيبشتاسب » أتاه زرادشت بدين المجوسية ، فقبلها وحمل أهل مملكته عليها . وقاتل عليها حتى ظهرت . التنبيه والاشراف ٧٩ .

(٧) باينهم : فارقهم . ط ، ه : « تأتى » س : « يأتى » وأثبت ما فى ل .

يكون زَرَادشتُ ألقى على ذلك الفسادِ أجنادَ الملك . ولم يكن [الملك] ليقوى[1] على العامة بأجناده ، وبعشرة أضعاف أجناده ، إلا أن يكون في العامة عالَمٌ من الناس[2] ، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية .

وعلى أن الملوكَ ليس لها فى مثل هذه الأمور عِلَّةٌ تدعو إلى المخاطرة بملكها ، وإنما غايةُ الملوكِ كل شيء لابد للملوك منه ، فأما ما فضَل عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلك تطلُّبُ[3] الفضول ، إلا من كان مُلكه فى نصاب إمامة ، وإمامتُه فى نصاب نُبوّة ، فإنه يتّبع كلَّ شيء توجبه الشريعة ، وإن كان ذلك سبيلَ الرأى ؛ لأن الذى شرع الشريعة أعلَمُ بغيب تلك المصلحة[4] .

وقد ينبغى أن يكون ذلك الزمان [كان] أفسدَ زمان ، وأولئك الأهل[5] كانوا شرَّ أهل . ولذلك لم ترقطْ ذا دين تحوّل إلى المجوسيّة عن دينه . ولم يكن ذلك المذهبُ إلا فى شِقِّهم وصُقْعهم من فارسَ[6] والجبالِ وخُراسان . [وهذه] كلها فارسية .

(أثر البيئة فى العقيدة)

١٠٠ فإن تعجّبْتَ[7] من استسقاطى لعقلِ كِسْرَى أبرَوِيز وآبائه ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقوى » .
(٢) فيما عدا ل : « عامة من الناس » .
(٣) ل : « لطلب » .
(٤) ط : « بغب تلك المصلحة » صوابه فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « وذلك الأهل » .
(٦) الشق والصقع : الناحية . فيما عدا ل : « فى ضعفة من أهل فارس » .
(٧) فيما عدا ل : « فان عجبت » .

وأحبَائه وقَرابينه[١] وكُتَّابه وأطبائه ، وحكائه وأساورته — فإنى أقول فى ذلك قولا تَعرف به أنى[٢] ليس إلى العصبيّة ذهبت .

اعلم أنى لم أعْنِ بذلك القول الذين وُلدوا بعدُ على هذه المقالة ، ونشئوا[٣] على هذه الدِّيانة ، وغُذُوا بهذه النِّحلة ، ورُبُّوا [جميعاً] على هذه الملة[٤] ؛ فقد علِمْنا جميعاً أن عقولَ اليونانيةِ فوقَ الدِّيانة بالدهرية[٥] والاستبصار فى عبادة [البروج و] الكواكب ؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البُدِّ[٦] ، وعبادة البِدَدَة[٧] ، وعقول العرب فوق الدِّيانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور[٨] ، والحجر المنصوب ، والصخرة المنحوتة .

فداء المنشأ والتقليد ، داء لا يُحْسِنُ علاجَه جالينُوس[٩] [ولا غيرُه

---

(١) قرابين الملك : وزراؤه وجلساؤه وخاصته ، واحدهم قربان بالضم . ل : « وقرائبه » وهذه إنما تكون جمع قريبة . وفيما عدا ل : « قرابته » وهى لغة مقول فيها . ولعل الوجه ما أثبت . وفى ط : « وأحبابه » بدل : « أحبائه » .

(٢) فيما عدا ل : « يعرف به أننى » .

(٣) س ، ه : « ونشوا » .

(٤) فيما عدا ل : « وربوا بهذه الملة » .

(٥) أى عقولهم فوق أن تدين بمذهب الدهرية الذى اعتنقوه . وهذا وما بعده تقرير للمبدأ القائل بأن العقيدة لا تتبع العقل . فيما عدا ل : « فوق عقول الديانة بالدهرية » وكلمة : « عقول » مقحمة . والكلام من هنا إلى كلمة « الديانة » التالية ساقط من ه .

(٦) البد ، بالضم : الصنم ، فارسى معرب . والجمع البددة ، بكسر ففتح . مأخوذ من كلمة « بُتْ » الفارسية ومعناها الصنم. استينجاس ١٥٤ . وجعلها صاحب القاموس معرب « پت » بالباء الفارسية ! ط ، ه : « فوق العادة » صوابها فى ل .

(٧) البددة : جمع بد . انظر التنبيه السابق . ط : « البدة » ه : « البدوة » صوابها فى س . وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل .

(٨) ط ، ه : « والخشب المنجورة » على أن تكون « الخشب » بضمتين جمعا . وأثبت ما فى ل . والكلام من ، « والخشب » إلى : « المنحوتة » ساقط من س .

(٩) جالينوس ، يونانى ، كان إمام الأطباء فى عصره . وقد نقل العرب كتباً كثيرة له فى التشريح . وفيه يقول أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله مـوتة جالينوس فى طبـه

والكلام من : « والتقليد » إلى هنا ساقط من ل .

من الأطباء[١]] . وتعظيمُ الكبراء[٢] ، وتقليدُ الأسلاف ، وإلفُ دينِ الآباء ، والأُنس بما لا يعرفون غيره يحتاج إلى علاج شديد ، والكلام فى هذا يطول .

فإن آثرت أن تتعجب ، حتى دعاك التعجُّب إلى ذكر أبرويز — فاذكر ساداتِ قُريش ، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى .

(دفاع صاحب السنور)

[و] قال المحتجُّ للسنانير : قد قالوا : « أبر من هرّة ! » و : « أعقَّ من ضَبٍّ[٣] ! وهذا قول الذينَ عاينوها تأكلُ أولادها . وزعموا أن ذلك من شدة الحُبِّ لها . وقال بعضهم : إنما يعتريها ذلك من جنونٍ يعتريها عند الولادة ، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرْق مابين جرائها وجراء غيرها من الاجناس[٤] ، ولأنها متى[٥] أشْبِعَتْ أو أُطعمت شِطْرَ شِبَعها لم تعرض لأولادها . والرد[٦] على الأم أمثالها عملٌ مسخوط . والعربُ لا تتعصّب للسنّور عَلَى الضبِّ فيُتوهَّم[٧] عليها فى ذلك خلافُ الحقِّ ، وإنما هذا منكم عَلَى جهة قولكم فى السنور إذا نَجَث[٨] لنجْوه ثم ستره ، ثم عاودَ ذلك المكان

(١) هذه من سه .
(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ل .
(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ١٩٧) ، وكذا أمثال الميدانى (٢ : ٤٥١) فى المثل : « أعق من ضب » .
(٤) الجراء ، بالكسر : جمع جرو ، مثلثة ، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع ونحوها . ويجمع أيضا على أجراء وأجر وأجرية . فيما عدا ل : « أجرائها وأجراء غيرها من الأجناس » .
(٥) فيما عدا ل : « لو » .
(٦) ط ، هـ : « فالرد » .
(٧) سه : « فيتوهم » تحريف .
(٨) نجث : بحث . الأصمعى : « نبثوا عن الأمر وبحثوا ونجثوا بمعنى واحد » . ونجيث البئر والحفرة ونجيثتهما : ما خرج من ترابهما . فيما عدا سه : « بحث » وهما بمعنى .

فشمّه[١] فإذا وجد رائحةً زاد عليه من التراب[٢] . فقلتم : ليس الكرمَ وسترَ القبيح أراد ، وإنما أراد تأنيس الفأر . فنحنُ لا ندَعُ ظاهر صنيعه الذى لاحُكم له إلا الجميل لِمَا يدّعى مُدّعٍ من تصاريفِ الضمير[٣] .

وعلى أن الذى قُلْتموه إن كان حقًّا فالذى أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبْتموه من فضيلة الحياء[٤] .

(العيون التى تسرج بالليل)

قال : والعيون التى تُسرج بالليل : عيون الاسْد ، والأفاعى ، والسنانير ، والنمُّور .

والاسْد سُجْر العيون[٥] . وعيون [السنانير] منها زُرقٌ ، ومنها ذهبيَّة ، كعيون أحْرار الطير وعتاقها . وعيونُ الأفاعى بين الزُّرْق[٦] والذهبية . وقال حسان بنُ ثابت[٧] :

ثريدٌ كأنّ السمْنَ فى حَجَرَاتِهِ نُجومُ الثُّرَيَّا أو عُيُونُ الضَّيَاوِنِ[٨]

الضَّيون : السنّور[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : بالشم » .

(٢) فيما عدا ل : « فإن وجد رائحة زاد عليه بالتراب » . وانظر (٢ : ٢٦٣) .

(٣) فيما عدا ل : « ونقضى بما يدعى » الخ .

(٤) فيما عدا ل : « اجميل » تحريف . والمراد بالحياء : ستره نجوه .

(٥) السجرة : أن يشرب سواد العين حمرة . فيما عدا ل : « سحر » بالمهملة ، تحريف ، وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٣١ س ٢) .

(٦) ل : « الزرقة » تحريف . وانظر الكلام على ألوان العيون ما سلف فى (٤ : ١١٦ ، ٢٢٩) .

(٧) لم أجد هذا البيت فى ديوانه .

(٨) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية . والثريا : مجموعة عنقودية من النجوم وليست نجما واحدا . فيما عدا ل : « كأن الشمس » صوابه فى ل ولسان العرب (١٧ : ١٣٢) .

(٩) فى اللسان : « الضيون : السنور الذكر ، وقيل هو دابة تشبهه » .

(تحقيق فى الألوان)

و إذا قال الناس : ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد . و إذا وصفوا ١٠١ بذلك العينَ وقعَ على لونين ؛ لأن البازىَ يسمى أزرق[١] وكذلك العقاب ، والزُّرَّق ، وكل شىء ذهبىُّ العَين . فإذا قالوا : سنور أزرق لم يُدْرَ ، أذهبوا[٣] إلى ألوان الثياب أم إلى[٤] ألوانِ عيون البزاة .

و [قد] قال صحَارٌ العبدىُّ[٥] حين قال له معاوية : يا أزرق ! قال : البازِى أزْرَق . وأنشد :

ولا عَيْبَ فيها غيرُ شُكْلَةِ عينِها كذاكَ عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيونُها[٦]

والذهب قد يقال له أصفر ، و يقال له أحمر .

وقال بعض بنى مَرْوَانَ لبعض ولد متمِّم بن نُوَيرة : يا أحمر[٧] ! قال : الذهب أحمر . فلذلك زعم أن عِتاقَ الطير شُكْلٌ عُيونها .

وقال الأخطل :

وما زالت القَتْلى تَمُورُ دماؤُهم بدِجْلَةَ حتى ماء دِجلةَ أشكلُ[٨]

فالشُّكلة عندهم تقع على الصُّفرة والحمرة إذا خالطا غيرهما .

---

(١) فى اللسان : « والبازى يكون أزرق » . فيما عدا ل : « ليس أزرق » تحريف .

(٢) الزرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به ، وقال الفراء : هو البازى الأبيض . فيما عدا ل : « الزارق » صو به فى ل .

(٣) ط فقط : « سنور أزرق ذهبوا » بإسقاط ما بين الكلمتين الأخيرتين .

(٤) فيما عدا ل : « والى » .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٦) سبق البيت والخبر قبله فى (٤ : ٢٣٠) فارجع إليه .

(٧) الأحمر ، مما يعيب به العرب ، وهم يسمون العجم الحمراء لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، ويسمون أيضاً الموالى الحمراء . وبذلك فسر حديث : « أرسلت إلى الأحمر والأسود » . انظر ص ٧١ من هذا الجزء .

(٨) تمور : تموج وتتردد . فيما عدا ل : « تمار » . أماره : أساله وأجراه .

(الزرق العيون من العرب)

فمن الزرق[١] [من الناس] صُحارٌ العبديُّ ، وعبدُ الرحمن ابنُه ، وداوُد بن متمِّم بن نويرة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك [بن مروان] ومروان بن محمد بن مروان[٢] ، وسعيد بن قيس الهمدانى[٣] ، وزرقاء اليمامة . وهى عَنْز ، من بنات لُقمانَ بن عادِيا .

ومن الزُّرق ممن كانوا يتشاءمون به : قيس بن زهير ، [وكان أزرق] وكان بكراً وابن بِكْرين[٤] .

وكانت البسوسُ زَرْقاءَ [و] بكراً بنتَ بِكرين . ولها[٥] حديثٌ لا أحقّه .

وكانت الزّبّاء زرقاء[٦] . والزرْق العيونِ ، من بنى قَيس بن ثعلبةَ منهم المرقِّشان[٧] ، وغيرهما .

---

(١) المراد بالزرق ، زرق العيون .

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بويع سنة ١٢٧ ؛ وكان مقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر سنة ١٣٢ .

(٣) نسبة إلى همدان ، قبيلة فى اليمن . وكان من خبره أن عليا كان قد أهدر دم حارثة بن بدر الغدانى ، فكان قيس شفيعاً له عند على ؛ واحتال لذلك بحيلة طريفة ؛ فعفا عنه على ، وانصرف سعيد إلى حارثة وأعلمه بذلك ، وكساه ، وأجازه بجائزة سنية ؛ ولما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه فى ألف راكب . وكان مما قال فيه حارثة (الأغاني ٢١ : ٦٥) :

الله يجزى سعيد الخير نافلة   أعنى سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذنى من شفا غبراء مظلمة   لولا شفاعته ألبست أكفانى

(٤) كان العرب يتشاءمون بالبكر ابن البكرين . انظر ثمار القلوب ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٥) فيما عدا ل : « ولها » .

(٦) انظر حديثها فى ص ٢٧٨ . فيما عدا ل : « وكانت الزرقاء بكراً » تحريف .

(٧) هما المرقش الأكبر والمرقش الأصغر ، سبقت ترجمتها فى (٤ : ٣٧٥) .

(الحمر الحماليق من العرب)

والحُمرُ الحماليق[1] ، من بنى شيبان . وكان النعمان [أزرقَ ، أقشرَ[2] ، أحمرَ] العينين ، أحمر [الحماليق]. وفيه يقول أبو قُردودة حين نهى ابن عمار[3] عن منادَمته :

إني نَهيتُ ابنَ عمّار وقلتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينينِ والشَّعَرَهْ

إن الملوكَ متى تنْزِلْ بساحتِهمْ ... تطِرْ بنارِكَ من نيرانِهمْ شَرَرَهْ

ياجَفْنَةً كإزاءِ الحوضِ قدهَدَموا ... ومَنْطِقًا مِثْلَ وشْيِ اليمنةِ الحِبَرَهْ

(شعر فى الزرق)

وقال عبد الله بن همام السَّلولىّ :

ولا يكونَنَّ مالُ الله مَأْكُلَةً ... لِكلِّ أزرقَ من هَمْدانَ مكتَحِلِ[4]

وقال آخر[5] :

لقد زَرِقَتْ عيناكَ يا ابنَ مُكَعْبِرٍ ... كما كلُّ ضَبّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ[6]

---

(١) الحملاق : باطن أجفان العين الذى يسوده الكحل .

(٢) الأقشر : الشديد الحمرة كأن بشرته متقشرة ، و يقال للأبرص أيضا . وانظر الحديث عن البرص ص ١٦٤ — ١٦٧ .

(٣) هو عمرو بن عمار الطائى ، والمترجم فى (٤ : ٢٤٣) وانظر الخبر والشعر ومراجعهما هناك .

(٤) المأكلة ، بفتح الكاف وضمها : اسم مكان من الأكل ، ولغة الضم مسموعة . وعبارة الجوهري: المأكلة والمأكلة الموضع الذى منه تأكل .

(٥) هو سويد بن أبى كاهل ، كما فى الأغانى (١٩ : ٤٩) .

(٦) ابن مكعبر هذا هو محرز بن مكعبر الضبى ، شاعر من شعراء المفضليات ، له المفضلية ٦٠ من طبع المعارف . والمكعبر ، بكسر الباء ، وفى اللسان : ويقال كعبره بالسيف أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبى لأنه كعبر قوما بالسيف . وروي بالفتح أيضا . وانظر مقدمة المفضلية ٦٠ . ورواية البيت فى المخصص (١ : ١٠٠) : « كذا كل ضبى » .

وفى باب آخر يقول زُهير :

فلما ورَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُه   وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ[١]

(معارف فى حمرة العين)

وقال يونس : لم أرَ قُرَشِيًّا قطُّ[٢] أحمرَ عروقِ العينين إلا كان ١٠٢ سيِّدا شُجاعا ..

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان أشكلَ العينين[٣] ضليع الفم[٤] .

(شعر فى الدعاء على الفأر)

قال : ونزل أبو الرَّغْل الجرمىّ[٥] بعضَ قرى أنطاكيَةَ فلقَى من جِرذانها شرًّا ، فدعا عليها[٦] بالسنانير فقال :

يا ربَّ شُعْثٍ بَرَى الإسآد أوجههم   ومُنْزِلَ الحكم فى طه وحاميمِ[٧]

---

(١) يقال ماء أزرق إذا كان صافيا . وجمام : جمع جم وجمة وهو الماء المجتمع . والحاضر : النازل على الماء . ويقال وضع عصاه : إذا ترك السير .

(٢) ط ، هـ : « قطان » صوابه فى ل ، س .

(٣) فسره سماك بن حرب بأنه طول شق العين . قال ابن سيده : « وهذا نادر » يعنى هذا التفسير . وقال ابن الأثير : أى فى بياضها شىء من حمرة . وهو محمود محبوب . فيما عدا ل : « أشهل » وهى رواية أخرى ثابتة فى اللسان (١٣ : ٣٨١ ، ٣٩٦) .

(٤) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل واسعه . والعرب تحمد عظم الفم وسعته ، وتذم صغره . انظر ص ٢٦٣ .

(٥) فيما عدا ل : « الحربى » .

(٦) ط ، هـ : « عليهم » .

(٧) الشعث : جمع أشعث ، وهو المتلبد الشعر . والإسآد : سير الليل كله . وأراد بطه وحاميم سور القرآن جميعا . فيما عدا ل : « يا رب شعب يرى » ط : « الأستار وجههم » . هـ : « الأسناد وجههم » تحريفات . وفيما عدا ل : « وطسم » تحريف .

أَتِحْ لشيخٍ ثَوَى بالشام مُغْتَرِباً ... نائى النصيرِ بعيدِ الدار مهمومِ

تَكَنَّفَتْهُ قريباتُ الخُطَى دُكُنٌ ... وُقْصُ الرِّقابِ لطيفاتُ الخراطيمِ[1]

حُجنُ المخالب والأنياب شابكةٌ ... غُلْبُ الرِّقاب رَحيباتُ الحيازِيمِ[2]

ثارُوا لهنَّ فما تنفكُّ من قَنَصٍ ... لكلِّ ذَيَّالَةٍ مَقَّاءَ عُلجومِ[3]

حتى أبيتَ وزادِى غير مُنْعَكِمٍ ... على النَّزيلِ ولا كُرزِى بمعْكومِ[4]

وأنشدَنى ابنُ أبى كريمةَ ، ليزيدَ بنِ ناجيةَ السَّعْدِىِّ[5] : سعدِ بن بكر . وكان لقِىَ من الفأر جَهْدًا ، فدعا عليهن[6] بالسنانير ، فقال :

أزُهيرُ مالكَ لايهمُّك مابى ... أخزَى إلهُ محمدٍ أصحابى

كُحْلَ العيون ، صغيرةً آذانُها ... جُنحَ الحنادِسِ يعتوِرْنَ جِرابى[7]

شُمَّ الأنوفِ لريح كلِّ قَفِيَّةٍ ... يلحَظْنَ لحظ مُرَوَّعٍ مُرتابِ[8]

---

(١) دكن : جمع دكناء ، والدكنة لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . فيما عدا ل : « ذكره » تحريف . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق .

(٢) الأحجن : المعوج المعقف . شابكة : مشتبكة ، وانظر (٤ : ١٨٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٩) . والأغلب : الغليظ الرقبة . والحيزوم : الصدر .

(٣) أى ثارت السنانير للجرذان . والقنص : الصيد ، قنصه يقنصه قنصا وقنصا ، بالفتح وبالتحريك . والذيالة : الطويلة الذيل . والمقاء : الطويلة فى دقة . والعلجوم : الشديد السواد ، أو الطويل ، الذكر والأنثى سواء . فيما عدا ل : « فما ينفك » تحريف .

(٤) عكم المتاع يعكمه عكما : شده بثوب . والنزيل : الضيف . والكرز ، بالضم : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج . فيما عدا ل : « كورى » والكور : الرحل ، ولا وجه له .

(٥) لم أجد له ترجمة أكثر مما قال الجاحظ ، إنه من بنى سعد بن بكر .

(٦) فيما عدا ل : « عليم » .

(٧) جنح الحنادس : أى فى جنح الظلام . يقال جنح وجنح ، بالضم والكسر ، وهو جانب الليل ، أو أوله ، أو قطعة منه نحو النصف . يعتورن : يتداولن ، كلما سكن أحدها نهض الآخر للعمل . فيما عدا ل : « خنس الحنادس » تحريف . ط : « يجتوون » س : « يحتورن » صوابهما فى ل .

(٨) القفية : المختار ، واقتفاه : اختاره . ط ، هـ : « كريح » تحريف . وفيما عدا ل : « كل بغية » . والبغية : ما يبتغى ويطلب ، والأوفق ما أثبت من ل .

دُكْنُ الجباب تدرّعَتْ أبدانها … صُعْلَ الرُّؤوسِ طويلةُ الأذنابِ [(١)]

شُخُتَ المخالب والأنايبِ والشَّوَى … ثُجْل الخصور رَحيبة الأقرابِ [(٢)]

أسْقَى الإلهُ بِلادَهُنَّ سحائباً … غُرَّ النَّشَاصِ بعيدةَ الأطنابِ [(٣)]

تَرْمِي بِغُبْسٍ كاللّيوث تَسَرْبَلَتْ … منها الجلودُ مَدَارِعَ السِّنْجابِ [(٤)]

غُلْبَ الرِّقاب لطيفــة أعجازُها … فُطْحِ الجِباهِ رَهِيفةِ الأنيابِ [(٥)]

مُتَبَهْنِسَاتٍ للطِّرادِ كأنها … آسادُ بِيشَةَ أُدْمِجَتْ بخضابِ [(٦)]

ونحنُ نظُنُّ أن هذه القصيدةَ من توليد ابنِ [أبى] كريمة .

---

(١) الدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . والجباب : جمع جبة ، وهى موصل ما بين الساق والفخذ . فيما عدا ل : « وكز الجباه » والكلمة الأولى محرفة ، وللثانية وجه . تدرعت : هو من الدرع ، وهو اختلاف اللون . والصعل : جمع صعلاء وأصعل ، وهو الخفيف الرأس .

(٢) شخت : جعله جمعا لشخيت . والشخيت : الدقيق . وجمع فعيل صفة على فعل نادر ، كنذير ونذر . والأنايب : جمع للناب ، وأصلها الأنابيب ، فحذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين . انظر اللسان (٢ : ١٧٤ س ٨ — ٩) وحواشى الحيوان (٢ : ٣٧٠) . والشوى : اليدان والرجلان ، الواحدة شواة . ثجل : جمع أثجل ، وهو العظيم الواسع . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة ، يقولونه جمعا وإنما هما قربان اثنان . ط ، هـ : « حل الحصون » س : « محل الخصون » صوابهما فى ل . وفى ل أيضا : « حقيرة الأسلاب » .

(٣) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والأطناب : جمع طنب ، بضم وبضمتين ، وهو حبل الخباء والسرادق ، أراد عظم هذه السحائب . فيما عدا ل : « غر البشام » تحريف . وقد دعا عليهن بالمطر ، وهو أخوف ما يخفن .

(٤) الغبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو ما لونه لون الرماد . : ط : « بعرس » س ، هـ : « بعس » صوابهما فى ل . والمدارع : جمع مدرع ، وهو ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوقة المقدم . والسنجاب : حيوان على حد اليربوع ، أكبر من الفأرة وشعره فى غاية النعومة ، فارسيته « سِنْجاب » ولم يذكر فى اللسان والقاموس والمعرب وشفاء الغليل ، وذكره ادى شير ٩٥ . وهو رمادى اللون ، كما فى معجم استينجاس ٧٠٠ . وهو بالإنجليزية : Grey squirrel وبالفرنسية : Petit gris .

(٥) غلب : غلاظ ، جمع أغلب وغلباء . فطح : واسعات عريضات : جمع أفطح وفطحاء .

(٦) متبهنسات : متبخترات . ط ، س : « متهيئات » هـ : « متهنيات » وأثبت ما فى ل . وبيشة : موضع تنسب إليه الآساد .

(معارف فى السنور)

والسنّور ثاقبُ البصر بالليل . وكذلك الفأرة سوداء العينين . وهى فى[1] ذلك ثاقبة البصر .

والسنَّوْرُ ضعيفُ الهامة . وهامته من مَقاتِله . ولا يستطيعُ أنْ يذوقَ الطعامَ الحارّ ولا الحامضَ .

(مقارنة بين السِّنور والـكلب)

قال : وللسنور فضيلةٌ أخرى : أنه[2] كثيرُ الأسماء القائمةِ بأنفسها ، ١٠٣ غيرِ المشتقات . ولأنها[3] تجمع الصفاتِ والأعمالَ بل هى أسماءٌ قائمةٌ . من ذلك : القطُّ ، والهِرُّ ، والضَّيْوَن[4] ، والسنَّوْر .

وليس للـكلب اسمٌ سِوَى الـكلبِ[5] ، ولا للدِّيك اسمٌ إلا الديك . وليس للأَسد اسمٌ إلا الأسد واللَّيث . [وأمَّا الضيغم ، والخنابس ، والرِّئبال[6] ، وغيرها — فليست بمقطوعة]، والباقى ليست بأسماءٍ مقطوعةٍ[7] ولا تصلح[8] فى كل مكان .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » . وانظر (٤ : ٢٣١) .

(٢) ل : « لأنه » .

(٣) ط : « لأنها » وبإسقاط الواو قبلها س ، هـ : « ولأنها » صوابهما فى ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ . وكلمة « السنور » فى ل تالية لكلمة : « القط » .

(٥) ل : « إلا الـكلب » .

(٦) الضيغم : مشتق من الضغم ، وهو العض . والخنابس ، مشتق من الخنبسة : وهى التارة والشدة . والرئبال ، مشتق من الرأبلة ، وهى الخبث ، أو المشى متكفئاً كأنه يتوجى .

(٧) ذكر السيوطى فى باب معرفة خصائص اللغة (١ : ١٨٩) أن أبا عبد الله بن خالويه كان يقول : « جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين » . وأراد الجاحظ بالمقطوعة الأسماء التي هى نص فى مسماها . ل : « ليست أسماء مقطوعة » .

(٨) فيما عدا ل : « تطلع » .

وكذلك الخمر . فإذا قالوا : قهوة ، ومُدامةٌ ، وسُلافٌ، [وخَنْدَرِيسٌ] وأشباه ذلك — فإنما تلك أسماء مشتركة . وكذلك السيف[1] . وليس هذه الأسماء عند العامة كذلك .

قال : وعلى السِّنور من المحبة ، ولا سيما من مَحَبَّةِ النِّساء ، ومعه من الإلف والانس والدنوّ ، والمضاجعةِ ، والنوم فى اللِّحاف الواحد — ماليس مع الكلب ، ولا مع الحمام ، ولا [مع] الدَّجاج ، ولا مع شىء مما يعايش الناس .

هذا ، ومنها الوحشى والأهلىّ . فلولا قُوَّةُ حبهِّ للناس لما كان فى هذا المعنى أكثرَ من الكلابِ ، والكلاب كلّها أهلية .

قالوا : وليس بعجيبٍ أن يكون الكلبُ طيِّبَ الفم ؛ لكثرةِ ريقه ، ولبُعد قرابتِه ومشاكلَته للأُسد ، وإنما العجبُ فى طيبِ فمِ السنَّور ، وكأنه فى الشَّبه من أشبال الأسد .

ومن يُقَبِّلُ أفواه السنانيرِ وأجْراءها من الخرائد[2] وربَّات الحجال ، والمخدَّرات ، والمطهَّمات[3] ، [والقينات[4]] أكثرُ من أن يُحصى لهنَّ عَدد ، وكلهنَّ[5] يخبرنَ عن أفواهها[6] بالطِّيب والسلامةِ مما عليه أفواهُ السباع . وأفواهُ ذوات الجِرَّة[7] من الأنعام .

---

(١) فيما عدا ل : « الضيف » تحريف . ومما يجدر ذكره أن صاحب القاموس صنع كتاباً سماه : «الروض المسلوف» جمع فيه ما ينيف على ألف اسم من أسماء السيف . انظر القاموس (سيف) .

(٢) الخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس قط ، أو الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت الخفرة . فيما عدا ل : « الحرائر » جمع حرة بالضم ، وهى الكريمة ، أو ضد الأمة .

(٣) المطهمات : البارعات الجمال . والمطهم : الحسن التام كل شيء منه على حدته .

(٤) القينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية .

(٥) ط : « والكل » س ، هـ : « ولكن » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « أفواههن » .

(٧) الجرة ، بالكسر : ما يخرجه البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه . فيما عدا ل : « ذى الجرة » .

وما رأينا وضيعةً قطُّ ولا رفيعة ، قبَّلتْ فَمَ كلبٍ أو ديك[١] .
وما كان ذلك من حارس قطُّ ، ولا من كلاَّبٍ ، ولا من مكلِّب[٢] ،
ولا من مُهَارِش[٣] .

والسنور يُخْضَب[٤] ، وتُصاغُ له الشنوفُ والأَقْرِطَة[٥] ، ويُتحف
ويدلَّل[٦] .

ومَنْ رأى السنوْرَ كيف يَختِلُ العُصفورَ ، مع حَذَرِ العُصفورِ ، وسُرعة
طيرانه — على أن جهتَه فى الصيدِ جهةُ الفهد والأسد . ومنْ رآه يفَ
يرتفعُ بوَثْبته إلى الجرادة فى حال طيرانها — علم أنه أسْرَعُ من الجرادة[٧] .

وله إهابٌ فضفاضٌ ، وقميصٌ من جلده واسعٌ ، يموج فيه بدنُه .
وهو مما يضبع[٨] لسعَة إبطيه ، ولوشاء [إنسان] أن يعقِدَ صُلْبَهُ ، ويَثْنِيَ أوَّلَه
عَلَى آخِره ، كما يُثْنَى المِخْراق[٩] ، وكما[١٠] يثنى قضيبُ الخيزُران [لفَعَل] .

ويوصفُ الفرَسُ بأنه رِهل اللَّبان[١١] ، رحيبُ الإهاب ، واسع

---

(١) ليس للديك فم ، وإنما له المنقار .

(٢) الكلاب : صاحب الكلاب . والمكلب : الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . « ولا من كلاب » ساقط من ل .

(٣) المراش : تحريش الكلاب بعضها على بعض . وانظر (قتال الحيوان) فى ص ٢٤٦

(٤) يخضب بالخضاب ، وهو الحناء ونحوه . ل : « تخضب » .

(٥) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط يعلق فى أعلى الأذن . والقرط يجمع على أقراط وقراط وقروط وقرطة بفتح فكسر . ل : « والقرطة » . وفى ل أيضاً : « تصاغ لها » .

(٦) يتحف : تقدم إليه التحف والطرف . ل : « تتحف وتدلل » .

(٧) ل : « الجراد » .

(٨) يضبع : يمد ضبعيه فى سيره . ط : « يضع » س ، ه : « يصنع » صوابهم فى ل .

(٩) المخراق ، سبق تفسيره فى ٢٥٧ .

(١٠) فيما عدا ل : « أو » .

(١١) اللبان ، بالفتح : الصدر . والرهل ، بفتح فكسر : ذو الرهل ، وهو الاضطراب والاسترخاء .

الآباط . وعيب الحمار للكزَازة التي في [يديه ، وفي] منكبيهِ ، وانضمامهما[1] إلى إبطيه ، وضِيق جِلدِهِ ، وإنما يعدُو[2] بعُنقه

(التجارة فى السنانير)

قالوا : وللسنور تجّارٌ وباعة ، ودلاَّلون ، وناسٌ يُعرفون بذلك . ولها رَاضَةٌ[3] .

وقال السِّنْدِي بن شاهَك : ما أعيانى أحدٌ من أهل الأسواق : من التجّار[4] ، و[من] الباعة والصنَّاع ، كما أعياني أصحابُ السنانير ، يأخذون السنّوْر الذى يأكل الفِرَاخ والحمامَ ، ويواثب أقفاص الفواخِت[5] والوراشين والدّباسِي[6] [والشّفانين[7]] ، ويدخِلُونه فى دَنٍّ ، ويشُدُّون رأسَه[8] ، ثم يدحْرِجونه على الأرض حتى يَشْغَلَه الدُّوَار ، ثم يدخِلونه فى قفص فيه الفراخُ والحمام ، فإذا رآه المشترى رأى شيئا عجباً[9] ، وظنّ أنه قد ظفر بحاجته . فإذا مضى به إلى البيت مَضى بشيطانٍ ، فيجْمع عليه ١٠٤

---

(١) أى انضمام يديه ومنكبيه .

(٢) س ، ھ : « يغلو » تحريف .

(٣) راضة : جمع رائض ، كباعة وبائع ، وهو الذى يروض الدواب ويسوسها .

(٤) فيما عدا ل : « ومن التجار » .

(٥) الفواخت : جمع فاختة ، وهى ضرب من الحمام المطوق : Ringdove . وانظر (١ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « الفواخيت » . وزيادة الياء في نحوه مذهب للكوفيين .

(٦) الدباسى ، جمع دبسى ، بالضم . وهو ضرب من الحمام الوحشى : Palmdove or Little brown dove منسوب إلى دبس الرطب ، بالكسر ، على التغيير فى النسب كالدهري ، أو هو على لفظ المنسوب وليس بمنسوب . وانظر (٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدباس » محرف .

(٧) الشفانين : جمع شفنين ، بالكسر ، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٨) فيما عدا ل : « يسدون » بالسين المهملة . والمشدود : المربوط .

(٩) فيما عدا ل : « عجيباً » .

بليّتين[١] إحداهما أكْلُ طيوره وطيور الجيران ، والثانية أنه إذا ضَرِىَ عليها لم يطلُبْ سِواها .

ومررتُ يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكّىّ بالأساورة[٢] وإذا امرأةٌ قد تعلّقتْ برجُل وهى تقول : بينى وبينك صاحبُ المسْلَحَة[٣] فإنك دَلَلْتَنى عَلَى سنور[٤] ، [وزعمتَ أنه لايقربُ الفراخ ، ولا يكشفُ القدُور ، ولا يدنو من الحيوان ، وزعمت أنك أبصرُ الناس بسنور] ، فأعطيتُك[٥] على [بصرك و] دلالتك دانِقا[٦] . فلما مضيتُ [به] إلى البيت مضيتُ بشيطان قد والله أهلَكَ الجيرانَ بعد أن فرغَ منا . ونحنُ منذُ خمسةِ أيامٍ نحتال فى أخذه . وهاهو [ذا[٧]] قد جئتُك به فرُدَّ عَلَىّ دانقى ، وخُذْ ثمنه من الذى باعنى[٨] . ولا والله إن تُبْصِرُ من السنانير قليلا ولا كثيراً !

---

(١) فيما عدا ل : « فيجتمع عليه بليتان » .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . وأراد الجاحظ خطّتهم التى كانوا ينزلون فيها . والمكى : أحد معاصرى الجاحظ ، وكان له معه مداعبات . وانظر (٣ : ٣٢٤ — ٣٢٧) . وبدله فيما عدا ل : « البكاء » .

(٣) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، والمسلحة أيضاً القوم الذين يحرسون الثغور من العدو . ل : « المصلحة » .

(٤) ط ، هـ : « السنور » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعطيتك » .

(٦) البصر هنا بمعنى العلم وجودة المعرفة . والدلالة ، كسحابة وكتابة : الجمع بين البائع والمشترى . والدانق بكسر النون وفتحها : سدس الدرهم أو ثمنه ، ومرجع الاختلاف إلى تفاوت ما بين الدراهم أنفسها . وهو بالفارسية : « دانگ » أو « دانگ » وهو فى الفارسية بمعنى ربع الدرهم ، أو السدس من أى شىء . انظر استينجاس ٥٠١ والمعرب ١٤٥ وادي شير ٦٦ .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٧) أى الذى باعنى إياه . وفيما عدا ل : « باعه » .

قال الدلاَّل : انظروا بأىِّ شىء تستقيلنى[١] ؟ ! ولا والله إنْ فى ناحيتنا فتًى هو أبصرُ بسنور منِّى ، وذلك من مَنِّ سيِّدي ومولاى[٢] !

فقلتُ للدّلاَّل : ولا والله إن فى هذه الناحية فتًى هو أشكر لله منك[٣].

(أكل السنانير)

وناس يأكلون السنانيرَ ويستطيبونها . وليس يأكل الكلبَ أحَدٌ[٤] إلا فى القرْط .

والعامة تزعم أن من أكل السِّنَّوْر الأسود لم يَعْمَلْ فيه السحر .

والكلبُ لا يؤكل .

(أكل الديك)

والديك خبيث اللحم عَضِله[٥] ، إلا أن يُخْصَى . وتلك حيلة لأهل حِمْص ، وليست عندنا فيه [حيلة . وقال جَحْشويه[٦] :

كيفَ صبرى عن مثلِ جُمجُمةِ الهِرِّ تثَنَّى بمُسْبَطِرٍّ متينِ
ليس يخفى عليك حين تراها أنها عُدَّة لداء دفينِ]

---

(١) استقاله : طلب إليه أن يقيله ، أى يفسخ ما بينه وبينه . هـ : « تستقلنى » ل . س : « تستقبلنى » .

(٢) أراد : من نعمة الله وفضله . ل : « وذلك من سيدى ومولاى » .

(٣) كلمة : « هو » ليست فى ل : س .

(٤) فيما عدا ل : « واحد » ، والأكثر فى النفى استعمال « أحد » .

(٥) العضل : الكثير العضلات ومثل العضل ، كعتل . وهذا الحرف ساقط من ل .

(٦) جحشويه : من شعراء المجون . وقد سبق فى (٤ : ١٨١) قول الجاحظ : « ولقد ولدوا على لسان جحشويه فى الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط » . وقد روى له الجاحظ شعراً آخر في المجون . انظر البيان (٣ : ٣٣) .

(سكينة التابوت)

قالوا : وزعم بعضُ أهلِ الكتاب ، و بعضُ أصحاب التفسير[١] ، أن السَّكينة التى كانت فى تابوت موسى[٢] [كانت] رأس هِرٍّ[٣] .

(استطراد لغوى)

قالوا : وقلتم فى الاشتقاق من اسم الكلب : كُلَيب ، وكِلاب[٤] ، ومَكْلَبة[٥] ، ومُكالب[٦] ، وأصاب القومَ كُلْبَةَ الزمان ، مثل هُلْبة[٧] ، وهى الشدّة .

والكِلابُ واحدُها كَلْب ، و[تجمع] على[٨] كلاب [وأكلب] وكليب ، كما يجمع البُخْت بَخيتاً وأبختُا[٩] .

وَالكَلاّب بتثقيل اللام : صاحب الكلاب . والمُكَلِّب ، بتثقيل اللام وضمّ الميم : الذى يعلِّم الكِلابَ الصَّيْدَ[١٠] . وقال طُفيل الغَنَوِىّ :

---

(١) ط ، هـ : « أهل التفسير » .

(٢) هذه إشارة إلى قول الله : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٣) فى تفسير أبى حيان : « وقيل السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، لها رأس كرأس الهر ، وذنب كذنبه ، وجناحان » .

(٤) كلاب ، بالكسر : اسم لأبى قبيلة ، وبالفتح داء الكلب .

(٥) المكلبة : الأرض يكثر فيها الكلاب ، والقيادة .

(٦) المكالبة : المشارة والمضايقة . والمكالب أيضاً : الجرىُ ، يمانية .

(٧) هلبة الشتاء ، بالضم شدته .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٩) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « كما يجمع النجب نجيب » . ولم أجد فى المعاجم ما يؤيد صحة إحدى العبارتين .

(١٠) سبق مثل هذا فى التنبيه ٢ ص ٣٣٨ . والكلام من : « صاحب » إلى : « وضم الميم » ساقط من ل .

تُبَارِى مَرَاخِيها الزِّجاجَ كأنها ... ضِرَاءٌ أحسَّتْ نَبأَةً من مُكَلِّبِ[١]

وقال الآخر[٢] :

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصُّدَاح إذا غدَتْ ... فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ للكَلَّابِ[٣]

والكَلَب : داء يقع فى الإبل ، فيقال كلِبت الإبلُ تَكْلَب كلَباً ، وأكْلَب القَوم : إذا وقع فى إبلهم الكَلَب . ويقال كَلِب الكلبُ واستكلب : إذا ضَرِىَ وتعوّدَ أكلَ الناس ، ويقال للرّجل إذا عضّه الكلبُ الكَلِبُ : قد كُلِبَ الرّجُل .

١٠٥

ويقال إن الرّجُلَ الكَلِبَ يَعَضُّ إنساناً آخر ، فيأتون رجلا شريفاً ، فيقطُرُ لهم من دَمِ إصبعه، فيَسْقُونَ ذلك الكَلبَ فيبرأ . وقال الكُميت :

أحلامُكم لسِقَامِ الجهلِ شافيةٌ ... كما دِماؤكم يشفَى بها الكَلَبُ[٤]

قالوا : فقد يقولون للسنور هِرّ ، وللأنثى هِرّة . ويقال من ذلك هرّ الكلبُ يهرُّ هريراً ، وتسمَّى المرأةُ بهِرّة ، ويكنى الرّجُل أبا هِرٍّ[٥] ، وأبا هُريرة . وقال الأعشى :

ودِّعْ هُريرةَ إن الركبَ مُرْتحِلُ ... وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

وقال امرؤ القيس :

دارٌ لِهِرٍّ والرَّبابِ وفَرْتَنَى ... ولَمِيسَ قبلَ تفرُّقِ الأيَّامِ[٦]

---

(١) سبق إنشاد هذا البيت وشرحه فى (١ : ٢٧٦) وكرر أيضاً فى (٢ : ٨١) . فيما عدا ل : « كأنه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » . والبيت سبق فى (١ : ٢٧٧ و ٢ : ٢٠١) .

(٣) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العين من الإبل . تراح : تجد راحة وفرجا . والصداح ، بالدال : رفع الصوت بالغناء ، عنى صوت الحادى . والرواية فيما سبق : « الصراخ » . وفى الجزء الأول من ل وكذا اللسان (٣ : ٢٨٧) : « إلى الصياح » . والضراء ، جمع ضرو : وهو الكلب الضارى . فيما عدا ل : « الظباء » . و « بالكلاب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « تشفى من الكلب » .

(٥) سه : « أباهرة » .

(٦) البيت من قصيدة له فى الديوان ١٦٠ — ١٦٥ يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك .

وقال ابنُ أحمر[1] :

إن امرأ القيسِ عَلَى عَهْدِه   فى إرْثِ ما كان بناه . حُجُرْ
بَنتْ عليـــــه الملكَ أطنابَها   كأسٌ رَنَوْناةٌ وطِرْفٌ طِمِرّْ[2]
يلهُو بهنـــدٍ فوقَ أنماطِها   وفَرْتَنَى تَسْعَى عليــه وهِرّْ[3]

(أطْباء الهرة وحملها)

قال : وللهرة ثمانية أطباء [أربعةٌ[4]] تقابلُ أربعة ، أوَّلهنَّ بين الإبط والصدْر ، وآخِرُهنَّ عند الرُّفغ . وتحمِلُ خمسين يوماً ، وتضع جراها[5] عُمْياً . وليس بينَ تفقيحها وتفقيح[6] جراءِ[7] الكلابِ إلا اليَسير .

---

(١) روى صاحب اللسان سبعة أبيات من هذه القصيدة فى (١٩ : ٥٦) . والبيت الأول والثانى فى تهذيب الألفاظ ٢١٩ والثانى فى المقصور ٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٦٧ واللسان (١٢ : ٣٨٤) .

(٢) يروى : « بنت عليه الملك » بتشديد النون ورفع الملك ، والملك هى الكأس فلذلك أنثها . ويروي : « بنت عليه الملك » بتخفيف النون ونصب الملك ، ونصبه على أنه مصدر وضع موضع الحال ، كأنه قال مملكا ، وهاء « أطنابها » عائدة إلى الكأس . وروى بعضهم : « بنت عليه الملك » فرفع الملك وأنث فعله على معنى المملكة . ويروى : « مدت عليه الملكَ » و « الملكُ » . والرنوناة : الدائمة على الشرب . فيما عدا ل : « رويناه » تحريف . قال ابن سيده : « ولم نسمع بالرنوناة إلا في شعر ابن أحمر » . والطرف : من الخيل العتيق الكريم . والطمر : الوثاب . وانظر لهذا البيت المخصص (١١ : ٧٣ ، ١٤ : ٢٢٧ ، ١٧ : ١٦) .

(٣) فيما عدا ل : « تسعى إليه » . وفى اللسان (١٩ : ٥٧) : « وفرتنى يعدو إليه » محرفة .

(٤) ليست بالأصل . والكلام يقتضيها .

(٥) الجراء : جمع جرو . و « جراها » كذا جاءت بالقصر .

(٦) فقح الجرو وفقح ، وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير . وانظر (٢ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « تفتيحها وتفتيح » تحريف .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط ، ﻫ . وبدلها فى سه : « أجراء » وأثبت ما فى ل . وهما جمع جرو .

(إيثار الهرة والديك)

والهرة من الخلْق الذى يؤْثِر على نفسه ، ولها فضيلةٌ فى ذلك [على الدِّيك الذى له الفضيلة فى ذلك] على جميع الحيوان ، إلا أن الديك[١] لايفعل ذلك [بالدجاج] إلا مادام شابّاً . ولا يفعل ذلك بأولاده ، ولايعرفهم وإنما يفعل ذلك بالدجاجِ عَلَى غير الزِّواج[٢] ، وعَلَى غير القصد إلى واحدة[٣] يقصِد إليها بالهوى .

والهِرَّة يُلقى[٤] إليها الشىء الطيبُ وهى جائعة ، فتدعو أولادها ، وقد استَغْنَيْن عن اللبن ، وأطَقْن الأكل والتقمُّم والتكسُّب ؛ نعم حتى ربما فعلتْ ذلك بهنّ وهنّ فى العينِ شبيهاتٌ بها فى العِظَم[٥] ؛ فلا تزالُ ممسكةً عن [تلك] الشحمة على جُوعها[٦] ، ومع شرَهِ السنانير ، حتى يُقبِلَ ولدُها فيأكلَه[٧] .

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوهُ على مال ، فشدّ عليه فأخذه ، فلما لامه بعض نصحائه قال : يطرحون اللحم قُدّام السنورِ فإذا أكله ضربوه !

فضَرَبَ شَرَهَ السنور مثلا لنفسه[٨] .

و[الهرّة] ربما رموا إليها بقطعةِ اللحم ، فتقصدُ نحوها حتى تقف

---

(١) هنا فيما عدا ل زيادة : « إلا الديك » هو إقحام وتحريف .
(٢) الزواج ، بالكسر : المزاوجة . فيما عدا ل : « الرواج » بالمهملة ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « لواحدة » .
(٤) ط ، هـ : « تلقى » .
(٥) « فى العين » ساقطة من س . وفى ط ، هـ « وهم فى العين يشبهنها فى العظم » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « مع جوعها » .
(٧) الضمير للشىء الطيب . وفى ط فقط : «فيأكلها » والضمير للشحمة .
(٨) فيما عدا ل : « يضرب بشره » الخ .

١٠٦ عليها ، فإذا أقبلَ ولدها تجافتْ عنها . وربما قبضتْ عليها بأسنانها فرمت بها إليه[١] بعد شمِّ الرائحة[٢] ، وذَوق الطعم .

(نقل الهرة أولادها)

والهرّة تنقل أولادها فى المواضع ، من الخوف عليها . ولا سبيل لها فى حملها إلا بفيها[٣] . وهى تعرف دِقّةَ[٤] أطْرَافِ أنيابها ، وذَرَب أسنانها . فلها بتلك الأنياب الحِدَادِ ضربٌ من القبض عليها ، والعَضِّ لها ، بمقدار تبلغُ به الحاجة[٥] ، ولا تؤثّر فيها ولا تؤذيها .

(مخالب الهرة والأسد)

فأما كفُّها والمخالبُ المعقَّفة[٦] الحِدَادُ التى فيها ، فإنها مصونة فى أكمامها[٧] . فمتى وقعت كفُّها[٨] على وجه الأرض صارت فى صوْن ، ومتى أرادت استعمالها نَشَرَتها[٩] وافرة ، غير مكلومةٍ ولا مثلومة[١٠] كما وصف أبو زُبَيْدٍ كفَّ الأسد [فقال] :

---

(١) ل : « إليها » فيكون الضمير عائدا إلى الولد بمعنى الجمع ، فإن الولد يكون للمفرد والجميع .

(٢) فيما عدا ل : « بغير شم الرائحة » تحريف . والمراد أن تختبر الطعام وتبلوه .

(٣) سـ : « بأسنانها » .

(٤) سـ ، هـ : « رقة » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « حاجتها » .

(٦) المعقفة : المعوجة الملوية . فيما ل : « المعقلة » تحريف .

(٧) الأكمام : جمع كِم ، بالضم ، غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٨) ل : « متى وضعت كفها » .

(٩) نشرتها : بسطتها . ل : « أظهرها » .

(١٠) مكلومة : مجروحة ، والمراد حدوث أثر فيها . وفى الحديث : « ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئاً » أى لم تؤثر فيهم ولم تقدح فى أديانهم . انظر =

بحُجْن كالمحاجنِ في قُنُوبٍ   يَقيها قِضَّةَ الأرضِ الدَّخيسُ(١)

كذلك مخالبها ومخالبُ الأسد ، وأنيابُ الأفاعى(٢) . و [قد] قال الرَّاجز(٣) ، وهو جاهليّ :

حتّى دنا من رأس نَضْناض أصمّْ(٤)   فخَاضَه بين الشِّراك والقدَمْ(٥)

بمِذْرَبٍ أخرجَه من جوفِ كُمّْ(٦)

(زعم بعض المفسرين فى السنانير والخنازير)

وزعم بعض المفسرين أن السنور خُلِقَ من عطسة الأسد ، وأن الخنزير خُلِق من سلحة الفيل(٧) ؛ لأن أصحابَ التفسير يزعمون أن أهلَ

= اللسان (١٥ : ٤٢٩) . س : « مكاولة » تحريف ، وإنما يقال « كليلة » . كل السيف ونحوه فهو كليل : ذهبت حدته . والمثلومة : التى كسر حرفها . فيما عدا ل : « مأثومة » تحريف .

(١) القنوب : جمع قنب ، بالضم ، وهو ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده . فيما عدا ل : « فتوح » بالحاء المهملة ، تحريف . ل : « كالمخالب » وفيما عدا ل : « قصة الأرض » تحريفان . انظر لهما شرح البيت ، وقد سبق فى (٤ : ٢٨٤) . وفى الأصل هنا : « يقيها » بالياء ، صوابه مما سبق .

(٢) فى (٤ : ٢٨٤) : « وكذلك أنياب الأفاعى هى مالم تعض فصونة فى أكمام لها » .

(٣) سبقت بعض أبيات الرجز فى (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣ — ٢٨٤) وستأتى بعض أبياته فى (٦ : ٣٩ ، ٣٤ ساسى) .

(٤) النضناض : الحية تحرك لسانها . ط ، س : « فضفاض » تحريف .

(٥) خاضه ، هو من قولهم خاضه بالسيف وضعه فى أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق . ل ، هـ : « فحاصه » وحاصه بمعنى خاطه ؛ ولها وجه ضعيف . والشراك ، بالكسر : سير النعل . س : « الشراط » تحريف .

(٦) المذرب : الحاد ، أراد به الناب . فيما عدا ل : « مذرب » صواب روايته فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٢٨٤) . والكم ، سبق تفسيره فى التنبيه السابع من الصفحة ٣٤٦ .

(٧) السلح : السلاح بالضم ، وهو النجو . فيما عدا ل : « عطسة » تحريف . وانظر السياق وقد سبق هذا الزعم فى (١ : ١٤٦) .

سفينةِ نوح لما تأذَّوْا بكثرة الفأر[١] وشكَوا[٢] [إلى نوح ذلك] سأل ربَّه الفرَج ، فأمره أن يأمُرَ الأسد فيعطِسَ . فلما عطس خرج من منخرَيه[٣] زوجُ سنانير : ذكر وأنثى[٤] . خرج الذَّكَر من المنْخر الأيمن ، والأنثى من المنخر الأيسر . فكفَيَاهم[٥] مَؤُونة الجُرذان . ولما تأذَّوْا بريح نَجْوِهما[٦] شكوا ذلك إلى نوح ، وشكا ذلك إلى ربِّه[٧] . فأمره أن يأمر الفيل فليَسْلح[٨] ، فسَلَح [زوجَ] خنازير فكفياهم[٩] مَؤُونة رائحة النجو .

وهذا الحديثُ نافقٌ عند العوَامِّ ، وعندَ بعض القُصَّاص

(إنكار تخلُّق الحيوان من غير الحيوان ، والرد عليه)

وقد أنكر ناسٌ[١٠] أن يكون الفأر تخلَّق فى أرحام إناثها[١١] من أصلاب ذكورتها[١٢] ومن أرحام بعض الأرضين[١٣] كطينة القاطول[١٤] ؛

---

(١) فيما عدا ل : « من كثرة الفأر » . وفى الجزء الأول : « تأذوا بالفأر » .

(٢) سه : « وشكوا إليه » .

(٣) المنخر : الأنف ، وثقب الأنف . وفيه لغات ، بفتح الميم والخاء ، وضمهما ، وكسرهما ، وكمجلس وملمول .

(٤) فيما عدا ل : « من ذكر وأنثى » .

(٥) ل : « فكفوهم » وفى سائر النسخ : « فكفاهم » والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « برائحة » . و « نجوها » هى فى الأصل : « نجوهم » .

(٧) فيما عدا ل : « فشكى إلى الله تبارك وتعالى » .

(٨) فيما عدا ل : « فيسلح » .

(٩) فيما عدا ل : « فكفوهم » . وإنما الضمير لزوج الخنازير .

(١٠) فيما عدا ل : « وقد أنكرنا » بإسقاط السين ، تحريف .

(١١) فيما عدا ل : « إلا فى أرحام إناثها » و « إلا » مقحمة تفسد الكلام .

(١٢) فيما عدا ل : « ذكورها » والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت من ل .

(١٣) الأرضون ، بفتح الراء : جمع أرض . ل : « الأرض » .

(١٤) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٣ : ٣٧٢) .

فإن أهلها زعموا[١] أنهم [ربما] رأوا الفأرةَ لم يتمَّ خلقُها بعدُ ، و إن عينيها لتَبِصَّانِ[٢] ، ثم لا يريمون[٣] حتى يتمَّ خلقها وتشتدَّ حركتُها .

وقالوا : لا يجوز لشيء خُلِقَ من الحيوان[٤] أن يُخلق من غير الحيوان . ولا يجوز أن يكونَ شيء له فى العالم أصلٌ أن يؤلِّف الناسُ أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجْه تحويل الشَّبَهِ[٥] ذهباً ، والزِّيبق فضة .

وقد علمنا أن للنُّوشاذُر[٦] فى العالم أصلا موجوداً . وقد يصعِّدُون الشعر ويدبِّرونه[٧] حتى يستحيل كحجر النوشاذُر[٨] ، ولا يغادر منه شيئاً ١٠٧ فى عَمَلٍ ولا بَدَن .

---

(١) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٢) بص يبص ، بالكسر : برق وتلألأ ولمع . فيما عدا ل : « لتباصان » تحريف .

(٣) رام المكان يريمه : برحه .

(٥) ل : « تخلق من حيوان » . وكلمة « أن » التالية ساقطة من جميع النسخ ما عدا ه ، ففيها « الحيو أن » بإسقاط الألف والنون من « الحيوان » .

(٥) فيما عدا ل : « فى هذا الوجه » . والشبه ، سبق تفسيره فى (٣ : ٣٧٤) . وفى القاموس : « الشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر ، ويكسر » . وفيما عدا ل : « الشب » محرف .

(٦) النوشاذر ، كذا جاء فى ل بالذال المعجمة ومثله فى (٣ : ٣٧٧ س ١) ومفاتيح العلوم ١٤٧ . وفى سائر النسخ بالدال المهملة . وهو صنفان طبيعى وصناعى ، فالطبيعى ينبع من عيون حمئة فى جبال بخراسان ، وهو صاف كالبلور ، وانظر للصناعى تذكرة داود والمعتمد . ولفظ النوشادر فارسى « نوشادر » استينجاس ١٤٣٤ . وبلغة العلماء الأوربيين : (Sal-ammoniac) .

(٧) التصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة . وفى مفاتيح العلوم ١٤٧ : « النوشاذر ، وهو ضربان معدنى وآخر معمول يصنع من الشعر » . وانظر تذكرة داود . فيما عدا ل : « الشب » تحريف . س : « ويديرونه » محرف .

(٨) النوشاذر ، بالذال المعجمة فى ل فقط . وانظر التنبيه ٦ من هذه الصفحة .

و [قد] يدبِّرون الرّماد والقِلْيَ[١] فيستحيل حجارة سوداً[٢] إذا عُمل منها أرْحاءٌ[٣] كان لها فى الرَّيع فضيلة[٤] .

قالوا : وللمُرْدَارسَنْج[٥] في العالم أصلٌ قائم . والرصاص يُدَبَّر فيستحيل مُرداسَنْجاً[٦] . [وللرّصاص فى العالم أصل قائم ، فيدبّرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً[٧]] .

وللتُّوتياء أصــلٌ قائم[٨] ، فيدبرون أقليميا النُّحاس[٩] فتستحيل تُوتياء[١٠] .

---

(١) القلى ، بالكسر : شيء يتخذ من حريق الحمض ، كما فى القاموس . وعند داود : « هو المتخذ من الأشنان الرطب بأن يجمع ويحرق » . وفى المعتمد : «وهو يتخذ من الحمض ، وأجوده ما اتخذ من الحرض» ، والحرض هو الأشنان . ط ، ﻫ : « والبليا » سه : « والبليذا » صوابه فى ل .

(٢) ط ، ﻫ : « فتستحيل » وفى ط : « سوداء » .

(٣) الأرحاء : جمع رحى : التي يطحن بها الحب . ل : « إذا عملت منه أرحاء » .

(٤) الريع ، بالفتح : فضل كل شيء ، كريع العجين والدقيق والبزر . فيما عدا ل : « الربيع » تحريف .

(٥) المردارسنج ، بضم الميم وسكون الراءين وفتح السين ، وقد تسقط الراء الثانية : معرب « مَردا ارسَنْگ » الفارسية ، ويكون من سائر المعادن المطبوخة ، إلا الحديد ، بالإحراق ، أكثر ما يعمل من الرصاص . وانظر صنعته فى تذكرة الأنطاكى . وانظر استينجاس ١٢١٢ وادى شير ١٤٤ والمعرب ٣١٧ . فيما عدا ل : « المرداسنج » وهى لغة أخرى كما أسلفت .

(٦) ل : « مرداسنج ». وليس ما يمنع تنوينه.

(٧) هذه الزيادة من ل ، سه . وفى سه : « ويديرون » تحريف . وكلمة «المردارسنج» فى النسختين براء واحدة .

(٨) فى اللسان : « التوتياء معروف حجر يكتحل به معرب » . وهو باللاتينية (Tutia) وبالإنكليزية : (Tutty) وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها « أوكسيد الزنك غير النقى » . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدنى يوجد فوق الإقليميا ... وإما مصنوع عن الأقليميا المسحوقة » . وانظر بقية الكلام فيه .

(٩) أقليميا : زبد يعلو المعدن عند سبكه ، وثقل يرسب تحته إذا دار . هذا قول داود . وفى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « القليميا خبث كل جسد يخلص » . ط : « اقليميا النماء » ، تحريف .

(١٠) توتياء . رسمت فى هذا الموضع والذي قبله بدون همزة فيما عدا ل .

وكذلك المينا ، له[1] أصل قائم ، وقد عمله الناس[2]
وكذلك الحجارة السُّود للطحين وغير ذلك[3] .

فأما قولهم : لايجوز أن يكون شىء من الحيوان يُخلقُ من ذكر وأنثى — فيجىء من غير ذكر وأنثى — فقد قلنا فى جميع ذلك فى صدر كتابنا هذا بما أمكننا[4] .

(معارف فى الحيّات)

وقال : الحياتُ كلها تعومُ ، إلا الأفاعى ، فإنها لايعومُ منها إلا الجَبَلِيّات[5] .

قال : والحيَّة إن رأت حيّة ميتة لم تأكلها ، ولا تأكلُ الفأرَ ولا الجرذانَ الميتة[6] . ولا العصافير الميتة ، مع حرص الحية عليها[7] ولا تأكل إلا لحمَ الشى الحىِّ ، إلا أن يُدخلَ[8] الحوّاء فى حلوقها

---

(١) المينا : حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة ، وهو فارسى معرب . وفى معجم استينجاس ١٣٤٦ : (A ston resembliug lapis lazuli, with which silver is tinged) . والميناء أيضا جوهر الزجاج الذى يعمل منه الزجاج . وذكر صاحب اللسان أنه ممدود . وهذا المعنى الأخير مأخوذ كذلك من « ميناء » الفارسية . وانظر ادي شير ١٤٩ . ويبدو أن الجاحظ يريد المعنى الأول ، ولا يريد الزجاج . انظر (١ : ٨١ س ٥ — ٦) . وهذه الكلمة والتى بعدها ممزوجتان فى الأصل ومحرفتان ففى ط : سه : « المسالة » هـ : « المسألة » ل : «المثاله » والصواب ما أثبت .

(٢) ل : « علمه الناس » تحريف . وبعدها فى ل : « فقد قلنا فى صدر كتابنا هذا بما أمكننا » .

(٣) هذه الفقرة ساقطة من ل . وفى هـ : « الحجارة السورية » .

(٤) الكلام من : « فيجىَ » إلى هنا ساقط من ل .

(٥) انظر الكلام على الحيات المائية في (٤ : ١٢٨) .

(٦) ل : « والجرذان الميتة » بحذف « لا » .

(٧) ل : « مع حرص الحيات عليهما » .

(٨) ط ، س : « يدخله » .

[اللحمَ] إدخالاً[١] . فأما من تلقاء نفسها[٢] فإن وجدَته ، وهى جائعة لم تأكله .

فينبغى أن يكون صاحبُ المنطق إنما عَنَى بقوله : « أخبثُ ما تـكون ذواتُ السموم[٣] إذا أكلَ بعضُها بعضاً » الابتلاعَ[٤] دون كل شىء . وهم لايعرفون ذلك فى الحيات إلا للأسود[٥] ، فإنه ربما[٦] كان مع الأفاعى فى جُونة ، فيجوع فيبتلعها . وذلك إذا أخذها من قِبَل رؤوسها[٧] ، وإن رام ذلك من جهة الرأس فعضته الأفعى قتلته .

وزعموا أن الحيةَ لاتَصَّاعَدُ[٨] فى الحائط الأملس ولا فى غير الأملس[٩] فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق[١٠] والذين يستخرجون الحياتِ بزعمهم [من السقوف[١١]] ، ويشمون أراييحَ أبدانها من أطراف القَصَب ، إذا مَسَحوها فى ترابيع البيوت[١٢] .

---

(١) سـه : « إذ ذاك » .

(٢) كلمة « هى » : ليست فى ل . وفيها بدل كلمة : « فإن » التالية : « فلو » .

(٣) ل : « أخبث ما تـكون دواب السموم » وفى سائر النسخ : « أخبث ما يكون ذات السموم » . وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٤) ط : « الأفاعى » سـه ، هـ : « الأتباع » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) ل : « فهم لا يعرفون ذلك إلا للأسود » .

(٦) فيما عدا ل : « ذا » .

(٧) فيما عدا ل : « رأسها » . وكذلك : « متى » بدل « إن » التالية .

(٨) يقال صعد واصعد واصاعد بمعنى واحد . انظر اللسان (٤ : ٢٤٠ س ٢٢) وبالأوجه الثلاثة قرئ قوله تعالى : (كأنما يصعد فى السماء) في الآية ١٢٥ من الأنعام . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٩) ط : « وغير الأملس » تحريف . وفى هـ : « وفى غير الأملس » بحذف « لا » وأثبت ما فى ل ، سـه .

(١٠) المخاريق : يراد بها ألاعيب المشعوذين . انظر (٤ : ٣٧٨) . فيما عدا ل : « المخاريق » . وفى ل : « وإنما » بدل : « فإنما » .

(١١) هذه الزيادة من ل . وبدلها فى سـه : « من البيوت » .

(١٢) فى (٤ : ١٩١) : « فلذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا » .

قالوا : وقد تصعد الحيّات] فى الدّرج[١] [وأشباه الدَّرَج ؛ لتطلبَ بيوتَ العصافير ، والفأر ، والخطاطيفِ . والزَّرازير ، والخفافيش] ، وتتحامى فى السُّقُف[٢] .

القول فى العقرب[٣]

وسنذكر تمامَ القوْل فى العقرب ؛ إذْ كنا قد ذكرنا من شأنها [شيئا[٤]] فى باب [القول فى] الفأر .

ولمَّا قيل ليحيى بن خالد[٥] ، النازلِ فى مُرَبَّعةِ الأحنف — وزعموا أنهم لم يروْا رجُلاً لم يختلف إلى البيمارستانات[٦] ولا رجُلاً مسلماً ليس بنصرانىّ[٧] ولا رجلا لم ينصِبْ نفسه للتكسب بالطب كان أطبَّ منه — فلما قيل [له] إن القينىّ[٨] قال : « أنا مِثلُ العقرب أضرُّ ولا أنفع » قال : ما أقلَّ عِلْمه بالله عز وجل لعَمْرى[٩] إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللّسعة ، فإنها حينئذ تنفع منفعةً بينة !

---

(١) درج البناء ، بالتحريك : مراتب بعضها فوق بعض ، الواحد درجة .

(٢) تتحامى : تتوقى . والسقف ، بضمتين : جمع سقف . وهذه العبارة ليست فى ل . وفى ط : « وتتحامى السقف » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ١٧ .

(٣) هذا العنوان ساقط من ل .

(٤) هذه الزيادة من ل ، سه .

(٥) يحي بن خالد هذا ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ولا فيما تحت يدي من المراجع .

(٦) جمع بيمارستان ، وهو كلمة فارسية يراد بها « دار المرضى » فلفظ « بيمار » معناه المريض ، و « ستان » الموضع . انظر شفاء الغليل ٤٩ وادى شير ٣٣ واستينجاس ٢٢٤ . ويقال فيها أيضاً : « المارستان » بفتح الراء وطرح الباء والياء . انظر المعرب ٣١٢ والقاموس واللسان فى مادة (مرس) . ط ، سه : « السياسات » ه : « الساسات » صوابه فى ل .

(٧) ط ، ه : « أو نصرانيا » .

(٨) فيما عدا ل : « القس » وقد سبق فى (٤ : ٢١٩ س ١٢) : « وقال الضبى : أنا عقرب ، أضر ولا أنفع » .

(٩) بدلها فى ل : « بلى » .

(نفع العقرب)

١٠٨ والعقربُ تُجعل فى جوف فَخَّارٍ مشدودِ الرّأس[1] مطيّن الجوانبِ ، ثم يوضع الفَخَّارُ فى تنوّر ، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقِىَ من ذلك الرّمادِ مَنْ به الحصاةُ مِقدارَ نصفِ دانق[2] .

وقال حُنين : وقد يُسقَى منه الدانق وأكثر ، فيفتّتُ الحصاةَ من غير أن يضرَّ بشىء من الأعضاء [والأخلاط . وخيرُ الدواء ماقَصَد إلى العضْو السقيم ، وسلِمَت عليه الأعضاء] الصحيحة .

وقال يحيى[3] : وقد تَلْسَعُ أصحابَ ضروبٍ من الحُمّيات[4] العقاربُ فيُفيقُون ، وتلسع الأفاعى فتموت ، ومنها ما يلسع[5] بعضها بعضاً فيموت الملسوع . فهى من هذا الوجه تكفى الناسَ مؤونةً عظيمة[6] . وتُلْقَى العقربُ فى الدُّهن وتُترَكُ فيه ، حتى يأخُذ الدهن منها و يمتص و يجتذبَ قواها كلها بعد الموت ، فيكونُ ذلك الدهنُ يفرِّق الأورام الغِلاظ[7] وقد عرَف ذلك حُنين .

(بعض أعاجيب العقرب)

و [مِنْ أعاجيبها] أنها لاتسبَحُ ، ولا تتحركُ إذا أُلقيت فى الماء [كيف] كان الماء : ساكناً أو جارياً .

---

(١) انظر التنبيه ٨ من ص ٣٣٩ . والخبر كذلك بنحو هذا اللفظ فى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .

(٢) الدانق مر تفسيره فى التنبيه ٦ ص ٣٤٠ .

(٣) هو يحيي بن خالد الذي سبق الحديث عنه فى التنبيه ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحميات : جمع حمي . فيما عدا ل : « الحيات » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلع عنه » .

(٥) فيما عدا ل : « وبما يلسع » . تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهى من هذا الوجه تكفى الناس مؤنة عظيمة » .

(٧) سه ، وكذا عيون الأخبار : « الغليظة » .

والعقربُ تطلبُ الإنسان وتقصِد نحوه ، فاذا قصدَ نحوها فرّتْ وهَربت وتقصِدُ أيضا نحوالإنسان ، فإذا ضربتَهُ هربتْ ، هربَ مَنْ قد أساء ، وتعلم ، أنها مطلوبة .

والزنابير تطالبُ من تعرّضَ لها[1] وتقصِد لِعَينه[2] ، ولا تــكادُ تعرض للـكافّ عنها .

(فصل ما بين المودة والمسالمة فى الحيوان)

و بين العقارب و [بين] الخنافس مودة . والمودةُ غيرُ المسالمة .

والمسالمة : أن يكون كل واحد من الجنسين[3] لايعرض للآخر بخير ولا شر ، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرّباً لصاحبه .

والعداوة أن يعرِض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ والأذى والقتل ، ليس من جهةِ أن أحدهما طعامٌ لصاحبه .

والأسدُ ليس يثبُ على الإنسان والحمار[4] والبقرة والشاة من جهة العداوةِ ، و إنما يثبُ عليه من طريق طلبِ المطعم . ولو مرَّ به وهو غيرُ جائعٍ لم يعرض له الأسد[5] . والنمر على غير ذلك . ولـكن [قد] يقال : إن بين البَبْرِ[6] والأسد مُسالمة .

---

(١) فيما عدا ل : « تطلب من يعرض لها » .

(٢) فيما عدا ل « ويقصد نحوها بعينه » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « من الجنس » .

(٤) فيما عدا ل : « كالحمار » . تحريف .

(٥) الأسد فاعل يعرض . فيما عدا ل : « والأسد » تحريف .

(٦) الببر ، بباءين موحدتين : ضرب من السباع . معرب . وهو بالفارسية « ببر » . انظر استينجاس وادى شير . ويراد به ذلك السبع المخطط الذى يشبه النمر الذى يسمونه : Tiger انظر المعلوف ٢٤٨ . وأما النمر فهو ذو النمر المرقط رقطاً سودا مجتمعة كالحلق : Leoparp . وبدله فى ط ، ل : « النمر » تحريف ؛ إذ أنه لا هوادة بين النمر =

والمودة : كما يكون بين العقارب والخنافس[١] ، فإنَّ بعضها يتألف بعضاً[٢] ، وليست تلك بمسالمة ، وكما بين الحيَّات والوزغ . فانها تَساقُ السَّمَّ وَتَزَاقُّ[٣] ، [و[٤]] كما بينَ ضروب من العقارب وأسودَ سالخ[٥] .

والأسْوَدُ ربَّما جاعَ في جُونة الحوَّاء فأكل الأفعى[٦] وربما عضتْه الأفعى فقتلتْه .

(علاقة الرائحة بالطعم)

وريح العقارب إذا شويت مثلُ ريح الجراد .

وما زلتُ أظنُّ أن الطعم أبداً يتْبع الرائحةَ ، حتى حقَّق ذلك عندى بعضُ من يأكلها مشوية ونيَّةً[٧] ، أنه ليس بينها و بين الجراد الأعرابي السمين فرْق .

(رؤية الخرق الذى فى إبرة العقرب)

وزعم [لى] بختيَشوع بن جبريل ، أنه عاين الخرْق الذى فى إبرة

= والأسد ، ففى طبعه « عداوة الأسد . والظفر بينهما سجال » كما فى الورقة ٤١ من قسم الحيوان فى مباهج الفكر مصورة دار الكتب . وفى الورقة ٤٠ عند الكلام على طباع (الببر) : « وهو والأسد متوادان أبدا ، ومودته معه كمودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ » . فالببر هو صاحب المسالمة .

(١) ط ، هـ : « والمودة تكون كما بين العقارب » الخ . س : « والمودة كما تكون بين العقارب » الخ . وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « يألف بعضا » .

(٣) تساق : تتساق . ط ، هـ : « تتساق » . وفيما عدا ل : « وتتزاق » بتاءين .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) أسود سالخ : الذى سلخ جلده من الأساود . فيما عدا ل : « بين ضرب من الحيات وأسود سالح » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فيأكل الأفعى » .

(٧) نية ، بكسر النون : غير ناضجة . وانظر لهذه الكلمة ما سبق فى (٤ : ٣٠٣) . وانظر لأكل العقارب ما مضى فى (٤ : ٣٠٣ س ٧) .

العقرب . وإن كان [صادقاً] كما قال ، فما فى الأرض أحدٌ بصراً منه[١] .
[وإنه لبعيدٌ ، وما هو بمستنكَر] .

(من أعاجيب العقرب)

وفى العقارب أعجوبةٌ أخرى ، لأنه يقال : إنها مائية الطِّباع ، وإنها ١٠٩
من ذوات الذَّرْو والإنسال[٢] [وكثْرة الولد] ، كما يعترى ذلك السَّمَكَ
والضَّبّ والخنزيرة[٣] ، فى كثرة الخنانيص[٤] .

(موت العقرب بعد الولادة)

قال : ومع ذلك إن حَتْفها فى أولادها[٥] ، [وإن أولادها] إذا بلغْنَ
وحانَ وقتُ الولادة ، أكلْن[٦] جلدَ بطنها [من داخل] ، حتى إذا
خرَقْنَه[٧] خرَجْنَ منه وماتت الأمُّ .

وقد يطأ الإنسانُ على العقرب وهى ميتة ، فتغترز إبرتها فى رِجله ،
فيلقى الجهدَ [الجاهِدَ] وربما أمرَضَتْ ، وربّما قتلت .

---

(١) فيما عدا ل : « أحد أبصر منه » .
(٢) الذرو ، والذرا ، والذره : الذرية . فيما عدا ل : « الدر » بدال مهملة وراء ، تحريف. والإنسال : النسل . فيما عدا ل : « النسل » .
(٣) فيما عدا ل : « والخنزير والضب » وفى ل : « وبيض الضب والخنزيرة » وكلمة « بيض » فى ل مقحمة ، كما أن الوجه فيما عدا ل تأخير « الخنزير » عن « الضب » . وانظر التنبيه التالى .
(٤) الخنانيص ، بنونين بينهما ألف : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . ط ، هـ : « الخنابيص » صوابه فى ل ، سه .
(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ فيما سبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادتها » . وسبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادها » بكسر الواو ، بمعنى ولادتها .
(٦) فيما عدا ل : « يأكلن » . وفى نهاية الأرب : « أكلت بطون الأمهات » .
(٧) فيما عدا ل : « خرقته » بالتاء .

قال : وفى أشعار اللُّغز قيلَ فى أكل أولاد العقرب بطنَ الأمّ ، [وأن عَطَبَهَا فى أولادها] :

وحاملة لا يكْمُلُ الدهرَ حملُها تموتُ ويبقى حملها حينَ تَعْطَبُ [١]

[وليس هذا شيئاً .

خبَّرنى من أثق بعقله ، وأسكنُ إلى خبره ، أنه رأى العقرب عِياناً وأولادُها يخرُجْنَ من فيها ، وذكر عدداً كثيراً ، وأنها صِغارٌ بيضٌ على ظهورها نقطٌ سُودٌ ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها ، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى . فقلت ، إن كانت العقرب تلد مِنْ فيها فأخلقْ بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادَها !] .

(العقارب القاتلة)

والعقاربُ القاتلةُ تسكون فى موضعين : بشَهْرَزُور [٢] ، وقرى الأهواز ، إلا أن القواتلَ التى بالأهواز [جرّارات [٣]] . ولم نذكر عقاربَ نصيبين [٤] ، لأن أصلها — فيما لايشكُّون فيه — من شَهْرَ زُور ، حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق [٥] ، وبكيزان محشوَّة من عقارب شَهْرَزُور ، حتَّى توالَدَتْ هناك ، فأعْطَى القومُ بأيديهم [٦] .

---

(١) ط ، س ، ه ونهاية الأرب : « لا تحمل الدهر » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥). تعطب : تهلك . ط ، ه : « ويحي حملها » . س وأصل نهاية الأرب : « وينمى » . وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب .

(٢) شهرزور : كورة بين إربل وهمذان . فيما عدا ل : « شهرزور » .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها . وانظر لجرارات الأهواز ما سبق فى (٤ : ١٤٢) وللجرارات (٤ : ٢١٩) .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة . وانظر الحديث عن عقارب نصيبين فى معجم البلدان .

(٥) المجانيق : جمع منجنيق . انظر التنبيه ١٠ ص ٢٩٨ .

(٦) أعطوا بأيديهم : أعلنوا الخضوع . س : « فأخطأ القوم » تحريف .

(لغز في العقرب)

[ومن اللُّغز فيها في غير هذا الجنس :

ومَا بَكرةٌ مضبورة مقمطرّة مُسِرّةُ كِبْرٍ أن تُنال فتَمرَضا[١]

بأشوسَ منها حين جاءت مُدِلّةً لتقتل نفساً أو تصيب فتُمرِضا[٢]

فلما دنا نادى أواباً بنعم غيرها ديراً إذا نال الفريقة أو قضا[٣]]

(استخراج العقارب بالجراد والكُرّاث)

قال : والعقارب تُستَخرَجُ من بيوتها بالجراد : تُشَدُّ الجرادةُ في طرف عودٍ ، ثم تُدْخَلُ الجُحرَ ، فاذا عاينتْها تعلقتْ بها ، فاذا أُخرج العُودُ خرجت العقربُ وهي متعلقة بالجرادة .

فأما إبراهيم بنُ هانئ فأخبرَني أنه كان يُدْخِلُ في جُحْرِها خُوط كُرّاث[٤] ، فلا يبقى منها[٥] عقربٌ إلا تبعته .

(ألسنة الحيات والأفاعي)

وألسِنةُ الحيّات كلها سودٌ . وألسنة الأفاعي حُمرٌ ، إلا أنها مشقوقة .

---

(١) البكرة : الفتية من الإبل . والمضبورة : المكتنزة اللحم . والمقمطرة : الشديدة .

(٢) أشوس : من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظاً .

(٣) كذا ورد هذا البيت في الأصل ، وهو هنا ل .

(٤) الخوط ، بالضم : القضيب من النبات . فيما عدا ل : « عود » .

(٥) فيما عدا ل : « يبقى فيه » .

(جرّارات الأهواز)

وسنذكر عقاربَ الشتاء وعقارب الحرّ[١] . وكلَّ شيء من هذا الباب ، ولكنا نبدأ بذكر جرّارات الأهواز[٢] .

ذكروا[٣] أنَّ أقتلها عقاربُ عَسكَر مُكْرَم ، وأنها متى ضَرَبَتْ رجُلا فظنَّ أن تلك العضة عضَّةُ نملة ، أو وخزةُ شوكة[٤] ، فنال من اللحم تضاعفَ مابه .

وربما باتت مع الرجل فى إزاره فلم تضربْه .

وهى لاتدبُّ على [كل] شىء له غَفَرٌ[٥] ، ولا تدبُّ على المُسوح[٦] ، وما أكثرَ ما تأوى فى أصول الآجُرِّ الذى قد أُخرج من الأتاتين[٧] [ونضدَ فى الأنابير[٨]] .

وكان أهل العسكر يرونَ أن مِن أصلح ما يُعالج[٩] به [موضع] اللسعة أن يُحجَم ، وكان الحجَّام لايرضى إلا بدنانير [ودنانير] ، لأن ثناياه ربما نَصَلَتْ ، وجلدَ وجهه ربما تبطَّطَ[١٠] من السمِّ الذى يرتفع إلى فيه ،

٦

(١) ل : « وعقيرب الحيران » .

(٢) ط : « حيات الأهواز » س : « حوايات » صوابهما فى ل ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « ذكرتم » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « وخز شوكة » .

(٥) الغفر ، بالفتح : زئبر الثوب ، وأصل معنى الغفر الزغب والشعر القصير . فيما عدا ل : « عفن » تحريف .

(٦) المسوح : جمع مسح بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . وانظر المعرب ٤٦ .

(٧) الأتاتين : جمع أتون . انظر ص ٧ من هذا الجزء . فيما عدا ل : « الأساس » .

(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام .. والهري ، بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان .

(٩) فيما عدا ل : « تعالج » بالتاء ، وذلك لسقوط كلمة « موضع » .

(١٠) تبطط ، من البط ، وهو الشق . ومنه المبطة للمبضع . فيما عدا ل : « وجلدة » وفى ط ، س : « تنتلف » هـ : « تنظف » صوابهما ما أثبت من ل .

بمصّته وجذْبته من أذناب المحاجم[١] . حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قُطْنٍ ، فحشَوْا به تلك الأنبوبة . فإذا جذب بمصّتِهِ[٢] فارتفع إليه من بخار الدّم أجزاء من ذلك السم ، تعلقت بالقطن ، ولم تنفذْ إلى فيه[٣] . والقطن ليس مما يدفع قوّة المص[٤] . ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشةٍ فوجدوا فيها الشفاء !

(من أعاجيب العقرب)

ومن أعاجيب ما في العقرب أنّا وجدْنا عقارب القاطول يموتُ بعضُها ١١٠ عن لسع بعض ، ثم لا يموتُ عن لسعها شيء غير العقارب . ونجدُ العقربَ تلسع إنساناً فيموتُ الإنسان ، وتلسع آخرَ فتموت هي . فَدَلّ ذلك على أنها كما تعطى تأخُذ ، وأن للناس أيضاً سُموماً عجيبة[٥] ولذلك صار بعضهم[٦] إذا عضّ قتل .

ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست أو القمقُم فتخرقُه[٧] . وربما

(١) المحاجم : جمع محجم ، وهي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة . فيما عدا ل : « أجناب المحاجم » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « بمصه » .

(٣) ل : « فه » .

(٤) فيما عدا ل : « ليس يمنع من قوة المص » .

(٥) فيما عدا ل : « غريبة » .

(٦) أي بعض الناس . فيما عدا ل : « بعضها » .

(٧) الطست ، بالسين المهملة : إناء من آنية الصفر . فيما عدا ل : « الطشت » بالشين . وفي شفاء الغليل : « طست معرب طشت بالمعجمة . وفي المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طس . وخطئ فيه لأنها معربة ، وطس مخفف منها أو لغة فيها . وقال الجوهري : طست عربية وأصلها طس ، وهي لغة طيئ ، لغة أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف . ورد . وقال الفراء: طيئ تقول طست وغيرهم يقول طس ، وهم الذين يقولون لصت في لص » . والحق أن الطست والطس عربيان ، وأما الطشت بالشين فما اشتركت فيه اللغتان . وانفردت الفارسية بلفظ : « تشت » . انظر استينجاس ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٣٠٢ . والقمقم : فسر في ٣٧ . فيما عدا ل : « والقمقم » مع الواو .

ضربته فتثبتُ فيه إبرتُها ثم تنصل حتى تَبين منها[١] .

(العنبر وأثره فى الطيور والبال)

والعنبر يقذفه البحرُ إلى عبريه[٢] ، فلا يأكل منه شىء [إلا مات] ، ولا ينقُره طائرٌ بمنقار إلا نصل فيه منقاره . فإذا وضع رجليه عليه نصلتْ أظفاره[٣] . فإن كان قد أكلَ منه قتلَهُ ما أكل . وإن لم يكن أكلَ فإنه ميت لامحالة ، لأنه إذا بقى بغير منقار ، ولم يكن للطائر شىءٌ يأكل به مات[٤] .

والبحْريُّونَ والعطَّارُون يُخبروننَا أنهم ربما وجدوا فيه المنقارَ والظفر . وإنَّ البال ليأكلُ منه اليسيرَ فيموت .

والبالُ سمكة [ربما كان] طولها أكثرَ من خمسين ذراعاً[٥] .

(أعاجيب لسع العقرب)

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى [فتموتُ الأفعى] ولا تموت هى ، وتلسع[٦] بعضَ الناس ، فتموتُ هى ، ولا ينال الملسوعَ منها مِن

---

(١) تبين : تنفصل . وضمير : « تبين » للابرة . ط ، سه : « يبين » تحريف .
(٢) عبر النهر والبحر ، بكسر العين : شاطئه وجانبه . ويقال : عبر ، بالفتح أيضاً .
(٣) نصلت أظافره تنصل ، بالضم : خرجت . فيما عدا ل : « فاذا وضع عليه رجليه » .
(٤) ل : « لم تكن للطائر شىءٌ يأكل به » بحذف الواو وكلمة « مات » .
(٥) البال عند العرب : الحوت العظيم . قال الأزهرى والجوهرى : ليست بعربية . وأقول : أقرب مأخذ لها هو الفارسية « وال » انظر استينجاس ١٤٥٣ بمعنى الحوت أو السمكة الكبيرة . وفى الفارسية أيضاً « بال » لنوع كبير من السمك ذى الحراشيف : (A kind of large scaly fish) والبال من الحيوانات اللبونة التى تعيش فى الماء ، وهو باللاتينية : Balaena وباليونانية : Phlaina .
(٦) فيما عدا ل : « وهى تلسع » .

المكروه قليلٌ ولا كثير . ويزعم العوامُ أن ذلك [إنما] يكونُ لمن ماتت أمّه عقربٌ[(١)] وهو حَمْلٌ فى بطنها .

وقد لسعت عقربٌ[(٢)] رجلاً مفلوجاً ، فذهبَ عنه الفالِجُ . وقصةُ هذا المفلوج معروفة . وقد عرفها صليبا[(٣)] وغيرهُ من الأطباء .

[ومن العقارب طياراتٌ وجراراتٌ ، ومعقَّفات ، وخضرٌ ، وحمرٌ] .

(اختلاف السموم ، واختلاف علاجها)

وتختلف سمومُ العقارب بأسبابٍ : منها اختلافُ أجناسها ، كالجرّارة وغيرها ، ومنها اختلافُ التُّرْب كفَرْق مابين جرّاراتِ عقارب شهرزور[(٤)] وعسكر مُكْرَم .

وتختلف مَضَرَّةُ سمومها على قدر [طباع الملسوع . ويختلف قدر سمومها على قَدْر] مواضع اللسعة ، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار [والليل] ، وعلى قدر ما صادفَت[(٥)] عليه الملسوع من غذائه ، ومن تفتّح منافسه[(٦)] ، وعلى قدْر ما تُصَادَفُ عليه العقرب من الحَبَل وغير الحَبَل[(٧)] وعلى قدر لَسْعَتِهَا[(٨)] في أولِ الليل عند خروجها من جُحرها [بعد أن

---

(١) ط ، هـ : « العقرب » .

(٢) فيما عدا ل : « عقرب » .

(٣) صليبا : ذكره ابن النديم ٣٤١ فى النقلة من اللغات إلى اللسان العربى ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . فيما عدا ل : « طبيبنا » تحريف .

(٤) شهرزور : سبق الحديث عنها فى ٣٥٨ . وبدلها فى ل : « رامهرمز » وهى مدينة من مدن خوزستان .

(٥) فيما عدا ل : « صادف » .

(٦) فيما عدا ل : « فهى تفتح منافسه » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ما يصادف عليه الملسوع من الحبل وغير الحبل » .

(٨) فيما عدا ل : « لسعها » .

أقامتْ فيه شَتوَتَهَا] . وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوّلَ ما تخرجُ من جُحْرها بعد أن أقامتْ فيه يوما[١] .

قال ماسرْجويه[٢] : فلذلك اختلفت وجوه العلاج ، فصار ضَرْبٌ من العلاج يُفيقُ عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمرَ الآخر[٣] .

(لسعة الزنبور)

وخبرنى ثمامةُ عن أمير المؤمنين [المأمون] أنه قال : قال لى بختيشوع ابن جبريل[٤] ، وَسَلْمَوَيْهِ ، وابن ماسَوَيه : « إن الذبابَ إذا دُلِكَ به[٥] موضعُ لَسعةِ الزنبور سكن » . فلسَعَنى[٦] زنبور فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابةً فما سكَنَ إلا فى قدْر الزمان الذى كان يسكنُ فيه من غير علاج . فلم يبق فى يدى منهم[٧] إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حَتْفاً قاضياً[٨] ولولا هذا العلاج لقتَلَكَ .

---

(١) الكلام من مبدأ : « وأشد » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) فيما عدا ل : « فان ما سرجويه قال » .

(٣) فيما عدا ل « ولا يصلح لآخر » .

(٤) ل : « وقال » وفيما عدا ل : « أنه قال لبختيشوع » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) والعقد (٤ : ٢٦٣) : « قال المأمون قال لى بختيشوع » ، وقد صححت العبارة بالجمع بين النصوص . والقائل هم الأطباء الثلاثة . وبختيشوع هو ابن جبريل بن بختيشوع ، كان سريانيا نبيل القدر ، وكان يضاهى المتوكل فى اللباس والفرش ، وكان عظيم المنزلة عنده ثم إنه أفرط فى إدلاله عليه فنكبه . وكان موته سنة ٢٥٦ . وانظر أخباره فى طبقات الأطباء (١ : ١٣٨ — ١٤٤) والقفطى ٧٢ — ٧٣ .

(٥) فيما عدا ل : « على » موضع « به » .

(٦) المتحدث هنا هو المأمون ، كما فى عيون الأخبار والعقد .

(٧) ل : « فى بدني » مع حذف « منهم » وصوابه فى سائر النسخ والعيون والعقد .

(٨) فيما عدا ل : « إن هذا الزنبور كان حنقا غاضبا » تحريف .

(حُجج الأطبّاء)

وكذلك هم إذا سقَوا دواء فضرّ ، أو قطعوا عِرْقاً فضرّ ، قالوا : أنت ١١١ مع هذا العلاج الصَّوابِ تجدُ ما تجد ! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعةَ فى نار جهنم .

وقيل لى — وقرأتُ فى كتاب الحيوان — : إنّ ريحَ السَّذَاب يشتدُّ على الحيّات . فألقيتُ على [وجوه] الأفاعى جُرَز السَّذَاب[1] فما كان عندها إلا كسائر البَقْل[2] .

فلو قلت لهم فى هذا شيئا لقالوا : الحيّاتُ غير الأفاعي . وهذا باطلٌ . الأفاعى نوع من الحيات . وكلهم قد عمّ ولم يخص .

(ما يَدَّخر من الحيوان)

وجميع الحشرات والأحناش ، و [جميع] العقاربِ وهذه الدّبّابات[3] التى تعضُّ وتلسع ، [التى] تكمُن فى الشتاء [لاتأكلُ شيئاً فى تلك الأشهر ولا تشرب . وكذا كل شىء من الهمَج والحشرات ممالايتحرّك فى الشتاء] إلا النملَ والذرَّ والنحل ، فإنها قد ادخرت ما يكفيها ، وليستْ كغيرها مما تثبتُ حياتُه مع ترك الطعم .

---

(١) الجرز ، بضم ففتح : جمع جرزة بالضم ، وهى الحزمة من القت ونحوه . فيا عدا ل : « نور السذاب » .

(٢) البقل من النبات : ما ليس بشجر .

(٣) الدبابات : التى تدب من الحيوان ، أى تمشى على هينة . فيا عدا ل : « الذبابات » تحريف .

(حرص العقارب والحيات على أكل الجراد)

وللعقرب ثماني أرجل[١] وهي حريصة على أكل الجراد . وكذلك الحيات . وما أكثرَ ما تلدغُ وتَنْهَش صاحب الجراد[٢] .

(أثر المُرضِع في الرضيع)

ومن عجيب سمِّ الأفاعي ما خبرني به بعضُ من يخبُر شأن الأفاعي[٣] قال : كنت بالبادية ورأيت ناقة [ترتعُ] ، وفصيلها يرتضِعُ من أخلافها ، إذ نهَشَت الناقةَ على مشافرها[٤] أفعى ، فبقيتْ واقفةً سادرة ، والفصيلُ يرتضع . فبيناهو يرتضعُ إذ خرَّ ميّتاً .

فكان موتُه قبل موتِ أمّه من العجب[٥] وكان مرورُ السمِّ في تلك الساعة القصيرةِ أعجبَ ، وكان ما صار من فضول سمها في لبنِ الضَّرْعِ حتى قَتلَ الفصيلَ قبل أمه عجباً آخر .

والمرأةُ المرضِعُ تشربُ النبيذَ فيسكر[٧] عن لبنها الرضيع وتشربُ دواء المشْى[٨] فيعترى الرضيعَ الخِلْفة[٩] . فلذلك يختار[١٠]

---

(١) ل : « ثمانية أرجل » ، تحريف ؛ لأن الرجل مؤنثة . انظر المعاجم والمخصص (١٦ : ١٨٩) .

(٢) أي الذي يصطاد الجراد . وانظر تفصيل ذلك في (٤ : ٢٣٨ — ٢٣٩) .

(٣) ط ، هـ : « ما أخبرني » وبإسقاط : « به » وفيما عدا ل : « بشأن الأفاعي » .

(٤) ل : « مشفرها » .

(٥) ط فقط : « من العجب » وكلمة : « موت » ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : « عجب » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويسكر » بالواو .

(٨) المشي : استطلاق البطن . واسم الدواء المشي ؛ بكسر الشين وتشديد الياء . ونقل صاحب اللسان : « ولا تقل شربت دواء المَشْى » . ويرد هذا قول الراجز :

شربت مرا من دواء المشى   من وجع بخثلتى وحقوي

انظر اللسان ، (حثل . مشى) . فيما عدا ل : « يمشى » يقال أمشاه الدواء .

(٩) الخلفة ، بالكسر : استطلاق البطن ، يقال أخذته خلفة إذا اختلف إلى المتوضأ .

(١٠) فيما عدا ل « تختار » .

الحكماء لأولادهم الظئر البريئة[1] من الأدواء : فى عقلها ، وفى بدنها .

وتوهّموا[2] أن اللبن إنّما نجع فى الفصيلِ لقرابةِ ما بينَ اللبنِ والدَّم ، فصار ذلك السمُّ أسرعَ إليه منه إلى أمه . ولعل ضعفَ الفصيلِ قد أعان أيضاً على ذلك .

(قصتان فى من لسعته العقرب)

قال أبو عُبَيْدة[3] : لسعت أعرابيًّا عقربٌ بالبصرة ، فخيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه[4] ، فقال بعضُ الناس : ليس شىءٌ خير له من أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زِنجىٍ عَرِق — وكانت ليلة غَمِقَةً[5] — فلما سقَوه قطَّبَ[6] ، فقيل [له] : طعم ماذا تجد[7] ؟ قال : طعمَ قِرْبَةٍ جديدة .

وخبرنى محمدٌ وعلىٌّ ابنا بشير ، أن ظئراً لسليمان بن رِياش[8] لسعتها عقربٌ فملأَت الدنيا صُراخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها[9] هذه العقرب ، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى فى ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئتُ ، وقد سكنَ وجعى ، [و] لاحاجة بى إلى هذا العلاج[10] قال :

---

(١) البريئة : السالمة المعافاة . فيما عدا ل : « البرية » بالتسهيل .
(٢) ل : « وتهموا » .
(٣) ل : « أبو عبيد » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .
(٤) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى سائر النسخ : « واشتد جزعه » .
(٥) غمقة : ثقيلة الندى مع سكون الريح . فيما عدا ل : « عميقة » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « ومدة » والومدة مثل الغمقة .
(٦) قطب : زوى ما بين عينيه .
(٧) ل : « قيل له كيف طعم ما تجد » . وأثبت ما فى سائر النسخ موافقاً عيون الأخبار وكلمة : « له » ساقطة مما عدا ل .
(٨) ط ، هـ : « دباس » . س : « رباس » وأثبت ما فى ل .
(٩) هذه الكلمة ليست فى ل .
(١٠) فيما عدا ل : « لا حاجة لى فى هذا العلاج » .

فأتَوْهُ بعقربٍ لا والله إن يُدرَى(١) : أهيَ تلك أم غيرُها ؟ فأمرَ بها فأُمسكت فقالت : أنشُدُكَ بالله واللبن(٢) فأبى وأرسلها عليها ، فلسعتها فغُشِيَ عليها، ١١٣ ومرضتْ [زماناً] وتساقط شعرُ رأسها . فقيل لسليمان فى ذلك فقال : يامجانين! لا والله إن ردّ علىَّ رُوحها إلا اللسعةُ الثانية . ولولا هيَ لقد كانت ماتت(٤)

باب

القول فى القَمْل والصُّؤَاب

وسنقول فى القَمْل(٥) والصُّؤَاب ما وجدنا تمكيناً مِنَ القول(٦) ، إن شاء الله تعالى .

ذكروا عن إياسِ بن مُعاوية ، أنه زعم أن الصِّئبانَ ذكورةُ القَمْلِ

---

(١) فيما عدا ل : « والله ما ندرى » .

(٢) يقال : نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله : أى سألتك وأقسمت عليك ، يتعدي إلى المفعولين بنفسه ، أو إلى الثانى بالباء . فيما عدا ل : « نشدتك بالله وباللبن » وكلاهما صحيح .

(٣) فيما عدا : ل « فأرسلها عليها » .

(٤) جاء الضمير هنا بعد (لولا) على أصله . فالقاعدة أنه إذا ولى لولا مضمر فحقه أن يكون ضمير رفع ، نحو : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) . وسمع قليلا لولاي ولولاك ولولاه خلافا للمبرد وأنشد الفراء :

أيطمع فينا من أراق دماءنا ولولاه لم يعرض لأحسابنا حسن

انظر المغنى (لولا) واللسان (٢٠ : ٣٥٩ س ١٢) . ل : « بعد » بدل « لقد » تحريف .

(٥) القمل ، بالفتح ، واحدته قملة . وأما القمل ، بالضم وتشديد الميم المفتوحة ، وهو المذكور فى القرآن الكريم ، فهو الصغار من الجراد ، أو صغار الذر ، وقيل دواب صغار من جنس القراد ، إلا أنها أصغر منها ، تركب البعير عند الهزال . وقيل القمل قمل الناس . وليس بشئ . وقرأ الحسن : (والقمل) من الآية ١٣٣ فى سورة الأعراف . انظر تفسير البحر (٤ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « بأوجز ما يمكننا من القول » . وهما نصان متعارضان .

والقمل إناثها ، وأن القملَ من الشَّكل الذى تكون[1] إناثه أعظمَ من ذكورته .

وذكروا عنه أنه قال : وكذلك الزرارقة[2] والبُزاة . فجعل البُزاةَ فى الإناث .

وليس فيما قال شيء من الصواب والتَّسْديد . وقد خبّرنا كم[3] عن حكايته في الشَّبُّوط[4] ، حين جعله كالبغل ، وجعلَه مخلوقاً من بين البُنِى [والزَّجْر[5]] .

والقمل يعتَرى مِنَ العَرَق والوسَخ ، إذا علاها ثوبٌ ، أو ريشٌ ، أوشعر ، حتى يكون لذلك المكانِ عَفَن وخُموم .

(أثر الشعر فى لون القملة)

والقملة تكون فى رأس الأسوَدِ الشَّعرِ سوداء[6] ، [ورأسِ الأبيض

---

(١) فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) الزرارقة : جمع زرق ، بضم الزاى وفتح الراء المشددة ، وقد جمعته المعاجم على زراريق . فيما عدا ل : « الزرارق » . وفى ل : « الزراقة » وهذه محرفة . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٨٢) .

(٣) ط فقط : « وقد خبرنا » .

(٤) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . قال الزبيدى : « ضرب من السمك أبيض وهو أفخر الأنواع يكون كثيرا فى النيل » Barbus . والشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Carp . فيما عدا ل : « من البنى » تحريف . وانظر ما سبق فى (١ : ١٤٩) ، وهو الموضع الذي يشير إليه الجاحظ .

(٥) الزجر : « ضرب من السمك عظام صغار الحرشف . والجمع زجور . يتكلم به أهل العراق قال ابن دريد : ولا أحسبه عربيا » . انظر اللسان (٥ : ٤٠٧) .

(٦) الزيادة التالية من ل ، س ، هـ .

الشعر بيضاء ، وتكون خصيفة اللون[١] ، وكالحَبْل الأبرَق[٢] إذا كانت في رأس الأشمَط[٣]] . وإذا كانت في رأس الخاضب[٤] بالحمرة كانت حمراء ، وإن كانَ الخاضب ناصلَ الخضاب كان [في] لونها شُكْلة[٥] ، إلا أن يستولِيَ على الشعر النُّصول فتعود بيضاء[٦] .

وهذا شيء يعترى القملَ ، كما تعترى[٧] الخضرةُ دُودَ البَقْلِ ، وجرادَه وذبابه ، وكلَّ شيء يعيش فيه .

(أثر البيئة في الحيوان)

وليس ذلك بأعجب من حَرَّة بني سُليم[٨] ، فإن من طباع تلك الحرة أن تَسَوِّدَ[٩] كل شيء يكونُ فيها : من إنسان ، أو فَرَس ، أو حِمَارٍ ، أو شاة أو بعيرٍ أو طائرٍ ، أو حيّة .

ولم نسمع ببلدة أقوى في هـذا المعنى[١٠] من بلاد الترك ، فإنها تصوِّر إبلَهم وخيلَهم ، وجميعَ ما يعيش فيها ، على صورةِ التُّرك .

---

(١) الخصيفة : ما فيها لونان من سواد وبياض . ل : « خصيف » س : « خفيفة » صوابهما في هـ .

(٢) في اللسان : « التهذيب : الخصيف من الحبال ما كان أبرق ، بقوة سوداء ، وأخرى بيضاء » .

(٣) الأشمط : ذو الشمط ، وهو بياض شعر الرأس يخالف سواده .

(٤) فيما عدا ل : « فإذا كانت في رأس الخضيب » .

(٥) الشكلة ، بالضم : بياض وحمرة .

(٦) تعود : تصير . والعرب تقول : عاد فلان شيخاً ، وهو لم يكن قط شيخاً ، يعنون صار » . انظر سر العربية ٣٨٥ . فيما عدا ل : « فتكون بيضاء » .

(٧) ط ، س : « تعتر » . وفي هـ : « يعترى » وأثبت ما في ل .

(٨) انظر ما سبق من الحديث عن حرة بني سليم في (٤ : ٧١) .

(٩) فيما عدا ل : « يسود » بالياء .

(١٠) فيما عدا ل : « من ذلك المعنى » . وانظر الكلام في أثر البيئة في (٤ : ٧٠ – ٧٣) .

(تولد القمل)

والقمل يعرِضُ لثياب كلِّ الناس[1] إذا عرض لها الوسخُ والعرق ، والحموم ، إلا ثيابَ المجذَّمين[2] فإنهم لا يَقْمَلون .

وإذا قَمِلَ إنسانٌ وأفرطَ عليه ذلك ، زأبَقَ رأسه[3] إن كنّ في رأسه أو جسده[4] ، وإن كنّ في ثيابه ، فوَّتْنَ[5] .

وقال أبو قطيفة[6] لأصحابه : أتدرون ما يذرأ القمل[7] ؟ قالوا : لا . قال : ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصلحُ أبدانكم ؟ يذرأُ القملَ الفُساء[8] .

فأما ثمامةُ فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي ، أن شيئين يُورِثان القَمل :

---

(١) فيما عدا ل : « إنسان » .

(٢) يقال رجل أجذم ، ومجذوم ، ومجذم : إذا تهافتت أطرافه من داء الجذام . ل : « المجذومين » : وأثبت ما في سائر النسخ ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) .

(٣) زأبق رأسه : طلاه بالزئبق . وفي اللسان : « درهم مزأبق مطلي بالزئبق . والعامة تقول مزبق » . وفي المعرب ١٧٠ : « ودرهم مزأبق ، ولا تقل مزبق » . ه : « ريق » س : « زئبق » تحريفان . ل : « زبق » عامية .

(٤) فيما عدا ل : « وإن كان في رأسه أو جسده » .

(٥) أي زأبق رأسه فوتن ، أي فماتت القمل . يقال موتت الدواب : كثر فيها الموت . وانظر (٣ : ٣٤٩ س ١٣) . ط ، ه : « فينتشر » . س : « فتنشر » صوابهما في ل .

(٦) في البخلاء ٩٥ : « أبو قطبة » وساق هذا الخبر . وذكر له أخوين ، هما الطيل ويابى (؟) من ولد عتاب بن أسيد .

(٧) يذرأ : يكثر ، وبه فسر : (يذرؤكم فيه) في الآية ١١ من سورة الشورى . ل : « بذر » وفي البخلاء : « يدر » بمعنى يكثر .

(٨) ل : « بذر » وانظر التنبيه السابق . ط ، س : « الفا » بدل « الفساء » صوابه في ل ، ه والبخلاء .

أحدُهما الإكثار من التِّين اليابس[١] ، والآخر بخار اللُّبان إذا أُلقى على المجمرة[٢] .

وربما كان الإنسان قَمِل الطباع ، وإن تنظَّف وتعطَّر وبدَّل الثياب[٣] ، كما عرَض لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، استأذَنا رسول الله ١١٣ صلى الله عليه وسلم ، فى لباس الحرير فأذن لهما فيه[٤] ولولا أنهما كانا فى حدِّ ضرورةٍ لَمَا أذِنَ لهما فيه ، مع ما قد جاء فى ذلك من التشديد .

فلما كان فى خلافة عمر[٥] ، رأى عُمرُ على بعض بنى المغيرة من أخواله ، قميصَ حريرٍ ، فعَلاَهُ بالدِّرّة[٦] ، فقال المغيرىُّ : أوَ ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير ؟ قال : وأنت مثلُ عبد الرحمن ؟ لا أمَّ لك !

---

(١) فى تذكرة الأنطاكى : « والتين يولد القمل ويضر الكبد الضعيف والطحال » . وفى المعتمد : « واليابس جيد للمبرودين ... وهو يولد القمل » . ط ، س : « الإكثار فى اللبس » هـ : « من اللبس » صوابهما ما أثبت من ل . وقد تكون « اللبس » محرفة عن « البلس » بالتحريك ، وهو التين ، أو شئ يشبهه يكثر باليمن .

(٢) المجمرة والمجمر : ما يوضع فيه الجمر بالدخنة . ط ، هـ : « على الجمر » س : « على المجمر » . وفى ل ، هـ زيادة : « من » قبل : « بخار » .

(٣) فيما عدا ل : « وأبدل الثياب » .

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . ففى صحيح البخارى عن قتادة بن أنس : « أن عبد الرحمن بن عوف والزبير شكوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم — يعنى القمل — فأرخص لهما فى حرير ، فرأيته عليهما فى غزاة » . وعن قتادة عن أنس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير ، من حكة كانت بهما » . انظر البخارى (٤ : ٤٢) ومسلم (٢ : ١٥٣ — ١٥٤) ومفتاح كنوز السنة ٤٢٥ .

(٥) فيما عدا ل : زيادة : « رضى الله تعالى عنه » .

(٦) الدرة ، بالكسر : التى يضرب بها . وفى التهذيب : الدرة درة السلطان التى يضرب بها .

(الاحتيال للبراغيث)

واحتاج أصحابنا إلى التسلُّم[١] من عضّ البراغيث ، أيامَ كنّا بدمشق ، ودخلنا أنطاكيَة ، فاحتالوا لبراغيثها بالأسِرَّةِ فلم ينتفعوا بذلك ؛ لأن براغيثهم تمشي .

وبراغيثهم نوعان : الأبْجَل[٢] والبق[٣] ، إنما سمّوا ذلك الجنس على شبيهٍ بما حكَى لى ثمامةُ عن يحيى بن خالدٍ البرمكىّ ، فإن يحيى زعمَ أن البراغيثَ من الخلق الذى يَعرِضُ له الطيرانُ فيستحيل بقًّا ، كما يعرض الطيرانُ للنَّمل ، وكما يعرض الطيرانُ للدَّعاميص ؛ فإن الدعاميصَ إذا أنسلخت صارت فَرَاشا[٤] .

فكان أصحابنا قد لَقُوا من تلك البراغيث جَهْدًا ، وكانت لها[٥] بليَّةٌ أخرى : وذلك أن الذى تُسهِرُهُ البراغيث لايستريحُ إلا أن يقتلها[٦] بالعرك والقتل[٧] ، وإلى أن يقبِضَ عليها فيرمىَ بها [إلى الأرض] من فوق سريره[٨] فيرى أنهنَّ إذا صِرْنَ عشرينَ كان أهون عليه من أنْ يكُنَّ إحدى وعشرين[٩] . فكان الرجلُ إذا رام ذلك من واحدة منها

---

(١) التسلم : السلامة . فيما عدا ل : « التسليم » .

(٢) س ، ه : « الأبجل » تحريف . ل : « الأبخل » وأثبت ما فى ط .

(٣) البق : البعوض ، وقيل هى دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون فى السرر والجدر . وبهذا المعنى الأخير تعرف فى مصر . فيما عدا ل : « البرد » تحريف .

(٤) س : « إن الدعاميص » والكلمتان ساقطتان من ل . س : « فصارت فراشا » ل ، « إذا انسلخت فراشاً » .

(٥) فيما عدا ل « له » تحريف . والضمير للبراغيث .

(٦) كلمة « لا » ليست فى ل ، س . وفى ل ، ه : « إلى أن يقتلها » وفى س : « لأن يقتلها » .

(٧) العرك : الدلك . ل : « بالفرك » . وفيما عدا س : « والقتل » بالقاف .

(٨) فيما عدا ل : « السرير » .

(٩) فيما عدا ل : « أن تكون أحدا وعشرين » تحريف .

نَتُنَتْ يده[١] وكانوا مُلوكا ، ومثل هذا شديدٌ عَلَى مثلهم ، فما زالوا فى جهد منها حتى لبِسوا قُمُصَ الخز ير الصِّينىَّ ، وجعلوها طويلةَ الأردان والأبدان[٢] فناموا مستريحين .

(خروج القمل من جسم الإنسان)

[وخبّرنى كم شئت[٣] من أطبّاء الناس وأصحاب التجارب ، منهم من يقشعر من الكذب ، ويتقزّز منه — أنهم رأوا القمل عِيانا وهو يخرج من جلد الإنسان . فإذا كان الإنسان قَمِلاً كان قمله مستطيلا ، فى شبيه بخلقة الديدان الصغار البيض .

ويُذكر أن مثلَ ذلك قد كان عرضَ لأيوبَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حين كان امتُحِن بتلك الأوجاع حتى سُمِّى : « المبتلَى » .

وخبَّرنى شيخٌ من بنى ليث[٤] ، أنه اعتراه جَرَبٌ ، وأنه تطلَّى بالمَرْتَك[٥] والدُّهن ، ثم دخل الحمّام فرأى قملاً كثيراً ، يخرج من تلك الجُلَب[٦] والقروح .

---

(١) فيما عدا ل : « وكان » بدل : « فكان » و « واحد » بدل « واحدة » . « وأنتنت » بدل « نتنت » وهما لغتان يقال : نَتَن ، ونتن ، وأنتَن .

(٢) الأردان : جمع ردن ، بالضم ، وهو أصل الكم ، وأما مقدمه ، أو الكم كله . فيما عدا ل : « طويلة الأبدان والأردان » .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى (٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦) . وانظر ما كتبت فى (٤ : ٤٦) .

(٤) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والجاحظ ليثى كنانى . انظر ترجمته فى الوفيات .

(٥) المرتك ، هو المرداسنج الذى سبق شرحه فى ص ٣٥٠ . ولفظه فارسى معرب . انظر الجواليقى ٣١٧ . وضبطهما صاحب القاموس كمقعد، ومثله ضبط اللسان . ويقال أيضاً « مَرْتج » بالجيم . قال صاحب القاموس : « معرب مُرْده » لكن فى معجم استينجاس ١٢١٠ أنه معرب « مُرْتَكْ » والمأخذان محتملان .

(٦) الجلب : جمع جلبة ، كغرفة ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

وخبّرني أبو موسى العباسيّ صديقُنا ، أنه كان له غلامٌ بمصر ، وكان الغلام ربما أخذ إبرة ففتحَ بها فتحاً في بعض جَسَده ، في الجِلْد ، فلا يلبثُ أن يطلُع من تحت الجلد في القَيْح[1] قملة] .

(قمل الحيوان)

والقمل يُسرعُ إلى الدَّجاجِ والحمام ، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيفَ البيت[2] . و [هو] يعرض للقرْد ، ويتولَّد من وسَخِ جلد الأسير وما في رأسه[3] من الوسخ . ولذلك كانوا يضجُّون ويقولون : أكلَنَا القِدُّ والقمل[4] !

(تلبيد الشعر)

وكانوا يلبِّدون شعورهم ، وذلك العمل هو التلبيد ، والحاجُّ الملبِّد هو هذا . وقال الشاعر :

يا ربَّ ، ربَّ الراقصاتِ عشيَّةً ... بالقومِ بين مِنًى وبين ثَبِيرِ[5]
زُحُفِ الرَّوَاحِ قد انقضت مُنَّاتُهُمْ ... يحمِلْنَ كلَّ مَلَبَّدٍ مأجُورِ[6]

---

(١) كذا في الأصل ، وهو هنا ل : وأراها : « الفتح » .
(٢) فيما عدا ل : « إذ لم يغسل ويكون نظيف البيت » تحريف .
(٣) كلمة : « ما » ثابتة في ط فقط .
(٤) القد . بالكسر : سير من جلد غير مدبوغ . فيما عدا ل : « أكلنى » .
(٥) الراقصات : الإبل تسرع في سيرها ، رقص البعير يرقص رقصا ، بالتحريك : إذا أسرع في سيره . وثبير ، كأمير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة .
(٦) زحف ، بضمتين : جمع زحوف ، وهي الناقة أعيت فجرت فرسنها . الرواح ، أي عند الرواح . والمنات : جمع منة ، والمنة كالقوة وزنا ومعنى . والملبد : أراد به الحاج الملبد . ط ، هـ : « وحف الرواح » . س : « وجف » صوابه في ل . وفيما عدا ل : « تراقصت تمشى بهم » .

وقال عبد الله بن العَجْلان النهدى[١] :

إني وما مارَ بالفُريقِ وما قَرْقَرَ بالجَلْهَتَيْنِ من سُرُبِ[٢]

[جماعة من القطا وغيره ، واحدتها سُرْبَة . وعبر بها ها هنا عن الحجَّاج[٣]] .

من شَعَرٍ كالغَليل يُلبَدُ بالـ ❊ ـقَمْلِ وما مارَ من دمٍ سَرَبِ[٤]

١١٤ والعِتر عتر النَّسيك يخفر بالـ ❊ ـبُدْنِ لحِلِّ الإحرامِ والنُّصُبِ[٥]

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت :

شاحينَ آباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفَثاً وَلَمْ يَسُلوا لهم قملاً وصِئبانا[٦]

ويروى : « لم يقرَبوا تفَثاً » . قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا

---

(١) عبد الله بن العجلان النهدى ، شاعر جاهلى ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفاً عليها . انظر أخباره فى الأغانى (١٩ : ١٠٢ — ١٠٦) وتزيين الأسواق ٧٦ — ٧٨ . ل : « عبد الله بن عجلان النهدى » .

(٢) الفريق ، بهيئة تصغير فرق : موضع بتهامة . وفيما عدا ط : « الغريف » ولم أجده . وفي المعجم : « الغُرَيق » : واد لبنى سليم . وقد أقسم بدماء الإبل التى تنحر فتمور دماؤها . ط ، ه : « من شرب » س : « شهب » صوابهما فى ل . والسرب بضمتين وبإسكان الثاني ، كما فى تاج العروس (١ : ٢٩٦ س ٣٩) .

(٣) فى الأصل – وهو هنا – ل « الحمام » . والصواب ما أثبت . وقد عنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء .

(٤) الغليل : القت والنوى والعجين تعلفه الإبل . ط : « كالليل » وفى ل ، ه : « كالقليل » وأثبت ما فى س . والسرب ، بفتح الراء وكسرها : السائل .

(٥) العتر ، بالكسر : ما عتر أي ذبح . والعتر أيضاً الصنم يعتر له . وفى اللسان والقاموس أن النسيكة الذبيحة . ولم أجد النسيك . و« يخفر » هى فى ل : « يحفر » وفى ط ، ه : « مجلى الأحزان » وفى س : « مجلى الأحزان » صوابهما فى ل .

(٦) شاحين ، من شحا الرجل فاه شحوا : فتحه . والآباط : جمع إبط . عنى بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء . فيما عدا ل : « ساحى أباطلهم » تحريف . والتفث : التشعث . وفى اللسان : « قال أبو منصور : لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسره ابن شميل ، جعل التفث التشعث » . قلت هذا البيت يشهد لتفسير ابن شميل .

تَفَثَهُم[1] ﴾ . وما أقلَّ ما ذَكَرُوا التفَثَ فى الأشعار[2] .

والتلبيد : أن يأخذَ شيئاً من خِطْمِىٍّ وآسٍ وَسِدْرٍ[3] ، وشيئاً من صَمْغ ، فيجعله فى أصول شعره[4] وعلى رأسه ، كى يتلبّد شعرُه ولا يعرَق[5] ويدخلَه الغبار ، ويخمّ فيقملَ .

وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتْلَ القمل . فكان ذلك العمل[6] يقِلُّ معه القمل .

وقد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لكعب بن عُجْرة[7] : « هل آذاك هَوَامُّ رأسِك ؟ ! » .

(تعيير هوازن وأسد بأكل القرة)

وقال ابنُ الكلبىِّ : عُيِّرَتْ هَوَازِنُ وأسدٌ بأكل القُرَّةِ[8] . وهما

---

(١) من الآية ٢٩ فى سورة الحج .

(٢) البيت حجة على أبى عبيدة إذ يقول : « ولم يجئْ فيه شعر يحتج به » . انظر اللسان .

(٣) السدر : النبق البرى . فيما عدا ل : « وسرو » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أن نأخذ » .

(٤) ط فقط : « فتجعله فى أصول شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « يفرق » بالفاء ، محرف .

(٦) يعنى تلبيد الشعر . س : « وما كان » تحريف . ط ، هـ : « وكان » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : «القتل» بدل « العمل » محرف .

(٧) هو كعب بن عجرة بن عدى ، وهو صحابى ، وفيه نزلت الفدية ، وقد أخرج ذلك فى الصحيحين من طرق ، منها رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن كعب بن عجرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو محرم يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه . فقال له : احلق رأسك وأطعم فرقا بين ستة مساكين ... » . مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل ثنتين ، وقيل ثلاث ، وله خمس أو سبع وسبعون سنة . الإصابة ٧٤١٣ .

(٨) القرة ، بالضم . وفيما عدا ل : « الهرة » تحريف .

بنو القملة[(١)] . وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم [بمِنًى وضع كل رجل منهم على رأسِهِ قُبْضَةً من دقيق . فإذا حلقوا رؤوسهم] سقط[(٢)] ذلك الشعرُ مع ذلك الدقيق[(٢)] ، ويجعلون الدقيق صدقةً . فكان ناسٌ من الضُّرَكاء[(٣)] وفيهم ناسٌ من قيس وأسد ، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، فيرمُون بالشعرِ ، وينتفعون بالدقيق .

وأنشد لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجَرْميّ ، في هجائهم :

ألم تر جَرْمًا أنجَدَتْ وأبوكم ... مع الشعر في قصِّ الملبَّدِ شارِعُ[(٤)]

إذا قُرَّةٌ جَاءت يقولُ أصبْ بها ... سوى القمل إني من هَوَازِنَ ضارعُ[(٥)]

(شعر في هجو القملين)

وقال بعض العُقَيليِّين ، ومرَّ بأبي العلاء [العُقَيليّ] وهو يتفلّى ، فقال :

---

(١) أي هوازن وأسد ، على أنهم كانوا يقال لهم : « بنوالقملة » . ط ، س : « وهو سويق القمل » هـ : « وهوشوء القمل » وأثبت ما في ل .

(٢) فيما عدا ل : « سيط ذلك الشعر بدرمك الدقيق » وهذه العبارة في ظاهرها تحتمل الصحة ، فإن معنى سيط : خلط . والدرمك : النقي من الدقيق . ولكن النظر إلى التكملة السابقة يقضي بأنها محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٣) الضركاء : جمع ضريك ، وهو الفقير اليابس الهالك سوء حال . قال الكميت :

فغيث أنت للضركاء منا ... بسيبك حين تنجد أو تغور .

ويجمع أيضاً على ضرائك . فيما عدا ل : « الصوكاء » تحريف .

(٤) أنجدت : دخلت بلاد نجد . ط ، هـ : « وأجدت » تحريف . وفيما عدا ل : « وابن بجزة » بدل : « وأبوكم » . وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٥) فيما عدا ل : « إذ امرأة جاءت لقول » صوابه في ل واللسان . وفي س : « شوا القمل » وهـ : « شوآء » صوابهما في ل ، ط واللسان .

وإذا مررْتَ به مررتَ بقانصٍ   متصيِّدٍ فى شَرْقَةٍ مقرورِ[١]

للقملِ حولَ أبى العلاء مَصارِعٌ   مِنْ بين مقتول وبينَ عقيرِ[٢]

وكأنهنَّ لدى خُبُون قميصِهِ   فَذٌّ وتوأمُ سِمسِمٍ مقشورِ[٣]

ضَرِجِ الأنامل من دماء قتيلِها   حَنِقٍ عَلَى أخرى العدوِّ مُغِيرِ[٤]

وقال الحسنُ بنُ هانئ ، فى أيوبَ ، وقد ذهب عنى نسبُه ، وطالما رأيتُه فى المسجد :

مَن يَنْأَ عنـــه مصادُهُ   فمصَـادُ أيوبٍ ثيابُه

تـكفيه فيهـــا نظرةٌ   فتُعَلُّ من عَلَقٍ حِرَابُه[٥]

يا رُبَّ محترس بخَبْـ   ـنِ الدَّرْزِ تـكْنُفُه صُؤابُه[٦]

فاشى النِّـكاية غير معلو   مٍ إذا دبَّ انسيابُه

---

(١) الشرقة : المكان الذى يتشرق فيه فى الشتاء . والمقرور : الذى أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد . فيما عدا ل : « فى شرقه مغرور » صوابه فى ل والحماسة (٢ : ٣٩٧) ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وحق هذا البيت أن يكون ثانى الأبيات . لكن هكذا وردت الرواية .

(٢) العقير : المعقور . فيما عدا ل : « ما بين مقتول » وهذه ثابتة أيضاً فى نهاية الأرب ومحاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) . وما أثبت من ل هو رواية الحماسة وديوان المعانى .

(٣) الخبون : جمع خبن ، وأصل الخبن : خياطة الثوب لتقليصه . فيما عدا ل : « جيوب » والجيب : طوق القميص . وفى الحماسة : « لدي دروز قميصه » . وفى ديوان المعاني ونهاية الأرب : « إذا علون قميصه » . والفذ : الفرد . ديوان المعانى : « فرد » . والتوأم : المزدوج ، وأصله من جميع الحيوان المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى ، أو ذكراً مع أنثى . سر : « معشور » محرف .

(٤) الضرج : المصبوغ بالحمرة . فيما عدا ل : « صرح » تحريف صوابه فى سائر المصادر . وقد ضبط بالجر فى ل والحماسة . إنما يستقيم هذا الضبط إذا روى البيت الأول بعد البيت الثاني فيكون صفة لقانص . والوجه الرفع . ومع الرفع الإقواء .

(٥) تعل : من العلل ، وهو الشرب مرة بعد مرة . والعلق ، بالتحريك : الدم . والحراب : جمع حربة . س : « جرابة » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « محترز » والمحترس والمحترز بمعنى . والخبن : خياطة الثوب لتقليصه =

١١٥ أو طامرىٍّ واثِبٍ لم يُنْجِهِ عنـــه وثابُهُ[١]

[الطامرىّ : البرغوث ثم قال] :

أهْوَى لهُ بمذلَّقِ الـــغَرْبَينِ إصْبَعُه نِصابُهُ[٢]

لله درُّك من أخِي قَنص أصابِعُه كِلابُهُ[٣]

(أحاديث وأخبار فى القمل)

وفى الحديث أن أكل التفاح ، وسُؤْرَ الفأرةِ ، ونَبْذَ القملة يورث النِّسيان[٤] .

وفي حديث آخر أنّ الذى ينبذ القملة لا يُكْفَى الهمّ .

والعامة تزعم أن لُبس النِّعال السودِ يورث [الغمّ و] النسيان .

وتناول أعرابىٌّ قملة دبَّتْ عَلَى عُنقه ، فدغَها[٥] ثم قتلها[٦] [بين] باطنِ إبهامه وسَبَّابته ، فقيل له : ما تصنعُ ويلك [بحضرة الأمير] ؟ ! فقال :

= وأراد به الموضع . والغرز : موضع الخياطة وفيه يختبئ القمل والصئبان ، ولذلك يقال لها « بنات الدروز » . انظر شفاء الغليل . وفى اللسان أن الزئبر ما يظهر من درز الثوب . أي أن الزئبر هو الأهداب التى تظهر من موضع الخياطة . وقد نصت المعاجم أن « الدرز » فارسى معرب ، وقالت إنه معروف ، فحسب . ومعنى « درز » فى الفارسية : الشق الذى خيط من الثوب : Arend in a garment which has been sewed up انظر استينجاس ٥١١ . ومنه « درزى » الفارسية بمعنى الخياط ، وهى أصل : « ترزى » فى العامية المصرية . س : « يجير الردن » ه « بجيرالردن » ط : « بجيب الردن » وأثبت ما فى ل . وفى س : « تكشفه صؤابه » تحريف .

(١) ل فقط : « لم يغنه » . والوثاب : الوثب . وقد سبق البيت فى ص ٢١٦ .

(٢) مذلق : حاد . والغربين : مثنى غرب ، وهو حد السلاح . فيما عدا ل : « بمزلق » تحريف . وفى ط فقط : « ما بين أصبعيه » صوابه فى سائر النسخ .

(٣) أخو قنص : صاحب صيد . فيما عدا ل : « من أبى قنص » .

(٤) سبق هذا الحديث في ص ٢٦٩ .

(٥) فدغها : شدخها . والفدغ شدخ الشىء الأجوف . فيما عدا ل : « فنزعها » .

(٦) فيما عدا ل « فتل » وفى ل : « قتلها » ووجهه بالفاء كما أثبت .

بأبى أنتَ وأمّى ، وهل بقى منها إلا خِرشاؤها ؟ يعنى جلدَتَها وقِشرتَها .
وكل وعاء [فهو] خرشاء .

(المأمون وسعيد بن جابر)

وحدثنى [إبراهيمُ بنُ هانئ[١] ، قال : حدّثنى[٢]] سعيدُ بنُ جابر ، قال : لما كادت الأجناد تحيطُ ببغداد[٣] من جوانبها ، قال لنا المخلوع[٤] : لو خرجنا هكذا إلى قُطْرُبُّل[٥] على دوابنا ، ثم رجعنا من فَورنا ، كان لنا فى ذلك نُشرة[٦] . قال : فلما صِرنا هناك هجمنا على موضع خَمّارين ، فرأى أناساً قد تطافروا من بعض تلك الحانات[٧] ، فسأل عنهم ، فإذا هم أصحابُ قِمارٍ ونَرْدٍ [ونبيذٍ] ، فبعث فى آثارهم [فرُدُّوا] وقال لنا[٨] : أشتهى أن أسمع حديثَهم ، وأرى مجلسهم وقِمارهم . قال : فدخلْنا

---

(١) إبراهيم بن هانئ أحد معاصري الجاحظ ، قال فيه الجاحظ : « وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرداً » . انظر البيان (١ : ٨٩ — ٨٠) . وروى عنه خبراً فى البخلاء ١٠٦ . وذكره صاحب لسان الميزان (١ : ١١٨) .

(٢) هذه التكملة من ل ، سه .

(٣) فيما عدا ل : « بغداد » بالمهملة فى آخره . وهما لغتان . لكن قال ياقوت : « ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ فى آخره الذال المعجمة » .

(٤) المخلوع هو الخليفة محمد الأمين .

(٥) قطربل ، بضم فسكون ففتح فباء مشددة مضمومة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب إليها الخمر ، وقد ضبط فى اللسان والقاموس بضم الراء ، ولكنه ضبط قلم لا نص . وانظر المعرب ٢٧٣ .

(٦) النشرة ، هى فى أصلها ضرب من الرقية والعلاج يعالج به المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أى يكشف ويزال . انظر اللسان (٧ : ٥٦) . فيما عدا ل : « تنزه » .

(٧) تطافروا : تواثبوا . والطفر : الوثوب . فيما عدا ل : « تظافروا » بالظاء المعجمة . تظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى . وليس مراداً . وفيما عدا ل : « فرأينا ناساً قد تظافروا فى بعض تلك الحانات » .

(٨) ل ، سه : « أنا » .

إلى موضِعِهم ، فإذا تخت[١] النَّردِ قطعةُ لِبْد ، وإذا فصوص النَّردِ من طين ، بعضُه مسوَّد وبعضُه متروكٌ ، وإذا الكعبان من عُروة كوز محكَّكة ، وإذا بعضُهمْ يتكئُ عَلَى دَنّ خال[٢] وتحتهم بَوَارٍ قد تنسَّرتْ[٣].

قال : فبينا هو يضحك منهم إذ رأيت قملةً تدب عَلَى ذيلِه ، فتغفَّلتُه وأخذْتُها[٤] فرآني وقد تناولتُ شيئاً ، فقال [لى] : أى شىء تناولتَ ؟ فقلتَ : دوَيْبَّة دبت عَلَى ذيلكَ مِنْ ثياب هؤلاء . قال : وأىُّ دابة هى[٥] ؟ قلت : قملة . قال : أرِنيها ؛ فقد واللهِ سمعتُ بها !

قال : فتعجبتُ يومئذ من المقادير[٦] كيفَ ترفَع رجالا فى السماء ، وتحطُّ آخرينَ[٧] فى الثَّرى !

---

(١) التخت ، فى المعاجم العربية : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى معرب : لم يذكروا غير ذلك . وبعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى . وإنما أراد بالتخت اللوح الذي يوضع فوقه النرد . وجاء فى معجم استينجاس ١٣٩٥ فى تفسير (تَخْتِ نَرْدْ) أنه لوح يتخذ لاسب النرد : A board for playing at nard . وأراد ، جعلوا قطعة اللبد بدلا من اللوح . فيما عدا ل : « تحت » : ظرف المكان .

(٢) الدن سبق تفسيره فى ص ٢٦٥ . فيما عدا ل : « متكئ على دن حان » محرف .

(٣) البوارى : جمع بارية بتشديد الياء ، وهى الحصير المعمول من القصب ، فارسيته (بوريا) . انظر اللسان والمعرب واستينجاس ٢٠٦ . فيما عدا ل : « بوارى » وهى لغة ضعيفة . انظر سيبويه (٢ : ٢٨٨) والهمع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) تنسرت : انتشرت ، يقال تنسر الحبل وانتسر طرفه : أى انتقض وذهب شيئاً بعد شىء . فيما عدا ل : « نشرت » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فتعلقته فأخذتها » تحريف .

(٥) ل : « وأى دابة هذه » .

(٦) المقادير : جمع مقدار ، وهو القدر . فيما عدا ل : « الأيام » .

(٧) ط ، س ، ه : « كيف ترفع رجلا فى السماء وتحط آخر » ومثله فى ه ، لكن فيها : « وتحط أخري » ، وأثبت ما فى ل .

(معارف وخبر فى القمل)

قال : والقردُ يتفلَّى ، فإذا أصاب قملةً رمَى بها إلى فيه[١] .

ونساء العوامِّ يعجبُهُنَّ [صوتُ] قصْع القمل على الأظفار[٢] .

ورأيتُ مرةً أنا وجعفر بن سعيد[٣] ، بقَّالا فى العتيقة[٤] وإذا امرأته جالسةٌ بين يديه ، وزوجها يحدثها وهى تفلى جَيْبَها[٥] وقد جمعت بين باطن إبهامها وسَبَّابتها عدَّةَ قمل ، فوضعتها على ظفر إبهامها الأيسر[٦] ، ثم قلبت عليها[٧] ظفرها الأيمن فشدخَتْها به ، فسمعْتُ لها فَرقعةً[٨] ، فقلت لجعفر : فما منعها أن تضَعَها بين حَجَرين[٩] ؟ قال : لها لذةٌ فى هذه الفرقعة . والمباشرةُ أبلغُ عندها فى اللذة . قلت : فما تَكرهُ مكانَ زوجها ؟ قال : لولا أن زوجها يُعجبُ بذلك لنهاها !

(شعر لابن ميادة)

وقال ابن مَيَّادة[١٠] :

---

(١) ط فقط « وإذا أصاب » ط ، هـ : « فى فـه » سه : « في فيه » وأثبت ما فى ل .

(٢) قال أبو عبيد : القصع ضمك الشيء حتى تقتله أو تهشمه . قال : ومنه قصع القملة . فيما عدا ل : « وضع القمل » تحريف .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .

(٤) البقال : بائع البقول ، والبقل من النبات ما ليس بشجر . هـ : « بغالا » .

(٥) الجيب : جيب القميص ونحوه ، وهو طوقه . ط ، هـ : « تفلى ثوبها » .

(٦) ط ، هـ : « علي ظهر إبهامها الأيسر » تحريف ما أثبت من ل ، سه .

(٧) فيما عدا ل : « لها » .

(٨) سه : « وقعة » .

(٩) ل ، سه : « ما منعها » ... الخ .

(١٠) هو الرماح بن أبرد ؛ سبقت ترجمته في (٤ : ٣٣١) . ومن أجداده ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان يفخر بجده ظالم ، كما في البيت الأول من الأبيات التالية . وكما فى قوله (انظر الأغاني ٢ : ٨٧) : =

١١٦ سَقَتنى سُقاةُ المجدِ منْ آلِ ظالمٍ ... بأرشيةٍ أطرافُها فى الـكواكبِ[١]

وإنَّ بأعْلَى ذى النُّخَيل نسَيَّةً ... يسَيِّرنَ أعياراً شدادَ المناكبِ[٢]

يَشُلْنَ بأستاهٍ عليهنَّ دُسْمةً ... كماشال بالأذنابِ سُمْرُ العقاربِ[٣]

باب

(القول فى البرغوث)

والبرغوثُ أســودُ أحدبُ نَزَّاء[٥] ، من الخلق الذى لايمشى [صِرفاً] .

وبما قال بعضهم : دبيبُها من تحتى أشدُّ عَلَيَّ مِنْ عضِّها .

= أنا ابن أبى سلمى وجدى (ظالم) ... وأمى حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى و (ظالم) ... بأكرم من نيطت عليه العمائم
لو ان جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدى (ظالم) وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وإنما سقت هذه الأبيات لأبين أن ما فى ل : « وقال ابن مناذر » تحريف ، والصواب نسبتها لابن ميادة .

(١) الأرشية : جمع رشاء ، وهو حبل الدلو . وانظر لكلمة « ظالم » التنبيه السابق .

(٢) ذو النخيل ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة . نسية : مصغر نسوة ، وأراد بالتصغير تحقيرهن . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أهلياً كان أو وحشياً ؛ وهم يتهاجون برعى النساء الحمر ، ومنه قول الراعى :

هن الحرائر لاربات أحمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ط ، س : « أسنة » بدل : « نسية » وهى فى هـ : « لسنه » تحريفان . ط ، هـ : « قمشرين » بدل : « يسيرن » ط : « شدد المناكب » محرفان . وفى س : « سرراعباً أشداد المناكب » بهذا الإهمال والتحريف .

(٣) شالت العقرب بذنبها : رفعته . والدسمة ، بالضم ، أصله ما يشد به خرق السقاء . وانظر لتفسير هذا المعنى شرح الأنبارى للمفضليات ص ٤٧ — ٤٨ . هـ : « دستة » تحريف . وسمر : جمع سمراء . فيما عدا ل : « سم انعقارب » تحريف .

(٤) بدله فى ل : « القول فى البرغوث » .

(٥) نزاء : وثاب . نزا ينزو : وثب .

وليس ذلك بدبيب . وكيف يمكنهُ الدَّبيبُ — وهو مُلزَق عَلَى النِّطع(١) بجلد جَنب النائم(٢) ؟! ولكنَّ البرغوثَ خبيثٌ ، فمتى أرادَ الإنسان(٣) أن ينقلب من جنب إلى جنب ، انقلب البرغوث واستلقى عَلَى ظهره ، ورفع قوائمه فدغدغه [بها] ، فيظنُّ من لاعلم عنده أنه إنما يمشى تحت جنبه(٤) .

وقد ذكرنا من شأنه فى مواضع . ولوكان البابُ يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه(٥) .

(شعر فى البرغوث)

وقال بعض الأعراب :

ليلُ البراغيث عنّانى وأنْصَبنِى لابارك اللهُ فى ليل البراغيث(٦)

كأنهنَّ وجلدى إذْ خَلونَ به أيتامُ سَوْء أغاروا فى مواريثِ(٧)

---

(١) النطع ، بالكسر : بساط من الأديم ، أى الجلد .

(٢) ط ، هـ . « بجنب جلد النائم » تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « الإنسان » .

(٤) ط ، هـ : « أنها تمشى تحت جنبه » وبإسقاط « أنه » تحريف ، وأثبت ما فى ل . والكلام من : « انقلب البرغوث » إلى هنا ساقط من س .

(٥) ل : « ولوكان الباب يكثره حتى إن لم يكن مجموعا لم تعرفه . فتكلفت لك جمعه » .

(٦) عناه : أنصبه وجشمه العناء . س ، هـ : « عيانى » تحريف . وفى ط : « أعيانى » ، أعياه : أعجزه . وأثبت ما فى ل ، وهورواية محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .

(٧) أغاروا : فعلوا فعل المغير يهجم على القوم وينهب مالهم . وأغاروا أيضاً : أسرعوا . ط ، س : « قضاة سوء » و : « أعاثوا » محرفان . فيما عدا ل « المواريث » وأثبت ما فى ل مع ما فيه من صرف ما لا ينصرف للضرورة . ورواية ل تطابق رواية محاضرات الراغب .

وقال محبوب بن أبي العشَنَّط النهشليّ[١] :

لروْضة من رِياضِ الحزْنِ أوطَرَفٌ ، من القُرَيَّةِ جَرْد غيرُ محروثِ[٢]

لِلنَّوْرِ فيــه إذا مجَّ النَّدَى أَرَجٌ ، يشفِي الصُّداعَ ويشفِي كلَّ ممْغوثِ[٣]

أملا وأحلَى لعَينِي إنْ مررتُ به

مِن كَرْخ بغدادَ ذِي الرُّمّانِ والتُّوثِ[٤]

الليلُ نِصفان : نصفٌ للهموم فما ، أقضى الرُّقادَ ، ونصف للبراغيثِ

أبيتُ حين تُسامِيني أوائلُها ، أنزو وأخلِطُ تسبيحاً بتغويثِ[٥]

---

(١) العشنط ، بفتح العين والشين وتشديد النون المفتوحة : معناه الطويل جداً ، أو التار الظريف الحسن الجسم . ولم أجد له ترجمة إلا نسبة هـذا الشعر له . وفيما عدا ل : « محمد بن أبي القاسم النهشلي » تحريف ، صوابه في ل واللسان (٢ : ٣٢٢) ومعجم البلدان (٧ : ٧٦) والخزانة (٤ : ٥٠٤) .

(٢) الحزن ، بالفتح : موضع . س « الحسن » تحريف . والطرف ، بالتحريك : الناحية أو الطائفة من الشيء . في الأصل : « طرق » صوابه من المصادر السابقة . والقرية قرية بني سدوس ، وهي أخصب قرى اليمامة . وقد جعلها مصغرة ، وأصلها : « القرية » انظر ياقوت . س ، هـ : « للفرية » تحريف . والجرد ، بالفتح : الذي لا نبات فيه ، على أنه قليل النبات . فيما عدا ل : « جود » تحريف صوابه في ل واللسان والمعجم . وفي الخزانة : « حزن » . وفيما عدا ل : « محدوث » بالدال ، محرفة .

(٣) النور ، بالفتح : الزهر . والممغوث : المحموم . فيما عدا ل : « وينفي كل مبعوث » تحريف . وفي المعجم واللسان : « يشفي الصداع وينقي » بالقاف .

(٤) أملا : تسهيل أملأ ، أي أكثر ملئاً ، أي أتم منظراً وحسناً ، وهو مالئ العين إذا أعجبك حسنه وبهجته . فيما عدا ل : « أحلى وأملى » والمعجم : « أملى وأحلى » واللسان : « أحلى وأشهى » والخزانة : « أشهى وأحلى » . والكرخ : موضع ببغداد ، وفي اللسان : « الكرخ : سوق بغداد نبطية » . وانظر معجم البلدان .

(٥) تساميني : تعاليني . فيما عدا ل : « حتى تساميني » تحريف صوابه في ل والمعجم . وفي الخزانة : « حيث » . أنزو : أثب وأقفز . والتغويث : أن يصيح : واغوثاه ! استغاث وغوث بمعنى . ط : « أرود أخلط » هـ : « أترود أخلط » صوابه في ل ، س والمعجم واللسان .

سُود مَدَاليجُ فى الظلماء مُؤْذِيةٌ ... وليس مُلتَمَسٌ منها بمشْبُوثِ[١]

وقد جعل « التوثَ » بالثاء . ووجه الـكلام بالتاء . وتعجيمها نقطتان [من فوقها] .

وقال آخر :

لقد عَلِمَ البُرغوثُ حين يَعَضنى ... ببغدادَ أنى بالبلاد غريبُ

وقال آخر[٢] :

وَإنَّ امرأً تؤذى البراغيثُ جِلدَه ... ويُخْرِجْنَهُ من بيته لذليلُ[٣]

ألاَ رُبَّ برغوثٍ تركْتُ مجدّلا ... بأبيض ماضى الشفْرَتَيْن صَقيل[٤]

وقال آخر : ١١٧

لقيتُ منَ البُرغوثِ جَهْداً ولا أرى ... أميراً عَلَى البرغوثِ يقضى ولا يُعْدِى[٥]

يقلّبنى فوقَ الفِرَاشِ دبيبهُ ... وتصبح آثار تَبيّنُ فى جِلْدِى[٦]

وقال آخر[٧] :

---

(١) المداليج : جمع مدلاج ، وهو كثير سفر الليالى بطولها . انظر المفضليات (١ : ٢٧ البيت ١٢ طبع المعارف) . وفي المعجم : « مدالج » . مؤذية : من الإيذاء . ورواية اللسان : « مؤدنة » . قال ابن منظور : « المؤدن ، بالهمز : القصير العنق ، والمودن بغير الهمز : الذى يولد ضاويا . نقلته من حواشى ابن برى » . مشبوث : مأخوذ . شبث الشىء : علقه وأخذه . وفى اللسان : « بمنبوث » منبوث : مستخرج .

(٢) فيما عدا ل : «وقال آخر».

(٣) ل ، سه : « إن امرأ » بالخرم . فيما عدا ل : « وتخرجه من بيته » .

(٤) مجدلا : ملقياً على الجدالة ، وهى الأرض . والأبيض : السيف ، وإنما عنى أظفاره . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . وهذا البيت وما قبله متقدمان فى ل ، سه على البيت السابق . وفى هذا البيت إقواء .

(٥) أراد : ولا أميرا يعدى . أعداه الأمير علي ظالمه : اقتص له منه ، ونصره ، وأعانه .

(٦) الدبيب : المشى الضعيف على هينة . فيما عدا ل : « وبينه » تحريف .

(٧) جعل الجاحظ البيتين التاليين فى البراغيث ، لـكنه جعلهما فيما سيأتى ص ١٣١ فى القردان ، وقال : « و بعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل » !

ألا ياعبادَ الله مَنْ لقبيلة ... إذاظهرت فى الأرض شَدَّمُغيرُها[١]

فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ... ولا ذُو سِلاحٍ من مَعَدٍّ يَضِيرُها

وقال يزيد بن نُبَيه الكلابى[٢] :

أصبحتُ سالمتُ البراغيثَ بعد ما ... مَضَتْ ليلة منى وقَلَّ رُقُودها[٣]

فياليت شعرى هل أزُورَنَّ بلدة ... قليلٌ بها أوباشُها وسَنِيدُها[٤]

وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات ضُمَّر ... تُطالِع بالركبان صُعْراً خُدُودها[٥]

وهل أرَيَنّ الدهرَ ناراً بأرْضها ... بنفسى وأهلى أرضُها ووُفودها[٦] .

تَرَاطَنُ حوْلى كلما ذَرَّ شارِقٌ ... ببغداد أنباطُ القُرَي وعبيدُها[٧]

وقال آخر :

لا باركَ اللهُ فى البرغوثِ ، إن له ... لذعاً شديداً كلَذْعِ الكَىِّ بالنارِ

أقولُ والنجمُ قد غارت أوائله ... وغَلَّسَ المُدْلِجُ السارى بأسحارِ[٨]

لَبُرْقَةٌ مِنْ بِراقِ الحزنِ أعْمُرُها ... فيها الظِّبَاء تُرَاعى غِبَّ أمْطَارِ[٩]

---

(١) ط ، هـ : « أى قبيلة » صوابه فى ل ، سه ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) وانظر نهاية الأرب (١٠ : ١٧٣) . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) : « فيالعباد الله ما لقبيلة » .

(٢) نبيه ، كذا جاء مضبوطاً بهيئة التصغير فى ل . وفى سائر النسخ : « شيبة » .

(٣) ط ، هـ : « وأصبحت » . وفيما عدا ل : « قليل رقودها » .

(٤) الأوباش : الأخلاط من الناس . والسنيد : الدعى . ط : « وسيدها » سه ، هـ : « وسبيدها » بالباء ، صوابهما فى ل .

(٥) الضمر : الإبل الضامرة . صعراً : جمع أصعر ، وهو المائل .

(٦) الوفود : جمع وفد . ط ، هـ : « ووقودها » وفي ل : « وعديدها » وأثبت ما فى سه .

(٧) تراطن : تتراطن ، بحذف إحدى التاءين . والشارق : الشمس . ط : « كما ذر شارق » تحريف . ل : « ببغداذ » بالذال : فى آخره . وانظر ما أسلفت ص ٣٨١ .

(٨) غلس : سار فى الغلس ، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٩) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . والبراق ، بالكسر : جمع برقة . أعمرها : أسكنها . فيما عدا ل : « أعمدها » تحريف . تراعى : ترعى مع غيرها . غب أمطار : بعدها . فيما عدا ل : « نبت أمطار » .

أشْفَى لِدَانِي مِنْ دَرْبٍ به نَبَطٌ ... ومَنْزِلٍ بين حَجَّامٍ وجَزَّارِ[١]

مَنْ يَنحرُ الشَّوْلُ لايُخْطِى قوائمَهَا ... بِمُدْيَة كشرارِ النار بَتَّارِ[٢]

وقال آخر :

إنَّ هــذا المصلوبَ لاشك فيــه ... هو مِن بعد صَلْبِهِ مَبْعُوثُ

حلَّ من حيثُ ليس يأكله البَــقُّ ولا يهتدى له البرغوثُ

بينَ حِنْوَىْ مَطيّةٍ إنْ يسُقْهَا ... سائقاها فذاك سَيْرٌ مكيثُ[٣]

فعليهِ الدبارُ والخِزْىُ لمَّا ... قلتُ مَنْ ذا فقال لصٌّ خبيثُ[٤] ١١٨

وقال أبو الرماح الأسدى[٥] :

تطاوَلَ بالفسطاطِ ليلِى ولم يكن ... بِحِنْوِ الغَضَا ليــلٌ عَلَىَّ يطولُ[٦]

---

(١) الدرب : باب السكة الواسع . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهم السريانيون . وانظر التنبيه والإشراف ص ٢٨ ، ٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٨ . قال فى ص ٥٠ : « والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هــذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سورستان إضافة إلى السريانيين ، الذين هم الكلدانيون . ويسمون سريان ، ولغتهم سورية ، وتسميهم العرب النبط » . ل : « به نمط » وفى سائر النسخ : « بها نبط » والصواب ما أثبت . والحجام : الذى يمتص الدماء بالمحجم . ل : « حام » ه : « حار » .

(٢) الشول : الإبل التى نقصت ألبانها . وكلمة : « من » ليست فى ل . و « يخطى » مهموزة فيما عدا ل . والمدية : الشفرة . والبتار : القطاع . وقد ذكر الوصف ، بتأويل المدية بالسكين ، والسكين مذكر ، وقد يؤنث .

(٣) الحنو بالكسر : كل شىء فيه اعوجاج ، ومنه حنو الرحل والقتب والسرج ، كل عود معوج من عيدانه . والسير المكيث : البطىء . فيما عدا ل : « حثيث » والحثيث : السريع ، تحريف .

(٤) الدبار ، بالفتح : الهلاك ، مثل الدمار . وفى اللسان : « ويقال عليه الدبار أى العفاء ، إذا دعوا عليه بأن يدبر فلا يرجع » . فيما عدا ل : « الدمار » . وفى ط ، ه : « فقيل لص خبيث » .

(٥) ل : « أخو الرماح » وفى سائر النسخ : « أبو الرياح » وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥٠) : « وقد شكاهن الرماح الأسدى » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٣) : « فمن ذلك قول أبى الرماح الأسدى » . وقد جمعت بين ما فى النسخ معتمدا ما فى نهاية الأرب . وفى المؤتلف ١٢٤ من اسمه : « الرماح بن نهشل الأسدي » .

(٦) فى نهاية الأرب : « لم أكن » وفى ه ونهاية الأرب وديوان المعانى : « ليل على يطول » .

يؤرِّقُنى حُدْبٌ صغارٌ أذلةٌ ... وإن الذى يؤذينَهُ لذليلُ[(١)]

إذا جُلت بعض الليل منهن جَوْلةً ... تعلقْنَ بى أو جُلْنَ حيثُ أجولُ[(٢)]

إذا ما قتلناهنّ أضْعَفْنَ كَثْرَةً ... علينا ولا يُنعى لهنّ قتيلُ[(٣)]

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلة ... وليس لبرغوث عَلَيَّ سَبيل[(٤)]

وقال أبو الشَّمقمق :

يا طولَ يومى وطول لَيلَتِيَهْ[(٥)] ... إن البراغيثَ قد عَبِثْنَ بِيَهْ

فِيهنّ بُرغوثَةٌ مُجَوَّعَةٌ ... قد عقدَتْ بَنْدَها بفقْحَتِيَهْ[(٦)]

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرَّى طيبُ بلادهم ... وأن أميرَ الرَّىِّ يحي بنُ خالدِ[(٧)]

تطاولَ فى بغدادَ ليلِى ومن يكُنْ ... ببغداذَ يلبثْ ليلَه غيرَ راقدِ[(٨)]

بلادٌ إذا جُنَّ الظلامُ تَقَافَزَتْ ... براغيثها مِن بين مَثْنَى وَوَاحِدِ[(٩)]

---

(١) فى نهاية الأرب : « يوقظنه » بدل : « يؤذينه » .

(٢) جال : طاف ودار . وفيما عدا ل : « إذا جال » تحريف . وفى ط ، س : « حول الناس فيهن » و هـ : « بعض الناس منهن » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) أضعفن ، بالبناء للفاعل : كثرن وصرن أضعافاً . وبالبناء للمفعول : أضعفهن غيرهن جعلهن ضعفين .

(٤) فى النهاية وديوان المعانى : « إلى سبيل » .

(٥) ط ، هـ : « ليلته » صوابه فى ل ، س . والبيتان فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) مع تحريف ظاهر .

(٦) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . وأبو الشمقمق يكثر من استعمال الألفاظ المعربة . فيما عدا ل : « كفها » محرف . وفى محاضرات الراغب : « قد عقدت بندها على جسدي » والقافية محرفة .

(٧) فى الأصل : « لأهل الريف » والوجه ما أثبت من ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) .

(٨) « بغداذ » بالذال المعجمة . وانظر ما سبق ص ٣٨١ . وانظر رواية البيت فى معجم البلدان (٢ : ٢٤٣) .

(٩) فيما عدا ل : « تناثرت » وأثبت ما فى ل موافقاً مافى ديوان المعاني ، وفى معجم البلدان : « تنافرت » .

دِيازِجَةٌ سودُ الجلودِ كأنها   بِغالُ بَريدٍ أُرسلتْ فى مذاوِدِ[(١)]

وقال آخر :

أَرَّقنى الأُسَيْوِدُ الأَسَكّْ[(٢)]   ليلةَ حَكٍّ ليس فيها شكّْ[(٣)]

أَحُكُّ حتى مالهُ تَحَـاكّْ   أَحُكُّ حتى مِرفقى مُنْفَكّْ[(٤)]

وقال آخر :

يا أُمَّ مَثْوَاىَ عَدِمْتُ وَجْهَكِ   أنقذنى ربُّ العُلا من مِصْرِكِ[(٥)]

ولَذْعِ برغوثٍ أَرَاهُ مُهْلِكى   أبيتُ ليـلى دائمَ التحكُّكِ

تحكُّكَ الأجربِ عند المَبْرَكِ[(٦)]

وقال آخر :

الحمـدُ للهِ برغوثٌ يُؤَرِّقنى   أُحَيْلِكُ الجلدِ لا سَمْعٌ ولا بصرُ[(٧)]

---

(١) ديازجة : جمع ديزج ، وهو الأخضر ، كما فى أدب الكاتب ١٠٥ . وفى مبادىء اللغة : « والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج » وهو معرب : « دِيزَهْ » . ط ، هـ : « زيارحة » س : « ذيارجة » صوابه فى ل وديوان المعانى ومعجم البلدان . وفى معجم البلدان : « شهب البطون » . فيما عدا ل : « بغال بريد » صوابه فى ل والمعجم وديوان المعانى . « أرسلت فى مذاود » : أى أطلقت فى معالفها لتأكل . والمذاود : جمع مذود ، كمنبر ، وهو معلف الدابة . فيما عدا ل : « فى موارد » وفى ل : « من مذاود » وأثبت ما فى معجم البلدان . وفى ديوان المعانى : « فى المزاود » صوابه بالذال . شبهها بتلك البغال القوية المختارة قد أرسلت فى مذاودها فهى لا تألو قضما وخضما .

(٢) الأسيود : تصغير أسود . سه : « الأسود » . والأسك : الأصم . قال ابن منظور (١٢ : ٣٢٤) : « يعنى البراغيث ، وأفرده على إرادة الجنس » . وروايته للبيت : « أسهرني الأسيود الأشك » .

(٣) ل فقط : « ليس فيها حك » وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية اللسان .

(٤) س ، هـ : « منعك » تحريف . وفى اللسان : « حتى ساعدى منفك » .

(٥) ل ، هـ : « رب العلى » .

(٦) أى تحكك البعير الأجرب عند مبركه .

(٧) أحيلك : مصغر أحلك ، والحلكة : شدة السواد .

وقال آخر :

قبيلةٌ في طولها وعَرْضِها   لم يُطْبِقُوا عيناً لهم بغُمْضِها[١]

خوْفَ البراغيثِ وخوفَ عضِّها   كأنَّ في جلودها من مَضِّها[٢]

١١٩ عقاربا ترفضُ من مُرَفَضِّها[٣]   إن دام هذا هربت مِنْ أرضِها[٤]

ياربِّ فاقْتلْ بعضَها ببعضِها

(معارف في البرغوث)

[قال : والبرغوثُ في صورة الفيل . وزعموا أنها تبيض وتفرخ ، وأنهم رأوْا بيضها رؤيةَ العين . والبراغيث تتَاكَحُ وهي مستدبِرة ومتعاظِلة[٥] . وهي من الجنس الذي تطول ساعة كوْمِها .

(استقذار القمل)

وليس الناسُ لشيء مما يَعَضُّهم ويؤذيهم ، من الجرجس ، والبقّ ، والبراغيثِ والذّبان — أشدّ استقذاراً منهم للقمل . ومن العجب أنّ قرابته أمسُّ . فأما قملة النِّسر ، وهي التي يقال لها بالفارسية : « دَدَه[٦] » وهي تسكون بالجبل ، فإنها إذا عضّت قتلت] .

---

(١) فيما عدا ل : « لم يطعموا عينا » .

(٢) المض : الحرقة والألم . يقال مضه الهم والجرح وأمضه : آلمه .

(٣) ترفض : تتفرق . والمرفض : اسم الموضع منه . فيا عدا ل : « ترقص » تحريف .

(٤) أي هربت القبيلة فراراً من أذى البراغيث .

(٥) متعاظلة : يركب بعضها فوق بعض .

(٦) دده ، بفتحتين : هي في أصلها بالفارسية اسم لكل حيوان مفترس . انظر استينجاس ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(القول فى البعوض)

حدّثنى إبراهيم بن السِّنْدىّ[١] قال : لما كان أبى بالشام والياً ، أحبّ أن يسوّىَ بين القَحْطانىّ والعَدنانى ، وقال : لسنا نقدّمُكم إلا على الطاعة لله عز وجل ، وللخلفاء[٢] وكلُّكم إخْوة . وليس للنِّزارىّ [عندى] شىءٌ ليس لليَمانىّ مثله .

قال : وكان يتغدّى مع جملة من جِلَّة الفريقين[٣] ، ويسوّى بينهم فى الإذن والمجلس . وكان شيخُ اليمانية يدخل عليه معتمًّا ، وقد جذب كَوْرَ عِمامته[٤] حتى غطى بها حاجبه[٥] وكان لاينزِعها فى حر ولا برد ، فأراد فتى من قيس — و [قد] كان أبى يستخليه ويقرِّبه[٦] — أن يُسقِطه من عينِ أبى ويوحِشَه منه ، فقال له ذات يوم ووجَدَ المجلسَ خالياً[٧] : إنى أريدُ أن أقول شيئاً ليس يُخرِجُه منى إلا الشكر والُحرية[٨] ، وإلا المودة والنصيحة ، ولولا ما أعرفُ من تقزُّزِك وتنطُّسِك[٩] وأنك

---

(١) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٤٢٣) . وفى الأصل : « إبراهيم السندى » .

(٢) ل : « لله والخلفاء » .

(٣) جلة : جماعة . فيما عدا س : « جلة من جلة الفريقين » . والجلة ، بالكسر : العظماء ذوو الأخطار .

(٤) الكور ، بالفتح : الدارة من دارات العمامة . هـ : « كورة » س : « كرة » صوابه ما أثبت من ل ، ط . والواو من : « وقد » ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « حاجبه » بالإفراد .

(٦) يستخليه ، بالخاء المعجمة : يخلو به وينفرد . ل : « يستحليه » بالمهملة ، تصحيف . وفى هـ ، س : « ويستقربه » بدل : « ويقربه »

(٧) ط ، « ووجه المجلس خال » س ، هـ : ووجه المجلس خاليا » صوابه ما أثبت من ل .

(٨) الشكر : عرفان الإحسان ونشره .

(٩) ط ، هـ : « وإلا ما أعرف » تحريف التقزز : التنطس والتباعد من الدنس . والتنطس : التقذر والتقزز . ط : « تعززك وتنشطك » س : « وتقدرك وتنشطك » هـ : « تفرزك وتنشطك » والصواب ما أثبت من ل . وكلمة : « تقذرك » فى س صحيحة.

متى انتبهت على ما أنا مُلْقيه إليك[١] لم آمَنْ أن تستغشَّنى[٢] ، وإن لم تُظْهِرْه لى . إن هذا اليمانىّ إنما يعتم أبداً ، ويمدُّ طُرَّةَ العمامة[٣] حتى يغطِّىَ بها حاجِبَيْهِ ؛ لأن به داءً لو عَلِمْتَ به لم تؤاكِلْهُ !

قال : فقال أبى : فرَمانى والله بمعنى كادَ ينقضُ [عَلَىّ] جميعَ ما بيدى ، وقلتُ : والله لئنْ أكلت معه وبه الذى به إنّ هذا لهو البلاء ولئن منعت الجميع مؤاكلتى لأوحِشَنَّهم جميعاً بعد المباسطة والمباثَّة[٤] والملابسة والمؤاكلة . ولئن خصَصْتُه بالمنع [أ]وْ أقعدتُه على غير مائدتى[٥] ليغضَبَنّ . ولئن غضِب ليغضبنّ معه كل قَحطانى بالشام . فبتُّ بليلة طويلة . فلما كان الغَدُ وجلست ، ودخلوا للسلام ، جرى[٦] شىء من ذكر السموم وغرائبِ أعمالها ، فأقبل عَلَىّ [ذلك] الشيخُ فقال : عندى [من هذا] بالمعاينةِ ما ليس عند أحد . خرجت مع ابن [أخى هذا ، ومع ابن[٧]] عمِّى هذا ، ومع ابنى هذا ، أريد قَريتى الفُلانية ، فإذا بقُرب الجادّةِ بعير قد نهشَتَه أفعى ، وإذا هو وافِرُ اللحم ، وكل شىء

---

(١) فيما عدا ل : « وأنت متى انتبهت إلى ما أنا ملقيه عليك » محرف .

(٢) استغشه واغتشه : ظن به الغش . وهو خلاف استنصحه . هـ : « تستغثنى » وليس لها معنى إلا من استغث الرجل الجرح : أخرج غثيثته أي قيحه . ولا وجه لهذا هنا .

(٣) طرة الشىء : طرفه . فيما عدا ل : « صرة » تحريف .

(٤) المباثة : مفاعلة من البث ، وهو إظهار الحديث والخبر . ط : « الملاينة » س ، هـ : « المباينة » والأخيرة محرفة .

(٥) المائدة : الخوان عليه الطعام . فيما عدا ل : « على غير ما يري » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « أجرى » .

(٧) كلمتا : « أخى هذا » تكملة من ل ، س ، هـ . وكلمتا : « ومع ابن » تكملة من س ، هـ فقط .

حوالَيه من الطيَّر والسباع ميت ، فقمنا [منه] على قابِ أرماحٍ[١] [نتعجب[٢]] ، وإذا عليه بعوض كثيرة[٣] .

فبينا [أنا] أقول لأصحابى : [يا] هؤلاء ، إنكم لترون العجَب : أولُ ذلك أن بعيراً مثل هذا يتفسَّخ[٤] من عَضةِ شىء لعله أن [لا] يكون فى جسم عرقٍ من عروقه ، أو عَصَبَة من عَصَبه ، فما هذا الذى مَجَّه فيه ، وقذفه إليه ؟ ثم لم يرضَ بأن قتلَه وفسَّخَه حتى قتلَ كلَّ طائر ذاق منه ، وكلَّ سبُعٍ عضَّ عليه . وأعجب من هذا قتلُه لأكابرِ السِّباع والطيرِ ، وتركُه قتلَ البعوضة ، مع ضَعْفها ومهانتها !

فبينا نحنُ كذلك إذ هبَّت ريحٌ[٥] من تلقاء الجيفة ، فطيَّرت البعوض إلى شقّنا ، وتسقُط[٦] بعوضة على جبهتى ، فما هو إلا أن عضتنى إذ اسْمَأَدَّ وجهى[٧] وتورَّم رأسى ، فكنت لا أضرِبُ بيدى إلى شىء أحكُّه من رأسى وحاجِبى ، إلا انتثر فى يدى . فحُمِلْت إلى منزلى فى مَحمِل[٨]

(١) على قاب أرماح : على قدر طول أرماح . ط ، س : « على قاب أرماحنا » هـ : « أرماحنا » تحريف

(٢) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « كثير » بالتذكير ، وكلاهما جائز .

(٤) س ، هـ : « ينفسخ » .

(٥) فيما عدا ل : « فبينا أنا كذلك » . وفى ط فقط : « إذا هبت ريح » .

(٦) ط فقط : « وسقطت » .

(٧) اسمأد : ورم وانتفخ . فيما عدا ل : « إذ قد اسود وجهى » .

(٨) المحمل ، كمجلس ، وضبط فى نسخ المحكم كمنبر وعليه علامة الصحة : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . وأول من اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفى : وفيه يقول القائل :

أول خلق عمل المحاملا   أخزاه ربى عاجلا وآجلا

انظر تاج العروس (٧ : ٢٨٩) والحيوان (١ : ٨٢) والمعارف ٢٤١ واللسان (١٣ : ١٨٩)

وعولِجْتَ بأنواع العلاجِ ، فبَرَأْتُ[(١)] بعد دهر طويل . على أنه أبقى[(٢)] عَلَيَّ من الشَّين أنه تركنى أقرَعَ الرأس ، أمرطَ الحاجبين .

قال : والقومُ يخوضون معه فى ذلك الحديث ، خَوْضَ قوم قد قتَلوا[(٣)] تلك القصةَ [يقيناً] .

قال : فتبسمْتُ ، ونَكَس [الفتى] القيسىُّ رأسه ، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا فى ذلك ذَرْءٌ[(٤)] من القول ، فقال : إن هذا القَيسىّ خبيث ، ولعله أن يكون قد احتال [لكَ] بحيلة !

قال إبراهيم : فلم أسمعْ فى السموم بأعجبَ من هذا الحديث .

(طلسمات البعوض)

ويزعم أهلُ أنطاكيَة أنهم لايُبْعَضون[(٥)] لِطلَّسمٍ هناك .

---

(١) فى اللسان : « وأهل العالية يقولون برأت أبرأ بَرْأ وبروءاً ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض » . وفيه أيضا : « وغير أهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برءاً بالضم » . ـه فقط : «فبرئت» وهما لغتان كما رأيت .

(٢) فيما عدا ل : « بقى » .

(٣) قتله يقينا : أحاط به علما . وهو أحد تفسيرى قول الله : (وما قتلوه يقينا) فى الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفيما عدا ل : « قبلوا » من القبول محرف .

(٤) فى اللسان : « بلغنى ذرء من خبر أى طرف منه ولم يتكامل ، وقيل هو الشىء اليسير من القول » فيما عدا ل : « دور » تحريف . وفى اللسان : (١٨ : ٣١٣) : « ذرو من قول أى طرف منه ولم يتكامل . قال ابن الأثير : « الذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامى من حواشيه وأطرافه » فهما لغتان ، يقال ذرء وذرو ، بالهمزة والواو .

(٥) فيما عدا ل : « وزعم أهل أنطاكية » . وبعض القوم بالبناء للمفعول : آذاهم البعوض . وانظر ماسبق ص ١٩٨ . ط ، هـ : « يتبعضون » س : « يبتعضون » صوابه ما اثبت من ل .

ولو ادعى أهلُ عقر الدَّير[1] ، المتوسطة[2] لأجمةِ مابينَ البصرة وكَسْكَر لـكان طِلَسْمُهُمْ أعجبَ .

ويزعم أهلُ حِمْص أن فيها طِلَّسْماً من أجلِهِ لاتعيشُ فيها العقارب . وإنْ طُرِحَتْ فيها عقربٌ غريبةٌ ماتَتْ من ساعتها .

ولَعَمرى إنه ليجوزُ أن تـكون [بلدةٌ] تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس ، فيدعى كذّابو أهلها أن ذلك برُقْية[3] ، أو دعوة ، أو طِلّسم .

(ألم عضة البرغوث والقملة)

والبرغوثُ إذا عضّ ، وكذاك[4] القملة ، فليس هناك من الحرقةِ والألَمَ مالَهُ مدةٌ قصيرةٌ ولا طويلة[5] .

وأما البعوضُ فأشهدُ أن بعوضةً عضتْ ظهر قدمى ، وأنا بقرب كاذَةَ والعَوْجاء[6] ، وذلك بعد أن صلى الناسُ المغربَ ، فلم أزَلْ منه فى أُكالٍ وحُرْقَة ، وأنا أسير فى السفينة ، إلى أن سمِعتُ أذان العِشاء . ولذلك[7] يقال : إن البعوضة لو ألحقت بمقدار جرْم الجرَّارة[8] — فإنها

---

(١) ط : « عقو الدير » ه : « عقو الدبر » صوابه فى ل ، س .
(٢) س فقط : « المتوسط » .
(٣) فيما عدا ن : « لرقية » .
(٤) فيما عدا ل : « وكذا » .
(٥) أراد أن ألم عضة البرغوث والقملة ليس له مدة تذكر لسرعة زواله .
(٦) كاذة ، بالذال المعجمة : قرية من قرى بغداد . والعوجاء : موضع . فيما عدا ن : « جادة العرجاء » تحريف .
(٧) ط ، ه : « وكذلك » .
(٨) الجرارات : عقارب صغار تجر أذنابها . فيما عدا : « الجرادة » بالدال ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٥٢ س ١١ — ١٣) . وفى س : « جسم » بدل : « جرم » .

أصغرُ العقارب — ثم زيدت[١] من تضاعيفِ ما معها من السُّمِّ عَلَى حَسَبِ ذلك لكانت شَرًّا من الدُّوَيْبّة التى تسمى بالفارسية : «دَدَه[٢]» وهى أكبر من القملة شيئًا ، وتكون بمهرجان قَذُق[٣] . فإنها مع صِغَرِ جسمها تفسَخُ الإنسان فى أسرعَ من الإشارة باليد ، وهى تعضُّ و [لا] تلسع ، وهى من ذوات الأفواهِ ، وهى التى بزعمهم يقال لها[٤] «قملة [النَّسر] . وذلك أن النَّسر فى بعض الزمان ، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة] تستحيل[٥] هذه الدابةَ الخبيثةَ .

والبعوضةُ من ذواتِ الخراطيم .

وحدَّثنى محمد بن هاشم السِّدرى[٦] قال : كنتُ بالزُّطّ[٧] . فكنت واللهِ أرَى البعوضَةَ تطير عن ظهر الثور[٨] فتسقط على الغُصْن[٩] من

---

(١) فيما عدا ل : « زادت » .

(٢) دده ، بدالين مهملتين . انظر ماسبق ص ٣٩٢ . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : «ذروه» وفى س : « زوه » وفى هـ : « ذرة » وفى ل : « دذه » .

(٣) قال ياقوت : « كورة حسنة ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحى الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان فى تلك الجبال » . وهى مركبة من ثلاث كلمات : « مهر » بالكسر ، معناه الشمس أو المحبة . و « جان » معناه النفس أو الروح و « قذق » بقاف مفتوحة ، وقد تضم ، وذال معجمة وقاف ، قال ياقوت : « أظنه اسم رجل . فيكون معناه : محبة ، أو شمس نفس قذق » ل : « بمهرجا نَقَذَف » وفى سائر النسخ : « بمهرجان فوق » صوابه ما أثبت من معجم البلدان .

(٤) فيما عدا ل : « إنها » . والكلمة بعدها ساقطة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « استحالت » .

(٦) س « فقط » : « السندى » .

(٧) نهر الزط ، بالضم : نهر قديم من أنهار البطيحة ، وهى أرض واسعة بين واسط والبصرة . ط ، س : « بالزلظ » . ل : « بأعوط » ولعل صوابه ما أثبت من هـ .

(٨) فيما عدا ل : « من على ظهر الثور » .

(٩) فيما عدا ل : « على غصن » .

الأغصان ، فتقلِسُ[1] ما في بطنها ، ثم تعود .

[و] البعوضة تَغْمِس[2] خرطومها في جلد الجاموس . كما يغمِسُ الرجلُ أصابعَه في الثريد .

[ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين . فالشِّطر الذي يلي الطَّف وباب طَنَج يبيت أهلُه في عافية ، وليس عندهم من البَعوض ما يذكر ، والشطر الذي يلي زقاق الهِفَّة[3] لا ينامُ أهله من البعوض . فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لادَّعَوا الطِّلَّسم[4]] .

وحدثني إبراهيم النَّظَّام قال : وردنا [فم] زقاق الهفة[5] ، في أجمة البصرة ، فأردنا النفوذ فمنعَنا صاحبُ المَسْلحة[6] ، فأرَدْنا التأخُّر إلى الهَوْر[7] الذي خرَجْنا منه ، فأبى علينا . ووردْنا عليه وهو سكرانُ وأصحابُه سُكارى ، فغضِبَ عَلَى مَلاَّح نَبَطِيٍّ ، فشدَّهُ قِماطاً ، ثم رمى به في الأجمة ، على موضعِ

١٢١

---

(١) تقلس : تقيء . والقلس ، بالتحريك ، وبالفتح : القيء .

(٢) فيما عدا ل : « فتغمس » .

(٣) الهفة ، ضبطت بالكسر في الأصل ، وهو هنا ل . وضبطت في المعجم ضبط قلم بالفتح ، وهي مدينة قديمة كانت في طرف سواد العراق .

(٤) الطلسم : بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة : لفظ يوناني ، قال الخفاجي : « لم يعربه من يوثق به » وقال : « وفي السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها » . وقال صاحب كشف الظنون : « ومعنى الطلسم عقد لا ينحل » . وانظر استينجاس ٨١٨ .

(٥) الزقاق : طريق نافذ أو غير نافذ ، ضيق دون السكة . والهفة ، هي في ط ، س : « الهبة » صوابه في ل ، هـ . وقد ضبطت في ل بالكسر . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) انظر لتفسير المسلحة ما سبق في ص ٣٤٠ .

(٧) الهور ، بالفتح : من قولهم جرف هور أي واسع بعيد ، وقولهم خرق هور أي واسع . فيما عدا ل : « الجوز » . وجوز الشيء : وسطه .

أَرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المسلَحَة[(١)] . فصاح الملاح : اقتلنى أَىَّ قتلة شئتَ وأرِحْنى ! فأبى وطرحه ، فصاح ، ثم عاد صياحُه إلى الأنين ، ثم خَفَتَ ، وناموا فى كِلَلِهم وهم سكارى[(٢)] . فجئتُ إلى القموط ، وما جاوز وقت عتمةٍ[(٣)] ، فإذا هو [ميتٌ ، وإذا هو] أشد سواداً من الزنجى . وأشد انتفاخاً من الزقِّ المنفوخ ، وذلك كله [بقدر] ما بين العِشاء والمغرب . فقلت : إنها [لمَّا] لسَبَتْه ولسَعته من كلِّ جانب لسْعا عَلَى لسع إن اجتماعَ سمومها [فيه] أَرْبَتْ عَلَى نهشة أفعى بعيداً[(٥)] . فهى ضررٌ ومِحنةٌ[(٦)] ، ليس فيها شىءٌ من المرافق .

(نفع العقرب)

والعقاربُ يأكلها مَشويةً من بعينه رِيح السَّبَل[(٧)] ، فيجدُها صالحة . ويرمَى بها فى الزيت ، حتى إذا تفسَّخت وامتصَّ الزيتُ ما فيها من قُوَاها

(١) المسلحة سبق تفسيرها فى ص ٣٤٠ . والأكواخ : جمع كوخ بالضم ، فارسى معرب ، فارسيته (كوخ) بالضمة المائلة إلى الفتحة ، وهو بيت من قصب بلا كوة . فيما عدا ل : « يتصل بموضع إخراج صاحب المسلحة » محرف .

(٢) فى اللسان : « خفت الصوت خفوتاً : سكن . ولهذا قيل للميت خفت إذا انقطع كلامه وسكت » . والكلة ، بالكسر : ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . فيما عدا ل : « ثم سكت وناموا كلهم سكارى » .

(٣) العتمة ، بالتحريك : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، والعتمة أيضا : مقدار أن ترضع السخلة أمها ثم تحتبس ثم تعود للرضاع . فيما عدا ل : « وما جاء وقت العتمة » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « وإذا » .

(٥) أربت : زادت ، أربى يربى . والنهش : العض . ط ، هـ : « لسعة » وهى صحيحة . وفى اللسان : « يقال لسعته الحية والعقرب » . وبعض اللغويين يجعل اللسع خاصاً بذوات الإبر من العقارب والزنابير ، وأما الحيات فإنها تنهش . بعيداً : أى إرباء بعيداً . بدلها فيما عدا ل : « هذا »

(٦) فيما عدا ل : « وهى ضرر ومحنة » .

(٧) فى اللسان : « ريح السبل : داء يصيب فى العين . الجوهرى : السبل داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر » . ط ، هـ : « من بعينيه ريح السبل » .

خلطوا بذلك الدُّهنِ الخُصَى التي فيها النفخ[١] — فرَقّ تلك الريح حتى تخمُصَ[٢] الجلدةُ ، ويذهب الوجع .

فإذا سمعتَ بدُهن العقارب فإنما يعنونَ هذا الدهن .

باب[٣]

في البقّ ، والجرجس[٤] ، والشُّرّان[٥] ، والفَرَاش ، والأذَى[٦]

وقال الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[٧] ﴾ قال : يريد[٨] فما دونها .

وهو قول القائل للرجل يقول[٩] : فلانٌ أسفلُ الناسِ وأنذلهُم !

---

(١) فيما عدا ل : « اللى فيه النفخ » تحريف . والخصى : جمع خصية .

(٢) خمص الجرح يخمص خموصاً ، وانخمص بالخاء : ذهب ورمه ، كخمص وانحمص بالحاء . هـ : « ويحمص » وهي لغة صحيحة . ط ، س : « وتتمحص » تحريف .

(٣) بدلها في ل : « أجناس البعوض » مع إسقاط كلمة : « في » التالية .

(٤) الجرجس ، بجيمين : لغة في القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، هـ : الحرجس تحريف .

(٥) الشران ، بوزن كتان : دواب مثل البعوض ، واحدتها شرانة ، لغة لأهل السواد . وفي التهذيب : هو من كلام أهل السواد ، وهو شيء تسميه العرب ، الأذي ، شبه البعوض يغشى وجه الإنسان ولا يعض . ل : « والسران » بالسين مع ضبطها بالضم . وفيما عدا ل : « السرار » وهما تحريف ما أثبت من القاموس واللسان (٦ : ٦٩ س ٢٣) والمخصص (٨ : ١٨٦ س ٦ — ٧) .

(٦) فيما عدا ل : « الأدى » بالمهملة ، صوابه في الموضعين السابقين من اللسان والمخصص .

(٧) من الآية ٢٦ في سورة البقرة .

(٨) ط فقط : « يزيد » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « وهو كقول القائل الرجل يقال » . وفيه تحريف .

فيقول[1] : هو فوق ذلك ! يضع[2] قوله [فوق] ، في موضع : هو شرٌّ من ذلك[3] .

قال : وضروب من الطير لاتلتمسُ [أرزاقها[4]] إلا بالليل ، منها الخُفّاش ، والبُومة ، والصَّدَى ، والضُّوَع ، وغُرابُ الليل .

والبعوض بالنهار بعض الأذى[5] . وإنما سلطانها بالليل . وكذلك البراغيث .

وأما القملُ فأمره في الحالات مستو . وليس للذِّبّان[6] بالليل عملٌ . إلا أني متى بيَّتَ معي في القبة[7] ما صار إليها[8] ، وسكن [فيها] من الذِّبّان ، ولم أطرُدْها بالعشيِّ [و] بعد العصر ، فإني لا أجدُ فيها بعوضة واحدة .

(شعر ورجز في البعوض)

وقال [الرّاجز] في خرطوم البعوضة :

مِثْل السَّفَاة دائم طَنِينُهَا[9] رُكِّبَ في خُرْطُومِها سِكِّينُهَا

---

(١) أي القائل . فيما عدا ل : «فتقول» ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « تضع » تحريف .

(٣) س : « في موضع ما هو شر من ذلك » . وكلمة : « من » مقحمة .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها في س : « رزقها » .

(٥) فيما عدا ل : « والبعوض بالنهار تؤذي بعض الأذى » .

(٦) فيما عدا ل : « للذباب » .

(٧) فيما عدا ل : « باتت معي في المنزل » .

(٨) ط فقط : « إليه » .

(٩) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . فيما عدا ل : « السقاة » تحريف ، صوابه في ل وما سبق في (٣ : ٣١٦) والأمالي (٣ : ١٢٩) . وانظر رواية الرجز في حياة الحيوان في مادة (البعوض) .

١٢٢ وقال الهذلىّ[1] :

كأنّ وغَى الخَموشِ بجانبَيْهِ   وغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِى هِيَاطِ[2]

والخموش : أصناف البعوض[3] والوغَى : أصوات الملتفة التى لايُبين واحدُها عن معنى[4] ، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا عَلَى الحرب ، وكما تسمعُ من ضجَّة السوق .

وقال الكُمَيت [وهو] يذكر قانصاً وصاحب قُتْرَة[5] — لأنه لايَبْتَنِى[6] بيته إلاّ عند شريعةٍ ينتابها الوحْش[7] — فقال وهو يصف البعوض[8] :

---

(١) هو المتنخل الهذلى كما فى أشعار الهذليين (٢ : ٩٣) ، وكما فى اللسان (٢٠ : ٢٧٧) حيث أنشد مرتين ، وفيه أيضاً (٨ : ١٨٨) وقد أنشد مرتين .

(٢) الوغى : صوت النحل والبعوض ونحو ذلك إذا اجتمعت . وروى : « كأن وعى الخموش بجانبيه وعى » بالعين المهملة . والوعى : الجلبة والأصوات . والخموش ، بالفتح : البعوض فى لغة هذيل ، واحدته خموشة ، وقيل لا واحد له ، وقيل واحدته بقة من غير لفظه . فيما عدا ل : « الخنوش » صوابه فى ل وأشعار الهذليين واللسان فى الموضعين السابقين والمقصور ١١٤ والمخصص (٨ : ١٨٥) . وأميم : منادى مرخم أميمة . والهياط ، بالكسر : الصياح والجلبة ، كالمهايطة . فيما عدا ل : « هباط » بالموحدة ، تحريف . وفى ط ، هـ : « ذي » بالإفراد ، تحريف أيضاً . وروى فى اللسان مادة (لغط) :

كأن لغا الخموش بجانبيه   لغا ركب أميم ذوى لغاط

ورواية الجوهرى والأزهرى ، كما ذكر ابن منظور — وهى كذلك رواية الراغب فى المحاضرات (٢ : ٣٠٦) — :

كأن وغى الخموش بجانبيه   مآتم يلتدمن على قتيل

وقبل البيت :

وماء قد وردت أميم طام   على أرجائه زجل الغطاط

(٣) فيما عدا ل : « والخنوش » وفى ط مع ذلك : « أصناف البعوضة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عن معنى صاحبه » وكلمة « صاحبه » مقحمة .

(٥) القترة ، بالضم : ناموس الصائد . أبو عبيدة : القترة البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

(٦) فيما عدا ل : « يبنى » .

(٧) الشريعة : مورد الماء . ينتابها الوحش : يقصدها مرة بعد مرة . فيما عدا ل : « يغنى بها الوحش » . يقال غنى بالمكان يغنى : أقام وأطال الإقامة . وهى مع صحتها لا تلائم وجه الكلام .

(٨) فيما عدا ل : « فقال ووصف البعوض » .

به حاضِرٌ من غير جِنٍّ يَرُوعه ولا أنسٌ ذوأرْنانٍ وذو زَجَلْ[(١)]

والحاضر : [الذى] لايبرحه البعوض ، لأن البعوض من الماء يتخلّق[(٢)] فكيف[(٣)] يفارقه ، والماء الراكد لايزال يولدُهُ ؟ ! فإن صار نطاقاً أو ضَحْضَحاً[(٤)] استحال دعاميص ، وانسلخت الدّعاميص فصارت فراشاً[(٥)] و بعوضاً . وقال ذو الرُّمة :

وأيقنّ أنّ القِنْعَ صارتْ نِطافُه فَرَاشاً وأن البقْل ذاوٍ ويابسُ[(٦)]

وصَفَ الصّيف[(٧)] . وقال أبو وجزَةَ[(٨)] ، وهو يصِفُ القانصَ والشريعةَ والبعوض .

---

(١) أى ليس به أنس ذوأرونان . والأنس ، بالتحريك : السكان وأهل المحل . والأرونان : الصوت . والزجل ، بالتحريك : الجلبة . ط ، س : « من كل جن » صوابه فى ل ، هـ واللسان (١٧ : ٥٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . فيما عدا ل : « يروعه » وهما وجهان . ط : « إلا ذوزبان » هـ : « دراديان » س : « دواديان » بإهمال ما بعد الدال الأخيرة . تحريفات صوابهما فى ل واللسان . والشطر الأخير محرف فى المحاضرات .

(٢) سهـ : « تخلق » وفى سائر النسخ : « تخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فيما عدا ل : « وكيف » بالواو .

(٤) النطاف ، بالكسر : جمع نطفة ، وهى القليل الماء . ل : « رقراقا » وليس فى معناه من لفظه إلا الرقارق ، بضم الراء الأولى وكسر الأخيرة ، وكذا الرق ، بالضم ، وهو الماء الرقيق فى البحر والوادى . والضحضح ، بفتح الضادين ، وكذا الضحضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره . ل ، س : « ضحضاحا » .

(٥) الفراش ، بالفتح : دواب مثل البعوض . فيما عدا ل : « حواسا » تحريف .

(٦) القنع ، بالكسر : الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء . فيما عدا ل : « النقع » تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٨ ، ٣٧١) . وتفسير الفراش في الموضع الأول من الجزء الثالث لا ريب أنه لغير الجاحظ فإنه مخالف للوجه الذى استشهد به ، وهو تخلق الفراش من الماء ، ولكنه أحد وجهى تفسير : « فراشا » ، وهو ثابت فى اللسان (١٠ : ٧٤) حيث أنشد البيت وقال : « والقنعة من القنعان ما جرى بين القف والسهل من التراب الكثير . فإذا نضب عنه الماء صار فراشاً يابسا ، والجمع قنع وقِنَعة » . وقال فى (٨ : ٢٢٠) : « والفراش أقل من الضحضاح » وأنشد البيت لذلك .

(٧) هذا فيما يتعلق بالنطاف والفراش . وإلا فهو فى صفة حمر الوحش .

(٨) أبووجزة ، بالزاي ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر (٤ : ٢١٦) .

تَبِيتُ جارَتَهُ الأفعى وسامِرُه رُمْدٌ به عاذِرٌ منهن كالجرب[١]

رُمْدٌ[٢] فى لونها ، يعنى البعوض ، وهى التى تسامِرُ القانِصَ وتُسْهِره[٣] والعاذِر[٤] : الأثر . يقول : فى جلده عواذِير[٥] وآثارٌ كآثار الجَرَب[٦] من لسع البعوض ، وهو مَعَ ذلك وسْطَ الأفاعى .

وقال الراجز يصف البَعُوض :

وليلةٍ لم أذرِ ماكَراها[٧] أُمارِسُ البَعُوضَ في دُجَاها[٨]

كلٌّ زَجُول خَفِقٍ حَشاها[٩] ستٌّ لدَى إيفائها شَوَاها[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « يبيت » وأثبت ما فى ل موافقاً اللسان (٤ : ١٦٧) والحيوان (٤ : ٢١٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . والرمد ، بضم الراء وسكون الميم : ضرب من البعوض ، مأخوذ من أرمد ورمداء ، وهو ما لونه على لون الرماد . فيما عدا ل : « ربد » بالباء ، تحريف . والعاذر : أثر الجرح . فيما عدا ل : « غادر » تصحيف . وفى ط : « كالحرب » صوابه بالجيم كما فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : «ريد» بالياء ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وهى التي تنبه القانص وتسهره » .

(٤) العاذر بالعين المهملة والذال المعجمة . فيما عدا ل : « القادر» تحريف .

(٥) عواذِير : جمع عاذر . وزيادة الياء فى مثله جائزة فى مذهب الكوفيين . فيما عدا ل : « غواد » تحريف .

(٦) ط ، هـ : «الحرب» صوابه بالجيم ، كما فى ل ، س .

(٧) الكرى : النوم ، كرى الرجل ، بالكسر ، يكرى : إذا نام . فيما عدا ل : «طواها» صوابه ما أثبت من ل موافقاً اللسان (٨ : ٣٨٩) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦)

(٨) المراس والممارسة : شدة العلاج . ورواية اللسان : « أسامر » . وانظر بيت أبى وجزة السالف .

(٩) الزجول : الكثير الزجل ، بالتحريك ، وهو الجلبة ورفع الصوت . والخفق الحشا : المضطرب الأحشاء ، وأصله فى الفرس . وفى اللسان : « وربما كان الخفوق من خلقة الفرس ، وربما كان من الضمور والجهد » . فيما عدا ل : « زمول » تحريف . ورواية اللسان : « يتقى شذاها » . والشذا : الشر والأذى .

(١٠) الشوى : اليدان والرجلان ، جمع شواة . إيفائها : أراد إيفاء عددها . وأوفى الشىء : أتمه وأكمله . يقول : شواها ست عند إتمام عدها . ط : « بست أيدها بها سواها » صوابه ما أثبت من ل . وهذا البيت لم يرو فى اللسان ولا فى المحاضرات .

لايطْرَبُ السامعُ من غنَاهَا   حَنّانة أعظَمُها أذَاها[١]

(أرجل الجرادة والعقرب والنملة والسرطان)

وكذلك قوائم الجرادة ، هى ستّ : يدان ، ورجلان ، والميشاران[٢] وبهما تعتمد إذا نَزَت[٣] .

فأما العقرب فلها ثمان[٤] أرجل . وللنملة ست أرجل[٥] .

وللسَّرَطان ثمان[٤] أرجل ، وهو فى ذلك يستعين بأسنانه ، فكأنه يمشى على عَشْر[٦] . وعيناه فى ظهره . وما أكثر من يشويه ويأكله للشهوة ، لا للحاجة ولا للعلاج[٧] .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال الرَّاجز ، ووصَفَ حالَهُ وحَالَ البَعُوض :

لم أرَ كاليوم ولا مُذْ قَطٍّ   أطولَ من ليـلى بنهر بَطٍّ[٨]

كأنما نجومُه فى رُبْطِ[٩]   أبيتُ بينَ خُطَّتَىْ مشتطٍّ

---

(١) حنانة : ذات حنين ، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . فيما عدا ل : « جناتة » بالجيم تحريف .

(٢) فى المخصص (٨ : ١٧٤) : « للمخلبين اللذين تحت الساقين المنشاران » . فيما عدا ل : « الحشاون » تحريف .

(٣) نزت : وثبت . فيما عدا ل : « تدب » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ثمانى » وهما لغتان صحيحتان .

(٥) ط : « ستة أرجل » صوابه فى سائر النسخ ، إذ الرجل مؤنثة .

(٦) ل : « عشرة » وهو خطأ .

(٧) ل : « للشهوة لا للعلاج » وكلمة « لا » ساقطة من سه .

(٨) نهر بط بالأهواز ، قيل كان عنده مراح للبط . فيما عدا ل : « لط » تحريف . وانظر ياقوت .

(٩) فى ربط : أى مربوطة . ويصح أن نقرأ بالضم جمعاً لرباط مع إسكان الباء للشعر . على أنها كالثابتة لطول الليل عليه . فيما عدا ل : « زبط » بالزاى ، تصحيف .

من البَعوضِ ومن التغطّي[1] إذا تَغَنَّيْنَ غناءَ الزُّطِّ[2] ١٢٣

وهُنَّ متى بمكانِ القُرْطِ فثِقْ بوقْعٍ مثلِ وقعِ الشَّرْطِ[3]

وقال أيضاً :

إذا البعوضُ زَجَلت أصواتُها[4] وأخَذَ اللحنَ مغنِّياتُها

[لم تطرب السامعَ خافضاتُها[5]] [وأرّق العينين رافعاتُها[6]]

كلُّ زَجُولٍ تُتَّقَى شَذاتُها[7] صغيرةٌ ، عظيمةٌ أذاتُها[8]

تنقُص عن بُغيتها بُغاتُها[9] ولا تصيبُ أبداً رُماتُها[10]

رامحةٌ ، خُرطومُها قَنَاتُها[11]

---

(١) التغطي : أن يغشى نفسه بغطاء . س : «التفعلى» ط ، ه : «التقعلى» صوابهما فى ل.

(٢) الزط ، بالضم : جيل من الهند ، معرب «جت» بالفتح ، قال صاحب القاموس : «والقياس يقتضى فتح معربه . وقال الخوارزمى فى الكلام على طبقات الهند : «الزط هم حفاظ الطرق ، وهم جنس من السند يقال لهم : جتان» . انظر مفاتيح العلوم ص ٧٤.
وفى معجم استينجاس ٣٥٦ أن «جت» اسم لجنس هندى حقير :
(Name of a despised rece called Jausts in Hindustan) .

(٣) ط ، س : «توقع منى» ه «يوقع منى» صوابها في ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .

(٤) زجلت ، بالكسر : رفعت الصوت وطربت . فيما عدا ل : «أرى البعوض» صوابه فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٣٠٢) وديوان المعاني (٢ : ١٤٨) ومجموعة المعانى ١٩٦ .

(٥) أي خافضات الأصوات . البيت من ل والمصدرين السابقين .

(٦) هذا البيت من نهاية الأرب وديوان المعانى فقط .

(٧) الشذاة : الأذى والأشر ، ومثله الشذا . ط : «حداتها» س : «يتقى جداتها» ه : بالمهملة .

(٨) س : «أداتها» بالمهملة .

(٩) ط ، س : «تنعيتها نعاتها» ، ه : «تفيتا نعاتها» صوابه فى ل والمصادر السابقة .

(١٠) فيما عدا ل : «ولا تصاب» . وفى نهاية الأرب وديوان المعاني : «ولا يصيب» .

(١١) الرامحة : ذات الرمح ، والرامح : ذو الرمح . القناة : الرمح .

وأنشدني جعفر بن سعيد[1] :

ظَلِلْتُ بالبصرة في تَهَوّاشِ[2] ... وفي براغيثَ أذاها فاشِي[3]

من نافرٍ منها وذي اهتمّاش[4] ... يرفع جَنْبَيَّ عن الفراشِ

فأنا في حَكٍّ وفي تخرّاشٍ[5] ... تتركُ في جنبيّ كالخِراشِ[6]

وزوجةٍ دائمةِ الهراشِ[7] ... تغلي كغَلْي المِرْجَلِ النَّشَّاشِ[8]

تأكلُ ما جمَّعتُ من تَهَبّاشي[9] ... بل أمُّ معروفٍ خَموشٌ ناشِ[10]

وقال رجل من [بني] حِمّانَ ، وقع في جُنْد الثغور :

أأنصُرُ أهلَ الشام ممن يكيدُهم ... وأهلي بنَجْدٍ ساءَ ذلك من نصرِ[11]

---

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٦٩) .

(٢) التهواش : تفعال من الهوش ، وهو الاختلاط ، على أنه في أمر مختلط . فيما عدا ل : « هراش » . والهراش : القتال ، وأصله هراش الكلاب .

(٣) فاش : منتشر . ط : « اذها » صوابه في سائر النسخ .

(٤) يقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا : رأيتهم يهتمشون ، وكذلك الجراد ، وتقول إن البراغيث لتهتمش تحت جنبي فتؤذيني باهتمّاشها . انظر اللسان . فيما عدا ل : « احتماش » . والاحتماش : أن يلتهب غضبا . ووجهه ما أثبت من ل .

(٥) تخراش : تفعال من الخرش ، والخرش كالخدش وزنا ومعنى ، ومثلهما الخمش ، وهو مزق الجلد والتأثير فيه بالأظفار ونحوها . ط ، س : « في جد وفي تحراش » هـ : « في جد وفي تحواش » صوابهما في ل .

(٦) الخراش : جمع خرش . وانظر التنبيه السابق . ط فقط : « كالخداش » .

(٧) الهراش : القتال ، وأصله للكلاب كما سبق .

(٨) المرجل : القدر . والنشاش : الذي ينش ، أي يصوت عند الغليان .

(٩) التهباش : تفعال من الهبش ، وهو الجمع والكسب . فيما عدا ل : « تهشاش » تحريف .

(١٠) الخموش : البعوض . وناش : ناشىء ، شبهها بالبعوض . ل : يا أم معروف خوش هاش » وفيما عدا ل : « بأم معروف خوش ناش » ولعل الصواب فيما أثبت .

(١١) فيما عدا ل : « ذاك حرص على النصر » تحريف .

بَراغيثُ تُرْذِينِي إذا الناسُ نَوَّمُوا ... وبَقٌّ أقاسيه على ساحل البحرِ[١]

فإن يك فرضٌ بَعدها لا أعُدُّ لَهُ ... وإن بذلوا حُمْرَ الدنانيرِ كالجَمْرِ[٢]

باب
فى العنكبوت

قال الله عز وجل : ﴿ [مَثَلُ] الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[٣] ﴾ ثم قال على أثر ذلك : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ[٤] ﴾ يريد ذكره بالوهن . وكذلك هو . [و] لم يُرِدْ إحكام الصنعة فى الرِّقَّة والصَّفاقة[٥] ، واستواء الرقعة[٦] ، وطول البقاء ، إذا كان لايعمَل فيه تعاوُرُ الأيام[٧] ، وسَلِمَ من جنايات الأيدِى[٨] .

---

(١) أرذاه : هزله وأضعفه ، وأرذاه المرض : ثقل عليه . هـ : « يؤذونى » ، تحريف . ط : هـ « تؤذينى » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « على جانب البحر » .

(٢) الفرض : جند يفترضون فتكون لهم عطايا مفروضة . والفرض أيضاً : العطية المرسومة . فيما عدا ل : « فإن يك قرصاً بعده لا نعده » محرف .

(٣) الآية ٤١ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت ، وبين هذه الآية وسابقتها آية : (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم) .

(٥) الصفاقة : الكثافة . ل : « الدقة » بدل « الرقة » .

(٦) ط ، هـ : « الرفعة » بالفاء . سه : « الرقة » تحريف ما أثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « إذا كان لا يعمل فيه إلا تعاور الأيام » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « من جناة الأيدى » تحريف .

(شعر فى العنكبوت)

وقال الحُدَّانى[(١)] :

يزهِّدُنى فى وُدِّ هارونَ أنه ... غذَتْهُ بأطْبَاءٍ مُلَعَّنةٍ عُكْلُ

١٢٤ كأنَّ قفَا هارُونَ إذْ قَامَ مُدْبِراً ... قفَاعنكبوت سُلَّ من دُبْرِهَا غَزْلُ

ألا ليْتَ هاروناً يسافرُ جائعاً ... وليس عَلَى هارون خفٌّ ولا نعْلُ[(٢)]

وقال مزرِّدُ بنُ ضِرار :

ولو أنَّ شيخاً ذا بَنِينَ كأنما ... على رأسِهِ من شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَسُ[(٣)]

ولم يَبْقَ من أضراسه غير واحدٍ ... إذا مَسَّهُ يَدْمَى مِرَارًا وَيضْرَسُ[(٤)]

تبيَّت فيه العنكبوتُ بناتِها ... نَواشئَ حتى شِبْنَ أوْهُنَّ عُنَّسُ[(٥)]

لظَلَّ إليها رَانِياً وكأنه ... إذا كشَّ ثورٌ من كَرِيص مُنَمَّسُ[(٦)]

---

(١) الحدانى ، بضم الحاء — ويروى بفتحها — وتشديد الدال : نسبة إلى بنى حدان ، وهم بطن من قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وانظر اللسان والقاموس . والمعروف بهذه النسبة أوس بن مغراء القريعى السعدي ، مخضرم شهد الفتوح وبقى إلى أيام معاوية . انظر الإصابة ٤٩٥ وابن سلام ١٧٧ وابن قتيبة فى الشعراء ١٦٢ وتاج العروس (٢ : ٣٣٣) نقلا عن الدارقطنى والحافظ . فيما عدا ل : « الجذامى » .

(٢) فيما عدا ل : « يسافر حافياً » .

(٣) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها . فيما عدا ل : « قرنس » تحريف .

(٤) الضرس ، بالتحريك : خور وكلال يصيب الضرس أو السن عند أكل الشيء الحامض . س : « مدارا » بدل « مرارا » محرف .

(٥) العانس : التى تجاوزت سن الفتاء . جمعه عُنْس وعنوس وَعُنَّس .

(٦) رانيا : من رنا يرنو أدام النظر . كش : صوت ، يقال كش الضب والورل والضفدع يكش كشيشاً : صوت . شبه ذلك الشيخ بصوت هذا الحيوان . والثور : القطعة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر . والكريص : الأقط المجموع المدقوق . والمنمس ، كمحدث : الذى فسد وتغير وأنتن . شبه رائحة فم هذا الشيخ برائحة الأقط الفاسد . يقول : إنه مع شيخوخته ويأس النساء منه ويأسه منهن ، فإنه إذا رأي هذه المرأة فهو لا يزال يرنو إليها ويؤخذ بجمالها . ل : « لظل النهار آنياً » . س : « لظل إليها =

(أجناس العنكبوت ونسيجها)

قال : ومن أجناس العنكبوت[١] جنس رديء التدبير ، لأنه ينسجُ سِترهُ [على وجه] الأرض ، والصخور[٢] ، ويجعله [على ظهر الأرض] خارجا ، وتكونُ الأطرافُ داخلة . فإذا وقع عليه شيء مما يغتذيه من شكل الذّبّان[٣] وما أشبه ذلك أخذه[٤] .

وأما الدقيق الصَّنعة[٥] فإنه يصعِّد بيته ويمدُّ الشَّعْرةَ ناحيةَ القرون والأوتاد[٦] ، ثم يسدِّي من الوسط ، ثم يهيِّئُ اللُّحمة ، ويهيِّئُ مِصيدتَه في الوسط ، فإذا وقع عليها ذبابٌ وتحرّكَ ما هنالك ارتبط ونشِبت به[٧] ، فيتركه على حاله . حتى إذا وثق بوَهْنِهِ وضَعْفه ، غَلَّه[٨] وأدخَلَه إلى خزانته . وإن كان جائعاً مصَّ من رطوبته ورمَى به . فإذا فَرَغ رمّ ما تشعّثَ من نَسْجه .

وأكثرُ ما يَقعُ عَلَى تلك المِصيدة من الصَّيْدِ عند غيبوبة الشمس .

= دانياً » . وفيما عدا ل : « إذا كش نور من كريس منمس » تحريف . ونحو هذا البيت قول الطرماح يصف وعلا :

وشاخص خاه الدهر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

(١) فيما عدا ل : « فذلك من أجناس العناكب » لكن في ه : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « ينسج شركه في الأرض والصخور » . وانظر (٤ : ١٧٧ س ٢) .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيما عدا ل : « أكله » .

(٥) ل : « الرقيق الصنعة » بالراء .

(٦) فيما عدا ل : « ويمد الشعر ناحية العروق والأوتاد » .

(٧) في اللسان (٩ : ١٧٥) : « ارتبط في الحبل : نشب ، عن اللحياني » . نشبت به : أي علقت المصيدة به . ط ، ه : « وتنشب فيه . س : « وتنشب ما فيه » وما فيهما محرف . وأثبت ما في ل .

(٨) غله : أوثقه وقيده . ل : « حله » .

وإنما تنسجُ الأنثى . فأما الذكَرُ فإنه ينقُض ويُفسِد .

وولدُ العنكبوتِ أعجبُ من الفرّوج ، الذى يظهر إلى الدنيا كاسباً[١] محتالا مكتفياً .

قال : وولد العنكبوت يقومُ عَلَى النسجِ ساعةَ يولد .

قال : والذى ينسِجُ به لا يخرجُ من جوفه ، بل من خارج جسده .

وقال الُحذَّانى[٢] :

كأن قفا هارونَ إذْ قام مُدْبراً قفا عنكبوت سُلَّ من دُبْرها غزْلُ

فالنحل ، والعنكبوتُ ، ودود القزّ ، تختلف من جهاتِ ما يقال إنه يَخْرُج منها[٣] .

(العنكبوت الذى يسمى الليث)

ومن العناكبِ جنسٌ يَصيدُ الذّبابَ صَيد الفهود ، وهو الذى يسمى : « الليث » وله ستُّ عيون[٤] . وإذا رأى الذّبابَ لطِئ بالأرض ، وسكَّنَ أطرافه . وإذا وثَبَ لم يخطئ . وهو من آفات الذِّبّان[٥] ، ولا يصيدُ إلا ذِبّانَ الناس .

---

(١) كاسباً : يكسب قوته بنفسه . فيما عدا ل : « كاسياً » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « الجذامى » س : « الحذي » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من ص ٤١٠ .

(٣) فيما عدا ل : « فى جهاتها يقال إنها » وبعد ذلك فى ط : « تخرج منها » بالتاء ، تحريف .

(٤) ط ، س : « وليست بعيون » هـ : « وليست عيون » صوابهما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٩١) . وزاد النويرى : « وثمانى أرجل » .

(٥) فيما عدا ل : « الذباب » . وفى ط بعد ذلك : « ولا يصيد إلا ذباب الناس » .

(ذِبّان الأُسد والكلاب)

وذِبّانُ[1] الأُسْدِ عَلَى حِدَة ، [وذِبّانُ الكِلابِ عَلَى حِدَة] ، وليس يقوم لها شىء . وهى أشدُّ من الزنابير ، وأضرُّ من العقارب الطيّارة[2] .

وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأُسْدَ ، كما يعضُّ الكلبَ[3] ١٢٥ ذِبّانُ الكَلْب .

وكذلك ذِبّانُ الكَلَأ ، لِمَا يغشَى الكَلَأ من بعير[4] وغير ذلك . ولها عضٌّ مُنكَر ، ولا يبلغُ مبلغَ ذِبّانِ الأُسْد .

فمن أعاجيبها سِوى شدةِ عضِّها وسمّها ، أنها[5] مقصورة عَلَى الأُسْد ، وأنها متى رأت بأسد دماً من جراح أو رمى[6] ، ولو فى مقدار الخديش[7] [الصغير] فإنها تستجمعُ عليه ، فلا[8] تقلعُ عنه حتى تقتله .

وهذا شبيهٌ بما يُرْوَى ويُخبَر عن الذَّرّ ، فإن الذَّرّ متى رأتْ بحيّة خدْشاً لم تقلِعْ عنه حتى تقتله ، وحتى تأكُلَه .

(ولوع النمل بالأراك)

ولقد أردتُ أنْ أغرِسَ فى دارى أراكةً ، فقالوا لى : إن الأراكةَ[9]

---

(١) ط : « وذباب » .

(٢) فيما عدا ل : « الكبار » .

(٣) فيما عدا ل : « الأسد » تحريف . وكلمة « ذبان » حيثما وردت فى ل فهى بهذا الرسم وأحياناً تتفق معهما بعض النسخ . فاكتفيت إلى نهاية هذا الباب ، بهذا التنبيه .

(٤) فيما عدا ل : « من بعد » محرف .

(٥) فيما عدا ل « وأنها » والواو مقحمة .

(٦) فيما عدا ل : « متى رأت بالأسد دما من خراج أو جرح » .

(٧) الخديش : مصغر الخدش . فيما عدا ل « الخدش » .

(٨) فيما عدا ل : « ولا » .

(٩) فيما عدا ل : « الأراك » . والوجه الإفراد .

إنما تنبت من حبِّ الأراك ، [وفى نباتها عُسْرٌ . وذلك أن حبَّ الأرَاك][1] يغرس[2] فى جوفِ طين ، فى قواصِرَ[3] ، ويُسقى الماء أياما . فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُه فوق الطين ، وُضعت القَوْصَرَة كما هى فى جوف الأرض ولكنها[4] إلى أنْ تصيرَ فى جوف الأرض ، فإن الذرَّ يطالبها[5] مطالبة شديدة . وإن لم تُحفظ[6] منها بالليل والنهار أفسدَتها .

فعمَدْتُ إلى منارات من صُفْر[7] من هذه المسارج[8] ، وهى فى غاية الملاسة واللِّين ، فكنتُ أضَعُ القوصَرَة عَلَى التُّرسِ الذى فوق العمود الأملس[9] ؛ فأجد فيها[10] الذرَّ الكثير ، فكنتُ أنقُل المنارةَ من مكان إلى مكان ، فما أفلحَ ذلك الحبُّ .

(ضروب العناكب)

قال : والعناكب[11] ضروبٌ : فنها هذا الذى يقال له الليث ، وهو

---

(١) هذه التكملة من ل ، سه ، ه .

(٢) ل : « يغرق » .

(٣) القواصر : جمع قوصرة ، بفتح القاف والصاد والراء ، وهى لغة فى القوصرة بتشديد الراء . وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

(٤) ط فقط : « وتكن » . والكلام من هذه الكلمة إلى كلمة : « الأرض » ساقط من ه .

(٥) فيما عدا ل : « تطلبه » .

(٦) فيما عدا ل : « تتحفظ » تحريف .

(٧) الصفر بالضم ، النحاس الأصفر ، أو الجيد . ه « منكرات من صفر » ، محرف .

(٨) المسارج : جمع مسرجة ، وهى التى فيها الفتيل . فيما عدا ل : « المسارح » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « الذى فيه الأملس » تحريف .

(١٠) أى فى القوصرة . فيما عدا ل : « فيه » والوجه ما أثبت .

(١١) فيما عدا ل ، « العناكب » .

الذى يَصيد الذّبّان صيد الفهد [١] ، وقد ذكرنا فى صدر هذا الكلام [٢] حِذقه ورِفقه ، وتأتّيه وحيلته [٣] .

ومنها أجناس [٤] [طِوَالُ الأرجل ، والواحدةُ منها] إذا مشت عَلَى جلد الإنسان تبثَّر [٥] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل ، إنما [٦] اتخذت بيتاً وأعدَّت فيه المصايد [٧] والحبائل ، والخيوطَ التى تلتفّ على مايدخُل بيتَها من أصناف الذّبان وصغار الزنابير — لأنها حين علِمَتْ أنها لابدّ لها من قوت [٨] ، وعرفت ضعفَ قوائمها ، وأنها [٩] تعجِزُ عما يقوَى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل [١٠] .

فالعنكبوتُ ، والفأرُ ، والنحلُ ، [والذّرّ] ، والنمل ، من الأجناس التى تتقدم فى إحكام شأنِ المعيشة .

[ومنها جنس ردىء ، مشنُوء الصورة [١١] ، غليظ الأرجل ، كثيراً ما يكون فى المكان التَّرِب من الصناديق والقماطر والأسفاطِ . وقد قيل : إنَّ بينه و بين الحيّة ، كما بين الخنفساء والعقرب [١٢]] .

---

(١) فيما عدا ل : « الفهود » .
(٢) انظر ص ٤١١ — ٤١٢ . فيما عدا ل : « هذا الكتاب » تحريف .
(٣) يقال تأتى لحاجته : إذا ترفق لها وأتاها من وجهها . ط فقط : « وتأنيه » وبعدها فيما عدا ل : « ختله » . والختل : الخداع .
(٤) فيما عدا ل : « جنس » .
(٥) تبثّر : ظهرت فيه بثور . وفيما عدا ل ، « إذا مشى على جلد الإنسان سم » .
(٦) ط فقط : « إذا » تحريف .
(٧) ﻫ : « المصائد » بالهمز ، وانظر (٤ : ٤٣ ، ١٤٢ و ٥ : ٢٤٥) . ل : « المسايد » محرفة .
(٨) فيما عدا ل : « من القوت » .
(٩) فيما عدا ل : « وإنما » تحريف .
(١٠) ل : « تلك الحيل » بحذف الباء .
(١١) المشنوء : البغيض المكروه .
(١٢) العقارب تأوى مع الخنافس وتسالمها . انظر (٤ : ٢١٧) وهذا الجزء ص ٣٥٥ .

وإناثُ العناكب[1] هى العوامل : [تغزل وتنسج] . والذَّكَرُ [أخرق] ينقُضُ ولا ينسِجُ . وإن كانَ [ما قال صاحب المنطق حقًّا فما أغربَ الأعجوبةَ فى ذلك ، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقْوَى] على النَّسْج ، وعلى التقدم فى إحكام شأن المعاش حين تولد[2] .

(الكاسب من أولاد الحيوان)

وقالوا : وأشياء من أولاد الحيوان تكونُ عالمةً بصناعتها ، عارفة بما يُعيشها ويُصْلحها ، حتى تكون فى ذلك كأُمهاتها وآبائها ، حين تخرجُ إلى الدنيا ، كالفرُّوج من وَلَدِ الدجاج ، والحِسْل من ولد الضِّبابْ ، وفرخ العنكبوت ،

وهذه الأجناسُ ، مع الفأر والجرذان ، [هى] التى من بين جميع الخلق تدَّخرُ لنفسها ما تعيش به من الطُّعم[3] .

١٢٦ جملة القول فى النحل[4]

زعمَ صاحبُ المنطق أن خليةً من خلايا النحل[5] فيما سلفَ من الزمان ، اعتلتْ ومَرِض ما كان فيها من النحل ، وجاء نحلٌ من خَلِيَّةٍ

---

(١) فيما عدا ل : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « يولد » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى كلمة : « العنكبوت » ساقط من ل .

(٣) الطعم ، بالضم : الطعام. فيما عدا ل : « يدخر لنفسه مايعيشه من الطعم » محرف .

(٤) ط ، هـ : « باب فى النحل » س : « باب » فقط . وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « من خلايا العسل »

أخرى يقاتلُ هذا النحل حتى أخرجت العسل ، وأقبل القيِّم على الخلايا يقتل ذلك النحلَ الذى جاء إلى خليته[(١)] .

قال : فخرج النحلُ من الخليَّة يقاتلُ النحلَ الغريبَ ، والرجل بينها[(٢)] يطردُ الغريب ، فلم تلسعه نحل[(٣)] الخليَّة التى هو حافظُها ؛ لدفعه المكروهَ عنها .

قال : وأجودُ العسل[(٤)] ما كان لونه لون الذهب .

(نظام النحل)

قال : والنحل تجتمع[(٥)] فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعملُ الشمع ، وبعضها يَعْمَلُ العسل ، و بعضها يبنى البيوتَ ، و بعضها يَسْتَقِى[(٦)] الماء و يصبُّه فى الثقْب[(٧)] ، و يلطخه بالعسل .

ومنه ما يبكرُ إلى العمل . ومن النحل ما يَكُفُّه[(٨)] حتى إذا نهضَتْ واحدةٌ طارت كلها . يقال : « بكَرَ بُكورَ اليَعْسوب » يريد أمير النحل[(٩)] لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها .

---

(١) الكلام من : « أخرجت » إلى : « الذى » ساقط من س . وفيما عدا ل : « فأقبل » بدل : « وأقبل » و : « يقاتل » بدل : « يقتل » . خليته : أي خلية القيم . فيما عدا ل : « غير خليته » أى غير خلية هذا النحل الطارئ . فالعبارتان سيان .

(٢) بينها : أى بين النحل جميعاً . فيما عدا ل : « بينهما » أى بين الطائفتين .

(٣) ط فقط : « نحلة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل « فأجود العسل » .

(٥) فيما عدا ل : « يجتمع » والأوفق ما أثبت من ل .

(٦) يستقى : يأخذ الماء من النهر والبئر . فيما عدا ل : « يسقى » محرف .

(٧) الثقب : بالضم . ويقال أيضاً ثقب ، بضم ففتح .

(٨) يكفه : يجمعه . وفى حديث الحسن : « كفه بخرقة » أى اجمعها حوله . وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » أى يجمع عليه معيشته ويضمها إليه . فيما عدا ل « يكف » .

(٩) الذى يعرفه العلماء أن للنحل أميرة أنثى . ولكن العرب وهمت فى جعلها أميراً للنحل .

ومنها ما ينقل العسل من أطرافِ الشجر[١] ، ومنها ما ينقل الشَّمعَ الذى تَبْنِى به ، فلا تزالُ فى عملها حتى إذا كان الليل آبت إلى مآبها[٢] .

قال : والأرْى : عمل العسل . يقال : أرت تأرى أرْياً . والأرْى فى غير هذا الموضع : القىء[٣] . وقال أبو ذؤيب :

[بأرْى التى تأرِى إلى كل مَغْرِبٍ إذا اصفرَّ لِيطُ الشمس حان انقلابُها[٤]

ومغارب : جمع مغرب . وكل شىء واراكَ من شىء فهو مَغرب ، كما جعله أبو ذؤيب . والأصل مغرب الشمس . وقال أبو ذؤيب[٥]] :

فبــــــاتَ بجَمْعٍ ثُمَّ تمَّ . إلى مِنًى
فأصبحَ راداً يبتغى المزْجَ بالسَّحْلِ[٦]

المزْجُ[٧] : العسل . والسَّحْل : النقد[٨] .

---

(١) ط : « من الأطراف » . هـ : « من أطراف » بإسقاط كلمة « الشجر » فيهما . وأثبت ما فى ل ، سه .

(٢) ط ، هـ : « أنت إلى مأبها » سه : « أتت إلى ما بها » صوابهما فى ل .

(٣) أى قىء النحل ، وهو العسل الذى تلفظه من أجوافها . ط ، سه : « الفنا » هـ : « الفنا » صوابهما فى ل .

(٤) ليط الشمس : لونها . وأصل الليط القشر اللازق بالشجر . انقلابها : رجوعها . وفى الكتاب : (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) . والبيت فى اللسان (٩ : ٢٧٣) وأشعار الهذليين (١ : ٥) .

(٥) يصف رجلا حاجا طلب عسلا . انظر اللسان (٤ : ١٦٩ و ١٣ : ٣٥٠) وأشعار الهذليين (١ : ١١) . وقبل هذا البيت :

فجاء بها كيما يوفى حجه نديم كرام غير نكس ولا وغل

(٦) ضمير « بات » للتاجر . وفى الأصل : « فباتت » تحريف . وجمع ، بالفتح ، وهو المزدلفة . وتم : بلغ . وفى اللسان (١٤ ، ٣٣٤) : « يقال تم إلى كذا وكذا أى بلغه » . ط ، هـ : « تم » تحريف . ورواية اللسان فى الموضع الثانى وكذا المخصص (٢ : ١١٥ ، ١٢ : ٢٩) : « ثم آب » . رادا ، من الرود ، وأصله طلب الكلأ . أراد طالباً ، كما فى اللسان (رود) . هـ : « زادا » سه : « زاخا » ط : « زارا » صوابه فى ل وسائر المصادر . والمزج والسحل ، سيفسرهما الجاحظ . فيما عدا ل : « المرخ بالسخل » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « المرخ » وإنما هو « المزج » بالزاى والجيم .

(٨) السحل ، بالمهملة . والنقد : واحد النقود . فيما عدا ل : « والسخل المنفرد » محرف .

(ماله رئيس من الحيوان)

ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير، ومنها ما لا يكونُ ذلك له. فأما الحيوان الذى لا يجد بدًّا ولا مصلحة لشأنه إلا فى اتخاذ رئيس ورقيب[1] فمثل ما يصنع الناس[2]، ومثلُ ما تتخذ[3] النحلُ والغَرانيق، والكَرَاكىّ.

فأما الإبل والحمير والبقر، فإن الرياسة لفحل المَنْجمَة[4]، ولعَير العانة[5]، ولثَور الرَّبْرَب[6]. وذكورتها لا تتخذ الرُّقباء من الذُّكورة. ١٣٧

و[قد] زعم ناس أن الكراكىّ لا تُرَى أبداً إلا فُرادَى[7] فكأن[8] الذى يجمعها الذكر، ولا يجمعُها [إلا] أزواجاً.

ولا أدرى كيف هذا القول؟!

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل[9] والبقر والحمير، لأن الرئيس هو الذى يورِدُها ويُصْدِرها وتَنْهَضُ بنهوضه، وتقع بوقوعه[10]. واليعسوب

---

(١) ط، هـ: «الذى لا تجد بدا» صوابه فى ل، س. وبعد ذلك فيما عدا ل: «ولا مصاحبة لشأنه إلا باتخاذ رئيس وربيب» تحريف.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل. وفى الأصل: «مثل ما يصنع» والوجه إدخال الفاء لتكون فى جواب «أما».

(٣) فيما عدا ل: «يتخذ».

(٤) المجمة: القطعة الضخمة من الإبل، وقيل ما بين الثلاثين والمائة.

(٥) العانة: جماعة حمر الوحش.

(٦) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٧) س: «لا تتخذ» بدل «لا ترى» تحرف. ل: «فردا» مكان «فرادى».

(٨) فيما عدا ل: «وكان» بالواو، وبدون همز.

(٩) فيما عدا ل: «والفحل رئيس يسير بسيره الإبل» لكن فى هـ: «بسيرة» تحريف.

(١٠) فيما عدا ل: «ويقعن بوقوعه».

هو فحلُها[١] . فترى كما ترى ، سائر الحيوان الذى يتخذ رئيساً[٢] إنما هى إناث الأجناس ، [إلا الناس] ؛ فإنهم يعلمون أن صلاحهم فى اتخاذِ أمير وسيدٍ ، ورئيس .

وزعم بعضهم أن رياسة اليعسوبِ ، ولفحلِ الهَجْمة ، والثورِ ، والعَير ، لأحد أمرين : [أحدهما] لاقتدار الذَّكر على الإناث ، والآخر لما فى طباع الإناث من حبّ ذكورتها .

ولو لم تتأمَّرْ [عليها] الفحولُ لكانت هى لحبِّها للفحولِ تغدو بغدوِّها ، وتروح برَواحها .

قالوا : وكذلك الغرانيق والكراكىّ[٣] . فأما ما ذكروا من رؤساء الإبل والبقر والجواميس والحمير[٤] ؛ فما أبعدهم فى ذلك عن الصواب .

وأما [إلحاقهم] الغرانيقَ والكراكىّ بهذه المنزلة[٥] فليس على ما قالوا .

وعلى أنّا لانجدُ بُدًّا من أن نعلم أن ذكورتها أقوى على قَسرِ الإناث وجمعها إليها[٦] من الإناث .

وعلى أنه[٧] لابد من أن يكون بعض طاعة الإناث لها من جهة ما فى طباعها من حبّ ذكورتها .

---

(١) انظر التنبيه ٩ من الصفحة ٤١٧ .

(٢) فيما عدا ل : « جميع الحيوان الذي تتخذ رئيسا » .

(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الكراكى » التالية ساقط من س .

(٤) كلمة : « والجواميس » ليست فى ل . وفى ط ، هـ : « والحمير والنحل » . وكلمة : « النحل » مقحمة تفسد المعنى .

(٥) ل : « بهذه الرؤساء » .

(٦) إليها : أى إلى الذكورة . وفى الأصل : « إليه » .

(٧) ل : « ولأنه » .

ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكيّ الرؤساء والرُّقباء[1] إنما علّته المعرفة — لم يكن للغرانيق والكراكيّ في المعرفة فضلٌ على الذَّرّ والنمل ، وعلى الذّئب [والفيل] ، و[على] الثعلب والحمام .

أما الغنم فهي أغْثَرُ وأمْوَقُ[2] من أن تجرى في باب هذا القول .

وقد تخضع الحيات للحية ، والكلاب للكلب ، والدُّيوك للديك ، حتى لا تَرَوَّمه[3] ولا تحاول مدافعته .

(قصة في خنوع الكلاب)

ولقد خرجتُ في بعض الأسحار في طلبِ الحديث[4] ، فلما صرتُ في مربَّعة[5] المحلّة ، ثار إليّ عِدّةٌ من الكلابِ[6] ، من ضِخامها ، ومما يختارُه الحُرّاس . فبينا أنا في الاحتيال لهنّ [وقد غشِينَني] إذ سَكَتْنَ[7] سكتةً واحدة معاً ، ثم أخذ كلٌّ واحد في شق ، كالخائف المستخفي ، وسمعت نغمة إنسان[8] ، فانتهزتُ تلك الفُرصةَ من إمساكهنّ عن النُّباح ، [فقلتُ: إنّ هٰهُنا

---

(١) فيما عدا ل : « ولو كان اتخاذ الكراكي والغرانيق و الرقباء الرؤساء » لكن في سه : « والرؤساء » . وفيه تحريف .

(٢) أغثر : أي أشد حمقاً وجهلا . ط « أغر » من الغرارة وهي الغفلة وضعف التجربة . ه : « أعثر » سه : « أعشر » وهذا التحريف يؤيد صحة النص الذى أثبت من ل .

(٣) يقال رومه وروم به : جعله يطلب . عنى أنها تكفيه مؤونة الطلب .

(٤) سه : « أطلب الحديث » .

(٥) المربعة : كأنه يراد به الموضع المربع . انظر ياقوت .

(٦) فيما عدا ل : « ثار إلى من الدار عدة كلاب » .

(٧) فيما عدا ل : « سكتوا » .

(٨) النغم ، محركة وتسكن : الكلام الخفي ، الواحدة بهاء . ط : « نفحة » محرف .

لَيلةً] ! إذ أقبلَ رجلانِ ومعهما كلبٌ أزبُّ[1] ضخمٌ [دَوسر[2]] ، وهو في ساجور[3] ، لم أرَ كلباً قط أضخم منه فقلت : إنهنّ إنما أُسْكِن عن النُّباح وتسترن[4] ، من الهيبة له ! وهى مع ذلك لاتتخذ رئيساً .

(سادة الحيوان)

ورُوى عن عبّاد بن صهيب[5] ، عن عوف بن أبى جميلة[6] ، عن قَسامة بن زُهير قال : قال أبو موسى[7] : « إن لكل شيء سادة [حتى إن للنمل سادة[8]] . فقال[9] بعضهم : سادة النمل : المتقدِّمات . وهذا تخريج[10] ، ولا ندرى ما معنى ما قال أبو موسى[11] فى هذا .

١٢٨ ولو كان اتخاذُ الرئيس من النحل ، والكراكيّ ، والغرانيق ، والإبل والحمير ، والثيران[12] ، لكثرة ما معها من المعرفة — لكانت القرود ، [والفيلة] والذرّ ، والثعالبُ ، أولى بذلك . فلا بد من معرفةٍ ، ولابد من طباعٍ وصَنْعة .

---

(١) أزب : من الزبب ، وهو كثرة الشعر وطوله .
(٢) دوسر : ضخم شديد .
(٣) الساجور : القلادة أو الخشبة التى توضع فى عنق الكلب ، يقال كلب مسوجر .
(٤) فيما عدا ل : « فعلمت أنهن إنما سكتن عن النباح واستترن » .
(٥) عباد بن صهيب البصري ، أحد المتروكين ، يروى عن هشام بن عروة ، والأعمش ، وكان قدريا ، روى عنه أحمد بن روح مائة ألف حديث . وكنيته أبو بكر . ومن الرواة من إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو بكر الكليبى . مات قريبا من سنة اثنتى عشرة ومائتين . لسان الميزان (٣ : ٢٣٠ — ٢٣١) .
(٦) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٩) .
(٧) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الحديث فى (٤ : ١٩) .
(٨) هذه التكملة من ل ومما سبق (٤ : ١٩) .
(٩) فيما عدا ل : « وقال » .
(١٠) تخريج : أى تأويل وتفسير . وفيما عدا ل : « يخرج » محرف .
(١١) فيما عدا ل : « ولا يدرى » وبعده فى س ، ه : « ما معنى أبى موسى » .
(١٢) فيما عدا ل : « والبقر » .

والحمام يزجلن من لؤلؤة[١] ، وهنّ بصريّات و بغداديّات[٢] ، وهنّ جمّاعٌ من هاهنا وهاهنا[٣] ، فلا تتخذ رئيساً .

(طعن ناس من الملحدين فى آية النحل)

وقد طعن ناسٌ من الملحدين ، و بعضُ من لا علم له بوجوه اللغة وتوسّع العرب فى لغتها ، وفهم بعضها عن بعض ، بالإشارة والوحى — فقالوا : قد علمْنا أن الشمع شىءٌ تنقله النحل[٤] ، مما يسقط على الشجر ، فتَبنى بيوت العسل منه[٥] ، ثم تنقل[٦] من الأشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط التَّرَنْجُبِين ، والمنُّ[٧] ، وغير ذلك . إلا أن مواضعَ الشمع وأبدانه[٨]

---

(١) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس . وانظر (٣ : ٢١٥ س ٣) . يزجلن : يرسلن على بعد . ط ، هـ : « يؤجل » س : « توحل » بالإهمال ، صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « بغداديات » بمهملتين .

(٣) فيما عدا ل : « من ها هنا ومن ها هنا » .

(٤) فيما عدا ل : « ينقله النحل » بالياء .

(٥) فيما عدا ل : « فيبنى بيوت النحل منه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم ينقل » .

(٧) الترنجبين ، بفتح التاء والراء وضم الجيم وفتحها ، وفى ل فقط : « الطرنجبين » : مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل . وهو بالفارسية : « ترنگبين » تأويله العسل المندى ، مركب من « تَرْ » بمعنى مندى ، و« انگبين » بمعنى العسل . وهو مثل « المن » الذى جاء فى قول الله : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) وقد فسر أبو حيان المن فى الآية بأنه الترنجبين ، وقال : « وعليه أكثر المفسرين » وقد فسرت الكتب القديمة الترنجبين والمن بأنهما طل يقع على الأشجار ، وهو تفسيرٌ ساذج ، وإنما هو إفراز صمغى حلو لبعض النبات . كما فى معجم القرن العشرين : A sweet Juice or gum got from many trees . والمن عبرى الأصل ، ولفظه فى العبرية : « مَن » . بفتح الميم . انظر سفر الخروج فى النسختين العبرية والعربية (١٦ : ١٣ — ٣٦) . وفيه أن المن « شىء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض » و « هو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل » و « إذا حميت الشمس كان يذوب » . ومنه أخذت العربية ، والإنجليزية : Manna والفرنسية : Manne .

(٨) ط ، س : « وآثاره » . هـ : « وأثرانه » صوابهما ما أثبت من ل .

[خفيٌّ . وكذلك العسلُ] أخفى وأقلّ . فليس العسل بقيء ولا رجيع(1) ، ولا دخلَ للنخلة في بطنٍ(2) قطّ .

وفي القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(3) ﴾ .

ولو كان إنما ذهبَ إلى أنه شيء يُلتقَطُ من الأشجار ، كالصمُوغ وما يتولد من طِباع الأنداء والأجْواء(4) والأشجار إذا تمازجت(5) — لما كان في ذلك عجبٌ إلا بمقدار(6) ما نجده في أمور كثيرة .

(دعوى ابن حائط في نبوة النحل)

[قلنا : قد زعم ابن حائط(7) وناسٌ من جُهَّال الصوفيّة ، أن في النحل أنبياء ؛ لقوله عزوجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ . وزعموا أن الحواريِّين كانوا أنبياء لقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ(8) ﴾ .

[قلنا] : وما خالف [إلى] أن يكون في النحل أنبياء ؟ ! بل يجبُ أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عز وجل على المخرج العامّ : ﴿ وَأَوْحَى

---

(1) الرجع : النجو والروث وذو البطن . ط فقط : « الرجيع » وهما بمعنى .
(2) إلى هنا ينتهى كلام الملحدين ، وما بعده رد الجاحظ عليهم .
(3) الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل .
(4) الأجواء ، جمع جو . ط ، س : « والأهواء » ه : « والأحواء » صوابهما في ل .
(5) فيما عدا ل : « إنما تمازجت » محرف .
(6) فيما عدا ل : « بقدر » .
(7) هو أحمد بن حائط المترجم في (٤ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « ابن حائك » تحريف . وقد رسمت في ل : « حايط » بالتسهيل .
(8) الآية ١١١ من سورة المائدة .

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ ، ولم يخصّ الأمهات والملوكَ واليعاسيب ، بل أطلق القول إطلاقا .

و بعدُ فإن كنتم مسلمين فليس هذا قولَ أحد من المسلمين . و إلا تكونوا مسلمين فلِمَ تجعلون[1] الحجة على نبوة النحلِ كلاماً هو عندكم باطل ؟!

(قول فى المجاز)

وأما قوله عز وجل[2] : « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ » فالعسلُ ليس بشرابٍ ، [3] و إنما [هو شىء] يحوَّلُ بالماء شرابًا ، أو بالماء نبيذاً . فسماه كما ترى شرابًا ، إذ كان يجىء منه الشراب .

وقد جاء[4] فى كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر[5] :

إذا سقط السماء بأرضِ قومٍ ... رعيناه وإن كانوا غِضابَا

فزعموا أنهم يرعَوْنَ السماء ، وأنَّ السماء تسقط[6] .   ٦٢٩

ومتى خرج العسلُ من جهةِ بطونها وأجوافها [فقد خرج فى اللغة من بطونها وأجوافها] .

---

(١) فيما عدا ل : « فلم تجعلوا » تحريف .
(٢) ل : « فأما قوله » فقط .
(٣) كلمة « وإنما » ساقطة من هـ ، س .
(٤) فيما عدا ل : « جاز » .
(٥) هو معاوية بن مالك ، معود الحكماء ، من قصيدة له فى المفضليات ، وهو البيت ٢٣ من القصيدة ١٠٥ طبع المعارف . وانظر الخزانة (٤ : ١٧٤) واللسان (١٩ : ١٣٣) . والرواية فيهما : « إذا نزل السماء » .
(٦) س ، هـ : « تسقطه » صوابه فى ل ، ط .

ومَن[1] حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيراً. وهذا الباب هو مفخرُ العربِ فى لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت[2] . وقد خاطبَ بهذا الكلام أهلَ تِهامة ، وهُذيلا[3] ، وضواحِيَ كِنانة[4] . وهؤلاء أصحابُ العسل . والأعرابُ أعرَفُ بكل صَمْغة سائلة ، وعَسَلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب[5] أو طعَنَ عليه من هذه الحجة ؟!

(أحاديث فى العسل)

[حُدِّثَ عن] سفيان الثَّورىّ ، قال حدَّثنا أبو طُعْمة[6] عن بكر ابن ماعز[7] ، عن ربيع بن خُثَيم[8] قال : « ليس للمريضِ عندى دواء إلا العسل » .

---

(١) فيما عدا ل : « ومتى » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وبأسبابه » محرف . وقبلها فيما عدا ل : « وبه قال » . و « قال » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « وهذيل » والصرف ومنعه جائزان .

(٤) ضواحى كنانة ، أى أهل البادية منهم . وفى حديث أبى هريرة : « وضاحية مضر مخالفون لرسول الله » أى أهل البادية منهم . وجمع الضاحية ضواح . انظر اللسان (١٩ : ١١٤ س ١٧ — ١٨) . فيما عدا ل : « ضواحى نجد » .

(٥) فيما عدا ل : « هذا البيان » محرف.

(٦) اسمه هلال ، وهو أبو طعمة الشامى الأموى القاص ، وكان مولى عمر بن عبد العزيز ، حدث عن مولاه ، وعنه ابن لهيعة وغيره . انظر لسان الميزان (٦ : ١٠٨) .

(٧) هو بكر بن ماعز بن مالك ، ممن روى عن كبار التابعين وبعض الصحابة . روى عن الربيع ابن خثيم وعبد الله بن يزيد الخطمى الصحابى ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعى ، ويونس ابن أبى اسحاق ، وسعيد بن مسروق . قال العجلى : تابعى ثقة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨٦) .

(٨) سبقت ترجمته فى (٢ ، ١٦٣) و (٤ : ٢٩٢) . و « خثيم » بالتصغير .

[وعن] هشام بن حسان ، [عن الحسن] أنه كان يعجبه إذا استمشى الرجل[1] أن يشرب اللبن والعسل .

إبراهيم بن أبي يحيى[2] ، قال : بلغني عن ابن عباس : « أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل : أي الشراب أفضل ؟ قال : الحلو البارد » .

و[سفيان] الثوري عن أبي إسحاق[3] ، عن أبي الأحوص[4] [عن ابن مسعود[5]] قال : [« عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل[6] »] [شعبة عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال[7]] : مضى رجل[8]

---

(١) استمشى : شرب المشي ، كغنى : الدواء المسهل .

(٢) إبراهيم بن أبي يحيى المكى . قال الحاكم : اسمه إبراهيم ، وكنيته أبو إسمعيل . واسم أبيه اليسع ، وكنيته أبو يحيى ، ولقبه أبو حية . قال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : ضعيف : وقال الدارقطنى : متروك . انظر لسان الميزان (١ : ١٢٤ ثم ٥٢) .

(٣) هو أبو إسحاق السبيعى ، واسمه عمرو بن عبد الله الهمدانى ، من بطن من همدان يقال لهم السبيع ، بهيئة التصغير ، روى عن جرير البجلى ، وعدى بن حاتم ، وجابر ابن سمرة ، وزيد بن أرقم ، وعنه ابنه يونس ، وقتادة ، وسليمان التيمى ، وأبو الأحوص . ولد فى سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة . لسان الميزان (٦ : ٧٨٢) والمعارف ١٩٩ وتهذيب التهذيب (٨ : ٦٣ — ٦٧) .

(٤) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمى ، أبو الأحوص الكوفى ، روى عن أبيه ، وعن على ، وابن مسعود وأبى مسعود الأنصارى ، وأبى موسى الأشعرى وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمى ، وأبو إسحاق السبيعى ، ومالك بن الحارث السلمى ، وعطاء بن السائب . تاريخ بغداد ٦٧٣٣ وتهذيب التهذيب (٨ : ١٦٩) .

(٥) هذه التكملة من ل ، س .

(٦) هذه التكملة من ل ، س . والحديث صحيح ، رواه ابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود . الجامع الصغير ٥٥٣٤ .

(٧) هذه التكملة من ل ، س . لكن فى س : « عن ابن إسحاق عن ابن الأحوص قال » . محرف .

(٨) ل : « جاء رجل » .

إلى ابن مسعود فقال [1] : إن أخى يشتكى بطنَه ، وقد نُعِتَت [2] له الخمر .
فقال : سبحان الله ! ما كان الله ليجعلَ شفاءه [3] فى رجس ، وإنما جُعِلَ
الشفاءُ فى اثنين : فى القرآن والعسل .

سعيد بن أبى عَرُوبة ، [عن قتادةَ] ، عن أبى المتوكِّل الناجىّ [4] ،
عن أبى سعيد الخدرىّ [5] : « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال [6] :
إن أخى يشتكى بطنَه ، فقال [عليه السلام] : اسقِهِ عسلا . ثم أتاه فقال :
قد فعلت . قال [7] : اسقِهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلتُ . فقال :
اسقِهِ عسلا . ثم أتاه الرابعةَ ، فقال : صدق الله وكَذَبَ بطنُ أخيك .
اسقه عسلا ! فسقاه فبَرَأ الرجُل » [8] .

قال : والذى يدلُّ على صحةِ تأويلنا لقول الله عز وجل : « يَخْرُجُ

---

(١) فيما عدا ل : « قال » بدون فاء ، فى هذا الموضع والموضع التالى .
(٢) ل : «نعت» .
(٣) ط فقط : « شفاء » .
(٤) هو على بن داود — ويقال دواد — أبو المتوكل الناجى الساجى البصرى : روى عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وابن عباس وجابر وعائشة . وعنه ثابت البنانى وقتادة وبكر ابن عبد الله المزنى وحميد الطويل . مات سنة ١٠٨ أو ١٠٢ . تهذيب التهذيب (٧ : ٣١٨) . والناجى : نسبة إلى بنى ناجية بن لؤى ، القبيلة التى بالبصرة . انظر تاج العروس (١٠ : ٣٥٩) واللسان (٢٠ : ١٨٠ — ١٨١) .
(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر — وهو خدرة بضم الخاء — ابن عوف بن الحارث بن الخزرج ، أبو سعيد الخدرى ، صحابى جليل ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو فيما بعدها . روى حديثا كثيرا ، ولم يكن من أحداث الصحابة أفقه منه . مات سنة أربع وسبعين . وقيل سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين . الإصابة (٣١٨٩ والمعارف ١١٦) .
(٦) فيما عدا ل : « قال » .
(٧) فيما عدا ل : « فقال » .
(٨) برأ : شفى . ومثله برِئ . فيما عدا ل : « فبرئ » وهو حديث صحيح رواه البخارى (٧ : ١٢٣) ومسلم (٢ : ١٨٦) وأحمد (٣ : ٩٢) .

مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » أن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل ، وكذلك الأنبجات[1] .

(نفع العسل)

وإذا أُلقي في العسل اللحمُ الغريضُ[2] فاحتاجَ صاحبه إليه بعد شهر أخرجَه طريًّا لم يتغير[3] .

وإذا[4] قطَرَت منه قَطْرَةٌ على وجه الأرض ، فإن استدار كما يستدير الزِّئبقُ ، ولم يتَفَشَّ[5] ، ولم يختلط بالأرض [والتراب] فهو الصحيح . وأجودُه الذهبيّ .

ويزعمُ أصحابُ الشراب أنهم لم يروا شراباً قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون ، من شراب العسل الذي يُنْتَبَذُ بمصر[6] . وليس في الأرض تجارُ شراب ولا غير ذلك أَيْسَرَ منهم .

وفيه أعجوبةٌ : وذلك أنهم لايعملونه إلا بماء النِّيل أكْدَرَ ما يكون . وكلما كان أكدرَ كان أصْفى . وإن عملوه بالصافي فسَدَ .

---

(١) الانبجات ، هي المربيات . قال الخليل : « الأنبج حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ ، يجلب إلى العراق ، فن هناك تسمى الانبجات وهي التي ربيت بالعسل ، من الأترج والإهليلج ونحو ذلك » مفاتيح العلوم ١٠٤ . والأنبج معرب « أنبه » . استينجاس ١٠٤ وادى شير ١٥٠ وانظر المعرب ٤٣ .

(٢) الغريض : الطري . فيما عدا ل : « ومتى » بدل : « وإذا » .

(٣) فيما عدا ل : « أخرجه بعد شهر طريا لم يتغير » .

(٤) فيما عدا ل : « وأينما » .

(٥) لم يتفش من التفشى ، يقال تفشى الحبر إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه . ل : « لم ينفش » وضبط بالنون الساكنة والشين المشددة . وإنما الانفشاش زوال الانتفاخ من نحو الزق والورم ، فالوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « ينبذ » وهما صحيحتان . وسمى نبيذاً لأنه ينبذ في وعاء أو سقاء ، عليه الماء ، ويترك حتى يفور فيصير مسكراً .

وقد يُلقى العسلُ على الزَّبيب ، وعلى عصير الكَرْم[1] فيجوِّدهما .

(التشبيه بالعسل)

١٣٥ وهو المثَل[2] في الأُمور المرتفعة ، فيقولون : ماءٌ كأنه العسل . ويصفُون كلَّ شيء حلوٍ ، فيقولون : كأنه العسل[3] .. ويقال : هو معسول اللسان[4] . وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونفسُك شحَّة ... ودون الثُّريّا من صديقك مالُكا[5]

(التنويه بالعسل في القرآن)

وقال الله عز وجل في كتابه ، وذكر أنهار الجنة[6] ، فقال : ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى[7] ﴾ فاستفتح[8] الكلام بذكر الماء ، وختمه بذكر العسل . وذكر الماء

---

(١) فيما عدا ل : « الخمر » .

(٢) فيما عدا ل : « وبه يضربون المثل » .

(٣) الكلام من : « ويصفون » إلى هنا ساقط من ل ، س .

(٤) ل : « ويقولون هو معسل اللسان » .

(٥) شحة : شحيحة ، والشح : البخل . وقد ساق ابن منظور هذا البيت شاهداً في اللسان (٣ : ٣٢٦) مع بيت تال ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت ... يمينك شيئاً أمسكته شمالكا

وأنشده الجاحظ في البيان (١ : ١٤٣) . و« دون » هنا بمعنى فوق . انظر اللسان (١٧ : ٢٣ س ١٣) .

(٦) ل : « في ذكر أنهار الجنة » .

(٧) من الآية ١٥ في سورة محمد .

(٨) فيما عدا ل : « واستفتح » .

واللبنَ فلم يذكرْهما في نعتهما ووصفهما[1] إلا بالسلامةِ من الأسَنِ والتغيُّرِ. وذكَرَ الخمر والعسلَ فقال : « مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ » و : « مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى » فكان هذا ضرباً من التفضيل[2] ، وذكرها في مواضعَ أُخَرَ[3] فنفى عنها عيوبَ خمر الدنيا . فقال عز وجل اسمُه : ﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزَفُونَ[4] ﴾ فكان هذا القولُ الأولُ أظهر دليل على التفضيل[5] .

باب

(القول في القراد)

يقال : « أسمَعُ من قُراد[6] » و : « ألزَقُ من قُراد[7] » و : « ما هُوَ إلا قُراد [ثَفَرٍ[8]] » . وقال الشاعر[9] :

---

(١) « في نعتهما ووصفهما » ساقط من ل .

(٢) في الأصل : « فكان هذا ضرب » وفي ه ، س بعده : « من التفصيل » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى آخر هذا الباب ساقط من ل .

(٣) ذكرها ، أي الخمر ، وفي الأصل : « ذكرهما » . والمواضع التي يشير إليها الجاحظ هي الآية ٤٧ من الصافات و ٢٣ من الطور و ١٨ — ١٩ من الواقعة و ٥ — ١٧ من الإنسان . وأما العسل ، فلم يذكر صراحة إلا في الآية الشاهدة . وذكر بلفظ « شراب » في سورة النحل ٦٩ : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) .

(٤) الآية ١٩ من سورة الواقعة . وقرئ : (ينزفون) بكسر الزاي ، وبفتحها ، مع ضم الياء فيهما .

(٥) ه ، س : « التفصيل » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها . انظر العسكري والميداني (١ : ٣١٩) .

(٧) وذلك لأنه يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالحصى . الميداني (٢ : ١٧٩ — ١٨٠) .

(٨) الثفر ، بالتحريك ، ويسكن : مؤخر السرج ، وهو يشد تحت ذنب الدابة .

(٩) هو الحصين بن القعقاع ، كما في اللسان (٢ : ٤٥٢ و ٤ : ٣٤٨) . والحصين : شاعر ذكره الآمدي في المؤتلف ٨٧ . وفي النقائض ٦٨١ أنه الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمي : وأنشد له شعراً ورجزاً في يوم زبالة ، وكان لبني بكر على بني تميم — وقبل هذا البيت ، في اللسان (٢ : ٣٥٢) :

جزى الله عني بحتريا ورهطه بني عبد عمرو ما أعف وأمجدا

هم السمنُ بالسنُّوتِ لا ألسَ فيهم   وهم يمنعون جارهم أن يُقرَّدا[1]

[السنُّوت ، عند أهل مكة : العسل[2] . وعند آخرين الكمُّون[3]].

وقال الحطيئة[4] :

لَعمرُكَ ما قُرَادُ بَنِي كُلَيْبٍ   إذا نُزِعَ القُرَادُ بمستطاعِ[5]

قال : وذلك أن الفحلَ يَمنعُ أن يُخْطَم[6] . فإذا نزعوا من قُرَاداته[7] شيئاً لذّ لذلك ، وسكَنَ إليه ، ولانَ لصاحبه ، فعند ذلك[8] يلقى الخطامَ في رأسه .

---

(١) الألس : الخيانة ، ومثله المؤالسة ، قال صاحب اللسان : « أصله الولس » . وهذه المادة واوية وهمزية . ه : « هو السمن » محرف . ه ، سه : « لا أنس » محرف أيضاً . وروى فى اللسان (٢ : ٣٥٢) والمخصص (٣ : ٨٤) : « لا ألس بينهم » . وفى المخصص (٨ : ١٢٢) : « لا ألس عندهم » . فيما عدا ل : « الجار أن يتقردا » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٢) فى اللسان : « والسنوت قيل هو العسل ، وقيل هو الرب » . والسنوت كسنور لغة فيه .

(٣) قيل الكمون يمانية ، وقيل نبت يشبه الكمون ، وقيل الرازيانج ، وقيل الشبث .

(٤) البيت من قصيدة له فى الديوان ٩٢ — ٩٣ يمدح بها بنى رياح وبنى كليب من بنى يربوع . وهو كذلك فى اللسان (٤ : ٣٤٨) قال : « ونسبه الأزهرى للأخطل » . وانظر العمدة (١ : ٢١٩) والميداني (١ : ٢٥) والفصول والغايات ٢٦٥ .

(٥) رواية الديوان : « بنى رياح » وهم بنو كليب أولاد يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر المعارف ٣٥ . فيما عدا ل : « بنى كلاب » تحريف . وروى المعرى : « إذا ريم القراد » . قال ابن رشيق : « فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم » .

(٦) يخطم : يوضع على أنفه الخطام .

(٧) فيما عدا ل : « نزع » محرف . وقرادات : جمع قرادة . ولم أجد هذا المفرد إلا فى اللسان مادة (حلم ص ٣٦ س ١٣) ، ففيها : « الحلمة بالتحريك : القرادة الكبيرة » سه « قرادته » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « حتى » .

قال وأخبرنى فِراس بنُ خَنْدَق[١] ، وأبو بَرْزَة[٢] قال : كان جحدرٌ[٣] إذا نزَلت رُفْقَةٌ قريبا منه ، أخذ شَنَّةً[٤] فجعل فيها قِردَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل[٥] فإذا وجدَت الإبلُ مَسَّها نهضتْ ، وشدّ الشَّنَّةَ فى ذنب بعضِ الإبل ، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنَّة ، وعمِلتْ فيها القردانُ نفرت . ثم كان يثبُ فى ذِروة ماندّ منها[٦] ، ويقول : ارحم الغارَّة الضِّعاف[٧] ! يعنى القِرْدان .

قال أبو بَرْزة[٨] : ولم تكن هِمَّتُه تُجاوزُ بعيراً .

---

(١) فراس بن خندق ، بالخاء المفتوحة وآخره قاف . أحد الرواة العارفين بأيام العرب . روى عنه أبو عبيدة بعض أيام العرب فى النقائض ٣٠٥ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ وقال فى الموضع الثانى : « حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسى ، قيس بن ثعلبة » . فيما عدا ل : « خندف » بالفاء ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « أبو بزرة » تحريف .

(٣) جحدر ، هو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وتجد هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ على هذا النحو فى شرح ديوان الأعشى ٦٢ . وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية العكلى ، أحد لصوص العرب الشعراء ، كان لصا مبرا فأخذه الحجاج وحبسه ، وله فى ذلك قصيدة رواها القالى فى الأمالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) . وانظر المؤتلف ١١٠ . فيما عدا ل : « يعال » تحريف .

(٤) الشنة : القربة الخلق ، وهى أيضا الخلق من كل آنية صنعت من الجلد .

(٥) أي نثر القردان . فيما عدا ل : « فنشرها » بدل : « ثم نثرها » .

(٦) ند : شرد . فيما عدا ل : « ثم تبيت فى ذروة وما ند منها » تحريف .

(٧) الغار : الغافل . ومما هو جدير بالذكر أن القراد يصبر على فقد الغذاء مدة طويلة حتى يهزل . قال ابن زياد الأعرابى : ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية ، وتركوها قفاراً ، والقردان منتثرة فى أعطان الإبل وأعقار الحياض ؛ ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ، ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان فى تلك المواضع أحياء ، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافى ؛ فتحركت . قال ذو الرمة :

بأعقاره القردان هزلى كأنها نوادر صيصاء الهبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنفشت حشاشاتها فى غير لحم ولا دم

انظر ديوان ذى الرمة ٦٣٠ والميدانى (١ : ٣١٩) واللسان (٨ : ١٧٢ ، ٢٤٩) ط : « العالة العاف » . والعالة : جمع عيل عن كراع . والعيل : من تعوله . سه ، هـ : « العادة » محرف .

(٨) ط : « وأبو قردة » سه ، هـ : « وأبو فردة » صوابهما فى ل . وانظر التنبيه الثانى .

(القراد فى الهجو)

قال رُشَيد بن رُمَيض(١) :

لنـا عِزٌّ ومأوانا قريبٌ   ومَولى لايدِب مع القُرَادِ(٢)

١٣١ وهجاهم الأعشَى فقال :

فلسنا لباغى المهمَلاتِ بِقِرْفَةٍ   إذا ما طَمَا بالليلِ مُنْتَشِرَاتها(٣)

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ ، فإن قصيدةً   متى تأتِكم تُلْحَقْ بها أخَوَاتها(٤)

وهجاهم حُضَينُ بن المنذرِ(٥) فقال :

---

(١) هو رشيد بن رميض العنزى ، من بنى عنز بن وائل ، أو من بنى عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) . والأرجح أنه من بنى عنزة . انظر التنبيه التالى . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٢٧٣٣ فيمن أدرك الرسول . و « رشيد » و « رميض » بهيئة التصغير ، كما فى القاموس . فيما عدا ل : « أسيد بن رميض » تحريف .

(٢) الرواية فى أمالى القالى (٢ : ١٢٦) والميداني (٢ : ٣١٩) واللسان (١ : ٣٥٧): ومرمانا قريب » . وفى الأمالى : « قوله : مرمانا قريب ، قال : هؤلاء عنزة . يقول : إن رأينا منكم ما نكره ، أو رابنا ريب ، انتمينا إلى بنى أسد بن خزيمة » . ومثل هذا النص فى اللسان .

(٣) المهملات : الإبل المرسلة بغير رعاء . والقرفة ، بالكسر : الظنة والتهمة ، ويراد بها أيضاً المتهم والظنين . وفي اللسان : «وبنو فلان قرفتى ، أى الذين عندهم أظن طلبتى» . وطما : ارتفع وعلا . ويقال طمى يطمى : إذا مر مسرعاً . فيما عدا ل : « بناعى المهملات بعرفة » صوابه فى ل والديوان ٦٢ واللسان (١٩ : ٢٤١) . وفى الديوان واللسان : « إذا ما طها » . طهت تطهى طهوا : انتشرت وذهبت في الأرض . وفى شرح الديوان : « وطها وطحا — الأخيرة بالحاء — : واحد ، وهو تفرقه وذهابه » .

(٤) فى شرح الديوان : « أبو مسمع : جد المسامعة ، وهو شيبان بن شهاب من بنى قيس » .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكانت معه راية علي بن أبي طالب يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة وفيه يقول علي :

=

تنازعني ضُبيعةُ أمرَ قومي وما كانتْ ضُبيعةُ للأمورِ[1]

وهل كانت ضُبيعةُ غيرَ عبدٍ ضَممناه إلى نسَبٍ شطيرِ[2]

وأوصاني أبي ، لحفظتُ عنهُ بفكِّ الغُلِّ عن عُنُقِ الأسيرِ

وأوصَى جَحْدَرٌ فوقَ بَنيهِ بإرسالِ القُرَادِ على البَعيرِ[3]

قال : وفي القردان[4] يقول الآخر ـ قال : [و] بعضهم يجعلها في البراغيث . وهذا باطل[5] ـ :

ألا يا عبادَ اللهِ مَنْ لِقَبيلةٍ إذا ظهرت في الأرض شدَّ مُغيرُها

فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهي ولا ذُو سلاحٍ من مَعدٍّ يَضيرُها

فمن أصناف القِرْدان : الحَمْنان[6] ، والحَلَم[7] ، والقِرشام[8] ، والعَلّ[9] ، والطِّلْح[10] .

= لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . انظر المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠ بولاق) . و « حضين » بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير . وفي الأصل : « حصين » بالمهملة محرف ، وانظر المصادر السابقة والقاموس . قال العسكري : « ولا أعرف من يسمى حضينا بالضاد المعجمة غيره » .

(١) ضبيعة ، بهيئة التصغير ، هم من بني قيس بن ثعلبة . والحضين من بني ذهل بن ثعلبة . ل : « والأمور » بالإقواء .

(٢) الشطير : البعيد والغريب . فيما عدا ل : « شكير » محرف .

(٣) كأنه فيما يرى قد وقى أبناءه من الفقر بوصيتهم هذه الوصاة . فيما عدا ل : « فوق » وفي محاضرات الراغب (٢ : ٨١) : « قدما » . وانظر التنبيه الثالث من ص ٤٣٣ .

(٤) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، بالضم . ط فقط : « القراد » .

(٥) انظر التنبيه ٧ من ص ٣٨٧ ، وقد سبق البيتان هناك .

(٦) الحمنان ، بفتح الحاء وسكون الميم : جمع حمنانة ، وهي من صغار القردان .

(٧) الحلم ، بالتحريك : جمع حلمة ، وهي القرادة الكبيرة .

(٨) القرشام ، بكسر القاف ، وآخره ميم : القراد الضخم ، يقال قرشام وقرشوم ، وقراشم ، بضم القاف في الأخيرتين . ط : « الفرمان » ه : « الفرسان » سه : « الفرشان » صوابه ما أثبت من ل .

(٩) العل ، بالفتح : القراد الضخم . فيما عدا ل : « القمل » تحريف .

(١٠) الطلح ، بالكسر : القراد المهزول ، أو العظيم .

(شعر ومثل فى القراد)

وقال الطِّرِمّاح :

لمَّا وَرَدَتِ الطَّوِىّ والحوضُ كالـ ـصيـرة دَفْن الإزاء ملتَبِدُه(١)

سافتْ قليلاً عَلَى نصائبه ثم استمرَّتْ فى طامسٍ تَخِدُه(٢)

وقد لَوَى أنفَه بِمِشْفَرِها طِلحُ قراشيمَ شاحبٌ جَسَدُه(٣)

عَلٌّ طويلُ الطَّوَى كبالِيةِ السُّفْعِ متى يلْقَ العُلوَّ يَصطعِدُه(٤)

---

(١) وردت ، يعنى الناقة . والبيت مختل الوزن ، وهو من المنسرح ، حذفت فيه نون مستفعلن . وهكذا جاء فى الأصل وديوان الطرماح ص ١١٨ . والطوى : البئر المطوية والصيرة ، بالكسر : حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والبقر . والدفن ، بالفتح : المندفن . والإزاء ، بالكسر : مصب الماء من الدلو فى الحوض . والملتبد : المتلبد . يقول : قد اندفن وتلبد بعضه على بعض . فيما عدا ل : «كالصرم دفين الإذاء ملتده» صوابه فى ل والديوان .

(٢) سافت : شمت ، وفى الأصل : «ساقت» بالقاف ، تصحيحه من الديوان . ونصائب الحوض : ما نصب حوله من الحجارة وجعل كالحائط له . استمرت : مرت فى سيرها . طامس : أراد طريقاً قد اندفن فيه الأثر . تخده : تسير فيه الوخد ، وهو ضرب من السير . فيما عدا ل : «تجده» صوابه فى ل والديوان . وهذا البيت روى فى ط ، هـ بعد البيت التالى ، وقد رددته إلى موضعه الطبيعى معتمداً ما فى ل ، س والديوان .

(٣) الطلح : القراد ، وقيل القراد المهزول . والقراشيم : جمع قرشوم ، كعصفور ، وهو القراد الضخم ، أو شجرة زعمت العرب أنها تنبت القرادن ، لأنها مأوى القردان . وانظر اللسان (طلح ، قرشم) .

(٤) العل ، بالفتح : القراد المهزول : ويقال للضخم أيضاً . وفى الأصل : «على» صوابه فى الديوان . والطوى : الجوع . كبالية السفع ، يريد الحبة من الحنظل التى قد بليت فقد اسودت ، فشبه القراد بها فى قدرها ، والسفع : السود . يصطعده : يصعده . ط ، س «كصالية» هـ : «كتالية» صوابهما فى ل والديوان . ط ، هـ «الشفع» تحريف . وفيما عدا ل بعده : «مع العلوتين تصطعده» محرف ، أثبت صوابه من ل والديوان . لكن فى ل : «علو» بدل : «العلو» وهو تحريف .

وفى لزوق القُرادِ يقولُ الراعى :

تبِيتُ مرافقهُنّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ   لايستطيعُ بها القُرادُ مَقيلا[١]

والعربُ تقولُ : « أَلْزَقُ من البُرَام[٢] ! » كما تقول : « أَلْزَقُ من القُرادِ ! » . وهما واحدٌ .

(شعر لأمية فى الأرض والسماء)

وذكرَ أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ ، خَلْقَ السماء ، وإنه ذكرَ من مَلاَسَتِها[٣] أنَ القُرادَ لايَعْلَقُ بها ، فقال :

والأرضُ مَعْقِلُنَا وكانتْ أُمَّنَا   فيها مَعاقِلُنَا وفيهـا نُولَدُ

فيهـا تلاميذ عَلَى قُذُفاتها   حُبسُوا قياماً فالفرائِصُ تُرْعَدُ[٤]

---

(١) المزلة ، بكسر الزاى وفتحها : اسم موضع من زل يزل ويزل : إذا زلق . والمقيل : القيلولة ، مصدر ميمى . أراد أن هذه النوق ملس الجلود لا يجد القراد فيهن موضعاً يثبت فيه لشدة إملاسهن . س : « ثبتت » هـ : « سنت » والأخيرة محرفة . ورواية البيت فى سيبويه (٢ : ٢٤٧) والمخصص (٩ : ٥٥ ، ١٦ ، ١٢٢) واللسان (١٣ : ٣٢٥) : « بنيت » وفى أمالى المرتضى (٢ : ٦) « تبيت » وهـذه محرفة . وفى ل فقط : « ما يستطيع » .

(٢) البرام ، بضم الباء بعدها راء : القراد . فيما عدا ل : « ألزم » من اللزوم . وفى ط : « البؤام » ، وفى هـ ، س : « البوام » صوابه فى ل والميداني (٢ : ١٧٩) . وأنشد :

فصادفن ذا قترة لاصقا   لصوق البرام يظن الظنونا

(٣) فيما عدا ل : « ملامستها » تحريف .

(٤) فى اللسان : « التلاميذ : الخدم والأتباع ، واحدهم تلميذ » . ولم يذكره صاحب القاموس إلا فى رسم (تلم) . وذكره صاحب اللسان فى الموضعين . وفى المعرب ٩١ : « التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » . والقذفات : جمع قذفة بالضم ، وهى النواحى والجوانب . فيما عدا ل : « تلامذ على قدمائها » . محرف . ط ، س : « حسر قياما » هـ : « خسرا » صوابهما فى ل .

فبَنَى الإلهُ عليهمُ مخصوفةً خَلْقاءَ لا تَبْلَى ولا تتأوَّدُ[١]
فلو انه تَحْدُو البُرَامَ بمَتْنِهَا زلَّ البُرام عن التى لاتَقْرَدُ[٢]

(استطراد لغوى) .

١٣٢ قال : القُرَاد أولُ ما يكون — وهو الذى لايكاد يُرَى من صِغَر[٣] — قَمْقَامَة[٤] ، ثم يصير حَمْنَانة[٥] ، ثم يصير قُراداً ، ثم يصير حَلَمَة .

قال : ويقال للقُراد : العَلّ[٦] ، والطِّلْح ، والقَتِين[٧] ، والبُرام[٨] ، والقِرْشام .

---

(١) مخصوفة : من قولهم خصف النعل يخصفها خصفا : ظاهر بعضها على بعض وخرزها . وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . عنى أنها ذات أطباق . خلقاء : ملساء . تتأود : تتثنى وتتعوج . فيما عدا ل : « مخصوفة خلقها » محرف . وفى ط ، هـ : « فلا تبلى » والوجه حذف الفاء كما فى ل ، س .

(٢) تحدو : تسوق . فيما عدا ل : « يحدو » . والبرام ، هى فى ط ، س : « البؤام » وفى هـ : « البوام » صوابه بالراء ، كما سبق فى التنبيه ٢ ص ٤٣٧ . تقرد : يصيبها القراد ، قرد يقرد من باب تعب . عنى أن السماء ملساء فهى لا يستطيعها القراد . فيما عدا ل : « لبنى وألفاها التى » تحريف .

(٣) ل : « وهو لا يكاد أن يرى صغرا » .

(٤) القمقامة ، بقافين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة : واحدة القمقام ، قيل هو القراد أول ما يكون صغيرا ، لا يكاد يرى من صغره . ط ، هـ : « فقامة » س : « مقامة » صوابهما فى ل .

(٥) الحمنانة ، بفتح الحاء بعدها ميم ساكنة ثم نونان بينهما ألف ، جمعه حمنان ، ومثله الحمنة ، بالفتح ، جمعها حمن . فيما عدا ل : « حمانة » تحريف .

(٦) العل ، بالفتح . وفيما عدا ل : « القمل » وهو بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . وفى اللسان : « قال أبو عبيدة : القمل عند العرب الحمنان » . وفيه أيضاً : « وقيل القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنه أصغر منها ، واحدتها قملة ، تركب البعير عند الهزال » . لكن صواب النص ما أثبت من ل ، فإن القمل سيتلو هذا قريباً .

(٧) القتين ، بفتح القاف وآخره نون ، سمى بذلك لقلة دمه ، أو لقلة طعمه ؛ لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لا يطعم شيئاً . فيما عدا ل : « القتير » تحريف .

(٨) البرام ، كغراب ، سبق الحديث عنه فى ص ٤٣٧ . فيما عدا ل : « البؤام » تحريف .

قال : والقُمَّل [واحدتها] قَمْلة ، وهى من جنس القِردان ، وهى أصغر منها .

(تخلق القراد والقمل)

قال : والقِرْدانُ يتخلقُ[١] من عرَقِ البعير ، ومن الوسخ والتلَطُّخ بالثُّلوط[٢] والأبوال ، كما يتخلق[٣] [من جلد الكلب ، وكما يتخلق[٤]] القملُ من عرق[٥] الإنسان ووسَخِه ، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو ريش .

والحَلَم يعرض لأذُنَى الكلب[٦] أكثرَ ذلك[٧] .

(أمثال وأخبار فى القراد)

قال : ويقال : « أقْطَفُ مِنْ حَلَمَة[٨] » و : « ألزَقُ من بُرَام[٩] » و : « أذلُّ من قُرَاد » وقال الشاعر[١٠] :

---

(١) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) الثلوط : جمع ثلط ، بالفتح ، وهو الرقيق من الرجيع والسلح . ه : « بالبلوط » تحريف .

(٣) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : «تخلق» بإهمال الحرف الأول .

(٥) فيما عدا ل : « درن » . والدرن : الوسخ .

(٦) ل : « لأذى الكلب » والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر من ذلك » .

(٨) أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو وبطؤه .

(٩) سبق هذا المثل فى ص ٤٣٧ .

(١٠) هو الحزين الكنانى يهجو كثيرا الشاعر . وللبيت قصة طريفة فى الأغانى (٨ : ٢٨ — ٢٩) . والبيت رواه أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٤٢١) والراغب فى المحاضرات (٢ : ١٢٩) .

يكاد خَليلى من تقارُبِ شَخْصِهِ ‏ ‏ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِه وهو قائمُ[١]

وقال أبو حَنَش[٢] لقيس بن زهير : « والله لأنتَ بها أذلُّ من قُراد ![٣] » ، فقدَّمَه وضَرَبَ[٤] عُنقَه .

وقال الراجز :

قِرْدانُه فى العَطَنِ الحَوْلِىِّ[٥] ‏ ‏ بِيضٌ كحَبِّ الحنْظَلِ القلِىِّ[٦]

من الخَلاء ومن الخُوِىِّ[٧]

ويقال لحلمة الثدى القراد : وقال [عدىُّ] بن الرِّقاع[٨] :

---

(١) رواية الحماسة : « أظن خليل » والمحاضرات : « رأيت خليلى » والأغانى : « قصير القميص فاحش عند بيته » .

(٢) أبو حنش ، هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر ، وكان من فرسان يوم الكلاب الأول ، وهو قاتل شرحبيل بن الحارث . وأما قيس ابن زهير بن جذيمة العبسي فهو صاحب داحس والغبراء . وترجمته فى (٤ : ٨٤) . فيما عدا ل : «وأبو الحسن» صوابه فى ل . وانظر النقائض ٤٥٣ — ٤٥٨ والمفضليات (٢ : ١٢ طبع المعارف) .

(٣) يقال أيضاً : « أذل من قراد بمنسم » ، كما فى أمثال الميدانى . قال الفرزدق :

هنالك لو تبغى كليباً وجدتها ‏ ‏ أذل من القردان تحت المناسم

(٤) ل : « فضرب » .

(٥) العطن ، بالتحريك : مبرك الإبل حول الحوض . الحولى : الذى أتى عليه الحول . فيما عدا ل : « الحول » تحريف .

(٦) بيض : جمع أبيض وبيضاء . ط : « يبض » تحريف . ط : « عب الحنظل » س ، هـ : « يحب الحنظل » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « المقل » تحريف .

(٧) الخوى ، بضم الخاء وكسر الواو : الخلاء . فيما عدا ل : « من الحلاء ومن الحول » . محرف .

(٨) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . ونسبه الناس إلى « الرقاع » وهو جد جده لشهرته . وكان شاعرا مقدما عند بنى أمية ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد . الأغاني (٨ : ١٧٢ ١٧٧) وابن سلام ٢٠٩ — ٢١٣ والمؤتلف ١١٦ والمرزبانى ٢٥٣ .

كأنّ قُرَادَىْ صدره طَبَعَتْهُمَا   بطين من الجَوْلان كُتَّابُ أعْجَمِ[١]

والقُرَادُ يعرضُ لِأُسْتِ الجَلِ . والنمل[٢] يعرضُ للخُصَى . وقال الشاعر[٣] :

وأنتَ مكانُكَ من وائل   مكان القُرَادِ مِن أُسْتِ الجَمَلِ[٤]

وقال الممزِّق :

تُنَاخُ طليحاً ما تُرَاعُ من الشَّذَا   ولو ظَلَّ فى أوصالها العَلُّ يرتقى[٥]

---

(١) البيت هذى يمدح به عمر بن هبيرة . ورُوى أيضاً لملحة الجرمى ، كما فى اللسان (٤ : ٣٤٨) والمعرب ١٠٥ والحماسة (٢ ٣٥١ — ٣٥٢) من أبيات خمسة ، وأنشده فى الاقتضاب ٩٧ مسبوقا بكلمة : « وقال الجرمى » وهو بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٤٨) . وضمير : « صدره » عائد إلى الرجل الذى يمدحه . وروى فى جميع المصادر التى أسلفت : « زوره » . والزور ، بالفتح : الصدر . والجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . قال التبريزى : «وطين الجولان إلى السواد» . وروى صاحب الاقتضاب أن الجولان اسم الطين الذى يطبع به . قال : « ويقال للطين الذى يطبع به : ختام وجرجس وجولان » . س : « الحولان » تحريف . وخص كتاب العجم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة . وفى اللسان : « أنشد الأزهرى هذا البيت ، ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء ، وقال فى آخره : كتاب أعجما » . ومبلغ الظن أنهما بيتان متشابهان .

(٢) فيما عدا ل : « والقمل » بالقاف ، تحريف . وعند الميدانى (٢ : ١٨٠) « والقراد يعرض لأست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالخصى » .

(٣) هو الأخطل من قصيدة له يهجو فيها كعب بن جعيل . انظر ديوانه ٣٣٥ وتنبيهات البكرى ١١٩ والخزانة (١ : ٢٢٠ بولاق) والشعراء ١٥١ والاشتقاق ٢٠٣ . وقبل البيت :

وسميت كعباً بشر العظام   وكان أبوك يسمى الجعل

(٤) فيما عدا ل : « رأيت » وأثبت ما فى ل والخزانة والتنبيهات . ورواية ابن قتيبة : « وكان محلك من وائل محل » . وابن دريد : « وإن محلك من وائل محل » .

(٥) الطليح : المعيية الحسيرة . والشذا : ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها ، الواحدة شذاة . والأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ووُصل . والعل ، بفتح العين : القراد الضخم ، أو المهزول . وفى الأصل : « القمل » صوابه فى الأصمعيات ٤٧ . وانظر تعقيب الجاحظ . ط : « تناحى طليحى » س ، هـ : « تناح طليحى » صوابهما فى ل والأصمعيات . فيما عدا ل : « ما تراح » و« فى أوطانها » صوابهما فى ل : والأصمعيات .

[ويروَى : « فباتَتْ ثلاثاً لاتُراع »] . يصف شدةَ جزعِها من القردان[١] .

وقال بشّارُ بنُ بُرد :

أعادِى الهمَّ منفرداً بشوق   عَلَى كَبِدى كما لزق القُرَادُ[٢]

وكانوا إذا خافوا الجدبَ والأزمةَ تقدموا فى عمل العِلهِز . والعِلْهِز : قِرْدَانٌ يُعالج[٣] بدم الفَصْد مع شىء من وَبرٍ . فيدّخرون ذلك كما يدّخرُ مَن خاف الحِصار[٤] الأكارعَ[٥] والجاوَرْس[٦] .

والشُّعوبيّةُ تهجو العربَ بأكلِ[٧] العِلْهِز ، والفثّ[٨] ، والدُّعاع[٩] ،

---

(١) « شدة جزعها » كذا جاءت فى الأصل . والذى يفهم من البيت هو صبرها وعدم جزعها . فيما عدا ل : « من القراد » .

(٢) ط ، هـ : « أعاد » ل : « كما لصق » . ولزق ولصق ولسق بمعنى .

(٣) ط فقط : « تعالج » . وفى اللسان : « العلهز وبر يخلط بدماء الحلم كانت العرب فى الجاهلية تأكله . وفى دعاء الرسول على مضر : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ! » فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز . قال ابن الأثير : هو شىء يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . قال : وقيل كانوا يخلطون فيه القردان .

(٤) ط ، هـ : « كما يدخرون حافر الحمار » وهو تحريف فكه عجيب . وفى س : « كما يدخر من خافر الحمار » وهو أعجب . صوابهما فى ل .

(٥) الأكارع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق . فيما عدا ل : « والأكارع » .

(٦) الجاورس ، بفتح الواو وسكون الراء : حب الدخن بالضم ، وهو الذرة الدقيقة التى تسميها العامة في مصر : « الذرة العويجة » بضم العين وكسر الواو . وهو بالفارسية : « گاوَرس » أو « گاوَرسه » استينجاس ١٠٧٣ .

(٧) فيما عدا ل : « يأكل » تحريف .

(٨) الفث ، بفتح الفاء وآخره ثاء مثلثة : حب يشبه الجاورس يختبز ويؤكل . فيما عدا ل : « العب » محرفة .

(٩) الدعاع ، بالضم : حب أسود يأكله فقراء البادية إذا أجدبوا . فيما عدا ل : « الزعاع » تحريف .

والهبيد(١) ، والمغافير(٢) ، وأشباهِ ذلك . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ(٣) :

لم يُعَلَّلْنَ بالمغـافير والصَّمْـ ـغِ ولا شَرْىِ حنظلِ الخُطْبَانِ(٤)

وقال الطرِمّاح :

١٣٣

لم تأكلِ الفثّ والدعاعَ ولم تنقُفْ هَبيداً يَجْنِيه مُهْتَبِدُه(٥)

وقال الأصمعىُّ : قال رجلٌ من أهلِ المدينة(٦) لرجل : أيسُرُّك

---

(١) الهبيد ، بفتح الهاء وكسر الباء : حب الحنظل . كانوا يستخرجونه وينقفونه لتذهب مرارته ، ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة .

(٢) المغافير : صمغ العرفط والرمث ، حلو يؤكل . فيما عدا ل : « البرير » . والبرير : ثمر الأراك ، له عجمة صغيرة صلبة أكبر من الحمص قليلا ، وعنقوده يملأ الكف . وفى الحديث : « ما لنا طعام إلا البرير » .

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤١٤ — ٤١٥ يمدح بها جبلة بن الأيهم . وقبله :

قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ ـن سراعا أكلة المرجان

يجتنين الجادى فى نقب الريـ ـط عليها مجاسد الكتان

وانظر الأغانى (١٤ : ٦) العقد (١ : ١٩٠) والأزمنة (٢ : ٣٠٣)

(٤) المغافير : جمع مغفور ، وقد سبق شرحه . ل : « بالمعافير » تصحيف . وعلله بطعام : شغله به ليجزأ به عن غيره . والشرى . بالفتح : الحنظل ، أو شجره ، أو ورقه . والخطبان ، بالضم ، وقد يكسر : الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط خضر . فيما عدا ل : « الحطبان » تحريف . ورواية البيت على هذا النحو توافق رواية المرزوقى فى الأزمنة ؛ وفى الديوان والأغانى والعقد : « ولا نقف حنظل الشريان » . ونقف الحنظل : استخراج حبه . والشريان ، بالكسر والفتح : موضع بعينه ، أو واد . يقول : هن أهل حاضرة ونعمة ، لسن كالبدويات فى خشونة عيشهن ، ورداءة طعمهن .

(٥) البيت فى صفة امرأة ينعتها أنها ليست من أهل البادية . الفث والدعاع قد فسرا فيما سبق . فيما عدا ل : « القت والرعاع » تحريف . والهبيد : الحنظل أو حبه . والنقف : استخراج حبه . والمهتبد : الذى يأخذه من شجرته . فيما عدا ل : « بجنب » موضع « يجنيه » تحريف . ط : « مهتبد » صوابه فى سائر النسخ والديوان ص ١١٦ واللسان (٢ : ٤٨١) وهو فى الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٣٠٣) محرفا . وقبله فى الديوان :

فيهم لنا خـلة نواصلها فى غير أسباب نائل تعده

إلا حديثاً وسلا يضلل بالـ ـمزهاة والمستنيع فيه دده

(٦) فيما عدا ل : « البادية » تحريف .

أن تعيشَ حتى تجىء حلَمَة[1] من إفريقيةَ مشياً ؟ قال : فأنتَ يسُرك ذلك ؟ قال : أخافُ أن يقول إنسانٌ : إنها بمخيض[2] ، فيُغْشَى علىَّ !

ومخيض[3] على رأسِ بَريد من المدينة[4] .

[ويقولون : أمّ القُرَادِ ، للواحدةِ الكبيرة منها . ويتسمَّوْنَ بقُرَاد ، ويكتنون بأبي قراد . وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال :

للأرض من أمِّ القُرادِ الأطْحَلِ[5]

وفى العرب بنو قُراد[6]] .

باب
فى الحبارى

ونقولُ فى الُحبارَى بقول مُوجز ، إن شاء الله تعالى

قال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابىٌّ : « إنه ليقتلُ الحُبارَى [هَزْلاً[7]] ظلمُ الناس بعضهم لبعض ! » . [قال] يقول : إذا كثُرت الخطايا منَع اللهُ عز وجل دَرّ السَّحاب . وإنما تُصِيب الطيرُ من الحبِّ ومن الثمر[8] عَلَى قدْرِ المَطر .

---

(١) الحلمة : واحدة الحلم ، وهى القرادة الصغيرة . وهذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) مخيض : على لفظ المخيض من اللبن ، فسرها الجاحظ وعينها . وانظر ياقوت وابن هشام ٧١٨ جوتنجن . ل : « هى » بدل : « إنها » . ط : « مخيص » س ، هـ : « مختصر » صوابهما فى ل .

(٣) ط : « مخيص » س : « محبض » هـ : « مختص » صوابها فى ل . وانظر التنبيه السابق .

(٤) البريد : أربعة فراسخ . والفرسخ ثلاثة أميال . والميل أربع آلاف ذراع . وكلمة : « رأس » ليست فى ل .

(٥) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(٦) قراد ، وردت فى ل مضبوطة بالضم .

(٧) الهزل ، بالفتح ويضم : الهزال . وفى س . هـ : « إنه ليقتل الحباري هؤلاء ظلما بظلم » .

(٨) فيما عدا ل : « التمر » بالمثناة ، محرف . وكلمة : من الأخيرة ليست فى ل . وفى ل أيضاً : « يصيب » بالياء .

وقال الشاعر[١] :

يسقُطُ الطيرُ حيثُ ينْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتغشَى منازِلُ الكُرَمَاءِ[٢]

وهذا مثلُ قوله[٣] :

أما رأيتَ الألسُنَ السِّلاطَا[٤] والأذرُعَ الواسعةَ السِّبَاطا[٥]

إن الندَى حيثُ تَرَى الضِّغاطا[٦]

(ماقيل من المثل فى الحبارى)

وقالوا فى المثل : « مات فلانٌ كَمَدَ الحُبارَى[٧] » . [وقال أبو الأسود الدؤلى :

وزَيْدٌ ميِّتٌ كَمَدَ الحُبَارَى إذا ظعنت هُنيدةُ أو تلمُّ[٨]

ويروى : « ملمّ » وهو اسم امرأة . وذلك أن الطير تتحسَّر[٩]

---

(١) هو بشار ، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت كما فى الأغانى (٣ : ٤٣) :

إنمـا لذة الجواد ابن سلم فى عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولـكن يلذ طعم العطاء

(٢) مثل هذه الرواية فى البيان (١ : ١٣٢) . وفى س ، هـ : « ويغشى » بالياء .

(٣) فى البيان (١ : ١٣١ — ١٣٢) : « وقال التميمى » .

(٤) السلاط : جمع سليط ، وهو الفصيح الحديد . وفى الأصل : « الملاطا » ولم أجد له وجهاً . وأثبت ما فى البيان .

(٥) السبط : الممتد المستوي . ويقال رجل سبط اليدين : سخى سمح . وفي ل : « والأذرع الطوال والسياطا » وبدله فى البيان : « والجاه والإقدام والنشاطا » .

(٦) الندي : الـكرم . والضغاط ، بالكسر : الزحام . وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث ترى الـكرم . وهذا البيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ .

(٧) س : « بجمر الحباري » . وانظر الميدانى (٢ : ١٠٥) وثمار القلوب (٣٨٣) .

(٨) صدر البيت فى محاضرات الراغب . (٢ : ٣٠١) . وقد رواه العسكرى فى جمهرة الأمثال ١٣٣ .

وزيد ميت كمد الحباري إذا بانت وجهة (؟) أو ملم

(٩) تتحسر وتنحصر : تخرج من الريش العتيق إلى الحديث .

وتتحسر معها الحُبارى . والحُبارى] إذا نُتِفتْ أو تحسّرتْ أبطأ نباتُ ريشها ، فإذا طار صُوَيحِباتها[١] ماتت كمدا .

وأما قوله : « أو تُلِمّ » يقول : [أوْ] تقارِب أن تَظْعَن[٢] .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « كلُّ [شىء] يحبُّ ولدَه حتى الحُبارى[٣] ! » . يضرب بها المثل فى المُوق[٤] .

(سلاح الحبارى وغيرها من الحيوان)

قال : وللحبارَى خِزانةٌ بين دُبُره وأمعائه ، له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق [لزج[٥]] ، فمتى ألحّ عليها الصقرُ ــ وقد علمت أن سُلاحها منْ أجود سلاحها[٦] ، وأنها إذا ذرقتْه[٧] بقى كالمكتوف ، أو المدبّقُ[٨] [المقيَّد] ــ فعند ذلك تجتمع الحبارياتُ على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً[٩] . وفى ذلك هلاكُ الصقر .

---

(١) فيما عدا ل : « صواحباتها » .

(٢) تظعن : ترحل . وفيما عدا ل : « يقارب أن يظعن » محرف .

(٣) انظر الجزء الأول ص ١٩٦ .

(٤) الموق ، بالضم : الحمق فى غباوة .

(٥) الزيادة من ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) .

(٦) السلاح ، بالضم : النجو ، وبالكسر : ما يدافع به . ط فقط : « فإن سلاحه » تحريف . وبعد ذلك فى ط ، هـ : « أجود من سلاحها » وأثبت ما فى ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وأنه إذا زرقه به » تحريف .

(٨) المدبق : الذى ألزق بالدبق . والدبق ، بالكسر : حمل شجر فى جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به . دبق الطير ودبقه . فيما عدا ل : « المربوق » وهو المشدود فى الربقة ، وهو خيط يثنى حلقة ثم يجعل رأس الشاة فيه ثم يشد .

(٩) الطاقة : شعبة من ريحان أو شعر ، أو قوة من الخيط أو نحو ذلك . وفيما عدا ل : كافة ==

قال : وإنما الُحبارى فى سلاحِها كالظَّرِبىِّ فى فُسائها ، وكالثعلب فى سُلاحه[١] ، وكالعقرب فى إبرتها ، والزنبور فى شعرته[٢] ، والثورِ فى قرنه[٣] ، والدِّيك فى صِيصِيَته[٤] ، والأفعى فى نابها [والعُقابِ فى كفِّها]، والتمساح فى ذنبه .

وكلُّ شىء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه . وإذا عدِم السلاحَ كان أبصَرَ بوجوه الهرب[٥] ؛ كالأرنب فى إيثارها للصَّعْداء[٦] ؛ لقصر يديها ، ٩٣٤ وكاستعمال الأرانب للتوبير[٧] والوطء على الزَّمَعات[٨] ، واتخاذ اليرابيعِ القاصعاءَ والنَّافقاء ، والدَّامَّاء ، والراهِطاء[٩] .

= وبدون تكرير ، تحريف ، صوابه فى ل وثمار القلوب ٣٨٣ .

(١) السلاح بالضم : النجو . فيما عدا ل « بوله » تحريف . وفى مباهج الفكر (الورقة ٦٨ من المخطوطة رقم ٣٢٤ طبيعيات) : « وهو من الحيوان الذى سلاحه سلاحه . وهو أنتن من سلاح الحبارى » . وسبق أيضاً فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٩ : « ومنه ما يكون سلاحه السلح كالحبارى والثعلب » . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٢) فيما عدا ل : « شعرتها » تحريف . والزنبور مذكر .

(٣) فيما عدا ل : « قرنيه » .

(٤) صيصة الديك : الشوكة التى فى رجله . فيما عدا ل : « صنصنه » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب » .

(٦) ط ، س : « وكالأرنب » بإقحام الواو . والصعداء ، بالفتح : من قولهم أكمة صعود وذات صعداء يشتد صعودها على الراق . فيما عدا ل : « الصعداء » . وفى مباهج الفكر : « وليس شىء قصير اليدين أسرع منها حضرا . ولقصرها يخف عليها الصعود والتوقل » . الورقة ٩٤ من مخطوطة دار الكتب رقم ٣٢٤ .

(٧) التوبير : الوطء على مآخير كفها . فيما عدا ل : « النوبين » محرف . وانظر ص ٢٧٨ .

(٨) الزمعات : جمع زمعة ، بالتحريك ، وهى الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٩) فيما عدا ل : « والراهطاء والداماء » . وانظر ما سبق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(شعر فى الحبارى)

وقال الشاعر[١] :

وهم تركوك أسْلَحَ مِنْ حُبَارَى ... رأت صقراً وأشْرَدَ من نَعَامِ[٢]

يريد : نعامة[٣] . وقال قيسُ بن زهير[٤] :

متى تتحزّمْ بالمناطق ظالماً ... لتجرى إلى شأوٍ بعيد وتسبحِ[٥]

تـكُنْ كالحبارَى إن أصيبتْ فمثلها ... أصيبَ وإن تُفْلِتْ من الصَّقْرِ تَسْلَحِ[٦]

وقال ابن أبى فَنَنٍ[٧] ، يصفُ ناساً من الـكُتّابِ ، فى قصيدة [له] ذكَرَ فيها خيانَتَهم ، فقال :

---

(١) هو أوس بن غلفاء الهجيمى يخاطب يزيد بن الصعق الـكلابى . انظر المفضلية رقم ١١٨ من طبع المعارف ، وابن سلام ٦٣ والـكامل ٢٧٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وهم تركوك أشرد من نعام » وهى أيضاً رواية ابن سلام ، وما أثبت من ل يوافق رواية الضبى والمبرد . وعند الميدانى (١ : ٣٥٤) : « وهم تركوك أشرد من ظليم » ولا تصح أن تـكون رواية فى البيت ، لاختلاف الردف ، فان ردف القصيدة الألف ، ولا يجوز الإرداف بالألف مع الإرداف بسواها من واو أو ياء . فلعله بيت آخر .

(٣) الـكلمتان ليستا فى ل .

(٤) قيس بن زهير شاعر جاهلي ، وهو صاحب داحس . المؤتلف ١٦٨ — ١٦٩ والمرزباني ٣٢٢ . وفى ل : « وقال زهير » والبيتان ليسا فى ديوانه .

(٥) المناطق : جمع منطقة ، وهى ما يشدّ به الوسط . والشأو : الغاية والأمد . يسبح : يسرع فى جريه . ورواية البيت محرفة فيما عدا ل :

متى يتحرك للمناطق ظالما ... ويجرى إلى شأو بعيد ويسمح

(٦) فيما عدا ل : « يكن » والوجه الخطاب ، إلا إن أريد الالتفات . وفيما عدا ل : « فإن تفلت من الصقر » .

(٧) هو أحمد بن أبى فنن ، مولى بنى هاشم . وأبو فنن كنية أبيه ، واسم أبيه صالح بن سعيد كما فى وفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن مزيد) . وقد مدح يزيد هذا ، كما مدح أبا دلف القاسم بن عيسي . وانظر طرفا من خبره فى الأغانى (٣ : ١٧٣) فيما عدا ل : « وقال ابن قيس » .

رَأَوْا مالَ الإمامِ لهمْ حَلالا • وقالوا الدِّينُ دِين بنى صَهارِى[(١)]

ولو كانوا يحاسبهم أمينٌ لقد سَلَحُوا كما سَلَحَ الحُبارَى[(٢)]

(الخرب والنهار)

والخَرَب[(٣)] : ذَكَر الحُبارى . والنهارُ : فرْخ الحُبارى[(٤)] . وفرخها حارض[(٥)] ساقطٌ لاخير فيه . وقال متمِّمُ بن نويرة[(٦)] :

وضَيفٍ إذا أرغى طروقاً بعَيرَه وعان ثوى فى القِدِّ حتى تكنَّعا[(٧)]

وأرملةٍ تمشى بأشعثَ مُحثَل كفَرْخ الحُبارَى رأسُهُ قدتصوَّعا[(٨)]

[وقال أعرابىّ :

---

(١) صهارى ، كذا وردت مضبوطة بالفتح فى ل . فيما عدا ل : « فقالوا الدين » بالفاء

(٢) فيما عدا ل : « ولو حتى يحاسبهم أمير » تحريف .

(٣) الخرب ، بالخاء المعجمة والتحريك ، فيما عدا ل : « الحرب » تصحيف .

(٤) ومن شعر المعاياة فيما أنشده الحريرى : ورواه غلام ثعلب فى كتاب المداخل :

أكلت النهار بنصف النهار وليلا أكلت بليل بهيم

(٥) الحارض ، بالضاد المعجمة : الضعيف البنية . فيما عدا ل : « حارف » محرف .

(٦) يرثى أخاه مالك بن نويرة . من المفضلية ٦٧ طبع المعارف .

(٧) طروقا ، بالضم : ليلا . قال الأصمعى : « إذا ضل الرجل أرغى بعيره : أى حمله على الرغاء ، لتجيبه الإبل برغائها ، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى » . والعانى : الأسير . ثوى : أقام . القد : السير من الجلد ، عنى القيد . تكنع : تقبض ، أراد حتى يبس القيد على جلده . فيما عدا ل : « إذا نادى » ل : « إذا أرعى » صوابه من المفضليات . س ، ط : « بقرة » هـ : « بقفرة » صوابهما فى ل والمفضليات . ل : « توافى القد » وفيما عدا ل : « نماه القد » صوابهما فى المفضليات . وفيما عدا ل : « تكتما » بتاء قبل العين ، صوابه فى ل والمفضليات .

(٨) الأرملة : التى مات زوجها . الأشعث : المتلبد الشعر ، عنى ولدها . المحثل ، بفتح الثاء : الذى أسىء غذاؤه . تصوع : تقبض وتشقق . فيما عدا ل : « ريشه قد تصدعا » وأثبت ما فى ل . وفى المفضليات : « رأسه قد تضوعا » بالضاد المعجمة .

أحبُّ أن أصطادَ ضبًّا سَحْبَلا[١] . وخَرَبًا يرعى ربيعاً ، أرملا[٢]

فجعل الخَرَب أرمَل ، لأن ريشه يكون أكثر . وقد ذكرنا ما فى هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا[٣]] .

(خبر فيه ذكر الحبارى)

وقال أبو الحسن المدائنىّ : قال سعيد النوّاء[٤] : قَدِمْتُ المدينةَ فلقيتُ علىَّ بنَ الحسين ، فقلت : يا ابنَ رسولِ الله ، متى يُبْعَثُ أميرُ المؤمنينَ علىُّ بنُ أبى طالب ؟ قال : إذا بُعِثَ الناس .

قال . ثم تذاكرْنا أيامَ الجَمَل فقال : ليته كان ممنوعاً قبل ذلك بعشرين سنة[٥] — أو كلمةً غيرهذه — قال : فأتيت حسن بن حَسَنٍ[٦] ، فذكرتُ له ما قال ، فقال : لَوَدِدْتُ والله أنه كان يقاتلهم إلى اليوم !

قال : فخرجت من فَورى ذلك إلى علىٍّ بن الحسين ، فأخبرته بما قال ، فقال : إنه لقليلُ الإبقاء على أبيه .

---

(١) السحبل : الضخم .

(٢) أرمل ، من الرملة ، بالضم ، وأصلها الخط الأسود فى الثور والغزال ونحوهما ، أراد به طرائق الريش . ورواية البيت فى اللسان (١٣ : ٣١٦ ، ٣٥٣) : « رعى الربيع والشتاء أرملا » . وقد فسر الأرمل في الموضع الأول بأنه الذى لا أنثى له ، ليكون سميناً .

(٣) لم أهتد إلى الموضع الذي يشير إليه الجاحظ . ولعله مما سقط من الكتاب .

(٤) النواء ، هذه النسبة إلى بيع النواة . وجرت عادة أهل المدينة أنهم يبيعون النواة ويعلفون بها . انظر أنساب السمعانى ٥٦٩ . وفى التاج : « النواء كشداد من يبيع نوى التمر . واشتهر به جماعة من المحدثين » . فيما عدا ل : « النوا » بطرح الهمزة .

(٥) ط : « ممتوعا » بالتاء ، ولا وجه له . وفى ل : « بعشر سنين » . أراد : ليته كان عاجزا عن هذه المغامرات .

(٦) هو حسن بن حسن بن على بن أبى طالب . وفيه وفى أخيه زيد ينحصر عقب والدهما الحسن بن على . ط ، س : « حسن بن حسين » تحريف . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٨ والمعارف ٩٢ — ٩٣ .

قال : وبلغ الخبرُ المختارَ فقال : أيُضَرِّبُ[١] بينَ ابنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! لأقتلنَّه ! فتواريت ما شاء الله ، ثم لم أشعر[٢] إلا وأنا بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أمكنَنى منك ! [قال] فقلت : أنتَ استمكنْتَ منِّى ؟ أمَا والله لولا رؤيا رأيتها لمَا قدَرْتَ علىّ ! قال : ومارأيت ؟ فقلتُ : رأيتُ عثمان بن عفان[٣] فقلت : أنت عثمانُ بنُ عفان ؟ فقال : أنا جُبَارى ، تركتُ أصحابى حَيَارى ، لايهود ولا نصارى !

فقال : ياأهل الكوفة انظروا إلى ما أرى اللهُ عدُوَّكم ! ثم خلَّى سبيلى.

[وقد رُوى هذا الكلامُ عن شُتَيْر بن شَكَل[٤] ، أنه رأى معاويةَ فى النوم فقال الكلامَ الذى رُوى عن عثمان] .

ووجهُ كلامِ علىِّ بن الحسين الذى رواه عنه سعيدٌ النواء[٥] ، إنْ كان صادقاً فإنه للذى كان يسمعُ من الغالية[٦] ، من الإفراط والغُلوِّ والفُحْش . فكأنه[٧] إنما أرادَ كسرهم ، وأن يحُطَّهم عن الغلوّ إلى القَصْد[٨] ؛ ١٣٥

---

(١) يضرب ، من التضريب ، وهو التحريض . انظر اللسان (٢ : ٣٩ س ١٠) .
(٢) ل : « ثم لم يشعر » .
(٣) ل : « قلت رأيت عثمان » مع حذف « ابن عفان » فى هذا الموضع وتاليه .
(٤) شتير ، بهيئة التصغير أوله شين وتاء . وشكل بالتحريك . وهو محدث تابعى ، وذكر بعضهم أنه أدرك النبى . وفى الإصابة : « وهو وأبوه لا نظير لهما فى الأسماء » . لكن ذكر صاحب القاموس « شتير بن نهار » من التابعين أيضاً . ولشتير رواية عن ابن مسعود وحذيفة وعلى وغيرهم . وكنيته أبو عيسى ، وروى عنه الشعبى وأبو الضحى وبلال بن يحيى وغيرهم . ومات فى ولاية الزبير أو معصب بن الزبير . انظر القاموس (شتر ، شكل) والإصابة ٣٩٤٧ . وأما والده « شكل » فهو ابن حميد العبسى صحابى ممن نزل الكوفة . انظر الإصابة ٣٩١٢ . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « شنير بن شكل » تحريف .
(٥) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . فيما عدا ل : « النوا » .
(٦) الغالية والغلاة : الذين يغلون ويبالغون فى شأن على وآله .
(٧) ل : « وكأنه » .
(٨) القصد : الاعتدال . والغلو : تجاوز الحد . ط : « العلو » تحريف .

فإن دين الله عز وجل بَيْنَ التقصير[1] [والغلوّ] وإلا فعليُّ بنُ الحسين أفْقَهُ في الدين ، وأعلمُ بمواضع الإمامة ، من أن يخفَى عليه [فضل[2]] مابين عليٍّ و[بين] طلحةَ والزُّبير .

(شعر ومعرفة في الحبارى)

وقال الكُميت :

وعيدَ الحُبارَى من بعيد تنفّشَتْ لأزْرَقَ مَغْلُولِ الأظافيرِ بالخضْبِ[3]

والحبارى طائرٌ حسن . وقد يُتّخَذُ في الدور .

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقريش يستطيبون مَحْشِيّ[4] الحُبارَى جدًّا .

قال : والحُبارى [من[5]] أشدّ الطير طيراناً ، وأبعدها مَسْقَطاً[6] ، وأطولها شوْطاً ، وأقلّها عُرْجة[7] . وذلك أنها تُصْطاد[8] بظهر البَصرة

---

(١) ط ، هـ : « القصد » س : « التقصد » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) الفضل ، بالمعجمة : الزيادة . وهذا الإكمال من ل ، س .

(٣) وعيد الحبارى ، يضرب مثلا للضعيف يتوعد القوى ، ومن أمثال العرب : « وعيد الحباري الصقر » . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ والميدانى (٢ : ٢٨٩) . وذلك أن الحبارى تقف للصقر وتحاربه ولا سلاح لها ، وربما ذرقته . تنفشت : نفشت ريشها . فيما عدا ل : « تنفست » تحريف . والأزرق : البازى ، أو العقاب أو الزرق . انظر ص ٣٣٠ . المغلول ، من قولهم غل شعره بالطيب أدخله فيه . فيما عدا ل : « معلول » عله : سقاه مرة بعد أخرى . والخضب : مصدر خضبه بالخضاب ، عنى به دماء ما يقتنص من الحيوان . ل : « بالخصب » .

(٤) كذا في ل . وفيما عداها : « محشو » . وانظر ما سبق في (١ : ٢٢٥) .

(٥) هذه الزيادة من ل ، س .

(٦) المسقط ، بفتح القاف : السقوط . وبفتحها وكسرها : مسقط الرأس والمولد . فيما عدا ل : « سقطا » تحريف .

(٧) العرجة ، بالضم والفتح ، والتحريك : أن تعرج على المنزل وتحتبس .

(٨) ط ، س : « تصاد » .

عندنا ، فيشقّق[1] عن حواصلها ، فيوجد فيه الحبّة الخضراء[2] غَضّةً ، لم تتغير ولم تفسُد .

وأشجار البُطُم[3] وهى الحبّة الخضراء[4] بعيدةُ المنابت [مِنّا] . وهى عُلْوية أو ثَغْرِيّة[5] ، أو جَبَلِيّة . فقال الشاعر[6]

ترتعى الضّرْوَ من بَرَاقش أو هيلا ... ن أو يانعاً من العُتْمِ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فيشق » .

(٢) سه : « حبة الخضراء » تحريف .

(٣) البطم ، بالضم وبضمتين . وفى اللسان : « وأهل اليمن يسمونها الضرو . والبطم : الحبة الخضراء عند أهل العالية » . وهوشجر فى حجم الفستق والبلوط ، سبط الأوراق والحطب يكثر بالجبال ، وحبه مفرطح فى عناقيد كالفلفل ، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبي يحوى اللب كالفستق .

(٤) فيما عدا ل : « وهى حبة الخضراء » وفى اللسان (١٩ : ٢١٨ س ١٣) : « حبة الخضراء » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) علوية : نسبة إلى عالية نجد ، وهو ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة . وما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . وثغرية : نسبة إلى الثغر . وهو واحد ثغور الشام . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) : « ومنابتها جبال الثغور الشامية » . فيما عدا ل : « عودية » تحريف .

(٦) هو النابغة الجعدى ، كما فى الأغانى (٦ : ٦٤ — ٦٥) ومعجم البلدان (براقش ؛ هيلان) وإكليل الهمداني مطبوعة الأب أنستاس ١٢٥ واللسان (١٥ : ٢٧٦ ، ١٩ : ٢١٨ ، ١٤ : ٢٤٠ ، ٨ : ١٥٣) . وانظر رسالة الغفران ٤٠ والقالى (١ : ١٧٣) وشمس العلوم ٦٥ ، ١١٢ .

(٧) ترتعي ، كذا جاءت الرواية . وصوابهما : « يَسْتَنُّ » أى يستاك ، كما فى الأغاني وشمس العلوم فى الموضعين . أو « يُسَنُّ » أى يصقل ويسوك ، فى اللسان (١٤ : ٢٤٠) ورسالة الغفران . وذلك لأن قبله :

كأن فاها إذا تبسم عن ... طيب مشم وطيب مبتسم

كما فى الأغانى . وفى اللسان (١٤ : ٢٤٠) مثله برواية :

كأن فاها إذا توسن من ... طيب مشم وحسن مبتسم

وفى سائر المصادر « تستن » وصحة هذه الرواية مبنية على رواية بيت بين البيتين وفيه خبر كأن ، وهو كما فى اللآلى ٤٣١ والألفاظ ٦٣١ :

ركب فى السام والزبيب أقا ... حى كثيب تندى من الرهم

والضرو ، بفتح الضاد وكسرها . فيما عدا ل : « الشرى » تحريف . وفى سائر =

[شجر الزيتون[١]] . والضَّرو[٢] شجر البُطْم ، وهى الحبّة الخضراء[٣] بالجبال شجرتها[٤] . وقال الكَوْدَن العِجْلِيّ[٥] ، [ويروى العُكْلى] : « البطم لا يعرفه أهل الجَلْس[٦] » وبلاد نجد هى الجلس[٧] ، [و] هو ما ارتفع . والغور هو[٨] ما انخفض . وبَرَاقِشُ : واد باليمن ، كان لقوم عاد . وبراقشُ : كلبةٌ كانت تتشاءم بها العرب[٩] . وقال حمزة بنُ بيض[١٠] :

= المصادر : « بالضرو » . وبراقش ، بالفتح وكسر القاف : مخفد من مخافد اليمن . وهيلان ، بالفتح : جبل باليمن مطل على مأرِب من المغرب وعلى براقش والجوف من اليمن . انظر شمس العلوم والإكليل . ويانعاً : ناضراً ، هى فيما عدا ل : « تابعاً » تحريف . وفى الأغاني ومعجم البلدان : « يانع » وفى سائر المصادر : « ناضر » . والعتم ، بضم أو بضمتين أو بالتحريك ، الأخيرة عن اللسان ، وهو الزيتون البرى . وفى حديث أبى زيد الغافقى : « الأسوكة ثلاثة : أراك ، فإن لم يكن فعتم أو بطم » فيما عدا ل : « الغنم » تحريف . وفى شمس العلوم : « السلم » وفى الأغانى : « العنم » هذه محرفة . وفى اللسان (١٩ : ٢١٨) : « ويروى : أو ضامر من العتم » . أقول : هى رواية المعرى فى رسالة الغفران .

(١) هذا تفسير للعتم . وهو وجه فى تفسيره . والوجه الأخر ما أسلفت فى التنبيه السابق .

(٢) فيما عدا ل : « الشرى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « حبة الخضراء » وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . والكلام من : « وهى الحبة الخضراء » إلى كلمة : « البطم » التالية ساقط من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « الكوذن » بالذال المعجمة . والمعروف فى أعلامهم بالمهملة انظر اللسان .

(٦) الجلس ، بفتح الجيم . س : «الحلس» تحريف .

(٧) ط ، هـ : « وبلاد نجد والجلس » س : « والحلس » صوابهما فى ل .

(٨) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٩) انظر لخبر براقش إكليل الهمدانى ١٢٦ وأمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) .

(١٠) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . ولم يدرك الدولة العباسية . الأغانى (١٥ : ١٤ — ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و« بيض » بكسر الباء ، وضبطه الحافظ بالفتح ، وقال الفراء : « البيض : جمع أبيض » وهو الصواب . انظر تاج العروس (٥ : ١٤ — ١٥) ويشهد لصحة الضبط بالكسر قول السحيمى له ، كما فى الأغانى =

بل جناها أخٌ عَلَيَّ كريم   وعلى أهلها بَرَاقِشُ تجنى[1]

القول فى الضأن والمعز

قال صاحب الضَّأن : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾[2] فقدَّم ذِكرَ الضأن .

وقال عز وجل : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ[3] ﴾ . وقد أجمعوا على أنه كبشٌ . ولا شيء أعظمُ مما عظَّم الله عز وجلَّ ، [ومِنْ شيء فُدِيَ به نبيٌّ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ[4] ﴾ ولم يقل إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ عَنْزاً ولى عنزٌ واحدة[5] ؛ لأن الناس يقولون كيف النعجة ؟ يريدون الزوجة .

وتسمى المها مِنْ[6] بقَرِ الوحش نعاجاً[7] ولم تسمَّ بعُنُوز . وجَعلهُ[8] الله عزوجل السنَّةَ فى الأضاحى . والكبشُ للعقيقة[9] وهديَّة العُرْس

= (١٥ : ١٧) والبيان (٣ : ٢٣٧ — ٢٣٨) :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره   حقاً يقينا ولكن من أبو بيض
إن كنت أنبضت لى قوسا لترمينى   فقد رميتك رميا غير تنبيض

ط ، هـ : « حدة » صوابه بالزاى كما فى ل ، س .

(١) فيما عدا ل : « هل جناها » وهو تحريف ، إذ أن قبله ، كما فى أمثال الميدانى :

لم تكن عن جناية لحقتنى   لا يسارى ولا يمينى رمتنى

(٢) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة الصافات . وانظر للذبيح ما كتبت فى (٤ : ٨٤) .

(٤) من الآية ٢٣ فى سورة ص . وكلمة « هذا » ساقطة من ط ، س .

(٥) كلمة : « هذا » ساقطة من ط ، هـ . وفيما عدا ل : « واحد » بدل : « واحدة » تحريف .

(٦) هـ : « وتسمى المهاة » س : « والمهاة » وأثبت ما فى ل ، ط .

(٧) ط ، هـ : « نعجة ونعاجا » س « نعجة ونعاج » وفيهما إقحام وتحريف .

(٨) أي جعل الضأن . فيما عدا ل : « وجعل » تحريف .

(٩) العقيقة : ما يذبح يوم حلق الشعر الذى يولد به الطفل . وفى الحديث أن رسول =

وجعلَ الجذَعَ من الضأن كالثّنِىِّ من المعز[1] فى الأُضْحِيَة .

١٣٦ وهذا ما فضَّل الله[2] به الضأن فى الكتاب والسُّنّة .

(فضل الضأن على المعز)

تولّد[3] الضأنُ مرة فى السّنَة ، وتفْرِد ولا تُتْئِم . والماعزة [قد] تولد[3] مرتين ، وقد تضعُ الثلاثَ وأكثرَ وأقلَّ .

والبركة والنَّماء والعددُ فى الضأن ، والخنزيرةُ كثيرةُ الخنانيص[4] . يقال إنها تلد[5] عشرينَ خِنَّوصاً . ولا نماء فيها[6] .

قال : وفضل الضأن على المعز أن الصوف أغلى وأثمنُ وأكثرُ قدراً من الشعر . والمثلُ السائر : «إنما فلانٌ كبشٌ من الكِباش» . وإذا هجَوه

= الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى العقيقة عن الغلام شاتان مثلان ، وعن الجارية شاة ». انظر اللسان . والشاة : الواحدة من الغنم يكون للذكر والأنثى . وانظر البخارى (٧ : ٨٤) وجمع الفوائد (١ : ٢١٠ — ٢١٢) .

(١) الجذع ، بالتحريك : يكون إجذاعه من ستة أشهر إلى عشرة . والثنى من المعز : ما كان فى الثالثة .

(٢) فيما عدا ل : « فهذا ما فضل الله عزوجل » .

(٣) ط : « تلد » تحريف ، لا يقال ولدت الشاة بمعنى وضعت . وإنما يقال وَلَّدتها وأولدت هى . انظر هذا الجزء ص ١٤٥ ساسى واللسان (٤ : ٤٨٥ س ١٠) . وإذا قالوا شاة والد أو والدة فإنهم يعنون أنها حامل ، أو بينة الولاد قد عرف منها كثرة النتاج . وجاءت الكلمة على الصواب الذى يراه الجاحظ فى سائر النسخ ، وبالضبط الذى أثبت فى ل فقط . فيصح أن تقرأ : « تولد » ، أولدت هى . ويبدو لى أن هذا قول لبعض اللغويين ، وإلا ففى اللسان (٤ : ٤٨٣ س ١٥) : « وكل حامل تلد » . وانظر المخصص (٧ : ١٧٨ — ١٧٩) .

(٤) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير .

(٥) فيما عدا ل : « تلد » وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) أراد أنها مع كثرة ما تضع لا يبقى من ولدها إلا القليل . فيما عدا ل : « لها » وفى العقد (٤ : ٢٥٧) : « ولا نماء فيها ولا بركة » .

قالوا : « إنما هو تيسٌ [من التيوس] » إذا أرادوا النتن [أيضاً] . فإذا أرادوا الغاية فى الغباوةِ قالوا : « ماهو إلا تيسٌ فى سفينة! [١] » .

والحُمْلانُ يلعبُ بها الصبيان ، والجداء لا يُلعبُ بها. ولبنُ الضأن أطيبُ وأخثَرُ [٢] وأدسم ، وزُبْدُه أكثر . ورؤوس الضأن المشويّةُ هى الطيبة المفضلة ، ورؤوس المعْز ليس عندها طائل .

ويقال رؤوس الحملان ، ولا يقال رؤوس العِرْضان [٣] .

ويقال لِلُّوطىِّ [٤] الذى يلعب بالحُدَّر [٥] من أولاد الناس : « هو يأكل رؤوس الحملان ! » [٦] ؛ لمكان ألية الحمل ، ولأنه أخدل وأرطب [٧] . ولم يقولوا فى الكناية والتعريض : هو يأكل رؤوس العِرضان .

والشِّواء المنعوتُ شِواء الضأن ، وشحمُه يصير كلُّه إهالةً [٨] أوّلُه وآخرُه . والمعْــز [٩] يبقى شحمُه على حاله ، وكذلك لحمُه . ولذلك صار الخبّازون [١٠] الحُذّاقُ قدتركوا الضأن ؛ لأن المعْز يبقى شحمه ولحمه ، فيصلح

---

(١) انظر ما سبق فى (٢ : ١٥٠) . وقد سار المثل بهذا فى شعر أبى الشمقمق يهجو بشارا (انظر الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩) :

إن بشار بن برد تيس أعمى فى سفينه

(٢) الخثورة : نقيض الرقة . ل : « أخثر وأطيب » .

(٣) العرضان ، بالكسر : جمع العريض ، وهو الجدى أتى عليه نحو سنة . والكلمة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزطي » تحريف .

(٥) الحدر ، كركع : جمع حادر ، وهو الغلام الجميل الصبيح ، والسمين الغليظ . وفى اللسان (٥ : ٢٤٤) أنه يجمع على حدرة . فيما عدا ل : « الحرب » تحريف .

(٦) فى كنايات الثعالبى ٢٥ : « فلان يحب الحملان ويبغض النعاج » وأنشد لأبى نواس :

إنى امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبنى من نتاجها الحمل

(٧) الخدل : العظيم الممتلئ . فيما عدا ل : « أجزل » محرف .

(٨) الإهالة ، بالكسر : ما أذيب من الألية والشحم . فيما عدا ل : « إهالة واحدة » .

(٩) ط فقط : « العنز » صوابه فى سائر النسخ .

(١٠) المراد بالخبازين هنا الطهاة الذين يجمعون بين الخبز والطهو . وسبق فى (٤ : =

لأنْ يسخَّن مراتٍ[(١)] ، فيكونَ أربحَ لأصحاب العُرس .

والكباشُ للهدايا وللنطاح[(٢)] . فتلك فضيلةٌ فى النجدة و [فى] الثقافة[(٣)] وَمن الملوك من يُرَاهِنُ عليها[(٤)] ، ويضع السَّبَق عليها[(٥)] ، كما يراهن على الخيل .

والكبشُ الكراز[(٦)] يحمل الراعىَ وأداةَ الراعى . وهو له كالحمار فى الوقير[(٧)] . ويعيش [الكرّازُ] عشرين سنة .

وإذا[(٨)] شَبِقَ الراعى وَاغتلم اختارَ النعجة على العنز . وإذا نعتوا شكلاً من أشكال مشى البراذِين[(٩)] [الفُرَّهِ[(١٠)]] قالوا : هو يمشى مشْى النِّعاج.

= ٧٦) قول الجاحظ : « والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً . وتسميه خبازا إذا كان يطبخ ويعجن » وفى البخلاء ١٢٣ — ١٢٤ : « وقرب خباز أسد بن عبد الله إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد نضجه نضجاً » . وفى التاج للجاحظ ١٧٣ : ثم يأتيه الخباز بالبزماورد » . وانظر تحقيق العلامة أحمد زكى باشا فى ص ٢٠٩ ، وتحقيقاتى فى (كليلة ودمنة) فى مجلة الرسالة العدد ٤٢٨ .

(١) فيما عدا ل : « فيصلح أن يسمن مرات » تحريف .

(٢) النطاح ، يشير به إلى اللعب بالكباش والتقامر بنطاحها . انظر (٢ : ٣٦٧ س ٣) فيما عدا ل : « النكاح » محرف .

(٣) الثقافة : الحذق والفطنة والخفة .

(٤) يراهن ، من المراهنة . ط فقط : « براهن » بالباء الموحدة ، تحريف .

(٥) السبق بالتحريك : الخطر الذي يوضع بين أهل السباق . ل : « عنها » .

(٦) الكراز ، كشداد : الذي يضع عليه الراعى كرزه فيحمله ، ويكون أمام القوم ؛ ولا يكون إلا أجم ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح . انظر اللسان . والكرز ، بالضم : الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . فيما عدا ل : « الكزاز » بزاءين ، محرف .

(٧) الوقير ، كأمير ، قال الرمادى : « دخلت على الأصمعى فى مرضه الذي مات فيه فقلت : يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابني بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها ، لا يكون وقيرا إلا كذلك » . فيما عدا ل : « الرفق » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « فإذا » ووجهه بالواو .

(٩) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ، ما كان من غير نتاج العراب . ط فقط : « البرازين » بالزاى ، تحريف .

(١٠) الفره ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى .

وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا[1] ﴾ فقدّم الصُّوف .

والبُخْت هى ضأنُ الإبل[2] ، منها الجمّازات[3] . والجواميس هى ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية : « كاوْماش[4] » .

وَلا يُذْكَرُ الماعزُ بفضيلةٍ إلا ارتفاعَ[5] ثمن جلده ، وغَزَارةَ لبَنه . فإذا صِرْتَ إلى عددِ كثرة النِّعاج[6] وجلودِ النعاج والضأن كلّها أَرْبَى ذلك على ما يفضُلُ به الماعزُ الضأن فى ثمنِ الجلد ، وَالغُزْر[7] فى اللبن .

(قول ابنة الخس ودغفل فى المعز)

وقيل لابنة الُخسّ : ما تقولين فى مائة من المعز؟ قالت : قِنًى[8] !

---

(١) من الآية ٨٠ فى سورة النحل . ولفظ : (وأشعارها) من ل فقط .

(٢) البخت ، بالضم : الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . والفالج : البعير ذو السنامين . اختلف فى عربيتها ، فقال بعضهم : « أعجمى معرب » . ل : « من ضأن الإبل » .

(٣) الجمازات ، جمع جمازة : وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤) .

(٤) هى « كاوميش » بالجاف الفارسية . « كاو » بمعنى البقر . وميش ، بكسر الميم كسر إمالة ، ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف ، ومعنى « ميش » الضأن A sheed كما فى معجم استينجاس ١٣٦٢ ، وكما يفهم من عبارة الجاحظ . وانظر المعرب ١٠٤ ومقدمة المعرب ٧ . ومن ذلك تفهم أن العلامة الدكتور عزام قد شاركنى عدم التوفيق فى تخريج الكلمة ، فلماذا ارتضى « النعجة » مع أن « الكبش » من الضأن كان أولى بأن يخرج عليه ؟ ولا ريب أن الجاموس أشبه بالكباش منه بالنعاج ، لكبر قرونه وعظامة جثته .

(٥) فيما عدا ل : « إلا بانتفاخ » وهو تحريف فكه .

(٦) كذا فى الأصل .

(٧) الغزر ، بالضم والفتح : كثرة الدر .

(٨) قنى ، بكسر ففتح : جمع قنية ، بالكسر والضم ، وهو ما اكتسب . ط ، س « فناء » ه : صوابهما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٣ — ٨٤) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

قيل : فمائة من الضأن[1] ؟ قالت : غِنًى[1] . قيل: فمائة من الإبل .
قالت : مُنًى !

وسئل دَغْفل بن حنظلة[3] عن بنى مخزوم ، فقال: مِعْزَى مَطيرة[4] ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المغيرة ؛ فإن فيهم تشادُقَ الكلام ، ومصاهرة الكرام[5] .

(ماقيل من الأمثال فى العنز)

١٣٧ وتقول العرب : لهو أصْرَدُ من عَنْز جَرْباء[6] ! » . وتقول العرب : العنز تُبْهِى ولا تُبْنِى[7] » لأن العنز[8] تصعَدُ على ظهور الأخْبِيةِ

---

(١) فيما عدا ل : « الضأن » مع إبدال كلمة : « الإبل » التالية بكلمة : « الضأن » تحريف صوابه فى ل والمرجعين السابقين .

(٢) سه فقط : « غنا » تحريف .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٩) . ط : « عيل بن حنظلة » سه : «عبل » ه : «دعبل» ، صوابهما فى ل والمرجعين السالفين والبيان (١٠ : ٩٤) .

(٤) فى القاموس : « والمعزى قد يؤنث وقد يمنع » . مطيرة : أصابها المطر .

(٥) ل فقط : « ومصاهرة الكتاب » تحريف .

(٦) أصرد : من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لا تدفأ لقلة شعرها ورقة جلدها ، فالبرد أضر لها . فيما عدا ل : « من عين » تصحيف . ط ، ه : « حرباء » بالحاء ، تصحيف أيضاً . والمثل على الصواب الذي أثبت فى أمثال الميدانى (١ : ٣٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . وانظر فى الأمثال ما قيل في: « أصرد من عين الحرباء » بالحاء . وسيأتى فى (٦ : ١٦) : « أصرد من حية جرباء » .

(٧) تبهى ، من أبهى البيت خرقه . وتبنى من أبنى أي أعان على البناء . وفى اللسان : « الأزهرى : والمعزى فى بادية العرب ضربان : ضرب منها جرد لا شعر عليها ، مثل معزى الحجاز والغور ، والمعزى التى ترعى نجود البلاد البعيدة من الريف كذلك . ومنها ضرب يألف الريف ، ويزجن – لعله يدجن – حوالى القرى الكثيرة المياه يطول شعرها ، مثل معزى الأكراد بناحية الجبل ونواحي خراسان . وكأن المثل لبادية الحجاز وعالية نجد » . وفيه : « وقال القتيبى فيما رد على أبي عبيدة : رأيت بيوت الأعراب فى كثير من المواضع مسواة من شعر المعزى » . ونص المثل فى اللسان (بنى ، بهو) : « إن المعزى تبهى ولا تبنى » . وعند الميداني وكذا فى البلغة ١٢٦ — ١٢٧ مثله مع حذف « إن » . وانظر جمهرة العسكرى ١٨٦ والخصائص (١ : ٣٧) . و « تبهى » جاءت فى ط محرفة برسم : « تهدم » و ه : «تبنى» و سه : « تهمى » . والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح .

(٨) ل : « لأنها » سه : « لأن المعز » .

فتقطعها بأظلافها ، والنعجةَ لاتفعل ذلك .

هذا . و بيوتُ الأعرابِ إنما تُعْمَلُ من الصوف والوَبَر[1] ، فليس للماعز فيها معونة ، وهى تخرِّقها . وقال الأول[2] :

لو نزَلَ الغيثُ لأَبْنَيْنَ امرأً كانت له قُبَّةٌ ، سَحْقَ بِجادِ[3]

أبناه : إذا جعل له بناء[4] . وأبنية العرب : خيامهم . ولذلك يقولون : بنى فلانٌ على امرأته البارحة .

(ضرر لحم الماعز)

وقال [لى] شمْئون الطبيب[5] : ياأبا عثمان ، إياك ولحم الماعز ؛ فإنه يورثُ الهمَّ ، ويحرِّك السّوداء ، ويورثُ النِّسيان ، ويُفسدُ الدمَ ، وهو والله يخبِّل الأولاد !

---

(١) انظر الرد على هذا في التنبيه رقم ٧ من الصفحة السابقة .

(٢) انظر المخصص (٥ : ١٢٢) والخصائص (١ : ٣٦) وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٠٦) واللسان (٩ : ٤ و١٨ : ١٠٢) .

(٣) الرواية فى المراجع السالفة : « لووصل الغيث » أى لو اتصل وتتابع . والقبة : البيت من الأدم خاصة . السحق ، بالفتح : الخلق . والبجاد ، بالكسر : كساء مخطط . يقول : لو غثنا لأمرعنا وأخصبنا فأشرنا وأغرنا ، فجعلت خيلنا هذا الرجل العزيز الذى كان يسكن في قبة من أدم ، يأوى ، إلى خباء من سحق كساء ، وذلك لشدة الإغارة وما يكون فيها من نهب . وقيل معناه : أن هذه الخيل لو سمنها الغيث بما ينبت لها لأغرت بها على ذوى القباب فأخذت قبابهم حتى تكون البجد أبنية لهم بعدها . ضمير : « أبنين » للخيل . و : « سحق » مفعول ثان لأبنين . ط : « لا بنى » ه : « لأسى » س : « لأبنى » صوابها فى ل . وفى المراجع : «أبنين» بطرح اللام . ه ، س : « وسحق » بإقحام الواو ، تحريف . ه : « نجاذ » تحريف أيضاً .

(٤) ط ، ه : « إنما أراد لجعل له بناد » صوابهما فى ل .

(٥) شمئون الطبيب ، لم أجد له ترجمة إلا فيما يروى الجاحظ عنه . وقد سبقت رواية الجاحظ عنه فى (٣ : ٨ — ٩) . فيما عدا ل : « جشمون » تحريف .

وقال الكلابىُّ[1] « العنُوق بعد النُّوق[2] » ولم يقل : الحَمَل بعد الجمل .

وقال عمرُو بن العاص[3] للشيخ الجهنىّ المعترض عليه فى شأن الحكمين : وما أنتَ والكلامَ[4] ياتيس جُهينة ؟ ! [ولم يقلْ يا كبشَ جُهينة] ؛ لأن الكبشَ مدحٌ[5] والتَّيسَ ذمٌّ[6] .

وأما قوله « إن الظِّلف لا يُرَى مع الخفّ » فالبقرُ والجواميس والضأنُ والمعْز فى ذلك سواء .

[قال] : وأُتِىَ عبدُ الملك بن مرْوَانَ فى دخوله الكوفةَ على موائد بالجِداء[7] ، فقال : فأين أنتم عن العماريس[8] ؟ فقيل له : عماريس الشّأم أطيب !

وفى المثل : « لهو أذَلُّ من النقَد » . والنقَد هو المعز[9] . وقال الكذّابُ الحِرْمازىُّ[10] :

---

(١) ط « الكلافى » هـ : « الكلانى » بالإهمال ، صوابهما فى ل ، سه .

(٢) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر . ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الميداني (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

(٣) فيما عدا ل : « العاصى » وانظر ما أسلفت من تحقيق فى التنبيه السابق ص ٢٩٥ .

(٤) فيما عدا ل : « والحكمين » .

(٥) انظر المفضليات (١٧ : ١٤ و٤١ : ٢٢ طبع المعارف) .

(٦) هذه العبارة من قول عمرو بن العاص فيما يظهر .

(٧) الجداء : جمع جدى . و « على موائد » ساقطتان من ل .

(٨) العماريس : جمع عمروس ، بالضم ، وهو الجدي ، لغة شامية ، كما فى اللسان . وفيه أيضاً : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! » .

(٩) هذا التفسير انفرد به الجاحظ . وأعرف الأقوال فى النقد أنه جنس من الغنم قصار الأوجه قباح الوجوه تكون بالبحرين . انظر اللسان (٤ : ٤٣٧) والميدانى (٢ : ٢٦٠) .

(١٠) سبق الرجز ومراجعه فى (٣ : ٤٨٤) وانظر أيضاً الأزمنة للمرزوق (٢ : ٢٧٧) وفيه نسبة الرجز للعين المنقري .

لو كنتمُ قولاً لكنتمُ فَنَدَا[1] أو كنتمُ ماء لكنتمُ زَبَدَا
أو كنتمُ شاء لكنتم نَقَدَا [أو كنتم عوداً لكنتم عُقَدا]

(اشتقاق الأسماء من الكبش)

قال : والمرأة تسمى كَبْشَةَ ، وكُبَيْشة . والرجل يكنى أبا كَبْشة ، وقال أبو قُردُودة :

كُبيشة إذ حاولت أن تَبِينَ يستبقُ الدَّمعُ منى استباقا[2]
وقامت تُريكَ غَداةَ الفِراقِ كَشْحاً لطيفاً وفَخْذاً وساقا[3]
ومُنْسَدِلاً كمثانى الحبالِ تُوسِعه زَنْبَقاً أو خِلاقا[4]

[وأول هذه القصيدة

كُبيشة عِرْسى تريد الطلاقا وتسألُنى بعد وهنٍ فراقا]

---

(١) الفند ، بالتحريك : الكذب .

(٢) ط ، هـ : «إذا حاولت تستبين» س : « إذ حاولت تستبق يستبق » صوابهما فى ل .

(٣) الكشح : الخصر اللطيف الدقيق . ل : «كفا لطيفاً » . واستعمال « الكف » مذكراً لغة ضعيفة . انظر ما أسلفت فى ص ٢٢١ .

(٤) منسدلا : مسترسلا ، عنى شعرها . والمثانى : جمع مثناة وهو الحبل . والزنبق : دهن الياسمين ، قال الأزهرى : « وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق » . مأخوذ من « زَنْبَه » الفارسية بمعنى الورد الأبيض . انظر استينجاس ٢٦٣ ، ٢٦٤ . ولم يتعرض أحد لهذا التأصيل فى المعاجم وكتب المعرب . توسعه : تبالغ فى دهنه . والأصل فيه : « أوسعه الشىء : جعله يسعه » . قال امرؤ القيس :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى

والخلاق ، بالكسر : ضرب من الطيب ، وهو الخلوق بالفتح . وروايته فى اللسان (١١ . ٣٧٩) : « ومنسدلا كقرون العروس » . ط ، هـ : «ترشفه» س « ترشقه » صوابهما فى ل واللسان . وفيما عدا ل : « حلاقا » بالمهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى ل ، واللسان .

(قول القصاص فى تفضيل الكبش على التيس)

وقال بعض القُصّاص : ومما فضل الله عز وجل به الكبْش أن جعله مستورَ العورة من قُبُلٍ ومن دبُر ، وممّا أهان الله تعالى به التيسَ أن جعله مهتوكَ الستر ، مكشوف القبُل والدُّبُر [1] .

(التيس فى الهجاء)

وقال حسّانُ بن ثابتٍ الأنصارىُّ :

سأَلت قريشاً كلها فشرارُها ‏ ‏ بنوعامر شاهتْ وجوهُ الأعابدِ [2]

إذا جلسوا وسْطَ النَّدِىِّ تجاوبوا ‏ ‏ تجاوُبَ عِتْدَانِ الربيع السَّوافدِ [3]

١٣٨ وقال آخر [4] :

أعثمانُ بنُ حَيّانَ بنِ أدم ‏ ‏ عَتودٌ فى مَفارِقه يبولُ [5]

---

(١) فيما عدا ل : « الدبر والقبل » وأثبت ما فى ل والعقد (٤ : ٥٨ ٢) وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٢) بنوعامر ، لعله يعنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر . والنضر هو أبو قريش كلها . فيما عدا ل : « بنوعائد » تحريف . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر اللسان (٤ : ٢٦٠ س ٥) . فيما عدا ل : « الأعائد » تحريف .

(٣) الندي : النادى ، وهو مجلس القوم . والعتدان ، بالكسر : جمع عتود ، بالفتح ، وهو الجدى الذى قد بلغ السفاد . ويدغم كثيراً فيقال : « عِدّان » . وأنشد أبو زيد :

واذكر غدانة عدانا مزنمة ‏ ‏ من الحبلق تبنى حولها الصير

ل : « عبدان » س ، هـ « عيدان » صوابهما ما أثبت من ط . والشعر فى الديوان ١٥٢ .

(٤) هو المرار الفقعسي كما فى اللسان (١٦ : ٦٢ س ٩ — ١٠) وهو المرار بن سعيد بن حبيب . شاعر إسلامى كثير الشعر . انظر المؤتلف ١٧٦ والمرزباني ٤٠٨ .

(٥) عثمان بن حيان ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، ==

ولو أنى أشاء قد ارفأنّت   نعامَتُه ويعلمُ ما أقولُ[1]

وقال الشاعر :

سُمِّيتَ زَيداً كى تزيد فلم تَزِد   فعادَ لك المسمى فسَمَّاك بالقَحْر[2]

وما القحرُ إلا التيسُ يعتك بَولُه   عليه ويمذى فى اللّبان وفى النَّحْر[3]

(نتن التُّيوس)

فالتَّيس كالكلب ؛ [لأنه] يقزَحُ ببوله[4] ، فيريدُ به حاقَّ خَيشومه[5] . وبول التَّيس [من] أخثَرِ البَولِ وأنتنِه ، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها ينتهى

= ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ . انظر الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢). وكان المرار قد طرد طريدة فأخذ معها ،وهو يبيعها بوادى القرى ، أو ببرمة ، فرفع أمره إلى عثمان بن حيان فحبسه . الأغاني (٩ : ١٥٤) .

(١) ارفأنت نعامته : سكنت بعد غضب . ويكنون بالنعامة عن الجهل ، ويقولون : « شالت نعامته و : « ارفأنت نعامته » أي سكن بعد غضبه . انظر اللسان (١٣ : ٤٠٠ س ٣ و ١٦ : ٦٢ س ١٠) . والرواية فيما عدا ل : « ولو أنى أشافهه لشالت » . ورواية سائر البيت فى اللسان : « وأبغض ما أقول » . وقد سبق البيتان محرفين فى (١ : ٢٣٠) .

(٢) القحر: البعير المسن . فيما عدا ل : « بالفجر » تحريف. ورواية صدر البيت فيما عدا ل : « تسمى يزيد كى يزيد فلم يزد». وسبق فى (١ : ٣٣٠) : « دعيت يزيد كى تزيد فلم تزد » وفى ط ، س : « ففألك المسمى » هـ : « فقالك المسمى » صوابهما فى ل .

(٣) يعتك عليه : يغلبه ، من قولهم: عتكت المرأة على أبيها: عصته وغلبته . فيما عدا ل : « وما العى إلا التيس بعبر » تحريف . ويمذى من المذى . فيما عدا ل : « يهذى فى لبان وفى نحر » محرف .

(٤) يقزح بالقاف والزاى : أى يرمى به أو يرسله دفعاً . ل : « يقرح » وفيما عدا ل : « يفرح » صوابها ما أثبت .

(٥) الحاق ، بتشديد القاف : وسط الشئ . انظر اللسان (١١ : ٣٤١) . فيما عدا ل : « فيرد حاق خيشومه » تحريف .

المَثَلُ . ولو كان هذا [العرَضُ] فى الكبش لكان[1] أعذَرَ له ؛ لأن الجموم [واللخَن] ، والعفَن والنَّتْن ، لو عرض لجلدِ ذى الصُّوفِ المتراكم ، الصَّفيق الدقيق ، والملتفّ المستكثِف ؛ لأن الرِّيح لاتتخلَّله ، والنسيم لايتخرّقه[2] — لكان ذلك أشبه .

فقد علِمْنا الآن أن للتيسِ مع تخلخل شعره[3] ، وبروز جلده[4] وجُفوف عرَقه ، وتقطع بخارِ بدنه — فضلا [ليس لشىء سواه . والكلبُ يُوصَفُ بالنَّتْن إذا بلَّه المطَر[5] . والحيَّات توصفُ] بالنَّتن[6] . ولعل ذلك أنْ يجدَه مَن وَضَع أنفَه على جلودها .

[وبولُ التَّيس يخالطُ خيشومَه . وليس لشىء من الحيوان مايشْبِهُ هذا ، إلا ما ذكَرْنا من الكلب . على أن صاحب الكلب قد أنكرَ هذا .

وجلودُ التُّيوس] ، وجلودُ آباط الزَّنْج مُنتِنةَ العرَق ، وسائرُ ذلك سَليم . والتيس إبِطٌ كله[7] ، ونتْنه فى الشتاء كنتْنه فى الصيف . وإنا لندخُلُ السكّةَ وفى أقصاها تيَّاس[8] ، فنجِدُ نتْنها من أدناها ، حتى

---

(١) فيما عدا ل : « كان بطرح اللام . وهما وجهان جائزان كما كتبت فى ص ٣٢١ .

(٢) يتخرقه : أراد يتخلله . ولم أجد نصا على هـذا الفعل إلا ما ورد فى اللسان (١١ : ٣٦٣) : « قال أبو عدنان . المخارق الملاص يتخرقون الأرض ، بيناهم بأرض إذا هم بأخرى » . فيما عدا ل : « لا يخرقه » من قولهم خرقت الأرض : جبتها وقطعتها .

(٣) تخلخله : تفرقه . وانظر ما أسلفت فى ص ٥١ وأساس البلاغة (خلل) والألفاظ لابن السكيت ٥١ . فيما عدا ل : « تخلل » تحريف .

(٤) بروزه : أى ظهوره لخفة الشعر الذى يعلوه . فيما عدا ل : « بروق » محرف .

(٥) انظر ما قيل من شعر فى هذا المعنى فى الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٦) فيما عدا ل : « فى النتن » .

(٧) عبارة جاحظية طريفة . عنى أنه منتن البدن كله .

(٨) التياس : صاحب التيوس وممسكها . فيما عدا ل : « التيوس » .

لايكاد أحدُنا(١) يقطعُ تلك السكة إلا وهو مُخَمِّرُ الأنف . إلا ما كان مما طبَعَ الله عز وجل عليه البَلَوِيَّ(٢) وعليًّا الأسواري(٣) ؛ فإن بعضَهما(٤) صادقَ بعضاً على استطابة ريح التيوس(٥) . وكانا ربما جلسا على باب التَّيَّاس ؛ ليستنشقا تلك الرائحة ، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما(٦) وأنكر مكانهما ، ادَّعيا أنهما ينتظران(٧) بعض من يخرجُ إليهما من بعض تلك الدُّور .

(المكّيّ وجاريته)

فأما المكى فإنه تعشَّقَ جاريةً يقال لها سَنْدَرة(٨) ، ثم تزوجها نَهارية(٩) وقد دعانى إلى منزلها غيرَ مرّة ، وخبرنى أنها كانت ذاتَ صُنان(١٠) ،

---

(١) فيما عدا ل : « أحد منا » .

(٢) البلوى : نسبة إلى قبيلة « بلى » كغنى . ل : « الملوى » بالميم .

(٣) الأسوارى : نسبة إلى الأسوار واحد الأساورة من الفرس ، كانوا نزلوا فى بنى تميم بالبصرة ، واختطوا بها خطة وانتموا إليهم . وهناك نسبة أخرى إلى « أسوارية » بالفتح والضم ، وهى قرية من قرى أصبهان . وعلى الأسوارى كان من معاصرى الجاحظ : وكان أكولا ، روى الجاحظ فى البخلاء ٦٣ أنه « نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم » . وكان من المحمقين . وفى البيان (٢ : ١٨٨) : « قال على الأسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة ! قلت : وما صيره إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر ابن سيار !! يريد : نصر بن الحجاج » .

(٤) ل ، س : « فإن بعضهم » والوجه التثنية .

(٥) ل : « استبطانه رائحة التيوص » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا مر » . ط ، هـ : « من ينكرها » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « ادعوا أنهما منتظران » وفيه تحريف .

(٨) سندرة ، بالراء : من أعلام النساء ، ومنه فى المثل « كيل السندرة » كانت تبيع القمح وتوف الكيل . والسندرة أيضا : شجرة يعمل منها القسى والسهام . فيما عدا ل : « سندوة » .

(٩) نهارية : نسبة إلى النهار . وانظر الاستدراكات .

(١٠) ط ، هـ : « ذا صنان » تحريف .

وأنه كان معجَباً بذلك منها، وأنها كانت تعالجه بالمرتك[١]، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها فى ذلك. قال: فلما عرَفَتْ شهوتى كانت إذا سألتنى حاجة ولم أقضها قالت: واللهِ لأتَمَرْتَكَنَّ، ثم واللهِ لأتَمَرْتَكَنّ، ثُمَّ واللهِ لأتَمَرْتَكَنَّ[٢]! فلا أجِدُ بُدًّا من أن أقضى حاجتها[٣] [كائناً ما كان].

(اشتهاء ريح الكرياس)

وحدّثنى مُوَيس بن عِمران، وكان هو والكذب[٤] لا يأخذان فى ١٣٩ طريق، ولم يكن عليه فى[٥] الصدق مَؤونة، لإيثاره له حتى كان يستوى عنده ما يضرُّ وما لا يضر[٦] — قال: كان عندنا رجلٌ يشتهى ريح الكِرْياس[٧] لا يشفيه دونه شىء، فكان قد أعدَّ مِجْوَبا[٨] أو سكةَ حديد[٩] فى صورة المِبرد، فيأتى الكرابيس[١٠] التى تكون فى الأزقة القليلة

---

(١) انظر لتفسير «المرتك» التنبيه الخامس من ٣٧٤، ٣٥٠.

(٢) هذا الفعل صناعى لم تعرفه المعاجم.

(٣) فيما عدا ل: «من قضاء حاجتها».

(٤) س: «والكذاب».

(٥) ل: «من».

(٦) فيما عدا ل: «وما ينفع».

(٧) الكرياس، بالكسر وبياء مثناة، قال أبو عبيد: هو الكنيف الذى يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض. قال الأزهري: سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضاً ويتكرس مثل كرس الدمن. وهو فعيال من الكرس، مثل جريال. وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية: وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية، وفى معجم استينجاس ١٠٢٦: (A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage). ل، س: «الكرباس» بالباء، تحريف. وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٣٠ س ٣).

(٨) المجوب، بالكسر: آلة الجوب وهو القطع. انظر اللسان (١ : ٢٧٧ س ١١ — ١٢). فيما عدا ل: «وتدا».

(٩) السكة: أراد بها القطعة من الحديد، وأصل السكة حديدة المحراث. فيما عدا ل: «من حديد».

(١٠) ل فقط: «الكرابيس» بالباء، تحريف. انظر التنبيه السابع.

المارة ، فيخرق الكرياس[١] [ولا يبالى ، أ] كان من خزف أو من خشب ثم يضعُ منخرَيه عليه ، حتى يقضيَ وطرَه .

قال : فلقى الناسُ من سَيَلان كرابيسهم[٢] شرًّا حتى عثَروا عليه ، فما منعهُم من حبسه إلا الرحمة [له] من تلك البليّة ، مع الذى رأوا من حسن هيئته ، [فقال لهم: ياهؤلاء ، لو مررتم بي إلى السلطان كان يبلغُ من عقابي أكثر مما أبلغ من نفسى؟ قالوا: لا والله! وتركوه] .

(نتن العنز)

قالوا: وهذا شأنُ التَّيس ، وهو أبو العنز . « ولا تلد الحيّةُ إلا حيّة[٣] » ولابدّ لذلك النّتْن عن ميراث [فى ظاهر] أو باطن . وأنشدوا لابن أحمر:

إنى وجدْت بنى أعيَا وجاملهم ... كالعنز تعطفُ رَوقَيها فترتضعُ[٤]

وهذا عيب لا يكون فى النّعاج .

(مثالب العنز)

والعَـــنز هى التى ترتضع[٥] من خلفِهَا وهى مُحَفَّلة[٦] ، حتى تأتى

---

(١) ل ، س : « الكرباس » بالباء ، محرف . انظر التنبيه ٧ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، س ، هـ : « كرابيسهم » بالباء ، صوابه من أثبت من ط .

(٣) ط فقط : « وهل تلد الحية إلا حية » .

(٤) أعيا : أبو بطن من أسد ، وهو أعيا أخو فقعس ، ابنا طريف بن عمرو بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . والجامل : قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . والروق ، بالفتح : القرن . ط ، هـ : « بنى أهبان » س : « وهبان » وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . ورواية اللسان (٩ : ٤٨٤) والحيوان (١ : ٢٣٠ ، ٣٥٤) : « بنى سهم » ل : « وحاملهم » وفيما عدا ل : « حاملهم » بإسقاط الواو صوابه بالجيم وإثبات الواو . وفى اللسان : « وعزهم » . والبيت محرف فى العقد (٤ : ٢٥٧) .

(٥) ط ، هـ « ترضع » .

(٦) المحفلة : التى ترك حلبها أياما حتى يجتمع لبنها . فيما عدا ل : « مخلفة » صوابهما =

على [أقصى] لبنها ، وهى التى تنزع الوتد وتقلِبُ المِعْلَف ، وتنثر ما فيه[١] .

و إذا ارتعتِ الضائنة[٢] والماعزة فى قصيل[٣] ، نبتَ ما تأكله الضائنة[٤] ، ولا ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرِض بأسنانها وتقطع ، والماعزة تقبض عليه فتثيره[٥] وتجذبه ، وهى فى ذلك تأكله . [ويضرب بها المثلُ بالموق[٦] فى جلْبها حَتْفَها على نفسها] . وقال الفرزدق :

فكانت كعنز السوء قامت بظِلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الترابِ تُثيرُها[٧]

فى ل : وعيون الأخبار (٢ : ٧٥ س ١٧) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(١) ط : « وتثير ما فيه » س ، هـ : « وتثير ما فيه » والأولى محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٢) الضائنة : الشاة من الغنم ، يقابلها الضائن وهو الكبش من الغنم . ل ، س ، هـ : « الضانية » وهى صحيحة ، ولكنها ليست مرادة . والضائنة ، بتقديم النون : الكثيرة الولد . وفي اللسان (١ : ١٠٦) : « الكسائى : امرأة ضائنة وماشية معناهما أن يكثر ولدها » . وأثبت صواب النص من ط وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(٣) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر ، سمى قصيلا لسرعة اقتصاله ، من رخاصته . فيما عدا ل : « فصل » وكذا العقد ، تحريف . وفى عيون الأخبار : « قصير » صوابهما ما أثبت من ل .

(٤) كذا على الصواب الذى أثبت فى ط . وفى سائر النسخ : « الضانية » تحريف .

(٥) ل : « فتنثره » من النثر .

(٦) الموق : الحمق . والأوفق : « في الموق » لكن جاءت هكذا .

(٧) قال البحترى فى حماسته ص ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شىء يذبحها به . فبينا هو يفكر فى ذلك ، وأي شىء يصنع ، إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب فذبحها بها ، فضرب العرب المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى في الباب ١١٥ . وانظر جمهرة العسكرى ٩٥ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ . والرواية فيما عدا ل : « وكانت » . وفى ديوان الفرزدق ٢٤٩ : « وكان » . وسيأتى البيت برواية الديوان فى ص ٤٧٥ .

(تيس بنى حمان)

وقال الشاعر :

لعمرُكَ ماتَدْرِى فَوَارِسُ مِنْقَرٍ
أفى الرأس أم فى الْإِست تُلْقَى الشَّكائمُ[١]

وألْهى بَنِى حِمَّانَ عَسْبُ عَتودِهم عن المجْد حتى أحرزَتْهُ الأكارمُ[٢]

وذلك أن [بنى][٣] حمَّان تزعم أن تيسهم قرَعَ شاةً بعد أن ذُبح ، وأنه ألقحها .

(أعجوبة الضأن)

قالوا : فى الضأن أعجوبةٌ ؛ وذلك أن النعجةَ ربما عظُمت ألْيَتُها حتى تسقطَ على الأرض ، ويمنعها ذلك [من] المشى ، فعند الكبش رِفقٌ فى السِّفاد ، وحِذْقٌ لم يُسْمَعْ بأعجَبَ منه ، وذلك أنه يدنو منها[٥] ويقف [منها] موقفاً [يعرِفُه] ، ثم يصكّ أحدَ جانبى الأليةِ بصدره[٦] ، بمقدارٍ من

---

(١) منقر ، هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فيما عدا ل : « منقراً » تحريف . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . يقول : ليسوا فرساناً ، إذ لا معرفة لهم بالخيل ولا عهد لهم بها . فيما عدا ل : « أفى الإست أم فى الرأس » .

(٢) حمان ، بكسر الحاء وتشديد الميم ، وهم بنو حمان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والعسب ، بالفتح : ضراب الفحل أو ماؤه أو كراء ضرابه . والعتود ، بالفتح : الجدى قد بلغ السفاد . يقول : جعلوا فخرهم فى هذا التيس فألهاهم ذلك عن المجد .

(٣) هذه التكملة من ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « بعد ما ذبح » . وانظر ما سبق ٢١٩ وما سيأتى فى ١٤٧ ساسى .

(٥) ل : « إليها » . وحروف الجر يخلف بعضهن بعضاً . وفى اللسان (١٨ : ٢٩٧) : « دنا عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم يصد إحدى ناحيتى الألية بصدره » وفيه تحريف .

الصكّ[١] يعرفه ، فيفرج عن حياها المقدار الذى لايعرفه غيرُه[٢] ، ثم يسدُّها فى أسرعَ من اللَّمح .

(فضل الضأن على الماعز)

وقالوا : والضأنُ أحملُ للبرد [والجمد[٣]] و للرِّيح والمطر .

[قالوا] : ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذى كان عند كسرى والتَّخيير[٤] ، إنما كان بين النعجة والنخلة[٥] ، ولم يكن هناك للعنز ذِكر . وعلى ذلك الناسُ إلى اليوم .

والموتُ إلى المعزَى أسرَع ، وأمراضها أكثر . وإنما معادِنُ[٦] الغنَم ١٤٠ الكثير الذى عليه يعتمدُ الناسُ — الجبالُ ، والمعز لاتعيش هناك . وأصوافُ الكباش أمنَعُ للكباشِ من غِلَظ جُلودِ المعز . ولولا أن أجوافَ الماعز أبردُ ، وكذلك كُلاها ، لَمَا احتَشَتْ من الشَّحم كما تحتشى .

(جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس)

وذكورة كلِّ جنس أتمُّ حُسناً من إناثها . وربما لم يكنْ للإناث شىء من الحُسنِ ، وتكونُ الذكورةُ فى غاية الحسن ؛ كالطواويس

---

(١) الصك : الضرب . فيما عدا ل : « الصلك » تحريف .
(٢) الحيا : الفرج من ذوات الخف والظلف . فيما عدا ل : « فينفرج عن جانبها المقدار الذى لا يراه غيره » ، تحريف .
(٣) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والكلمة التى بعدها هى فيما عدا ل : « والريح » .
(٤) التخيير : التفضيل .
(٥) فيما عدا ل : « النحلة » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٦) المعادن : المواطن . عدن بالمكان أقام ، وعدنت ، البلد : توطنته .

والتَّدارج[1] . وإناثها [لاتدانيها فى الحسن ، ولها من الحسن مقدارٌ] ، وربما كُنَّ دونَ الذُّكورة ، ولهنّ من الحسن مقدار ، كإناث الدَّراريج والقَبَج[2] والدجاج والحمام ، والورشين ، وأشباه ذلك .

[وإذا قال الناس : تيّاس ، عُرِف معناه واستُقْذِرَتْ صناعته . وإذا قالوا : كبّاش ، فإنما يعنُون بيعَ الكِباش واتخاذَها للنِّطاح] .

والتُّيوسُ قبيحة جدًّا . وزاد فى قبحها حُسْن الصَّفايا[3] .

(التشبيه بالكباش والتفاؤل بها)

وإذا وصفوا أعذاق[4] النخلِ العِظام قالوا : كأنَّها كِباش .

وقال الشاعر :

كأنَّ كِباشَ السَّاجِسيَّةِ عُلِّقت دُوينَ الخوافى أو غرايرَ تاجِرِ[5]

[وصوّر عُبيدُ الله بن زياد ، فى زقاق قصره[6] ، أسداً ، وكلباً ، وكبشاً . فقرَنَه مع سَبُعين عظيمَى الشأن : وحشيٍّ ، وأهليّ ، تفاؤلا به] .

---

(١) التدارج : جمع تدرج . انظر ص ٢٠٩ فيما عدا ل : « التداريج » .

(٢) الدراريج : جمع دراج . انظر ص ٢٠٩ . والقبج ، بالتحريك . فسر فى (٣ : ١٧١) .

(٣) الصفايا : جمع صفية . انظر التنبيه الثالث ص ٢٠٩ .

(٤) الأعذاق : جمع عذق ، بالكسر ، وهو العرجون بما فيه من الشماريخ . ط فقط : « أعذاق » تحريف .

(٥) الساجسية : ضأن حمر . قال أبو عارم الكلابى (اللسان ٧ : ٤٠٨) :

فالعذق مثل الساجس الحفضاج

والخوافى : السعفات اللواتى يلين القلبة ، وهى لفظة نجدية . وهى فى لغة أهل الحجاز : العواهن . والغراير : جمع غرارة ، وهى الجوالق . فيما عدا ل : « كأن الكباش » وفى ط ، هـ : « دوين أجير » محرفة ، وموضع كلمة : « الغراير » أبيض فى س . وفيما عدا ل : « غدائر » مكان « غرائر » ، تحريف .

(٦) الزقاق ، بالضم : طريق ضيق دون السكة . وقد سبق هذا الخبر بتفصيل فى =

(شعر فى ذم العنز)

وما[1] ذمُّوا فيه العنز دونَ النعجةِ قولُ أبى الأسودِ الدُّؤلى[2] :

ولستُ بمعراض إذا ما لقيته يعبِّس كالغضْبان حين يقولُ
ولا بِسبس كالعنز أطولُ رِسْلها ورِسْلها يومان ثم يزولُ[3]

وقال أبو الأسود أيضاً[4] :

ومن خيرِ ما يتعاطي الرجالُ نصيحةُ ذى الرَّأى للمجتبيها[5]
فلا تكُ مثلَ التى استخرَجَتْ بأظلافها مُدْيةً أو بِفيها[6]
فقام إليها بها ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعُوبُ يَجِيها[7]
فظلّتْ بأوصالها قِدْرُها تحشُّ الوليدةُ أو تشتَوِيها[8]

= (١ : ٣٢٥) وبلفظ : « فى دهليز قصره » . والدهليز ، بالكسر : ما بين الباب والدار ، فارسى معرب . وانظر الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (١ : ١٤٧) .

(١) فيما عدا ل : « وما » .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . سه : « الدئلى » . وانظر اللسان « دأل » .

(٣) بسبس ، كذا وردت . والرسل ، بالكسر : اللبن . والرِّسْلان : العطف . وفيما عدا ط : « ثم تزول » .

(٤) يخاطب الحصين بن أبى الحر العنبرى . انظر الأغانى (١١ : ١١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « للمجتليها » . وفى الأغانى : « للمجتنيها » بالنون .

(٦) ط ، هـ : « مثل الذى » تحريف . وانظر قصة المثل فى التنبيه ٧ ص ٤٧٠ .

(٧) شعوب : علم للمنية ، سميت شعوب لأنها تشعب أى تفرق . وشعوب ، مؤنثة معرفة لا تنصرف . فيما عدا ل : « ومن يدع » وفيه أيضاً : « شعوبا » تحريف . يجيها : يجئها . وفى المخصص (٦ : ١٢١ س ٤) : « يجبها » من الإجابة ، تحريف . والبيت كذلك محرفا فى حماسة البحترى ٢٨٥ .

(٨) الأوصال : الأعضاء ، واحدها وصل بالكسر والضم . تحش : أى تحش النار : تجمع إليها ما تفرق من الحب . ط ، هـ : « يحش » سه : « يحس » بالإهمال ، محرفان عما أثبت من ل والأغانى . و« أو » هى فى ط ، سه : « أن » هـ : « إذ » محرفان . وفى جميع نسخ الأصل : « تحتويها » وأثبت ما فى الأغانى .

وقال مسكين الدارمي[١] :

إذا صبّحتْنى من أناسٍ ثعالبٌ   لترفع ما قالوا منحتُهُم حقرا[٢]

فكانوا كعنز السَّوء تثغو لحينها   وتحفرُ بالأظلافِ عن حتفها حَفرا[٣]

[وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناس من سيف مالكٍ   فأصبح يبغى نفسه من يُجيرُها

وكان كعنز السَّوء قامت بظلفها   إلى مُدْيةٍ تحت التراب تثيرها[٤]]

(أمنية أبى شعيب القلال)

وقال رمضانُ[٥] لأبى شُعيبٍ القَلّال[٦] — وأبو الهُذَيل حاضر — : أىَّ شىء تشتهي ؟ وذلك [نصفَ النهار] ، فى يومٍ من صَيف البصرة[٧] . قال أبو شعيبٍ : أشتهى أن أجىءَ إلى بابِ صاحب سَقَط[٨] ، وله على باب حانوته أليةٌ معلقة ، من تلك المبزَّرة المشرّجة[٩] ، وقد اصفرّت ، وودَكُها يقطر من

---

(١) روى البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٨٦ منسوبا إلى الأعور الشنى .

(٢) الحقر ، بالفتح : الاحتقار والاستصغار . ـــه ، ه : « تغالب » تحريف . وفيما عدا ل : « ليرفع » .

(٣) تثغو ، من الثغاء ، وهو صوت المعز والشاء وما شابههما . والحين : الهلاك . فيما عدا ل : « تبغى لحينها » صوابه فى ل وحماسة البحترى . وصدره فيها : « ولا كائنا كالعنز » .

(٤) انظر البيت ، وقد سبق فى ص ٤٧٠ .

(٥) رمضان ، أحد معاصرى الجاحظ ، وقد أجرى له حديثاً فى البخلاء ١٢٤ .

(٦) القلال : الذى يصنع القلل ، وهى جرار كبيرة . وكان أبو شعيب أديباً . انظر خبره مع الرشيد فى البيان (٢ : ١٨٨) .

(٧) فيما عدا ل : « من الصيف بالبصرة » .

(٨) السقط ، بالتحريك : ما لا خير فيه . لعله أراد به حشوة الذبيحة : أطرافها ، كما يطلق اليوم هذا اللفظ فى العامية المصرية .

(٩) المبزرة : التى وضع فيها البزر ، وهو بالفتح والكسر التابل ، جمع أبزار . وفى اللسان : « بزر القدر : رمى فيها البزر » . والمشرجة : المشققة ، أو التى خالط =

حاقِّ السِّمَن[١] ، فآخُذَ بحِضْنها[٢] ثم أفتح [لها] فمى ، فلا أزال كَدْماً [كدماً] ، ونهشاً [نهشا] ، وودكها يسيلُ على شِدْقِى ، حتى أبلغَ عَجْب الذَّنب[٣] ! قال أبو الهذيل : ويلك قتَلْتَنى[٤] قتلتنى !! يعنى من الشهوة .

١٤١

باب
فى الماعز[٥]

قال صاحب الماعز : فى أسماء الماعز وصفاتها ، ومنافعها وأعمالها ، دليلٌ على فضلها . فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة[٦] . وفى اسمها دليل على تفضيلها[٧] . ولبنها أكثر أضعافا ، [وأولادُها أكثرُ أضعافاً] ، وزُبْدُها أكثرُ وأطيب .

وزعم أبو عبد الله العتبىّ[٨] أن التيس المشْراطىّ[٩] قرع فى يومٍ

= شحمها بعض اللحم فيما عدا ل : « المشرحة » بالحاء ، وهى المقطعة قطعا رقيقة .

(١) حاق السمن : كاله وتمامه . فيما عدا ل : « جانبى السمن » تحريف .

(٢) الحضن ، بالكسر : جانب الشىء وناحيته . ط ، هـ : « بخصيها » س « بخصييها » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

(٤) فيما عدا ل : « فتنتنى » من الفتنة .

(٥) هذا العنوان ساقط من ل . وبدله فى س « باب فى أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها » . كما أن الكلام من مبدأ : « قال صاحب الماعز » إلى : « وأعمالها » ليس فى س .

(٦) يريد بالصفية أنثى المعز ، وانظر ما سبق ص ٢٠٩ . ط فقط : « أفضل » بدل : « أحسن » .

(٧) فيما عدا ل : « أسمائها » بدل « اسمها » وفى ط ، هـ : « فضلها » مكان : « تفضيلها » .

(٨) ل : « الغنمى » . وانظر ما سبق ص ٢١٩ .

(٩) فيما عدا ل : « الشراطى » وانظر ما سبق ص ٢١٩ ، وهو هناك بدون ألف بعد الراء .

واحد نيِّفًا وثمانين قَرْعَةً . وكان قاطعَ الشهادة . وقد بِيع[١] من نَشْل المِشْراطىِّ وغيره الجدىُ بثمانينَ درهما[٢] . والشاةُ بنحوٍ من ذلك .

وتحلب خمسة مَكاكيك[٣] وأكثر . وربما بيع [الجلد] جلد الماعز [فيشبريه الباضُوزكى[٤]] بثمانين درهما وأكثر .

والشاة إذا كانت كذلك فلها غَلَّةٌ نافعة تقوم بأهل البيت .

والنعال البقرية من السِّبْت وغير السِّبْتِ[٥] مقسوم نفعها بين الماعز والبقر ، لأن للشُّرُك[٦] من جلودها خطرًا . وكذلك القِبال والشِّسْع[٧] .

ووصفَ حُميد بن ثَوْر جلدًا من جلودها ، فقال :

تتابَعَ أعوامٌ علينا أطَبْنها … وأقبَلَ عامٌ أصْلَحَ الناسَ واحدُ[٨]

---

(١) ط فقط « يباع » تحريف .

(٢) ل فقط : « دينارا » وبين التقديرين بون شاسع .

(٣) المكوك ، كسفود : مكيال : معروف لأهل العراق ، والجمع مكاكيك ومكاكى على البدل ، كراهية التضعيف . وهو ثلاث كيلجات ، والكيلجة منا وسبعة أثمان منا . والمنا رطلان . فيما عدا ل : « مكاكى » . وفى المصباح : « وربما قيل مكاكى على البدل . ومنعه ابن الأنباري وقال : لا يقال فى جميع المكوك مكاكى ، بل المكاكى جمع المكاء ، وهو طائر » .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى ل . قال المحقق الكبير الأب أنستاس : « صوابها الباضوركى براء مهملة ، لا بالزاي » . وانظر الاستدراكات .

(٥) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، أو جلود البقر .

(٦) الشرك ، بضمتين : جمع شراك بالكسر ، وهو سير النعل . ط ، س : « للشرط » . هـ : « الشرط » بالطاء فيهما ، تحريف صوابه فى ل .

(٧) قبال النعل ، ككتاب : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . وقبلها كمنعها وقابلها وأقبلها : جعل لها قبالين . والشسع ، بالكسر : هو السير الذى يدخل فى الخرت ، وهو الثقب الذى فى صدر النعل . فيما عدا ل : « بذلك » بدل « كذلك » تحريف .

(٨) كذا ورد البيت محرفا فى ل ، وفى سائر النسخ : « علينا لطيبها » . ووجه إنشاده كما فى رسالة الغفران ص ٦٢ :

تتابع أعوام عليها هزلنها … وأقبل عام ينعش الناس واحد

والبيت فى صفة عجوز كان حميد نزل عليها ، هو وصاحب له يدعى أبا الخشخاش . وقبل البيت :

==

وجاءتْ بذى أوَنَين مازالَ شاتُه   تُعمَّرُ حتى قيلَ هل ماتَ خالدُ[١]

وقال راشد بن سِهاب[٢] :

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا   كمِعْزَى الحجاز أعوَزَتْها الزَّرائبُ[٣]

(لحم الماعز والضأن)

ومن منافعها الانتفاعُ بشَحم الثَّرْب والكُلْية ، وَهما فوقَ شحمِ الألْية . وإذا مدحوا اللحمَ قالوا : لحم الماعزِ الخصِيِّ الثَّنِيّ ! وقال الشاعر[٤] :

= جلبانة ورهاء تخصي حمارها   بفى من بغى خيراً إليها الجلامد
إزاء معاش لا يزال نطاقها   شديدا وفيها سورة وهى قاعد

(١) جاءت ، أي العجوز ، أحضرت وطب اللبن إلى حميد وصاحبه . والأونان : الخاصرتان ، كما فى تاج العروس . على أن هذا الوطب عظيم صنع من جلد هذه الشاة المعمرة ، وذلك أعظم له . فيما عدا ل : « بذي لونين » تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « قد مات خالد » . ورواية المعرى :

فجاء بذوى أونين أعبر شأنه   وعمر حتى قيل هل هو خالد

صواب صدره : « فجاءت بذى أونين أعبر شاته » أعبر الغنم : تركها عاما لا تجز . والشاة : الواحد من الغنم ، يكون للذكر والأنثى . وانظر لأبيات هذه القصيدة الشعراء ٢٣١ ليدن واللآلى ٩٦٩ .

(٢) سهاب ، بالسين المهملة المكسورة . وراشد بن سهاب شاعر جاهلى من بنى يشكر ؛ قال صاحب القاموس في ترجمة (س هـ ب) : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . قال المرتضى فى الشرح : « هكذا ضبطه المفجع البصرى وقال : من قاله بالمعجمة فقد أخطأ » . فيما عدا ل : « وقال وأنشد ابن شهاب » وأثبت الصواب من ل . ولراشد بن سهاب هذا المفضليتان ٨٦ ، ٨٧ طبع المعارف . على أن البيت الذى أنشده الجاحظ منسوبا إلى راشد ، ليس له ، بل هو وهم منه ، فإنه للأخنس ابن شهاب التغلبى من المفضلية ٤١ وهو البيت التاسع عشر .

(٣) الرائدات ، التى ترعى لا تعلف فى البيوت ، فهى ترود المراعى من كثرتها . أعوزتها الزرائب : لم تتسع لها لكثرتها . ط ، هـ : « زائرات » س : « زيرات » صوابهما فى ل : والمفضليات . فيما عدا ل : « بيوتها » و : « الفجار » صوابهما فى ل : والمفضليات . ورواية المفضليات : « أعجزتها الزرائب » . وفى س : « أعجبتها » هذه محرفة . والحجاز معروفة بكثرة المعزى ، ومنه قوله (انظر الفصول والغايات ٢٩٢) :

ولا غرو إلا نزوهم من نبالنا   كما اصعنفرت معزى الحجاز من الشعف

(٤) هو ذو الرمة . كما فى اللسان (نعج) ، ولم يرو فى صلب ديوان ذى الرمة .

كأنَّ القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ   فهُمْ نَعِجُون قد مالت طُلاَهم[1]

والمَزْؤورون الذين يُصرَعون ، إذا أكلوا لحم الضأن اشتد ما بهم، حتى يصرعَهم ذلك فى غيرِ[2] أوان الصرْع .

وأوان الصَّرْع الأهِلَّةُ وأنصاف الشهور[3] . وهذان الوقتان [هما] وقتُ مدِّ البحر وزيادة الماء . ولزيادة القمر إلى أن يصيرَ بدراً[4] أثرٌ بيِّنٌ فى زيادة الدِّماء والأدمغة ، و[زيادةِ[5]] جميع الرطوبات .

(أمثال فى المعز والضأن)

ويقال : «فلانٌ ماعزٌ من الرِّجال[6]» ، و: «فلانٌ أمْعَزُ مِنْ فلان[7]» والعِتاقِ مَعْزَ الخيْل ، والبراذين ضأنُها .

و إذا وصفوا الرَّجُلَ بالضعف والموق قالوا : « ماهو إلا نعجةٌ من النعاج » . ويقولون فى التقديم والتأخير[8] : « ماله سَبَدٌ ولا لَبَد » .

---

(١) انظر لشرح هذا البيت وتحقيقه (٤ : ٣٠١) . فيما عدا ل : « بعجون » تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٣) فيما عدا ل : « وانتصاف الشهور » : بلوغ النصف . وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٤) .

(٤) فيما عدا ل : « حتى يصير بدراً » .

(٥) هذه الزيادة من س .

(٦) فى اللسان : « رجل ماعز ومعز معصوب شديد الخَلْق . . . وفى حديث عمر رضى الله عنه : تمعززوا واخشوشنوا . هكذا جاء فى رواية . أى كونوا أشداء صبراً، من المعز ، وهو الشدة . . . قال الأزهرى : رجل ماعز إذا كان حازما مانعاً ما وراءه شهماً . ورجل ضائن إذا كان ضعيفاً أحمق » . فيما عدا ل : « هو والله » بدل : « فلان » . وفى س : « لماعز » بدل : « ماعز » .

(٧) انظر التنبيه السابق .

(٨) أى فى تقديم السبد ، وهو شعر المعز ، على اللبد ، وهو بالتحريك أيضاً : الصوف انظر لهذا المعنى ص ١٥١ ساسى . وانظر للمثل جمهرة العسكري ١٩١ والميدانى (٢ : ٢٠٠) واللسان (٤ : ٣٩٢) .

وقال الشاعر :

نَشْبِى وما جمَعْتُ من صَفَدٍ   وحَوَيْتُ من سَبَدٍ ومن لَبَدِ[١]

١٤٢ هِمَمٌ تقاذَفت الهمومُ بها   فنَزَعْنَ من بلدٍ إلى بلدِ

يا رَوْحَ مَنْ حسَمَت قناعَتُه   سَبَبَ المطامعِ من غَدٍ وغدِ[٢]

من لم يكنْ لله متّهِماً   لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ[٣]

وهذا شعر رويتُه على وجْه الدهر[٤] .

وزعم لى حُسَين بن الضَّحّاك[٥] أنه له . وما كان لِيَدَّعِيَ ما ليس له[٦] .

وقال لى سعدانُ المكفوف[٧] : لا يكون : « فنَزَعْنَ من بلد إلى بلَد »

بل كان ينبغى أن يقول : « فنازعن[٨] » .

---

(١) النشب : المال . والصفد : العطية .

(٢) الروح ، بالفتح : الاستراحة والفرح والسرور . حسمت : قطعت . يقول : يالغبطة من ذهبت به قناعته عن المطامع . ط ، س : « من حسنت » ه « حشت » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « سب المطامع » ه : « سيب المطامع » صوابهما فى ل .

(٣) أراد : من لم ييأس من روح الله . وفى ديوان أبى نواس ١٩٣ :

لو لم تكن لله متهما   لم تمس محتاجا إلى أحد

(٤) فيما عدا ل : « وهذا الشعر » الخ . ووجه الدهر : أوله .

(٥) حسين بن الضحاك : من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، وكان ماجنا مطبوعا حسن التصرف فى الشعر ، وكان أبو نواس يغير على معانيه فى الخمر ، وعمر عمراً طويلا حتى قارب المائة ، ومات فى خلافة المستعين سنة خمسين ومائتين . انظر الأغانى (٦ : ١٦٥) وتاريخ بغداد ٤١٢٠ والمؤتلف ١١٣ وابن خلكان (١ : ١٥٤) . فيما عدا ل : « حسن بن الضحاك » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وما كان يدعي ما ليس له » . أقول : البيت الأخير من زهدية عددها عشرون بيتاً ، لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ — ١٩٣ .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٥) .

(٨) المنازعة : المغالبة والمجاذبة . ونزع من مكان إلى آخر : انتقل .

(فضل الماعز)

وقال : والماعزة قد تُولِّد [1] [في السنة] مرتين ، إلا ما أُلقى منها في الدِّياس [2] . و [لها في الدِّياس] نفع [3] موقعُه كبير . وربما باعوا عندنا بطنَ الماعز [4] بثمن شاةٍ من الضأن .

قال : والأَقِط [5] للمعز . وقرونُها هي المنتفع بها [6] .

قال : والجَدْيُ أطيبُ من الحمل وأكرم . وربما قدموا على المائدة الحملَ مقطوعَ الألية من أصل الذَّنَب؛ ليوهِمُوا أنه جَدْي .

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه — وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرَّعية ، وهم أبْصَرُ بالعيش ، استعملوا ذلك أو تركوه — [فقال] : أتُرَوْنَ أنى لا أعرِفُ الطيبات؟ لبابُ البُرِّ بصغار المِعْزى [7] !

---

(١) ط فقط : « تلد » وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ .

(٢) الدياس ، بالكسر : دوس الطعام ودقه ليخرج الحب منه . ط ، س : « الرماس » ه : « الرياس » صوابهما في ل .

(٣) فيما عدا ل : « يقع » تحريف .

(٤) أراد ما في بطنها من الحمل ، وهو بيع فاسد . قال منلامسكين : « وقد كانوا يعتادون ذلك في الجاهلية » .

(٥) الأقط ، ككتف ، وبالفتح والكسر والضم وبالتحريك ، وكرجل وإبل : شئ يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل . ولعل الجاحظ قد أراد أن أجود الأقط ما كان من لبن المعز ، ففي اللسان ، « قال ابن الأعرابي : هو من ألبان الإبل خاصة » . وهي دعوى من ابن الأعرابي يكذبها قول امرئ القيس في المعزى :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري

وفي القاموس أن الأقط « شئ يتخذ من المخيض الغنمي » . وفي التاج : « وقال غيره : الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به » .

(٦) كلمة : « قرونها » ساقطة من ط . وبدلها في ه : « قلورنا » محرفة . وفي س : « فيه » بدل : « منها » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وصغار المعزى » . وانظر رواية الخبر في البيان (١ : ٣٣) .

وملوكنا يُحمَل[1] معهم فى أسفارهم البعيدة الصفايا الحواملُ ، المعروفاتُ أزمانِ الحمل والوضع ، ليكون لهم[2] فى كل منزلٍ جداءٌ مُعَدَّة . وهم يقدرون على الْحُلانِ السِّمان بلا مؤونة[3] .

والعَناق [الحمراء] والجِداء ، هى المثل فى المعز والطِّيب . ويقولون : جِداء البَصرة ، وجِداء كَسْكر[4] .

وسلْخ الماعز على القَصَّاب أهوَن . والنَّجّار يذكر[5] فى خصال السَّاج[6] سَلَسَه[7] تحت القَدُوم والمِنْقب والمِئشار[8] .

(أمارات حمل الشاة)

وقيل لأعرابى : بأى شىء تعرفُ حملَ شاتك ؟ قال : إذا تورَّم حَيَاها[9] ودجَتْ شَعْرتُها[10] واستفاضت خاصرتها .

---

(١) فيما عدا ل : « تحمل » بالتاء .

(٢) فيما عدا ل : « لها » .

(٣) ط : « وهم يقدرون » تحريف . وكلمة : « السمان » ليست فى ل .

(٤) كسكر : كورة من كور فارس . انظر (٤ : ١٥) و (٢ : ٢٤٨) .

(٥) فيما عدا ل : « يركز » تحريف .

(٦) الساج : شجر سبق الحديث عنه فى ص ٨٣ .

(٧) السلس ، بالتحريك : اللين والسهولة . فيما عدا ل : « سلسلة » تحريف .

(٨) فى اللسان : « المئشار بالهمز هو المنشار بالنون . قال : وقد يترك الهمز » . ط ، س : « والمنشار » وهى صحيحة . ه : « والعسار » محرف . وقد يقال ما ذا أراد الجاحظ بالجمع بين الماعز والساج ؟ فالجواب أنه أراد المقارنة بين سلخ جلد الماعز وقشر سطح الساج ، وثقبه ، ونحته . فكما أن الساج وهو من أنفس أنواع الخشب ، سهل لين فى معالجته ، كذلك تكون سهولة معالجة سلخ جلد الماعز دليلا على نفاسته وعلوه .

(٩) الحيا . الفرج من ذوات الظلف والخف .

(١٠) دجت شعرتها : طال شعرها وركب بعضه بعضاً . وعنز دجواء : سابغة الشعر . ط ، ه : « وخرجت » س : « وحرجت » مع إسقاط الكلمة التى بعدها

وللداجي[1] يقال : قد كان ذلك وقد دَجا ثوبُ الإسلام[2] ، وكان ذلك وثوبُ الإسلام داجٍ .

(المرعزّى وقرابة الماعزة من الناس)

قال: وللماعز المِرْعِزِىُّ[3] ، وليس [للضأن إلا] الصوف .

والكِساء[4] كلها صوفٌ ووبرٌ وريشٌ وشعرٌ ، وليس الصوف إلا للضأن وذواتُ الوبر كالإبل ، والثعالب ، والخُزَز[5] والأرنب ، وكلاب

والصواب ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٥) : « رجت شعرتها » خطأ فى النص والضبط . وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٢٥١) .

(١) فيما عدا ل : « والداجى » .

(٢) المعروف : « دجا الإسلام » و« إسلام داج » لكن جاء فى اللسان فى تفسير قول القائل « أبى مذ دجا الإسلام لا يتحنف » : « قال : لج هذا الكافر أن يسلم بعد ما غطى الإسلام بثوبه كل شئ » . وانظر (٣ : ٢٥١) .

(٣) المرعز والمرعزي ويمد إذا خفف ، وقد تفتح الميم فى الكل : شئ كالصوف يخلص من بين شعر المعز . انظر القاموس واللسان (رعز) والجواليقى ٣٠٧ . وفى كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ص ٢١ : « وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزى القرمزى الأرمنى المنير » .

(٤) الكساء ، بالكسر : جمع كسوة بالضم ، وهى الثوب الذى يلبس . انظر القاموس والتاج . قال الزبيدى : « نقله الصاغانى ، ومثله ببرمة وبرام وبرقة وبراق » . س : « الكسا » وتقرأ بالضم . ل : « الكسى » وهو مذهب للكوفيين فى الرسم . وفى المقصور ٦ : « وزعم قوم من أهل الكوفة أن ما كان من المقصور على ثلاثة أحرف ، وكان الحرف الأول مكسوراً أو مضموما فجائز أن يكتب بالياء وإن كان أصله الواو » .

(٥) الخزز : ذكر الأرانب ، يراد به نوع كبير من الأرانب . انظر معجم المعلوف ١٥٠ . وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة « الذكر » على الضرب الكبير من الحيوان . هـ : « الخزر » تحريف . ل : « الخز » بزاء واحدة . وقد اختلف اللغويون والعلماء فى « الخز » اختلافا كبيراً . فذهبت المعاجم العربية إلى أنه ضرب من الثياب الحريرية . انظر اللسان والقاموس وشرحه ونهاية ابن الأثير

الماء(١) ، والسمُّور ، والفَنَك(٢) ، والقاقُم(٣) ، والسِّنجاب ، والدِّباب(٤) .

[والتى] لها شعر(٥) كالبقر والجواميس ، والماعز ، والظباء ، والأُسْد ، والنمور ، والذئاب ، والبُبور ، والكلاب ، والفهود ، والضباع ، والعِتاق ، والبراذين ، والبغال ، والحَمير ، وما أشبه ذلك(٦) .

والإنسان الذى جعله الله تعالى فوقَ جميعِ الحيوان فى الجمال والاعتدال ، و [فى] العقل والكرم ، ذو شعر .

فالماعزة بقرابتها من الناس(٧) بهذا المعنى أفخر وأكرم .

= والمخصص (٤ : ٦٨) . وانفرد صاحب المصباح فقال : إنه « اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها » . وقد رد داود صاحب التذكرة على اللغويين وقال : إن الخزدابة بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة » ، كما ذكر استينجاس ٤٥٨ أنه شعر الدابة البحرية التى تسمى « كلب الماء » : A five hair of tge beaver

(١) كلب الماء : حيوان طويل الذنب ، قصير القوام والأذنين ، بين أصابعه غشاء يعينه على السباحة ولونه أحمر قاتم : Beaver or Lutra vulgaris

(٢) الفنك بالتحريك : ثعلب صغير ناعم الشعر أغبر اللون ، كبير ، يقال للنوع الإفريقى منه بالإنكليزية : Fennec وللأسيوى منه : Corsac بلفظه التركى . وهو فارسى معرب ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . استينجاس ٩٤٠ وادى شير ١٢٢ والمعرب ٢٤٨ .

(٣) القاقم ، بضم القاف الأخيرة : حيوان من فصيلة بنات عرس : Ermine . قال المعلوف : « تركيته قاقم » . قلت : وهو بالفارسية « قاقم » . استينجاس ٤٩٨ . ط : « الغيام » هـ : « العيام » صوابهما فى ل ، س .

(٤) الدباب : جمع دب ، ويقال فى جمعه أيضاً دببة ، وهو من ذوات الوبر والفراء . ل : « والدنيا » هـ : « والديبا » ط : « والذى » س : « والدب » والوجه ما أثبت . وانظر الجزء السادس ص ٨ .

(٥) كلمة : « والتى » ليست فى الأصل . وفى الأصل : « كلها » بدل : « لها » .

(٦) ل : « وأشباه ذلك » .

(٧) فيما عدا ل : « والماعزة لقرابتها من الناس » .

(الماعز التي لا ترد)

وزعم الأصمعيّ أن لبني عُقَيل ماعزاً لا ترِد(١) . فأحسِب واديهم أخصبَ وادٍ وأرطبَه(٢) . أليس هذا من أعجب العجَب ؟ !

(جلود الماعز)

ومن جلودها تكون القِربُ ، والزِّقاق ، وآلة المشاعل(٣) ، وكُلّ نِحْى(٤) ، وسُعْن(٥) ، ووَطْب ، وشُكَيّة(٦) وسِقاء ، ومَزادة ، مسطوحةً كانت أو مثلوثة(٧) . ومنها ما يكون الُخون(٨) ، وعِكْمُ السَّلْف(٩) ، والبطائن(١٠) ١٤٣

(١) ترد : من ورود الماء . ل : « ماعزة » . والماعزة الواحدة من الماعز .

(٢) انظر هذا الخبر في (٦ : ٩١) ساسى .

(٣) فيما عدا ل : « والمناكل » تحريف . والمشاعل : جمع مشعل ، وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه . قال ذو الرمة :

أضعن مواقت الصلوات عمدا وحالفن المشاعل والجرارا

(٤) النحى ، بالكسر : الزق ، وقيل ما كان للسمن خاصة . فيما عدا ل : « خرج » .

(٥) السعن ، بالضم والفتح : قربة تقطع من أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها . وهو شبيه بدلو السقائين يصبون به في المزايد . ط ، س : « ثفر » هـ : « ثغر » صوابهما في ل .

(٦) الشكية : تصغير الشكوة ، وهي بالفتح : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة . ل : « شكوة » س : « شكة » هـ : « شكته » ، والأخيرتان محرفتان .

(٧) الجوهري : المثلوثة: المزادة تكون من ثلاثة جلود . ل : « مثلوثة » تحريف .

(٨) الخون : بالضم : جمع خوان بالضم والكسر ، وهي المائدة يوضع عليها الطعام . ل : « الحوز » س : « بالحون » محرفتان . ط : « الخوان » وأثبت ما في هـ . وقد تكون « الجون » بضم ففتح : جمع جونة ، وهي سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٩) العكم والعكام ، بالكسر فيهما : حبل يربط به . والسلف ، بالفتح : الجراب ، أو الضخم منه . وفي الأصل : « لكم السلف » .

(١٠) ل : « الكيسانى » . وفي اللسان : « والكيسانية جلود حمر ليست بقرظية » .

والجُرُب . ومن الماعزة تكون أنطاع البُسط[١] ، وجِلال الأثقال فى الأسفار[٢] ، وجِلال قِبابِ الملوك . وبقباب الأَدَم تتفاخر العرب[٣] . وللقباب الحمر قالوا : مضر الحمراء[٤] . وقال عَبيد بن الأبرص :

فاذهبْ إليكَ فإنِى من بنى أسَدٍ ... أهلِ القِباب وأهلِ الجُردِ والنادى[٥]

(الفخر بالماعز)

وقالوا[٦] : وفخرتم بكبشة وَكبيشة وأبى كبشة ، فمِنّا عنز اليمامة[٧] ، وعنز وائل[٨] ، ومنا ماعز بن مالك ، صاحب التوبة النَّصوح[٩] .

---

(١) النطع ، بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم . فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) فى اللسان (١٣ : ١٢٦ س ٢) : « وجلال كل شىء غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها » . قلت : يبدو لى أنها جمع لا مفرد ، وأن مفردها جل ، وأصله غطاء الدابة .

(٣) ط ، ه : « يتفاخر العرب » .

(٤) قالوا : إن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع أولاده وأوصى لكل منهم ، فأوصى لمضر بقبة حمراء . وانظر حديث هذه الوصية فى بلوغ الأرب (٣ : ٢٦٤ — ٢٦٦) والمفضليات القصيدة ٩٦ : ٢٢ طبع المعارف . فيما عدا ل : « قيل » موضع : « قالوا » .

(٥) الجرد : جمع أجرد ، وهى الخيل القصيرة الشعر . فيما عدا ل : « الجود » تحريف صوابه فى ل والديون ص ٧٠ نقلا عن مختارات ابن الشجرى ١٠٠ . وفى شرح المختارات : « اذهب إليك : زجر . إنما ذكر النادى لأن لهم سادات يجتمعون فيه ولا للقوم ناد إلا ولهم سيد » .

(٦) فيما عدا ل : « قال » :

(٧) عنز هى المعروفة بزرقاء اليمامة ، كانت أبصر خلق الله على بعد . انظر الميدانى : (أبصر من زرقاء اليمامة) .

(٨) هو عنز بن وائل بن قاسط .

(٩) ماعز بن مالك ، أحد الصحابة ، كان قد زنى فأقر على نفسه ، وانطلق إلى الرسول يطلب إقامة الحد ، وألح فى ذلك إلحاحا بيناً ، فأمر الرسول برجمه فرجم ، فلما عضه مس الحجارة انطلق يسعى ، فاستقبله رجل بلحى جزور ، فضربه به فصرعه

[وقال صاحبُ الماعز : وطعنتم على الماعزة بحفرها عن حتفها ، فقد قيل ذلك للضأن . من ذلك قولُ البكرى[1] للعنبرية ، وهى « قَيلة[2] » وصار معها إلى النبى فسأله الدّهناء[3] ، فاعترضت عنه قيلة ، فقال لها البكريّ : إنى وإياكِ كما قال القائل : « عن حتفها تبحثُ ضأنٌ بأظلافها[4] ! » فقالت له العنبرية : مَهْلاً ، فإنك ما علمتُ : جواداً بذى الرِّجْل[5] ، هادياً فى الليلة الظلماء ، عفيفاً عن الرفيقة ! فقال : لازلتِ مُصَاحَباً بعد أن أثنيتِ علىّ بحضرة الرسول بهذا !] .

(ضرر الضأن ونفع الماعز)

وقالوا: والنعجة حرَب[6] ، واتّخاذها خُسران ، إلا أن تكون فى نعاجٍ سائمة ، لأنها لا ترفعُ رأسها من الأكل . والنعجةُ آكلُ من الكبش ،

وقال فى شأنه رسول الله : « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمى لأجزأت عنهم » و : « والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة يتقمس فيها » . انظر مسند أحمد (٥ : ٢١٧) والسنن الكبرى للبيهقى (٨ : ٢٢٥ — ٢٢٨) ومسلم (٢ : ٣٣ — ٣٥) والإصابة ٧٥٨١ وتأويل مختلف الحديث ٢٣٨ — ٢٤١ .

(١) هو الحارث ، أو حريث بن حسان ، وافد بكر بن وائل ؛ كان صحب قيلة فى وفادة على الرسول للمبايعة ، فبايعه حريث علي الإسلام وعلى قومه ، ثم قال : يا رسول الله ، اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور . فقال : اكتب له يا غلام بالدهناء . فاعترضت قيلة ، فقال: أمسك ياغلام . وانظر القصة مفصلة فى الإصابة ٨٩٦ قسم النساء ومجمع الزوائد للهيثمى (٦ : ٩) وفيه تصحيحات قيمة كثيرة لما فى الإصابة من التحريف ، والفائق للزمخشرى (٢ : ١٢٨) والعقد (١ : ١٨٣ — ١٨٥) .

(٢) هى قيلة بنت مخرمة التميمية العنبرية . ترجمتها فى الإصابة .

(٣) الدهناء : واد فى بلاد بنى تميم ببادية البصرة .

(٤) نص المثل فى مجمع الزوائد والعقد والميدانى (٢ : ١٧٥) : « حتفها تحمل ضأن بأظلافها » .

(٥) ذو الرجل ، بكسر الراء : موضع فى ديار كلب . ورواية المجمع والعقد : « لذى الرحل » .

(٦) الحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله . فيما عدا ل : « جرب » تحريف .

والجِجْرُ آكَلُ من الفحْل ، والرَّمَكَة آكلُ من البِرذَون . والنعجة لايقوم نفعها بمَؤُونتها[١] . والعنز تمنعُ الحيَّ الجلاء[٢] ، فإن العربَ تقول : إن العُنوق تمنع الحيَّ الجَلاء[٣] .

والصفيَّة من العِرَاب أغزر من بُختيةٍ[٤] [بعيداً[٥]] .

ويقال[٦] : « أحمَقُ من راعِي ضأن ثمانين[٧] ! » .

(كرم الماعز)

وأصناف أجناسِ الأظلاف وكرامها بالمعز أشبَه ، لأن الظِّباء والبقر من ذَوات الأذناب والشعَر[٨] ، وليست من ذوات الألايا والصوف[٩] . والشُّمُل[١٠] ، والتعاويذ والقلائد[١١] ، إنما تُتَّخذ للصفايا ، وَلا تُتَّخذ

---

(١) سه : «بموونها» تحريف .

(٢) الجلاء : النزوح عن الوطن . فيما عدا ل : « الخلا » تحريف .

(٣) العنوق : جمع عناق بالفتح ، وهي أنثى المعزى إذا أتت عليها سنة . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « القلوص » وهى الفتية من أولاد الإبل والنعام ، ولا وجه له . وفيما عدا ل : « العلوم » تحريف . وكلمة « الجلاء » هى فيما عدا ل : « الخلا » محرف .

(٤) العراب ، بالكسر : العربية . والبختية : الخراسانية تنتج بين عربية وفالج . ل : « الصفى » فيما عدا ل : « من نجيبة » .

(٥) هذه الز[يادة م]ن ل ، هـ .

(٦) ط فقط : « أو يقال » تحريف .

(٧) وذلك لأن الضأن تنفر من كل شىء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها فى كل وقت . وروى الميدانى فى (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ فى هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » .

(٨) فيما عدا ل : « الأوبار والشعر » وكيف يصح ذلك ؟ !

(٩) الألايا : جمع ألية ، على غير قياس . وبدلها فيما عدا ل : « الأوبار » تحريف .

(١٠) الشمال ، ككتاب : شبه مخلاة يغشى بها ضرع العنز إذا ثقل ، وجمعه شمل .

(١١) القلائد ، جمع قلادة ، وهى ما يجعل فى عنق الدابة . ل : « والقلائد والتعاويذ » .

للنعاج ، ولا يخاف عَلَى ضروعها(١) العين والنفْس .

والأشعار التى قيلت فى الشاء إذا تأمّلتها وجدْت أكثرها فى المعز : فى صفاياها وفى حُوِّها(٢) ، وفي تيوسها وفى عُنوقها وجدائها(٣) . وقال مُخارِقُ ابنُ شُهابٍ المازنى(٤) — وكان سيِّداً كريما ، وكان شاعراً — فقال يصفُ تيسَ غنمه :

وراحت أُصَيلاناً كأن ضُروعَها	دِلاء وفيها واتدُ القَرْن لبلَبُ(٥)
له رَعثات كالشُّنُوف وغُرَّةٌ	شَدِيخٌ ولونٌ كالوذِيلة مُذْهَبُ(٦)
وعَيناً أحَمِّ المُقْلَتين وعُصْمَةٌ	ثُنَى وصلُهادان من الظِّلف مُكْثِبُ(٧)
إذا دَوحةٌ من مُخلِف الضَّالِ أربَلَتْ	عطاها كما يعطو ذُرَى الضَّال قَرْهَبُ(٨)

(١) أى ضروع النعاج . فيما عدا ل : « ضروعه » .

(٢) الحو : جمع حواء وأحوى . والحوة : سواد إلى الخضرة . وفي الأصل : « حورها » تحريف . وانظر البيت السادس من الشعر التالى . ومما مدحوا به الحو من المعز قول أوس بن حجر :

يصوع عنوقها أحوى زنيم ... له ظأب كما صخب الغريم

(٣) ل : « وجدانها » .

(٤) فى الإصابة ٨٣١٠ : مخارق بن شهاب بن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى .

(٥) واتد : ثابت . و[illegible] : ذو اللبلبة ، أي الشفقة على المعزى . ل ، س : « راحت » بالخرم . هـ : « صرورها » تحريف .

(٦) رعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين . والشنوف : جمع شنف وهو القرط . والغرة الشدخ : السائلة الطويلة . والوذيلة : المرآة ، أو قطعة مجلوة من الفضة . ط ، هـ : « رعنات » س : « رعبات » صوابه فى ل ، وعيون الأخبار (٢ : ٧٧) . وفيما عدا ل : « كالوديلة » تحريف .

(٧) العصمة ، بالضم : بياض فى يديه . ثنى : اثنان ، كما فى اللسان (١٨ : ١٢٧) مكثب : قريب . فيما عدا ل وكذا عيون الأخبار : « يواصلها » تحريف . فيما عدا ل : « أهدب » موضع : « مكثب » تحريف .

(٨) المخلف : الذى أخرج الخلفة وهو الورق الذى يخرج بعد ورق . والضال : شجر . ط ، هـ : « وفى مخذف » س : « من مخذف » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار : « من مخرف » . أربلت : كثر ربلها . والربل ، بالفتح : ورق يتفطر فى آخر القيظ =

تِلادُ رقيق الخدّ إنْ عُدَّ نَجْرُه   فصِرْدان نِعْمَ النَّجْر منه وأشعَبُ(١)

أبو الغُرِّ والحُوِّ اللَّواتى كأنها   من الحُسن فى الأعناق جَزْعٌ مُثَقَّبُ(٢)

١٤٤ إذا طاف فيها الحالبانِ تقابلت   عقائلُ فى الأعناقِ منها تَحَلَّبُ(٣)

ترى ضيفها فيها يَبيتُ بغِبطَةٍ   وضيفُ ابنِ قيس جائعٌ يتحوَّبُ(٤)

قال: فوفد ابن قيسٍ هذا، على النُّعمان، فقال له: كيف المخارقُ فيكم(٥) ؟
قال: سيِّدٌ شريف، [منْ رجل(٦)] يمدح تيسَهُ(٧) ، ويهجو ابنَ عمِّه !

= ببرد الليل من غير مطر . فيما عدا : « أرجلت » تحريف . عطاها : تناولها متطاولا إليها . فيما عدا ل : « عضاها » تحريف . والقرهب : الثور المسن الضخم .

(١) اتلاد : الذى ولد عندك . ل : « رفيق الخد » . والنجر ، بالفتح : الأصل والحسب و « صردان » كذا جاء مضبوطاً بالكسر فى ل . ط ، ﻫ : « سمى النجر » سه : « سم النجر » صوابهما ما أثبت من ل . فيما عدا : « أسغب » وهو وصردان من آباء هذا التيس . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٢) الغر : جمع غراء ، وهى ذات الغرة البيضاء فى الجبهة . والحو : جمع حواء . فيما عدا ل : « أبوالقز زالحو » تحريف . وفى عيون الأخبار : «أبوالحو والغر» . وقال مسعود بن خرشة فى هجاء رجل (الأغانى ٢١ : ١٦٦) :

له . أعنز حو ثمان كأنما   يراهن غر الخيل أوهن أنجب

والجزع بالفتح والكسر : خرز فيه سواد وبياض . أراد كأنها جزع مثقب فى أعناق الحسان .

(٣) الحالبان : مثنى حالب . وكان العرب يعتمدون الرعاة والعبيد للحلب ، ويتهاجون بحلب النساء . وفى اللسان (١ : ١٣٧) : « وفى الحديث : أنه قال لقوم لا تسقونى حلب مرأة . وذلك أن حلب النساء عيب عند العرب يعيرون به . فلذلك تنزه عنه » . والأعناق : الجماعات أو السادات . والتحلب : السيلان . عن غزر لبنها . ل : « طاف منها » ط : « الحالبات » تحريف . وفيما عدا ل : « تقاذفت » . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٤) يتحوب : يتوجع . ل : « يتخوب » بالخاء ، فإن صح كان من الخوبة وهى الجوع وفى اللسان أيضاً : « خاب يخوب خوبا افتقر » . وانظر العمدة (٢ : ٣٢) .

(٥) فيما عدا ل : « عندكم » وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار والعمدة .

(٦) التكملة من ل ، ﻫ وعيون الأخبار . وفى العمدة : « حسبك من رجل » .

(٧) فيما عدا ل : « نفسه » صوابه فى ل والعمدة وعيون الأخبار .

وقال الراجز :

أُنعَتُ ضاناً أُمجَرَتْ غِثاثاً[١]

والمَجَر : أن تشربَ فلا ترْوَى . وذلك من مَثالبها .

وقال رجل لبعض وَلَدِ سليمان بن عبدِ الملك : « ماتت أُمُّك بَغَرًا ، وأبوك بَشَمًا[٢] ! » :

وقال أعرابى[٣] :

أمَوْلَى بنى تَيمٍ ، ألستَ مؤدِّيًا ... مَنيحتَنا كما تُؤدّى المنائحُ[٤]

فإنك لو أدّيْتَ صعدَةَ لم تزلْ ... بعَلياءَ عندى، ما ابتغَى الرِّبحَ رابحُ[٥]

لها شعَرٌ داجٍ وجِيدٌ مُقلِّصٌ ... وخَلْقٌ زُخاريٌ وضَرعٌ مُجالِحُ[٦]

ولو أُشْلِيَتْ فى ليـلةٍ رجَبيَّةٍ ... لِأَرْوَاقِها هَطْلٌ من الماء سافحُ[٧]

---

(١) غثاثا : جمع غثة ، وهى المهزولة . فيما عدا ل : « عيانا » .

(٢) البغر ، بالتحريك ، هو المجر ، وقد مر تفسيره . فيما عدا ل : « بجرا » . والبشم ، بالتحريك : تخمة عن الدسم .

(٣) هو جبيهاء الأشجعى المترجم فى (٤ : ٢٦) . وكان مولى من بنى تيم بن معاوية قد استمنحه عنزا وماطله فى ردها ، فقال هذه الأبيات يتقاضاه المنيحة . انظر المفضلية ٣٣ طبع المعارف والمؤتلف ٧٨ والقالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) وتنبيهات البكرى ١٠٩ والأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها . فيما عدا ل : « كيما تؤدي » وفى المفضليات والمؤتلف والتنبيهات والأغانى : « فيما » .

(٥) صعدة : اسم العنز التى منحه إياها . ويروى : « غمرة » . العلياء : الرفعة .

(٦) شعر داج : سابغ طويل . وهذه الرواية أيضاً في المؤتلف . وفى المفضليات والأغانى والتنبيهات : « ضاف » . والمقلص ، بكسر اللام المشددة : الطويل . والزخاري ، بالضم : الكثير اللحم والشحم . ط ، هـ : « رخاوى » سه : « رحاوى » صوابهما ما أثبت من ل والمفضليات والمؤتلف والأغانى . وفى الأمالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) المخصص (١٢ : ٢٣٤) : « خدارى » خطأ نبه عليه البكري . والمجالح : الذى يدر على الجوع والقر . وفى المفضليات والأغانى والمؤتلف : « وضرس مجالح » يجتلح الشجر أى يقشره . وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر للبنه فى الشتاء .

(٧) أشليت : دعيت ، أى للحلب . رجبية : ليلة من ليالى الشتاء . لأرواقها : أراد =

لجاءت أمامَ الحالبَين وضَرْعُها   أمامَ صِفاقَيها مُبِدٌّ مُضارحُ[١]
وويلُ أمِّها كانت نتيجةَ واحد   ترامى بها بِيدُ الإكام القراوحُ[٢]

(أصناف الظلف وأصناف الحافر)

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلفِ في التشابه سبيلَ أصناف الحافر ، والخف - [واسمُ النَّعَم[٣]] يشتمل على الإبل والبقر [والغنم[٤] . وبُعْدُ بعضِ الظلف من بعض ، كبعده من الحافر والخف ؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر]والجواميس والظِّباء والخنازير و بقرِ الوحش ، وليس بين هذه الأجناس تسافد[٥] ولا تلاقح ، لا الغنم [في الغنم[٦]] من الضأن والماعز ، ولا الغنم في سائر الظلف[٧] ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافدُ غيرها أو تُلاَقِحُها[٨] . فهى تختلف

= لسحابها . وخص الشتاء لأن الألبان تقل فيه . هـ : « ولو أسبلت » ط ، ط : « لأروى بها هطل » سه : « لأردى بها » تحريفات .

(١) الصفاقان : ما اكتنف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة . مبد : يوسع ما بين رجليها لعظمه. مضارح: من الضرح وهو التنحية والدفع . ط : « وجيد » مكان « مبد » هـ : « وسد » تحريفان . وفي المفضليات : « مكاوح » . كاوحه : قاتله فغلبه . ط ، سه : « مطارح » هـ : « مضادح » محرفان .

(٢) ويل أمها : تعجب منها . فيما عدا ل : « وما أمها » صوابه في المفضليات والمؤتلف. نتيجة ، كذا في ل . وفيما عدا ل : « منيحة » وفي المفضليات والمؤتلف : « غبوقة طارق » . البيد : جمع بيداء . فيما عدا ل : « بهاتيك » والقراوح : جمع قرواح ، بالكسر ، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء . فيما عدا ل : « القوادح » تحريف .

(٣) هذه التكلة من ل ، سه . والكلمة التي بعدها هي في ط ، هـ : « تشتمل » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، سه . وسائر التكلة من ل .

(٥) ط ، هـ : « من تسافد » والكلام بعده إلى كلمة : « غيرها » ساقط من هـ .

(٦) هذا التكلة من ل ، سه . وقبل ذلك فيما عدا ل : « ولا الغنم » ، بإقحام الواو .

(٧) ط ، هـ : « الظفر » صوابه في ل .

(٨) فيما عدا ل : « من تسافد غيرها وتلاقحها » .

في الصوف والشعر ، وفى الأُنس والوحْشة ، وفى عدم التلاقُح والتسافُد وليس كذلك الحافرُ والخفّ .

(رجَز فى العنْز)

وقال الراجز :

لَهفى على عنْزين لا أنساهما[1] كأنّ ظِلّ حَجَرٍ صُغْرَاهُما
وصالِغٌ مُعْطِرةٌ كُبراهما[2]

قوله : صالغٌ[3] ، يريد انتهاء السنّ . والمعطرة : الحمراء . مأخوذة من العِطْر[4] . وقوله : « كأن ظلّ حجرَ صُغراهما » يريد أنها كانت سوداء ، لأن ظِلّ الحجَر يكونُ أسودَ ، وكلما كان الساتر أشدّ اكتنازاً[5] كان الظلّ أشدّ سواداً .

(قولهم : أظل من حجر)

وتقول العرب : ليس شىء أظلّ من حجرَ[6] ، ولا أدفأ من شجَر ، وليس يكون ظلٌّ أبرَدَ ولا أشدّ سواداً من ظلّ جبل . وكلما كان أرفع

---

(١) فيما عدا ل : « عنزى » وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٣) واللسان (٦ : ٢٥٩) .
(٢) فيما عدا ل : « ضالع » وفى المحاضرت : « صانع » صوابهما فى ل واللسان .
(٣) فيما عدا ل : « ضالع » تحريف . قال أبو عبيد : « ليس بعد الصالغ فى الظلف سن » .
(٤) العطر ، بالكسر : الطيب . فيما عدا ل : « المعطرة » تحريف .
(٥) ط ، هـ : « وكل ما » والوجه الوصل . فيما عدا ل : « القائم » بدل : « الساتر » . والاكتناز : الاجتماع والامتلاء . وهذه الكلمة وجملة : « كان الظل أشد » ساقطتان من هـ .
(٦) فى أمثال الميدانى (١ : ٤١١) : « أظل من حجر » وذلك لكثافة ظله . =

سَمْكاً[1] ، وكان مَسْقَط الشمس أبعَد ، وكان أكثر عرضاً وأشدَّ اكتنازاً ، كان أشدَّ لسواد ظله[2] .

١٤٥ ويزعم المنجِّمون أن الليلَ ظلُّ الأرض[3] ، وإنما اشتدَّ جدًّا لأنه ظلُّ كُرةِ الأرض[4] . وبقدر ما زاد بدنها[5] في العِظَم ازدادَ سوادُ ظِلِّها

وقال حُميد بن ثَور :

إلى شَجَرٍ أَلْمَى الظِلالِ كأنها ... رواهبُ أحْرَمْنَ الشرابَ عُذُوبُ

والشَّفة الحَمَّاء يقال لها لَمْياء[7] . يصِفُون بذلك اللِّثة . فجعَل ظِلَّ الأشجار الملتفَّة ألمى .

= قال الثعالبي في ثمار القلوب ٤٤٣ : « لأنه مصمت لا يتخلله خلل » . وأنشد :

كأنما وجهك ظل من حجر

انظر القالي (٢ : ١٢) والتنبيهات ٩٠ وعيون الأخبار (٤ : ٤١) . قال الميداني : « ليس للظل فعل يتصرف في ثلاثيه فيبنى منه أفعل التفضيل . وحقه : أشد إظلالا » .

(١) السمك ، بالفتح : العلو والارتفاع . ط ، هـ : « وكل ما » بالفك . والوجه الوصل .

(٢) فيما عدا ل : « محله » تحريف صوابه في ل وتاج العروس (٧ : ٤٢٨ س ١٤) .

(٣) كلمة : « الأرض » ليست في ل .

(٤) هذه الكلمة ليست في س .

(٥) فيما عدا ل : « جرمها » .

(٦) ألمى : كثيف أسود ، الأنثى لمياء . وضمير : « كأنها » يعود على : « ركاب » تقدم ذكرها في بيت قبله ، وهو كما في اللسان (٢٠ : ١٢٥) :

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا ... إلى مستكفات لهن غروب

وعندي أنها ضمير : « الشجر » . وفي المصباح ٩٦٨ : « كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة فإنه يذكر ويؤنث » وانظر تفصيل اختلاف اللغويين في هذه المسألة في المخصص (١٦ : ١٠٠ — ٢٠٢) . شبه الشجر بالرواهب . قال أبو حنيفة : « اختار الرواهب في التشبيه لسواد ثيابهن » . أحرمن الشراب : جعلنه حراما . عذوب : جمع عاذب ، وهو القائم يرفع رأسه فلا يأكل ولا يشرب . ط ، هـ « أجرين » ط ، هـ ، س : « السراب » صوابهما في ل : وفي ط ، س : « غروب » هـ : « عزوب » صوابهما في ل . وانظر اللسان (١٥ : ١٤ و ٢٠ : ١٢٥) .

(٧) الحماء : السوداء . فيما عدا ل : « الحسناء » تحريف . ط : « يقول لها » محرف .

(أقط الماعز)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لنا غَــــنَمٌ نُسوِّقها غِزارٌ ... كأنَّ قُرُونَ جِلّتِها العِصِيُّ[١]

فدلّ بصفة القرون[٢] [عَلَى] أنها كانت ماعزة . ثم قال[٣] :

فتملأُ بيتَنا أقِطاً وسَمْناً ... وحَسْبُكَ من غِنًى شِبعٌ ورِيُّ[٤]

فدلَّ [عَلَى] أن الأقط منها يكون .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لذوات الأظلاف : قد وُلِّدت الشاة[٥] والبقرة ، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة . يقال هذه شاة تُحلَب قفيزاً ، ولا [يقال] تَحلُب ، والصواب ضم التاء وفتح اللام .

ويقال أيضاً : وضَعَتْ ، فى موضع وُلِّدت . وهى شاة رُبَّى[٦] ، من حينِ تضعُ إلى خمسةَ عشرَ يوماً — وقال أبو زيد[٧] : إلى شهرين — مِنْ غنم

---

(١) ط ، هـ : « غزارا » . والجلة ، بالكسر : المسان . ورواية الصدر فى الديوان ١٦٥ : « ألا إلا تكن إبل فمزى » . وقال الوزير أبو بكر : « قال الأصمعى : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا . وأحسبه للحطيئة » .

(٢) فيما عدا ل : « قوله » موضع : « فدل » تحريف . ط ، س : « يصف » صوابه فى ل ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « فقال » صوابه ما أثبت .

(٤) الأقط : مر تفسيره فى ص ٤٨١ . ورواية الديوان : « فتوسع أهلها » .

(٥) ط ، هـ : « السيلة » س . « السبلة » صوابهما فى ل .

(٦) ربى ، على فعلى ، وجمعها رباب بضم الراء فيهما .

(٧) فيما عدا ل : « أبوزبيد » تحريف . وهو أبوزيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، اللغوى الثقة ، وكان من شيوخ الجاحظ . توفى سنة ٢١٥ .

رُباب ، مضمومة الرَّاء عَلَى فُعال ، كما قالوا: رَجُل ورُجال[١] ، وظئر وظؤار . وهى رُبَّى بيّنة الرِّبابْ والرِّبّة بكسر الرّاء ، ويقال هى فى رِبابها . وأنشد :

حَنِينَ أمِّ البَوِّ فى رِبابها[٢]

والرِّباب مصدر . وفى الرُّبى حديث عمر : « دَعِ الرُّبَى والماخِض والأَكولة[٣] . وقال أبو زيد : ومثل الرّبى من الضأن الرّغوث[٤] . قال طَرَفة:

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمْرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنا تخُور[٥]

---

(١) رجل بمعنى راجل يمشى على رجليه . ويفهم من صنيع اللسان (١٣ : ٢٨٥) وتفسير أبى حيان (١ : ٢٤٣) أن رجالا ، بالضم وتخفيف الجيم : جمع راجل . لكن يؤيد صحة ما أثبت من ل ، سه ، ه ما فى تاج العروس (٧ : ٣٤٣) « ورجال جمع رجل الراكب » . وانظر لهذا الجمع العزيز (ليس فى كلام العرب) ص ٢٣ والتاج (٣ : ٣٦٦ ، ٧ : ٣٤٢) . وجاء فى ط : « رخل ورخال » والرخل بالكسر وككتف : الأنثى من أولاد الضأن . وهى صحيحة أيضاً .

(٢) البو : ولد الناقة ، وهو أيضاً جلد ولدها يحشى تبناً أو نحوه لتعطف عليه فتدر . فى ربابها : أراد فى وقت ربابها ، وهو منذ تضع إلى خمسة عشر يوماً أو شهرين ، كما سبق . فيما عدا ل : « حين » ط ، سه : « أم البرق » ه : « أم البر » محرفات صوابها فى ل والمخصص (٧ : ١٧٨) والغريب المصنف ٣٢٧ مخطوطة دار الكتب ، واللسان (١ : ٣٨٩ س ١٧) .

(٣) نصه فى اللسان (١ : ٣٨٧) : « لا تأخذ الأكولة ولا الربى ولا الماخض » ، لكن ورد بنص الجاحظ فى (١٣ : ٢١) . الماخض : التى أخذها المخاض لتضع . فيما عدا ل : « الماحض » صوابه فى ل واللسان (ربب ، مخض ، أكل) . والأكولة : التى تسمن للأكل . قال ابن منظور : « أمر المصدق بأن يعد على رب الغنم هذه الثلاث ولا يأخذها فى الصدقة ، لأنها خيار المال » . اللسان (١٣ : ٢١) . وفى (٢ : ٤٥٨) : « وفى حديث الصدقة أن لا يؤخذ فيها الربى والماخض والرغوث » .

(٤) الرغوث : المرضع من الضأن خاصة ، واستعملها بعضهم فى الإبل . وقيل الرغوث من الشاه التى قد ولدت فقط . ه ، سه : «المرغوب» تحريف .

(٥) تخور : تصيح . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ٩ يهجو بها عمرو بن هند . وانظر الشعراء ٢٧ والميدانى (١ : ٣٦٥) والكامل ٨٦ والمخصص (٧ : ١٧٨) والألفاظ ٧١ .

وقالوا[١] : إذا وضعت العنز ما فى بطنها قيل سَليل ومَليط . وقال أبو زيد : هى ساعةَ تضَعُه[٢] من الضأن والمعز جميعاً ، ذكراً كان أو [أنثى]: سخلةٌ ، وجمعُها سَخْل[٣] وسِخَال . فلا يزال ذلك[٤] اسمَه ما رضعَ اللبَن ، ثم هى البَهْمة للذكر والأنثى ، وجمعُها بَهْم . وقال الشاعر :

وليس يزجرُكم ما تُوعَظُون به والبَهْمُ يزجُرُها الراعى فتنزجرُ

[ويروى : «يُزْجَر أحياناً»] . وإذا بلغَتْ أربعةَ أشهرٍ وفُصِلتْ عن أمهاتها ، وأكلَتْ من البقل واجترّت[٥] ، فما كان من أولاد المعز فهو جَفْر، والأنثى جَفْرة ، والجمع جِفَار[٦] . ومنه حديث عمر رضى الله عنه ، حين قضَى فى الأرنبِ يُصيبها المحرِمُ بجَفْر .

١٤٦

فإذا رَعَى وقوِىَ وأتى عليه حولٌ فهو عريض ، وجمعه عِرْضان[٧] . والعَتُود نحوٌ منه ، وجمعه أعْتِدة وعِتْدان[٨] . وقال يونس : جمعه أعتِدة

---

(١) ط ، هـ : « وقال » .

(٢) فيما عدا ل : « هى ما تضعه » . وفى اللسان : « المليط : الجدي أول ما تضعه العنز » .

(٣) هـ : « سخلة » وهى صحيحة بكسر ففتح .

(٤) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٥) اجترت : استخرجت من كرشها الطعام لتمضغه . ط فقط : « اجتزت » ، تحريف .

(٦) في اللسان والقاموس : « والجمع أجفار ، وجِفار ، وجفرة » . وضبطت : « جفرة » بالتحريك فيهما ضبط قلم . وفى المخصص (٧ : ١٨٦) : « هى الأجفار والجفرة » وضبطت بكسر ففتح ضبط قلم أيضاً ، ومثله في جمهرة ابن دريد (٢ : ٨١) .

(٧) فيما عدا ل : « عرض وجمعها عرضان » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « أعتد » صوابه بالهاء . ويقال فى « عتدان » أيضاً : « عدان » بالإدغام .

وعِتِد[١] . وهو فى ذلك [كلِّه] جدْىٌ ، والأنثى عَناق . وقال الأخطل[٢] :

واذكر غُدَانَةَ عِتِــدانًا مُزَنَّمَةً ... من الحَبَلَّق يُبْنَى حولها الصِّيَرُ[٣]

ويقال [له] إذا تبع أمَّه وفُطِم : تِلْوٌ ، والأنثى : تِلوة ؛ لأنه يتلو أمَّه .

ويقال للجَدْى : إمَّر والأنثى إمَّرَة[٤] . وقالوا : هِلَّع وهِلَّعة[٥] . والبدرة : العَناق أيضاً[٦] . والعُطعُط : الجدى . فإذا أتى عليه الحولُ فالذكر تيس والأنثى عَنْز[٧] . ثم يكون جذَعا فى السَّنة الثانية ، والأنثى جذَعة . ثم ثَنِيًّا فى الثالثة ، والأنثى ثَنِيَّة . ثم يكون رَباعياً فى الرابعة ، والأنثى رَباعية . ثم يكون سَديساً ، والأنثى سَدِيس أيضاً مثل الذكر بغير هاء . ثم [يكون] صالغاً والأنثى صالغة[٨] . والصالغُ[٩] بمنزلة البازل من الإبل ، والقارح

---

(١) ط ، ه : « جمعه أعتد » صوابه فى ل ، س . وأما « عتد » فجمع قياسى لم تذكره المعاجم .

(٢) من قصيدته التى مطلعها (انظر الديوان ٩٨ — ١١٢) :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوى فى صرفها غـير

(٣) غدانة : ابن يربوع بن حنظلة . والمزنم : الذى له زنمتان معلقتان تحت لحيه . والحبلق : غنم صغار . والصير ، بكسر ففتح : جمع صيرة ، بالكسر ، وهى حظيرة من خشب وحجر . ط ، ه : « عتاده » س : « عدانه » صوابهما فى ل . ط ، ه : « عتادا » صوابه فى ل . وفى س : « عدانا » بالإدغام . وهى رواية الديوان واللسان (عتد . حبلق ، صير) . ط : « ريمة » ه : « مريمة » صوابه فى ل ، س والمصادر . ط ، ه : « من العناق » صوابه فى ل ، س ، والمصادر . ط ، ه « ساه حولها » محرفة ، س : « شاء حولها » وأثبت ما فى ل . « ويروى » : « تبنى فوقها » فى اللسان (٦ : ١٤٩) و : « تبنى حولها » فى الديوان واللسان (٤ : ٢٧١) والمخصص (٨ : ١١) . ط ، ه : « الصبر » س : «الضبر» صوابهما فى ل والمصادر .

(٤) الإمر ، بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة . فيما عدا ل : « أمر » تحريف .

(٥) فى القاموس : « ماله هلع ولا هلعة كإمر وإمرة : جدى ولا عناق » .

(٦) الذى فى المعاجم أن البدرة بالفتح جلد السخلة .

(٧) ط ، ه : « عنزة » خطأ صوابه فى ل ، س .

(٨) فيما عدا ل : « ضالعاً والانثى كذلك » تحريف . انظر التنبيه ٢ من ص ٤٩٣ .

(٩) فيما عدا ل : « الضالع » تحريف .

من الخيل . ويقال: قد صَلَغَ يَصْلَغُ صُلوغاً ، والجمع الصُّلَّغ[١] . [وقال رؤبة :

والحربُ شهباء الـكباشِ الصُّلَّغ[٢]]

وليس بعد الصالغ شيء .

وقال الأصمعيّ : الحُلاّم والحُلاّن[٣] من أولاد المعز خاصة . وجاء في الحديث : « في الأرنب يصيبها المحرِمُ حُلاّم[٤] » . قال ابن أحمر :

تُهْدِي إليه ذراعَ البكْرِ تَـكْرِمَةً إمّا ذَكِيًّا وإما كان حُلاّنا[٥]

[ويروى : « ذراع الجدى »] ويروى : « ذَبيحا » ، والذبيح هو الذى أدْرَكَ أن يضحَّى به . وَقال مهلهل [بنُ ربيعة] :

---

(١) فيما عدا ل : « ضلع يضلع ضلوعا والجمع الضلع » محرف .

(٢) البيت في اللسان (١٠ : ١٢٤) قال : « الكباش : الابطال » . وانظر المفضليات (١٧ : ١٤ ، ٤١ : ٢٢ ، ١١٩ : طبع المعارف). جعل الأبطال شهبا لما عليهم من بياض الحديد والسلاح .

(٣) الحلام ، بضم الحاء وتشديد اللام أو تخفيفها . ط فقط : « الجلام » تحريف . وهذه بكسر الجيم وتخفيف اللام : جمع جلم وهو الجدى ، ولا وجه لها هنا . والحلان مثل الحلام بتشديد اللام . فيما عدا ل : « الحلاق » محرف .

(٤) في اللسان : « وفى حديث عمر أنه قضى في الأرنب يقتله المحرم بحلام » . ط : « جلام » صوابه في سائر النسخ واللسان .

(٥) تهدى ، بالبناء للفاعل . وضبط في اللسان (٣ : ٢٠٤ ، ١٦ : ٢٨٣) وأمالى القالى (٢ : ٩٠) والمخصص (٧ : ١٨٧) : « تُهدى » بالبناء للمفعول . وهو خطأ نبه عليه البكرى في التنبيه ١٠٢ ، وذلك لأن فاعله : « عيط » في بيت بعده ، وهو كما رواه البكرى :

عيط عطابيل لثن الرى وابتذلت مماطفاً سابريات وكتانا

يقول : تهدى إليه هؤلاء النساء الذراع تكرمة . يهزأ به ، لأن الذراع لا تهدى إلا لمهين ساقط ، لحقارتها وقلتها . البكر ، كذا وردت الرواية في ل واللسان (٢ : ٢٦٤) وضبطت في اللسان بفتح الباء . وأراه بكسر الباء ، وهو أول ولد . والرواية في سائر النسخ والمصادر : « ذراع الجدى » . حلانا ، هو في ط : « جلاما » ه ، سه : « حلاما » صوابهما في ل وسائر المصادر . وهو يعرض في هذا البيت برجل كان يشتمه ويعيبه ، يقال له سفيان ، يقول له في أول المقطوعة :

نبئت سفيان يلحانا ويشتمنا والله يدفع عنا شر سفيانا

وقبل البيت الشاهد ، كما في اللسان (١٦ : ٢٨٣) وتنبيه البكرى : =

كلُّ قتيلٍ في كليبٍ حُلاَّمْ   حتى ينال القتلُ آلَ هَمامْ[1]

وقالوا في الضأن كما قالوا في المعز[2] ، إلا في مواضع . قال الكسائي : هو خروف ، في [موضع] العريض[3] ، وَالأنثى خروَفة . ويقال له حَمَل ، وَالأنثى من الحِمْلان رِخل وَالجمع رُخال[4] ، كما يقال ظئر وظؤار[5] ، وَتَوأم[6] وتؤام. وَالبَهْمة: الضأن وَالمعز جميعاً. فلا يزال كذلك حتى يَصِيف . فإذا أكل وَاجترّ فهو فرير وفُرارة وفُرفور[7] ، وعُمْروس[8] . وهذا كله حينَ يسمَنُ ويجتر. وَالجِلاَم ، بكسر الجيم وَتعجيم نقطة من تحت الجيم[9] . قال الأعشى[10] :

=   فداك كل ضئيل الجسم مختشع   وسط المقامة يرعى الضأن أحيانا
جعل فداءه سفيان هذا الراعي الحقير ، تهزؤا به ، واحتقاراً له .

(١) همام هذا ، هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جساس بن مرة . وجساس هو الذي طعن كليب بن ربيعة . والمهلهل صاحب الشعر هو أخو كليب ، وهو الذي طالب بدم أخيه . وروى أن مهلهلا قال :

كل قتيل في كليب حلان   حتّى ينال القتل آل شيبان

انظر اللسان (١٦ : ١٨٢) والكنز اللغوى ١٩ . وفي الأغاني (٤ : ١٤٤) :

كل قتيل في كليب غره   حتّى ينال القتل آل مره

وهذه الرواية أيضاً في اللسان (٦ : ٣٢٢) . وقد قتل همام بن مرة في يوم واردات . وفي أمالي القالي (٢ : ٩٠) : « يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب ، بمنزلة الحلام الذي ليس بوفاء أن يذبح للنسك ، حتّى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به ». وانظر المخصص (٦ : ٩٦ ، ٧ : ١٨٧) والألفاظ ٢٧٦ .

(٢) فيما عدا ل : « المعزى » .

(٣) انظر التنبيه السابع من ص ٤٩٧ . فيما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٤) سه : « رجل والجمع رجال » وانظر ما سبق ص ٤٩٦ .

(٥) الظئر : المرضعة لغير ولدها . سه : « طير وطوار » محرف .

(٦) ه ، سه : « توم » ط : « تؤم » تحريف ، صوابه في ل .

(٧) فيما عدا ل : « قرقر وقرقار وقرقور » تحريف .

(٨) عمروس ، بضم العين . فيما عدا ل : « عمارس » تحريف . وعمروس يجمع على عمارس وعماريس .

(٩) الجلام ، بالكسر : جمع جلم ، وهو الجدى . وقيل الجلام غنم من غنم الطائف صغار .

(١٠) من قصيدة له في ديوانه ٦٧ — ٧٢ يمدح بها هوذة بن علي الحنفي . وقبل البيت : =

سَوَاهِمُ جِذْعانها كالجِلام وَأقرَحَ منها القيادُ النسورا(١)

[يعنى الحوافر] . واليَعْر : الجدى ، بإسكان العين . وقال البُرَيقُ الهذلى : (٢)

مُقيما بأملاح كما رُبط اليَعْرُ(٣)

وَالبذَجُ(٤) من أولاد الضأن خاصة . وقال الراجز(٥) :

قد هَلَكَتْ جارتُنامن الهَمجْ(٦) فإن تجُعْ تأكل عَتُوداً أو بَذَجْ(٧) ١٤٧

= جيادك فى الصيف فى نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

(١) الساهم : الضامر أو المتغير . والجذعان بضم الجيم وكسرها : جمع جذع ، وهو من الخيل ما استتم سنتين ودخل فى الثالثة . والنسور : جمع نسر ، وهو باطن الحافر . أقرح ، هى فى ط : « أقزع » س : « أقرع » ه : « أفزع » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « العتاد » بدل « القياد » محرف . ط ، ه : « السبورا » س : « السنورا » وأثبت الصواب من ل . ويروى : « قد أقرح » . ويروى : « قد أقرح القود » . والقود والقياد بمعنى . انظر اللسان (٧ : ١٤٦٠ ، ٣٧٠) والمخصص (٦ : ١٤٥ ، ٧ : ١٨٧) .

(٢) هو عياض بن خويلد الهذلى ، يلقب بالبريق . حجازى مخضرم . وله مع عمر بن الخطاب حديث . انظر معجم المرزبانى ٢٦٨ والإصابة ٦١٢٤ . وقبل هذا الشطر ، كما فى بقية أشعار الهذليين (القصيدة ١٢) ومعجم البلدان و اللسان (٧ : ١٦٥) :

وإن أمس شيخاً بالرجيع وولدة ويصبح قومى دون دارهم مصر
أسائل عنهم كلما جاء راكب مقيما بأمــلاح كما ربط اليعر

قال ابن منظور : « كان قد توجه قومه إلى مصر فى بعث فبكى على فقدهم » .

(٣) أملاح : موضع ، قال ياقوت : « وقد تكرر ذكره فى شعر هذيل ، فلعله من بلادهم » . واليعر ، بالفتح : الشاة أو الجدى تشد عند زبية الذئب ل : « البعير » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ و المعجم والمخصص (٧ : ١٨٧) واللسان و بقية أشعار الهذليين .

(٤) البذج ، بالتحريك ، آخره ذال معجمة وجيم : هو من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز ، وهو الذى بلغ السفاد . ط : « البدخ » س : « البذح » ه : « البدح » صوابه فى ل .

(٥) هو أبو محرز المحاربى ، واسمه عبيد ، كما فى اللسان (٣ : ٣٣) .

(٦) الهمج ، بالتحريك : الجوع . وهمج : جاع . ط : « البذخ » ه : « البدح » س : « البذح » صوابها فى ل واللسان (٣ : ٣٣ ، ٢١٦) والميدانى (١ : ٢٦١) والأضداد ٢٧٩ .

(٧) العتود : الجدى بلغ السفاد . ه : « عنوز » محرف . والبذج : محرف فيما عدا ل . ففى ط : « بذخ » س : « بدح » ه : « أوح » .

والجمع بِذجَان[١] .

(دعاء أعرابى)

وقال أعرابيٌّ : اللهمَّ مِيتَةً كَمِيتَةِ أبى خارجة ! قالوا : وما مِيتةُ أبى خارجة ؟ قال : أكل بذَجاً[٢] ، وَشرب مِشعَلاً[٣] ، ونام في الشمس ، فأتَتْه المنيةُ شبْعانَ ريانَ [دفآن[٤]] ! .

(تيس بنى حمان)

وفى المثل : « أغلم من تيس بنى حِمّان[٥] » . وَ[بنو] حِمّان تزعم أنه قَفَط[٦] سبعين عنزاً وقد فُرِيت أوداجه .

فهذا من الكذِب الذى يدخلُ فى باب الخرافة[٧] .

(زعم لصاحب المنطق)

وقد ذكر أرسطوطاليسُ فى كتاب الحيوان ، أنه قد ظهر ثور[٨]

---

(١) بذجان ، بالكسر . ط : « بدخان » س : « بذخان » هـ : « بدحان » محرفات .

(٢) ط : « بدخا » سه : « بذخا » هـ : « بدحا » صوابه فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) . وفى ثمار القلوب ١٠٨ : « ثردا » .

(٣) المشعل ، بالكسر : زق ينتبذ فيه . فيما عدا ل : « عسلا » : وفي عيون الأخبار : « معسلا » . صوابهما ما أثبت من ل وثمار القلوب .

(٤) هذه التكلة من عيون الأخبار وثمار القلوب .

(٥) أغلم : من الغلمة . هـ : « أعلم » تحريف . وانظر ص ٢١٩ و٤٧١ .

(٦) قفط ، بتقديم القاف . والقفط : السفاد . ل : « فقط » تحريف .

(٧) ل : « وهذا من الكذب فى باب الخرافة » .

(٨) فيما عدا ل : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً » . وانظر ٢٢٠ .

وَثَبَ بعد أنْ خُصى ، فنزا على بقرةٍ فأحبَلها .

ولم يَحْكِ هذا عن مُعاينته[١] . وَالصدورُ تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وَتضِيقَ بتصديق هذا الشَّكْل .

(أحاديث فى الغنم)

قال : وَحدَّثنا سعد بن طريف[٢] ، عن الأصبغ بن نُباتة[٣] قال : سمعت عليًّا يقول : « ما أهلُ بيت لهم شاةٌ إلا يقدَّسون كلَّ ليلة[٤] » .

وَ [قال : حدثنا] عنبسة القطَّان[٥] ، قال حدَّثنا [السكن بن] عبد الله بن عبد الأعلى القرشىّ[٦] ، عن رجل من الأنصار ، أن رسول الله

---

(١) فيما عدا ل : « ولم نجد هذا من معاينة » لكن فى س : « عن معاينة » .

(٢) ط فقط : « وحدثنى » . وهو سعد بن طريف الإسكاف الحذاء الحنظلى الكوفى ، روى عن الأصبغ بن نباتة ، وأبى إسحاق السبيعى ، وعكرمة . وعنه خلف بن خليفة ، وعلى بن مسهر ، وابن عيينة ، مفرط فى التشيع ، ورمى بالضعف والوضع . تهذيب التهذيب (٣ : ٤٧٣) . وفى الأصل : « سعيد » تحريف .

(٣) أصبغ بن نباتة التميمى الحنظلى الكوفى ، يكنى أبا القاسم . متروك رمى بالرفض ، وهو من التابعين ، روي عن عمر ، وعلى ، والحسن بن على ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه سعد بن طريف ، والأجلح ، وثابت ، وفطر بن خليفة ، ومحمد بن السائب الكلبى . وكان شيعيا . تهذيب التهذيب (١ : ٣٦٣) . ونباتة ، بضم النون ، كما فى ل والخلاصة والقاموس مادة (صبغ) . فيما عدا ل : « ثباتة » بالثاء المثلثة ، تحريف .

(٤) التقديس : التطهير والتبريك . ط فقط : « ما من أهل بيت » بزيادة « من » .

(٥) هو عنبسة بن سعيد القطان الواسطي ، ويقال البصري . روى عن الحسن ، وشهر بن حوشب ، وهشام بن عروة ، وعنه ابن أخيه سعيد بن أبى الربيع وإسماعيل بن صبيح . تهذيب التهذيب (٨ : ١٥٧) .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما لدى من المراجع .

صلى الله عليه وسلم قال : [« امسحوا رُعام الشاء[١] ، ونقوا مرابضَها من الشوكِ والحجارة ، فإنها فى الجنة » .

وقال : « مامن مسلمٍ له شاة إلا قُدِّس كلَّ يوم مرة . فإن كانت له شاتان قدِّس فى كل يومٍ مرتين » .

قال : وحدثنا عنبسة القطان ، بهذا الإسناد ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال] : « أُوصيكم بالشاء خيراً ، فنقُّوا مرابضَها من الحجارةِ والشوك[٢] فإنها فى الجنة » .

وعن محمد بن عجلان[٣] ، عن وهب بن كيسان[٤] ، عن [محمد بن] عمرو بن عطاء [العامرىّ[٥]] من بنى عامر بن لؤىّ ، أن رجلا مرَّ على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وهو بالعقيق ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد غُنَيمة [لى[٦]] . قال : أَمسح رُعامها[٧] ، وأَطِبْ مُرَاحها[٨] ،

---

(١) الرعام ، بالضم والعين المهملة : ما يسيل من أنوفها .

(٢) كلمة : « والشوك » ليست فى ل .

(٣) ط ، ه : « حدثنى محمد بن عجلان » وأثبت صوابه من ل ؛ إذ أن محمد بن عجلان وقد ترجم فى (٢ : ٢٩٢) قد توفى سنة ثمان وأربعين ومائة . وليس فى س إلا « محمد بن عجلان » فقط .

(٤) وهب بن كيسان القرشى ، مولى آل الزبير ، المعلم ، المكي . روي عن أسماء بنت أبي بكر ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومحمد بن عمرو بن عطاء . وعنه هشام بن عروة ، وأيوب ، وابن عجلان ، وابن الماجشون : قال النسائي : ثقة . ووثقه ابن حبان . توفى سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ : ١٦٦) .

(٥) هذه التكلة يقتضيها الكلام . وفى تهذيب التهذيب (٩ : ٣٧٣) : محمد بن عمرو ابن عطاء بن عباس العامرى . روى عن أبى حميد الساعدى ، وابن عباس ، وأبى هريرة وسعيد بن المسيب . وروى عنه أبو الزناد ، وابن عجلان ، وابن أبى ذئب . ثقة صالح الحديث .

(٦) هذه من س فقط.

(٧) الرعام ، سبق تفسيره فى التنبيه الأول . س : « رغامها » تصحيف .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . ط : « أطيب » س ، ه : « اطلب » صوابهما فى ل .

وصلٍ فى جانبِ مُراحها[١] ، فإنها من دوابِّ الجنة .

و [عن] فرج بن فضالة[٢] ، عن معاوية بن صالح[٣] ، عن رجل من أصحاب أبى الدرداء ، أنه عَمِلَ طعاماً[٤] اجتهد فيه ، ثم دعاه فأكل ، فلما أكل قال : الحمد لله الذى أطعَمَنَا الخمِيرَ ، وألبسَنا الحبيرَ[٥] ، بعد الأسودَين الماء والتمر : [قال] : وعند [صاحبه] ضائنة له[٦] ، فقال[٧] هذه لك ؟ قال : نعم . [قال] : أطِبْ مُراحها[٨] ، واغسِلْ رُعامها ، فإنها من دوابِّ الجنة[٩] ، وهى صفوة الله من البهائم .

[قال : وحدَّثنا] إبراهيم بن يحيى[١٠] ، عن رجل ، عن عطاء بن

---

(١) هذه العبارة ساقطة من هـ ، ط : « وأصلى » بدل : « وصل » تحريف .

(٢) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة . وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولمولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) . فيما عدا ل : « فرح » بالمهملة ، صوابه بالجيم .

(٣) هو معاوية بن صالح بن حُدير ، أبو عبد الرحمن الحمصى ، قاضى الأندلس . روى عن مكحول وابن راهويه ، وربيعة بن يزيد ، وعنه الثوري ، والليث ، وابن وهب. وسمع منه الناس حين حج سنة ١٥٤ فكتب عنه أهل مصر والمدينة . وتوفي سنة ١٥٨. تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٠٩) .

(٤) فيما عدا ل : « جعل طعاما » .

(٥) الخمير : الخبز قد خمر عجينه . ط : « الخبز » تحريف . والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً . فيما عدا ل : « الحبر » . وفى اللسان (٥ : ٢٣٠) نسبة الكلام إلى « أبى ذر » : وكذا فى نهاية ابن الأثير .

(٦) فيما عدا ل : « عنزة » مكان : « عند » تحريف . والضائنة : الأنثى من الضأن . ل « ضأنة » س ، هـ : « ضانية » صوابهما ما أثبت من ط .

(٧) فيما عدا ل : « قال » .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تَراح إليه الماشية ليلا . فيما عدا ل : « أطيب » تحريف .

(٩) الرعام ، مر تفسيره . هـ : « رغامها » تحريف . وفيما عدا ل : « دواب الله » محرف .

(١٠) إبراهيم بن يحيى [بن] محمد بن عباد بن هانئ الشجرى . روى عن أبيه . وعنه البخارى فى غير الصحيح . قال أبو حاتم : ضعيف . تهذيب التهذيب (١ : ١٧٦) .

أبى رباح[١] ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عز وجل خَلَقَ الجنة بيضاء ، [وخيرُ الزِّىِّ البياض] » . قال : و بعث إلى الرُّعيان : « من كانت له غنمٌ سُودٌ فليَخْلِطْها بعُفْر ، فإنَّ دمَ عفراء أزكى من دمِ سَوْدَاوين[٢] » .

وحدثنا أبو المقدام[٣] قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن حبيب[٤] ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بالرُّعاة[٥] فجُمعوا [له] ، فقال: « من كان منكم يَرعَى غنما سوداً فليخلِطْ فيها بِيضاً » . قال : وجاءته[٦] امرأةٌ فقالت : يارسول الله ، إنى اتخذت غنما[٧]

---

(١) عطاء بن أبى رباح القرشى المكي ، من سادات التابعين علماً وفقهاً . روى عن ابن عباس وابن عمر ومعاوية وزيد بن أرقم وأبى هريرة وعائشة . مات سنة أربع عشرة ومائة . ورباح ، بفتح الراء بعدها باء موحدة . واسم أبى رباح أسلم . وكان عطاء من المعلمين . انظر تهذيب التهذيب (٧ : ١٩٩) والمعارف ١٩٦ ، ٢٣٨ .

(٢) العفراء : الخالصة البياض . فيما عدا ل : « أرجى من دم سوداوين » . وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٣) هو هشام بن زياد بن أبى زيد القرشى ، أبو المقدام المدنى ، روى عن أبيه ، والحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عروة ، وعنه وكيع ، وابن المبارك . رمى بالضعف . تهذيب التهذيب (١١ : ٣٨) .

(٤) عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك المدني ، مولى بنى مخزوم ، روى عن على بن الحسين وعطاء ، وعنه سليمان بن بلال ، وعبد الله بن جعفر بن نجيح ، وأسامة بن زيد الليثى . ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال الحاكم : من ثقات المدنيين . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٩) .

(٥) س ، هـ : « بالرعاء » يقال رعاة ورعاء : جمع راع .

(٦) فيما عدا ل : « وجاءت » .

(٧) ط ، هـ : « عنزة » تحريف ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) . وموضع هذه الكلمة أبيض فى س .

رجوت نسلها ورِسْلَها[١] وإنى لا أُراها تنمو[٢] . قال : « فما ألوانها ؟ » قالت : سود . قال : « عفِّرى » . أى اخلطى فيها [بيضاً[٣]] .

قال : وحدثنا طلحة بنُ عمرو الحضْرَمىّ[٤] ، عن عطاء ، أن رسول ١٤٨ الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغَنَم بركة موضوعة ، والإبلُ جمالٌ لأهلها ، والخيرُ معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة[٥] » .

حنظلةُ بن أبى سفيان المكىّ[٦] قال : سمعت طاووساً يقول : « من هاهنا أطلعَ الشيطانُ قرنَيه ، من مطلِع الشمس . والجفاء والكِبْرُ فى أهل الخيل والإبل ، فى الفدّادينَ أهل الوبر[٧] . والسكينةُ فى أهل الغنم » .

---

(١) الرسل ، بالكسر : اللبن . فيما عدا ل : « رسلها ونسلها » .

(٢) سه : « لأراها سواء » ط ، هـ : « لا أراها سواء » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) : « وإنها لا تنمو » .

(٣) هذه من ل ، سه .

(٤) هو طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى ، من كبار أتباع التابعين ، روى عن عطاء وأبى الزبير ، وسعيد بن جبير ، وعنه جرير بن حازم ، والثورى ، والطيالسى ، ووكيع . رووا أنه أملى أكثر من أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب . وقد ضعفه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٢٣) .

(٥) سه : « فى نواصى الخير » بالراء .

(٦) حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحى المكي . روى عن سالم بن عبد الله ، وسعيد بن ميناء ، وطاوس ، وعكرمة ، ونافع ، وعطاء . وعنه الثورى ، وابن المبارك ، ووكيع . ذكره ابن حبان فى الثقات . وتوفى سنة ١٥١ . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٦٠) . ل : « قال وحدثنا حنظلة » بإقحام : « قال : وحدثنا » .

(٧) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة ، الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف وقيل هم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . فيما عدا ل : « والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

[قال] وحدثنا بكر بن خُنيس[١] ، عن يحيي [بن عُبَيد الله] بن عبد الله بن مَوْهب[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأسُ الكُفر قِبَلَ المشرق ، والفخرُ والخيلاء فى أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر[٣] . والسكينة فى أهل الغنم ، والإيمانُ يمانٍ ، والحكمة[٤] يمانية » .

و [عن] عوف بن أبي جَميلة[٥] ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الفخرُ فى أهل الخيل ، والجفاء فى أهل الإبل ، والسكينة فى أهل الغنم » .

و [عن] عثمان بن مِقْسَم[٦] ، عن نافع ، أن ابنَ عمرَ حدثه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « السكينةُ فى أهل الغنم » .

والفدّاد : الجافي الصوتِ والكلامِ . وأنشدنا أبو الرُّدينىّ العكلىّ :

جاءت سُلَيْمٌ ولها فَديدُ[٧]

---

(١) بكر بن خنيس ، بالخاء المعجمة والنون وآخره سين مهملة ، مصغرة ، كوفى سكن بغداد ، صدوق له أغلاط . وكان يوصف بالزهد والعبادة . وأرخه الذهبى فى حدود السبعين ومائة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨١) . ط : «جيس» س ، ه : «جيش» صوابهما فى ل .

(٢) يحيي بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة ، التيمى المدني . روى عن أبيه ، وعنه ابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، ويحيي بن سعيد القطان . كان يروى المناكير ، ورمى بالضعف . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٥٢) فيما عدا ل : « يحيى بن عبد الله ، عن وهب » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فى أهل الإبل والخيل والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة . انظر الجامع الصغير ٤٣٧٢ .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٩) .

(٦) هو عثمان بن مقسم البرى ، أبو سلمة الكندى البصرى ، حدث عنه أبو سفيان ، وأبو عاصم ، وأبو داود ، وشيبان بن فروخ . وكان ينكر الميزان يوم القيامة ، ويقول : إنما هو العدل . وقد رمى بالكذب والغلط . انظر لسان الميزان (٤ : ١٥٥) . ومقسم ، كنبر . والبرى ، بضم الباء . انظر القاموس (برر) والمشتبه للذهبى ٣٧ .

(٧) فيما عدا ط فقط : « جاءت سليمى » .

(أخبار ونصوص فى الغنم)

وكان من الأنبياء عليهم السلام مَنْ رعى الغنم . ولم يَرْع أحدٌ منهم الإبل . وكان منهم شعيب[١] ، وداود ، وموسى ، [ومحمد ، عليهم السلام].

قال الله جل وعز : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ[٢] ﴾ .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرعى غُنَيمات خديجة .

والمُعْزِبون بعزولهم البُعدَ من الناس ، فى طباع الوحش[٣] .

وجاء فى الحديث : « من بَدَا جفا[٤] » .

ورُعاء الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً ، وأبعد من الفظاظة والغلظة[٥] .

وراعى الغنم إنما يرعاها بقرب الناس ، [و] لا يُعْزِبُ ، ولا يبدو ولا ينتجع[٦] . [قالوا : والغنم فى النوم غُنْمٌ] .

وقالوا في الغنم : إذا أقبلتْ أقبلتْ ، وَإذا أدبرت أقبلت[٧] .

---

(١) ل : « كان منهم شعيب » . وكلمة : « وكان » ساقطة من سه .

(٢) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة طه .

(٣) المعزبون : الذين أعزبوا : أى بعدوا بماشيتهم عن الناس فى المرعى ، وهذه الجملة ليست فى ل .

(٤) حديث حسن رواه أحمد عن البراء ، وكذا رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس . وزاد الطبرانى : « ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتي أبواب السلطان افتتن » . الجامع الصغير ٨٥٥٧ ، ٨٥٥٨ . وانظر البيان (١ : ٢٩) .

(٥) فيما عدا ل : « من الغلظ والجفا » .

(٦) يبدو : يخرج إلى البادية . ط ، هـ : « يبيد » تحريف . سه « يبعد » وأثبت ما فى ل . ينتجع : يطلب الكلأ فى موضعه .

(٧) فى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) والعقد (٤ : ٢٥٨) أنه حديث . وبقيته فيهما : « والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم » . وفى الفائق للزمخشري (٢ : ٩٥) ؛ ومثله فى اللسان والنهاية .

(الحامى والسائبة والوصيلة)

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسهم[١] : الحامى والسائبة[٢] . ولأصحاب الشاء الوصيلة[٣] .

(العتيرة والرجَبيَّة والغَذَوِىّ)

والعتيرة أيضاً من الشّاء[٤] . [و] كان أحدهم إذا نذر أن يذبحَ من العتائر[٥] والرجبية كذا وكذا شاة ، فبلغ الذى كان يتمنَّى فى نذره[٦] ،

= (عنن) — : « سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبل فقال : أعنان الشياطين ، لا تقبل إلا مولية ، ولا تدبر إلا مولية ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » . قال الزمخشرى : « إن الإبل لكثرة آفاتها فإن من شأنها أنها إذا أقبلت أن يعتقب إقبالها الإدبار ، وإذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهاباً وفناء مستأصلا ، ولا يأتى نفعها ، يعنى منفعة الركوب والحلب ، إلا من جانبها الذى ديدن العرب أن يتشاءموا به ، وهو جانب الشمال » .

(١) ط ، هـ : « مما يحرمون » ل : « ما يحرمونه » . وأثبت ما فى سه .

(٢) الحامى : الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود — قيل عشرة أبطن — فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشىء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . والسائبة : كان الرجل فى الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد ، أو برئ من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب ، قال : ناقتى سائبة ، أى تسيب فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب .

(٣) الوصيلة : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ثم ولدت فى الثامنة جدياً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة . وبين المفسرين واللغويين خلاف فى تحديد معانى الحامى والسائبة والوصيلة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٣٦ — ٤١) .

(٤) كلمة « من الشاء » ليست فى ط .

(٥) العتائر ، كان العرب فى الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه فى رجب كذا وكذا . وفى الحديث : « هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى يسمونها الرجبية » . كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه . انظر اللسان (رجب) . ل : « من الغنائم » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « قدره » تحريف .

وشحٌ على الشاء قال : [و] الظِّباء أيضاً شاء ، وهى تجزِى إذا كانت شاء .
فيَجعلُ عتائره من صيدِ الظباء . وقال الحارث بن حلِّزة :

عَنَتاً باطلا وظُلماً كما تُعْـ   ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ(١)

وقال الطرِمّاح(٢) :

كلَوْنِ الغَرِىِّ الفَرْدِ أجْسَدَ رأسَهُ   عَتائرُ مظلومِ الهَدِىِّ المذبَّحِ(٣)

ومنها الغَدَوِىُّ(٤) [والغَذَوِىّ جميعاً . و] قال الفرزدق(٥) :   ١٤٩

ومهورُ نِسْوَتِهِمْ إذا ما أنكَحُوا   غَذَوِىُّ كلِّ هَبَنْقَعٍ تِنْبَالِ(٦)

---

(١) ل : « عنتا باطنا » سه : « كما تعتري » تحريفان . وقد سبق البيت فى ١٧٦ .
(٢) ط ، سه : « الرماح » صوابه فى ل ، ه . والبيت من قصيدة للطرماح فى ديوانه ١٧٥ .
(٣) الغرى : حجر ينصب يلطخ بالدماء ، كان ذلك فى الجاهلية يفعل به . المجسد : المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران : أراد لطخ رأسه بالدم . والمظلوم : ما ذبح لغير علة . والهدى : ما أهدى إلى مكة من النعم ، ومثله الهدى بفتح الهاء وسكون الدال . وبهما قرئ : (حتى يبلغ الهدى محله) فى الآية ١٩٦ من سورة البقرة . وقال : « المذبح » ولم يقل : « المذبحة » لأن الهدى فى لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فرد المذبح على الهدى . فيما عدا ل : « كأن الغوى » وفى ل : « كلون الغزي » صوابهما فى الديوان . ه : « الهدى المدلج » صوابه فى الديوان وسائر النسخ . وهذا البيت فى صفة ذئب . وقبله :
عملس غارات كأن مسافه   قرى حنظب أخلى له الجو مقمح
(٤) الغذوي ، بالغين المعجمة : كل ما فى بطون الحوامل ، وقوم يجعلونه فى الشاه خاصة . فيما عدا ل : « العدوى » بالمهملة ، وهو تحريف نبه عليه الأزهرى . انظر اللسان (١٩ : ٢٦٨) .
(٥) من قصيدة له فى النقائض ٢٧٥ — ٢٩٤ والديوان ٧٢٥ — ٧٣٤ يهجو بها جريراً .
(٦) يعنى نسوة بنى كليب . أنكحوا ، رواه أبو عبيدة بفتح الهمزة والكاف . غذوى ، بالذال المعجمة . وفيما عدا ل : « عدوى بكل » محرف . ويروى : « غدوى » بالدال المهملة . وفى اللسان (٢٠ : ٣٥٥) « منسوب إلى غد ، كأنهم يمنونه ، فيقولون : تضع إبلنا غداً فنعطيك غداً » . والهبنقع : القصير الملزز الخلق . والتنبال ، بالكسر : القصير . فيما عدا ل : « مثقال » صوابه فى ل والنقائض والديوان واللسان « غدو ، غلو ، هبقع) . وفى النقائض : « قال : مهور نسوتهم الحملان ليس يمهرن الإبل » .

(ميل الحيوان على شقه الأيسر)

[و] قال أبو عتّاب : ليس في الأرض شاة ولا بعيرٌ ولا أسَدٌ ولا كلبٌ يريدُ الرُّبوض إلا مال على شِقّه الأيسر ، إبقاء على ناحية كبده .

قال : ومتى تفقدتم الصفايا التى فى البيوت[1] ، والنعاجَ ، والجِداء ، والحُمْلاَن وجدتموها[2] كذلك .

(معالجة العقاب الفريسة)

قال : والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصْعَدَتْ بالأرانب والثعالبِ فى الهواء ، وإذا ضربتْ بمخالبها فى بطون الظّباء والذئاب . فإذا اشتكت كبدها أحسّت بذلك[3] ، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكلُ من كبدِه : [حتى تبرأ . وإن لم تُعاينْ فريسة فربما جلّت[4] على الحمار الوحشىّ فتنقضُّ عليه انقضاضَ الصخرة ، فتقدُّ بدابرتها مابين عجْب ذنبه إلى منسِجه[5] . وقد ذكرنا من شأنها فى باب القول فيها ما فيه كفاية[6]] .

(أخذ الحيوان على يساره حين الهرب)

قالَ : وليس فى الأرضِ هاربٌ من حَرْبٍ أو غيرها استعملَ

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » .
(٢) ط فقط : « وجدتموها » تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « واشتكت كبدها وأحست بذلك » .
(٤) جلى ببصره تجلية : أغمض عينيه ثم فتحهما ، ليكون أبصر له . فى الأصل : « وربما »
(٥) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجله ، وبها يضرب الصيد . والعجب ، بالفتح : الذنب . والمنسج ، كمجلس : ماشخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق .
(٦) انظر الجزء الثالث ١٧٩ — ١٨٢ والجزء الثانى ٢ : ٣١٨ — ٣١٩ .

الحضر[١] إلا أخَذَ على يساره[٢] ، إذا ترك عزْمَه وسَوْمَ طبيعته[٣] . وأنشد :

تخامَصَ عن وحْشِيِّهِ وهو ذاهلٌ   وفى الجوف نار ليس يخبو ضِرامَها[٤]

وأنشد الأصمعى للأعشى[٥] :

ويسَّر سَهْماً ذا غِرَارٍ يسوقُهُ   أمينُ القُوَى فى ضالةِ المترنِّمِ[٦]

فمرَّ نَضِيُّ السَّهمِ تحت لبانِهِ   وحالَ على وحْشِيِّهِ لم يعتِّمِ[٧]

قال : ووضع : « على » موضع : « عن » .

(ميل شقشقة الجمل ولسان الثور)

وفى بابٍ آخرَ يقول أوسُ بن حَجَرَ — وذلك أنه ليس فى الأرض

---

(١) فيما عدا ل « فاستعمل الحضر » والحضر ، بالضم : العدو .

(٢) فيما عدا ل : « عن يساره » .

(٣) السوم : التكليف . ل : « وسوء طبيعته » تحريف صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٦٨) .

(٤) تخامص عن الشىء : تجافى . ط ، هـ : « تحامص » . محرف . والوحشى : الجانب الأيمن .

(٥) ل : « وأنشد للأعشى » .

(٦) يسر : هيأ . والضمير للصائد الذى يبغى صيد هذه الحمر الوحشية . والغرار ، بالكسر : حد السيف والرمح والسهم . أمين القوى ، يعنى الوتر . الضالة : عنى بها قطعة الضال التى صنع منها القوس . والمترنم : القوس يترنم عند الإنباض . والقوس يذكر ويؤنث . ط ، هـ : ولبس » س : « وليس » موضع : « ويسر » تحريفان . ط ، هـ : « ذا عذار » س : « عزار » محرف . وفيما عدا ل أيضاً : « فى حالة » . وصواب كل ذلك فى ل وديوان الأعشى ٩٣ .

(٧) النضى : نصل السهم . واللبان ، بالفتح : الصدر ، أو وسطه . حال : تحول . لم يعتم : لم يبطئ . ط : « فريفى » س ، هـ : « يضى » ط ، هـ : « تحت عذاره » س : « لباته » تحريفات صوابها فى ل والديوان واللسان (عتم ، نضا ، ثمم) . هـ ، س : « وجال » بالجيم ، ومثلها فى المواضع من اللسان ، تحريف صوابه فى ل ، ط . فيما عدا ل : « لم يعيم » تحريف . ورواية الديوان واللسان فى الموضع الأخير : « لم يثمثم » . والثمثمة : التوقف .

جملٌ هاج وأخرج[1] شِقْشِقَتَه إلا عدَلَ بها إلى أحدِ شِقَّي حنَكه . والثورُ إذا عدا[2] عدل بلسانه عن شِقِّ شماله [إلى يمينه . و] قال عَبَدَةُ بن الطبيب :

مُستقبِلَ الريحِ يهفو وهو مُبْتَرِكٌ ... لِسانه عن شِمَالِ الشدْقِ معدولُ[3]

وقال أوسُ بن حجر :

أوْ سَرَّكم فى جُمادَى أن نصالحكم ... إذِ الشقاشق معدولٌ بها الحنَكُ[4]

(حال الثور عند الكر والفر)

قال : وإذا كر الكلبُ أو الثور [فهو] يصنَع[5] خلاف صَنيعه عند الفر[6] . وقال الأعشى :

فلما أضـــاء الصبحُ قامَ مُبادِرًا ... وحان انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يَمَّما[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فأخرج » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا عدل » تحريف .

(٣) يهفو : يسرع فى خفة . المبترك : المعتمد فى سيره لا يترك جهداً . معدول : ممال . ط : « الشرق » سه ، هـ : « الشوق » صوابهما فى ل والمفضليات (٢٦ : ٤١ طبع المعارف) .

(٤) جمادى ، هو الشتاء كله . ل : « أن يصالحكم » . الشقاشق : جمع شقشقة ، بكسر الشينين ، وهي الجلدة الحمراء التى يخرجها الجمل من حلقه . ط فقط : « الشقاقش » تحريف . وفى الديوان : « إذا الشقاشق » . معدول : ممال . وفي الحديث : « لا تعدل سارحتكم » ، أي لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى . ط فقط : « بها الجنبا » تحريف . والبيت من أبيات أربعة في ديوان أوس ، أولها :

زعمتم أن غولا والرجام لكم ... ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

(٥) هذه الكلمة ساقطة من سه . وفى ط ، هـ : « صنع » .

(٦) الفر : الفرار . ط : « العدو » مع إسقاط واو : « وقال » تحريف .

(٧) الشاة : الثور الوحشى . وفى الأصل : « الشاء » صوابه فى الديوان ٢٠٢ واللسان (٨ : ٤٠٤ و١٥ : ٨٤) . والرواية فيهما : « من حيث — خيما » . خيم بالمكان : أقام . ويمم : قصد ، وأحسبها تحريفا .

فَصَبَّحَهُ عندَ الشروقِ غديّةً … كلابُ الفتى البكريِّ عوفِ بن أرقما[1]

فأطلقَ عن مجنوبِها فاتَّبعنَه … كما هيَّج السامى المعسِّلُ خشرَما[2]

فأنحى عَلَى شُؤمَى يديهِ فذادها … بأظمأَ من فرعِ الذؤابةِ أسحَما[3]

١٥٠

ثم قال :

وأدبَرَ كالشِّعْرَى وُضُوحاً ونُقْبَةً … يُواعِسُ من حُرِّ الصَّريمةِ مُعظَما[4]

(علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين)

قال : ولعلمِ العرب بأن طبع[5] الإنسان داعيةٌ إلى الهرب من شِقٍّ

---

(١) يعنى صبح الصائد هذا الثور بكلابه .

(٢) المجنوب : الذى يقاد ، جنبه : قاده إلى جنبه . السامى : الذى يسمو فى الجبل ليأخذ العسل : والمعسل : الذى يشتار العسل ويجمعه من الخلية . والخشرم ، بفتح الخاء والراء : جماعة النحل . يقول : أطلق هذا الصائد عن كلابه فهجن كما هاج النحل . فى الأصل : « فأطرق » . و « حشرما » بالمهملة ، صوابهما فى الديوان . ل ، سه : « الشامى » بدل : « السامى » .

(٣) أنحى : اعتمد . الشؤمى : نقيض اليمنى . الأظمأ : القرن الصلب . كذا فى شرح الديوان . قلت : الأظمى الرمح الأسمر ، معتل . فهو قد شبه القرن به ثم همزه . وأما تفسير الديوان فلم يرد فى معجم . يقول : ذاد الثور الكلاب عنه بهذا القرن . فيما عدا ل : « فأضحى » و : « فزادها » صوابه فى ل والديوان . ط : « بأضحاء » هـ : « بأضماء » صوابه فى ل و سه والديوان واللسان (١٥ : ٢٠٨) . وقد روى البيت فى اللسان منسوبا إلى القطامى وأوله : « فخر » ومثل هذه النسبة فى المخصص (٢ : ٣ ، ١٥ : ١٩١) . وليس فى صلب ديوان القطامى .

(٤) أدبر : ولى . ط : « أبرز » محرف . والشعرى : نجم . والنقبة ، بالضم : اللون . فيما عدا ل : « وثقبة » تحريف . يواعس : من المواعسة ، وهو ضرب من السير . ورواية الديوان : « يواعن » وفى شرحه : « يواعن : يدخل فى الوعان » . والوعان : خطوط فى الجبال ، جمع وعنة ، وهو بياض فى الأرض لا ينبت شيئاً . فيما عدا ل : « يداعس » تحريف . وصريمة الثور : رملته التى هو فيها . وحرها ، بالضم : وسطها وخيرها . والمعظم : العظيم . يقول : أدبر الثور ، بعد أن قتلها ، كالشعرى فى لونه .

(٥) فيما عدا ل : « طباع » . والتاء فى داعية للمبالغة .

الشمال ، يحبُّون أن يأتوا أعداءهم من شِقِّ اليمين . قال : ولذلك قال شُتَيم بن خُوَيلِد[١] :

فجئناهمُ من أيمنِ الشِّقِّ غُدْوَةً ويأتى الشَّقِىَّ الحَيْنُ من حيث لا يدرى

وأما روايةُ أصحابنا [فهى[٢]] : « فجئناهم من أيمنِ الشق عندهم » .

(الأعسر من الناس واليَسَر)

وإذا كان أكثرُ عمل الرجُل بيساره كان أعسَر ، [فإذا استوى عملا بهما قيل « أعسَرُ يسَرٌ[٣] » ، فإذا كان أعسر مُصْمَتاً فليس بمستوى الخلق[٤]] ، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلْق[٥] . ويشتقُّون من اليد العُسْرى[٦] العُسْر والعُسرة . فلما سمَّوها الشِّمال[٧] أجرَوْها فى الشؤم وفى المشؤوم على ذلك المعنى[٨] . وسموها اليد اليَسارَ واليدَ اليُسرى على نَفْى العُسر والنَّكَد ، [كما قالوا : سليم ، ومفازة[٩] . ثم أفصحوا بها فى موضعٍ فقالوا[١٠] اليد الشُّؤْمَى] .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٢) . ل : « شييم » بياءين ، صوابه ما أثبت من سائر النسخ ، وهوما نص عليه صاحب القاموس فى ترجمة (شتم) . وفيما عدا ل : « ولذا » بدل : « ولذلك » .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) يسر ، بالتحريك . وفى الحديث : « كان عمر رضي الله عنه أعسر أيسر » . قال أبو عبيد : هكذا روى في الحديث . وأما كلام العرب فالصواب أنه أعسر يسر .

(٤) فى الأصل ، وهوهنا ل : « يستوى الخلق » وما أثبت أقرب تصحيح له .

(٥) ل : « بسوى الخلق » فيكون تكراراً لما قبله .

(٦) العسرى ، بالضم والقصر : نقيض اليد اليسري . ل : « العسراء » وهو وصف مؤنث الأعسر . وليس مراداً .

(٧) فيما عدا ل : « بالشمال » .

(٨) ل : « فى السوق » تحريف . وكلمة : « المشؤوم » ساقطة من ل ، وبدلها فى هـ : « المشموم » تحريف .

(٩) السليم : اللديغ . والمفازة : البرية القفر .

(١٠) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فقال » .

(مما قيل من الشعر فى الشمال)

ومما قالوا فى الشمال قولُ أبى ذُؤَيب :

أَبِالصَّرْمِ من أسماء جَدَّ بِكَ الذى جَرَى بيننا يوم استقَلَّتْ رِكَابُها[1]
زجَرْتَ لها طَيْرَ الشِّمالِ فإن يكن هَوَاكَ الذى تهوى يُصِبْكَ اجْتِنَابُها[2]

وقال شُتَيم بن خُوَيلد[3] :

وقلتُ لسَيِّدِنا يا حليمُ إنك لم تَأْسُ أسْوًا رفيقا[4]
[زَحَرتَ بها ليلةً كلها فجئتَ بها مُؤْيِداً خَنفقيقا[5]]
أعنْتَ عَدِيًّا على شَأْوِها تُعادِى فريقاً وتبقى فريقا[6]

---

(١) جد به الأمر : اشتد . اللسان (٤ : ٨٤ س ١١) . استقلت : ارتحلت . فيما عدا ل : « أبا الصرم » صوابه فى ل وأشعار الهذليين (١ : ٤) . وفى أشعار الهذليين وما عدا ل : « حدثك الذى » .

(٢) الزجر : التشاؤم والتيمن بالطير . وفى اللسان (١٣ : ٣٨٨) : « وجرى له غراب شمال أى ما يكره ، كأن الطائر إنما أتاه عن الشمال » وأنشد البيت . ط ، س : « زحرت » تصحيف . وفى أشعار الهذليين واللسان : « فإن تكن » .

(٣) ل : « شيم » بياءين وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٤) فيما عدا ل : « أمرا رفيقا » تحريف صوابه فى ل والبيان (١ : ١٣٥) والحيوان (٣ : ٨٢) والأضداد ٢٢٥ . قال الأنباري : « أراد يا حليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٥) الزحر ، بالحاء المهملة : إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة ، ومنه زحرت المرأة عند الولادة . وضمير « بها » للداهية التي عناها . والمؤيد ، كمؤمن : الأمر العظيم والداهية . والخنفقيق : الداهية . يقول : سهرت للرأى ليلة كلها فجئت بداهية . فى الأصل ، وهوهنا ل وكذا فى جمهرة العسكرى ص ٤٣ : « زجرت » بالجيم ، صوابه فى معجم المرزبانى ٣٩٢ والميداني (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ والخزانة (٢ : ٣٥٨ بولاق) . ويروى : « مخضت » في المخصص (٢ : ٨٩) و : « سهرت » فى اللسان (١١ : ٣٨٢) . وروى : « به » فيما عدا المرزبانى والميدانى والبيان والجمهرة . وروى : « مودنا » فى الميدانى والمخصص والخزانة واللسان .

(٦) ل : « وتنفى فريقاً » .

أَطَعْتَ عُرَيِّبَ إبطَ الشِّمَالِ تُنَحِّى لِحدِ المَوَاسِي الحُلوقَا[1]

وقال آخر[2] :

وهوَّنَ وجْدى أننى لم أكنْ لهم غرابَ شِمالٍ ينفضُ الرِّيشَ حاتما[3]

وإذا مال شِقُّه قالوا : احْوَلَّ شِقُّه[4] . وقال الأشتر بن عُمارة[5] :

عَشيَّةَ يدعو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفرٍ أخوكم أخوكم أحْوَلُ الشِّقِّ مائلُه[6]

وقال آخر[7] :

---

(١) عريب ، بالضم ففتح فياء مشددة مكسورة : لقب معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كما فى معجم المرزبانى ٣٩٢ . وقد ورد بهذا الضبط فى ل ، وهو ما يقتضيه وزن الشعر. فيما عدا ل : « غريب » تحريف . وكان معاوية يلقب أيضاً « إبط الشمال » لقب بهذا البيت . قال المرزبانى فى معجمه : « وكان مشوهاً » صوابه : « مشؤوما » . المواسى : جمع ، موسى ، موسى الحلاق . والحلوق : جمع حلق . عنى أنه كان يعين على قتلهم واستئصالهم . فيما عدا ل : « بحد » . وفى ط ، ه : « الحلوقا » وهذه محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) الحاتم : الغراب الأسود ، وهو غراب البين . فيما عدا ل : « غراب الشمال ينفض الريش جاثما » وفيه تحريف .

(٤) احول : مال ، وأصله فى العين ، يقال حولت واحولت . فيما عدا ل : « حول » وهما صحيحتان .

(٥) لم أعثر له على ترجمة إلا أن شعره كان فى حرب هرأميت ، وهى من الحروب الإسلامية ، كانت فى زمن عبد الملك بن مروان ، فى فتنة ابن الزبير ، وكانت بين الضباب — وهم بنو معاوية بن كلاب — وبين إخوتهم بنى جعفر بن كلاب . وفى هذه الحرب طعن الأجلح الضبابى « معترا » الجعفرى ، ضربه ضربة أشرعت في شقه ، فنادى مِعتر : يا بنى جعفر إن شددتمونى بثوب فلا بأس على ! فلم يلبث أن مات . فقال فيه الأشتر بن عمارة الضبابى هذا البيت التالي . انظر النقائض ٩٢٧ — ٩٣١ والعمدة (٢ : ١٦٧) .

(٦) معتر ، بكسر الميم وفتح التاء وآخره راء مهملة ، كما ضبطه فى النقائض ٩٣٠ . ط ، س : « معمر » ل : « معتز » صوابهما فى ه والنقائض . فيما عدا ل : « جريح صريع » بدل : « أخوكم أخوكم » صوابه فى ل والنقائض . وفى النقائض : « أجدل » بدل « أحول » .

(٧) هو محمد بن حازم الباهلى ، كما فى العقد (١ : ٣١٨) وسماه « ابن أبى حازم » تحريف . وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلى ، كان من ساكنى بغداد ، مولده =

أيَّ أخٍ كانَ لي وكنتُ لهُ ... أشفقَ من والدٍ على ولدِ[1]
حتى إذا قاربَ الحوادثُ من ... خَطْوِى وحلَّ الزمانُ من عُقَدى[2]
احولَّ عنِّى وكان ينظرُ من ... عينى ويرمى بساعِدِى ويَدِى[3]

(الوقت الجيد فى الحمل على الشاء)

قال الأصمعىّ : الوقت الجيِّد فى الحمل على الشاء أن تخلَّى سبعةَ أشهُرٍ بعد ولادها[4] . ويكون حملها خمسة أشهر ، فتولَّد[5] فى كل سنةَ مرة . فإنْ حُمِل عليها فى كل سنة مرتين فذلك الإمغال ، يقال : أمغَلَ بنو فُلانٍ ١٥١ فهم مُمْغلون ، والشاةُ ممغل .

وإذا وُلدت الشاةُ ومضَى لها أربعةُ أشهر فهى لجبة[6] ، والجميع

= ومنشؤه البصرة ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . وكان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وعاتبه يحي بن أكثم على اختصاره الشعر ، فأجابه بأبيات حسان . انظر الأغاني (١٢ : ١٥١ — ١٦٠) والمرزبانى ٤٢٩ ، وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(١) ل : « أيا أخا » وفى العقد والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٦) : « وصاحب كان » وبعد هذا البيت فى المحاسن بيتان ، ثانيهما فقط فى العقد ، وهما :

وكان لى مؤنساً وكنت له ... ليست بنا حاجة إلى أحـد
كنا كساق تسعى بهـا قدم ... أو كذراع نيطت إلى عضد

(٢) فى العقد : « دبت الحوادث فى عظمى » . وفى الأصل : « وشد الزمان من عقدى » والوجه ما أثبت من العقد والمحاسن والمساوى .

(٣) هذا البيت وحده فى عيون الأخبار (٣ : ١١١) . ورواية العقد : « ينظر من طرف » . وبعد هذا البيت فى المحاسن :

حتى إذا استرفدت يدى يده ... كنت كسترفد يد الأسـد

(٤) الولاد ، بالكسر : الولادة . فيما عدا سه : « ولادتها » .

(٥) ط فقط : « فتلد » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٦) اللجبة ، مثلثة ، وبالتحريك ، وكعنبة ، وفرحة . فيما عدا ل : « لحبة » بالحاء محرفة .

اللِّجاب واللَّجبات(١) . وذلك حين يأخذ لبنُها فى النقصان .

(استطراد لغوى)

قال : والأير من البعير : المِقْلَم ، ومن الحافر الجُرْدَان ، ومن الظلف كله : القضيب ، ومن الفرَس العتيق : النَّضِىُ(٢) . زعم [ذلك] أبو عبيدة(٣) .

وما أراد من الحافر [الفحلَ] فهو الوِداق ، وهو من الإبل الضَّبَعة(٤) ، ومن الضأن الحُنُوّ . ويقال(٥) : حنَتَ تحنو [حُنُوًّا] ، وهى نعجة حان كما ترى . وما كان من المَعْز فهو الحِرْمَة(٦) . ويقال : عنز حَرْمَى(٧) . وأنكر بعضهم قولهم : « شاةٌ صارف(٨) » وزعم أنه مولد .

قال : وهو من السباع الإجعال ، يقال : كلبةٌ مُجْعِل . فإذا عظُم بطنها قيل أجَحَّتْ فهى مُجِحٌ(٩) .

---

(١) ط ، هـ : « اللحاب واللحبات » س : « اللحاب واللحبان » صوابهما فى ل .

(٢) النضى ، بفتح النون وكسر الضاد المعجمة . فيما عدا ل : « المضا » ل : « النصى » صوابهما ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وزعم أبو عبيد » . وإنما هو أبو عبيدة . انظر اللسان (٢٠ : ٢٠٥ س ١٦ — ١٧) .

(٤) فى اللسان : « ضبعت الناقة بالكسر تضبع ضَبْعًا وضَبَعة ، وضبعت ، وأضبعت بالألف ، واستضبعت ، وهى مضبعة : اشتهت الفحل » .

(٥) فيما عدا ل : « وقال » .

(٦) الحرمة بكسر الحاء بعدها زاى . فيما عدا ل : « الحزمة » مصحف .

(٧) حرمى ، على وزان عجلى : وجمعه حرام وحرامى ، كعجال وعجالى . فى الأصل « وقال » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « خزمى » صوابه فى ل ، لكن ضبطت فيها بتشديد الياء ، والوجه القصر .

(٨) فيما عدا ل : « شاه » والوجه بالإفراد . وكلمة : « قولهم » ليست فى س .

(٩) بتقديم الجيم على الحاء . وفيما عدا ل « أحجت فهى محج » تحريف .

وما كان من الخف فهو مِشْفَر[١] ، وما كان من الغنم فهو مِرَمّة[٢] ، وما كان من الحافر فهو جَحْفَلَة[٣] .

وإذا قلت لكل ذات حمْل وضعتْ ، جاز . فإذا ميزْتَ قلتَ للخف نُتِجت ، وللظِّلف ولَّدت[٤] . والبقرة تجرى هذا المجرى . وقلت للحافر نتِجَتْ .

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان فى بطنها ولد : نَتوج . وإذا عظم بطنُ الحافر قيل قد أعقّتْ فهى عَقوق ، والجماعُ عُقُق[٥] ، و بعضهم يقول : عقائق .

و يقال للبقرة الوحشية نعجة . والبقرة تجرى مجرى الضائنة[٦] فى حالها .

وما كان من الخف فصوته بُغام . فإذا ضجَّتْ فهو الرُّغاء . فإذا طَرِبت فى إثْر ولَدها قيل حنَّتْ . فإذا مدت الحنين قيل سَجَرَت[٧] .

قال : والإلماعُ فى السباع وفى الخيل[٨] ، دون البهائم ، وهوَ أن تشرق ضروعها[٩] .

---

(١) المشفر ، بالكسر : واحد المشافر . ط : « مثفر » سه ، ﻫ : « شفر » صوابهما فى ل .

(٢) المرمة ، بالكسر ، وبالفتح لغة أيضاً ، وضبطت فى ل بفتح فكسر ، وهو خطأ .

(٣) ﻫ : « جحظة » تحريف .

(٤) انظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٥) فى اللسان : « جماع الشىء : جمعه ، تقول جماع الخباء الأخبية ؛ لأن الجماع ماجمع عدداً » . ط ، ﻫ : « والجمع » . والعقق ، بضمتين ، كما فى القاموس . وفيه أيضاً أن جمع الجمع عقاق ، ككتاب .

(٦) ل ، ﻫ : « الضانية » وهو تحريف نبهت عليه في التنبيه الثانى ص ٤٧٠ .

(٧) سجرت ، بالسين المهملة . فيما عدا ل : « شجرت » تحريف .

(٨) ط : « من السباع ومن الخيل » ل : « فى الخيل والسباع » ، وأثبت ما فى سه ، ﻫ .

(٩) في اللسان : « والإلماع فى ذوات المخلب والحافر : إشراق الضرع واسوداد الحلمة باللبن للحمل » . سه : « تشرف » تحريف .

[قال : والحروف فى الخيل والضأن ، دون البهائم كلها[١] .

قال]: ويقال للطير : قد قمطها يقمطها . ويقال للتيس والكلب: قد سَفَدَ يُسْفَدَ سِفادا[٢] . ويقال فى الخيل: كامها يكُومُها كَوْما، وكذلك فى الحافر كلّه. و [فى] الحمار وحده : باكها يبوكها بَوْكاً[٣] .

(قولهم : ماله سَبَد ولا لَبَد)

وتقول العرب : « ماله عندى سَبَدٌ ولا لَبَد » . فقدّموا السّبَد[٤] . ففى هذا المعنى [أنهم] قدموا الشَّعر على الصوف[٥] .

فإن قال قائل : فقد قدّموا[٦] فى مواضع كثيرةٍ ذكرَ ماهو أخَسّ[٧] فقالوا : « ماله عندى قليلٌ ولا كثير[٨] » ، [و : « العِير والنفِّير[٩] » حتى قالوا : الخلّ والزيت] ، وقالوا : ربيعة ومُضَر ، وسُلَيم وعامر ، والأوس

---

(١) فى سه تكلة تشبه هذه لكنها محرفة وهى : « والحروف فى الحمل والضأن دون البهائم وهو أن تشرف ضروعها » . والحروف فى الخيل : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . ومنه قول القائل يصف طعنة :

ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود

(٢) سفد ، كضرب وعلم .

(٣) هذان الفعلان ومصدرهما بالباء الموحدة . فيما عدا ل : « ناكها ينيكها نيكا » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٧٩ س ١١ .

(٥) فيما عدا ل : « ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف » محرف .

(٦) ط ، ه : « فقدموا » صوابه ما أثبت من ل ، سه .

(٧) أخس ، من الخساسة ، وهى الدناءة والحقارة . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « كثير ولا قليل » وهو عكس ما يراد .

(٩) العير ، بالكسر : كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال . والنفير : الجماعة من الناس . أو العير ما كان من قريش مع أبى سفيان ، والنفير ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة ، يوم بدر .

والخزرج . [وقال الله : ﴿لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً ولاَ كَبِيرةً إلاَّ أحْصَاهَا[(١)]﴾] .

والذى يدلُّ على أن ذلك الذى قلنا كما قلنا[(٢)] قولُ الراعى :

حتى إذا هبَطَ الغيطانَ وانقطعت عنه سلاسل رَمْل بينها عُقَدُ[(٣)]

لاَقى أُطَيْلِسَ مَشَّاءٍ بأكْلُبِهِ إثْرَ الأوابد مايَنْمِى له سَبَدُ[(٤)]

فقَدَّمَ السَّبَدَ . ثم قال :

يُشْلِي سَلُوقِيَّةً زُلاًّ جواعِرُها مِثْلَ اليعاسيب فى أصلابها أَوَدُ[(٥)]

وقال الراعى : ١٥٢

أما الفقيرُ الذى كانت حَلُوبَتُهُ وَفْقَ العيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[(٦)]

وهو لو قال: لم يُترك له لَبَدٌ، و [لو] قال : ما ينمى له لَبَدٌ — لقام الوزْنُ ، ولكان له معنى . فدلَّ [ذلك] على أنه إنما أراد تقديم المقدَّم .

(مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز)

قال صاحب الضأن : فَخَرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر ، وأنه

---

(١) من الآية ٤٩ فى سورة الكهف . وبعد هذه الآية في الأصل : « والعير والنفير » وهو تكرار لما أثبت فى التكملة السابقة من ل .

(٢) ل : « فالذى يدل على أن الذى قلنا كما قلنا » .

(٣) الغيطان ، جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض الواسع . ل : « فانقطعت » .

(٤) أطيلس : مصغر أطلس ، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ . وقد عنى به الصائد . فيما عدا ل : « بأكلته أمر الأوابد » بتحريف الكلمتين الأوليين صوابه فى ل واللسان (٧ : ٤٣١) . ورواية صدره فى اللسان : « صادفت أطلس» صوابه : «صادف» والأوابد : الوحش .

(٥) الزل : جمع أزل وزلاء ، وهو الخفيف الوركين ، أو الأرسح . والجاعرة : رأس أعلى الفخذ . واليعسوب : طائر أصغر من الجرادة ، أو أعظم ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل في الضمر . والأود : العوج . ﻫ : « ولا » س« دلأ » ل : « ولى » بدل : « زلا » محرف .

(٦) وفق العيال : أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه . انظر اللسان (١٢ : ٢٦٣) والمخصص (١٢ : ٢٨٥) وأدب الكاتب ٣٢ .

بالماعز أشبه ، فالإنسان ذو أليةٍ ، وليس بذى ذنب ؛ فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه .

[قال صاحبُ الماعز : كما فخرتم بقوله : ﴿ ثمَانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ[1] ﴾ وقلتم : فقد قدمها ، فقال الله : ﴿ يَامَعْشَرَ الجنِّ والإِنْسِ[2] ﴾ . فإن وجب لضأنك التقديمُ على الماعز بتقديم هذه الآية ـ وجَبَ للجنِّ التقديمُ بتلك الآية] .

(القول فى الضفادع)

[علَّمك الله علماً نافعاً ، وجعلَ لك من نفسك سامعاً ، وأعاذك من العُجْبِ ، وعرّفك لباسَ التقوي ، وجَعَلك من الفائزين] .

اعلمْ ، رحمك الله تعالى ، أن الله جل وعز[3] قد أضاف ستّ سُوَر من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة ، منها مما[4] يسمونها باسم البهيمة ، وهى سورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل وثلاثة [منها] ممايعدون اثنتين منها من الهمج ، وواحدةً من الحشرات[5] .

فلو كان موقع ذِكر هذه البهائم ، وهذه الحشرات والهمج ، من الحكمة والتدبير ، موقِعَها من قلوب الذين لايعتبرون ولا يفكرون ، ولا يميزون ،

---

(١) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٢) هى أول الآية ١٣٠ من سورة الأنعام والآية ٣٣ من سورة الرحمن . وفى الكتاب أيضاً : (يا معشر الجن قد استكثرتم) فى الآية ١٢٨ من سورة الأنعام . لم يرد غيرهن بهذا النداء فى الكتاب .

(٣) فيما عدا ل : « عز وجل » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) ل : « اثنين منها من الهمج وواحداً من الحشرات » ويشير بالهمج إلى سورتى النحل والعنكبوت . وبالحشرات إلى سورة النمل .

ولا يحصلون الأمورَ ولا يفهمون الأقدار — لما أضاف هذه السورَ العظامَ الخطيرة ، [و] الشريفة الجليلة ، إلى هذه الأمور المحقَّرة المسْخفَة ،(1) والمغمورة المقهورة .

ولأمرٍ مّا وضعها فى هذا المكان ، ونوَّه بأسمائها هذا التنويه. [فافهم، فإن الأديبَ الفَهِم(2) ، لايعوِّد قلبَه الاسترسال . وخُذْ نفسَك بالفكرة ، وقلبَك بالعبْرة] .

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلى . وهو قليلٌ فى جنب ما عند علمائنا . والذى عند علمائنا لايحَسُ(3) فى جنب [ما عند غيرهم من العلماء . والذى عند العلماء قليل فى جنب ما عند الأنبياء، والذى عند الأنبياء قليلٌ فى جنبِ] ما عند الله تبارك وتعالى .

من ذلك الضِّفدِع ، لايصيحُ ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكَه الأسفل [فى] الماء . فإذا صار فى فمه(5) بعض الماء صاح . ولذلك لاتسمعُ للضفادعِ نقيقاً إذا كُنَّ خارجاتٍ [من] الماء .

والضفادعُ من الحيوان الذى يعيش فى الماء ، ويبيضُ فى الشطّ ،(6) مثل الرّق(7) والسُّلحفاة ، وأشباه ذلك .

والضفادعُ تنقّ ، فإذا أبصرت النار أمسكت(8) .

---

(1) هو من قولهم أرض مسخفة ، كمحسنة : قليلة الكلأ . فيما عدا ل : « السجيفة » .
(2) الفهم ، ككتف : السريع الفهم .
(3) فيما عدا ل : « لا يحسن » تحريف .
(4) فى الأصل : « غيرى » .
(5) فيما عدا ل : « صار فيه » .
(6) الشط : الشاطئ . فيما عدا ل : « ويستوطن فى الشط » تحريف .
(7) الرق ، بالفتح : السلحفاة المائية . فيما عدا ل : « الزق » بالزاي ، تصحيف .
وانظر : (١ : ٣٠ / ٢ : ١٢٥ / ٤ : ٤٥ ، ١٠٢) .
(8) انظر : (٤ : ٤٨٦) .

(زعم فى الضفادع)

والضفادع من الحيوان الذى يُخلقَ فى أرحام الحيوان ، وفى أرحام الأرَضين[١] ، إذا ألقحتها المياه[٢] ، لأن اليَخّ[٣] بخراسان يُكبس فى الآزَاج[٤] ، ويحالُ بينه و بين الرِّيح والهواء والشمس ، بأحكم ما يقدرون عليه وأوثقه[٥] . ومتى انْخرق فى [تلك] الخزانة خرْقٌ فى مقدار مَنْخِر الثور حتى تدخلَه الريح ، استحال ذلك اليخُّ[٦] كله ضفادع .

ولم نعرف[٧] حقَّ هذا وصدقَه من [طريق] حديث الرجل والرجلين ، ١٥٣ بل نجدُ الخبَر عنه كالإطباق ، وكالخبر المستفيض الذى لا معارضَ له .

(أعجوبة فى الضفادع)

وفيها أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنا نجد ، من كِبارها وصغارها ، الذى لا يحصى فى غِبِّ المطر[٨] ، إذا كان المطر ديمة[٩] ، ثم نجدُها[١٠] فى

---

(١) ل : « من » بدل : « فى » فى الموضعين . وفى سه ، هـ : « من » فى الثانى فقط .
(٢) فيما عدا ل : « ألقحها المياه » .
(٣) اليخ ، بفتح الياء وتشديد الخاء المعجمة : الثلج ، مأخوذة من الفارسية : « يَخ » انظر استينجاس ١٥٢٨ . ولم تتعرض له معاجم اللغة ولا كتب المعربات . ط ، هـ : « البخ » سه : « السح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٤) الآزاج : جمع أزج بالتحريك ، وهو بيت يبنى طولا . وفى اللسان : « ويقال له بالفارسية أوستان » . ويجمع أيضاً على آزج وإزجة ، كفيلة . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٧١) . ط : « الأبراج » سه ، هـ : « الأراج » صوابهما فى ل .
(٥) فيما عدا ل : « وأوثق » .
(٦) ط ، هـ : « البخ » سه : « اليسح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٧) سه : « لو لم يعرف » .
(٨) غب المطر ، بالكسر : أى بعده .
(٩) الديمة ، بالكسر : المطر يدوم .
(١٠) فيما عدا ل : « لم ونجدها » تحريف .

المواضع التى ليس بقربها بحرٌ ولا نهرٌ ، ولا حوضٌ ، ولا غدير ، ولا واد ، ولا بير[١] . ونجدها فى الصَّحاصح الأماليس[٢] ، وفوق ظهورِ مساجد الجماعة . حتى زعم كثيرٌ من المتكلفين ، ومن أهل الخسارة[٣] ممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ، ولا يكترثُ للشكّ ـ أنها كانت فى السحاب . ولذلك طمع بعضُ الكذّابين[٤] ممن نَكَرْتُ اسمه ، فذكر أن أهل أيذَج[٥] مُطِروا [مرةً] أكبر شبابيطَ فى الأرض ، وأسمنَها [وأعذَبها] وأعظمها[٦] ، [وأنهم اشتوَوا ، وملَّحوا ، وقرّسوا[٧] ، وتزوَّدَ منه مسافرُهم] . وإنما تلك الضفادع شىءٌ يخلَق فى تلك الحال بمزاوَجَة الزمان ، وتلك المطرة ، وتلك الأرض ، وذلك الهواء .

(معارف فى الضفدع)

والضفادعُ من الخلق الذى لا عظامَ له .

---

(١) كذا بالتسهيل فيما عدا سه :

(٢) الصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية . والأماليس : التى ليس بها شجر ولا يبيس ولا كلأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش . الواحد إمليس . فيما عدا ل : « وتجدها فى الصحاضح الأمالس » ، محرف .

(٣) الخسارة : الضلال والهلاك . فيما عدا ل : « الجسارة » والواو بعدها ليست فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « أكثر الكذابين » تحريف . واسم هذا الرجل « حريث » كما مضى فى (١ : ١٤٩ س ١١) .

(٥) أيذج ؛ آخره جيم ، وعلى وزن أحمد : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان . ط ، سه : « أبذخ » هـ : « أيذح » صوابهما فى ل ومعجم البلدان والقاموس .

(٦) انظر لمطر الشبابيط ما مضى فى (١ : ١٤٩) .

(٧) قرسوا : أراد صنعوا القريس ، وهو السمك يطبخ ، ثم يتخذ له صباغ ، فيترك فيه حتى يجمد .

ويزعم أصحاب الغرائب[١] أن العَلاجيمَ منها الذكورةُ السود[٢]
ويقال : « أرْسَح مِن ضِفدِع[٣] ! » .
وتزعمُ الأعرابُ أن الضفدِع كان ذا ذنب ، وأن الضَّبَّ سلبه إياه[٤]
وذلك فى خُرافة من خرافات الأعراب . [ويقول آخرون : إن الضفدع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب ، فإذا خرجتْ له يدانِ أورجلانِ سقَطَ[٥]] .

(جملة من الأمثال)

[وتقول العرب[٦]]: « لايكون ذلك حتى يُجمع بين الأرْوَى والنعام[٧] » و : « حتى يُجمع بين الماء والنار » و : « حتى يشيبَ الغُراب » و : « حتى يَبْيضَّ القار » و : « حتى تقع السماء على الأرض » .

ومن حديث الأمثال : « حتى يجيء نشيطٌ من مَرْو[٨] » . وهو لأهل

---

(١) ﻫ ، سه : « الغريب » .
(٢) ل : « الذكور والسود » . قال المعلوف : « ولا شبهة أنهم أرادوا فى قولهم الضفدع الذكر أنه جنس من الضفادع الكبار » . وانظر مادة : (Male) ففيها تحقيق جيد . وانظر لتأييده ما ذكر الجاحظ فى القنفد والدلدل (٦ : ١٢٤ ساسى) .
(٣) الرسح : خفة لحم العجز والفخذين . فيما عدا ل : « أرشح » بالشين ، تصحيف صوابه فى ل وأمثال الميدانى (١ : ٢٨٨ — ٢٨٩) .
(٤) هذه الكلمة ثابتة في ط فقط . وانظر هذه الخرافة فى أمثال الميدانى وفيما سيأتى (٦ : ٣٨ ساسى) .
(٥) أى سقط الذنب . والمراد ضموره وتحوره .
(٦) هذه التكملة من ل بدلها فى سه ، ﻫ : « تقول الأعراب » .
(٧) الأروى ، بالفتح والقصر : جمع أروية بالضم وتشديد الياء . ويروى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » و : « لا تجمع بين الأروى والنعام » . انظر الميدانى (١ : ١٢٦) واللسان (١٩ : ٧٠) . وذلك لأن الأروى تسكن شعف الجبال ، وهى شاء الوحش ، والنعام تسكن الفيافى ، فلا يجتمعان .
(٨) كان نشيط غلاما لزياد بن أبي سفيان ، وكان بناء ، هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد ، وكان لا يرضى إلا عمله ، فقيل له : لم لا تشرف دارك ؟ فقال : حتى ==

البصرة . و : « حتى يجىء مَصْقَلةُ من طَبَرِسْتان[١] »، وهو لأهل الكوفة .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ[٢] ﴾ .

وتقول العرب : « لا يكون ذلك حتى يُجمعَ بين الضبِّ والنون »

و : « حتى يُجمع بين الضفدِع والضَّبّ ! » . وقال الكميت :

يؤلِّفُ بين ضِفْدِعَةٍ وضَبٍّ ... ويَعجبُ أن نَبَرَّ بنى أبينا

وقال فى النون والضبّ :

ولو أنهم جاءوا بشىء مُقارب ... لشىء وبالشكل الموافق للشِّكلِ

ولكنهم جاءوا بحيتانِ لُجّةٍ ... قوامسَ، والمكنىِّ فينا أبا الحِسْلِ[٣]

(معارف فى الضفدع)

وهو من الخلق الذى لا يصاب له عَظْم[٤] . والضفدعُ أجْحظ الخلقِ عيناً .

= يجىءُ نشيط من مرو ! فصار مثلا لكل ما لا يتم . انظر الميدانى (١ : ١٩٨) والمعارف ١٧٧ وثمار القلوب ٣٠ . ط فقط : « نسيط » تحريف . وفيما عدا ل : « مرد » صوابه ما أثبت .

(١) هو مصقلة بن هبيرة ، أحد بنى ثعلبة بن شيبان ، كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة ، فضرب الناس به المثل . وفيما عدا ل : « من سجستان » وصوابه ما أثبت من ل ومعجم البلدان (٦ : ٢٠) والمعارف ١٧٧ والطبرى (٨ : ١٢٠ س١٩ — ٢٢) . وانظر ثمار القلوب ٣٠ والحيوان (٢ : ٣١٨) وفيهما : « سجستان » .

(٢) من الآية ٤٠ فى سورة الأعراف .

(٣) قوامس : جمع قامس ، والقمس : الغوص . ط ، هـ : « أوامس » س : « أدامس » تحريف صوابه فى ل . وأبو الحسل : كنية الضب . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . فيما عدا ل : « أبو الحسل » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « عظام » . وهذه العبارة لتكرار ما سبق ص ٥٢٧ س ١١ .

والأسدُ تتتابُها فى الشرائع ، وفى مَناقِع المياه ، والآجامِ والغياضِ ، فتأكلها أكلاً شديداً . وهى من الخلق المائىّ الذى يصبرُ عن الماء أياماً صالحة .

والضفادع تعظُم ولا تسمَن ، كالدُّرّاج والأرنب ، فإنّ سِمَنهما أن يحتملا اللحم(١) .

وفى سواحل فارس [ناسٌ] يأكلونها .

(قول مسيلمة فى الضفدع)

١٥٤ ولا أدرى ماهيّجَ مسيلمةَ على ذكرِها ، ولِمَ ساء رأيُه فيها ، حيث(٢) جعلَ بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضِفدَعُ [بِنْتَ](٣) كَمْ تنقِّين ! نصفُكِ فى الماء ونصفُكِ فى الطين ! لا الماء تُكَدِّرين ، ولا الشارب تمنعين(٤) .

(معيشة الضفادع مع السمك)

والضفادعُ من الخلْق الذى يعيشُ مع السمك فى الماء . وليس كل شىء يعيشُ فى الماء فهو سَمَك . وقد قال الصَّلَتانُ العبْدِىّ ، فى [القضاء الذى

(١) ط : « فإنهما لا يحملان لحما » س ، ه : « فإن سمنا لا يحملان لحما » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « حتى » .

(٣) هذه الزيادة من اللسان (١٢ : ٢٣٨) .

(٤) ل : « الشراب » بدل : « الشارب » .

قضَى بين جرير والفرزْدق[1] ، و] الفصْلِ[2] [الذى] بينهما :

فإن يكُ بحرُ الحنظَليَّين زاخراً   فما تستوى حِيتانُه والضفادعُ[3]

(طلب الحيَّات الضفادع)

والحيات تأتى مناقِعَ الماء[4] ، تطلب الضفادع . والفأر تكونُ بقُرب المياه كثيرةً[5] ، فلذلك تأتى الحياتُ تلك المواضعَ . ولأن صيدها من أسهل الصيد [عليها] ، وهى تعرف صيْدها . ألا تراها تحيدُ عن ابن عُرْس ، وإن رأتْ جُرَذاً أكبر منه لم تنهْنِهْهُ دون أن تبتلعه[6] ؟! وترى الوَرَل فتفرُّ منه ، وترى الوَحَرة[7] فتشدُّ عليها ، وترى القُنفُذ ـ وإن صغُر ـ

---

(١) الصلتان، لقب له . واسمه قُثَم بن خَبِيَّة ، أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . قالوا : ادعى أن جريراً والفرزدق حكماه بينهما ، فقضى بشرف الفرزدق على جرير ، وبنى مجاشع قوم الفرزدق على بنى كليب رهط جرير ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما ، وقال فى ذلك قصيدة مطولة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٥ — ٣٠٨ بولاق) والشعراء ١١٩ وأمالى القالى (٢ : ١٤١) والمؤتلف ١٤٥ والمرزبانى ٢٢٩ والنقائض ١٠٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « الفرق » .

(٣) الحنظليين ، هما جرير والفرزدق ، لأن جريراً من كليب بن يربوع بن حنظلة ، والفرزدق من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٧ بولاق). وضبطت فى النقائض بضبط الجمع : « الحنظليين » . والرواية فى الخزانة وفى الأمالى والشعراء : « واحداً » موضع : « زاخرا » .

(٤) فيما عدا ل : « والحيات فى مناقع المـاء » .

(٥) فيما عدا ل : « يكون بقرب المياه كثيرا » .

(٦) لم تنهنهه : لم تكفه . لكنه أراد : لم تمهله . وكلمة « رأت » ساقطة من هـ . وبدلها فى ط ، س : « رأي » تحريف .

(٧) الوحرة ، بالتحريك : ضرب من العظاء ، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . فيما عدا ل : « الوكرة » بالكاف ، تحريف .

فلا تجترئُ أنْ تمرّ به خاطفة ، وترى الوَبْرة[١] ، وهى مثلُ ذلك القنفذِ مرتين فتأكلها .

وَلطلبها الضفادعَ بالليل[٢] فى الشرائع يقول الأخطل :

ضفادعُ فى ظَلْماء ليــلٍ تجاوبَتْ   فدلَّ عليها صوتها حَيَّةَ البحرِ[٣]

[وقد سرَق معناه بعضُ الشُّعراء[٤]، فقال — وهو يذكر الضفدع ، وأنه لاينِقّ حتى يدخل حنَكه الماء — :

يُدْخِل فى الأشداق ماءً ينصُفُه   كيما ينِقَّ والنَّقيقُ يُتلفُه]

(شعر فى الضفادع)

وقال زهير[٥] :

وقابلٌ يتغنّى كلمــا قدَرَتْ   عَلَى العَرَاقِى يداه قائماً دفَقَا[٦]

يُحيلُ فى جدولٍ تحبُو ضفادِعُه   حَبْوَ الجوارِى ترى فى مائه نُطُقَا[٧]

---

(١) الوبرة ، بالفتح : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء ، من دواب الصحراء ، حسنة العينين ، شديدة الحياء ، وهى من ذوات الحافر . وهو فى لغة العلماء الأوربيين : Hyrax .

(٢) فيما عدا ل : « فى الليل » .

(٣) انظر ما سبق فى شرح (٣ : ٢٦٨) .

(٤) هو الذكوانى ، كما مضى فى (٣ : ٢٦٦) .

(٥) يصف ناقة يستقى عليها من السانية . وقبل البيت الأول ، كما فى الديوان ٣٧ :

وخلفها سائق يحدو ، إذا خشيت   منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

(٦) القابل : الذى يقبل الدلو ، أى يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيها . وفى الأصل : « قائل » صوابه فى الديوان واللسان (١٤ : ٥٩) . والعراق : جمع عرقوة ، وهى خشبتان تجعلان فى فم الدلو يشد فيهما الحبل . وقدرت : أى وصلت وقبضت . دفق : صب الماء فى الجدول . ل : « دقفا » س ، هـ : « وقفا » صوابهما فى ط والديوان واللسان .

(٧) يحيل فى جدول : أى يصب ماء الغرب فى جدول ، وهو النهر الصغير . وذكر الضفادع ليخبر أن الجدول دائم الماء ، لكثرة ما تمده هذه الناقة . والنطق =

يَخرُجْن من شَرَبَاتٍ ماؤُها طَحِلٌ   على الُجذوع يخَفْنَ الغَمّ وَالغرَقَا[١]

وقال أوسُ بن حجَر :

فباكرن جَوَنًا للعلاجيم فَوقه   مَجالسُ غَرْقَى لايُحَلَّأُ ناهِله[٢]

جَون[٣] [قال] : يريد غديراً كثيرَ الماء . [قال : وإذا كثر الماء] وكثر عُمْقُه[٤] اسودَّ فى العين . والعلاجيم : الضفادع السود وجعلها غرَقى ، يقول : هى فيما شاءت من الماء ؛ كقولك : فلان فى خير غامر[٥] من قِبَل فلان . وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه ، لأن هذه الأجناسَ ـ التى تعيش مع السمك فى الماء وليست بسمك[٦] ـ أكثرُ حالاتهن إذْ لم تكن سمكا خالصاً[٧]

= بضمتين : جمع نطاق ، عى الطرائق الى تعلو الماء ، وإنما يكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الريح عليه . ل : « يحتل » وفى سائر النسخ : « يظل » صوابهما فى الديوان واللسان (١٢ : ٢٣٤ / ١٣ : ٢٠٤) . هـ ، سه : « تجنو » صوابه فى ل ، ط والديوان واللسان .

(١) الشربات ، بفتحتين : جمع شربة بفتحتين أيضاً ، وهى كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء ، فيكون ريها فتتروى منه . طحل : كدر ، أوكثير الطحلب . فيما عدا ل : « كحل » صوابه فى ل والديوان واللسان (١ : ٤٧٢ / ١٣ : ٤٢٤) والعمدة (٢ : ١٩٥) والموشح ٤٧ . وقد عاب كثير من النقاد هذا البيت ، قالوا : كيف والضفادع لا تخشى الغرق ؟ ! فأجاب ابن رشيق : « لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة فى التشبيه ... مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة خوفاً على نفسها من الهلكة ، فكأنه أراد المبالغة فى كثرة ماء هذه الشربات » . ومثل هذا القول للشنتمرى فى شرح ديوان زهير .

(٢) جونا : بالنون . فيما عدا ل : « جوبا » تحريف . يحلأ : يمنع من ورود الماء . « يخلأ » محرف . ل : « فقط » نائله . وأثبت ما فى سائر النسخ والديوان ، والعمدة (٢ : ١٩٥) .

(٣) فيما عدا ل : « جوب » بالباء ، تحريف .

(٤) ط ، هـ : « ولكثرة عمقه » سه : « وكراءه » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « فى غم عامر » .

(٦) ط ، هـ : « ولين بسمك »

(٧) فيما عدا ل : « إذا » وفى ط : « لم يكن » .

أن تظهر عَلَى شُطُوطِ المياه ، وفى المواضع التى تبيض فيها من الدَّغَل[١] . وذلك كالسّرطان والسُّلحفاة ، والرَّق ، والضفدع[٢] ، وكلبِ الماء ، وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويُقال[٣] : نقَّ الضفدِع ينقُّ نقيقاً ، وأنقضَ ينقِضُ إنقاضاً[٤]

وقال رُؤْبةُ :

١٥٥ إذا دنا منهن إنقاض النُّقَق[٥] في الماء والساحلُ خضخاضُ البَثَق[٦]

(سمع الضفدع)

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخْزَرِ الحِمّانى[٧] حيث قال :

تسمعُ القِنقْنِ[٨] [صوتَ القنقنِ]

---

(١) الدغل : بالتحريك: ما استترت به . وأصله الشجر الكثير الملتف .

(٢) ل : « وذلك السرطان » بطرح الكاف . والرق : سبق تفسيره فى ص ٥٢٥ . ط ، هـ : « الزق » صوابه فى ل ، سه . فيما عدا ل : « والضفادع » والتساوق يقتضى ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤) أنقض ، بالقاف . وفى ط : « أنفض ينفض إنفاضاً » ، بالفاء ، وفى س ، هـ بالغين المعجمة ، صوابهما فى ل .

(٥) النقق : يروي بضمتين وبضم ففتح : وهما جمع نقوق بالفتح ، وهو الضفدع تنق . س ، هـ : « إنغاص » تحريف .

(٦) الخضخاض ، عنى به الكثير الماء والشجر ، وفى اللسان : « ومكان خضيض وخضاخض : مبلول بالماء . وقيل: هو الكثير الماء والشجر ». والبثق : منبعث الماء حيث ينفجر . وأصله بإسكان الثاء . انظر اللسان (بثق) . وقد أراد به الزرع نفسه . فيما عدا ل : « ضحضاح اليقق » صوابه فى ل وديوان رؤبة ١٠٨ .

(٧) أبو الأخزر . بتقديم الزاي على الراء ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٨٢ / ٣ : ١٤٩) ط ، هـ : « الأخرز » بتقديم الراء ، تصحيف .

(٨) القنقن والقناقن : الذى يعرف الماء تحت الأرض ، وقيل : الذى يسمع =

إنما[1] أراد الضفدع . قالوا : وكذلك الطِّرِمّاحُ حيث يقول :

يخافِتْنَ بعضَ المضغِ من خشيةِ الرَّدَى
ويُنْصِتْنَ للصوتِ انتصاتَ القنـــاقِنِ[3]

قالوا : لأن الضفدِع جيدُ السمع إذا تركَ النقيقَ وكان خارجاً من الماء . وهو فى ذلك الوقتِ أحذر من الغراب والعصفور والعَقْعَق ، [وأسمعُ من فرَس ، وأسمع من قُراد[3]] ، وأسمع من عُقاب . و بكل هذا جاء الشعر .

ذكر ما جاء فى الضفادع فى الآثار

إبراهيم بن [أبى] يحيى[4] ، عن سعيد بن أبى خالد بن فارض[5] ،

= فيعرف مقدار الماء فى البئر قريباً أو بعيداً . وانظر المعرب ٢٦١ . وقد أتى به الجاحظ شاهداً لجمله بمعنى الضفدع . فيما عدا ل : « تستمع النقنق » .

(١) ط : «فانما» هـ : « وإنما » صوابه فى ل ، سـ .

(٢) يخافتن : يخفين الصوت . فيما عدا ل : « تجافين » صوابه فى ل والديوان ١٦٩ واللسان (٢ ، ٤٠٤ / ١٧ : ٢٣٠) . ينصتن : من الإنصات ، وهو السكوت للاستماع : ط ، هـ : « ينصبن » صوابهما فى ل والمراجع السابقة . والانتصات : الإنصات . والقناقن : بفتح القاف الأولى وكسر الثانية : جمع القناقن بضم الأولى وكسر الثانية ، والقنقن بكسرهما ، انظر التنبيه ٨ من الصفحة السابقة . ل : « انصيات القناقن » وفيما عدا ل : « انتصاب النقانق » صوابهما في المراجع السابقة . والبيت فى صفة بقر الوحش .

(٣) المثل الأول: تكملة من ل فقط . والثاني : من ل ، سـ .

(٤) سبقت ترجمته فى ٤٢٧ .

(٥) كذا فى الأصل . وفى التهذيب (٤ : ٢٠) : سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ القارظى الكنانى المدنى حليف بني زهرة . روى عن عمه إبراهيم ، وربيعة بن عباد وأبى سلمة ، وأبى عبيد مولى ابن أزهر ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى ذئب . وعنه الزهرى ، وابن أبى ذئب ، وابن إسحاق . قال ابن سعد : توفى فى آخر سلطان بنى أمية .

عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمى[(١)] « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع[(٢)] » .

قال : وحدثنا سعيد عن قتادة[(٣)] قال : سمعت زرارة[(٤)] يحدِّث أنه سمع عبد الله بن عمرو[(٥)] يقول : « لاتسبُّوا الضفادع فإنَّ أصواتها تسبيح » .

قال : وحدثنا هشامٌ صاحبُ الدَّستوائى[(٦)] ، عن قتادة ، عن زُرارةَ ابنِ أوفى ، عن عبد الله بن عمرو[(٧)] أنه قال : « لاتقتلوا الضفادعَ ، فإن

---

(١) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى ، نسبة إلى تيم بن مرة ، وأبوه أخو طلحة ابن عبيد الله . وعبد الرحمن صحابى قتل مع ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين . وكان يلقب : « شارب الذهب » . انظر الإصابة ٥١٥١ وتهذيب التهذيب (٦ : ٢٢٧) . ل : « الليثى » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « الضفادع » . وفي الضفدع لغات : كزبرج ، وجعفر ، وجندب ، ودرهم وهذا أقل ، أو مردود .

(٣) سعيد هذا ، هو سعيد بن أبى عروبة ، بفتح العين ، المترجم فى (٤ : ٢٩٣) قال ابن أبى خيثمة : « أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى » وقال أبو داود الطيالسى : « كان أحفظ أصحاب قتادة » . ومات سنة ١٥٦ . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٦٣) . وترجمة قتادة سبقت فى (٣ : ٢١٠) وانظر لها أيضاً تهذيب التهذيب (٨ : ٣٥١) . ل : « شعبة عن قتادة » وروايته عن قتادة صحيحة ؛ فإن شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدى مولاهم ، أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ، وقد روى عن أكثر من ثلثمائة رجل عدهم ابن حجر . ومنهم قتادة . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٣٨) .

(٤) هو زرارة بن أوفى العامرى الحرشى ، أبو حاجب ، البصرى القاضي . روى عن أبى هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الدارى ، وابن عباس ، وعائشة ، وعنه قتادة وداود بن هند ، وعوف ، وبهز بن حكيم ، وغيرهم . قال ابن سعد : « مات فجأة سنة ٩٣ » . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٢) .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، صحابى جليل ، أسلم قبل أبيه ، وكان من أكثر الصحابة حديثاً ، ومات بالشام سنة خمس وستين . انظر الإصابة ٤٨٣٨ . فيما عدا ل : « عبد الله بن محمد » .

(٦) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ل : « صاحب الدستواى » ﻫ : « صاحب الدستوائي » صوابه فى ط ، س .

(٧) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » . وانظر التنبيه الخامس .

نقيقهُنّ تسبيح[1] ، ولا تقتلوا الخفاش[2] ، [فإنه إذا خرب بيتُ المقدس قال : يا ربِّ سلِّطنى على البحر حتى أغرِقَهم » .

وعن حماد بن سَلَمة ، عن قتادة ، عن زُرارة ، قال : قال عبد الله ابن عمرو[3] : « لا تقتلوا الخفاش] ، فإنه استأذن البحر[4] أن يأخذَ من مائه فيطفِئَ بيتَ المقدس حيث حُرِّق[5] . ولا تقتلوا الضفادع ، فإن نقيقها تسبيح » .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذِئب[6] ، وفى إسناد له : « أن طبيباً ذكر الضِّفدِع عند النبى صلى الله عليه وسلم ، ليُجعَل فى دواء[7] ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع[8] » .

(ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر)

[و] العربُ تصف هذه الأصناف التى ذكرناها[9] بجودة الحراسة ، وبشدة الحذَر[10] ، وأعطَوا الثعلبَ والذِّئب أموراً لا يبلغها كثيرٌ من الناس .

---

(١) هذا الحديث رواه النسائى ، عن ابن عمرو : وهو حديث ضعيف . الجامع الصغير ٩٨٤٣ .

(٢) ط ، هـ : « وقال لا تقتلوا الخفاش » . والكلام بعده إلى : « أغرقهم » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » .

(٤) سبق فى (٣ : ٣٥٨) : « استأذن فى البحر » .

(٥) كذا فى ل وفيما سبق (٣ : ٣٥٨)، وفى سائر النسخ : « احترق » .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٩) . فيما عدا ل : « أبى ذؤيب » تحريف . وكلمة : « عبد الرحمن بن » ساقط من ل .

(٧) ط ، هـ : « فى الدواء » س : « فى الرواء » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « الضفادع » .

(٩) فيما عدا ل : « ذكرنا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وشدة الحذر » .

(قول صاحب المنطق فى الغرانيق)

وقال صاحبُ المنطق فى الغرانيق[١] قولا عجيباً ، فزعم أن الغرانيق من الطيور القواطع[٢] ، وليست من الأوابد . وأنها إذا أحسّتْ بتغيُّر الزمان اعتزمت[٣] على الرجوع إلى بلادها وأوكارها . وذكر أنها بعيدةُ سحيقة . قال : فعند ذلك تتخذ قائداً [وحارساً ، ثم تنهض معاً ، فإذا طارت] ترفعت فى الجواء جدًّا[٤] ، كى لايعرض لها شىء من سباع الطير[٥] ، أو يبلغَها سهمٌ أو بُنْدُق . وإن عايَنَتْ غيما [أو مطراً ، أ] و خافَتْ مطراً ، ١٥٦ أو سقطتْ لطلبِ مالابدَّ لها منه من طُعم[٦] ، أو هجم عليها الليل — أمسكَتْ عن الصياح ، وضمَّتْ إليها أجنحتها . فإذا أرادت النوم[٧] أدخل كل واحد منها[٨] رأسَه تحتَ جناحِه ، لأنه يرى أن الجناح أحملُ لما يَرِدُ عليه من رأسه[٩] ، أو بعضِ مافى رأسه : من العين وغير ذلك ، ويعلمُ أنه ليس بعد ذهابِ الرأس حياة . ثم ينام كل واحد

---

(١) الغرانيق : سبق تفسيرها فى (٣ : ٣٢٨) ، وهو نوع من الكراكى ، واسمه العلمى الأوربى Balearica pavonina .

(٢) القواطع : التى تقطع إلى الناس ، أى ترحل إليهم . وذلك فى أوقات معينة . وانظر (٤ : ١٠١ — ١٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « اعترضت » تحريف .

(٤) ترفعت : ارتفعت فى الجو . ط ، هـ : « وتصعد » س : « ويصعد » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « حتى لا » . وفى س : « له شىء » وهذه محرفة .

(٦) الطُعم ، بالضم : الطعام . ل : « لما لا بد منه من طعم » .

(٧) ط ، س : « فإن رأت النوم » وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٨) فيما عدا ل : « منهم » . وقد يجعل ضمير العاقل لغيره .

(٩) أى أن جناحه أكثر تحملا من رأسه . فيما عدا ل : « من المكروه » .

منها وهو قائم[١] على رجليه ، لأنه يظن أنه إن مكّنها نام إن كان لا يحبُّ النوم[٢] ، أوْ نام نوما ثقيلا إن كان يحب أن يكون نومُه غرارًا[٣] . فأما قائدها وسائقها وحارسُها ، فإنه لاينامُ إلا [وهو] مكشوفُ الرأس . وإن نام فإن نومه يكونُ أقلَّ من الغِشاش[٤] . وينظرُ في جميع النواحي ، فإن أحسَّ شيئًا صاحَ بأعلى صوته .

(صيد طير الماء)

وسألتُ بعضَ من اصطادَ في يومٍ واحد مائة طائر[٥] من طير الماء ، فقلت له : كيف تصنعون ؟ قال : إن هذا الذي تراه[٦] ليس من صَيْدِ يوم واحد ، وإن كلَّه صيدَ [في] ساعة واحدة . [قلت له : وكيف ذاك ؟ قال] : وذلك أنا نأتي مناقِعَ الماء ومواضِع الطير ، فنأخذ قَرعةً يابسة صحيحة[٧] ، فنرمي بها في ذلك الماء ، فإذا أبصرها الطير[٨] تدنو منه بدفع[٩] الرِّيحِ لها في جهته ، مرة أو مرتين[١٠] فزِع . فإذا كثر ذلك عليه أنس[١١] .

---

(١) فيما عدا ل : « لأنه ينام كل منها قائماً » ، وفيه تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « وإن كان لا يحب النوم » .
(٣) غرارا : أي قليلا خفيفاً . فيما عدا ل : « وإن كان يحب » الخ بإقحام الواو .
(٤) الغشاش ، بالكسر : القليل . ط ، سه : « المشاش » صوابه في ل ، هو .
(٥) فيما عدا ل : « طير » . ولها وجه ؛ فإن قطربا زعم أن الطير يقع للواحد ، وأجاز ذلك أبو عبيدة . انظر اللسان (٦ : ١٨١ س ٢ — ٤) . هذا إلى أنه قد تميز المائة بالجمع ، نحو مائة رجال . انظر شرح الرضى الكافية (٢ : ١٤٤) وغير ذلك من مطولات النحو .
(٦) فيما عدا ل : « تري » .
(٧) ل : « ضخمة » .
(٨) فيما عدا ل : « الطائر » .
(٩) ط فقط : « يدفع » بالياء ، تحريف .
(١٠) ط « ومرتين » .
(١١) فيما عدا ل : « عليها » بدل : « عليه » تحريف .

وإنما ذلك الطير طير الماء والسَّمكِ [1] ، فهى أبدًا على وجه الماء . فلا تزالُ الرِّيح تقرِّبها وتباعدها [2] ، وتزداد [هى] بها أُنْسًا ، حتى ربما سقَطَ الطائرُ عليها ، والقرعةُ فى ذلك إما واقفةٌ فى مكان ، وإما ذاهبةٌ وجائية . فإذا لم نرها تنفرُ منها أخذنا قَرعة أُخرى ، أو أخذناها بعينها ، وقطعنا موضِعَ الإبريق منها [3] ، وخرَقْنا فيها موضِعَ عينين ، ثم أخَذَها [أحَدُنا] فأدخَلَ رأسَه فيها ، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها [4] مشياً رُوَيْدًا ، فكلما دنا من طائر [5] قبض على رجليه ثم غمسه فى الماء [6] ، ودقّ جَناحَه وخلّاهُ [7] ، فبقى طافياً فوق الماء [8] يسبحُ برجليه ، ولا يطيقُ الطيران ، وسائرُ الطير لا ينكر انغماسه [9] . ولا يزال كذلك حتى يَأتىَ [10] على آخر الطير . فإذا لم يبق منها شىء رمى بالقرعة عن رأسه ، ثمّ نلقطها ونجمعها ونحملها [11] .

(علاج الملسوع)

قال : ومن جيِّدِ ما يُعالَجَ به الملسوعُ ، أن يَشُقّ بطنُ الضفدع ،

---

(١) أي طير السمك ، الذي يغتذى بالسمك .

(٢) فيما عدا ل : « وتبعدها » .

(٣) كذا . وأراد به طرفها الدقيق .

(٤) ط : « فيها بينها » س ، هـ : « فيما بينها » صوابه فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « كلما أتى إلى طائر » .

(٦) س ، هـ : « فقبض » ل : « رجله فغمسه » .

(٧) ل : « ثم دق جناحه ثم خلاه » .

(٨) ط فقط : « بين الماء » .

(٩) ل : « لا تنكر انغماسه » .

(١٠) كلمة : « ولا يزال » ليست فى ل . وفى ل : « نأتى » بدل : « يأتى » .

(١١) فيما عدا ل : « ثم لقطها وجمعها وحملها » .

ثم يرفّد به موضع اللسعة[١] . ولسنا نعنى لدغة الحية[٢] ، وإنما نعنى لسعة العقرب .

[والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق ، وإذا رأى الفجر والأسدُ إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام ، وإذا اشتد الأصواتُ] .

(استطراد لغوىّ)

قال : ويقال للضفدع[٣] [نقّ] ينقّ ، و [هدر] يهدِر . وقال الراعى :

فأوردهُنّ قبيلَ الصباحِ عيناً ضَفادعُها تَهْدِرُ

(قول صاحب المنطق فى الضفادع والسمك)

وأما قولُ صاحب المنطق فى أن الضفادع لاتنقّ حتى تُدخِلَ فكها الأسفل فى الماء ؛ لأن الصوت لايجيئها حتى يكون فى فكها ماء[٤] — فقد ١٥٧ قال ذلك ، و [قد] وافقه عليه ناسٌ من العلماء ، وادعوا فى ذلك العِيان .

فأما زعمه أن السمكة[٥] لاتبتلع شيئاً من الطعم إلا ببعض الماء ، فأىُّ عيان دلّ على هذا ؟ ! وهذا عَسِرٌ[٦] .

---

(١) الرفد : وضع الرفادة على الجرح ، وهى الخرقة .

(٢) فيما عدا ل : « لسعة » . والأصح أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير .

(٣) ط ، هـ : « للضفادع » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فى فيها ماء » .

(٥) ط : « وإنما زعمه بأن السمكة » . س ، هـ : « وإنما زعمه بأن السمكة » وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « عسير » .

[القول فى الجراد[١]

أحضِرْنى[٢] على اسم الله ذِهنك ، وفرِّغْ لما أُلقيه إليك قَلْبَكَ ، فربَّ حرْفٍ من حروف الحِكَم الشريفة[٣] ، والأمثال الكريمة ـ قد عَفَا أثرُه ، ودثر ذكرُه ، ونبا الطَّرْفُ عنه[٤] ، ولم يُشغَل الذهنُ بالوقوف عليه . وربَّ بيتٍ هذا سبيله ، وخطبةٍ[٥] هذه حالها .

ومدارُ الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ ، والحقائقِ لا العبارات . فكم من دارسٍ كتاباً خرجَ غُفْلاً كما دخل ، وكم من متفهِّمٍ لم يفهم ؟ ! ولن يستطيع الفهم[٦] إلا من فرَّغ قلبه للتفهم ؛ كما لا يستطيعُ الإفهام إلا من صحت نيتُه فى التعليم .

(فضل الإنسان على سائر الحيوان)

فأقول] : إن الفرق [الذى] بين الإنسانِ والبهيمة ، والإنسان والسَّبُع [والحشرة[٧]] ، والذى صَيَّرَ الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجلَّ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فى السَّمٰواتِ وما فى الأرْضِ جَميعاً مِنْهُ[٨]﴾ ليس

---

(١) التكملة التالية من ل ، سه فقط . وبينهما تخالف سأنبه عليه .
(٢) سه : « أحضر » .
(٣) سه : « فرب حروف من حروف الكلم الشريفة » .
(٤) ل : « نبأ » بإسقاط الواو قبلها .
(٥) سه : « وخطة » وجهه ما أثبت من ل .
(٦) الكلام بعد هذا إلى كلمة : « الإفهام » ساقط من سه .
(٧) كلمة : « إن » و : « الذى » و : « الحشرة » ثابتة فى ل فقط وليست فى سه .
(٨) الآية ١٣ من سورة الجاثية . وتمامها : (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

هو الصورة ، وأنه خلِقَ من نطفة وأن أباه خُلق من تراب ، و [لا] أنه يمشى على رجليه ، و يتناول حوائجه بيديه[١] ؛ لأن هذه الخصالَ كلها مجموعة فى البُلْه والمجانين ، والأطفال والمنقوصين .

والفرق الذى هو الفَرْقُ إنما هو الاستطاعة والتمكين . [و] فى وجُودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة[٢] . وليس يوجِبُ وجودُهما وُجودَ الاستطاعة[٣] .

وقد شرَّف الله تعالى الجانَّ وفضّله على السَّبُع والبهيمة ؛ بالذى أعطاه[٤] من الاستطاعة الدالة عَلَى وجود العقل والمعرفة[٥] .

وقد شَرَّف [الله] الملائكةَ وفضلهم عَلَى الجانّ ، وقدمهم عَلَى الإنسان وألزَمهم من التكليف عَلَى حسب[٦] ما خوَّلهم من النعمة . وليست لهم صورة الإنسانِ ولم يُخْلَقُوا من النُّطَف[٧] ، ولا خُلق أبوهم من التراب . وإنما الشأنُ[٨] فى العقل ، والمعرفة ، والاستطاعة .

أفتظنُّ أن الله عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعضَ خلقِه دون بعض ، ثم لا يطالبهم إلا كما يطالب بعضَ من أعدمه ذلك ، وأعْراه منه[٩] ؟ ! فلِمَ أعطاه العقل ، إلا للاعتبار والتفكير ؟ ! ولِمَ أعطاه المعرفة ، إلا ليؤثر

---

(١) حوائج ، صحيحة . وانظر التفصيل فى تحقيقها فى اللسان (٣ : ٦٨) .

(٢) ط ، هـ : « وجودة العقل والمعرفة » والكلام من : « والتمكين » إلى كلمة : « الاستطاعة » التالية ليس فى س .

(٣) وجودهما . أى وجود العقل والمعرفة . ل : « وجوب الاستطاعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من الذي أعطاه » .

(٥) فيما عدا ل : « على الوجود والمعرفة » .

(٦) فيما عدا ل : « على قدر » .

(٧) فيما عدا ل : « وليست لهما صورة الإنسان ولم يخلقا من النطف » .

(٨) فيما عدا ل : « فأشبها الإنسان » .

(٩) ل : « وعراه منه » .

الحقَّ على هواه ؟ ! ولِمَ أعطاهُ الاستطاعة ؛ إلا لإلزام الحجة ؟ !

فهل فكَّرْتَ قطُّ فى فصل[(١)] مابينك و بين [الخلق] المسخَّر لك ، [و بين الخلق الذى جُعِل لك والخلق المسلط عليك] ؟ ! وهل فكَّرت قط فى فصل ما[(٢)] بين ماجعله عليك عاديا ، و[بين] ما جعله لك غاذِيا[(٣)] ؟ ! [وهل فكرتَ قطُّ فى فصل ما بين الخلق الذى جُعل لك عذابا ، والخلق الذى جُعل لك قاتِلاً ، و بين ما آنسه بك[(٤)] و بين ما أوْحَشَهُ منك ، و بين ما صغَّره فى عينك وعظَّمه فى نفسك[(٥)] ، و[بين ما عظَّمه فى عينك و[(٦)]] صغَّره فى نفسك ؟ ! بل هل فكرت[(٧)] فى النحلة والعنكبوت والنملة ، وأنت ترى الله تقدَّس وعز[(٨)] كيف نوَّه بذكرها [ورفع من قدرها ، وأضاف إليها السُّوَرَ العظامَ ، والآياتِ الجسامَ] ، و[كيفَ] جعل الإخبارَ عنها قرآنا [وفرقاناً[(٩)]] ، حيث يقول ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ . فقفْ عَلَى صغر النحلة وضَعْفِ أيْدِها[(١٠)] ، ثمّ ارْم بعقلك إلى قول الله : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً[(١١)] ﴾ فإنك تجدُها

---

(١) الفصل ، بالصاد : الفرق . فيما عدا ل : « فضل » والكلام بعده إلى كلمة : « فصل » التالية ليس فى هـ .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

(٣) كلمة «ما» الأولى « ساقطة » من سه ، هـ وفيما عدا ل : « جعل » بدل : « جعله » فى الموضعين . غاذيا : من الغذاء . فيما عدا ل : « عادياً » فى الموضعين .

(٤) فيما عدا ل : « لك » باللام .

(٥) ط ، هـ : « فى عينك » . وفيما عدا ل : « وما عظمه » بإقحام « ما » .

(٦) هذه الزيادة من ل ، سه .

(٧) فيما عدا ل : « وكيف لم تفكر » .

(٨) فيما عدا ل : « تبارك تعالى» .

(٩) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وكيف أضاف إليها السور الطوال وكيف » .

(١٠) الأيد ، بالفتح : القوة . ومنه : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) .

(١١) الآية ٦٩ من النحل . وفى الأصل : « ثم اسلكى سبل ربك ذللا » . وهو تحريف شنيع نبهت على أمثاله فى (٤ : ١٥٩،٨ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ : ٩٣ ، ١٣٧) .

أكبر من الطَّود ، وأوسعَ من الفضاء . ثم انظر إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ ﴾ . فما ترى فى مقدار النملة فى عقل الغبىِّ ، وغير الذّكىّ ؟! فانظر كيف أضاف الوادى إليها ، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها ، وخوفها ممن قد مُكِّنَ ، فإنك تجدُها عظيمةَ القدر ، رفيعةَ الذكر] ، قد عظمها فى عقلك ، بعد أن صغَّرها فى عينِك .

(عجز الإنسان وصغر قدره)

وخبِّرنى عن الله تعالى ، أمَا كان قادراً[٢] أن يعذِّب الكنعانيينَ ، والجبابرة ، والفراعنة ، وأبناءَ العمالقة : من نَسْلِ عاد وثمود ، وأهلَ العتوِّ والعُنُود[٣] — بالشياطين ثم بالمردَة ، ثم بالعفاريت[٤] ، ثم بالملائكة الذين ١٥٨ وكّلهم الله تعالى بسَوْق السحاب ، وبالمدِّ والجزْر ، وبِقَبْضِ أرواح الخلق ، وبقلب الأرَضين ، وبالماء والريح[٥] ، وبالكواكب والنيران ، وبالأُسْد والنمور [والبُبُور] ، وبالفيَلة والإبل [والجواميس] ، وبالأفاعى والثعابين [وبالعقارب والجرارات] ، وبالعقبان والنسور[٦] ، وبالتماسيح[٧] ، وباللُّخم[٨] [والدُّلفِين[٩]] .

---

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) فيما عدا ل : « يقدر » .

(٣) عند الرجل يعند عنداً وعنوداً وعنداً . عتا وطغى . ط : « العتود » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وبالعفاريت » .

(٥) فيما عدا ل : « وقبض أرواح الخلق وتقليب الأرضين والماء والريح » .

(٦) بدلها فى ط : « والجرذان » وفى سه : « والجرارات » و هـ : « والجرادات » .

(٧) ط ، سه : « والتماسيح » هـ : « والتماسح » وهذه جمع تمسح ، بكسر التاء وفتح السين .

(٨) اللخم ، بالضم : سمك بحرى يقال له الكوسج ، وهو من السمك الغضر وفى كبير يخشى شره ، وهو بالإنكليزية : Shark . ط : « والرخم » سه ، هـ : « واللحم » صوابهما فى ل .

(٩) الدلفين ، بالضم : ضرب من الحيتان ، زعم القدماء أنه ينجى الغريق . والكلمة معربة عن اليونانية . انظر استينجاس ٥٣٢ .

فلِمَ عذَّبهم بالجرادِ والقُمَّل[1] والضفادع ؟ ! وهل يتلقّى[2] عقلك قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرِّفهم عجزهم ، ويذكِّرهم صِغَر أقدارهم ، ويدلَّهم على ذلك بأذلّ خلقه ، ويعرفهم أن له فى كل شىء جُنْداً[3] ، وأن القوىّ من قوّاه [وأعانه] ، والضعيف من ضعّفه[4] ، والمنصورَ من نصَره ، والمخذول[5] من خلاّه وخذله ؛ وأنه متى شاء أن يقتُل بالعسل الماذِى والماء الزُّلال[6] [كما يقتلُ بالسمّ السارى ، والسيفِ الماضى] قتل ؟

ولِمَ كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البَثْرَة ابتهلَ فى الدعاء وقال : « إن الله تعالى إذا أراد أن يعظمَ صغيراً عظمه » ؟ !

ولِمَ قال لنا : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاَت[7] » ؟ ! [فافهمْ عنه تعالى ذكره ، وتقدست أسماؤه قوله : « آيات » ثم قال : « مُفصَّلاَت »] . فهل وقفت [قطُّ] عَلَى هذه الآياتِ ؟ ! وهل توهّمت [تأويلَ] قوله[8] : هذا [آية وغيرُ آية] ؟ ! وهل وقفت عَلَى فصل ما بين الآية وغير الآية[9] ، وإذا كانت مفصّلات كان ماذا ، وإذا لم تكن مفصلات كان ماذا .

---

(١) القمل ، بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . انظر التنبيه ٦ ص ٤٣٨ و س ١ من ص ٤٣٩ .

(٢) فيما عدا ل : « تلقى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « جهداً » محرف .

(٤) أضعفه وضعفه : صيره ضعيفاً . اللسان (١١ : ١٠٦) .

(٥) فى الأصل : « المقتول » والمقابلة تقتضى ما أثبت .

(٦) الزلال ، بالضم : الصافى الخالص .

(٧) من الآية ١٣٣ فى سورة الأعراف .

(٨) ط فقط : « توهمت قوله » .

(٩) هذه الجملة ليست فى ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

فافهم قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ . وما فى الأرض أنقصُ معرفة وعلما ، ولا أضعفُ قوة و بطشاً ، ولا أوْهَنُ رُكْنا وعَظْماً من ضِفدِع . [فقد قال — كما ترى — : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ والجراد والقُمَّل والضَّفَادِعَ والدَّمَ ﴾ ، فقد جعله — كما ترى — أفضل آياته ، والعذابَ الذى أرسله عَلَى أعدائه] .

وقد قال جل وعز : ﴿ فإذَا جاءَ أمْرُنَا وفارَ التَّنُّورُ[1] ﴾ فأظهر الماء [جلّ ثناؤه] من أبعد مواضع الماء من ظنونهم[2] ، وخَبَّرَنا بذلك كى لانخلِيَ[3] أنفسنا من الحذر والإشفاق ، [ولنكون علماء بالعلم الذى أعطانا ، ولنكون راجين خائفين ، ليصحّ الاختيار ، ويحسُنَ الاختبار . ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالقِينَ[4] ﴾ . ما أحسنَ ما قدَّر ، وأتقنَ ما برأ] !

وكان السبب[5] الذى سلطه الله تعالى عَلَى العَرِم ، وهو مُسَنَّاة جَنَّتَىْ بلادِ سبإٍ ، جُرَذاً ، فهو[6] الذى خَرَقه ، و بدَّل نعمتَهم بُؤساً ، ومُلكَهُمْ [يَبَاباً وعِزَّهُمْ ذُلاًّ ، إلى] أن عادوا فقراء . فقال الله[7] : « وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْط وَأَثْل وشَىْء مِنْ سِدْر قَلِيل[8] » . هذا بعد

---

(١) من الآية ٢٧ فى سورة المؤمنون . ومثلها الآية ٤٠ من سورة هود : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) وليس غيرهما فى الكتاب . وقد وقعت الآية محرفة فى الأصل ، ففى ل : « فلما جاء » وفيما عداها : « ولما جاء » . وأثنى على الله الخير لما وفق إلى إصلاح أمثال هذا التحريف . انظر (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤) .

(٢) فيما عدا ل : « من أبعد المواضع من ظنونهم » .

(٣) ل : « تخلوا » .

(٤) من الآية ١٤ فى سورة المؤمنون .

(٥) ط ، هـ : « السيل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهو » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الله عز وجل » .

(٨) من الآية ١٦ فى سورة سبأ .

أن قال : « لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَساكِنِهِمْ[(١)] آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ[(٢)] » .

(شعر فى سد مأرب)

وقال الأعشَي :

فَفِي ذاكَ للمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ومأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ[(٣)]

رُخامٌ بَنَتْهُ لهم حِمْيَرٌ إذا جاءه ماؤُهُمُ لم يَرِمْ[(٤)]

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء[(٥)] :

من سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذ يبْنُونَ من دونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[(٦)]

---

(١) ط ، هـ : « مسكنهم » وهذه قراءة حفص وحمزة ، بفتح الكاف . وقراءة الكسائى وخلف والأعمش بكسر الكاف . وما أثبت من ل ، س هى قراءة الباقين ، بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع . انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) الآية ١٥ وصدر الآية ١٦ من سورة سبأ . وفيما عدا ل زيادة : (وبدلناهم بجنتيهم) .

(٣) الأسوة : ما يأتسى به الحزين ، أى يتعزى . قفى : عفى ودرس . فيما عدا ل : «أعفى» تحريف . وروى : « عفى » فى معجم البلدان ومروج الذهب (١ : ٣٤٣) . وما أثبت من ل هو رواية الديوان ٣٤ والإكليل للهمدانى ٥٤، ١٣٥ واللسان (٢٠ : ٥٦ س ٤) .

(٤) الرخام ، بالضم : حجر أبيض معروف . ط ، هـ « رجام » : صخور عظام . ولم أجد ما يصحح هذه الرواية . ل ، ط : « له حمير » . وفى الإكليل : « بناه له » و « بناها لهم » . وما أثبت من س ، هـ يوافق رواية الديوان وياقوت . لم يرم : لم يفارق ولم يبرح .

(٥) البيت للنابغة الجعدى ، كما فى الكامل ٦١١ من قصيدة له فى الشعراء ٥٧ أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

(٦) فى المخصص (١٧ : ٤٢) : « وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ يجعله اسماً للقبيلة » . وأنشد البيت . قلت : وبها قرأ هو والبزى فى : (لقد كان لسبأ) وجمهرة القراء على قراءة الصرف ، يجعله اسما للحى .

(معارف فى الجراد)

ثم انظر إلى الجراد . وهذا باب القول فيه . ١٥٩

قال : فأول[١] مايبدو الجرادُ إذا باض سَرْء ، وسَرؤه : بيضُه[٢] .

يقال : سَرَأَتْ تَسرأ سَرْءًا .

فانظر الآن ، فكم ترى فيه[٣] من أعجوبةٍ ، [ومن آيةٍ بليغة] . فأوّل ذلك التماسُها لبيضها الموضعَ الصَّلْد[٤] ، والصخور [الصُّمَّ] المُلْسَ ؛ ثقةً بأنها إذا ضربَتْ بأذنابها فيها انفرجت لها[٥] .

(ذنب الجرادة وإبرة العقرب)

ومعلومٌ أن ذنَب الجرادةِ ليس فى خِلْقة المسمارِ ، ولا طرف ذنبها[٦] كحدِّ السِّنان ، ولا لها من قوة الأَسْر[٧] ، ولذنبها من الصّلابة ما إذا اعتمدَتْ به على الكُدْبة والكَذّانة[٨] جرح فيهما[٩] . فكيف[١٠] وهى

---

(١) فيما عدا ل : « وأول » . وكلمة : « قال » ليست فى ل .

(٢) السرء ، بالفتح وبكسر . ويقال أيضاً سرو ، وأصله الهمز . ل : « إذا باض سرء وسرء وبيضه » . وفيما عدا ل : « إذا باض يكون سرواً وسروه بيضه » . وقد جمعت بينهما بما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « كم فى الجرادة » .

(٤) الصلد ، بالفتح : الصلب الشديد . فيما عدا ل : « الصلب » .

(٥) فيما عدا ل : « انفجرت » .

(٦) فيما عدا ل : « ذنبه » محرف .

(٧) الأسر ، الفتح : الخلق ، يقال فلان شديد الأسر إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ . فيما عدا ل : « الأسود » تحريف .

(٨) الكدية ، بالضم : الصفاة العظيمة الشديدة . والكذانة ، بالفتح : واحدة الكذان ، وهى حجارة كأنها المدر فيها رخاوة . فيما عدا ل : « فى » بدل « على » . ط ، س : « والكداية » هـ : « والكدانة » صوابهما فى ل .

(٩) ط : « خرق فيها » س ، هـ : « خرج فيهما » صوابهما فى ل . وانظر (٤ : ٣١٥) .

(١٠) فيما عدا ل : « وكيف » .

تتعدى إلى ما هو أصلبُ من ذلك ، وليس فى طرف ذنبها كإبرة العقْرب ؟ !

وعَلَى أنَّ العقرب ليس تخرق القمقم[١] من جهة الأيْد وقوةِ البدَن[٢] ، بل إنما ينفرجُ بطبعٍ مجعول هناك . وكذلك انفراجُ الصخورِ لأذناب الجراد .

ولو أن عُقاباً أرادتْ أن تخرقَ فى جلد الجاموس[٣] لما انخرقَ لها إلا بالتكلُّفِ الشديدِ ؛ والعُقابُ هى التى تَنْكَدرُ[٤] على الذئب [الأطلس] فتقدّ بدابرتها ما بين صَلاهُ إلى موضع الكاهل[٥] .

فإذا غرزَت الجرادة[٦] وألقت بيضها ، وانضمَّتْ عليها تلك الأخاديد التى أحدثَتْها ، وصارت كالأفاحيص لها ، وصارت حافظةً لها ومربِّية ، وصائنة وواقية ، حتى إذا جاء[٧] وقتُ دَبيبِ الرُّوح فيها أحدث اللهُ فى أمرها عجباً آخر[٨] . [فسبحان من استخزنها حكمتَه ، وحشاها بالأدلة عليه ، وأنطقَها بأنها مدبرة ، ومُذلَّلة[٩] ميسرة ؛ ليفكر مفكر ، ويعتبر معتبر ! ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وتبارك الله ربُّ العالمين[١٠] !

---

(١) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس . فيما عدا ل : « ليست تخرق اللحم » تحريف . وانظر مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣١٧) .

(٢) الأيد : القوة . فيما عدا ل : « من جهة الأيد فى قوة البدن » محرف .

(٣) ط فقط : « فى جلدة الجاموس » صوابه ما أثبت .

(٤) تتكدر : تنقض . ط : « تنحدر » س ، هـ : « تتحدر » والوجه ما أثبت من ل .

(٥) تقد : تقطع . والدابرة : الإصبع التى من وراء رجلها . فيما عدا ل : « بدائرتها » تحريف . وانظر ص ٢٠٦ . والصلا ، بالفتح : وسط الظهر . والكاهل : مقدم أعلى الظهر .

(٦) غرزت الجرادة وغرّزت ، بالتشديد : أثبتت ذنبها فى الأرض لتبيض .

(٧) فيما عدا ل : « كان » .

(٨) فيما عدا ل : « حدث عجب آخر » .

(٩) المذللة : الميسرة . وفى الأصل ، وهو هنال : « مذالة » محرف .

(١٠) فى الآية ٦٤ من سورة غافر . (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) . =

(مراتب الجراد)

وقال الأصمعى : [يقال : قد سرأت الجرادة تسرأ سَرْءًا] . فإذا خرجَ من بيضه فهو دَبًا والواحدة دَباة . ويخرج أصهَبَ إلى البياض ؛ فإذا اصفرَّ وتلوَّنت فيه خطوطٌ واسودَّ فهو بُرقان[١] . يقال رأيت دبًا بُرقانا ، والواحدة بُرقانة ؛ فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ و بيضٌ وصُفْر فهو المسَيَّح[٢] . فإذا بدا حجْمُ جناحِهِ فذلك الكُتْفان[٣] ؛ لأنه حينئذٍ يكتف المشى[٤] ، واحدة كتفانة . قال ابن كناسة[٥] :

يكتِفُ المشْيَ كالذى يتخطَّى طُنُبًا أو يشُكُ كالمتمادِى[٦]

يصف فرسًا[٧] . فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغُبْرة فهو الغَوْغاء والواحدة غوغاءة[٨]] ، وذلك[٩] [حينَ] يستقلُّ ويموجُ بعضُه فى بعضِه

= وفى ٥٤ من الأعراف : (تبارك الله رب العالمين) وفى ٩ من فصلت : (ذلك رب العالمين) فما جاء به الجاحظ هو تحميد وتنزيه فحسب .

(١) البرقان ، بالضم . فيما عدا ل : « وتلوت فيه خطوط واسود فهو » صوابه فى ل . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٢) المسيح ، بتشديد الياء المفتوحة ، وأصل المسيح المخطط . فيما عدا ل : « فإذا صار فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلح » تحريف صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٢٤) حيث نقل رواية الجاحظ عن الأصمعى . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٣) الكتفان ، بضم الكاف وفتحها . ط ، س : « فاذا بدأ » بالهمزة ، تحريف . وفى ل : « فهو » بدل : « فذلك » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة هنا وفى أصل نهاية الأرب وفى اللسان ، لكن ضبطت فى اللسان بتشديد التاء . وانظر الشعر التالى . وفى المخصص (٨ : ١٧٢) : « وقيل سمى كتفانا لأنه يكتف المشى ، أي إذا مشى حرك كتفيه » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٦) الطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوهما . يشك : يظلع ويغمز فى جريه . والمتمادي : اللجوج . فيما عدا : « أو يشتد للمتباري » .

(٧) هذه الجملة ليست فى ل .

(٨) هذه التكملة من ل ونهاية الأرب واللسان .

(٩) فيما عدا ل : « ولذلك » .

ولا يتوجهه جهةً . ولذلك قيل[١] لرعاع الناس غوغاء .

فإذا بدتْ فى لونه الحمرةُ والصفرة ، وبقى بعضُ الحمرة ، واختلف فى ألوانه ، فهو الخيفان ، والواحدة خَيفانة . ومن ثَمَّةَ قيل للفَرَس خَيفانة[٢]

فإذا أصفرّت الذكورةُ واسودّت الإناثُ ذهبت عنه أسماء [غير[٣]] الجراد . فإذا باض قيل قد غَرَز الجرادُ[٤] ، وقد رزّ[٥] .

فإذا كثُر الجرادُ فى السماء وكثُف فذلك السُّدُّ . ويقال : رأيتُ سُدًّا مِنْ جَرادٍ ، ورأيتُ رِجْلاً من جَرادٍ ، للكثير منه . وقال العجاج :

١٦٠ . سَيْرَ الجرادِ السُّدِّ يرتادُ الخَضِر[٦]

(مثل فى الجراد)

و [مما] تقول العرب : « أصْرَدُ منْ جرادة[٧] ! » . وإنما يُصْطاد[٨] الجرادُ بالسَّحَر . إذا وقَع عليه الندى طلبَ مكاناً أرفع من موضعه[٩] ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقال » .

(٢) وهى الفرس الخفيفة المتوثبة . ل : « ثم » بدل : « ومن ثمة » وفى المخصص : « ومن ثم قيل للفرس خيفانة » .

(٣) هذه الكلمة ليست فى الأصل . وبدونها لا يستقيم المعنى . وفى نهاية الأرب : « فاذا اصفرت الذكور واسودت الإناث سمى حينئذ جراداً » . وفى المخصص : أبو حنيفة : فإذا طار سقطت عنه هذه الأسماء وسمى جراداً » .

(٤) غرز ، بالتخفيف والتشديد . انظر التنبيه ٦ ص ٥٥٠ .

(٥) يقال أيضاً أرز . ومعناها أثبت ذنبه فى الأرض ليبيض .

(٦) فى ديوان العجاج ١٩ وكذا فى اللسان (٤ : ١٩٢) : « سيل الجراد » قال ابن منظور فى كلمة : « السد » : « إما أن يكون من الجراد فيكون اسماً ، وإما أن يكون جمع سدود ، وهو الذى يسد الأفق ، فيكون صفة » . والبيت فى صفة جيش عمر ابن عبيد الله بن معمر ، ممدوح العجاج . وانظر نظام الغريب ١٨٤ .

(٧) انظر الميدانى (١ : ٣٧٨) .

(٨) ط : « تصاد » هـ : « تصطاد » وأثبت ما فى ل ، س .

(٩) فيما عدا ل : « إذا وقع عليها الندا تطلب مكاناً أرفع من موضعها » تحريف .

فإن كان مع النَّدى بَرَدٌ لبَدَ فى موضعه . ولذلك قال الشاعر :

وكتيبةٌ لبَّسْتُها بكتيبةٍ ... كالثائر الحيران أشرَفَ للنَّدَى

الثائر : الجراد . أشرف : أتى على شَرَف . للندى : أى من أجْل الندى .

(استطراد لغوى)

ويقال : سخَتْ الجرادة تسخُ سَخًّا[1] ، ورزَّت وأرزَّت ، وجرادةٌ[2] [رزّاء] وارزّ ومُرِزّ : إذا غمزت[3] ذنبها فى الأرض . وإذا ألقَت بيضها قيل سَرأت تَسْرأ سَرْءا[4] .

ويقال : قد بَشَرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً : إذا حَلقَها[5] فأكل ما عليها . [ويقال : جَرَدَ الجرادُ : إذا وقع على شىء فجرَدَه] . وأنشدني ابن الأعرابىّ[6] :

كما جَرَد الجارودُ بكرَ بنَ وائلِ[7]

ولهذا البيت سُمِّى الجارود[8] .

---

(١) فيما عدا ل : « ويقال سبحت تسبح تسبيحاً » تحريف صوابه فى ل واللسان والقاموس .

(٢) فيما عدا ل : « وجراد » .

(٣) ل : « غمرت » بالراء .

(٤) ل : « ويقال سرأت تسرأ سرءاً : إذا ألقت بيضها » .

(٥) حلقها ، بالحاء المهملة والقاف . فيما عدا ل : « خلفها » تحويف .

(٦) فيما عدا ل : « وأنشد ابن الأعرابى » .

(٧) صدر البيت كما فى الروض الأنف (٢ : ٣٤٠) .

* ودسناهم بالخيل من كل جانب *

(٨) الجارود ، صحابى جليل ، وفد على الرسول فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له موقف حسن فى الردة . والجارود لقب له ، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ، العبدى ؛ من عبد القيس : انظر المعارف ١٤٧ =

[وأنشدني آخر :

يقولُ أميرٌ : ها جرادٌ وضَبّةٌ … فقد جَرَدَتْ بيتي وبيتَ عياليا

وهذا من الاشتقاق[(١)]]

ومنه قيل ثوبٌ جَرْدٌ ، بإسكان الراء ، إذا كان قد انجرد وأخْلَق .

قالت سُعْدَى بنت الشَّمَرْدَل[(٢)] :

سَبَّاءُ عاديةٍ وهادى سُربةٍ … ومُقاتلٌ بطلٌ وليثٌ مِسْلعُ[(٣)]

أجَعلتَ أسعدَ للرِّماح دريئةً … هبِلتْكَ أمُّكَ أيَّ جَرْدٍ ترقَعُ[(٤)]

(تطيُّر النابغة)

ويدخلُ في هذا الباب ما حدّثنا[(٥)] به الأصمعيّ ، قال : تجهز النابغةُ

= والسيرة ٩٤٤ — ٩٤٥ جوتنجن ، والاشتقاق ١٩٧ . ولقب الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بني شيبان ، من بكر بن وائل ، وبإبله داء ، ففشا ذلك الداء في إبل أخواله ، فأهلكها . انظر المعارف ، والاشتقاق ، والميداني (١ : ١٧٣) واللسان (٤ : ٨٧) ورواية عجز البيت فيه محرفة .

(١) يريد : اشتق جردت من الجراد . وهذا الاشتقاق الذي عنى الجاحظ ، باب عظيم من أبواب الطيرة والتفاؤل عند العرب ، وهو أصل من أصول هذا الفن لديهم ، انظر (٣ ٣٤٧ س ٥/ ٤٤٠ س ٦ / ٤٤١ س ٢ ، ٧ / ٤٤٤ س ٣ / ٤٤٦ س ٢) .

(٢) ل فقط : « السموءل » تحريف . والبيتان من قصيدة لها في الأصمعيات ص ٤١ ليبسك وحماسة ابن الشجري ٨١ — ٨٢ ، ترثي بها أخاها أسعد بن مجدعة ، قتلته بنو بهز بن سليم بن منصور .

(٣) سباء : مبالغة من السبي ، وهو الأسر . والعادية : أول من يحمل من الرجالة دون الفرسان . والسربة ، بالضم : الجماعة من الخيل . والمسلع ، بالكسر : الذي يشق الفلاة . فيما عدا ل : « شماء عالية وهاد مشرف » و : « يلسع » بدل : « مسلع » تحريف . ويروى : « سباق عادية وهادي سرية » .

(٤) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن . والجرد ، بالفتح الثوب الخلق . تقول لقاتله : ألم تجد غيره تروز به نفسك وتختبرها ؟! وتقول له : لقد طلبت مالا نفع لك فيه ! فيما عدا ل : « أجعلت سعدى » تحريف . وانظر المخصص (٣ : ٣١ / ١٦ ، ٩٤) وأمثال الميداني (١ : ١٤٠) في : « ثكلتك أمك أي جرد ترقع ! » . وقد فسر البيت صاحب اللسان (٤ : ٨٦) تفسيرا لا خير فيه .

(٥) ل : « خبرنا » وقد سبق هذا الخبر في (٣ : ٤٤٧) .

الذبيانيُّ مع زَبَّانَ بنِ سَيَّارٍ الفزاريّ ؛ للغزو . فلما أراد الرحيلَ نظرَ إلى جرادة قد سقطتْ عليه ، فقال : « جرادٌ تجرُدُ ، وذات لونَين[1] . غيرى مَنْ خرج فى هذا الوجه : » ولم يلتفتْ زَبَّانُ إلى طِيرَتِه وزجْرِه ، ونفذ لوجهه فلما رجع إلى موضعه الذى كان النابغةُ فارقه فيه ، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة ، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال[2] :

تخَبَّرَ طيرَهُ فيها زيادٌ ... لتُخبره وما فيها خَبيرُ[3]
أقامَ كأنَّ لُقمانَ بنَ عادٍ ... أشارَ له بحكمته مُشيرُ
تعَــلَّمْ أنهُ لا طَيْرَ إلا ... على متَطيِّرٍ وهو الثُّبورُ[4]
بلى ، شىءٌ يوافقُ بعضَ شىء ... أحايِيناً ، وباطله كثيرُ

واسم النابغة زياد بن عمرو ، [وكنيته أبو ثُمامة[5]] . وأنشدنى أبو عبيدة[6] :

وقائلةٍ ، مَنْ أمَّهَا واهتدَى لهـا ؟ ... زيادُ بنُ عمرو أمَّها واهتدى لها[7]

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أبشرت الأرض إبشاراً[8] : إذا بُذِرَتْ فخرج منها ١٦١

---

(١) فى الثالث من الحيوان : « ذات ألوان » وبطرح الواو .
(٢) انظر مراجع الشعر التالى فيما سبق فى الجزء الثالث .
(٣) « تخبر » بالباء الموحدة . وفي الأصل : «طيرة » بالتاء . وفى ل : « ليخبره » وفي هـ « لتخبرها » .
(٤) الطير ، بالفتح : اسم من التطير . والثبور : الهلاك .
(٥) فى الشعراء ٧٠ ليدن : « ويكنى أبا أمامة ، ويقال أبا ثمامة » .
(٦) فيما عدا ل : « وأنشد أبو عبيدة » .
(٧) كذا روى الجاحظ عن أبي عبيدة . لكن فى الحماسة نسبة هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائى ، من أبيات أربعة ، برواية :
وقائلة من أمها طال ليله ... يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها
(٨) بالباء . وفيما عدا ل : « أنشرت الأرض إنشاراً » تحريف .

بذرها . فعند ذلك يقال : ما أحسنَ بَشرَةَ الأرض[١] .

وقال الكميت — وكنية الجراد عندهم : أمُّ عوف . وجناحاها : بُرادها — ولذا قال :

تنفِّض بُردَىْ أمِّ عوفٍ ولم تَطِرْ — لنا بارق ، بَخْ للوعيدِ وللرَّهبِ[٢]

وأنشدنا أبو زيد[٣] :

كأن رِجْليهِ رِجْلا مُقْطِفٍ عَجِلٍ — إذا تجاوب من بُردَيه ترنيمُ

يقول : كأنّ رجلَى الجندب ، حين يضربُ بهما الأرضَ من شدة الحرِّ والرَّمضاء ، رِجْلا رجُل مُقْطِف . والمقطف : الذى تحته دابّةٌ قَطُوف[٤] ، فهو يهمزُها[٥] برجليه .

---

(١) بشرة ، على لفظ بشرة الجسم .

(٢) بردا الجراد والجندب : جناحاه . وبارق : قبيلة من الأزد ، وبارق هو سعد بن عدي ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . انظر النقائض ٦٥٩ . وفيهم يقول جرير (ديوانه ٣٠١ والأغانى ٧ : ٤٢) :

قد كان حقك أن تقول لبارق — يا آل بارق فيم سب جرير

وبخ : كلمة للتعظيم والتعجب من الشىء ، جعلها للتهكم والسخرية . والرهب بالفتح والضم : الخوف . يقول : إن بارقا كهذه الجرادة فهى تنفض جناحيها ولا تطير ، وتتوعد ولا تفعل ! ل : « ننفض » ﻫ « تنقض » صوابهما فى ط ، س والمخصص (٨ : ١٧٤) واللسان (٤ : ٥٤) والغريب المصنف ١٣٩ . فيما عدا ل : « أم عمرو » صوابه في ل والمراجع . وفى اللسان والمخصص : « ولم يطر » محرف . ط ، س « لنا نار وبخ » ﻫ : « لنا نار وبخ » ل : « لنا باذق بخ » صوابهما ما أثبت . ط س : « المذهب » ﻫ : « والذهب » صوابهما فى ل والمراجع .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشدنى أبو زيد » . والبيت لذى الرمة ، كما فى اللسان (١ : ٢٥٠/ ٤ : ٥٤ — ١١ : ١٩٤) والديوان ٥٧٨ ، يصف به الجندب في الرمضاء ، ويشبهه بالمقطف ، وهو صاحب الجمل القطوف فى السير ، فهو ينحزه لا يفتر عنه . وانظر جنى الجنتين ص ٣٣ .

(٤) القطوف : المتقارب الخطو البطىء .

(٥) الهمز : الغمز والضرب والدفع . ل : « يضربها » .

(شعر فى الجندب والجراد)

وقال أبو زبيدٍ الطائىّ ، ووصفَ الحرّ[1] [وشدته ، وعملَ الجندب بكُراعيه] :

أىُّ ساعٍ سَعَى ليقطع شَرْبى   حينَ لاحَتْ للصابحِ الجوزاء[2]
واستَكَنّ العُصفُورُ كَرْهاً مع الضَّبِّ   وأوفَى فى عودِهِ الحِرباء[3]
ونَفَى الجندَبُ الحصَى بكُراعَيهِ   وأذْكَتْ نِيرانَها المعزاء

وأنشدنا أبو زيد ، لعوف بن ذِرْوَة[4] ، فى صفة الجراد :

قد خفت أن يحدَرنا للمِصرينْ[5]   ويترُكَ الدين علينا والدَّينْ[6]
زَحْفٌ من الخَيْفانِ بعد الزّحْفَينْ[7]   مِنْ كلِّ سَفْعاء القفَا والخدَّينْ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « يصف الحر » .

(٢) سبق هذا البيت مشروحاً فى ٢٣١ مع البيتين بعده ، وبعدها رابع . ﻫ : « للصائح » محرف .

(٣) مضي شرح هذا البيت فى ٢٣٢ . ط : « فى عود » تحريف .

(٤) الرجز فى نوادر أبى زيد ٤٨ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٤) .

(٥) يقال حدرتهم السنة : جاءت بهم إلى الحضر . ومنه قول الحطيئة :

جاءت به من بلاد الطور تحدره   حصاء لم تترك دون العصا شذبا

والمصران : البصرة والكوفة . فهو يخشى أن تحدره الأزمة إليهما . ل : « تحدر للمصرين » . فيما عدا ل : « يحدث لى بالمصرين » صوابهما فى النوادر واللسان (١١ : ٢٨) .

(٦) الدين والدين ، أراد بهما الديون الكثيرة . فيما عدا ل : « تترك » تحريف . وفاعله كلمة : « زحف » فى البيت التالى . فيما عدا ل : « وتترك الدين على » تحريف .

(٧) الخيفان ، بالفتح : جمع خيفانة . وانظر ص ٥٥٢ . والزحف الجماعة . وفى المخصص (٨ : ١٧٤) : « أبو حنيفة : إذا كانت قطعة من جراد قدر ميل سميت الرجل . وإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف » . قال ابن منظور : « أراد بعد زحفين ، لكنه كره الزحاف فأدخل الألف واللام لإكمال الجزء » . فيما عدا ل : « من الخيفين » صوابه فى ل والنوادر واللسان .

(٨) السفعاء : السوداء . ﺳﻤ : « سعفاء » محرفة .

مَلعونةٍ تسلَخُ لوناً عن لونْ[١] كأنها مُلتفَّةٌ فى بُردَينْ[٢]

تُنْحِى على الشِّمراخِ مثل الفأسَينْ[٣]

أو مثلَ مِئشارٍ غليظِ الحَرْفَينْ[٤]

أنصَبَهُ منُصِبُه فى قِحْفَينْ[٥]

وعلى معنى قوله :

تُنحى عَلَى الشِّمراخ مثلَ الفأسينْ أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرفينْ

قال حمادٌ لأبى عطاء[٦] :

فما صفراءُ تُكنَى أمَّ عوفٍ كأنَّ رُجَيْلَتَيْهامِنْجَلانِ[٧]

(تشبيه الفرس بالجرادة)

ويُوصفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة ، ولذا قال الشاعر[٨] :

---

(١) فيما عدا ل « لونين » وقد سبقت هذه الرواية فى (٤ : ٢٢٦) وأثبت ما فى ل والنوادر .

(٢) ط ، سه : «متلفة» صوابهما فى ل ، ه والنوادر .

(٣) يقال أنحى على حلقه السكين : عرضها . الشمراخ : العثكال الذى عليه البسر ، وقد يكون فى العنب ، ولعله عنى به السنابل .

(٤) المئشار ، بالهمز : المنشار . فيما عدا ل : « منشار » . « غليظ » كذا جاءت روايته فى الأصل ومحاضرات الراغب . والرواية فى النوادر : « حديد » بمعنى حاد .

(٥) أنصبه : جعله فى نصاب . والنصاب ، بالكسر : المقبض : فيما عدا ل : « منصبة » تحريف . والقحف ، بالكسر : الفلقة من القصعة إذا انثلمت .

(٦) حماد هذا ، هو حماد الراوية . وأبو عطاء ، لقب لشاعر من مخضرمى الدولتين ، واسمه أفلح بن يسار . وكان أبو يسار سندياً أعجمياً لا يفصح ، وكانت فى لسان أبى عطاء لكنة شديدة ولثغة . ومات فى آخر أيام المنصور . انظر الأغانى (١٦ : ٧٨ — ٨٤) . وانظر الخبر الخزانة (٤ : ١٧٠ بولاق) والشعراء ١٧٩ والشريشى (٢ : ١٣٢) . فيما عدا ل : « لأبى العطاء » تحريف .

(٧) عند الشريشى : «كأن سويقيتها » . وقد أجاب أبو عطاء حماداً بقوله :

أردت زرادة وأزن زنا بأنك ما أردت سوي لسانى

أى أردت جرادة وأظن ظناً أنك لن تقصد إلا أن تستخرج رطانتى .

(٨) ل : « ويشبه بالجرادة ولذلك قال الشاعر » .

فإذا أَتيتَ أَباكَ فاشترِ مِثلها   إِنَّ الرِّدافَ عن الأحبَّة يشْغَلُ[١]

فإذا رفعْتَ عِنانَها فجرادةٌ   وإذا وضعْتَ عِنانَها لاتفشلُ

ولم يرض بشرُ بن أبي خازمٍ بأن يشبهه[٢] بالجرادة حتى جعله ذكراً، ١٦٢ حيثُ يقول :

بكلِّ قِيادِ مُسْنِفَةٍ عَنُودٍ   أَضَرَّ بها المسالحِ والعِوارُ[٣]

مُهارِشَةِ العِنَانِ كأنَّ فيها   جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ[٤]

فوصفها[٥] بالصُّفرة ؛ لأن الصفرة هي للذكورة[٦] ، [وهي] أخفُّ أبداناً ، وتكونُ لخفة الأبدانِ أشدَّ طيراناً .

(تشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد)

ويوصف قَتيرُ الدِّرع ومساميرُها [فيشبَّه[٧]] بحَدَق الجراد[٨] . وقال قيس بن الخطيم :

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا أبيت الردف فاسترسلتها » وهذا البيت مؤخر عن التالي فيما عدا ل.

(٢) فيما عدا ل : « شبهه » .

(٣) المسنفة ، بكسر النون . المتقدمة ؛ وبفتحها : التي شد عليها السناف ، وهو لبب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . والعنود : التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . المسالح : المراقب والثغور . والعوار ، بكسر العين المهملة : مصدر عاور . والمعاورة : المداولة ، أراد معاورة الطعن والضرب . فيما عدا ل : « فكل » و : «مسبقه» وفي ط ، س : «عتود» و هـ : «عمود» صواب ذلك من ل والمفضليات (٩٨ : ٤٣ طبع المعارف) . ل فقط : « المسالح » . وفيما عدا ل : « العرار » صوابه في ل . ورواية المفضليات : « الغوار» وهو مصدر غاور كالمغاورة .

(٤) المهارشة : المقاتلة . أي تجاذب العنان من شدة المرح . والهبوة : الغبار . وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً .

(٥) أي وصف فرسه . والفرس يذكر و يؤنث .

(٦) فيما عدا ل : « لأن الصفر الذكورة » .

(٧) ليست في الأصل ، وبها يلتئم الكلام . وانظر س ١٠ من الصفحة السابقة .

(٨) القتير : رءوس مسامير للدرع . وحدقة العين : سوادها الأعظم .

ولما رأيت الحرب حرباً تجرَّدَتْ   لبست مع البردَيْنِ ثوبَ المحاربِ[1]

مضاعفةً يغشَى الأناملَ فضلُها   كأنَّ قتيرَيْها عُيونُ الجنادبِ[2]

وقال المقنَّع الكِنْدِيّ[3] :

ولى نَثْرةٌ ما أبصَرَتْ عينُ ناظرٍ   كصُنعٍ لها صُنْعاً ولا سَرْدِها سَرْدَا[4]

تلاحَمَ منها سَرْدُها فكأنما   عيونُ الدَّبا في الأرض تجرُدُها جَرْدا[5]

وقال عمرُو بن معد يكرِبَ[6] :

تمنَّانى ليلقَانى أُبَىٌّ   ودِدْتُ وأين ما منِّى ودادِى[7]

تمنَّانى وسابغَتِى دِلاصٌ   خَروس الحِسِّ مُحكمةُ السِّرادِ[8]

مَضاعفةٌ تخيَّرَها سُلَيمٌ   كأنَّ سِكاكَها حَدَقُ الجرادِ[9]

---

(١) تجردت ، يقال تجرد للأمر : جد فيه ومضى . ط : «تحدرت» سه ، ﻫ : «تحددت» صوابهما فى ل وديوان قيس ١٢ ليبسك وحماسة البحترى ٤٠ . ط فقط : «من البردين» تحريف .

(٢) مضاعفة : درع تنسج حلقتين حلقتين . فضلها : زيادتها . ط : « قتيرها » ﻫ : « قترها » صوابهما فى ل والديوان .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٨) .

(٤) النثرة ، بالفتح : الدرع الواسعة . والسرد : نسج الدرع .

(٥) تجردها : تأكل نبتها وتحلقه . ط ، ﻫ : « تجرها » صوابه فى ل ، سه .

(٦) كان عمرو قد غزا هو وأبى المرادى ، فأصابا غنائم ، فادعى أبى أنه كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمراً أنه توعده ، فقال فى ذلك هذا الشعر . انظر الأغانى (١٤ : ٣٢) .

(٧) ما ، فى : « أين ما » زائدة . أراد : أين منى ما أوده من لقائه ؟! ورسمت الكلمة متصلة فى الأغانى وفيما عدا ل .

(٨) السابغة : الدرع الفضفاضة . وعجز هذا البيت وصدر تاليه ليسا فى ل والأغانى ، وفيهما صدر هذا البيت مع عجز البيت التالى . سه : « خروش الجس » ﻫ : « خروس الجس » وأثبت ما فى ط .

(٩) سليم : أراد به سليمان بن داود . فاضطره الشعر . وقد أخطأ أيضاً فى نسبة الدرع إلى سليمان ، وإنما أراد داود أبا سليمان . انظر المعرب ١٩١ والعمدة (باب الإحالة والتغيير) . والسكاك ، بالكسر : جمع سك ، بالفتح ، وهو المسمار . قال دريد : =

(تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة)

[ويوصفُ وسط الفرَس بوسَط الجرادة . قال رجلٌ من عبد القيس[(١)] يصف فرَساً :

أما إذا ما استدْبرت فنعامة   تنفى سنابكُها رضيضَ الجنْدَلِ[(٢)]]

(تشبيه الحباب بحدق الجراد)

ويوصفُ حَباب الشراب بحدق الجراد . قال المتلمِّس :

كأنى شاربٌ يومَ استَبَدُّوا   وحثَّ بهم وراء البيدِ حادِى[(٣)]

عُقاراً عُتِّقَتْ فى الدَّنِّ حتى   كأنَّ حَبابَها حَدَقُ الجرادِ[(٤)]

(لُعاب الجندب)

وإذا صفَا الشَّرابُ وراقَ شبَّهوه بلُعاب الجندب. ولذا قال [الشاعر[(٥)]] :

= بيضاء لا ترتدى إلا إلى فزع   من نسج داود فيها السك مقتور

فيما عدا ل وكذا فى الأغانى : « قتيرها » . وفى ل : « شكاكها » بالشين ، صواب هـذه ما أثبت .

(١) هو ابن سنان العبدى ، كما سبق فى (١ : ٢٧٥) .

(٢) صدره فى الأصل ، وهو هنا ل : «إذا استدبرت فنعامة » . وقد أتممته بكلمتى : « أما » و« ما » . وروايته فى الجزء الأول :

أما إذا تشتد فهى نعامة   تنفى سنابكها صلاب الجندل

(٣) استبد فلان بأمره وبرأيه : انفرد به . وقال ابن الشجرى فى الحماسة ٢٤٩ : « استبدوا : مضوا برأيهم . ووراء البيد : حال دونهم البيد » . ط : « وحثهم » صوابه فى سائر النسخ وحماسة ابن الشجرى والخزانة (٣ : ٧١ بولاق) .

(٤) العقار ، بالضم : التى عاقرت الدن ، أطالت المكث فيه . والحباب ، بالفتح : النفاخات والفقاقيع التى تطفو كأنها القوارير .

(٥) هذه من ل ، س .

صفراء من حَلَبِ الكُرومِ كأنَّها   ماءُ المفاصِلِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ[١]

ولُعاب الجندب سمٌّ عَلَى الأشجار ، لايقع على شىء إلا أحرقه .

(زعم فى الدَّبا)

ولا يزالُ بعضُ من يدَّعى العِلمَ يزعمُ أن الدَّبا يُريد الخضْرة ، ودونها النهر الجارى[٢] ، فيصيرُ بعضه جسراً لبعضٍ ، حتى يعبُرَ إلى الخضْرة ، وأن تلك حيلةٌ منها .

وليس [ذلك] كما قال : ولكنّ الزَّحف[٣] الأول من الدبا يريد الخضرة ، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها ، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك[٤] لعمرى أرضاً للزحف الثانى الذى يريد الخضرة .

١٦٣ فإن[٥] سمَّوا ذلك جسراً استقام . فأما أن يكون الزحفُ الأولُ مهَّد للثانى [ومكَّن[٦]] له ، وآثره بالكفاية — فهذا ما لا يُعرفُ .

ولو أن الزحْفين جميعاً أشرفا على النهر ، وأمسَكَ أحدُهما عن تكلُّف العبور إلى أن يمهِّد له الآخر — كان ذلك قولا .

(استطراد لغوى)

ويقال فى الجراد : خِرقة من جراد ، والجميع خِرَق[٧] . وقال الشاعر :

---

(١) المفاصل : ماء بين السهل والجبل . انظر (٢ : ٣٥٠ — ٣٥١) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) ل : « بريد الخضرة » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودونه الماء الجارى » .

(٣) الزحف ، بالفتح : الجماعة تزحف .

(٤) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « فإذا » .

(٦) هذه من ل ، س ، ه .

(٧) الخرقة : بكسر الخاء المعجمة ، وجمعها خرق بكسر ففتح . ل : « حزقة » =

كأنها خِرَقُ الحرَا دِ يثورُ يومَ غُبارِ[١]

ويقال للقطعة الكثيرة منها رِجْل جراد ، ورِجلةٌ من جراد . والثَّوْل[٢] : القطعة من النحل .

وتوصف كثرة النَّبْلِ[٣] ، ومرورها ، وسرعةُ ذلك بالجراد . [وقال أبو النجم[٤] :

كأنما المَعْزاء من نِضالها[٥] رِجلُ جرادٍ طار عن حِدَالها[٦]

= و « حزق » بالحاء المهملة والزاى ، وهى صحيحة بمعنى الأولى . سه ، ﻫ : « حرفة » و « حرق » تصحيف . وفيما عدا ل : « الجمع » موضع : « الجميع » وهما بمعنى . وينشدون فى الخرقة قول الراجز (اللسان خرق والمخصص ٨ : ١٧٤ وابن دريد ٢ : ٢١٣) :

قد نزلت بساحة ابن واصل خرقة رجل من جراد نازل

(١) هذا بيت من مجزوء الكامل، وقد أنشده أيضاً صاحب نظام الغريب ١٨٤ . ط فقط « وكأنها » بزيادة واو ، وبذلك تسلم التفعيلة الأولى من الوقص . وأثبت ما فى سائر النسخ ونظام الغريب .

(٢) الثول ، بفتح الثاء ، وآخره لام . وفى اللسان : « الثول جماعة النحل ، يقال لها الثول والدبر . ولا واحد لشىء من هذا من لفظه » . فيما عدا ل : « الثور » بالراء ، تحريف .

(٣) النبل ، بالفتح : السهام . ط ، ﻫ : « السهام » لكن فى سه : « الجراد » محرف .

(٤) يصف الحمر فى عدوها وتطاير الحصى عن حوافرها . انظر اللسان (١٣ : ٢٨٩ س ١٧) .

(٥) المعزاء والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٦) الحدال ، بكسر الحاء المهملة : مصدر حادلت الأتن العير أى راوغته . قال ذو الرمة :

من الغض بالأفخاذ أو حجباتها إذا رابه استعصاؤها وحدالها

فى الأصل ، وهو هنا ل : « خدالها » بالخاء المعجمة والدال . وفى اللسان والفائق (١ : ٣٣٣) : « خذالها » بالخاء والذال المعجمتين ، صوابهما ما أثبت . والرجل من الجراد تذكر وتؤنث . قال الزمخشرى فى الفائق : « وقد جمعهما أبو النجم فى قوله وأنشد البيت .

و إذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا : رأينا سُدًّا من جراد] . وقال المفضل النُّكرىّ[(١)] :

كأنّ النَّبل بينهمُ جـرادٌ تُهيِّجه شآمِيَةٌ خَرِيقُ[(٢)]

والمرتجل : الذى [قد] أصابَ رِجْل جرادٍ ، فهو يشويه .

وقال بعضُ الرُّجّاز ، وهو يصفُ خيلاً قد أقبلت إلى الحىّ[(٣)] :

حتى رأينـا كدُخانِ المرتجِلْ أو شَبَهَ الحفّانِ ، فى سفحِ الجَبَلْ[(٤)]

و [لأن] الحفان[(٥)] أتمُّها أبداناً ، قال ابنُ الزِّبَعرَى[(٦)] :

ليتَ أشياخى ببـدرٍ شهدوا جزَعَ الخزْرج من وَقْعِ الأَسَلْ
حينَ ألقَتْ بِقُبـاء بَرْكَها واستَحَرَّ القتلُ فى عبدِ الأشَلْ[(٧)]

---

(١) هو المفضل بن عامر النكرى ، بضم النون ، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس . فهو نكرى عبدى ، وهو صاحب القصيدة المنصفة . وهى فى الأصمعيات ص ٥٣ . ومنها البيت التى أنشده الجاحظ . انظر المعارف ٤٢ س ٢ والعينى (٢ : ٢٣٥) . وفى الأصل : « البكرى » بالباء ، تحريف .

(٢) شآمية : ريح من قبل الشأم . والخريق : الباردة الشديدة الهبوب . سه : « يهيجه » ط : « خريق » صوابه فى سائر النسخ والأصمعيات والعينى .

(٣) فيما عدا ل : « مقبلة إلى الحى » .

(٤) مما جاء فى دخان المرتجل أيضاً قول لبيد فى معلقته :

فتنازعا سبطاً يطير ظلاله كدخان مرتجل يشب ضرامها

(٥) الحفان ، بفتح الحاء وتشديد الفاء : أولاد النعام ، الواحدة حفانة . وهذا البيت الأخير ليس فى ل .

(٦) أى أتم أولاد النعام أبداناً . وفيما عدا ل : « وقال ابن الزبعرى » . وهو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم القرشى . والزبعرى أبوه ، وهو بكسر الزاى وفتح الباء ، مقصور ، وهو فى اللغة السيّء الخلق والغليظ . كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٤٦٧٠ والمؤتلف ١٣٢ . والشعر التالى قاله فى يوم أحد قبل أن يسلم ، من قصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن .

(٧) قباء ، بضم القاف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . والبرك ، بالفتح : الإبل الكثيرة . استحر : اشتد . فيما عدا ل : « بفناء » . تحريف . وفى السيرة : « حين حكت » .

ساعــةً ثمَّ استخفوا رَقَصًا رَقَصَ الحفانِ فى سَفْحِ الجَبَلْ[١]
وقتلنا الضِّعفَ مِنْ ساداتِهِمْ وعدلْنا مَيلَ بدْرٍ فاعتَدَلْ[٢]

(طيب الجراد الأعرابى)

والجرادُ الأعرابىُّ لايتقدمه فى الطِّيب شىء . وما أُحصِى كم سمِعتُ من الأعراب مَنْ يقول : ماشبِعتُ منه قطُّ ! وما أدعُهُ إلا خوفًا من عاقبته أو لأنى أعيا فأتركه !

(أكل الجراد)

والجرادُ يطيب حارًّا وباردًا ، ومشويًّا ومطبوخًا ، ومنظومًا فى خيط ، ومجعولا فى المَلَّة[٣] .

والبيض الذى يتقدَّمُ فى الطيب ثلاثةُ أجناس : بيض الأُسبور[٤] و بيض الدَّجاج[٥] ، [و بيضُ الجراد . و بيضُ الجراد فوقَ بيضِ الأسبور

---

(١) الرقص ، بالتحريك : ضرب من الخبب .
(٢) الضعف ، أى ضعف ما قتلوا منا فى يوم بدر . والميل : الفضل والزيادة . يقول : اعتدل ميل بدر ؛ إذ قتلنا مثلهم يوم أحد . انظر أمالى القالى (١ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « وقتلنا الصعب » وأثبت ما فى ل والسيرة .
(٣) الملة ، بالفتح : الرماد الحار ، والجمر . ط فقط : « فى أكلة » تحريف .
(٤) الأسبور : سمك بحرى سبق الحديث عنه فى (٣ : ٢٥٩) . فيما عدا ل : « الأشبور » تصحيف . ولعله معرب عن اللاتينية : Sparidae . وفى ط فقط : « وبيض » بإقحام الواو .
(٥) ط ، هـ : « فوق بيض الدجاج » محرف . والتكملة التالية مأخوذة من الجمع بين ما فى ل ، س .

فى الطيب[١] . و بيضُ الأسبور فوق بيض الدَّجاج[٢]] .

وجاء فى الأثر ، أنّ الجراد ذُكِرَ عندَ عمر فقال : « ليت لنا منه قَفْعَةً أو قفعتين[٣] » .

وهو يؤكل يابساً وغير يابس ، و يجعل أُدْما ونَقْلا[٤] .

والجرادُ المأكولُ ضروبٌ ؛ فمنه الأهوازىّ ، ومنه المذنّب[٥] ، وأطيبُه الأعرابىّ وأهل خُراسانَ لا يأكلونه[٦] .

(قصة فى الولوع بأكل الجراد)

وحدَّثنى رَتبيل بن عمرو بن رَتبيل[٧] قال : والله إنى لجالسٌ[٨] على ١٦٤ باب دارى فى بنى صبير ؛ إذ أقبلت امرأةٌ لم أر قط أتمَّ حسناً ومِلْحًا[٩]

---

(١) الكلام من : « و بيض الجراد » الأخيرة . إلي هنا من سه فقط .

(٢) هذه العبارة مشتركة بين ل ، سه . لكن فى سه : «الأشبور» فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) القفعة ، بفتح القاف بعدها فاء ساكنة : شىء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى . ل : « فقعة أو فقعتان » وفيما عدا ل : « فقعة أو فقعتين » صوابهما ما أثبت من اللسان (١٠ : ١٦٣) والفائق (٢ : ١٧٩) .

(٤) الأدم ، بالضم : ما يؤكل بالخبز . والنقل ، بالفتح : ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به ، ويقال أيضاً بالضم ، وقيل الضم عامية . وفى جمهرة ابن دريد (٣ : ١٦٤) : « النقل : الذى يتنقل به على الشراب ، مفتوح النون » .

(٥) فيما عدا ل : منه الأهوازى» ط ، سه : «وهو المذنب» . والعبارة الأخيرة ساقطة من ه .

(٦) سبق مثل هذا الكلام فى (٤ : ٤٤ س ١٠) .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة فى ل مضبوطة فى هذا الموضع والذى قبله . وفى القاموس : « رتبيل » بضم الراء . وفيما عدا ل : « زبيل » فى الموضعين . وفى سه ، ه : فقط « بن عمرو بن عمرو » بالتكرار .

(٨) فيما عدا ل : «جالس » .

(٩) الملح ، بالكسر : الملاحة و الطيب .

وجسما منها ، ورأيت فى مشيها تأوُّداً ، ورأيتها تتلفت . فلم ألبثْ أن طلعتْ أخرى لا[1] أدرى أيتهما أقدم ، إذ قالت التى رأيتها بديًّا[2] للأخرى : مالك لاتلحقينى[3] ؟ قالت : أنا منذ أيام [كثيرة] أُكثِرُ أكلَ هذا الجراد[4] ، فقد أضعفنى ! فقالت : وإنك لتحبِّينه حُبًّا تحتملين له مثلَ ما أرى بكِ من الضَّعف[5] ؟ قالت : والله إنه لأحبُّ إلىَّ من الحبل ! .

(طرفة فى الجراد)

وقال الأصمعى : قال رجلٌ من أهل المدينة لامرأته : لاجزاكِ اللهُ خيراً ، فإنك غيرُ مُرْعِيَةٍ ولا مبقية[6] ! قالت : لأنا والله أرْعَى وأبقى من التى كانت قبلى[7] ! قال : فأنت طالقٌ إن لم أكنْ كنتُ آتيها بجرادةٍ فتطبخُ منها أربعة ألوان ، وتَشْوى جنبَيها[8] ! فرفعَتْهُ إلى القاضى[9] فجعل القاضى يفكر ويطلبُ له المخرَج . فقال للقاضى : أصلحك الله أأشكلتْ[10] عليك [المسألة] ؟ هى طالقٌ عشرين[11] !

---

(١) ط ، سه : « فلا » .

(٢) بديا : بدءاً . فيما عدا ل : « بدءا » . وانظر هذا الجزء ص ١٦ .

(٣) « لا تلحقينى » . بنون واحدة قبل الياء . وهو أحد مذاهب ثلاثة فى نحو : (تأمرونى) والمذهب الثانى إثبات النونين مع الفك ، والثالث إدغام النونين . وقد قرىء بهن فى السبع ، انظر المغنى (حرف النون) وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٦ . فيما عدا ل : « تلحقين » .

(٤) ل : « أكل الجراد » بحذف : « هذا » .

(٥) ل : « مثل الذى بك » وكلمة : « من الضعف » ليست فى ل .

(٦) الإبقاء : الرحمة والشفقة ، ومثله الإرعاء .

(٧) فيما عدا ل : « والله إنى لأرعى وأبقى من التى كانت قبلى » .

(٨) فيما عدا ل : « جنبها » بالإفراد .

(٩) رفعته : قربته وقدمته إليه ليحاكمه . فيما عدا ل : « فرفعت » .

(١٠) ل : «أشكلت » بحذف حرف الاستفهام .

(١١) فيما عدا ل : « فهى طالق عشرين » .

(تشبيه الجيش بالدبا)

ووصف الراجزُ حرباً ، فوصفَ دنوَّ الرَّجَّالة من الرَّجَّالة[1] ، فقال :

* أو كالدَّبا دبَّ ضُحًا إلى الدَّبَا[2] *

(قول أبي إسحاق في آية الضفادع)

وقرأ بعضُ أصحابنا بحضرة أبي إسحاق[3] : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ[4] ﴾ فقال رجلٌ لأبي إسحاق : انظر كيف قرنَ الضفادعَ مع ضعفها إلى الطوفان ، مع قوة الطوفان وغلبته . قال أبو إسحاق : الضفادعُ أعجبُ في هذا الموضع[5] من الطوفان ، وإذا[6] أراد الله تعالى أن يصيِّر الضفادعَ أضرَّ من الطوفان فعل .

(شعر في تشبيه بالجراد)

وقال أبو الهِنْدِي[7] :

---

(١) الرجالة ، بفتح الراء وتشديد الجيم : جمع رجل ، للذي ليس له ظهر يركبه .

(٢) ط ، هـ : « أتوا كالدبا » صوابه في ل ، س . وفي س : « رب ضحى إلي الربا » محرف .

(٣) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ . هـ : « بحضر » تحريف .

(٤) الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٥) ل : « في هذه المواضع » .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي . وقد أدرك الدولتين ، وكان =

لما سمعتُ الدِّيكَ صاحَ بسُحْرة ... وتوسَّطَ النَّسْرانِ بَطْنَ العقربِ
وتتابعَتْ عُصَبُ النُّجوم كأنها ... عُفْرُ الظِّباء على فُروعِ المَرْقَبِ(١)
وبَدا سُهَيلٌ في السماء كأنه ... ثَورٌ وعارضَه هِجَانُ الرَّبْرَبِ(٢)
نَبَّهْتُ نَدْمَانى فقلتُ له اصطَبِحْ ... يا ابنَ الكرامِ من الشَّراب الأصْهَبِ(٣)
صفراء تَنْزُو في الإناء كأنها ... عَيْنُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ
نَزْوَ الدَّبا مِن حَرِّ كلِّ ظهيرة ... وقَّادَةٍ ، حِرْباؤُها يتقلَّبُ(٤)

وقال أبو الهندىّ أيضاً :

فإنَّ هذا الوطْبَ لى ضائرٌ ... في ظاهر الأمر وفي الغامض(٥)
إن كنت تسقينى فمِنْ قهوة ... صفراء مثلِ المُهرَةِ الناهض(٦)
[تنْزُو الفقاقيعُ إذا شُعْشِعَتْ ... نَزْوَ جَرَادِ البلدِ الرَّامِضِ(٧)]

وقال الأفْوهُ : ١٦٥

بمناقب بيض ، كأن وُجوههم ... زَهرٌ قُبيلَ ترَجُّل الشمسِ(٨)

= جزل الشعر ، لطيف المعانى ، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ، ومقامه بسجستان وبخراسان . قالوا : وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده . انظر الأغانى (٢١ : ١٧٧ — ١٨٠) .

(١) ل : « حزق الوحوش » . والحزق : الجماعات .

(٢) الهجان : البيض . والربرب : القطيع من بقر الوحش . ل : « كأنه ثوب » وفى الأغانى : « نور » صوابهما ما فى سائر النسخ .

(٣) الندمان ، بالفتح ، النديم . فيما عدا ل : « مع الشراب » صوابه فى ل والأغانى .

(٤) فيما عدا ل : « تتقلب » .

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . يقول : لا تسقنى اللبن . وغامض الأمر : باطنه . فيما عدا ل : « وفى العارض » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إن كنت ساقينا » . والقهوة : الخمر .

(٧) تنزو : تتوثب . شعشعت : مزجت بالماء . والبلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء . والرامض : الشديد الحر .

(٨) المناقب : جمع منقبة ، وهى كريم الفعل . وترجل الشمس : ارتفاعها . قال : =

دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هَوَتْ بالبطن ، فى دِرعٍ وفى تُرْسِ[1]
وكأنها آجالُ عادِيةٍ حَطَّتْ إلى إجْلٍ من الخُنْسِ[2]

(أقوال فيما يضر من الأشياء)

وروى[3] الأصمعى ، وأبو الحسن ، عن بعض المشايخ قال : ثلاثة أشياء ربما صرعَتْ أهلَ البيت عن آخرهم : أكلُ الجراد ، ولحوم الإبل ، والفُطْر من الكَمْأة[4]

وقال غيرُهما : [شربُ الماء فى الليل يورث الخبل ، والنظر إلى المحتضر يورث ضعف القلب ، والاطلاع فى الآبار العادِيّة ينقُض التركيب[5] ، ويُسوِّل مصارعَ السَّوء] . فأما الفُطْر الذى يُخْلَق[6] فى ظِلِّ شجر الزيتون

= وهاج به لما ترجلت الضحى عصائب شتى من كلاب ونابل
فيما عدا ل ، « وكأن وجوهها » تحريف . س ، ه : « ترحل » بالحاء ، صوابه فى ل ، ط .

(١) البطن : بطن الوادى . والدرع والترس من السلاح ، أى فى دروعهم وتروسهم . فيما عدا ل : « رفوا » وفى س : « لمنتشر » تحريف . فيما عدا ل . « للبطن » . ط ؛ س ، « فى درع وفى برس » ل : « فى زرع وفى برس » . والبرس : القطن . وأثبت ما فى ه .

(٢) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . والعادية : التى تعدو . والخنس : جمع أخنس وخنساء ، وهو الذى قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته . والبقر كلها خنس . فيما عدا ل : « إقبال غادية حطت إلى حل من الحبس » تحريف .

(٣) هذه الكلمة ليست فى ل ، س .

(٤) الفطر ، بالضم : جنس من الكمأة أبيض عظام . ه ، س : « الفطير » تحريف .

(٥) العادية : القديمة ، كالمنسوبة إلى عاد . ينقض ، بالضاد المعجمة : يفسد .

(٦) ط ، ه : « وأما » . والفطر ، سبق تفسيره . ه فقط : « الفطير » محرف . فيما عدا ل : « يتخلق » .

[فإنما هو حتفٌ قاض ، وسمٌّ ناقع . وكل شيء يخلق تحت ظلال الشجر يكون رديئاً ، وأردؤه شجر الزيتون] ، وربما[١] قتل ، وإن كان مما اجتنوه من أوساط الصحارى[٢] .

قالوا : ومما يقتلُ الحمَّامُ على المِلأة[٣] ، والجماع على البِطْنة ، و [الإكثارُ من] القديدِ اليابس[٤] .

وقال الآخر : شربُ الماء البارد على[٥] [الظمإ الشديد — إذا عجّل الكرْعَ ، وعظّم الجرع ، ولم يقطع النفس — يقتُلُ] .

قالوا[٦] : وثلاثٌ تورثُ الهُزال : شرب الماء عَلَى الرِّيق ، والنوم على غير وِطاء[٧] ، وكثرة الكلام برفع الصوت ، [والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله . وربما[٨] خِيف عليه أن يكون قاتل نفسه] .

[و] قالوا : وأربعةُ أشياء تسرعُ[٩] إلى العقل بالإفساد : الإكثار مِنَ البَصل[١٠] ، والباقلّى ، والجِماع ، والخُمَار[١١] .

---

(١) ط فقط : « فربما » .

(٢) أوساط : جمع وسط . ط ، هـ : « أوسط » .

(٣) الملأة ، بالكسر : الامتلاء . ل : « المليئة » وفيما عدا ل : « الملية » صوابهما ما أثبت .

(٤) القديد : ما قطع من اللحم وشرر ، أى بسط فى الشمس ، واللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٥) فيما عدا ل : « على الريق » . وكلمة : « البارد » ليست فى ل . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) .

(٦) ل فقط : « قال » .

(٧) الوطاء ، بالكسر ، والفتح عن الكسائى : خلاف الغطاء . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٩) فيما عدا ل ، وكذا فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) : « تقصد » .

(١٠) فيما عدا ل : « من أكل البصل » .

(١١) الباقلى بشد اللام مع القصر ويخفف ، مثله الباقلاء بتخفيف اللام مع المد : الفول . انظر (٣ : ٣٥٥) . فيما عدا ل : « الباقلا » تحريف . وكلمة : « الجماع » ساقطة من س . والخمار ، بالضم : صداع الخمر وأذاها .

وأما ما يذكرون فى هذا الباب من الهمّ والوحدة والفِكرة[١] ، فجميع الناس يعرفون ذلك .

وأما الذى لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة[٢] ، والتعظيم الدائم ، وإهمال الفكر ، والأَنَفُ من التعلّم . هذا قول أبى إسحاق .

[وقال أبو إسحاق] : ثلاثة أشياء تخلِق العقلَ ، وتُفسِد الذّهن : طولُ النظر فى المرآة ، والاستغراقُ فى الضحك ، ودوام[٣] النظر إلى البحر .

وقال مُعمّر[٤] : قُطعت فى ثلاثة مجالس[٥] ، لم أجِدْ لذلك علّةً ؛ إلا أنى أكثرتُ فى [أحد] تلك الأيام من أكل الباذنجان ، وفى اليوم الآخر[٦] من [أكل] الزيتون ، وفى اليوم الثالث مِنْ الباقلّى[٧] .

وزعم أنه كلم رجلاً من الملْحدين فى بعض العشايا ، وأنه علاه عُلوًّا ظاهراً قاهراً ، وأنه بَكَرَ على بقيةِ مافى مسألته من التخريج ، فأجْبَلَ وأصْفَى[٨] ، فقال له خصمه : ما أحدثتَ بعدى ؟ قال : قلتُ : ما أتّهِمُ إلا إكثارى البارحةَ من الباذنجان ! فقال [لى] — وما خالف إلى التّهمة — : ما[٩] أشكّ أنك لم تُؤتَ إلا منه !

---

(١) ل : « فأما » و : « الكثرة » بدل : « الفكرة » تحريف .

(٢) ل ، س : « فأما ». ط فقط : « بالكفاية » وهذه محرفة .

(٣) كذا فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) . وفيما عدا ل : « وطول » .

(٤) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . وقد سبق بعض ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ومعمر بتشديد الميم ، كما هو فى ل ولسان الميزان (٦ : ٧١) .

(٥) قطعه قطعاً : بكته بالحق فانقطعت حجته .

(٦) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر » .

(٧) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر من الباقلاء » لكن فى س : « الباقلا » وهذه محرفة .

(٨) أجبل : صعب عليه القول ، كأنه انتهى إلى جبل منه . وأصفى الرجل من المال والأدب أى خلا .

(٩) فيما عدا ل : « وما » ، بإقحام الواو .

وقال لى مَن أثِقُ به : ما أخذت قط شيئا من البلاذُر [1] فنازعت أحداً إلا ظَهَرتُ عليه [2].

وقال أبو ناضرة [3] : ما أعرف وجهَ انتفاع الناس بالبلاذُر إلا أن يؤخذ للعصَب. قلت : فأى شىء بقى بعد صلاحِ العصب ، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحسّ للعصب خاصة ؟

(القول فى القطا) ١٦٦

تقول العرب : « أصدَق من قطاةٍ [4] » و : « أهدَى من قطاة [5] » .

وفى القطا [6] أعجوبة ، وذلك أنها لاتضعُ بيضها أبداً إلا أفراداً ، ولا يكونُ بيضُها أزواجاً أبداً. وقال أبو وَجْزَة [7] :

وهنّ يَنسُبْنَ وهناً كلّ صادقةٍ باتتْ تباشرُ عُرْمًا غير أزواجِ [8]

والعُرم [التى عَنَى [9]] : بيض القطا ؛ لأنها منقّطة . وقال الأخطل :

---

(١) البلاذر، ويقال البلادر : ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب ، وفى داخلها مادة إسفنجية بها شىء شبيه بالدم ، ومن أسمائه تمر الفؤاد . انظر (٣ : ٣٥٩) . فيما عدا ل : « البلادر » بالدال المهملة فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) ظهرت عليه : غلبته . فيما عدا ل : « فنازعت فيه » بإقحام : « فيه » .

(٣) فيما عدا ل « أبو ناظرة » . وقد سبق فى (٤ : ٩٣ ، ٩٤) : « أبو ناصرة » بالصاد المهملة .

(٤) ط ، هـ : « قطا » . وصدقها أن لها صوتا واحداً لا تغيره ، وصوتها حكاية لاسمها تقول : قطاقطا . انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٨٦) وثمار القلوب ٣٨١ .

(٥) أهدى ، من الهداية ، وذلك أنها تهتدى فى المجاهل وتعرف مواضع الماء . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ . وتقول العرب أيضاً : « أنسب من قطاة » ؛ لأنها تنتسب حين تصوت باسم نفسها . ثمار القلوب ٣٨٢ . وتقول العرب أيضاً : « أقصر من إبهام القطا » كما فى ثمار القلوب .

(٦) فيما عدا ل : « القطاة » .

(٧) أبو وجزة ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . س ، هـ : « أبو وجزة » تصحيف .

(٨) وهنا : نحو نصف الليل . ط : « مازلن » ل : « وهل ينسبن » وما فى ل تحريف . وأثبت ما فى س ، هـ . ورواية ط توافق رواية اللسان (١٤ ، ٢٨٩) .

(٩) هذه التكملة من ل ، س . وفى هـ : « والعرم التى   عن بيض » ، بترك فراغ بين : « التى » و : « عن » .

شَفَى النفس قتلى مِنْ سُليمٍ وعامر ولم يَشْفِها قتلَى غنيٍّ ولا جَسْرِ [١]

ولا جُشَمٍ شرِّ القبائل إنهم كبَيْضِ القطا ليسوا بسود ولا حُمْرِ [٢]

وقال مَعْقل بن خُوَيلد [٣] :

أبا مَعْقِل لاتوطِئَنْكُمْ بَغَاضَتِى رؤوسَ الأفاعى فى مَرَاصِدِها العُرْمِ

يريد : الأفاعى العُرْمِ فى مراصدها . وهى منقَّطة الظهور . وما أكثرَ [٥] ما تبيض العُقاب ثلاثَ بيضاتٍ ، [إلا أنها لاتلحم ثلاثه [٦] ، بل تخرج منهنَّ واحدة [٧] . وربما باضت الحمامةُ ثلاثَ بيضات] ، إلا أن واحدة تفسد لامحالة . وقال الآخر [٨] فى صفة البيض [٩] :

وبيضاء لاتَنْحَاشُ مِنَّا وأُمُّها إذا ما رأتْنا زالَ منها زَوِيلها [١٠]

---

(١) ط : « فى قتلى » وفى سائر النسخ : « من قتلي » صوابهما فى الديوان ١٣٢ والكامل ٤٧٥ . وغنى ، هم غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وجسر ، بالفتح ، هم من بنى منبه بن أعصر بن سعد . انظر المعارف ٣٦ .

(٢) هم جشم بن معاوية بن بكر . ورواية الديون والكامل : « إنها » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٢١٣) . ط ، هـ : « مقبل » . س : « معبـد » صوابهما فى ل .

(٤) انظر لشرح البيت (٤ : ٢١٣) . هـ : « لا يوطئنكم تقاصى » س : « لاحينكم بعاصى » محرفان .

(٥) ط ، هـ : « وإن أكثر » .

(٦) ألحمه : أطعمه اللحم . ثلاثة ، أي من فراخها .

(٧) كذا فى الأصل بالتأنيث ، وهو هنا ل . أراد واحدة من البيض .

(٨) هو ذو الرمة ، كما فى اللسان (٨ : ١٨٠ ، ١٣ : ٣٣٧ ، ٢٠ : ١٦٥) .

(٩) أى بيض النعام .

(١٠) تنحاش : تنفر . يقول : هذه البيضاء لا تنفر ، على حين البيض الحسان ينفرن من الطالب ويتأبين . زال زويلها : ذهب قلبها من الفزع . وفى اللسان والديوان ٥٥٤ : « زيل منها زويلها » ط ، هـ : « لا ينحاش منها وإنها » صوابه فى ل ، س واللسان .

نَتُوجٍ ولم تُقْرِفْ لِمَا يُمتنى له   إذا أُنْتِجَتْ ماتَتْ وحَىَّ سايلُها[١]

يعنى البيضة. نَتُوج[٢] : [حامل] . ولم تُقْرِف[٣] : [لم تُدَانِ] . لما يمتنَى : أى للضِّراب[٤] . والامتناء : انتظارك الناقة إذا ضُربت ألاقحٌ هى أمْ لا .

وقال ابنُ أحمر :

بتَيْهاءَ قَفْرٍ والمطىُّ كأنها   قطا الحزْن قد كانت فِراخاً بُيُوضُها[٥]

وذلك أنها [قد] كانت قبل ذلك [الوقت] تشرَب من الغُدُر ، فلما[٦] أفرخت صافت ، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد ، فذلك أسْرعُ لها .

---

(١) ط : هـ : « تتوج » س : « تنوح » صوابهما فى ل واللسان (١١ : ١٨٨ ، ٢٠ ١٦٥) والديوان . ط : « بمتنى » والرواية ما أثبت من سائر النسخ والديوان واللسان . أنتجت ، بالبناء للفاعل : وضعت . وهذه لغة ضعيفة . وإنما يقال نتجت بالبناء للمفعول وبدون همز . وهى رواية اللسان والديوان . س : « ويحى نتيجها » ط ، هـ : « وعاش نتيجها » وهو تحريف ظاهر صوابه فى ل واللسان والديوان .

(٢) ط ، هـ : « تتوج » بتاءين صوابه في ل ، س .

(٣) تقرف ، بكسر الراء وآخره فاء ، من أقرف . فيما عدا ل : « تقرب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « أى لم تمتن للضراب » تحريف .

(٥) التيهاء : الأرض التى لا يهتدى فيها . والحزن ، بالفتح : ما غلظ من الأرض ، وأضاف القطا إليه ؛ لأنه يكون قليل الماء ، فيكون قطاه أكثر عطشا ، فإذا أراد الماء كان سريع الطيران « كانت » هنا ، بمعنى صارت . وهذا البيت من شواهد الرضى وانظر الخزانة (٤ : ٣١ بولاق) واللسان (١٧ : ٢٤٩) والأشمونى (١ : ٢٤٤) . والبيوض ، بالضم : جمع بيض . ط : « فبتنا بقفر » س : « بنيها بقفر » هـ : « فبيتها بقفر » . تحريف صوابه فى ل والمصادر السابقة . وقبل البيت كما فى الخزانة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   صحيح السرى والعيس تجرى غروضها

(٦) ط ، هـ : « وكلما » تحريف . وفى الخزانة : « قال الأصمعى ونقله ابن قتيبة فى كتاب أبيات المعانى : أراد أنها شربت من الغدر فى الربيع ، فإذا فرخت ودخلت فى الصيف احتاجت إلى طلب الماء على بعد ، فيكون أسرع لطيرانها . وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر » .

(تشبيه مشى المرأة بمشى القطاة)

ويشبَّه مشيُ المرأةِ إذا كانت سمينة غير خرّاجة طوّافة بمشى القطاةِ فى القرمطة والدّلّ[(١)] . وقال ابنُ ميّادة :

إذا الطِّوال سَدَوْنَ المشىَ فى خَطَلٍ قامت تريكَ قَوَاماً غيرَ ذى أوَدِ[(٢)]

تمشى كـكُدْرِيَّةٍ فى الجوِّ فاردة تَهْدِى سُروب قطاً يشرَبْنَ بالثّمدِ[(٣)]

وقال جرانُ العَود :

فلما رأين الصُّبحَ بادَرْنَ ضوءه رَسِيمَ قطا البطحاء ، أوهُنَّ أقْطَفُ[(٤)]

١٦٧ وقال الـكميت .

يمشينَ مشىَ قطَا البِطاحِ تأوُّداً قُبَّ البُطُونِ رَواجحَ الأكفالِ[(٥)]

---

(١) ل ، سه : « بمشى القطا » . والقرمطة : تقارب الخطو . والدل ، بالفتح : السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة . فى سه إقحام : «ولا» بعد : «القطا» .

(٢) السدو : التذرع فى المشى واتساع الخطو . ط ، هو : « شررن » سه : « شردن» صوابهما فى ل . الأود : العوج . سه : «أمد» محرف .

(٣) الـكدرى بالضم : ضرب من القطا قصار الأذناب ، غبر الألوان ، رقش الظهور والبطون ، صفر الحلوق ، وهى ألطف من الجونية . انظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٦١). فاردة : منقطعة عن أخواتها ، وذلك بسرعتها . فيما عدا ل : « واردة » . سروب : جمع سرب . والثمد : الماء القليل . يشربن به : أى منه . وفى الـكتاب : (عيناً يشرب بها عباد الله) و : (عيناً يشرب بها المقربون) أى منها . الآيتان ٦ من سورة الإنسان و ٢٨ من المطففين .

(٤) ضمير بادرن ، للنسوة التى زارهن ليلا فى رحالهن . والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر فى الأرض . ورواية الديوان ٢٢ : « دبيب » . أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو .

(٥) سبق القول فى هذا البيت ص ٢١٧ من هذا الجزء .

(شعر فى التشبيه بالقطاة)

وقال الآخر[١] فى غير هذا المعنى :

كأن القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى بليلَى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ غرّها شَرَكٌ فباتت تجاذِبُه وقد علِقَ الجناحُ[٢]

وقال آخر :[٣]

وكنا كزوجٍ من قطًا بمفازةٍ
لدَى خفضِ عيش مُونق مُورق رَغْدِ[٤]
فخانهما ريبُ الزمانِ فأفرِدا ولم ترَ عينى قطُّ أقبحَ من فرْدِ[٥]

---

(١) هو المجنون ، كما فى الأغانى (٢ : ٣) والأمالى (٢ : ٦١) والموشح ٢٥٠ . ورواهما العسكرى فى ديوان المعانى (١ : ٢٧٠) منسوبين إلى قيس بن ذريح . ويروى أبو الفرج من حديث الشعر ، أن المجنون سمع رجلا من قوم ليلى يقول لآخر : أنت ممن يشيع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ : قال : غدا ضحوة أو الليلة ! فبكى وأنشد الشعر .

(٢) ط ، وكذا فى أمالى القالي وديوان المعاني : « عزها » بمعنى غلبها . وفى ل فقط : « فأضحت » . وانظر تعليق العسكرى على البيتين .

(٣) هو أبو دلامة . وفى الأغانى (٩ : ١٣٥) : « دخل أبو دلامة على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ! وأنشده لنفسه فيها – وذكر البيتين – فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٢٦٣) وأمالى القالى (٢ : ٢١) وبدائع البدائه ٤٩ .

(٤) ط : « حسن رغد » ه : « مورد عد » وهذه محرفة . وفى الأغانى : « عيش ناعم مؤنق » والأمالى : « عيش معجب مؤنق » والمحاضرات : « عيش مورق ناضر » .

(٥) فى الأمالى : « أصابهما » والأغانى : « فأفردنى ريب الزمان بصرفه » وفى الأمالى المحاضرات : « ولم نر شيئاً قط أوحش » والأغانى : « ولم أر شيئاً قط أوحش » .

(شعر فى صدق القطاة)

وفى صدق القطاة يقولُ الشاعر :

وصادقة ما خبَّرت قد بعثتُها
طُروقاً وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[(١)]

ولو تركتْ نامتْ ، ولكنْ أعشَّها أذى من قِلاصٍ كالحَنِىِّ المُعَطَّفِ[(٢)]

وتقول العرب : « لو تُرِكَ القطا[(٣)] لنام » . ويقال[(٤)] : أعششت القوم إعشاشاً[(٥)] : إذا نزلتَ بهم وهم كارهون [لك] فتحوَّلوا عن منزلهم .

وقال الكميت :

لا تكذبُ القولَ إن قالت قَطاً صدَقَتْ
إذ كلُّ ذى نِسْبَةٍ لابدَّ ينتحلُ[(٦)]

وقال مُزاحم العُقيلىّ[(٧)] ، فى تجاوب القطاة وفرْخها :

فنادتْ وناداها ، وما اعوجَّ صدْرُها بمثل الذى قالتْ له لم يبدِّلِ[(٨)]

---

(١) سبق هذا البيت برواية أخرى فى ص ٢٨٧ . ط : « ما خبرت بعد بعثها » ط ، هـ : « مشرف » وفى طرة هـ : « خ مسدف » أى يروى : « مسدف » فى نسخة أخرى .

(٢) أعشها : من أعش القوم إذا نزل بهم على كره حتى يتحولوا من أجله . ل : « أعسها » تحريف . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . والحنى ، بالفتح : جمع حنية ، وهى القوس ، لأنها محنية . قال ابن منظور : « ويروى كالحِنِي بكسر الحاء » . وهو جمع حنو بالكسر والفتح ، وهو عود معوج . ل فقط : « يعطف » . لكن ورد فى سواها وفى اللسان بهذا الإقواء .

(٣) انظر قصة المثل فى الميدانى (٢ : ١١٠) .

(٤) ط فقط : « ويقول » تحريف .

(٥) ل فقط : « عشاشا » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط ، هـ : « وإن » س : « وقد » بدل : « قطا » . فيما عدا ل س : « منتحل » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٨) .

(٨) أى ناداها بمثل ندائها إياه لم يبدل منه . س : « فنادت ونادا » محرف .

والقطاة لم تُرد اسمَ نفسها ، ولـكن الناس سموها بالحروف التى تخرج من فيها[١] ، وزادَ فى ذلك أنها على أبنيةِ كلام العرب[٢] ، فجعلوها صادقةً ومُخبِرة ، ومُريدة [وقاصدة] .

(استطراد لغوى)

ويقال سِرْبُ نساء ، [وسِربُ قطاً[٣]] ، وسِربُ ظباء . كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء . فإذا كان من الطريق والمذهب [قالوا[٤] : خَلِّ سَرْبَه[٥] . و : فلانٌ خَلِيُّ السَّرْب[٦]] بفتح السين[٧] [وإسكان الراء] . وهذا عن يونس بن حبيب . وقال الشاعر[٨] :

أما القطاةُ فإنى سوفَ أنعتُها ... نعتاً يوافقُ نعتى بعضَ ما فيها[٩]

سَكّاءُ مخطوفَةٌ فى ريشها طَرَقٌ ... سُودٌ قوادمها صُهْبٌ خوافِيها[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « خرجت » . وفى ط : « من فها » .

(٢) سه : « وزادوا فى ذلك على أبنية كلام العرب » وليس بشىء .

(٣) هذه التكملة من ل ، سه .

(٤) هذه الكلمة من ل ، س فقط .

(٥) بدلها فى هـ ، سه : « خلا سربه » . وانظر اللسان (١ : ٤٤٧ س ٢ — ٦) .

(٦) هذه من ل ، سه ، هـ باتفاق .

(٧) ط فقط : « فهو بفتح السين » باقحام : « فهو » .

(٨) فى الأغانى (٧ : ١٥١) : « الشعر مختلف فى قائله . ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمى ، وإلى مزاحم العقيلى ، وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندى ، وإلى العجير السلولى ، وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمى ، وهو أصح الأقوال . . . وقد روى أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات ، فقال كل واحد منهم بعضاً » .

(٩) بعد هذا البيت فى ل : « وما ينبغى لصاحب هذا البيت أن يقول شعراً أبداً ثم قال » . وبعد هذا البيت . فيما عدا ل : « وقال مزاحم العقيلى » وهما عبارتان دخيلتان .

(١٠) السكاء : التى لا أذن لها . مخطوفة : ضامرة . فيما عدا ل : « شكاء مخطومة » تحريف وفى الأغانى : « سكاء مخطوطة » .

ويقال فى ريشها فَتَخ ، وهو اللِّين[١] . ويقال فى جناحه طرَق[٢] : إذا

١٦٨ غطى الرِّيشُ الأعلى الأسفلَ . وقال ذو الرُّمّة[٣] :

طِراقُ الخوافى واقعٌ فوقَ رِيعَةٍ ندَى ليلِه فى ريشِه يترقرَقُ[٤]

ويقال : اطرَّقت الأرضُ : إذا ركب الترابُ بعضُه بعضاً ، [ولزِمَ بعضُه بعضاً] ، فصار كطِراق النِّعال طَبَقاً طَبَقاً[٥] . وقال العجاج :

فاطّرَقَتْ إلّا ثلاثاً دُخَّسا[٦]

والطَّرْق ، بإسكان الراء : الضربُ بالحصى ، وهو من فِعال الحُزَاة والعائفين[٧] : وقال [لبيدٌ ، أو] البَعيث :

---

(١) الفتخ ، بالتحريك وآخره خاء معجمة . فيما عدا ل : «فتح» تحريف . ط : «زهر» ﻫ : «ذهر» صوابه فى ل ، س . وفى ط فقط : «اللبن» محرف .

(٢) الطرق ، بالتحريك . فيما عدا ل : «طراق» .

(٣) يصف صقراً أو بازياً ، كما فى الكامل ٩٠ والديوان ص ٣٠ واللسان (١٢ : ٨٩) وقبله :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

(٤) فى اللسان : « طائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضاً » . وفى شرح الديوان : « يريد مطارَق ، من مطارقة النعل » . والريعة والريع ، بكسر أولهما : المكان المرتفع . ط ، ﻫ : « ربعة » ل ، س : « ربعه » صوابهما ما أثبت . ويروى : « ريعه » بالإضافة ، كما فى اللسان . فيما عدا ل : « ندى » . ط ، ﺳ : « ليلة » تحريفان صوابهما فى المراجع .

(٥) ل : « كطراق النعل » . والطراق ، بالكسر : النعل يطبق على النعل .

(٦) اطرقت : تلبد ترابها بالمطر . والدخس : الأثافى ، كما فى اللسان (٧ : ٣٨٠س١٩) جمع داخس . دخس : اندس . وهى تندس فى الرماد ، كما فى القاموس . ط ، ﻫ : « ثلثا » صوابه فى ل ، ﺳ والديوان ص ٣١ . ﺳ : « دحسا » تصحيف . وجاء مثله للعجاج أيضاً فى ديوانه ٨٢ :

فاطرقت إلا ثلاثاً عكفاً دواخسا فى الأرض إلا شعفا

(٧) الحزاة : جمع حاز ، وهو الكاهن . والعائف : الذى يزجر الطير . فيما عدا ل : « وهو من عمل أهل الزجر » .

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالحصَى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ[١]

قال: و يقال طرّقت القطاةُ ببيضها: إذا حان خروجه وتعضّلت به شيئاً[٢].

قال [أبو عبيد[٣]] ولا يقال ذلك فى غير القطاة[٤]. وغرّهُ قولُ العبْدِيّ[٥]:

وقد تخذت رِجلى لدي جَنْبِ غَرزِها نسيفاً كأُفْحوصِ القَطاةِ المطرِّقِ[٦]

وهذا الشاعرُ لم يقلْ إن التطريق لا يكونُ إلا للقطاة ، بل يكونُ لكل بَيَّاضةٍ ، ولكلِّ ذاتِ ولد . وكيف يقول ذلك وهم يروُون عن قابلة البادية[٧] أنها قالت لجاريةٍ تسمى « سَحَابة » ، وقد ضربها المخاضُ وهى تُطْلَق عَلَى يدها[٨] :

أيا سحابُ طرِّقى بخيرِ وطرِّقى بخُصْيةٍ وأيرِ
ولا تُرينا طرَف البُظيرِ[٩]

---

(١) البيت فى ملحقات ديوان لبيد ص ٥٥ . وبعده :

سلوهن إن كذبتمونِي متِى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

(٢) تعضلت ، أراد نشب بيضها وتعسر خروجه . والذى فى المعاجم : « عضل » و « أعضل » . فيما عدا ل: « تعطلت » بالطاء ، تحريف .

(٣) هذه التكملة من اللسان (١٢ : ٩٣ س ١١) وفيه هذا النص .

(٤) ط ، هـ : « ويقال طرقت القطا » وأثبت صواب النص من ل ، سه واللسان .

(٥) هو الممزق العبدى ، كما فى اللسان (١١ : ٢٤٢ / ١٢ : ٩٣) ، والمخصص (١٧ : ٢٢) والأصمعيات ٤٧ ليبسك من قصيدة أبياتها عشرون . وانظر المخصص (١ : ٢١ / ١٢ : ٢٧٢ / ١٦ : ٩٧ ، ١٣٤) . فيما عدا ل : « ونحوه قال العبدى » تحريف .

(٦) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يدخل فيه قدم الراكب . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر . سه : « رحلى » محرف . فيما عدا ل : « إلى جنب » وهى رواية الأصمعيات والمخصص واللسان فى الموضع الأول .

(٧) القابلة : التى تقبل الولد عند الولادة . ل : « خاتنة » .

(٨) الطلق ، بالفتح : وجع الولادة . وفى اللسان : « وقد طلقت المرأة تطلق طلقا على ما لم يسم فاعله ، وطلقت بضم اللام » والأخيرة لغية ، كما فى التاج .

(٩) ط فقط : « ولا تريني » .

وقال أوسُ بنُ حجَر :

بكلِّ مكان ترى شطْبَةً   مولِّية ، ربها مسبَطِرّ[١]

وأحمَرَ جعداً عليــه النسو   رُوفى ضِبْنه ثعلبٌ منكسر .[٢]

وفى صدره مثلُ جيب الفتا   ةِ تشهق حيناً وحيناً تَهِرّ .[٣]

فإنا وإخوتَنـا عامراً   على مثلِ ما بيننا نأتمِرْ[٤]

لنـا صرخةٌ ثم إسكاتةٌ   كما طَرَّقتْ بنفاسٍ بِكر .[٥]

فهذا كما ترى يردٌّ عليه .

(ولادة البكر)

وإنما ذكر أوسُ بن حجرِ البِكرَ دون غيرها ؛ لأن الوِلادَ[٦] على

---

(١) الشطبة ، بالفتح : الفرس الطويلة الحسنة الخلق . ربها : صاحبها وفارسها . مسبطر : ممتد ، ومنه قولهم ؛ اسبطرت الذبيحة إذا امتدت للموت بعد الذبح . فيما عدا ل : « مولبة » بالباء ، تحريف .

(٢) أحمر ، أى رجلا أبيض . انظر الأضداد ٣٠٣ . والجعد : المجتمع الشديد . عليه النسور : سقطت عليه لتنال منه . والضبن ، بالكسر : الجنب ، أو الإبط وما يليه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح فى جبة السنان . ط : « صلبه » هـ : « صبه » سه : « صه » بالإهمال ، تحريف صوابه فى ل والأضداد ، وديوان أوس ، واللسان (ضبن) .

(٣) الجيب : جيب القميص والدرع . أراد : وفى صدره طعنة هى في اتساعها كجيب الفتاة. وشهيق الطعنة : أن تدخل الريح فيها فتصوت . وهريرها : قبقبتها . ط ، هـ : «جنب» سه : « حنب » تحريف . وفيما عدا سه : « القنا » . ل : « تشقق حيناً وحيناً تهر » محرف . وفيما عدا ل : « يشهق حينا وحينا يهر » ومثله فى الديوان .

(٤) الائتمار : المشاورة . فيما عدا ل : « وإنى » محرف . وفى الديوان : « وإنا » .

(٥) فيما عدا ل : « لها » صوابه فى ل والديوان .

(٦) ط فقط : « الولادة » بالهاء ، وهما سيان .

البِكر أشدّ ، وخروج الولد أعسر ، والمخرج أكزّ وأضيق . ولولا أن البِكر أكثر ما تلدُ[١] أصغرُ جثةً وألطفُ جسما ، إلى أن تتسع الرحم بتمطّى الأولاد فيها[٢] — لكانَ أعسر وأشقّ[٣] .

(أجود قصيدة فى القطا)

وقال[المرّار ، أو العِكَبُّ[٤]] التغلبى ، وهى أجود قصيدةٍ قيلت فى القطا: ١٦٩

بلادٌ مَرَوْراةٌ يحارُ بها القطا   ترى الفَرْخَ فى حافاتها يتحرّقُ[٥]

يظلُّ بها فَرْخُ القطاةِ كأنهُ   يتيمٌ جفا عنهُ مواليهِ مُطرقُ[٦]

بديمومة قد مات فيها وعينهُ   على موته تغْضى مِرارًا وترمُقُ[٧]

شبيهٌ بلا شىء هنالك شَخْصهُ   يواريه قَيْضٌ حولَه متفلّقُ[٨]

---

(١) ل : « ما تكون » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الرحم ، مؤنث وقد يذكر. فيما عدا ل : « يتسع الرحم بتمطره الأولاد فيها » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وأضيق » .

(٤) فى شعراء العرب كثيرون ممن يدعى « المرار » . وأما العكب ، فهو بكسر العين وفتح الكاف وتشديد الباء ، كما جاء مضبوطاً فى ل . وفى اللسان : « والعكب العجلى شاعر » .

(٥) البلد : كل موضع أو قطعة مستحيزة ، عامرة كانت أو غير عامرة . والمروراة : الأرض التى لا يهتدى فيها إلا الخريت . يتحرق : أراد يتضرم جوعا . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) . فيما عدا ل وكذا فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٦٣) : « ثلاث مرورات يجاذبها » صوابه فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « يناجيه مواليه » محرف .

(٧) الديمومة : الفلاة البعيدة الأرجاء . الإغضاء : إدناء الجفون . يقول : تخاله ميتاً لضعفه ، وهو مع ذلك يغمض عينيه ويفتحهما . فيما عدا ل : « قد بات » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت من ل .

(٨) القيض ، بالفتح : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « فنك » محرف .

له مَحْجِرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ   وشِدقٌ بمثل الزّعْفرانِ مخلَّقُ(١)
تُعاجيه كَخَلاءِ المدامعِ حُرّةٌ   لها ذنبٌ وحفٌ وجيدٌ مطوّقُ(٢)
سِماكيةٌ كُدْرِيّةٌ عُرْعُرِيّة   سُكاكيّة غبراء سمراء عَسْلقُ(٣)
إذا غادرتْه تبتغى ما يُعيشُه   كفاها رَذَاياها النّجاء الهبنّقُ(٤)
غدتْ تستقى من منهل ليس دونه ،   مَسيرةَ شَهر للقَطا ، متعلَّقُ(٥)
لأزْغَبَ مطروحٍ ، بجَوْزِ تَنُوفة   تلظَّى سَمُوماً قيظه ، فهو أورَقُ(٦)
تراه إذا أمسى وقد كاد جلدُه   من الحرِّ عن أوصاله يتمزّقُ(٧)

---

(١) المحجر كمجلس ومنبر : ما دار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن . ناب : مرتفع ، نبا ينبو . مخلق ، من الخلوق ، بالفتح ، وهو الزعفران . ل : « له مثلات منه » محرف .

(٢) أصل المعاجاة ألا يكون للأم لبن يروى صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة . ط : « تناجيه » سه : « نعاجية » ه : « تعاجية » صوابه فى ل . والوحف من النبات والشعر : ما غزر وأثت أصوله واسود . فيما عدا ل : « ساج » .

(٣) سماكية : نسبة إلى السماك أحد السماكين : الأعزل والرامح . أراد أنها علوية . والعرعرية : نسبة إلى العرعرة ، بضم العينين ، وهى أعلى الجبل وأعلى كل شيء . والسكاكية ، بالضم : نسبة إلى السكاك ، وهو الجو والهواء بين السماء والأرض . والعسلق : الخفيف ، والأنثى بهاء ، لكنه جعله للأنثى . ووزنه كجعفر وزبرج . ط : « شكالية عفراء » سه ، ه « سكالية عفراء » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « سملق » .

(٤) الرذايا : جمع رذى ورذية ، وهو الضعيف ، عنى فراخها . والنجاء : السرعة . والهبنق : الأحمق . يقول : يكفيها مؤونة صغارها تلك السرعة الحمقاء التى تحصل بها على طعامهن وشيكا . ط فقط : « رزاياها » تحريف . وفى اللسان (١٢ : ٢٤٤) مع نسبته إلى ذى الرمة :

إذا فارقته تبتغى ما تعيشه   كفاها رذاياها الرقيع الهبنق

وقال : « قيل أراد بالرقيع الهبنق القمري ، وقيل بل هو الكروان . وهو يوصف بالحمق ، لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره » .

(٥) يقول : ليس دون هذا المنهل متعلق للقطا ، مسيرة شهر ، تظل طائرة لا تجد ما تتعلق به . ط فقط : « عدت » بالمهملة ، تحريف .

(٦) الأزغب : فرخها . جوز : وسط . التنوفة : الفلاة . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والأورق : الذى لونه بين السواد والغبرة .

(٧) الأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ، بالكسر والضم .

غدت فاستقلَّت ثم ولَّت مُغيرةً ... بها حِين يَزّهاها الجناحان أولقُ[١]

تيمَّمُ ضحضاحاً من الماء قد بدتْ ... دعاميصه فالماء أطحَلُ أورقُ[٢]

فلما أتته مقذَحِـــــرًّا تغوَّثتْ ... تغوُّثَ مخنوقٍ فيطفو ويغرقُ[٣]

تُحِــيرُ وتُلقِى فى سِقاء كأنه ... من الحنظَلِ العامىِّ جَروٌ مُفَلَّقُ[٤]

فلما ارتوَتْ مِن مائه لم يكُنْ لها ... أناةٌ وقد كادَتْ من الرِّىّ تبصُقُ[٥]

طَمَتْ طَمْوة صُعْداً ومدَّتْ جِرانَها ... وطارت كما طار السَّحابُ المحلِّقُ[٦]

(شعر البعيث فى القطا)

وقال البَعيث :

---

(١) استقلت : نهضت للطيران وارتفعت فى الهواء . والأولق : شبه الجنون . فيما عدا ل : « بها حين تزهاها » محرف .

(٢) تيمم : تقصد . والدعاميص : دويبات صغيرة تكون فى مستنقع الماء . أطحل : رمادى اللون ، ومثله الأورق . س : « قد غدت » ط فقط : « فى الماء » صوابه فى سائر النسخ . فيما عدا ل : « أطرق » تحريف .

(٣) المقذحر والمقدحر : المتهيئ للشر تراه الدهر منتفخاً شبه الغضبان ، وقد شبه به الماء الثائر فيما عدا ل : « مقدحرا » وهما لغتان . تغوثت : أراد صاحت ، والمعروف غوث واستغاث : صاح واغوثاه ! ط : « تقربت تقرب خجنون » هـ : « تعربت لعرب مجنون » س : « تعرب مجنون » وجهه فى ل . وفيما عدا ل : « فتطفو وتغرق » .

(٤) أحار : رد وأرجع . فيما عدا ل : « تجر » . وقد عنى بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروى صغارها . والعامى : اليابس أتى عليه عام . والجرو : الصغير من كل شىء حتى الحنظل ، والبطيخ ، والقثاء . ط ، هـ : «جزء » س : « جزؤ » صوابه ما أثبت من ل . ل : «مفلق» وله وجه . انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٠٨) محرفاً منسوباً إلى النمر بن تولب .

(٥) من مائه : من ماء الضحضاح . فيما عدا ل : « من مائها » .

(٦) طمت : ارتفعت . والجران : باطن العنق . والمحلق : المرتفع . ل : « كما طار الشهاب » .

نجتْ بُطوالات كأنَّ نجاءها ... هُوِيُّ القطا تعزو المناهلَ جُونُها[١]

طَوَين سِقاء الخِمس ثُمَّتْ قلَّصت ... لوِرْدِ المياهِ واستتبَّتْ قُرُونُها[٢]

إذا ما وردْنَ الماءَ فى غَلسِ الضُّحى ... بلَلْنَ أداوَى ليس خَرْزٌ يَشينُها[٣]

أداوَى خفيفاتِ المحامِلِ أشْنِقَتْ ... إلى ثُغَرِ اللَّبَّاتِ منها حصينُها[٤]

جَعَلْنَ حَبابَ الماء حين حملْنه ... إلى غُصَصٍ . قد ضاق عنها وتينُها

١٧٠ إذا شِئْنَ أن يسمعنَ والليلُ واضعٌ ... هذاليلَهُ والريح تجرى فُنُونُها[٥]

تناوَمَ سِرْبٌ فى أفاحيصه السَّفا ... ومَيِّتةُ الخِرْشاء حَيٌّ جَنينُها[٦]

يرَوِّين زُغْباً [بالفلاةِ كأنَّها ... بقايا أفانى الصيِّفِ، حُمراً بطونُها[٧]

. « يرَوِّين » من قولك : روَّيت : أى حملت فى راوية[٨]] .

---

(١) نجت : أسرعت . والطوالات ، بالضم : جمع طوالة ، وهى الطويلة ، وفى اللسان : « هوت الناقة والأتان وغيرهما تهوى هوياً فهى هاوية إذا عدت عدواً شديداً أرفع العدو » فيما عدا ل : « يعلو المناهل » تحريف .

(٢) قلصت : ارتفعت وذهبت . والقرون ، بالفتح : النفس .

(٣) الغلس : أول الصبح ، وهو وقت الورود عند القطا والحمر وغيرها . فيما عدا ل : « فى رونق الضحى » . ورونق الضحى : أوله . والأداوى : جمع إداوة ، بالكسر ، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء . يشينها : يعيبها . وقد عنى بالأداوى حواصلهن . ط فقط : « ليس » تحريف .

(٤) ط : « أدوى » تحريف . أشنقت : علقت . ط ، س : « أسقمت » هـ : « أسمقت » صوابهما فى ل . والثغر : جمع ثغرة بالضم ، وهى نقرة النحر . واللبات : جمع لبة بالفتح ، وهى وسط الصدر والمنحر . س : « ثقر اللبات » ل : « ثغد » بالدال ، صوابهما فى ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « واضح » ط ، س : « هدى ليلة » هـ : « هدى ليله » وأثبت ما فى ل والهذاليل : انتلال الصغار ، جمع هذلول . وقد عنى بها الظلمات المتراكمة .

(٦) الأفحوص : حيث تبيض القطاة . والسفا : شوك البهمى أو أطرافها . والخرشاء ، بالكسر : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « ومنبته الحرشاه حن حنينها » محرف .

(٧) الأفانى : جمع أفانية ، كثمانية ، وهو عنب الثعلب . فيما عدا ل : « يروين زغباناً » محرف .

(٨) الراوية : المزادة فيها الماء . وفى اللسان (١٩ : ٦٦) : « روى معناه استقى على الراوية » .

[إذا ملأت منها] قطاةٌ سِقاءها فلاتَعْكُمُ الأخرى ولا تستعينها[١]

ذكر نوادر وأحاديث وأشعار وكلام يختم بها هذا الجزء[٢]

قالوا : خَرِف النَّمْرُ بن تولب[٣] ، فكان هِجِّيراه[٤] : اصبَحوا[٥] الركْب ، اَغْبِقُوا الركْب .

وخرفت امرأةٌ من العرب فكان هِجِّيراها : زوِّجونى ، زوِّجونى ! فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لَمَا لهِج به أخو عُكل خيرٌ مما لهِجَتْ به صاحبتُكم[٦] !

وحدثنى عبد الله بن إبراهيم بن قُدامة الجمحى[٧] قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى رجلا يَضْرِبُ فى كلامه[٨] قال : أشهدُ أن الذى خلقَكَ وخلقَ عمْرو بنَ العاصِ واحدٌ !

---

(١) فيما عدا ل : « سقاؤها » محرف . عكم : انتظر . وفى الحديث : « ما عكم عنه » أى ما تحبس ولا انتظر . فيما عدا ل : « فلا تعكم ولا تستعينها » وإكماله من ل .

(٢) فيما عدا ل : « ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام » وبعده فى ط : « نتم به هذا الجزء » وفى ، سه هـ : « يتم به هذا الجزء » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٢) والنمر بن تولب عكلى ، من بنى عكل بن عبد مناف .

(٤) هجيراه ، بكسر الهاء والجيم المشددة المكسورة : دأبه ، وشأنه ، وعادته ، وكلامه .

(٥) صبحه يصبحه وصبحه يصبحه ، بالتشديد : سقاه الصبوح ، وهو من اللبن ما حلب بالغداة . وغبقه يغبقه ويغبقه ، بضم باء المضارع وكسرها : سقاه الغبوق ، وهو اللبن يشرب بالعشي . ط فقط : «الراكب» فى الموضعين ، محرف . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٢٢) . والخبر أكثر بسطاً فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٦) انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٧) كلمة : « الجمحى » ليست فى ل . ونسبت رواية الخبر إلى محمد بن سلام فى عيون الأخبار (٢ : ١٧١) والبيان (١ : ٤٧) .

(٨) الضرب : الخلط . فيما عدا ل : «إذا رأى» .

وقال عليُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، لصعصعة بن صُوحان[١] فى المنذر بن الجارود[٢] : ما وجدْنا عند صاحبك [شيئًا] ! قال : إن قلتَ ذاك إنه لنظّارٌ فى عِطفَيه ، تَفّالٌ فى شِرَاكيه[٣] ، تُعجبه حُمرةُ بردَيه ![٤]

قال : وحدَّثنا جريرُ بنُ حازم القَطَعىّ[٥] قال : قال الحسن : لو كان الرجُل كلما [قال] أصاب ، وكلما عمل أحسنَ[٦] ، لأوشك أن يُجَنّ من العُجْب[٧] .

[عن أبان بن عثمان] قال : سمعتُ أبا بلال[٨] فى جِنازةٍ وهو يقول : كلُّ مِيتةٍ ظَنُونٌ[٩] إلا ميتة الشَّجاء[١٠] . قالوا : وما ميتة الشّجاء ؟ قال :

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحا . ومات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ « وصوحان » بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) . ط ، هـ : « المنذرين » تحريف .

(٣) ط فقط : « مغال » بدل : « تقال » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « يجبه » .

(٥) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى البصرى ، روى عن أبى الطفيل ، وأبى رجاء العطاردى ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وأيوب ، والأعمش ، وعنه الأعمش وأيوب شيخاه ، وابن المبارك ، ووكيع . مات سنة ١٧٥ . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٦٩) . فيما عدا ل : « العطفى » . والقطعى : نسبة إلى القطيعة واحدة القطائع .

(٦) فيما عدا ل : «كلما أصاب وكلما تجمل أحسن » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « أوشك أن يتزيد من العجب » صوابه فى ل .

(٨) هو أبو بلال مرداس بن أدية ، المترجم فى ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٩) الظنون : المتهم وكل ما لا يوثق به ، فعول ، بمعنى مفعول . وقد ورد هذا الخبر فى اللسان (١٧ : ١٤٦) : «وقول أبى بلال مرداس ، وقد حضر جنازة فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال . كل منية ظنون إلا القتل فى سبيل الله ، لم يفسر ابن الأعرابى ظنوناً هنا . قال : وعندى أنها القليلة الخير والجدوى» . وفى أصل اللسان : « أبى بلال بن مرداس » محرف .

(١٠) هى الشجاء الخارجية . ولها خبر مع زياد فى الأمالى (٣ : ١٧٤) وانظر ما سبق فى (١ : ٧٨) . ل : « الشبجاء » فيما عدا ل : « السجا » صوابهما ما أثبت . =

أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها، فقيل لها : كيف تَرَيْنَ يا شَجَّاء ؟ فقالت : قد شغلَنى هَول المُطَّلَع عن بَرْد حَديدِكم هذا[١] !

قال : وقيل لرابعةَ القيسيَّة : لو أذِنْتِ لنا كلَّمْنا قومَكِ فجمعوا لك ثمن خادمٍ ، وكان لك فى ذلك مَرْفِقٌ[٢] وكفَتْكِ الخدمة[٣] وتفرَّغت للعبادة . فقالت : والله إنى لأستحيى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا[٤] ، فكيف أسأل الدنيا مَن[٥] لا يملكها ؟ !

والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات فى الزُّهد والرياسة ، من نِساء الجماعة [وأصحاب الأهواء[٦]] . [فمن نساء الجماعة] أمُّ الدرداء[٧] ، ومُعاذةُ العدَوية[٨] ، ورابعةُ القَيسيَّة[٩] .

= وقد تكرر هذا الخطأ على النحو الذى ذكرت في سائر المواضع التالية ، فاكتفيت بهذا التنبيه .

(١) فى اللسان : « وفى حديث عمر أنه قال عند موته : لو أن لى ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت فشبهه بالمطلع الذى يشرف عليه من مكان عال » . والبرد : الموت . برد يبرد برداً مات . فيما عدا ل : « حديثكم » .

(٢) المرفق ، كمنبر ومسجد ومقعد : ما ارتفقت وانتفعت به . فيما عدا ل : « وكان لك فيها مرفق » .

(٣) فيما عدا ل : « المؤنة » . وهذا الخبر فى أول كتاب الزهد من البيان (٣ : ٧٣) .

(٥) يقال استحى منه واستحياه . فيما عدا ل : « لأستحى » . ط ، س : « ممن » بدل : « من » .

(٥) فيما عدا ل : « ممن » .

(٦) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٧) أم الدرداء ، هى زوج أبي الدرداء . واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلها شخصين : أم الدرداء الصغرى ، وأم الدرداء الكبرى ، وبعضهم يقول : هما واحدة ، ويختلفون في ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥ - ٤٦٧) .

(٨) معاذة ، بضم الميم ، بنت عبد الله العدوية البصرية ، امرأة صلة بن أشيم ، روت عن عائشة ، وعلى ، وهشام بن عامر ، وعنها أبو قلابة ، وقتادة ، وأيوب ، وعاصم الأحول . وكانت من العابدات . وزوجها صلة بن أشيم كان من نساك البصرة وزهادها .

(٩) جعلها الجاحظ فى البيان (٣ : ١١٦) من نساك البصرة وزهادها .

ومن نساء الخوارج الشّجاء، وحمادة الصُّفرية[١] وغزالة الشَّيْبانية[٢] قُتِلْنَ جميعاً ، وصُلبت الشجاء وحمادة ، وقتل خالدُ بن عتّاب[٣] غَزَالة ، وكانت امرأةَ صالح بن مُسرِّح[٤] .

ومن نساء الغالية الميلاء[٥] ، وحُمَيدة[٦] ، وليلى الناعظية[٧] .

محمد بن سلام عن أبي جُعْدُبة[٨] قال: ما أبرم عُمر بنُ الخطاب أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « الصفوية » ، تحريف . والصفرية ، بالضم ويكسر : قوم من الحرورية الخوارج .

(٢) هي زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم ، وكان الحجاج قد هرب في بعض الوقائع منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله (انظر حماسة البحتري ٣٩٢) :

أسد علي وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الضحى   بل كان قلبك في جناحي طائر

وانظر ترجمة شبيب في وفيات الأعيان ، والمعارف ١٨٠ ، وشرح الحيوان (٣ : ٤١) . ل : « الشائبية » تحريف .

(٣) هو خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي . وانظر خبر قتل غزالة في الطبري (٧ : ٢٥٣) .

(٤) صالح بن مسرح التميمي الخارجي ، كان يرى رأي الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان ناسكا مخبتا مصفر الوجه صاحب عبادة ، وكان زعيما لشبيب الخارجي ، وبعد مصرع صالح آل أمر أصحابه إليه وبايعوه على الخروج . انظر الطبري (٧ : ٢٢١ — ٢٢٢) . ويفهم من قول الجاحظ أن غزالة كانت تحت صالح بن مسرح ثم خلفها عليه شبيب، وهذا نص نادر . فيما عدا ل : « صالح بن نوح » تحريف . ومسرح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة . ابن الأثير (٤ : ١٦٤) .

(٥) الميلاء حاضنة أبي منصور صاحب المنصورية ، الذي كان يلقب بالكسف . انظر الحيوان (٢ : ١٦٦ / ٦ : ١٣٠) .

(٦) حميدة من أصحاب ليلى الناعطية ، ولها رياسة في الغالية . انظر الحيوان (٦ : ١٣٠) ل : « حمدة » صوابه في النسخ . وانظر البيت الثالث من الشعر الذي سبق في (٢ : ٢٦٦) .

(٧) بنو ناعظ ، بالظاء المعجمة : بطن من العرب . انظر القاموس واللسان ، والجمهرة (٣ : ١٢١) .

(٨) جعدبة ، بضم الجيم والدال . ط ، س : « أبي جعدة » .

(٩) فيما عدا ل : « إلا تمثل به ببيت شعر » .

وعن أبانَ بن عثمان ، قال عبدالملك : لقد كنت أمشى فى الزَّرْعِ فأتّقى الُجندبَ أن أقتله ، و إن الحجاجَ ليكتبُ إلىَّ فى قتلِ فئامٍ من الناس[1] ١٧١ فما أحفِلُ بذلك .

[وقيل له — وقد أمرَ بضرب أعناق الاسَراء — : أقْسَتك الخلافةُ يا أمير المؤمنين ، وقد كنت رءوفاً ! قال : كلا ، ما أقْسَتْنى ، ولكن أقسانى احتمالُ الضغن على الضغن] .

قالوا : ومات يونسُ النحوىُّ سنة اثنتين وثمانين [ومائة] وهو ابن ثمان وثمانين سنة[2] . [و] قال يونس : ما أكلت شيئا قطُّ فى الشتاء إلا وقد بَرُد ، ولا فى الصيف إلا وقد سخُن .

وحدثنى محمد بن يَسِير[3] قال : قال أبو عمرو المَدَاينى[4] : لو كانت البَلايا بالحِصص ما نالنى كل ما نالنى : اختلفت جاريتى بالشاة إلى التيّاس [و بى إلى حملها حاجة] ، فرجعت جاريتى حاملا ، والشاةُ حائلا[5] .

محمد بن القاسم قال قال جرير : أنا لا أبتدى ، ولكنى أعْتَدِى[6] .

وقال القَينى[7] : أنا مثل العقرب ، أضرُّ ولا أنفع .

[وقال القينى[8] : أنا أصدُق فى صغار ما يضرُّنى ؛ لأكذب فى كبار ما ينفعنى .

---

(١) فئام : جماعات كثيرة ، لا واحد له من لفظه . فيما عدا ل : « بقتل » .

(٢) تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . كما فى الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .

(٣) ترجمته فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « محمد بن بشير » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « المدائنى » . وقد سبق الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .

(٥) الحائل : التى لم تحمل . فيما عدا ل : « فرجعت الشاة حائلا والجارية حاملا » .

(٦) فيما عدا ل : « ولكن أعتدى » وقد سبق الخبر فى (٣ : ٩٩) .

(٧) فيما عدا ل : « العتبى » . والخبر سبق فى ص ٣٥٣ وفى (٤ : ٢١٩) .

(٨) الخبر ساقه المبرد فى الكامل ٣٥٦ ليبسك بلفظ آخر ، وعقبه بقول الأعشى :

فصدقتهم وكذبتهم ... والمرء ينفعه كذابه

وجاء برواية ثالثة في عيون الأخبار (٢ : ٢٨ س ١٠) .

قال أبو إسحاق : استراح فلانٌ من حيث تعبَ الكرامُ] .

وقال الحجاج: أنا حديدٌ حقود حسود(١) .

وحدثني نُفَيع قال: قال لي القَيْنِي:(٢) أنا لا أصدُق ما دام كذبي يخفى .

قال وذُكِر شبيب بن شيبة(٣) عند خالد بن صفوان(٤) فقال خالد(٥):
ليس له صديق في السر ، ولا عدوٌّ في العلانية !

وقال أبو نخيلة(٦) في شبيب بن شيبة:

إذا غدَتْ سعدٌ على شَبيبها ... على فتاها وعلى خَطيبها

مِنْ مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجِبْتَ مِن كثرتها وطِيبها

---

(١) سبق الخبر في (٣ : ٤٧) .

(٢) فيما عدا ل : « خبرني » و « العتبي » .

(٣) شبيب بن شيبة ، من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وكان من الخطباء المصاقع الفصحاء . وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . البيان (١ : ٢٢٨) .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم . وكان قريعاً لشبيب وعلما من أعلام الخطابة ، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبي العباس . وكان مطلاقا ، وكان يقول : « مامن ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنتي بسليلة فيها طعامي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » انظر المعارف ١٧٧ . ط فقط . « عن » موضع : « عنده » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « خله » صوابه ما أثبت من ل . وهذا الخبر أورده الجاحظ في البيان (١ : ٥٢ ، ٢٢٠) وعقب عليه تعقيب إعجاب .

(٦) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) فيما عدا ل : « أبو بجيلة » تحريف . والرجز في البيان (١ : ٩٠) والأغاني (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا ... الخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

وقال حسين[1] بن أبي على الـكِرْخِيّ : أنا إنسان لا أبالي[2] ما استقبلت به الأحرار .

وقال عَمرو بن القاسم : إنما قويت على خصمى بأنى لم أستتَرْ قطُّ عن شيء من القبيح[3] ! [فقال أبو إسحاق : نلتَ اللذّة ، وهتكتَ المروءة ، وغلبتك النفس الدّنية ، فأرتْكَ[4] مكروهَ عملك محبوباً وسيِّئَ قولك حسناً . ومن كان عَلَى هذا السبيل لم يلتفتْ إلى خير يكونُ منه ، ولم يكترثْ بشرٍّ يفعله] .

وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناسَ من سيفِ مالكٍ ... فأصبحَ يبغى نفسَه من يُجيرُها[5]

ومن هذا الباب قول [التَّوت[6]] اليمانيّ :

عَلَى أىِّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعد ما ... حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُه

ومن هذا الشكل قولُ عديِّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلْقِى شَرِقٌ ... كنت كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى[7]

وقال زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُه ... وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ

(١) ط ، س : «يحيى» ه : «حى» وأثبت ما فى ل . على أن الخبر روى منسوبا إلى القينى فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨) .

(٢) فيما عدا ل : «ما أبالى» .

(٣) فيما عدا ل : «إنما خصموني لأنى لم أستتر قط بشىء من القبيح» تحريف .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : «فأدتك» .

(٥) انظر الديوان ص ٢٤٩ والبيان (٣ : ١٥١) .

(٦) فى البيان (٢ : ٢٤٦) : «ويروى التوب بالباء والتوت هو الصواب . وهو المعروف بتويت» . وفى الأغانى (٢٠ : ٧٩) : «نويب» بالنون فى أوله والباء فى آخره . «اليمامى» نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : «نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولى . . . أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخمد ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا ، نشأ باليمامة وتوفى بها» .

(٧) انظر شرح البيت وتحقيقه فى ص ١٣٨ من هذا الجزء .

وكتَب سُوَيدُ بن منجوف[١] إلى مُصعب بن الزبير :

فأبلِغْ مُصْعَباً عنى رَسولاً وهل يُلفَى النصيحُ بكل وادِ[٢]
تعلَّمْ أنَّ أكثرَ مَن تُواخِى وإن ضحِكوا إليك هم الأعادى[٣]

وحدثنى إبراهيم بن عبد الوهاب ، قال : كتب شيخٌ من أهل الرىّ ١٧٢ على باب داره : « جزى الله من لايعرفنا ولا نعرفُه خيراً . فأمّا أصدقاؤنا الخاصةُ فلا جزاهمُ الله خيرا[٤] ؛ فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم ! » .

وأنشدنى النهشلىُّ[٥] لأعرابى يصف نَخْلاً[٦] :

[ترى مخارِفَها تِثْنِىْ جوانبها كأن جانىَ بيضِ النحل جانيها[٧]

ووصف آخر نخلا فقال :

إذا علاَ قِمَّتَها الرَّاقى أهَلّ[٨]

وقال الشاعر[٩]] :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٢ من هذا الجزء .
(٢) ل : « يلقى » بالقاف ، وهذه الكلمة ساقطة من سه .
(٣) تعلم : اعلم . ل : « تناجى » .
(٤) فيما عدا ل : « فلا جزاهم الله عنا خيراً » .
(٥) فيما عدا ل : « وأنشدنا النهشلى » .
(٦) ل : « نحلا » وفيما عدا ل : « فحلا » صوابهما ما أثبت .
(٧) المخارف : جمع مخرف ، بفتح الميم والراء . وهو الرطب يخرف ، أى يجنى من النخل . وشبه جانيها بجانى بيض النحل لبعد مرقاها وعلوه ؛ إذ أن مواطن النحل شعف الجبال عندهم . ومنه قول القائل (انظر المخصص ٨ : ١٧٨) :
رباء شماء لا يأوى لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل
والأوب : جماعة النحل ، واحدها آئب .
(٨) الراقى : الذى يعتليها . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الراعى » . أهل : رفع صوته ؛ وذلك لشدة إعجابه بجناها .
(٩) هو مالك بن الحارث الهذلى ، كما فى الشعراء ١٥٧ . وقد نسب البيت الأخير فى اللسان (٣ : ٣٥٩) إلى خالد بن مالك الهذلى ، والأول فيه (١٢ : ١٥٥) إلى أبى سهم الهذلى .

ومن تَقْلِلْ حلوبَتُه ويَنْكُلْ   عن الأعداء يَغْبِقُهُ القَرَاحُ[١]

رأيتُ مَعاشِرًا يُثْنَى عليهم   إذا شَبِعوا وأَوجُهُهُمْ قِبَاحُ[٢]

يظَلُّ المُصْرِمُونَ لهمُ سُجُوداً   وإن لم يُسْقَ عندهمُ ضَيَاحُ[٣]

وقال الشاعر :

البائتين قريباً من بيوتهمُ   ولو يشاؤون آبوا الحيَّ أو طَرَقوا[٤]

يقول : لِرَغبته في القِرَى، و[في] طعام الناس[٥]، يبيت بهم[٦]، ويدَعُ أهلَه . ولو شاء أنْ يبيتَ عندهم لَفعل .

وقال آخر ، يمدحُ ضدَّ هؤلاء :

تَقرِي قدورُهم سُرَّاء ليلِهمُ   ولا يبيتون دون الحيِّ أضيافا[٧]

وقال جرير :

وإنى لَأَسْتَحيي أخِي أن أرى له   علىَّ من الحق الذى لايَرَى لِيَا

---

(١) ل : « ومن يقرى » وفيما عدا ل : « ومن يعرى » وأثبت ما فى اللسان (١٢ : ١٥٥) والشعراء ١٥٧ . وجاء فى شرح البيت فى اللسان : « أى يغبقه الماء البارد نفسه » . فيما عدا ل : « يعتقه » تحريف .

(٢) فى الشعراء : « إذا ذكروا » .

(٣) المصرم : القليل الماء السيىء الحال ؛ أصرم : افتقر . والضياح ، كسحاب ، أوله ضاد معجمة ثم ياء مثناة : اللبن الرقيق الكثير الماء . فيما عدا ل : « صباح » صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٥٩) والشعراء وعيون الأخبار (١ : ٢٤١) .

(٤) آبوا الحى : رجعوا إليهم . وآب يتعدى بنفسه وبالحرف . فيما عدا ل :

النائمون قريباً من بيوتهم   ولو يشاؤون أى الحى إذ طرقوا

لكن فى هـ : « أتى الحى » .

(٥) س ، هـ : « يقول لرغبتهم » تحريف . فيما عدا ل : « إطعام الناس » محرف .

(٦) بهم : أى عندهم . هـ : « عندهم » ط ، س : « عندى » وهذه محرفة .

(٧) السراء : جمع سار ، وهو من يسير ليلا . وهذا من الجمع النادر ، ومثله غاز وغزاء . ط فقط : « قدودهم » وفيما عدا ل : « مراء ليلهم » و : « أضعافاً » محرفات .

قال : أستحيِي أن يكون له عندى يدٌ[١] ولا يرى لى عنده مثلَها .

وقال امرؤ القيس :

وهلْ ينعمَنْ إلا خليٌّ منعَّمٌ   قليلُ الهموم مايبيتُ بأوْجالِ[٢]

قال : وهو كقوله[٣] : « استراحَ من لاعقلَ له ! » . وأنشد مع هذا البيت [قول عمرَ بن أبى ربيعة — ويحكى أن المنصور كان يعجبُه النصف الأخير من البيت الثانى جدًّا ، ويتمثل به كثيرا ، حتى انتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدَّمَهُ دهراً ، وكان استحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه[٤] ، وصواب قوله] — :

وأعجبَها من عَيشها ظِلٌّ غُرْفَةٍ   وريَّانُ مُلْتفُّ الحدائق أخضرُ[٥]

ووالٍ كفَاها كلَّ شيء يُهمُّها   فليستْ لشيء آخر الدهرِ تَسْهرُ[٦]

وأنشد :

إذا ابتدر الناس المعالِي رأيتهمْ   وقُوفاً ، بأيديهم مُسُوكُ الأرانب[٧]

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد . وأنشد :

إذا ابتدرَ الناسُ المكارمَ والعُلاَ   أقاموا رُتوباً فى النُّهوجِ اللهاجِمِ[٨]

---

(١) اليد : المعروف والنعمة . فيما عدا ل : « استحى أن تكون له عندى يد » .

(٢) نعم ؛ كسمع ونصر وضرب . فيما عدا ل : « وهل يعمن » . وفى الديوان ٥٠ : « وهل ينعمن إلا سعيد مخلد » .

(٣) فيما عدا ل : « كقوله » . وفى شرح البطليوسى لديوان امرئ القيس : « وقد أنشد الأصمعى هذا البيت فقال : هذا كما يقول : استراح من لا عقل له » .

(٤) الإحقاق : الإحكام . وفى اللسان (١١ : ٣٣٣) : « ويقال أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته » . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « وإخفاقه فيه » تحريف . على أن فى هذه التكملة التى أثبتها من ل اضطرابا ونقصا .

(٥) فيما عدا ل : « كل غرفة » صوابه فى ل وديوان عمر ص ٣ .

(٦) الدهر ، مدة الحياة . ط فقط : « الدهم » صوابه فى سائر النسخ . وفى الديوان : « الليل » .

(٧) المسوك : الجلود ، جمع مسك ، بالفتح .

(٨) الرتوب : الثبات والإقامة . فيما عدا ل : « وقوفاً » .

يخبر أنهم يسألون الناس . والنهج والمَهْجم[1] الطريق الواسع .

وقال الآخر[2] :

لنا إبلٌ يَروين يوماً عِيالَنا ... ثلاثٌ وإن يكثُرْنَ يوماً فأربع[3]

نُمِدُّهم بالمـاء لا من هوانهم ... ولـكن إذا ما قلَّ شيء يوسَّع[4]

وقال الآخر :

من المُهْدَيات الماء بالماء بعدما ... رمى بالمقادى كلُّ قادٍ ومُعْتَمِ[5]

وقال الآخر :

١٧٣

وَداعٍ دعا والليلُ مُرخٍ سُدولَه ... رجاء القِرَى يا مُسلمَ بنَ حِمارِ[6]

دَعا جُعَـلاً لا يهتدي لِمَبيته ... من اللُّومِ حتى يهتدي ابنُ وبارِ[7]

وقال الحسنُ بن هانئ :

أضمرتُ للنِّيـل هِجْراناً ومَقْليةً ... إذ قيل لي إنما التمساحُ في النيل[8]

فمن رأى النِّيل رأيَ العينِ من كَثَبٍ ... فما أرى النِّيلَ إلا في البواقيل[9]

---

(١) ط فقط : « والمهجم » تحريف .

(٢) ط ، و : « وقال الشاعر » .

(٣) يروين عيالنا ، بما تدره من اللبن . والعيال : جمع عيل ، وهو من تموله .

(٤) تمدهم بالماء ، عنى أنهم يمزجون لهم اللبن بالماء ليكثر ويتسع لهم . فيما عدا ل : « لا من هواهم » تحريف .

(٥) القادى : القادم من السفر . والمعتمى : القاصد ، وحقه أن يكتب بياء بعد الميم .

(٦) السدول : الستور ، وزنا ومعنى . عنى بها الظلمات .

(٧) الجعل : دويبة سوداء كالخنفساء كنيتها أبو جعران ، وهو بالإنكليزية : Scarb والجعل مثل عند العرب في الحقارة والدناءة . أراد : دعا بدعائه مسلم بن حمار رجلا ساقط القدر من لؤمه . ط : « جعل » تحريف .

(٨) المقلية : البغض . س : « ملقيل » .

(٩) من كثب : من قرب . والكلمتان ساقطتان من س ، و . والبواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء ، وهو كوز بلا عروة . وقد عبر بذلك عن خوفه من تماسيح النيل ومن قربان النيل لذلك .

وقال ابن ميّادة[١] :

أتيتُ ابنَ قشراء العِجانِ فلم أجِدْ ... لدى بابه إذناً يسيراً ولا نُزْلاَ[٢]

فإن الذى ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ ... لأنْقَصُ مَن يمشى على قَدَم عقلاَ[٣]

ومن هذا الباب قوله :

إنى رأيت أبا العوراء مُرتفقاً ... بشَطِّ دِجْلَةَ يَشْرِى التَّمر والسَّمَكا[٤]

كشِرَّة الخيل تبقَى عند مِذْوَدِها ... والموتُ أعلم إذْ قَفَّى بمن تَرَكا[٥]

هَذِى مساعيكَ فى آثار سادَتِنا ... ومن تَكُنْ أنت ساعيه فقد هَلَكا[٦]

ومن هذا الباب قوله[٧] :

ورِثنا المجدَ عن آباء صِدق ... أسأنا فى ديارهمُ الصَّنيعا

إذا المجدُ الرفيعُ تعاورتْه ... وُلاة السَّوء أوشكَ أن يضيعا[٨]

وقال جِران العَوْدِ :

[أُراقبُ لمحاً من سُهيل كأنه ... إذا ما بَدَا فى دُجْيَة الليل يطرفُ[٩]

---

(١) فيما عدا ل : « ابن أحمر » وانظر ما سبق فى (٣ : ٨٢) .

(٢) سبق شرح البيت فى (٣ : ٨٢) . فيما عدا ل ، « حمراء العجان » . وفى سـ ، هـ : « أدنى » وهذه محرفة عن « إذنا » وفى سـ : « يسير » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ولاه » وأثبت ما فى ل وما سبق فى (٣ : ٨٢) .

(٤) ل : « أبا العورات » وفى ط ، سـ : « مرتفعاً » تحريف .

(٥) الشرة ، بالكسر : النشاط . ط فقط : « تبغى » تحريف . وفى ط ، سـ : « أعلم من يدفى » هـ : « من يعني » صوابهما ما أثبت من ل ومما سبق فى (٣ : ٨١) .

(٦) ل : « تلك » بدل : « هذى » .

(٧) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى (١٠ : ١٥٨) . والبيتان فى عيون الأخبار (٤ : ١١٣) وقد سبقا فى (٣ : ٨٢) .

(٨) ط : « بنات السوء » تحريف . وفى سـ ، هـ : « بناة السوء » جمع بان . ط ، هـ « يوشك » .

(٩) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٥٢) .

وقال] :

ولم أجـد الموقوذ تُرجَى حياتُه   إذا لم يرعْه الماء ساعةَ يُنضَحُ[(١)]

وكان أبو عبادٍ النُّميرىُّ أتى باب بعض العمال ، يسأله شيئاً من عمل السلطان ، فبعثه إلى أُستقانا[(٢)] فسرقوا كل شىء فى البيدَر وهو لا يشعر ، فعاتبه فى ذلك ، فكتب إليه أبو عبّاد :

كنتُ بازاً أضربُ الكُرْ   كىّ والطيرَ العظاما
فتقنَّصْتَ بىَ الصَّعْـ   ـوَ فأوهنْتَ القُدَامَى[(٣)]
وإذا ما أُرسلَ البا   زِى عَلَى الصعْو تعَامَى[(٤)]

أراد قول أبى النجم فى الراعى :

يمرُّ بين الغانيات الجُهَّلِ[(٥)]   كالصقر يجفو عن طِرادِ الدُّخَّلِ[(٦)]

---

(١) الموقوذ : المضروب ضرباً شديداً ، والشديد المرض الذى أشرف على الموت . فيما عدا ل : « ولم أجد الموفور يرجى جنابه » تحريف . وفى هـ : « ينضج » مصحفة بالجيم .

(٢) استقانا ، كذا وردت مضبوطة فى ل . وكلمة : « إلى » قبلها ليست فى الأصل . وفيما عدا ل : « فتبعه أسفار » وفى محاضرات الراغب (١ : ٨٧) : « فولاه أمانة قرية فسرق ما فى البيدر » .

(٣) التقنص : الصيد . والصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس ، وهى بلغة العلم الأوربى : Regulus . ومنه ما يسمى : Goldcrest or Kinglet . والقدامى القوادم ، وهى ريشات أربع فى مقدم الجناح . فيما عدا ل : « بى الصقر » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « على الصقر » تحريف .

(٥) ط فقط : « القانيات » بالقاف .

(٦) الدخل ، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة : طير صغار أمثال العصافير تأوى الشجر الملتف ، وهى أنواع كثيرة كلها غريد ، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزريقة . وهو بالإنجليزية : Sylvia or Warbler . فيما عدا ل : « تجفو » بالتاء محرفة .

١٧٤ و بات أبو عبّادٍ[١] مع أبي بكر الغِفاريّ ، في ليالي [شهر] رمضان ، في المسجد الأعظم ؛ فدبّ إليه ، وأنشأ يقول :

يا ليـلةً لي بتُّ ألهُو بها   مع الغِفاريِّ أبي بكرِ
قمتُ إليـه بعد ما قد مضى   ثُلْثٌ من الليل على قدْرِ
[في ليلةِ القدْرِ ، فيامَنْ رأى   أدَبَّ منِّي ليـلةَ القدْرِ]
ما قام حَمْـدانُ أبو بكرِ   إلا وقد أفزَعَهُ نَخْرى[٢]

وقال في قلْبانَ صديقتِه[٣] :

إن قلبانَ قـد بَغَتْ   لشقائي وقـد طَغَتْ[٤]
و إذا لم تُنَكْ بأيْـ   ـرِ عظيم القوى بكتْ[٥]

وقال مسكينٌ الدّارمي :

إليك أمير المؤمنين رحَلْتُها   تثير القطا ليلاً وهنّ هُجودُ[٦]
لَدَى كلِّ قُرموص كأنّ فراخَه   كُلًى غير أن كانت لهنّ جُلودُ[٧]

---

(١) هو أبو عباد النميرى ، تقدمت ترجمته في (٢ : ١٩٣) . هـ فقط : « أبو بكر عباد » .

(٢) النخر ، عنى به النخير ، وهو صوت الأنف . ط : « أقرعه » س : « أفرعه » هـ : « أفرغه » ط ، س : « نحرى » هـ : « بحرى » صواب هذه التصحيفات ما أثبت من ل .

(٣) الصديقة : مؤنث الصديق ، كما في اللسان (٢٢ : ٦٣ س ٤) . والأفصح أن يكون لفظ المؤنث كلفظ المذكر .

(٤) ط : « صفت » س ، هـ : « صخت » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) ل : « فتى كافر بكت » .

(٦) يقوله لمعاوية بن أبي سفيان كما في الشعراء ١٣٢ . وهو من قصيدة سياسية أمره يزيد ابن معاوية أن يصنعها ويؤيد بها ترشيحه الخلافة بعد أبيه . انظر الأغاني (١٨ : ٧١ – ٧٢) .

(٧) القرموص : وكر الطائر حيث يفحص في الأرض . والكُلى : جمع كلية ، شبه الفراخ بها إذ عرى أبدانهن من الريش .

وقال أبو الأسود الدِّيلي[1] ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان[2] :

أمِنْتَ على السِّرِّ امرأً غيرَ كاتمٍ ولكنه في النصحِ غيرُ مُرِيبِ[3]
أذاع به في الناس حتى كأنه بعَلياء نارٌ أُوقِدَتْ بثَقُوبِ[4]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سِرَّك تنتشر قوارعُه من مخطئٍ ومُصيبِ[5]
وما كل ذى لُبٍّ بمؤتيك نُصْحَه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيبِ
ولكن إذا ما استَجْمعا عند واحدٍ فحَقٌّ له من طاعةٍ بنصيبِ[6]

وقال أيضاً :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النَّصَفَ واغضبِ[7]
وإن كنت أنت الظالمَ القومَ فاطَّرِحْ مقالتهم وأَشْغِبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ[8]
وقارِبْ بذى جهلٍ ، وباعِدْ بعالمٍ جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجْلَبِ

---

(١) ط ، س : « الدؤلى » . وانظر ما أسلفت فى ص ٧٤ ؛ وما سبق فى (٣ : ٥٠) .

(٢) ط ، س : « وهو ظالم » وما بعد كلمة : « ظالم » ساقط من س . وكان من قصة هذا الشعر أن أبا الأسود خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد . فحدث به ابن عم لها كان يخطبها ، فدفعه ذلك أن يحتال ويتعجل فى زواجه بها ، وضاعت من أبى الأسود . انظر الأغانى (١١ : ١٠٤ — ١٠٥) .

(٣) ط ، هـ : « امرأ حازم » تحريف . وفى س : « غير حازم » بالعين المهملة ، صوابها بالمعجمة . وأثبت ما فى ل . ورواية الأغانى : « أمنت امرأ فى السر لم يك حازما » .

(٤) الثقوب ، بالفتح : ما أثقبت به النار وأشعلتها من دقاق العيدان ، كالثقاب ، بالكسر . فيما عدا ل « لثقوب » صوابه ما أثبت من ل والأغانى .

(٥) فيما عدا ل : « ينتشر » وفى الأغانى : « تلتبس » . والقوارع : الدواهى والنوازل . أراد ينشرها المخطئ والمصيب .

(٦) استجمعا ، أى اللب والنصح . فيما عدا ل : « من ساعة » صوابه فى ل والأغانى .

(٧) النصف ، ويثلث : الانتصاف وأخذ الحق .

(٨) فيما عدا ل : « فإن كنت » . الشغب : تهييج الشر والفتنة والخصام ، وترك القصد إلى العنود . فيما عدا ل : « على كل مشغب » صوابه فى ل والأغانى .

فإن حَدِبوا فاقعَس وإن هم تقاعَسُوا … ليستمسكوا ممـا وراءك فاحدبِ[١]

ولا تَدْعَنَّ للحقِّ واصبر على التى … بها كنتُ أقضى للبعيد على أبى[٢]

فإنى امرؤٌ أخشَى إلٰهى واتقى … مَعادى وقـد جرّبتُ مالم تجربِ

وقال مَسْلمة بن عبد الملك :

إنى إذا الأصـواتُ فى القوم عَلَتْ … فى مَوْطنٍ يَخشى به القومُ العَنَتْ

مُوَطِّنٌ نفسى على ما خَيَّلَتْ[٣] … بالصَّبر حتَّى تنجلى عمَّا انجلَتْ

وقال الـكميت :

وبيض رِقاقٍ خفاف المُتُونِ … تسمعُ للبَيْضِ منهـا صريراً[٤]

تُشبَّه فى الهـامِ آثارُها … مَشافِرَ قَرْحَى أكلْن البَريرا[٤]

وأنشدنى أبو عبيدة :

نُصبِحُها قيساً بلا استبقائها … صفائحاً فيهـا فضولُ مائها

من كلِّ عَضْبٍ عَلٍّ من دِمائها … إذا عـلا البيضةَ فى استوائها

رونقُه أوقَدَ فى حِرْبائهـا[٦] … ناراً وقد أمحَضَ من ورائهـا

وأنشدنى لرُجل من طيٍّ :

لم أرَ فتيانَ صباحٍ أصـبرَا[٧] … منهم إذا كان الرماحُ كِسَرا[٨]

---

(١) الحدب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر . وفعله من باب فرح . والقعس : نقيضه ، وهو خروج الصدر ودخول الظهر ، يفعله من باب فرح أيضاً .

(٢) فى الأغانى : « ولا تدعَى للجور » .

(٣) على ما خيلت : أى على كل حال . خيلت : شبهت .

(٥) البيض ، بالكسر : السيوف . والبيض ، بالفتح : جمع بيضة السلاح .

(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣١٠) .

(٦) رونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . وحرباء البيضة : ظهرها . وفى اللسان : « والحرباء : الظهر » وفيه : « الحرباء مسمار الدرع » .

(٧) فتيان الصباح : الذين يصبحون العدو ، يغيرون عليهم صبحاً .

(٨) الكسر : جمع كسرة ، بالكسر ؛ وهى القطعة المكسورة من الشىء .

سُفْعَ الخدودِ دُرَّعًا وحُسَّرا[١] لا يشتهون الأجلَ المؤخرا

وقال ابن مفرِّغ :

قُبٌّ البطون والهوادى قُودُ[٢] إنْ حادتِ الأبطالُ لاتحيدُ

إذا رجعناهنَّ قالت عودُوا كأنما يَعلمن ما نُريد

ومن المجهولات :

عليك سلامُ الله من مَنزلٍ قَفْرِ فقد هِجْتَ لى شوقًا قديمًا وما تدرى

عهدتك من شهر جديدًا ولم أخَلْ صُروفَ النوَى تبلى مغانيك فى شهر

الخُرَيمىُّ أبو يعقوب :

لعمركَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه إليك ولا عرَّضْتُه للمعايرِ

أى لا أعيَّرُ لقصدك .

فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه عليه وخَلَّتْ مالَه غير وافر

وقال مطيعُ بنُ إياس :

قد كلفتنى طويلة العُنُقِ وحُبُّ طولِ الأعناقِ من خُلُقِى

أقلقُ من بُعدها فإن قربت فالقربُ أيضًا يزيدُ فى قلقى

وقال سهلُ بنُ هارون :

إذا امرؤٌ ضاق عنِّى لم يضِق خُلقى من أن يرانى غنيًا عنه باليأسِ[٣]

---

(١) درع : جمع دارع وهو لابس الدرع . والحسر : جمع حاسر ، وهو الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وفى حديث فتح مكة . أن أبا عبيدة كان يوم الفتح على الحسر . وهم الذين لا دروع لهم .

(٢) قب : جمع قباء ، وهى الضامرة البطن مع دقة فى الخصر . والهوادى : الأعناق . قود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) الياس : اليأس ، بتسهيل الهمزة .

ولا يوانى إذا لم يَرعَ آصرتى ... مُستمرِيًا دِرَرًا منه بإبساسِ[١]

لا أطلبُ المالَ كى أغنَى بفضلته ... ما كان مطلبُه فقرًا إلى الناسِ[٢]

وقال ليحيى بن خالد :

عدوّ تلادِ المال فيما ينوبه ... منوعٌ إذا ما منْعُه كان أحزَما

فسِيَّانِ حالاه ، له فضْل منْعِه ... كما يستحقُّ الفضلَ إن هو أنعَمَا

مذلِّلُ نفس قد أبَتْ غير أن ترى ... مَكارِهَ ما تأتى من الحقِّ مَغْنَما

وقال أبو الأسود لزياد :

١٧٥ لعمركَ ما حشاكَ الله رُوحا ... به جشعٌ ولا نفسًا شرِيره[٣]

ولكن أنتَ لاشَرِسٌ غليظٌ ... ولا هَشٌّ تنازِعُه خُؤُوره[٤]

كأنا إذْ أتيناهُ نزلْنا ... بجانِبِ روْضةٍ ريَّا مَطيرَه

تمّ المصحف الخامس بحمد الله وعونه ، يتلوه المصحف السادس من كتاب الحيوان[٥] .

---

(١) الآصرة : ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . الاستمراء : الاستخراج والاستدرار ، والمعروف المرى والامتراء . الدرر : جمع درة بالكسر ، وأصلها فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً . والإبساس : صويت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٢) فى البخلاء ١٥٣ : « كى أغنى » ولكل منهما وجه .

(٣) الروح : النفس ، يذكر ويؤنث . فيما عدا ل : « نفسا بها » .

(٤) الذى فى المعاجم : « الخؤور » بطرح التاء ، وهو الخور والضعف . لكن جاء فى شعر جرير (انظر اللسان ٢٠ : ٢٤٧) :

وبجاشع قصب هوت أجوافه ... لو ينفخون من الخؤورة طاروا

(٥) هذه هى عبارة س . وفى ط : « تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس ، أوله باب » وليس فى ل ، ه عبارة فاصلة بين هذا الجزء والذى يليه .

فهـــارس

الجزء الخامس من كتاب الحيوان

١ ــ ابواب الكتاب

صفحة

٢ ـ ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان

ا

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

ن

هـ

ى

٣ ـ ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

٤ ـ ما يتعلق من الأبحاث بالمعارف

ا

ب

ت

ث

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ل

٥ — ما ترجم من الأعلام فى الشرح

٦ — مراجع الشرح والتحقيق

يضاف إلى المراجع المثبتة فى الأجزاء السابقة :

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
إتحاف فضلاء البشر	أحمد بن محمد الدمياطى	عبد الحميد حنفى	١٣٥٩ هـ	مصر
أخبار مكة	الأزرقى	الماجدية	١٣٥٢ هـ	مكة
الأزمنة والأمكنة	المرزوقى	دائرة المعارف	١٣٣٢ هـ	حيدر أباد
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	الرازى	لجنة التأليف	١٣٥٦ هـ	مصر
الأنساب	السمعانى	بريل	١٩١٢ م	ليدن
الإنصاف	الأنبارى	بريل	١٩١٣ م	»
البحر المحيط	أبو حيّان	السعادة	١٣٢٨ هـ	مصر
بدائع البدائه	ابن ظافر الأزدى	بولاق	١٢٧٨ هـ	»
تهذيب الألفاظ	ابن السِّكِّيت	الكاثوليكية	١٨٩٥ م	بيروت
جمع الفوائد	محمد بن محمد بن سليمان	الخيرية	١٣٤٥ هـ	ميرته الهند
الجمهرة	ابن دريد	دائرة المعارف	١٣٥١ هـ	حيدر أباد
جَنَى الجنّتين	المحبِّى	الترقى	١٣٤٨ هـ	دمشق
الخصائص	ابن جنّى	الهلال	١٣٣١	مصر
دائرة المعارف الإسلامية(١)	(النسخة المعرّبة)	الاعتماد	من ١٣٥٢ هـ	»
ديوان قيس بن الخطيم	—	—	١٩١٤ م	ليبسك
ديوان أبى محجن	رواية العسكرى	الأزهار	—	مصر
رسالة الغفران	المعرِّى	هندية	١٩٠٧ م	»
رسائل إخوان الصّفاء	—	العربية	١٣٤٧ هـ	»
الزهرة	الأصفهانى	الآباء اليسوعيين	١٣٥١ هـ	بيروت

(١) وضعها جماعة من المستشرقين ونقلها إلى العربية لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
السنن الكبرى	البيهقي	دائرة المعارف	١٣٥٥ ﻫ	حيدر أباد
سنن النسائي	النسائي	الميمنيّة	١٣١٢ ﻫ	مصر
شرح مقامات الحريري	الشريشي	بولاق	١٣٠٠ ﻫ	»
شفاء الغرام	الفاسي	—	١٨٦١ م	ليبسك
شمس العلوم	نشوان الحميري	بريل	١٩١٦ م	ليدن
صحيح البخاري	البخاري	بولاق	١٣١٠ ﻫ	مصر
صحيح مسلم	مسلم	»	١٢٩٠ ﻫ	»
الغريب المصنف	أبو عمرو الشيباني	مخطوطة دار الكتب	—	—
الفائق	الزمخشري	دائرة المعارف	١٣١٤ ﻫ	حيدر أباد
الفصول والغايات	المعري	حجازي	١٣٥٦ ﻫ	مصر
القراءات الشاذة	ابن خالويه	الرحمانية	١٩٣٤ م	»
الكنز اللغوي[1]	الدكتور أوغست	الكاثوليكية	١٩٠٣ م	بيروت
اللآلي	البكري	لجنة التأليف	١٣٥٤ ﻫ	مصر
مجلة الثقافة	—	—	—	»
مجلة المشرق	—	—	—	بيروت
مجمع الزوائد	الهيثمي	مكتبة القدسي	١٣٥٣ ﻫ	مصر
مجموعة المعاني	(لم يعلم)	الجوائب	١٣٠١ ﻫ	قسطنطينية
المداخل	غلام ثعلب	(مخطوط)	—	—
مسند أحمد	أحمد بن حنبل	الميمنية	١٣١٣ ﻫ	مصر
مشارق الأنوار	القاضي عياض	المولوية	١٣٢٩ ﻫ	فاس
معجم شرف	الدكتور محمد شرف	الأميرية	١٩٢٩ ﻫ	مصر

(١) نشره الدكتور أوغست هفنر Dr. August Halfner ويشمل كتاب القلب والإبدال لابن السكيت، والإبل وخلق الإنسان له أيضاً.

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
المعرب	الجواليقي	دار الكتب	١٣٦١ هـ	مصر
مفتاح كنوز السنة[1]	ا . ى . فنسنك	مصر	١٣٥٣ هـ	»
المفضليات	الضبي	المعارف	١٣٦٢ هـ	»
المواقف	الإيجي	العلوم	١٣٥٧ هـ	»
نظام الغريب	الربعي	هندية	—	»
الهاشميات	الكميت	بريل	١٩٠٤ م	ليدن
الولاة والقضاة	الكندي	الآباء اليسوعيين	١٩٠٨ م	بيروت

(١) نقله إلى العربية الأستاذ الجليل محمد فؤاد عبد الباقي .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	١٢	« واشتدت منها » كذا فى الأصل . والوجه « واستمدت منها » يؤيد هذا التصحيح قول الجاحظ فى ص ٢١ س ٣ : « وأمده بعض أجزائه » .
٤٦	١٠	« الخبز » كذا فى الأصل . وصوابه « الخِبْر » وجاء فى ص ٥٦ س ٥ : « فاللبن والخبر يتفاسدان » .
٧٧	١٠	« الحصيف » صوابه « الخصيف » بالخاء المعجمة ، وفى اللسان (١٠ : ٣٤٧) « ورماد خصيف : فيه سواد و بياض » . وانظر مافى ٣٧٠ س ١ .
٨٤	٢٤ ش	من أقدم النصوص العربية التى ورد فيها ذكر « البركان » قول المسعودى فى التنبيه والإشراف ٥٢ س ٢١ : « وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان . و منه تخرج عين النارالتى تعرف بأطمة صقلية » .
١٣٣	٤ ش	« بأطرافها » صوابه : « بأطراتها » .
٢٣٠	٦	« نَدبة » . يقال « نُدْبة » و « نَدْبة » بضم النون وفتحها ، كما فى القاموس . وانظر الخزانة (٤ : ٢٧٢ بولاق) .
٢٣٤	٩ ش	« نور له » . فى اللسان (٧ : ١٠٤) : « هو ينور عليه أى يخيل . وليس بعربى صحيح . الأزهري : فلان ينور على فلان إذا شبه عليه أمراً . قال : وليست هذه الكلمة عربية . وأصلها أن امرأة كانت تسمى نورة ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نور فهو منور » .
٢٥٢	١١-١٣ش	هذا ما بدا لى فى تحقيق هاتين الكلمتين . وكتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى : « صوابها كنك كنك ، ولال لال . وكلتاهما بمعنى الأبكم . أى أن هذه الدويبات صم بكم لا تسمع ولا تتكلم لحسن طعمها ، فطعمها شاهد على لذيذ مافيه ، فهى فى غنى عن الكلام على نفسها . والكلمتان فارسيتان . وأهل عمان وخليج فارس يدخلون ألفاظا فارسية كثيرة فى كلامهم إلى عهدنا هذا ، ويدخلون تلك الكلم فى جميع مرافق حياتهم » .

صفحة	سطر	
٦٤	١٢	« فى النادىّ» لعلها : « فى البادين » جمع بادٍ مقابل الحاضر. وجاء فى (٦ : ٢١) : « تكفى الوليدة والرُّعيان » فى نسخة كوبريلى .
٢٨٦	٢ ش	« بؤس الناس » هى بضم الباء وتشديد الهمزة المفتوحة : جمع بائس . انظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ص ٤٨٩ .
٣١٨	١	« سنانير الجيران » كتب إلىّ حضرة العلامة الجليل الأب أَنستاس مارى الكرملىّ : « هذا أمر مشهور لاينكر ، فقد كان فى بيتنا فى سنة ١٨٧٨ هرٌّ كثيف الشعر ، سمّيناه « مرجان » ، وكنا عوّدناه ألا يأكل من إناء أيا كان ، بل من الأرض فقط ، فكنا نشترى له طحال الغنم فيأكله لأنه حريص عليه ، ونضعه فى وعاء أو قدر بين يديه ، فإذا حاول أخذه ضربناه ضرباً موجعا . ولما كنا نضعه على الأرض كنا نشجعه على أكله . وبعد ممارسات عدة اعتاد الأمر . وكان يمنع جميع الهررة أصدقائه من الدنوّ من لحوم البيت أو طعامه . وكثيراً ما كان يجرى حرب شديدة بينه وبين أصحابه ، حتى إننا كنا نرمى اللحم فى الأوعية ، ونذهب خارج البيت ، تاركين تلك الآنية بلا غطاء عمداً ، معتمدين عَلَى حمايته لها ، فما كان أحد من السنانير يجسر من الدنو منه ؛ لأن « مرجاناً » كان هناك رقيبها الأمين ، وكان بمنزلة « شرشير » فى جهنم . وكان قد اعتاد هرنا هذا أن يتردّد إلى بيوت الجيران ، فإذا رأى فى أحدها فراخ هرة أخذ منها كل يوم فرخا ، وأتى به عَلَى سطح دارنا وأكله ، ورأيت ذلك ثلاثة أيام متواليات ، ثم تركت مراقبته . وفى شهر شباط

صفحة سطر

(فبراير) من هذه السنة أى سنة ١٩٤٢ — رأيت فى دورنا هراً كبيراً ، كان يأتى بفرخ هرة جيراننا ، ويأكله لا عَلَى سطح دارنا ، بل عَلَى سطح الدار التى يجد فيها الفراخ . ولهذا قالت العرب — على مايبدولى — هو أبر من هرة ، لأنهم ينسبون إلى الهرة لا إلى الهر أكل الفراخ . مع أن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن السنور هو الأثيم . وهذا الأمر معروف فى ديار العراق كلها ، ولا يجهله أحد . أما السبب فلا يعلم إلى الآن . والسلف يقول : إن القط تفعل ذلك براً بأولادها . إذن هذا معنى قول الجاحظ : وذكورة سنانير الجيران تأكل أولادَ الهرة » .

٣١٩ ٦ البيت نسبه الجاحظ أيضا فى (٦ : ٩٧) إلى الفرزدق .

٣٢٥ ٢ « سوراسنب » . كتب إلىَّ حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرمليّ : « الصواب : وإلى إقامة سور للسُّنْب . وهما كلمتان فارسيتان معناهما عيد (= سُور) للخَفْض (= للسُّنْب) . وذلك أن نساء المجوس — ويسمى المجوس اليوم فى الهند : پارسِى Parsis — يقمن حفلة أو عيداً فى يوم تطهير المرأة . وفى يوم آخر يُكرَم صاحب الحائض فى أول يوم من حدوث الطمث لابنته البالغ ؛ لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر . ولهذا ترَى المرأة معزَّزة ومكرمة غاية الإكرام عند أهل هذه النحلة » .

٣٢٩ ١٣ جاء مثل هذا المعنى فى قول القائل (انظر اللسان ١٧ : ٢٣٧):

خليل عوجا من صدور الكوادن   إلى قصعة فيها عيون الضياون

قال : شبه الثريدة الزريقاء بعيون السنانير، لما فيها من الزيت .

٣٣١ ١١ ش وانظر أيضا الحيوان (٣ : ١٧٤ — ١٧٥) .

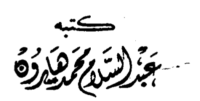
صفحة	سطر	
٣٣٩	٤	كانت التجارة فى السنانير من المألوف عندهم ، ولكنها كانت تجارة مستهجنة ، وفى البيان (١ : ٢١٩) : « قال أبو إسحاق : بل كذبت ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمه عن رجل ، فقال : هو يبيع الدواب ! فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت ، لأن السنور دابة » . وفى الأغانى (١٢ : ١٥٥) : حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : آخر ما فارقت محمد بن حازم أنه قال : لم يبق شىء من اللذات إلا بيع السنانير » . وانظر بقية الخبر فيه .
٣٦٠		صحة هذه العبارة : وسنذكر عقارب الشتاء ، وهى عقارب الحِيران » والحيران : جمع حوار ، بالضم ويكسر ، وهو ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . ففى القاموس : « وعقرب الحيران عقرب الشتاء ، لأنها تضر بالحوار » .
٣٦٣	٥	انظر للعقارب الطيارة الحيوان (٢ : ٢٣٧ / ٥ : ٤١٣ / ٧ : ١٦)
٣٧٥	١	(كان له غلام بمصر) كذا فى الأصل ، وهو هنا ل فقط . وأراها : «كان له غلام تَبَثَّر» . تبثَّر : ظهرت فيه البثور ، وهى مثل الجدرى يظهر على الوجه وغيره من بدن الإنسان . وانظر هذا الجزء ص ٤١٥ س ٤ .
٣٩٠	٩	أضف إلى ذلك ماورد فى الكامل ٤٣٠ ليبسك : « وكان أبو الشمقمق ربما لحن ، ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه »
٣٩٢	١٣	وكذلك ٣٩٨ س٢ . كتب إلى حضرة العلامة الجليل الأب

صفحة سطر

أنَسْتاس مارى الـكرملىّ ، تعليقا قيّما جاء فيه : «قلت : صواب الرواية : (دَذْ) أو (دَدَه) بدالين مهملتين ، ثم بدالين مهملتين بلى الأخيرة هاء محضة ساكنة ، كلتان فارسيتان ، معناها الأول الحيوان المفترس أو الضارى ، أو الوحش المؤذى ، ثم أطلق على دودة أو قملة تضر الإنسان ضرراً عظيما أعظم من ضرر الوحش له . وقد ذكرها الأقدمون بأسماء مختلفة منها هذا الاسم الفارسى بلغتيه . ومنهم من عربها بصورة (دَذَه) وهى الواردة فى كتب الفصحاء . وذكرها ابن سينا فى القانون المطبوع فى رومة (٢ : ١٤٨) : فصل فى قملة النسر المسماة دذه بالفارسية ، وصملوكى باليونانية ، وطغانوس بالهندية . وهذه هامة كالقملة أو كأصغر الديدان . قال جالينوس : هى صغيرة لايتوقى منها . وتكاد لا تُبْصر لسعتُها وهى مما تفجر الدم بولا ورعافا ، ومن المقعدة ، ومن المعدة بالقىء ، ومن الصدر والرئة ، ومن أصول الأسنان . وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء . وقال ياقوت الحموى ، فى معجم الأدباء ، فى ترجمة على بن منصور الحلبى (٥ : ٤٢٧ من طبعة مرجليوث) : واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شَقْفَة ، وهى التى تسمى التراق ، و يقال لها قملة النسر أيضا ، فمات منها . اهـ . وفى حياة الحيوان (٢ : ٢٩٩ بولاق) : وأما قملة النسر فهى التى تـكون فى بلاد الجبل ، وتسمى بالفارسية دره (كذا والصواب دده أو دذه) وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القملة ، و إنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه . قلنا : وهذا خطأ أيضا . والصواب أنها

صفحة	سطر	
		سميت قملة النسر لأنها تفتك بالناس فتك النسر بالطير والدويبات ، إذ لايفلت من منسريه شيء البتة . أما أنها في النسرفليست فيه إلا شذوذا أو يكاد »
٤٠٢	٩	فاتنى أن أنبه إلى أن العبارة فى ل : «لم أطردها» بحذف الواو .
٤٥٨	٥ ش	يضاف إلى هذا التحقيق ما جاء فى الحيوان (٦ : ١٧٦ساسى) من قول الجاحظ : « فاشتريته فإذا هو أحسن الناس خبزاً وأطيبهم طبخا » .
٤٦٧	١٧ ش	الزواج النهارى ، يفهم من لفظه أن كلا من الزوجين لا يلقى صاحبه إلا على نهار ، ويفرغ كل منهما فى الليل لما هو بسبيله . وجاء فى البخلاء ١٠٤ فى قصة تمام بن جعفر : « وقالت له امرأة : ويحك ياأباالقماقم . إني قد تزوجت زوجا نهاريا ، والساعة وقته ، ولست على هيئة ، فاشتر لى بهذا الرغيف آسا ، وبهذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقى محبتى فى قلبه ، فيرزقنى على يدك شيئا أعيش به » .
٤٧٧	٨ ش	كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملى : صوابها الباضوركى ، براء مهملة لا بالزاى . وهذه من خطأ الناسخ . والباضوركى لغة فى البازركان . والكلمة فارسية . ويراد به المشتط فى السوم والبيع والعراقيون يسمونه اليوم المغلوانى ، زنة القلقلانى . ويقول بعضهم المغلواني — أي بضم الميم والغين وإسكان اللام . ويسمى بالفرنسية *Ecorcheur* وبالإنكليزية : Fleecer وأما العرب الفصحاء فكانوا يسمونه في صدر الإسلام : الوغال . قال الأخطل في ص ١٦١ من ديوانه :
		فوضعت غير غبيطه أثقاله بسباء لأحصر ولا وغال
		قال شارحه : الحصر البخيل . والوغال هاهنا البياع الذى يبالغ فى الثمن.
		وجعل الزاى ضاداً من لغة بعضهم فى قديم الزمان . وقد أشار إلى ذلك صاحب التاج فى مادة (ش ر ض) .
		ثم إن بعض فقهاء اللغتين الفارسية والعربية يرون أن الألف والنون الساكنتين لبعض الكلم الفارسية كما فى البازركان ، هى بمنزلة ياء النسب في الآخر عند العرب ولهذا عربوها بقولهم بازركى . وهكذا عرفنا معناها. والأفصح أن يقال الوغال ، أو البازركان، أو البازركى. وأما (الباضركى) فقبيح . هذا ما بدالنا وعلمه فوق كل ذى علم » .

منشية البكرى غرة المحرم سنة ١٣٦٣ هـ



صدر من هذه السلسلة

١ - ديوان أبى الطيب المتنبى	تحقيق د. عبد الوهاب عزام
٢ - الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدى	تحقيق د. عبد الرحمن بدوى
٣ - قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد	تحقيق : سعيد عبد الفتاح
٤ - ديوان الحماسة لأبى تمام جـ ١	تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
٥ - ديوان الحماسة لأبى تمام جـ ٢	تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
٦ - رسائل إخوان الصفا جـ ١	
٧ - رسائل إخوان الصفا جـ ٢	
٨ - رسائل إخوان الصفا جـ ٣	
٩ - رسائل إخوان الصفا جـ ٤	
١٠ - كتاب التيجان	
١١ - ألف ليلة وليلة جـ ١	
١٢ - ألف ليلة وليلة جـ ٢	
١٣ - ألف ليلة وليلة جـ ٣	
١٤ - ألف ليلة وليلة جـ ٤	
١٥ - ألف ليلة وليلة جـ ٥	
١٦ - ألف ليلة وليلة جـ ٦	
١٧ - ألف ليلة وليلة جـ ٧	
١٨ - ألف ليلة وليلة جـ ٨	
١٩ - تجريد الأغانى جـ ١	

٢٠ - تجريد الأغانى جـ ٢

٢١ - تجريد الأغانى جـ ٣

٢٢ - تجريد الأغانى جـ ٤

٢٣ - تجريد الأغانى جـ ٥

٢٤ - تجريد الأغانى جـ ٦

٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ١

٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ٢

٢٧ - حلبة الكميت

٢٨ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ١

٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ٢

٣٠ - رسائل ابن العربى جـ ١

٣١ - رسائل ابن العربى جـ ٢

٣٢ - منامات الوهرانى

٣٣ - الكشكول جـ ١

٣٤ - الكشكول جـ ٢

٣٥ - أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

٣٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الأول)

٣٧ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثانى)

٣٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثالث)

٣٩ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الثانى)

٤٠ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الثالث)

٤١ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الرابع)

٤٢ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الخامس)

٤٣ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس – الجزء الأول – الأعلام– القسم الأول)

٤٤ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس– الجزء الأول– الأعلام – القسم الثانى)

٤٥ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس – الجزءالثاني– الموظفون والوظائف)

٤٦ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس – الجزء الثالث–الاماكن و البلدان)

٤٧ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس – الجزء الرابع–المصطلحات– القسم الأول)

٤٨ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس – الجزء الرابع–المصطلحات– القسم الثانى)

٤٩ – فتوح مصر والمغرب الجزء الأول

٥٠ – فتوح مصر والمغرب الجزء الثانى

٥١ – المواعظ والاعتبار الجزء الأول

٥٢ – المواعظ والاعتبار الجزء الثانى

٥٣ – المواعظ والاعتبار الجزء الثالث

٥٤ – المواعظ والاعتبار الجزء الرابع

٥٥ – سيرة أحمد بن طولون

٥٦ – مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الأول

٥٧ – مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الثانى

٥٨ – اتعاظ الحنفا الجزء الأول

٥٩ – اتعاظ الحنفا الجزء الثانى

٦٠ – اتعاظ الحنفا الجزء الثالث

٦١ – مقالات الإسلاميين

٦٢ – ديوان أبى نواس الحسن بن هانئ الحكمى الجزء الأول

٦٣ – ديوان أبى نواس الحسن بن هانئ الحكمى الجزء الثانى	
٦٤ – ديوان أبى نواس الحسن بن هانئ الحكمى الجزء الثالث	
٦٥ – ديوان أبى نواس الحسن بن هانئ الحكمى الجزء الرابع	
٦٦ – ولاة مصر تاليف محمد بن يوسف الكندى	
٦٧ – المنتخب من الأدب العرب الجزء الأول	
٦٨ – الهوامل والشوامل لأبى حيان التوحيدى، ومسكويه	
٦٩ – المنتخب من الأدب العرب الجزء الثانى	
٧٠ – نوادر المخطوطات الجزء الأول	تحقيق : عبد السلام هارون
٧١ – نوادر المخطوطات الجزء الثانى	تحقيق : عبد السلام هارون
٧٢ – طبقات فحول الشعراء الجزء الأول	تحقيق : أبى فهر
٧٣ – طبقات فحول الشعراء الجزء الثانى	تحقيق : أبى فهر
٧٤ – الحيوان للجاحظ الجزء الأول	تحقيق : عبد السلام هارون
٧٥ – الحيوان للجاحظ الجزء الثانى	تحقيق : عبد السلام هارون
٧٦ – الحيوان للجاحظ الجزء الثالث	تحقيق : عبد السلام هارون
٧٧ – الحيوان للجاحظ الجزء الرابع	تحقيق : عبد السلام هارون
٧٨ – الحيوان للجاحظ الجزء الخامس	تحقيق : عبد السلام هارون

تحت الطبع

٧٩ ـ الحيوان للجاحظ الجزء السادس

رقم الإيداع : ٥٣٣٧ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)